إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع

(أسيا الصغرى)

تركيا

في عهد المغول

641 - 736 هـ

1243 - 1336 م

تأليف الدكتور

متعب حسين القثامي

إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع

تركيا

في عهد المغول

تركيا

(أسيا الصغرى)

في عهد المغول

٦٤١ ـ ٧٣٦ هـ ١٢٤٣ـ ١٣٣٦م

تأليف

د/ متعب حسين القثامي

القاهرة

٢٠١١

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر
إعداد/ الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

القثامى ، متعب حسين

تركيا في عهد المغول: ٦٤١-٧٣٦ أ/ ١٢٤٣ – ١٣٣٦ / متعب حسين القثامى

– ط١ القاهرة: إيتراك، ٢٠١٠.

ص؛ سم

تدمك ٣ ٢٢٨ ٣٨٣ ٩٧٧ ٩٧٨

١- تركيا – تاريخ العصر الاسلامى

٢ ــ المغول والتتتار

أ- العنوان

٩٥٣,٠٩

اسم الكتاب:	تركيا في عهد المغول
اسم المؤلف:	متعب حسين القثامى
رقم الطبعة:	الأولى
السنة:	٢٠١١
رقم الإيداع:	٢٠١٠/٢٤٧٣٧
الترقيم الدولي:	٣ - ٢٢٨ - ٣٨٣ - ٩٧٧ - ٩٧٨
اسم الناشر:	إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع
العنوان:	١٢ش حسين كامل سليم – ألماظة – مصر الجديدة
المحافظة:	القاهرة
التليفون:	٢٤١٧٢٧٤٩
اسم المطبعة:	الدار الهندسية
العنوان:	زهراء المعادي – المنطقة الصناعية

المقدمة

الحمد لله، الذي علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، أما بعد.

فما من شك أن العصر المغولي يعد من أكثر العصور التاريخية، إثارة للفزع، وحب الاستطلاع، بل البحث عن الحقائق والأسباب، وحادثة من أعظم حوادث التاريخ، ليس الإسلامي فحسب، بل التاريخ الإنساني عامة، إذ اكتسح هؤلاء القوم، في حملات مدمرة، مراكز الحضارة في رقعة من الأرض شاسعة، من الصين شرقاً حتى بلاد الشام وشرق أوربا غرباً [١] ودمروا مدناً و سفكوا كثيراً من الدماء، وأقاموا - خلال فترة زمنية قصيرة - دولة عظمى، مترامية الأطراف، شيدوها على أنقاض دول أسقطوها، وعروش أثلّوها، بطريقة دفعت أحد الباحثين إلى اعتبار ذلك أمراً غير مسبوق [٢].

والشيء الملفت للنظر، أن وصول جيوش المغول إلى منطقة ما، يعد حداً فاصلاً بين فترتين في تاريخ تلك المنطقة [٣].

إلاّ أن منطقة آسيا الصغرى - وهي جزء مهم من العالم الإسلامي تعرض بدوره لغزوات المغول المدمرة - لم تحظ بما تستحقه من الدراسة العلمية الموثقة، خاصة باللغة العربية، ولا تزال المكتبة العربية تعاني نقصاً واضحاً في هذه الناحية [٤] وهذا ما دفعني - بتوجيه كريم من شيخي وأستاذي أ/ د علي محمد

---

(١) الصياد (فؤاد عبد المعطي): الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين " أسرة هولاكو خان" منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر. ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ص١١.

(٢) الصياد (فؤاد عبد المعطي) المغول في التاريخ. دار النهضة العربية، بيروت، ج١، ص١٢.

(٣) العريني (السيد الباز العريني): المغول، دار النهضة العربية، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. ص٣٢٦.

(٤) لا يقتصر هذا النقص على منطقة آسيا الصغرى وحدها، بل يمتد ليشمل العصر المغولي برمته انظر: سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، الطبعة الثانية، ص هـ، من المقدمة ؛ الصياد: الشرق الإسلامي ص٢١.

عودة الغامدي ـ نفع الله بعلمه ـ إلى اختيار موضوع " آسيا الصغرى خلال العهد المغولي "٦٤١ـ ٧٣٦هـ/ ١٢٤٣ـ١٣٣٦م" ليكون موضوعاً لإطروحتي هذه.

والحقيقة أن هذه الفترة من تاريخ آسيا الصغرى، كانت مليئة بالحوادث الجسام، والتي تمخضت عنها نتائج غاية في الأهمية، استمر تأثيرها قروناً تالية وشمل ذلك التأثير، النواحي: السياسية والعسكرية، والاقتصادية والاجتماعية، كما نوّه به أحد الباحثين[١].

ولقد أدرك الباحثون ـ خاصة غير العرب منهم ـ أهمية دراسة تاريخ آسيا الصغرى، في العصر المغولي وما تلاه، حتى ظهور الدولة العثمانية كقوة إسلامية، يشار إليها بالبنان، وعلق على ذلك أحدهم بقوله "..ومع ذلك فإن واحدةً من الإمارات التابعة لهم " يقصد المغول" والتي بالرغم من بعدها من مراكز إمبراطوريتهم، إلاّ أنها تستحق معالجة خاصة، وأكثر تفصيلاً. فالأناضول بحكم موقعها لم تكن فقط على اتصال دائم مع الغرب النصراني، بل في ظل الظروف التي خُلقت فيها بواسطة الحكم المغولي، برزت فيها الإمبراطورية العثمانية".[٢]

ومن المعروف أن دولة سلاجقة الروم كان لها نصيب الأسد في السيطرة على منطقة آسيا الصغرى، وإن نافسها لبعض الفترات دويلة الأرمن فيما عرف بأرمينيا الصغرى، وبعض الإمارات اليونانية مثل: طرابيزون والإمبراطورية البيزنطية في نيقية، في غربي آسيا الصغرى.وكم كانت تلك المنطقة مسرحاً لحوادث ومعارك فاصلة، لكن غزو المغول لها، وسيطرتهم عليها ما يقارب قرناً من الزمان، أعاد رسم خريطتها السياسية من جديد، كما فعل مع غيرها من المناطق التي وصلوا إليها.

(١) كوبرلي، محمد فؤاد: قيام الدولة العثمانية، نقله إلى العربية أحمد السعيد سليمان، دار الكتاب العربي ١٩٦٧م، ص٤٧-٤٨.

(2) Cahen, (Claud) :Pre Of Ottoman Turkey: Translated From The Franch By: J. Jonis William, London, 1968,XXI,p. 425.

وانظر أيضاً: العريني: المغول، ص٣٣٥.

أما مصادر البحث الأولية، فهي باللغات الفارسية والعربية، وهناك أبحاث حديثة قيمة، خاصة ما كتب منها بالإنجليزية والفرنسية والتركية.

والجدير بالذكر، أن الفارسية كانت هي اللغة الرسمية للدولة السلجوقية في بلاد الروم، في الفترة موضع الدراسة، وإن شهدت الفترة نفسها بداية ظهور اللغة التركية.

ومن مصادر البحث باللغة الفارسية كتاب " الأوامر العلائية في الأمور العلائية " لمؤلفه ناصر الدين حسين بن علي الجعفري الرغدي، المعروف بابن بيبي، نسبة إلى والدته المنجمة في بلاط السلطان علاء الدين كيقباذ الأول (٦١٦ ـ ٦٣٤هـ/ ١٢١٩ ـ ١٢٣٦م) وكان أبوه موظفاً في بلاط السلطان المذكور[١]، حيث أتاح له منصب والده الإطلاع على وثائق تاريخية وأخبار الدولة عن قرب، واستمر المؤلف مقرباً من سلاطين دولة سلاجقة الروم حتى وفاته وقد انتهى من تأليف كتابه هذا سنة ٦٧٩هـ/١٢٨٠م.

والكتاب محقق ومنشور باللغة الفارسية، وقام أحد الفضلاء باختصاره في مجلد واحد بعنوان "سلجوق نامه" وترجم المختصر إلى اللغة العربية مرتين منفصلتين،إحداهما بواسطة محمد السعيد سليمان، ونشر في دولة قطر سنة ١٩٩٤، تحت عنوان "أخبار سلاجقة الروم" وفي العام نفسه، صدرت ترجمة أخرى قام بها "محمد علاء الدين منصور" ونشرت في القاهرة، بعنوان "تاريخ سلاجقة الروم" وقد اعتمدت على ترجمة محمد السعيد سليمان لشمولها، وكثرة عودة المترجم إلى الكتاب الأصل "الأوامر العلائية" عند حصول التباس، كما أنني رجعت إلى ترجمة محمد علاء الدين منصور للمقارنة في بعض الحوادث والأسماء والتواريخ.كما رجعت أحياناً للكتاب الأصل للاستيضاح والتوثيق.

(١) كان أبوه يعمل بديوان "الطغراء" وعن تعريف هذا الديوان، ووظيفته، انظر ما يلي من هذا البحث.

وأفاد البحث من هذا المصدر في التمهيد، وتوضيح موقف السلطان علاء الدين كيقباذ من الخطر المغولي، وفي الفصل الأول الذي تناول تولى كيخسرو الثاني العرش خلفاً لوالده علاء الدين وسياسته الداخلية والخارجية والهزات التي تعرضت لها الدولة عشية معركة "كوسه داغ" الحاسمة مع المغول، ثم خضوع دولة سلاجقة الروم للحماية المغولية، وكذلك أفاد في الفصلين الثاني والثالث بداية بوفاة كيخسرو الثاني، وتولي أبنائه الثلاثة الحكم مجتمعين وهم: كيكاوس الثاني وقلج أرسلان الرابع وعلاء الدين كيقباذ الثاني، ثم حصول الشقاق بينهم خاصة بعد وفاة كيقباذ الثاني حيث دخل أخواه الآخران في نزاع مرير شهد تدخلاً مغولياً، وتوغلاً جديداً لمناصرة قلج أرسلان الرابع، حتى تم إجبار كيكاوس الثاني على الفرار إلى القسطنطينية.

وأيضاً الفصل الثالث الذي شهد سيطرة معين الدين بروانه على مقاليد الأمور في الدولة، وغزو الظاهر بيبرس السلطان المملوكي لبلاد الروم، ونهاية عهد معين الدين بروانه كما أورد الكتاب معلومات قيمة عن تخليص كيكاوس الثاني من أسر البيزنطيين، وانتقاله إلى القرم، وحياته في كنف مغول القبيلة الذهبية ثم وصيته لأولاده ووفاته، وعبور ابنه مسعود الثاني البحر ليعود إلى آسيا الصغرى، وتقسيم الإيلخان آباقا بن هولاكو دولة سلاجقة الروم بينه وبين ابن عمه السلطان السابق كيخسرو الثالث بن قلج أرسلان الرابع.

وأيضاً من المصادر الأصلية، باللغة الفارسية، كتاب "مسامرة الأخبار ومسايرة الأخبار" لمؤلفه كريم الدين محمود اقسرائي، الذي عاش حتى الثلث الأول من القرن الثامن الهجري، وكان مسئولاً عن أوقاف السلطان كيقباذ الثالث، وهو شاهد عيان، وأتاحت له وظيفته أيضاً الاطلاع على وثائق وأخبار تخص الدولة السلجوقية وما بعدها والكتاب يتكون من أربعة أقسام أضخمها وأهمها القسم الأخير، ويكون ثلثي الكتاب تقريباً، والكتاب محقق مطبوع

بعناية د.عثمان توران، ونشر في أنقره سنة ١٩٢٣م وهو من أهم المصادر التي تناولت بالدراسة السلاطين المتأخرين للدولة السلجوقية الرومية.

ورغم الاعتقاد السائد بأن المؤلف انتهى من كتابه سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م[1]، إلا أن هناك إضافات مختصرة عليه، يعتقد أنها للمؤلف نفسه، تنتهي بحوادث في سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م وقد أفاد البحث من هذا المصدر في الفصلين الرابع والخامس حيث تبدأ أهميته من حيث ينتهي كتاب ابن بيبي، أي سنة ٦٧٩هـ/١٢٨٠مفإقسرائي أورد معلومات جليلة عن مسألة التقسيم بين كيخسرو الثالث وابن عمه مسعود الثاني، ثم الحوادث في عهود كل من مسعود الثاني وابن أخيه كيقباذ الثالث، والظلم الذي مارسه موظفو الدولة المغولية الإيلخانية في ظل عجز السلطانين السلجوقيين عن التصرف، وكذلك أورد معلومات عن ثورات وفتن قام بها التركمان، واشترك فيها بعض أبناء كيكاوس الثاني ضد أخيهم مسعود الثاني.

كما تطرق إلى نهاية الأسرة السلجوقية الحاكمة وانتقال الحكم إلى الوالي المغولي ايرينجين والذي خلفه تمورتاش كما أورد معلومات عن حملةجوبان نوين على آسيا الصغرى سنة ٧١٤هـ/١٣١٤م، وكثير من المعلومات التي أوردها اقسرائي هو شاهد عيان عليها، كما أنها كانت قبل طبع كتابه ونشره في طي المجهول.

وما دمنا في ذكر المصادر الفارسية، فلا ننسى كتاب "أنونيم سلجوق نامه"Anonim Selçuk-nâme" لمؤلف مجهول، كان من أهل قونية عاصمة دولة سلاجقة الروم وهو معاصر للفترة محل الدراسةوأورد معلومات نادرة، خاصة عن الصراع بين أبناء كيخسرو الثاني وتدخل المغول فيهونُشر الكتاب في أنقرة سنة ١٩٥٢م، بواسطة "F.Nafiz Uzluk" ورجعت إلى هذه النسخة المنشورة.

(1) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey p. 353.

وهناك مصادر فارسية، تناولت تاريخ الدولة المغولية الإيلخانية، وورد في ثناياها معلومات عن آسيا الصغرى وما جرى فيها من حوادث في الفترة موضع الدراسة منها: تاريخ كزيدة للقزويني، وذيل جامع تواريخ رشيدي لحافظ آبرو، وتاريخ أولجايتو للقاشاني، وغيرها.

ومن المصادر العربية التي استفاد منها البحث، كتاب "زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة" الجزء التاسع، للأمير بيبرس المنصوري وضم معلومات مهمة عن الصراع بين أبناء كيخسرو الثاني، وسفارة كيقباذ الثاني إلى المغول، ووفاته في الطريق، وعهد معين الدين بروانه ومقتل قلج أرسلان الرابع وتولي ابنه القاصر كيخسرو الثالث العرش.

كذلك ضم معلومات عن حياة كيكاوس الثاني لاجئاً عند البيزنطيين ثم أسيراً وتخليصه من الأسر، وانتقاله إلى القرم، ووفاته وسبب عبور ابنه مسعود الثاني للبحر وفراره من مغول القبيلة الذهبية، واقتسامه للسلطة مع ابن عمه كيخسرو الثالث، ثم وفاة الأخير وانفراد الأول بالحكم.

ومن الكتب العربية التي أفاد منها البحث في فصول مختلفة "المختصر في أخبار البشر" للملك المؤيد أبي الفدا الأيوبي صاحب حماة، وهو شاهد عيان أيضاً، وأورد معلومات عن غزو المماليك لملطية سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م.حيث اشترك فيها وكذلك عن لجوء تمورتاش إلى مصر ثم إعدامه بها سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م، ومنها كتابا ابن عبد الظاهر "الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر" وتناول علاقة السلطان الظاهر بيبرس بكيكاوس الثاني والاتصالات بينهما لإقامة حلف ضد الإيلخانيين وكذلك إيراده وصفاً حياً لغزو الظاهر لآسيا الصغرى، ومعركة الأبلستين، ودخول المماليك قيصرية العاصمة الثانية لدولة سلاجقة الروم، والرسائل التي كان يتبادلها السلطان المملوكي مع معين الدين بروانه.

وأخيراً مجيئ الإيلخان آباقا إلى آسيا الصغرى عقب المماليك والمذبحة التي ارتكبها ضد أهلها، وكتابه الآخر "تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور " وهو يتناول علاقة السلطان المملوكي بنظيره المغولي أحمد تكودار بن هولاكو، وانعكاس ذلك على الوضع في آسيا الصغرى، خاصة إبان إشراف الأمير قونقورتاي بن هولاكو عليها.

وكتاب " نهاية الأرب في فنون الأدب " لمؤلفه النويري أورد معلومات قيمة عن المغول في آسيا الصغرى و متأخري سلاطين السلاجقة بها، خاصة في الأجزاء ٢٧، ٣٣، ٣٢، ٣١.

وأفاد البحث أيضاً من كتاب" كنز الدرر وجامع الغرر" لابن أيبك، خاصة في الأجزاء الثلاثة المتأخرة، الجزء السابع، وعنوانه" الدر المطلوب في أخبار بني أيوب" والجزء الثامن وعنوانه" الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية" والجزء التاسع وعنوانه " الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر".

واكتسب كتاب" السلوك في دول الملوك" للمقريزي أهمية خاصة لاحتوائه على تفاصيل لم ترد في غيره من المصادر، خاصة مسألة لجوء تمورتاش إلى مصر والظروف التي واكبت ذلك.

ومن الكتب العربية المخطوطة أفاد البحث من كتاب"صحائف الأخبار في وقائع الأعصار، الجزء الأول" لمؤلفه أحمد بن لطف الله منجم باشي المولوي، وإن كان المؤلف عاش فترة بعيدة نسبياً عن الفترة موضع الدراسة (عاش في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي) إلاّ أنه ينقل بكثرة عن ابن بيبي و اقسرائي، ويعتبر أول من ترجم كتابيهما من الفارسية إلى العربية.

وضم كتاب " مسالك الأبصار وممالك الأمصار" لابن فضل الله العمري الكثير من المعلومات القيمة خاصة في السفر الثالث من الكتاب والذي تحدث

فيه عن الإمارات التركمانية التي خلفت الدولة السلجوقية في بلاد الروم، ونفس الأهمية تقريباً يكتسبها كتاب الرحالة ابن بطوطة، الذي زار آسيا الصغرى واجتمع بعدد من حكام الإمارات التركمانية، ووصف أحوال بلادهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومن كتب البلدان، استفاد الباحث من كتاب الجغرافيا لابن سعيد المغربي وهو معاصر ورحالة، وكتاب تقويم البلدان لأبي الفداء ومعجم البلدان للحموي.

وهناك مصادر مهمة، ليست في الأصل عربية، لكن تمت ترجمتها عن لغاتها الأصلية منها: كتاب "جهانكشاي" تاريخ فاتح العالم" لعطا ملك الجويني وأفاد البحث في علاقة أبناء كيخسرو الثاني بهولاكو وحملاته المدمرة في العراق وبلاد الشام.

ومنها كتاب " جامع التواريخ " للمؤرخ والوزير رشيد الدين الهمذاني وهو كتاب ضخم مقسم إلى عدة أجزاء أفاد البحث من الأجزاء التالية: الجزء الثاني القسم الأول وهو عن تاريخ هولاكو خان.وألقى الضوء على أوضاع آسيا الصغرى تحت السيطرة المغولية قبل قيام الدولة الإيلخانية، أي من معركة كوسه داغ، حتى انتهاء عهد بايجو نوين، ووردت تلك المعلومات أيضاً في القسم الثاني من الجزء الأول من الكتاب وعنوانه "خلفاء جنكيز خان" أما القسم الثاني من الجزء الثاني وعنوانه "أبناء هولاكو خان" فغطى حوادث عهود الإيلخانات من آباقا خان حتى نهاية عهد آرغون خان، كما أفرد المؤلف جزءاً خاصاً من الكتاب ـ وقد ترجم حديثاً إلى العربية ـ عن عهد غازان وهو يتناول نهاية الدولة السلجوقية في بلاد الروم.

ومن الكتب المترجمة إلى العربية أيضاً كتابي ابن العبري، وهما " كتاب تاريخ الزمان " و "تاريخ مختصر الدول" والمؤلف معاصر للحوادث، وقريب منها جغرافياً، إذ عاش ردحاً من الزمن في ملطية، إحدى المدن المهمة في آسيا الصغرى، في الفترة "محل الدراسة، وأورد تفاصيل مهمة عن غزوات المغول

لآسيا الصغرى وعن حياة السلطان كيخسرو الثاني وسياسته، وكذلك خلفاءه، وما وقع بينهم من شقاق، واستفادة القوى الخارجية المحيطة بهم من هذا الصراع.

أما المصادر اللاتينية المهمة فيأتي في مقدمتها كتاب **"Miroir Historia"** " للمؤرخ الفرنسي "Vincent de Beauvais" وهو معاصر للحوادث، ويكتب وجهة نظر غربية، وأورد معلومات قيمة عن اتصالات كيخسرو الثاني بالبيزنطيين بعد هزيمته في كوسه داغ، ومنها رحلة "ماركو بولو" وهو مترجم بالعربية ومؤلفه معاصر للحوادث حيث قام برحلة إلى منغوليا عبر آسيا الصغرى وكتب مشاهداته وما سمعه من أخبار عن المناطق التي مر بها.

أما الدراسات الحديثة، التي أفادت البحث فائدة عظيمة، فيأتي على رأسها كتب المؤرخ التركي د.عثمان توران حيث له عشرات الكتب والبحوث والتحقيقات المنشورة باللغات التركية والإنجليزية والفرنسية، وكتابه الضخم عن تركيا في زمن السلاجقة."SELÇUKLULAR ZAMANINDA TÜRKIYE"

لا غنى عنه لأي باحث في تاريخ آسيا الصغرى زمن السلاجقة والحكم المغولي، وقد أفاد البحث في جميع فصوله تقريباً، وعدد الصفحات المتعلقة بالفترة موضع الدراسة فيه، تربو على ٢٥٠صفحة، وقد اعتمد المؤلف على مصادر أولية فارسيه وعربية ولاتينية، بالإضافة إلى النقوش و الكتابات العائدة لآسيا الصغرى، خلال فترة البحث.كما أفاد البحث في كتب وأبحاث أخرى للمؤلف، مثبتة في مكانها من البحث.

وأيضاً من الباحثين المتخصصين في هذه الفترة المستشرق"كلود كاهن" "Cahen,cluad"، وله أيضاً عدة بحوث وكتب قيمة في هذا المجال، اعتمد الباحث عليها خاصة، كتاب "Pre Of Ottoman Turkey"، وبحث آخر منشور في موسوعة "سيتون" وعنوانه: " The Mongols And Near Est".Setton.VII."

وغطت معظم فصول البحث أيضاً ، وللمؤلف آراءه وتحليلاته المبنية على معلومات من المصادر المختلفة.

ومن الباحثين الغربيين المتخصصين في هذه الفترة أيضاًوله عدة بحوث أيضاً ، أفاد البحث منها خاصة كتابه "Viryonis":

The "Decline Of medival Hellenism in Asia Minor and the process of Islamization from the eleventh through the Fifteenth century"

وهناك أيضاً بحوث مهمة ، منشورة باللغة الإنجليزية خاصة ما ورد في موسوعة جامعة " "Cambridge".سواءً عن التاريخ الإسلامي، أو تاريخ إيران، في الفترة موضع الدراسة.

ومن المراجع العربية والمعربة المهمة والتي أفاد منها البحث في فصول مختلفة، كتاب "الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين" للدكتور فؤاد الصياد ، وكتاب " بلدان الخلافة الشرقية" للمستشرق " لسترنج" حيث يذكر أسماء المواضع باللغات المختلفة الحديثة منها والقديمة.

وبالإضافة إلى ما ذكر، فهناك العشرات من المصادر والمراجع والبحوث والرسائل العلمية المنشورة والغير منشورة، وحاولت جاهداً الاستفادة من كل المصادر والبحوث التي لها علاقة بالموضوع، وواجهت الكثير من المشاقة والمصاعب، خاصة في البحث عن المصادر غير العربية وترجمتها واحتاج الأمر إلى الكثير من الوقت والصبر أيضاً.

أما في الدراسة فقد حاولت أن أحلل الحوادث وأتعمق في بحث الأسباب والنتائج، دون الاكتفاء بالمرور عليها وتسجيلها.كما حاولت أن أوفق بين الروايات، وإذا استدعى الأمر، وكان التناقض بين الروايات صارخاً لجأت إلى الترجيح على ضوء الأدلة والقرائن المتوفرة.كما حاولت تجنب تكرار المعلومات، والتوسع أو الاختصار في المسائل التاريخية حسبما تقتضيه ظروف المسألة نفسها، وقمت بالتعريف بالأعلام الواردة في المتن، سواءاً كانوا

أشخاصاً أو مواضع حسبما توفر لدي من معلومات في كتب التراجم و البلدان.مع ربط مسميات الأماكن القديمة بالحديثة.وكذلك قمت بشرح المصطلحات الواردة في متن البحث.

ويتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، وستة فصول، وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع، ومجموعة من الخرائط، وشجرات النسب للأسر الحاكمة

المقدمة:وتعرضت لأهمية الموضوع وأسباب اختياره، وتعريف بأهم المصادر والمراجع التي أفاد منها البحث.ثم فصول البحث.

التمهيد: "آسيا الصغرى قبيل الغزو المغولي".

وتناول الإطار المكاني لموضوع الدراسة.أي حدود آسيا الصغرى والمسميات المرادفة لها، مثل: بلاد الروم، والأناضول.وجغرافيتها ومناخها، ثم وصول الترك إليها في الهجرات الأولى.وتطرق أيضاً إلى أثر غزوات المغول للمشرق الإسلامي في آسيا الصغرى واحتوى نبذة عن قيام دولة سلاجقة الروم، وأهم إنجازات سلاطينها حتى عهد السلطان علاء الدين كيقباذ الأول.وموقف هذا السلطان من غزوات المغول للمشرق الإسلامي، خاصة حروبهم مع الدولة الخوارزمية وتهديدهم للخلافة العباسية في بغداد والإجراءات و الاحتياطات السياسية والعسكرية التي اتخذها السلطان السلجوقي لمواجهة الخطر المغولي الذي أخذ يلوح بقوة في الأفق.ومن نتائج تلك الغزوات للمشرق الإسلامي، تدفق هجرة جديدة من وسط آسيا إلى آسيا الصغرى فراراً من المغول.وتناول ظروف تولي كيخسرو الثاني للعرش خلفاً لوالده كيقباذ الأول وسياسة وزيره سعد الدين كوبك التي ألحقت ضرراً كبيراً بالدولة من الداخل ثم تلتها فتنة "بابا اسحق التركماني" فزادت الأمور سوءاً فتبيّن أن دولة سلاجقة الروم وإن كان مظهرها الخارجي يوحي بقوتها وعظمتها وتبعية بعض القوى الخارجية المحيطة بها لها، فإنها في الحقيقة ومن الداخل قد نخر الضعف والانحلال والفساد جميع أركانها ليكون هذا وضعها عشية غزو المغول لها.

الفصل الأول: الغزو المغولي لآسيا الصغرى ٦٤١هـ/١٢٤٣م.

وتحته ثلاثة مباحث الأول: إغارات المغول الأولى على آسيا الصغرى.تتبع إغارات المغول على أطراف آسيا الصغرى خاصة من جهتيها الشرقية والجنوبية الشرقية، في وقت كانت الدولة السلجوقية مشغولة فيه بقضاياها الداخلية.

المبحث الثاني: حملة بايجو نوين وموقعة كوسه داغ ونتائجها.

وتناول التغيير الذي طرأ على قيادة الجيش المغولي المكلف بالزحف نحو الغرب، وتولي بايجو نوين القيادة الميدانية، وبالتالي تغير الخطة من غارات إلى هجمات بقصد الإحتلال والتوسع، وبداية حملة بايجو نوين المنظمة، ثم التقاؤه بالسلطان السلجوقي بجيشه الضخم العدد، المتعدد الأعراق والأجناس، ووقوع معركة "كوسه داغ" التي كانت كارثة على دولة سلاجقة الروم.ونقطة تحول خطيرة في المواجهة بين المسلمين والمغول في غرب آسيا، واستعرض البحث أهم نتائجها ومنها فقدان دولة سلاجقة الروم لاستقلالها ودخولها تحت الحماية المغولية.

المبحث الثالث: خضوع سلطنة سلاجقة الروم للمغول.

وتعرض للأوضاع المأسوية لدولة سلاجقة الروم غداة معركة كوسه داغ وقيام الوزير مهذب الدين علي - والد معين الدين بروانه - بالاتصال بالقائد بايجو نوين وغيره من المسئولين المغول، ونجاحه في الحفاظ على بقاء الدولة السلجوقية على قيد الحياة، وتحديد كيفية تبعيتها للمغول، والضرائب الضخمة التي يجب عليها دفعها للخزانة المغولية والتي استمرت في تزايد حتى لفظت الدولة السلجوقية في بلاد الروم أنفاسها مطلع القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

الفصل الثاني: السيطرة المغولية على آسيا الصغرى" ٦٤١-٦٧٦/ ١٢٤٣-١٢٧٨م.

وينقسم إلى ثلاثة مباحث:

الأول: السلطان كيخسرو الثاني بعد معركة كوسه داغ وتناول محاولة كيخسرو الثاني استعادة توازنه بعد كارثة كوسه داغ، وحربه الانتقامية ضد الأرمن في قيليقية، لموقفهم من الغزو المغولي لدولته، ثم وفاته.وألقى الضوء على القادة المغول الذين تحكموا في آسيا الصغرى قبل مجيئ هولاكو، وصوراً من الخراب الذي أحدثه المغول في المنطقة.

المبحث الثاني: خلفاء كيخسروا الثاني "أبناؤه الثلاثة".

- تنصيب كيكاوس الثاني وتحكم الوزير شمس الدين الأصفهاني في شئون الدولة.
- تدخل القاآن كيوك في شئون الحكم في دولة سلاجقة الروم.
- سفارة علاء الدين كيقباذ الثالث إلى بلاد المغول ووفاته.

المبحث الثالث: عرش سلاجقة الروم بين الأخوين كيكاوس الثاني وقلج أرسلان الرابع.

- تجدد النزاع بين ابني كيخسرو الثاني.
- توغل بايجو نوين بجيشه في آسيا الصغرى من جديد.
- موقف الأخوين ابني كيخسرو الثاني من حملة هولاك، ونهاية بايجو نوين.
- الجولة الأخيرة من النزاع بين كيكاوس الثاني وقلج أرسلان الرابع.
- استفادة الأطراف الخارجية من النزاع بين السلاجقة.

الفصل الثالث: عهد معين الدين سليمان"بروانه"(٦٦٠-٦٧٦هـ/١٢٦٢-١٢٧٧م).

المبحث الأول: سياسة بروانه في السيطرة على الأوضاع الداخلية:

ومن خلاله تم إلقاء الضوء على بداية ظهور معين الدين بروانه ومساندته للسلطان قلج أرسلان حتى إنفرد الأخير بالحكم، حيث سيطر من خلاله

بروانه على مقاليد الأمور، وسعى للتخلص من السلطان المملوكي وإحلال ابنه القاصر كيخسرو الثالث خليفة له.ومحاولته التخلص من الوزير فخر الدين علي "صاحب عطا"وتمرد ابن الخطير على السلطة المغولية المحتلة لآسيا الصغرى.

المبحث الثاني: علاقة بروانه بالمغول والأطراف الأخري الخارجية.

وفيه تم إلقاء الضوء على علاقته، بتلك القوى، وسياسته القائمة على "تفرده بالحكم دون منازع"، وإظهار الخضوع علناً للمغول وسراً للمماليك.

المبحث الثالث: الصدام بين المماليك والمغول في جنوب آسيا الصغرى ومعركة أبلستين سنة ٦٧٥هـ/١٢٤٣م:

وتناول علاقته بالسلطان المملوكي المعاصر له " الظاهر بيبرس" وهي علاقة متشابكة ومعقدة، ولا يمكن فهمها إلا من خلال استعراض العلاقة بين الدولتين: المملوكية في مصر وبلاد الشام، والإيلخانية في بلاد فارس وتوابعها.وتمثلت في صدام مرير، انتهى - في هذه الفترة - بمعركة الأبلستين، المشهورة، والتي عجلت بنهاية عهد معين الدين بروانه، وكان لها نتائج خطيرة، وبعيدة المدى على المنطقة، لا تقل في أثرها عن معركة كوسه داغ الأنفة الذكر، وقد استعرض المبحث تلك النتائج.

المبحث الرابع: نهاية معين الدين بروانه، وأثرها على أسيا الصغرى:

يتناول قدوم الإيلخان "آباقا" بجيشه إلى آسيا الصغرى، وما ارتكبه فيها من مذابح، وأخذه لمعين الدين بروانه معه إلى بلاد فارس، ومن ثم محاكمته وإعدامه، وفرض المغول سيطرتهم المباشرة، على دولة سلاجقة الروم.

الفصل الرابع: الحكم المغولي المباشر وسقوط سلطنة سلاجقة الروم ٦٧٦ - ٧٠٨هـ /١٢٧٨ـ١٣٠٨م "

وضم **المباحث التالية:** القضاء على الجيش والإدارة السلجوقية.

فبعد إعدام بروانه، جاء موظفون مغوليون لإدارة شئون دولة سلاجقة الروم، واستخدموا العساكر المغولية، مع التضييق على ما تبقى من عساكر الدولة السلجوقية، وفي نهاية المطاف تم تسريح ما تبقى من جيش دولة سلاجقة الروم، كما تم إنهاء الطابع السلجوقي في الإدارة وإحلال الطابع المغولي مكانه، وبهذه الطريقة أيضاً ألغيت الإدارة السلجوقية، واتسمت هذه الفترة بممارسة موظفي المغول المدنيين والعسكريين للظلم الفاحش فعم الخراب في آسيا الصغرى فهجرت المدن وكسدت الأسواق، وتدهور الاقتصاد، وتحطمت الزراعة، ولم تجد محاولات الإصلاح النادرة خلال هذه الفترة شيئاً إذ كانت سرعان ما تمنى بانتكاسة، وكان الصاحب الجويني وزير الإيلخان آباقا أول الموظفين الكبار الذين جاؤوا خلال هذه الفترة.على أن وفاة الوزير السلجوقي المعمر "صاحب عطا" أعطت موظفي المغول الفرصة ليغيروا الطابع السلجوقي القديم، ويتمادوا في ممارستهم الظالمة، في ظل ضعف السلاطين السلاجقة والاكتفاء من السلطة بالاسم.

المبحث الثاني: الفتن والثورات الداخلية:

وفيه تم التوقف عند أهم الفتن والثورات الداخلية منذ انتهاء عهد بروانه حتى سقوط دولة سلاجقة الروم، والتي كان لها آثار مدمرة على مناحي الحياة في المنطقة، وابتدأ الحديث بفتنة "جمري" ومساندة التركمان له وسيطرتهم على قونية عاصمة الدولة السلجوقية فترة من الزمن والظروف التي أدت إليها ونهايتها، ثم ثورة طغاجار وبالتو القائدين العسكريين للحامية المغولية، وثورة سولاميش بعدهما، ومقارنة بين تلك الثورات.

المبحث الثالث: تدهور أوضاع آسيا الصغرى ونهاية الأسرة السلجوقية:

واتضح من خلاله تدهور أوضاع المنطقة من خلال تتبع أحوال الأسرة السلجوقية الحاكمة فيها وتناول حياة كيكاوس الثاني عند البيزنطيين لاجئاً ثم أسيراً، وتخليصه وانتقاله إلى القرم ووفاته، وعودة أبنائه إلى آسيا الصغرى،

وتقسيم المغول للعرش السلجوقي بين كيخسرو الثالث ومسعود الثاني بن كيكاوس الثاني، ثم انفراد الأخير بالحكم، ووفاة الأول ثم ثورة إخوة مسعود عليه وعزله عن العرش وخلوه من سلطان ثم تنصيب غازان بن آرغون لعلاء الدين كيقباذ الثالث بن فرامرز خلفاً لعمه مسعود الثاني، وتناوب الاثنين أكثر من مرة، ثم وفاة كيقباذ الثالث، ثم مسعود الثاني، وتنصيب قلج أرسلان الخامس ووفاته وانقراض الأسرة السلجوقية من بلاد الروم.

الفصل الخامس: عهد الولاة المغول ونشأة الإمارات التركمانية "٧٠٨ ـ ٧٣٦هـ/ ١٣٠٨ـ١٣٣٦م ".

عهد ايرنجين: في هذا العهد عين المسئولون المغول ولاة لهم في آسيا الصغرى، كان أولهم ايرنجين، والذي تفاقم الظلم في عهده حتى قامت ضده ثورة عارمة.اضطرت الدولة لإرسال أكبر قادتها العسكريين جوبان نوين للتعامل معها حيث دخل آسيا الصغرى على رأس جيش كبير وأعاد الأمور إلى نصابها وشهدت هذه الفترة أيضاً غزو المماليك لملطية واحتلالها ثم عودة جوبان نوين، ووفاة السلطان المغولي أولجايتو وتعيين ابنه القاصر "بوسعيد" خلفاً له، وتحكم جوبان في الدولة الإيلخانية وعزل ايرنجين عن ولاية بلاد الروم.

عهد تمور تاش: عين جوبان ابنه تمور تاش خليفة لايرنجين في آسيا الصغرى، ونال سلطة واسعة، وأقام ما يمكن أن نسميه حكماً مستبداً عادلاً، حيث شعر أهل المنطقة - للمرة الأولى ومنذ زمن بعيد - بالهدوء والإستقرار لكن نفس تمورتاش سوّلت له التمرد فأعلن استقلاله عن الدولة الإيلخانية ، فجاء أبوه جوبان ثانية إلى آسيا الصغرى، وأخمد تمرد ابنه وحمله أسيراً إلى الأردو ، لكن السلطان المغولي "بوسعيد" عفا عنه وأعاده ثانية إلى آسيا الصغرى، فجاء إليها وشن على الإمارات التركمانية حرباً شعواء فأدال بعضها وأخضع البقية، وبلغت الدولة الإيلخانية في هذه الفترة أقصى وآخر اتساع لها في أسيا الصغرى، لكن بوسعيد انقلب على جوبان وأبنائه فقتل منهم

من قتل واختار تمورتاش اللجوء إلى مصر حيث استقبله السلطان المملوكي الناصر بن قلاوون ثم تغير عليه - لأسباب تمت مناقشتها في ثنايا المبحث - واعتقله وأمر بإعدامه. وتناول المبحث أيضاً خلفاء تمورتاش في آسيا الصغرى حتى وفاة بوسعيد وسقوط الدولة الإلخانية التي سيطرت على آسيا الصغرى قرابة قرن من الزمان.

نشأة الإمارات التركمانية:

ومن خلاله تم إلقاء الضوء على أهم الإمارات التركمانية التي نشأت في ظل الدولة الإيلخانية وعلى أنقاض الدولة السلجوقية، وأبرز حوادثها، وزعمائها منذ نشأتها وحتى سقوط الدولة الإيلخانية وعلاقة تلك الإمارات فيما بينها، وقمت بترتيبها حسب الترتيب الهجائي للحروف الأبجدية، وليس حسب قوتها أو مساحتها أو أي اعتبار آخر. وتلك الإمارات هي:

أ- إمارة بني أشرف. ب - إمارة بني ايدن.

ج- إمارة جاندار. د - إمارة بني حميد.

هـ- إمارة صاروخان. و - إمارة بني عثمان " العثمانية".

ز - إمارة قراسي. ح - إمارة بني قرمان.

ط - إمارة بني كرميان. ي - إمارة بني منتشا.

الفصل السادس: أهم مظاهر التطور الحضاري في آسيا الصغرى خلال العصر المغولي.

المبحث الأول: الحياة الاجتماعية.

استعرض الحياة الاجتماعية، والعناصر التي تكون منها المجتمع في تلك الفترة، وطرفا من العادات الاجتماعية السائدة في المنطقة، مثل: عادات "اللباس" و"الطعام" و"المناسبات بأنواعها". ثم ظاهرة" الآخي" التي كانت تتميزي بها المنطقة.

المبحث الثاني: الأحوال الاقتصادية.

وتناول الحالة الاقتصادية عامة، ثم فصّل في التجارة، وما يتعلق بها من: طرق تجارية، و"خانات"، ودور هما في ازدهار الحركة التجارية، وقائمة بأهم السلع التجارية، المصدّرة أو المستوردة، ثم انتقل إلى الحديث عن الصناعة، فالزراعة، والثروة الحيوانية في المنطقة.

المبحث الثالث: الحالات الفكرية، والدينية، والعمرانية.

وذلك من خلال دراسة الإنتاج الفكري، والاهتمام بالمدارس والتعليم، والحالة الدينية من خلال انتشار الإسلام في المنطقة، ولجوء الكثير من الناس إلى التصوف وانتشار طرقه، خاصة المولوية " والأديان الأخرى التي كانت موجودة أيضاً في المنطقة.ومحاولة التعرف على الحركة العمرانية، وما اعتراها من تطور إيجابياً كان أم سلبياً، متمثلة في القصور والقلاع والمستشفيات والحمامات وغيرها.

الخاتمة: أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وفي ختام هذه المقدمة، وجب عليّ أن أزجي عظيم الشكر، ووافر الامتنان، إلى شيخي الفاضل وأُستاذي القدير أ.د . علي محمد عودة الغامدي.الذي قبل مشكوراً الإشراف على البحث وكان له - بعد الله سبحانه وتعالى - الفضل في اختيار موضوع البحث، ومتابعة جمع مادته، وترجمتها، وطريقة المعالجة، وتصحيح الخطأ، وإكمال النقص، ومنحني من وقته الثمين، الشيء الكثير، ولم يتوان لحظة واحدة في إسداء النصح والتوجيه للباحث، والتجاوب معه، واستقباله في مكتبه بالقسم، أو مكتبته الخاصة بمنزله، والرد على الاتصالات الهاتفية، في كل وقت وأوان وتزويدي بالمصادر والمراجع والبحوث النادرة، ولا أستطيع أن أجازيه على معروفه، ولكن أدعو المولى القدير عز وجل أن يجزل له الثواب في الدنيا والآخرة، وأن ينفع بعلمه وفضله.

وختاماً فما كان في هذا البحث من نجاح فبفضل الله، ثم بمساعدة الأستاذ المشرف وما فيه من خلل وقصور فمن تلقاء نفسي، ولا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذين المناقشين الذين قبلا مناقشة البحث وأتعهد بأن اتبع إرشاداتهما، وتوجيهاتهما، وأُضمنها - إن شاء الله - النسخ المصححة بعد المناقشة.

التمهيـد:

- الإطار الجغرافي للدراسة.
- هجرات التركمان إلى أسيا الصغرى.
- الفترة الأولى: هجرات واكبت الفتح السلجوقي.
- الفترة الثانية: هجرات نتيجة للغزو المغولي للمشرق الإسلامي.
- أثر غزوات المغول للمشرق الإسلامي في آسيا الصغرى.
- سياسة كيخسرو الثاني الداخلية والخارجية.
- فتنة بابا اسحق (البابائيين).

الإطار الجغرافي للدراسة:

لعل من الضروري قبول الشروع في معالجة فصول هذا البحث، التعرف على حدود المكان الذي كان مسرحاً لحوادث هذا البحث.إذ أن التحديد الجغرافي مرتبط ارتباطاً أصلياً بالتحديد الزمني، ولا يمكن فصل العنصرين عن بعضهما البتة.

منطقة آسيا الصغرى تغيرت حدودها السياسية من فترة إلى أخرى، تبعاً لقيام دولة أو اضمحلال أخرى.لكن هذه المنطقة أيضاً تعددت مسمياتها.فلابد من الإشارة إلى تلك المسميات ومحاولة التعرف على الحدود الطبيعية للمنطقة.

كان البلدانيون والمؤرخون العرب يسمون هذه المنطقة "بلاد الروم" وهو مسمى أطلقه المسلمون الأولون على أقاليم الدولة البيزنطية، ولفظ "الرومي" أي "الروماني" هو عندهم مرادف لكلمة نصراني أو مسيحي[1].

---

(١) كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص١٥٩.

وقد انسحب مسمى "بلاد الروم " على أراضي شاسعة، حدودها الجنوبية بلاد الشام، وتتوغل حدودها الشمالية حتى تصل القارة الأوربية وكلما انتزع المسلمون جزءاً من هذه الأرض، تقلصت أراضي الروم، لكن الاسم يبقى حتى وإن كانت تحت سيطرة المسلمين، وفيما بعد أطلق مسمى "آسيا الصغرى" على الجزء الآسيوي من المنطقة، والواقع في الركن الشمالي الغربي للقارة، ربما تمييزاً له عن قارة آسيا المعروفة، ولأن معظم من استوطنها من المسلمين هم الترك المهاجرون من آسيا الوسطى.على أن مسمى بلاد الروم بقي يطلق على بلاد اليونان لتمييزها عن آسيا الصغرى بلاد الترك المسلمين(١).

وفي وقت لاحق، وبعد أن سيطر العثمانيون على آسيا الصغرى، غلب على المنطقة اسم "تركيا" والذي لا تزال تعرف به حتى اليوم(٢).

والجدير بالذكر، أن هضبة واسعة تتوسط إقليم آسيا الصغرى تحمل اسم " الأناضول"Anadolia وهي تسمية قديمة(٣) ويعممها البعض حتى تشمل جميع أنحاء آسيا الصغرى تقريباً.لذلك يمكن القول إن مسميات "بلاد الروم" و "الأناضول" و "آسيا الصغرى" هي إلى حدّ كبير مرادفات لاسم موضع واحد(٤).

---

(١) هايد تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة عن الفرنسية: أحمد محمد رضا، مراجعة وتقديم: عز الدين فوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ج٤، ص١٢٦، ٢٠٧.

(2) Pre-Of Ottoman Turkey, 1071-1330, Translated fromtheFrenc h by: J. jones-Williams. London 1968. p. 370.

(٣) القرماني (أحمد بن يوسف، ت ١٠١٩هـ /١٦١٠م) أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، دراسة وتحقيق: أحمد حطيط وفهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج٣، ص٣١٣.

(٤) هناك مسميات آخري أطلقت على هذه المنطقة ولكنها أقل تداولاً وشيوعاً منها "بلاد الدربندات" وبلاد الأتراك " انظر العمري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله، ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م) التعريف بالمصطلح الشريف، مصر ١٣١٢هـ/١٨٩٤م. ص٩٧ ؛ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، طبعة بالتصوير فؤاد سزكين، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م السفر الثالث، ص١٣٨.

وقد وقع الاختيار على مسمى "آسيا الصغرى" Asia minor لأنه أحدث المسميات وأكثرها دقة للدلالة على مكان الحوادث التاريخية التي سيعالجها البحث.ولابد من الإشارة إلى أن الدراسة ستركز على الأجزاء التي كانت تحت السيطرة المباشرة لدولة سلاجقة الروم، وتشكل معظم إقليم آسيا الصغرى لأن السيطرة المغولية وقعت على دولة سلاجقة الروم نفسها، ثم ورثت عنها الحكم المباشر للمنطقة.

وهناك من يرى أن " الحاج خليفة"[1] هو أول عالم مسلم، أورد في كتبه وصفاً كاملاً لآسيا الصغرى الإسلامية، وذلك في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي[2] أي بعد مرور حوالي أربعة قرون على بداية السيطرة المغولية على هذا الإقليم.

ورغم وجاهة هذا الرأي، والمكانة العلمية العالية لصاحبه، إلا أنه لا يمكن بحال إغفال جهود علماء سابقين أدلوا بدلائهم في الموضوع، ووفروا لمن بعدهم معلومات غاية في الأهمية والدقة.منهم صاحب "معجم البلدان" الذي أفرد حوالي ثلاث صفحات للحديث عن "بلاد الروم"[3] و صاحب "تقويم البلدان"[4] ذكر أنه يحدها من الغرب بحر الروم وتمامه الخليج القسطنطيني[5]. وبحر القرم[6] وجنوباً تحدها بلاد الشام والجزيرة[1] وشرقاً تحدها أرمينية[2] وشمالاً بلاد الكرج[3] وبحر القرم.

(١) الحاج خليفة لقب لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي (١٠١٧-١٠٦٧هـ/١٦٠٩-١٦٥٧م) أشتهر بمؤلفه الضخم والفريد في بابه "كشف الظنون عن آسامي الكتب والفنون" انظر: الزركلي: خير الدين: الأعلام. دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة، ج٧، ص٢٣٦.

(٢) لسترنج: المرجع السابق، ص١٦٠.

(٣) ياقوت الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) معجم البلدان، دار بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٣، ص٩٨ـ١٠٠.

(٤) أبو الفدا (الملك المؤيد إسماعيل بن الأفضل علي الأيوبي صاحب حماة، ت٧٣٢هـ/١٣٣١م) تقويم البلدان، باريس١٨٤٠م، ص٣٧٨.

(٥) لخليج القسطنطيني، وهو المعروف حالياً بمضيق البسفور.

(٦) بحر القرم إحدى مسميات البحر الأسود.

وحددها العُمري بقوله:" إنها البلاد المحصورة بين بحري القرم شرقاً، وخليج القسطنطينية غرباً وغايتها الشمالية إلى القسطنطينية، وتنتهي جنوباً إلى بلاد الأرمن"(٤).

وفي وقتنا الحاضر، فإن حدود آسيا الصغرى، تكاد تتطابق تماماً مع حدود "جمهورية تركيا" التي أنشئت سنة ١٩٢٢م، عدا بعض الامتدادات في الاتجاهين الشمالي الغربي (البر الأوربي)، والجنوبي(٥).

وفي هذا الإقليم، يتنوع السطح، كما يتنوع المناخ، فهناك جبال عالية في الشرق، على الحدود مع أرمينية، وأخرى في الجنوب مع بلاد الشام، ويسميها البلدانيون العرب "جبل اللكام"(٦) وفي الوسط هضبة الأناضول.

وفي السواحل تمتد السهول، وكذلك على ضفاف الأنهار، وتوجد بعض الصحاري الجرداء، رغم كثرة الأنهار، وكذلك يتنوع المناخ فهو معتدل على

---

(١) بلاد الجزيرة: مصطلح يقصد به المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات، وتضم الديارات الثلاث: ديار بكر-وديار ربيعة، وديار مضر. وتحوي عدة مدن وبلدات ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص١٣٤.

(٢) أرمينية: بكسر أوله، وبالفتح أيضا، صقع عظيم واسع يحده شرقاً: برذعة، وباب الأبواب، وغرباً بلاد الروم-ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص١٦٠-١٦١.

(٣) الكرج: بضم الكاف، جيل من الناس، نصارى، لهم ولاية تنسب إليهم، عاصمتها تفليس، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٤٤٦ ؛ محمود شيت خطاب: فتوح البلدان الإسلامية، أرمينية وبلاد الروم، دار قتيبة، الطبعة الرابعة ١٤١١/ ١٩٩٠م، ص٤٧ ولمزيد من التفاصيل، انظر: عادل نبهان: العلاقات بين المسلمين والكرج، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ الإسلامي كلية الشريعة، جامعة أم القرى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

(٤) التعريف بالمصطلح الشريف، ص١١٢ ؛ وانظر: القلقشندي (أحمد بن علي، ت٨٢١هـ/١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. شرحه وعلق عليه: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-الطبعة الأولى ١٤٠٧/ ١٩٨٧م، ج٥، ص٣٢٢.

(٥) دليل فودورز السياحي تركيا، ترجمة مركز التعريب والبرمجة، الدار العربية للعلوم، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص٤١.

ولمزيد من التفاصيل عن حدود آسيا الصغرى، والطرق التي تخللتها في العصور الوسطى انظر:
Ramsy, w. M :The Historical Gography of Asia minor Royal Gegraphical Society, Supplementary Papres. vol: Iv. London 1890. p,78, 348, 382

(٦) سلسلتان متوازيتان من الجبال، تسمى اليوم طوروس، وطوروس الداخلة 'Anti Turus' انظر: لسترنج: المرجع السابق، ص١٦٠-١٦٢.

السواحل، يزداد تطرفاً في الداخل حيث تشتد الحرارة صيفاً . في بعض الجهات، وتنخفض إلى ما دون الصفر شتاءً.حيث يغطي الثلج معظم المناطق حتى ضرب بشدة شتائها المثل[1].

دأبت معظم المصادر العربية إلى نسبة الترك إلى يافث بن نوح عليه السلام[2] وهم مجموعة من الجنس البشري، لهم مميزاتهم الطبيعية والقومية، التي اشتهروا بها.

ويرى أحد الباحثين أن كلمة "تُرك Turk" ظهرت للمرة الأولى في المصادر الصينية التي ترجع إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وكانت تُنطق "تِك" "TIK" وكانت تطلق على عشيرة واحدة من القبائل الناطقة بالتركية، لكن التسمية انتشرت فيما بعد حتى أصبحت عامة على جميع القبائل التركية، في حدود القرن السادس الميلادي[3] على أن كلمة ترك ربما كان أصلها تروكTuruk وتعني "قوي، مقتدر، كثير، مكثر"[4].

نشأ الشعب التركي في أواسط آسيا، خاصة في تركستان، وليس داخل في نطاق بحثنا، إنما يهمنا محاول تتبع هجرتهم من مواطنهم الأصلية واستقرارهم في آسيا الصغرى، وصبغها بالصبغة التركية، فمن المعروف أن

(١) دليل فودروز السياحي، ص٤٤-٤٥ ؛ وانظر أيضا: العمري: مسالك الأبصار، السفر الثالث ص١٣٨ ؛ القزويني (زكريا بن محمد بن محمود، ت٦٨١هـ/ ١٢٨٣م) آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ص٥٣٠.

(٢) الطبري (محمد بن جرير، ت٣١٠هـ/٩٢٣م) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ج١، ص٢٠١ ؛ ابن الأثير (أبو الحسن عز الدين علي بن محمد الجزري ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج١، ص٦١.

(٣) لماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان سلمان، مراجعة وتنقيح: محمود الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، اسطنبول، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١، ص٢١.

(٤) يلماز: المرجع السابق ج١ص٢١.

هؤلاء الأقوام تتدفقوا على آسيا الصغرى في فترتين واضحتين، ويمكن التمييز بينهما.

الفترة الأولى: هجرات واكبت الفتح السلجوقي:

بعد أن تمكن المسلمون من فتح الأجزاء الشرقية من آسيا الصغرى في صدر الإسلام، ظلت الجبهة الشمالية للدولة الإسلامية المتاخمة لحدود الدولة الرومانية مشتعلة باستمرار.فطوال العصر الأموي (٤٠- ١٣٢هـ/ ٦٦٠-٧٤٩م) وكذلك جزءاً من العصر العباسي الذي تلاه، كانت الغارات لا تكاد تنقطع على جانبي الحدود.

واستحدث المسلمون غزوات: "الصوائف والشواتي"[(١)] وكانت عبارة عن غارات ليس الهدف منها الاستقرار، وإضافة المزيد من الأراضي، بل إشغال الأعداء، واختبار قوتهم، وبيان مدى ما تتمتع به الدولة الإسلامية من قوة وقدرة.ولم يكن الاستقرار والاستيطان واضحاً إلا في ثلاث مناطق رئيسية، هي الثغور الشامية، والثغور الجزرية، والثغور الأرمنية.وهي من الناحية الجغرافية تقع على تخوم آسيا الصغرى وليست جزءاً منها[(٢)].

واستمر الوضع بين كرّ وفر، حتى ظهور السلاجقة على حلبة الصراع، فانقلبت موازين القوى بشكل حاسم لصالح المسلمين[(٣)] والسلاجقة مجموعة

---

(١) الصوائف والشواتي: غزوات منتظمة، قام بها المسلمون على بلاد الروم(آسيا الصغرى) في فصلي الصيف والشتاء، واستمرت عدة قرون، انظر: المعجم الوسيط مادة صائفة ؛عطية الله أحمد :القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ج٤، ص٢٤٠ ؛ الخطيب، مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ /١٩٩٦م، ص٢٨٦.

(٢) كوبرلي، محمد فؤاد: قيام الدولة العثمانية ترجمة أحمد السعيد سليمان, الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة ١٩٩٣, ص١٠-١١. والثغور: جمع ثغر، وهو المدينة الإسلامية الحصينة الواقعة على حدود الدولة الإسلامية مع الدولة المجاورة، أو على ساحل البحر، عطية الله: المرجع نفسه، ج١، ص٥٣٨.

(٣) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص١١.

من القبائل التركية اعتنقت الإسلام في نهاية النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[1].

وزعيم القبائل السلجوقية المتحدرة من الترك يدعى سلجوق بن دقاق[2] وقد دفعتهم ظروف اقتصادية وسياسية إلى الإرتحال والتنقل من مكان إلى آخر، حتى ألقوا عصا التسيار في إقليم خراسان[3] حيث أخذوا يجنحون إلى الاستقرار وتكوين الجيوش، حتى تمكنوا من إقامة دولة لهم في سنة٤٢٩هـ/١٠٣٧م[4].

وما لبثت دولة السلاجقة أن توسعت وسيطرت على إيران والعراق، واصطدمت بالدولة البيزنطية على أطراف الأناضول، وورثت عن الدولة العباسية مواجهة البيزنطيين المسيطرين على معظم آسيا الصغرى وبدأ السلطان طغرل بك[5] (٤٢٩- ٤٥٥هـ/١٠٣٧- ١٠٦٣م) بشن الغارات على معاقل البيزنطيين، فوصلت قواته إلى أرزن الروم[6] وأرزنجان[1] ثم توغلت في

(١) مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب ت ٤٢١هـ/١٠٣٩م) تجارب الأمم القاهرة١٣٣٣هـ/١٩١٥م، ج٢، ص١٨١ ؛ علي محمد الغامدي: المجاهد المسلم كمشتكين ابن دانشمند، مكتبة الصدّيق، الطائف، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ؛ص٩.

(٢) عن أصل السلاجقة انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٣٦ ؛ الحسيني (صدر الدين علي بن ناصر، ت بعد ٦٣٢هـ) زبدة التواريخ، أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق: محمد نور الدين، دار اقرأ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٢٤.

(٣) خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند، من مدنها: نيسابور، وهراة، وبلخ، ونسا، وغيرها، ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٣٥٠.

(٤) عن قيام دولة السلاجقة انظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج٨، ص٣٦٠ ؛ الحسيني:المصدر السابق، ص٥٥ ؛ عبد النعيم حسنين: دولة السلاجقة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م، ص٢٨.

(٥) ويكتب أيضا طوغرول، وهو محمد بن ميكائيل بن سلجوق، يُعد مؤسس الدولة السلجوقية، سيطر على خراسان، ودخل بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م لدعم الخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ /١٠٣٠-١٠٧٥م) والذي كافأه بأن اعترف له بالسلطنة. ولمزيد من التفاصيل، انظر: البيهقي (أبو الفضل محمد بن الحسن، ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م) تاريخ بيهق، طبعة مصر، ١٩٥٦م، ص٦٦٤-٦٦٥ ؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج٨، ص٣٢٣، ٣٦٠-٣٦١.

(٦) ورد اسمها في المصادر العربية بصيغ متباينة، فالبعض يسميها آرضروم، وآخرون يسمونها إرزروم erzroum وهناك من يقول: أرض روم. ويسميها الأرمن كارن karin وهي عند اليونانيين: ثيودرسيو بولسTheodarsiopolis وهناك ثلاثة مواضع تحمل اسم آرزن

آسيا الصغرى، حتى صلت إلى قيصرية[٢] وعمورية[٣]، وقونية[٤] في أعماق الغرب[٥] لكنها لا تعدو أن تكون غارات، شبيهة بما حصل في الصوائف والشواتي ولا يلبث أن يعود المغيرون بعدها إلى القواعد التي انطلقوا منها[٦].

لكن التحول الجذري والخطير، جاء نتيجة لموقعة ملاذكر المشهورة في ذي القعدة سنة ٤٦٣هـ/ أغسطس١٠٧١م[٧] فتحطمت المقاومة البيزنطية، وانثال

(٢) قيصرية، قيسارية، "cacsarea" ؛ وغلب عليها في الزمن الحاضر اسم: قيصري مدينة كبيرة قديمة البناء منسوبة إلى قيصر، اتخذها سلاطين سلاجقة الروم عاصمة ثانية لهم، يتنقلون بينها وبين قونية، وهي إلى الغرب من سيواس، وبينها وبين اقصرا أربع مراحل، وهي غير قيسارية "قيصرية" الشام. ياقوت: معجم البلدان ج٤ ص٤٢٢ب ابن سعيد: المصدر السابق، ص١٨٧؛ أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٣٨٣-٣٨٤.

(٣) عمورية، وباليونانيةAmoroin، بلدة كبيرة، قديمة هي اليوم تقع على خط عرض ٣٨. ٥٥ً شمالاً، وخط طول ٣١. ٣٠ شرقاً، تقريباً، يرد ذكرها عند البلدانيين المسلمين مقترناً بفتح الخليفة العباسي المعتصم بالله (٢١٨ــ ٢٢٧هــ/٨٤١ ــ٨٣٢ م) لها سنة ٢٢٣هــ/٨٣٨م. ويخلط البعض بينها وبين أنكورية "أنقرة" ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ؛ ص١٨٥ ؛ ابن شداد (عز الدين محمد بن علي، ت٦٨٤هــ/١٢٨٥م) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. تحقيق يحيى عبارة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٨م، ج٣، ق٢، ص٨١١-٨١٢.

(٤) قونية: بضم القاف، وكسر النون، بعدها ياء مفتوحة وآخرها تاء مربوطة، ويسميها البيزنطيون، إيكونيوم Iconiam ، عاصمة دولة سلاجقة الروم، تقع على مفترق طرق مهم تبعد حوالي ٢٦٢ كم، جنوبي أنقرة، ياقوت: معجم البلدان ج٤، ص٤١٥ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن موقعها، وأهميتها، انظر: نورة باذياب: قونية عاصمة سلطنة سلاجقة الروم، رسالة دكتوراه، غير منشورة. كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤١٥هــ/١٩٩٥م، ص٨٥-٨٩.

(٥) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ص١١.

(٦) عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة والإمارات التركمانية، ترجمة علي محمد الغامدي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٨هــ/١٩٩٧م ص٤.

(٧) ملاذكرد، ومن صيغها الأخرى: مانزكرت، ملازجرد، منازجرد منزكرت، ملاسكرد، ملسجرد، بلدة صغيرة في أرمينية قريبة من خلاط، إلى الشمال من أرزن الروم، بينهما مسافة يومين أو ثلاثة، وعلى أرضها دارت معركة فاصلة، من كبريات المعارك الإسلامية بين السلاجقة بزعامة ألب أرسلان والبيزنطيين بقيادة الإمبراطور رومانوس الرابع Romanos. VI (٤١٦-٤٦٣هــ/١٠٦٩-١٠٧١م) انتهت بهزيمة البيزنطيين، وأسر امبراطورهم، وكانت لها نتائج بعيدة المدى وبالغة الخطورة في مسألة الصراع بين المسلمين والبيزنطيين. ابن الأثير: المصدر السابق، ج٨، ص٣٨٨. ولمزيد من التفاصيل عن أهمية تلك المعركة ونتائجها، انظر رنسيمان، ستيفن: تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة، نور الدين خليل، مكتبة الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية (ب، ت)، ج١ ص١٢١-١٢٢ ؛ سعيد عاشور الحركة الصليبية، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الرابعة، ١٩٨٦م، ج١ ص٧٠-٧١ ؛ Cahen,claud :La Campagne de Mantzikert d,apresles Surces Mussulmanes, in Byzantion,vol. Ix. Brusseles, 1948. p613-624.

الترك على آسيا الصغرى بشكل مفاجئ وسريع، واستوطنوها، وأصبح تتريك المنطقة ضرورة سياسية، كي يضمن سلاطين السلاجقة عدم عبث أتباعهم الترك بالقانون والنظام، فشجعوا الهجرة إلى البلاد المفتوحة، بل زودوا المهاجرين الجدد بالقوة اللازمة لمهاجمة الأراضي البيزنطية، وانتزاع المزيد منها والدفاع عن الوطن الجديد، مع عدم إيذاء المناطق الإسلامية المجاورة(١).

وكان معظم المهاجرين من عشائر التركمان(٢) ونتيجة لاستيطانهم بآسيا الصغرى، تغيرت - وبسرعة - المعالم العرقية للمنطقة، فتغلب العنصر التركي، بدينه الإسلامي، على بقية العناصر، ورغم ضخامة تلك الهجرة، والتغيير المنبثق عنها في التركيبة السكانية، إلا أن الغموض لم يتبدد من حول مسألة " تتريك الأناضول" نظراً لقلة الدراسات المتخصصة، في هذا الموضوع

(٧) ملاذكرد، ومن صيغها الأخرى: مانزكرت، ملازجرد، منازجرد منزكرت، ملاسكرد، ملسجرد، بلدة صغيرة في أرمينية قريبة من خلاط، إلى الشمال من أرزن الروم، بينهما مسافة يومين أو ثلاثة، وعلى أرضها دارت معركة فاصلة، من كبريات المعارك الإسلامية بين السلاجقة بزعامة آلب آرسلان وآلبيزنطيين بقيادة الإمبراطور رومانوس الرابع Romanos. VI (٤١٦-٤٦٣هـ/١٠٦٩-١٠٧١م) انتهت بهزيمة آلبيزنطيين، وأسر امبراطورهم، وكانت لها نتائج بعيدة المدى وبالغة الخطورة في مسألة الصراع بين المسلمين وآلبيزنطيين. ابن الأثير: المصدر السابق، ج٨، ص٣٨٨. ولمزيد من التفاصيل عن أهمية تلك المعركة ونتائجها، انظر رنسيمان، ستيفن: تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة، نور الدين خليل، مكتبة الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية (ب، ت)، ج١ ص١٢١-١٢٢ ؛ سعيد عاشور الحركة الصليبية، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الرابعة، ١٩٨٦م، ج١ ص٧٠-٧١ ؛ Cahen,claud :La Campagne de Mantzikert d,apresles Surces Mussulmanes, in Byzantion,vol. Ix. Brusseles, 1948. p613-624.

(٨) عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة، ص٤ ؛ زبيدة عطا: الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي (د، ت)، ص٤٥.

(٩) التركمان، والتراكمة، مصطلح ظهر في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي يطلق على بطون من قبائل الغز التركية، واكبت الفتح السلجوقي لآسيا الصغرى وساهمت فيه بفعالية، تميزوا عن السلاجقة بأنهم عناصر من البدو الرحل القاطنين في الخيام، والمحترفين لرعي المواشي، والمقاومين لأي فكرة تومىء إلى إقامة دولة نظامية، وكان هدفهم التوسع والجهاد وكسب المزيد من الأراضي الصالحة للرعي، ويعيشون فيها آمنين، حسب عاداتهم وتقاليدهم التي ورثوها وحافظوا عليها. انظر العيني (بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى، ت ٨٥٥هـ/١٤٥١) السيف المهند في سيرة الملك المؤيد " شيخ ا لمحمودي " تحقيق: فهيم شلتوت مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٨ /، ص١٦، العريني: المرجع السابق، ص٩٨ ؛ Grand Larousse: Encgelpediue, 2 vols, paris,1974-75,p. 35-50.

على أن الثابت أن التتريك لم يتحقق بصورة جلية إلا بعد قرون تالية لموقعة ملاذكرد[١].

ومن النتائج التي لا يمكن إغفالها، المترتبة على الهجرة إلى آسيا الصغرى وتتريكها، انقراض الدولة البيزنطية من هذا الجزء من العالم، ثم نشوء الدولة العثمانية وسيطرتها على أجزاء واسعة لقرون عديدة[٢].

وأصبح للترك خططاً مبنية على الاستقرار والتوسع نحو الغرب على حساب البيزنطيين[٣] ولم تمض عدة سنوات على انتصار السلاجقة في ملاذكرد حتى وصلت جماعات منهم إلى قصطمونية[٤] وضواحي طرابزون[٥] وميلتس[٦] على بحر إيجه، مستفيدين في ذلك من النزاعات التي اندلعت بين البيزنطيين أنفسهم، ووفرت لهم فرصة سانحة للتدخل في ذلك الصراع، والوقوف مع جانب ضد الآخر[٧].

---

(١) عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة، ص٤ــ٥ ؛ زبيدة عطا: الترك في العصور الوسطى، ص٤٥.

(٢) سهيل زكار: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، بيروت ١٣٩١هــ/١٩٧٢/. ص١٥-١٦ ؛ علي محمد الغامدي: بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي، مكتبة الفيصلية مكة المكرمة، ١٤٠٤هــ/١٩٨٤م، ص٩٥.

(٣) أحمد سليمان: المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس الهجري/ التاسع والثاني عشر الميلادي، دار النهضة العربية الطبعة الأولى، ١٤٠٢هــ/ ١٩٨٢م، ج١، ص٢٣٩.

Cahen, claude: Lapremiere pentation Turque en siaMinoure Second Motie du xis) in Byzantion XVIII A,1948,p. 32-33

(٤) قصطمونية، وقسطموني Kastamouni مدينة ساحلية، على البحر الأسود، إلى الشرق من أنكورية " أنقرة" بينهما مسافة خمسة أيام. وتبعد سينوب عنها مسافة ثلاثة أيام نحو الشمال. ابن سعيد، المصدر السابق، ص١٩٥؛ أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٣٩٢-٣٩٣.

(٥) طرابزون، وترابيزون، وترابيزوس، واسمها القديم طرابزندة TRAEBIZOND ميناء مشهور منذ القدم على الساحل الجنوبي للبحر الأسود، ويعد مركزاً من مراكز التجارة المهمة. ابن سعيد المصدر السابق، ص١٩٦؛ أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٣٩٢-٣٩٣.

(٦) ميلتس Meletus مدينة على الجانب الشرقي من بحر إيجه، أحمد سليمان: المرجع السابق، ج١، ص٢٤٢.

(7) Cahen,claude: Pre of Ottoman Turkey, London,1968, p. 73 Lapremiere Pentation Turque. p. 33-3.

ورغم محاولات البيزنطيين، في صد التغلغل التركي في آسيا الصغرى، إلا أن محاولاتهم ذهبت سدىً، أمام توالي الهجرات والإمدادات العسكرية، من خراسان، وتكدسها في آسيا الصغرى[1].

وقابل الهجرات والتوسع التركي السلجوقي، نزوح كثير من السكان البيزنطيين وغيرهم، عن ديارهم ممهدين السبيل للمهاجرين الجدد للإقامة في هذه المناطق.

ولم يلبث السلاجقة أن سيطروا على معظم آسيا الصغرى، عدا شريط ساحلي ضيق بمحاذاة بحر مرمرة، والركن الشمالي الغربي، وبعض سواحل بحر إيجه[2].

وكما سبقت الإشارة إليه، فإن السلاجقة شجعوا التوطين للمهاجرين الجدد، خاصة في مناطق الحدود التي كانوا يسمونها "أوج[3] UJ" واستمر البيزنطيون في محاولة الدفاع عن ممتلكاتهم، حتى منوا بهزيمة في موقعة "ميريو كيفالوم[4]"والتي كرست الحقيقة التي نجمت عن موقعة ملا ذكرد.

وانظر أيضا، محمود السيد: التتار والمغول، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ٢٠٠١م، ص١٧٤.

(١) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص١٢.

(٢) زبيدة عطا: الترك في العصور الوسطى، ص٥٥ ؛ وانظر أيضا: علي محمد الغامدي: النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود في أوائل القرن السابق الهجري/ الثالث عشر الميلادي، بحث منشور في مجلة المؤرخ المصري، العدد١٩، يناير ١٩٩٨م، ص١٦٩-١٧٠ ؛ عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة، ص٥.

(٣) الأوج: كلمة تركية تعني الحدود، وكان يتم فيها توطين عشائر تركمانية، للدفاع عنها، ويطلق على زعيمهم "أوج لكي" أي "حاكم الحدود" وربما مُنحوا صلاحيات واسعة، للإغارة على الأعداء، والحصول على الغنائم، وإدارة شئونهم الداخلية، مع اعترافهم بسلطة الدولة، ودفع الضريبة لها. ابن سعيد: المصدر السابق، ص١٨٥ ؛كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص١٢٧، ١٢٩ ؛ وانظر أيضا :.

(٤) ميريوكيفالوم Myriocephalum :" حصن بيزنطي مهجور، يقع في نهاية الشعب المسمى حالياً "ممر تشارداكchardakpass" حيث وقعت المعركة التي حملت اسمه، وانتصر فيها سلاجقة الروم، على آلبيزنطيين سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦. ولمزيد من التفاصيل انظر: علي محمد الغامدي:

قبل قرن من الزمان. وهي أن نفوذ الدولة البيزنطية في آسيا الصغرى قد ولىّ إلى غير رجعة، وأن استيطان الترك فيها وسيطرتهم عليها، واقع لا يقبل الجدال البتة.[1].

الفترة الثانية: هجرات نتيجة للغزو المغولي للمشرق الإسلامي:

بعد سيطرت العنصر التركي المسلم على معظم آسيا الصغرى، وقيام دولة سلجوقية فيها، هي سلطنة سلاجقة الروم، والاستمرار في سياسة تشجيع هجرة القبائل التركية[2] إلى الوطن الجديد.[3] استمر التدفق على آسيا الصغرى، لكن الهجرة الواسعة والمميزة حدثت مرة ثانية، غداة ظهور المغول على الساحة الشرقية للعالم الإسلامي في بلاد لا تبعد كثيراً عن موطن الترك الأصلي، وهي بلاد ما وراء النهر[4] ولم يلبث هؤلاء الغزاة الغلاظ الأكباد، أن اجتاحوا الجناح الشرقي للأمة الإسلامية، وتوسعوا في كل الاتجاهات بصورة سريعة ومفاجئة، غير متورعين عن ارتكاب المذابح، والسلب، والنهب، والتحريق، لا فرق عندهم بين الكائن الحي والجماد، ونتج عن ذلك، نزوح أمم كثيرة عن أوطانها ويهمنا منها، الهجرات التي تدفقت على آسيا الصغرى، هروباً من الإبادة المغولية، وفي البداية تركز استقرار الوافدين الجدد على

معركة ميريو كيفالوم ٥٧٢ هـ/١١٧٦، من المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي، بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى، العدد الأول السنة الأولى ١٤٠٩هـ، ص١٢١-١٤٩.

(١) عبد النعيم حسنين: إيران والعراق في العصر السلجوقي، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢. ص٢٤-٢٥ ؛ دولة السلاجقة، ص١٩ ؛ كاهن، كلود: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية، ترجمة: بدر الدين قاسم، دار الحقيقة للطباعة، بيروت، الطبعة الثانية١٩٧٧م، ص٢٥٢.

(٢) ينقسم الترك إلى عشائر وقبائل عدة، قيل إنهم في حدود عشرين قبيلة، وتضم كل قبيلة عدة بطون. انظر: العيني: السيف المهند، ص١٩-٢٢.
Cahen, clud :, "The Mongols and the Near East" Setton, A History Of the Crusades, V. II,p. 715-732.

(٣) أطلق البعض على آسيا الصغرى اسم " تركستان الجديدة" انظر: دليل فودورز، ص٦٢.

(٤) بلاد ما وراء النهر: مصطلح أطلقه العرب على المناطق الواقعة شمال " وراء " نهر جيحون وتضم خمسة أقاليم: الصغد ؛ ومن مدنه: بخارى وسمرقند، والأربعة الأخرى هي: خوارزم والصغانيان، وفرغانة، والشاش، وهو ما يعرف اليوم باسم طاشقند وسكانه من الترك. ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص٢٣٧-٢٤٠ ؛ لسترنج: المرجع السابق، ص٤٧٦-٤٧٧.

مناطق شرق الأناضول، ثم توغلوا في وسطها[١] ومن مركزها بدأ التوسع والانتشار نحو الأوج والسواحل[٢].

والجدير بالذكر أنه منذ الربع الثاني للقرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وأعداد الترك تتزايد بصورة مهولة في المنطقة، فهذا ابن سعيد المغربي، يقدر عددهم نواحي قصطمونية - حسبما نقل إليه - بمئة ألف بيت[٣] وهذا يفسر إطلاق البعض مسمى "قاعدة التركمان" على هذه المدينة[٤].

أما أبو الفدا، فيقدر بيوت التركمان حول "طغورلة"[٥] بنحو مئتي ألف بيت[٦] وغير خاف أن بعض المؤرخين ذكروا أن سليمان شاه[٧] جد السلاطين العثمانيين - هاجر بقبيلته من ديارها في تركستان إلى آسيا الصغرى خوفاً من المغول، وأن عدد الذين رافقوه في هجرته يربو على خمسين ألف بيت[٨].

(١) كاهن: تاريخ العرب، ص٣١٢.

(٢) عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة، ص٥.

(٣) كتاب الجغرافيا، ص١٩٥. والملفت للنظر أن أبا الفدا ينقل عنه هذه المعلومة، لكنه اختزل العدد من مائة ألف إلى ألفٍ فقط. تقويم البلدان، ص٣٩٢-٢٩٣.

(٤) القرماني: المصدر السابق، ج٣، ص٤٤٢ ؛
Halil,Inalgik,: The Ottoman Empire The Classical Age 1300-1600, Translated By: Norman Itzkuwitz And Golin Imber Weidenfeld And Nicolson. London,p. 5.

(٥) طغورلة Tagorlah مدينة تقع إلى الشمال من أنطالية وحولها جبال تحمل الاسم نفسه. أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٣٧٩.

(٦) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٧) سليمان شاه، زعيم قبيلة قايي، خرج بقبيلته قاصداً آسيا الصغرى، لكنه غرق في نهر الفرات ودفن بالقرب من قلعة جعبر، وكان الأتراك يزورون قبره هناك. القرماني: المصدر السابق ج٣، ص٦ ؛ الصديقي (محمد بن أبي السرور البكري، ت١٠٧١هـ/ ١٦٦١م) المنح الربانية في الدولة العثمانية، وذيله، اللطائف الربانية، تحقيق ليلى الصباغ، دار البشائر للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص١٣.

(٨) الصديقي :المصدر السابق، ص١٢ ؛ ولم يحدد القرماني العدد، واكتفى بالقول: " وتبعه في ذلك خلق كثير" أخبار الدول، ج٣، ص٥ ؛ وذكر غيره عدد الفرسان فقط في هذه الهجرة وقدرهم بألفين. انظر: حليم، إبراهيم بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية " مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٤٣.

أثر غزوات المغول للمشرق الإسلامي في آسيا الصغرى:

نبذة عن قيام الدولة السلجوقية في بلاد الروم (آسيا الصغرى):

عندما نجح السلاجقة في إقامة دولتهم لم تلبث أن تحولت إلى دولة كبرى، وتميز عهد سلاطينها الثلاثة الأولي[1] بالقوة والتماسك، وهو صدر ما عرف بعهد "السلاجقة العظام"[2] وبعد انتهاء عهد السلاطين المشار إليهم أنفاً.انقسمت الدولة السلجوقية الكبرى إلى دويلات متعددة، تولى حكمها أفراد من الأسرة السلجوقية نفسها.مع استقلالية كل منها عن الأخرى، فحافظوا على الاسم العام للأسرة السلجوقية وأصبحوا يُعرفون باسم المكان

(١) السلاطين الثلاثة الأول هم: طغرلبك (٤٢٩ـ٤٥٥هـ /١٠٣٧ـ١٠٦٣ م)، آلب أرسلان(٤٥٥-٤٦٥هـ /١٠٦٣-١٠٧٢ م) ملكشاه بن آلب أرسلان (٤٦٥ـ٤٨٥هـ/١٠٧٢ـ ١٠٩٢ م) انظر الحسيني زبدة التواريخ.

(٢) "السلاطين العظام" مصطلح تاريخي يطلق على فترة تقارب القرن من الزمان، ابتداءً من الثلث الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وتعاقب على الحكم فيه سبعة من السلاطين يحكمون دولة واسعة الأطراف تضم شرقاً خراسان وما وراء النهر، وغرباً بلاد الشام والأناضول. انظر: عطية الله: القاموس الإسلامي، ج٣، ص٤١٠-٤١١. ولمزيد من التفاصيل: انظر: محمد ربيع المدخلي: المشرق الإسلامي في عصر سلاطين السلاجقة العظام، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

الذي يحكمونه، فهناك سلاجقة كرمان[1] وسلاجقة الشام[2] وسلاجقة العراق[3]، وسلاجقة الروم[4].

ويهمنا في هذه الدراسة الدولة الأخيرة.ويرى كثير من المؤرخين والباحثين أنّ دولة سلاجقة الروم ظهرت إلى الوجود في الربع الثالث من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[5] على يد مؤسسها سليمان بن قطلمش الذي تمكن من فتح مدينة نيقية Nicaea[6] في سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م، واتخذها عاصمة

(١) كرمان: بالفتح ثم السكون، وربما كُسرت، والفتح أشهر بالصحة. ولاية مشهورة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان وهي بلاد كثيرة الزروع والنخيل والمواشي، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٤٥٤-٤٥٥.

وقد تولى حكمها أفراد من الأسرة السلجوقية وذلك في الفترة بين عامي ٤٣٣هـ/١٠٤٢م و ٥٨٢هـ/١١٨٦م انظر: زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه د. زكي محمد وحسن أحمد، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. ص٣٣٥.

(٢) فرع من الأسرة السلجوقية، حكموا بلاد الشام في الفترة بين عامي ٤٧١هـ/١٠٧٨م و ٥٠٨هـ/١١١٤م. وتناوب الحكم خلالها خمسة من السلاطين لمزيد من التفاصيل انظر: أحمد علي إسماعيل: تاريخ السلاجقة في بلاد الشام في القرنين الخامس والسادس. الشركة المتحدة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٣) سلاجقة العراق: أيضاً أحد فروع السلاجقة، توارثوا حكمه بعد تفكك الدولة السلجوقية. وبلغ عددهم تسعة سلاطين حكموا في الفترة بين عامي ٥١١هـ/١١١٧م و ٥٧٣هـ/١١١٧. ولمزيد من التفاصيل انظر: حسين أمين :تاريخ العراق في العصر السلجوقي، بغداد١٩٦١م.

(٤) الحسيني: زبدة التواريخ، ص٣١٦.

(٥) ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٢، ص١٠٠، الحسيني: المصدر السابق، ص٧٢ ؛ ابن العديم (كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد، ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م) زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: سامي الدهان، دمشق ١٩٦٨م، ج٢، ص٩٨.

(٦) نيقية: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وكسر القاف، وياء. والترك يسمونها: أزنيق ويزنيق. مدينة في الشمال الغربي من آسيا الصغرى، معدودة في أعمال اصطنبول على البر الشرقي، تقع على طرف بحيرة، ذكرها ابن بطوطة، وقال إن سكانها قليلون جداً، ولها أربعة أسوار، ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص٣٣٥، ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي، ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ج٢، ص٢٧٠ ؛ لسترنج: المرجع السابق، ص١٧٢-١٧٣

لدولته[1] ولكنه عندما أراد التوسع في بلاد الشام اصطدم بأبناء عمومته، سلاجقة الشام، وقتل في معركة خاضها ضدهم سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م[2].

وفي النهاية آل عرش سلاجقة الروم إلى ابنه قلج أرسلان[3] الأول الذي دخل بدوره في صراع مع سلاجقة العراق وإيران، ولقي مصرعه في معركة معهم سنة ٥٠١هـ/ ١١٠٨م[4] وتمكن ابنه مسعود الأول - بعد نزاع طويل مع خصومه - من استعادة عرش سلاجقة الروم.ولما توفي خلفه ابنه قلج أرسلان الثاني.الذي انتصر على البيزنطيين في معركة ميريوكيفالوم، وهي المعركة التي وطدت ورسخت سلطنة سلاجقة الروم، في آسيا الصغرى[5].

وبعد أن تقدم به العمر، قسم قلج أرسلان الثاني مملكته بين أولاده، الذين نشب بينهم نزاع مرير، إلى أن تمكن ابنه الأكبر سليمان من بسط نفوذه على الدولة من جديد[6] وبعده تولى أخوه كيخسرو[7] الأول الحكم سنة٦٠١هـ/١٢٠٥، وبعد وفاته سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠ آل عرش سلاجقة الروم إلى ابنه كيكاوس[8] الأول، والذي توفي سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م، فأخرج أخوه علاء

---

(١) عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة والإمارات التركمانية، ص٧.

(٢) ابن الأثير: المصدر السابق، ج٨، ص ٢٤٥، علي الغامدي: بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي، ص١٨١-١٨٣.

(٣) قلج، وأحياناً قليج: كلمة تركية معناها السيف، وأرسلان كلمة تركية أيضاً، فارسية الأصل. معناها الأسد. انظر: التونجي: المرجع السابق، مادتي قلج، وأرسلان. وقال ابن تغردي بردي: قليج بكسر القاف واللام، وسكون الياء والجيم معاً. النجوم الزاهرة، ج٧، ص٢٢٦.

(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، ج٩، ص٣٧.

(٥) علي محمد الغامدي: معركة ميريو كيفالوم، بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى.

(٦) عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة ص٢١.

(٧) كيخسرو: بفتح الكاف، وسكون الياء، وخاء معجمة مضمومة، ثم سين مهملة ساكنة، وراء مضمومة. ابن تغري بردي(أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي، ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، ج٧، ص ٢٢٦.

(٨) كيكاوس: كلمة فارسية من معانيها: عادل، نجيب، أصيل، التونجي، المرجع السابق ص٤٨٩.

الدين كيقباذ[١] الأول من معتقله وبويع سلطاناً.وبلغت الدولة في عهده عصرها الذهبي[٢] كما شهد عهده ظهور المغول وترك ذلك الظهور منذ بدايته آثاراً واضحة على الوضع في آسيا الصغرى.

ظهور المغول وانتشارهم:

لم يسمع العالم كثيراً عن المغول قبل زعيمهم التاريخي جنكيز خان[٣] لكنه بعد أن نجح في توحيد قبائلهم، استطاع أن يؤسس لهم دولة كبرى، بدأت قوية فتية، وتوسعت على حساب جيرانها شرقاً وغرباً حتى سيطرت على معظم قارة آسيا، وأحدث توسعها اضطراباً شديداً، ووصل تأثيره إلى أصقاع بعيدة، وكان من تلك الأصقاع، آسيا الصغرى، وسبقت الإشارة إلى هجرات قبائل تركية وغيرها إلى هذه المنطقة هرباً من بطش المغول وجورهم.وما تمخض عن هذه الهجرات من نتائج.[٤]

(١) كيقباذ: بفتح الكاف، وسكون الياء، وضم القاف، وفتح الباء، وبعد الألف دال مهملة ساكنة. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص ٢٢٦. هكذا ورد الاسم عنده، والمشهور أن ما قبل الأخير منه، ذال معجمة وليست دال مهملة.

(٢) ابن بيبي (الحسين بن محمد بن علي المنشي الجعفري، ت٦٨٠هـ/١٢٨١م) كتاب الأوامر العلائية في الأمور العلائية، أنقرة، ١٩٥٦م. ص٢٠٠ ؛ أخبار سلاجقة الروم، (مختصر سلجوق نامه) نقله من الفارسية إلى العربية: محمد السعيد جمال الدين، جامعة قطر، الدوحة، ١٩٩٤م، ص١٠٢؛ عثمان عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة، ص٢١-٢٦.

(٣) جنكيز خان Ginkhez khan هو لقب تيموجين Temuchin ابن يسوكاي Yasucay الذي وُلد على ضفاف نهر أونون، في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري، وتقلبت به الأحوال حتى أصبح قائد المغول بلا منازع، فاستطاع توحيد قبائلهم وإقامة امبراطورية مترامية الأطراف، وقد هلك جنكيز خان عام ٦٢٤هـ/١٢٢٧م. انظر: الهمذاني (رشيد الدين بن فضل الله، ت٧١٨هـ/١٣١٨م) تاريخ جنكيز خان، ج٢، نسخة مصورة على ميكروفلم، معهد إحياء التراث الإسلامي، رقم٩٠، عن نسخة آيا صوفيا رقم ٣٠٣٤، وجامعة الدول العربية رقم ١٠٧؛ العريني: المغول ص٤٣-٤٨، ١٤٣ ؛ "ستوف فلاديمير": "حياة جنكيز خان الإدارية والسياسية" (نقله من الروسية إلى الإنكليزية، ميزسكي) ونقله من الإنكليزية إلى العربية، د. سعد حذيفة الغامدي، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

(٤) انظر ما سبق ص١٥ من هذا البحث.

ويرى البعض، أن خروج هؤلاء المغول، وقتالهم للمسلمين، كان أمراً حتمياً، وهو من أشراط الساعة التي أخبرها عنها الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم إذ قال:(لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك قوماً وجوههم كالمجان المطرقة، يلبسون الشعر ويمشون في الشعر"[1] وفي رواية "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة"[2].

ومهما يكن من أمر، فإن تحرك المغول في بلاد المشرق الإسلامية كانت له انعكاسات عديدة في آسيا الصغرى، ولأنها إرهاصات للسيطرة المغولية فيما بعد على هذه المنطقة، تم تخصيص هذا المبحث لمعالجة الآثار التي انعكست على المنطقة بسبب تلك الغزوات و التحركات المغولية.

في البداية واجهت الدولة الخوارزمية[3] جحافل المغول، وكانت حقاً "سداً منيعاً" بين المغول وبقية الشعوب الإسلامية، خاصة في غربي آسيا[1].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة (٣٧/١٨) مع شرح النوي.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦٠٤/٦.
ولمزيد من التفاصيل. انظر: ابن حجر العسقلاني (الحافظ شيخ الإسلام، أحمد بن علي بن حجر، ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، تحقيق الشيخ: عبد العزيز ابن باز، نشر إدارات البحوث العلمية والإفتاء. الرياض، ج٦، ص٦٠٤ وما بعدها؛ يوسف عبد الله الوابل: أشراط الساعة، دار ابن الجوزي، الطبعة العاشرة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص١١٨-١٢٦.

(٣) ظهرت الدولة الخوارزمية كإحدى الدول التي قامت على أنقاض الدولة السلجوقية الكبرى، ومؤسسها نوشتكين Noshtekin ، أحد الموظفين الأتراك في بلاط السلطان ملكشاه السلجوقي (٤٦٥ ـ٤٨٥هـ/١٠٧٢ـ ١٠٩٢م) واشتهر ابنه قطب الدين محمد، بالعلم والأدب وحسن التصرف، لذا عينه أحد قادة السلطان بركياروق (٤٨٧هـ/١٠٩٤م-٤٩٨هـ/١١٠٤م) حاكماً على إقليم خوارزم التابع للدولة السلجوقية ولقبه "خوارزم شاه" وبعد اندلاع الخلافات بين أمراء السلاجقة، وظهور الضعف على سلاطينهم، انتهز خوارزم شاه الفرصة، وبدأ يوسع نفوذه وسيطرته، ثم أصبح حاكماً مستقلاً، وسعى خلفاؤه إلى زيادة مساحة الدولة، وكان أخرهم جلال الدين منكبرقي، وبمقتله سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م سقطت الدولة الخوارزمية. لمزيد من التفاصيل انظر :حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي (د، ت)؛ نافع توفيق العبود :

ولطالما واجه السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي[2] جيوش المغول، وحقق عليهم انتصارات عدة، لكنه في أواخر عهده، سولت له نفسه، الاعتداء على بلاد جيرانه من المسلمين، خاصة في مناطق الجزيرة التي كانت خاضعة للأيوبيين[3] فأدار ظهره للمغول، وجلب على نفسه عداء المسلمين، حتى اضطر الأيوبيون في بلاد الشام، وسلاجقة الروم، إلى عقد تحالف ضده[4]، أوقع به هزيمة ساحقة في ياسي جمن سنة ٦٢٧هـ/١٢٣٠م[5] استغلها المغول

الدولة الخوارزمية، نشأتها وعلاقتها مع الدول الإسلامية مطبعة الجامعة، بغداد ١٩٧٨م ؛ عفاف سيد صبره: التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

(١) اليافعي (حسن بن إبراهيم بن محمد كان حياً سنة ٦٧٩هـ/١٢٨٠م) جامع التواريخ المصرية في ذكر الملوك والخلفاء والسلاطين الإسلامية، صورة على ميكروفلم، بمعهد إحياء التراث الإسلامي، بجامعة أم القرى، رقم ١١٤٢، عن نسخة المكتبة الوطنية بباريس، رقم ١٥٤٣، ورقة ٤٣أ؛ النسوي (نور الدين محمد بن أحمد بن علي، كان حياً قبل سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م) سيرة جلال الدين منكبرتي، تحقيق حافظ حمدي، القاهرة ١٩٥٣م، ص٣٣٤ ؛ ابن تغري بردي (أبوالمحاسن جمال الدين يوسف، ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) النجوم الزاهرة، في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ج٦، ص٢٧٧.

(٢) السلطان خوارزم شاه: جلال الدين منكوبري "منكوبرتي" ابن السلطان علاء الدين محمد بن السلطان تُكُش، تولى الحكم خلفاً لوالده سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م، وطاف بالبلاد، وتنقل بين الهند والسند وبلاد فارس، اختلف مع جيرانه من المسلمين وغيرهم، واختلف مع الخلافة العباسية في بغداد، وسلاجقة الروم، والأيوبيين، والأراتقة في الجزيرة الفراتية وشمال الشام إلاّ أنه واجه المغول بشجاعة واستطاع إيقاف زحفهم لبعض الوقت. ألف النسوي في سيرته كتاب، وله ترجمات في كتب التاريخ منها: مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ج٨، ص٦٦٥-٦٦٨ ؛ الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد، ت٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م) سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. ج٢٢، تحقيق: بشار معروف ومحيي السرحان، ص٣٢٦-٣٢٩.

(٣) النسوي: المصدر السابق ص٢٩٩-٣٢٨ ؛ سبط ابن الجوزي: المصدر السابق، ج٨، ص٦٥٩-٦٦٠.

(٤) أنظر إبراهيم الخضر، العلاقات السياسية الخارجية بين سلاجقة الروم والقوى الإسلامية المجاورة " ٤٧٠-٦٤٤هـ/١٠٧١-١٢٤٦ رسالة ماجستير غير منشورة كلية العلوم الإجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٥) وقعت هذه المعركة في الثامن والعشرين من رمضان سنة ٦٢٧هـ، الموافق العاشر من أغسطس سنة ١٢٣٠م. ولمزيد من التفاصيل انظر: ابن الأثير: المصدر السابق ج١٢، ص٤٧٠ ؛ سبط ابن الجوزي: المصدر السابق، ج٨، ص٦٦١؛صيته عبد الله سلاجقة الروم في الثلث الأول من القرن السابع الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص١٥٠ـ١٥٤.

بنجاح، وطاردوه حتى مات سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م، وانقطع خبره[1] وبموته سقطت الدولة الخوارزمية وانفتح الباب على مصراعيه لجحافل المغول، وصدقت توقعات الملك الأشرف الأيوبي[2] الذي شارك في المعركة الآنفة الذكر، وعندما جاءه المهنئون بهذا النصر، ردّ عليهم قائلاً:(تهنئوني به وتفرحون، سوف ترون غبه لتكونن هذه الكسرة سبباً لدخول التتار إلى بلاد الإسلام، ما كان الخوارزمي إلاّ مثل السد الذي بيننا وبين يأجوج و مأجوج)[3] وبالفعل زحف المغول على مناطق العالم الإسلامي، واكتسحوها واحدةً بعد الأخرى.

سياسة علاء الدين كيقباذ الأول تجاه المغول:

ويمكننا أن نفرق بوضوح، بين آثار الغزو المغولي في المشرق الإسلامي على أوضاع آسيا الصغرى، خلال عهدين مختلفين هما عهد السلطان علاء الدين كيقباذ الأول وعهد ابنه وخليفته غياث الدين كيخسرو الثاني.وذلك نظراً للسياسة الداخلية والخارجية التي انتهجها كل منهما، فالسلطان علاء الدين أدرك منذ الوهلة الأولى خطر المغول، وحجم قوتهم، وأيقن أنْ ليس

وياسي جمن: منطقة بين أرزنجان وسيواس، يطل عليها جبل يحمل الاسم نفسه. ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٠٦؛ عثمان عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة، ص٢٥ وذكر القزويني أنه موضع بين خلاط وأرزن الروم ؛ آثار البلاد، ص٥٦٨.

(١) النسوي: المصدر السابق، ص٣٨٣ ؛ ٣٨٤ ؛ سبط ابن الجوزي: المصدر السابق ج٨، ص٦٩٩.

(٢) الملك الأشرف موسى بن الملك العادل الكبير بن أيوب، من كبار ملوك بني أيوب أبناء العادل كان ميمون النقيبة مظفراً في حروبه، ملك خلاط وأعمالها، ثم فقدها واستولى على دمشق وملكها ثمان سنوات وأشهراً، وتوفي بها سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م له ترجمة مطولة عند ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم، ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٥، تحقيق محمد حسنين ربيع، القاهرة، ١٩٧٢-١٩٧٧، ص١٣٧-١٤٦.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٢٧٧، لمزيد من التفاصيل أنظر: سوسن محمد نصر بنوا أيوب مع الخوارزمية والمغول والمماليك في شمال الشام "بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية" العدد (٣٠ و ٣١) ١٩٨٣م ١٩٨٤م.

باستطاعته مواجهتهم لوحده، وهم الذين اكتسحوا شعوباً عديدة، وأسقطوا الحكام والأمراء واحداً تلو الآخر[١].

وبناءً عليه انتهج السلطان تجاههم سياسة اتسمت بالحذر الشديد، وتحاشي الاصطدام بهم، بل والعمل على تسكين ثائرتهم وعدم الإقدام على كل ما من شأنه استفزازهم، وإثارة حفيظتهم[٢] وتمشياً مع هذه السياسة العامة، تحرك السلطان علاء الدين على عدة محاور، بعضها خارجي، والبعض الآخر داخلي.

فعلى الصعيد الخارجي، سعى السلطان إلى عقد التحالفات مع جيرانه، خاصة مع الدولتين الخوارزمية والأيوبية، وكذلك مع الخلافة العباسية في بغداد[٣] لكنّ هذه السياسة لم يكتب لها النجاح، فالسلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي، لم يستجب لمناشدات السلطان علاء الدين له، بتوحيد الصفوف، والاستعداد لمواجهة الخطر المغولي، ولم يصغ إلى نصائحه له بمداراة المغول[٤] بل اضطره إلى محاربته فكانت النتيجة كارثة ياسيّ جمن، وما نجم عنها من الأهوال[٥].

(١) صبري سليم: الأتراك الخوارزميون في الشرق الأدنى الإسلامي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٩هـ/٢٠٠٠م، ص٤١، أحمد توني: المرجع السابق، ص٢٤٤ ؛ الوسيمي، محمد نجيب زكي سلطنة سلاجقة الروم، ٥٨١-٦٤١هـ/١١٨٥-١٢٤٣ " رسالة دكتوراه غير منشورة قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٤م، ص١٥٧ـ١٥٨.

(٢) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص٥٥ ؛ صبري سليم: المرجع السابق، ص٤١؛الوسيمي: سلطنة سلاجقة الروم، ص١٥١.

(٣) عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة، ص٢٥ ؛ صيته عبد الله: المرجع السابق، ص٢١٣ Tura ,Osman:Selçuklular Zamaninda Türkiye Istanbul,1996. s334.

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٣٧٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص١٩٧ ١٩٩ ابن العبري (أبو الفرج جمال الدين غريغوريوس ابن أهرون الملطي، ت٦٨٥ هـ/١٣٨٦م) تاريخ الزمان نقله على العربية: الأب اسحق أرملة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٧٦.

(٥) عن نتائج هذه الموقعة انظر: علي محمد عودة الغامدي: بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ص٣٣٦-٣٣٨؛ صيته عبد الله: المرجع السابق، ص١٥٢ ١٥٣.

ولذلك عندما أيقن السلطان الخوارزمي بحرج موقفه، بدأ في إطلاق صيحات الاستغاثة، لكن السلطان السلجوقي لم يسرع لنجدته، مثله مثل غيره من السلاطين والملوك المسلمين الذين تثاقلوا عن نصرة الخوارزمية بحجة أن السلطان جلال الدين منكبرتي، لم يبق على صداقة أحد من ملوك المسلمين المجاورين له[١].

ومن عجب، أن السلطان الخوارزمي، وبعد هزيمته الساحقة في ياسي جمن وخلال مطاردة المغول المضنية له، وقبيل اختفائه الأخير، كان يفكر جدياً في غزو بلاد سلاجقة الروم، لعله يستولي عليها، ويستعيد بها قوته التي فقدها[٢].

أما الأيوبيون في الشام والجزيرة، فقد عمل السلطان علاء الدين على التحالف معهم، فصاهرهم[٣] وتحالف معهم حتى تمكن الطرفان من هزيمة جلال الدين الخوارزمي في ياسي جمن، لكن بعد ذلك اصطدم بهم بقوة،

---

(١) الهمذاني: تاريخ جنكيز خان، ج٢، ورقة ٢٨٩أ ؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج٩، ص٢٨٣ ؛ النسوي: المصدر السابق، ص٣٥٥ ؛ ابن العبري (أبو الفرج جمال الدين غريغوريوس ابن أهرون الملطي، ت٦٨٥ هـ/١٣٨٦م) تاريخ مختصر الدول صححه وفهرس له: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. ص٤٣٠ـ٤٣١.

(٢) النسوي: المصدر السابق، ص٣٧٣ ؛ ابن أيبك (أبو بكر ابن عبد الله الدواداري، ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م) كنز الدرر وجامع الغرر الجزء السابع (الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب) تحقيق: سعيد عاشور القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧٢م ص٣٠٢ ؛ النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٧ تحقيق سعيد عاشور. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ص٢٩٥.

(٣) تزوج السلطان كيقباذ الأول ابنة السلطان العادل الأيوبي، ولم تذكر المصادر اسمها، سوى أنها شقيقة الملك المعظم عيسى صاحب دمشق المتوفي سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م وقال صاحب شفاء القلوب :". . وما أدري ما إسمها" إلا أنها آخر أبناء العادل. انظر: ابن العميد (المكين جرجس بن العميد، ت٦٧٢هـ/١٢٧٤م) أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص٤٣؛ أبو الفداء (الملك المؤيد إسماعيل بن علي صاحب حماة، ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م) المختصر في أخبار البشر، علق عليه ووضع حواشيه: محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج٢، ص٢٦٥. ابن نصر الله الحنبلي (عز الدين أحمد بن إبراهيم الكناني العسقلاني، ت٨٧٦هـ/١٤٧١م) شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: ناظم رشيد، بغداد، ١٩٨٧م ص٢٨٣. هذا ويلقبها ابن بيبي بالملكة العادلية انظر ما يلي ص من هذا البحث.

وشهدت منطقتا الجزيرة وديار بكر حروباً طاحنة بين الجانبين[١] ولعل التفسير المناسب لذلك الصراع هو التطابق في سياسة كلا الطرفين تجاه المغول والمتمثلة في تجنب الصدام العسكري مع المغول، والعمل في الوقت نفسه على الحصول على أراضٍ حدودية جديدة، خاصة في مناطق أعالي الفرات[٢] فكانت النتيجة الحتمية لتلك الإستراتيجية المتطابقة، هي الصدام المسلح بين الطرفين[٣].

ومن المؤسف أنّ هذا الصراع استمر رغم وصول المغول إلى المنطقة حتى أن بعض المؤرخين والباحثين اتهم السلطان علاء الدين كيقباذ بأنه تصالح مع المغول ليس ليتفرغ لمحاربة الأيوبيين وحسب، بل ليستعين بالمغول ضد الأيوبيين[٤].

أما عن علاقته مع الخلافة العباسية في بغداد، فقد كان السلطان علاء الدين حريصاً على كسب رضا الخليفة[٥] فعندما استنجد الخليفة الناصر

(١) سبط ابن الجوزي: المصدر السابق، ج٨، ص٦٨٤ ؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٥ ص٧٨-٧٩.

(٢) ينبع نهر الفرات من أواسط هضبة الأناضول ويخترق الأراضي السورية، ثم العراقية حتى يصب في الخليج العربي. وطوله من المنبع إلى المصب ٢٣٣٠كم ؛ منها ٤٤٢كم في الأراضي التركية و ٦٧٥كم في الأراضي السورية، و ١٢١٣كم في الأراضي العراقية. عايدة العلي: العرب والفرات بين تركيا وإسرائيل، دار الآفاق الجديدة بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م. ص٣٨.

(٣) العريني: المرجع السابق، ص١٧٩ ؛ صبري سليم: المرجع السابق، ص٤٢.

(٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٧٩. ؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة: عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي أبو ظبي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص١٦٨؛ حسن الأمين، المغول بن الوثنية والنصرانية والإسلام، دار التعاون للمطبوعات، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٢٢٢.

(٥) ذكر عباس إقبال أن الخليفة العباسي استنجد بملوك المسلمين عندما أغار المغول على أطراف العراق سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م، فتحرك السلطان الكامل الأيوبي ومعه حشد من ملوك الأيوبيين لنجدته، وانضم إليهم السلطان علاء الدين كقباذ السلجوقي لكن هذه الحملة الضخمة لم تتجاوز بلاد الجزيرة لزوال الخطر المغولي عن العراق. انظر تاريخ المغول، ص١٦٧، هذا ولم يرد في المصادر ما يؤيد هذه الرواية.

لدين الله[1] بالسلطان علاء الدين، وطلب منه إرسال ألفين من الجنود، لمنع المغول من مهاجمة حدودا لعراق الشرقية سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م، لم يتردد السلطان في ذلك، وجهز بدل الألفين خمسة آلاف مقاتل من خيرة جيشه كما أنه طلب من رسول الخليفة[2] أنْ ينقل إلى سيده رسالة، تتضمن النصح، بمداراة المغول، وتقديم الهدايا لهم، وعقد صلح معهم[3] وهي نفسها السياسة التي انتهجها السلطان نفسه مع المغول.

لكن النجدة التي أرسلها السلطان، تعرضت لمؤامرة، كما أثارت الخوف والذعر في كل المناطق التي مرت بها، رغم انضباط جنودها، وعدم تعرضهم بالأذى للمناطق التي مروا بها، وأخيراً تم صرفهم بأدب واحترام قبل وصولهم بغداد، بحجة أنّ الخطر المغولي قد زال عن بلاد الخليفة[4] لكنّ الأطماع الشخصية وإيثار المصالح الخاصة، هي التي سيطرت على موقف كل الحكام[5] الذين مرت بهم النجدة وهي في طريقها إلى بغداد.فكانت خشيتهم من هذه النجدة تضاهي خشيتهم من المغول، وربما أشد[6].

وشاءت إرادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يُتوفى السلطان علاء الدين في شوال سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٦م بعد وليمة أقيمت على شرف مبعوثين جاؤوا من بلاد

---

(١) الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بأمر الله الحسن، الخليفة الرابع والثلاثون من بني العباس وأطولهم مدة في الخلافة (٥٧٥ـ ٦٢٢هـ/١١٧٥-١٢٢٥م) يوصف بالدهاء وتقلب الأطوار الزركلي: الأعلام، ج١، ص١١٠.

(٢) وكان رسول الخليفة ابن الجوزي العالم المشهور.

(٣) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص١٣٠-١٣٤ ؛ المولوي (أحمد بن لطف الله"منجم باشي" المولوي عاش في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي) صحائف الأخبار في وقائع الأعصار، نسخة مصورة على ميكروفلم بمعهد إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، رقم ١٠٤٢، عن نسخة مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم ١٢٤٥/١-ج١، ورقة ٥٧٨؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye S. 334.

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٢٦٠ ٢٦٤ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص١٣٠-١٣٥.

(٥) هؤلاء الحكام: بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل (٦١٥هـ/١٢١٨م-٦٥٧هـ/١٢٥٨م) والمظفر كوكبوري صاحب اربل (٥٨٦هـ/١١٩٠م ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

(٦) انظر ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٢٦٤ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص١٣٣.

عديدة للتشاور مع السلطان في كيفية مواجهة المغول، وكان على رأسهم مبعوث الخليفة العباسي وكانت الآراء متفقة على توحيد الصفوف كخطوة أولى ورئيسية للوقوف في وجه الخطر المغولي المتفاقم لكنّ وفاة السلطان المفاجئة !! حالت دون تحقيق ذلك.(١)

أما مع جيرانه من النصارى(٢) فقد كان السلطان علاء الدين مهتماً بالتنسيق معهم لمواجهة المغول، وسبقت الإشارة إلى أنه انتقل إلى الدار الآخرة وفي بلاطه مبعوثين من الدول المجاورة - منها الدول النصرانية المشار إليها - وكان هدف الاجتماع اتخاذ موقف موحد إزاء المغول.(٣)

وبقي على صعيد السياسات الخارجية، سياسته تجاه الطرف الرئيسي في الموضوع، ألا وهم المغول وسبق أن ذكرنا أنّ سياسة السلطان معهم كانت مبنية على عدم الاصطدام معهم لوحده، وبشكل مباشر، وكذلك تحاشي استفزازهم، بل لم يجد ضيراً في إظهار التبعية لهم طالما أنّ ذلك يحفظ عليه مملكته، ويجنبها عبث المغول وتخريبهم ولا يكلفه إلاّ بعض الهدايا والأموال يرسلها لخان(٤) المغول الأعظم نهاية كل عام(٥).

---

(١) ابن العميد: المصدر السابق، ص١٤٣ ؛ ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٤٦ـ ٢٤٧ ؛ الوسيمي: سلطنة سلاجقة الروم، ص١٥١ ؛ G. Leiser (tr. anded.) Ahistory Of The Seljuks, Ibrahim Kufesoglus Interpretationand the resultan Controucrsy, p67-77.

(٢) وهي: امبراطورية طرابيزون، وامبراطورية نيقية، ومملكة أرمينيا الصغرى، ومملكة الكرج والأبخاز.

(٣) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٤٧-٢٤٨؛ الوسيمي: سلطنة سلاجقة الروم، ص١٥١؛ Leiser: Op. Cit. p76.

(٤) خاقان أوقان (قآن) لفظة عربية للقب تركي هو: قاغان "Kagan " ومعناه رئيس الرؤساء، ويقابله في العربية السلطان الذي هو الملك الأعظم ويتبع له ملوك الولايات كما يقابله في الفارسية شاهنشاه وهو أكبر مكانة من شاه، انظر : ENC.ISL.ARTS. KHAKAN, KHAN
المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي، ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق١، ٢ ؛ تحقيق محمد مصطفى زيادة القاهرة ١٩٣٤ ١٩٥٧م، ق٢، ص٣٠٧ حاشية (٤).

(٥) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٤٣.

لكنّ الملفت للنظر أنّ المصادر تتباين في كيفية حصول الاتصال المباشر بين المغول والسلطان علاء الدين كيقباذ فابن العبري ذكر أنّ السلطان بادر من تلقاء نفسه بإرسال رسول من قبله في سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، إلى أوكتاي قاآن "OKtai"[(١)] يعلن خضوعه وتبعيته لسيد المغول، لكن الزعيم المغولي طالب بحضور السلطان السلجوقي إلى بلاطه شخصياً[(٢)].

أما ابن بيبي فذكر رواية مخالفة لما سبق، فحواها أنّ تاجراً من قزوين[(٣)] كان مقيماً في أرزن الروم[٤] سمع عن كرم خان المغول فتوجه إليه، واستطاع الاجتماع به، وبعد أنْ عرف أنّه من بلاد سلاجقة الروم، سأله عن هذه البلاد، وعن سيرة حاكمها السلطان علاء الدين، ثم حمله رسالة إليه مضمونها دعوة السلطان إلى التبعية والخضوع حتى تسلم بلاده من عبث المغول وغزوهم المدمر، وكانت هذه الحادثة في سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٦م وقد التقى السلطان بالتاجر القزويني، ووافق على الاعتراف بالتبعية للمغول، وجهز الهدايا

(١) أوكتاي قاآن بن جنكيز خان، انتخبه المغول خاقاناً عليهم خلفاً لوالده سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م، سار على نهج والده في التوسع وشن الحرب على الشعوب المجاورة لهم، هلك حتف أنفه سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م الهمذاني (رشيد الدين، فضل الله، ت ٧١٨هـ/١٣١٨م) جامع التواريخ، "تاريخ خلفاء جنكيز خان"، نقله إلى العربية فؤاد الصياد، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، ص١٤-٩٤.

(٢) تاريخ الزمان، ص٢٧٩ ؛ تاريخ مختصر الدول، ص٤٣٥ ؛ ونقلها عنه بعض الباحثين منهم: عباس إقبال: المرجع السابق، ص١٦٨ ؛ حسن الأمين: المرجع السابق، ص٢٢٢ ؛ سعد ابن حذيفة الغامدي: سقوط الدولة العباسية، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٣٦٠.

(٣) اسمه شمس الدين عمر القزويني، ويعرف بسروران، وأصله من "سروران قزوين" وسروران تعني: أكابر، سادة، رؤساء،. انظر ابن بيبي: الأوامر العلائية ص٤٥٢؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٢٤١.

(٤) أرزن الروم :مدينة مشهورة بنواحي أرمينية قرب مدينة خلاط , ولها قلعة حصينة. ياقوت الحموي: مصدر سابق, ج١ ص ١٥٠.

والعطايا ليرسلها إلى الخان بواسطة الرسول نفسه لكن المنية عاجلته قبل مغادرة الرسول بلاطه(1).

ومن يمعن النظر في الروايتين، لا يسعه التوفيق بينهما، كما لا يسعه أيضاً إلاّ ترجيح رواية ابن بيبي، وذلك لعدة اعتبارات منها: معاصرته وإطلاعه على خفايا ما كان يدور في بلاط السلطان علاء الدين بحكم الوظيفة التي كان يشغلها(2) وكذلك غزارة التفاصيل التي أوردها مع وحدة الموضوع(3) بينما كانت رواية ابن العبري مقتضبة، ولم يشر أبداً إلى سفارة التاجر القزويني التي أوردها ابن بيبي في حوادث سنة٦٣٣هـ/١٢٣٦م، كما ذُكر آنفاً.

أما على صعيد السياسة الداخلية، فقد قام السلطان بعدة إجراءات تمثلت في: الاستيلاء على مناطق حدودية جديدة، وتحصينها، مع تحصين أمهات المدن مثل قونية(4) وقيسارية(5)، وتعيين حكام في المناطق الحدودية، خاصة الشرقية، وشحنها بالمقاتلين والمؤن(6) وتتضح أهمية هذا الإجراء إذا

---

(١) الأوامر العلائية، ص٤٥٣ ٤٥٥ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٢٤٢-٢٤٤ ؛ ونقلها عنه المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٠ب ؛ Turan :Slcuklular Zamaninda Turkey. s. 385.

(٢) كان أميراً لديوان الإنشاء في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ الأول، انظر: أخبار سلاجقة الروم مقدمة المترجم، ص "ل".

(٣) صبري سليم: المرجع السابق، ص٤٨.

(٤) قونية: من أعظم مدن الإسلام ببلاد الروم . وبها سكني ملوكها. ياقوت الحموي: مصدر سابق،ج٤ ص ٤١٥.

(٥) قيسارية: من أعظم مدن الإسلام ببلاد الروم ،وهي كرسي ملك بني سلجوق . ويقطنها الكثير من اليهود والمسيحين . وبها الكثير من الخيرات. . ياقوت الحموي: مصدر سابق، ج ٤ ص ٤٢١-٤٢٢.

(٦) ابن نظيف الحموي (أبو الفضائل محمد بن علي بن نظيف، عاش في النصف الأول من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي) التاريخ المنصوري، تحقيق: أبو العيد دودو، مطبعة الحجاز، دمشق ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٢٥٥ح ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص١٢٨، ١٢٩، ٢٢٢، ٢٢٤-٢٢٥.

عرفنا أنّ المغول كانوا يخافون من الحصون[1] وربما كان السلطان على علم بهذه الحقيقة.

ومن تلك الإجراءات أيضاً، الاستفادة من فلول الجيش الخوارزمي بعد انهيار دولتهم، حيث احتضنهم السلطان علاء الدين وأقطعهم عدة مناطق[2] وما من شك أنه سعى للاستفادة منهم في مواجهة المغول[3] بناءً على تجاربهم السابقة في مواجهة هذا الخصم العنيد.

كما أشار بعض الباحثين إلى أنّ السلطان وضع ميزانية خاصة لمواجهة الخطر المغولي قُدرت بمئة مليون دينار ذهبي، وكانت - في حينها - أكبر ميزانية عسكرية في العالم[4].

ولقد أجّلت هذه السياسة الحكيمة السقوط المريع لدولة سلاجقة الروم في براثن المغول، وكان يمكن أن تمنعه بالكلية، لو أنها وجدت من يتبناها ويسير على نهجها من خلفاء السلطان علاء الدين كيقباذ الأول ولكننا نجد ابنه وخليفته غياث الدين كيخسرو الثاني يفشل في الحفاظ على هذه السياسة، رغم أنه كان المستفيد الأكبر منها، وجنى معظم ثمارها.

سياسة كيخسرو الثاني، الداخلية والخارجية:

بعد وفاة السلطان علاء الدين كيقباذ الأول، حيكت أولى المؤامرات، وتم تنصيب غياث الدين كيخسرو الثاني سلطاناً رغم أنّ السلطان المتوفى لم يوصِ له بالملك من بعده، بل عهد بولاية عهده لابنه الأصغر عز الدين قلج أرسلان، ابن الملكة العادلية الأيوبية.لكن بعض الوزراء المتآمرين - بزعامة

(١) عادل هلال: العلاقات بين المغول وأوربا وأثرها على العالم الإسلامي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص٤١.

(٢) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٢٩ ؛ ابن واصل مفرج الكروب، ج٤، ص٣٢٥.

(٣) العريني: المغول، ص١٧٧.

(٤) يلماز: المرجع السابق، ص٧٣.

سعد الدين كوبك[1] - نجحوا في اجلاس غياث الدين كيخسرو الثاني على العرش، وإقصاء ولي العهد الموصى له، بل تخلصوا منه ومن شقيقه و أمهما الملكة العادلية بطريقة بشعة[2].

وبعد أنْ صفا المُلك لكيخسرو الثاني، سيطر وزيره سعد الدين على شؤون الدولة.[3] وانتهج - بموافقة سيده كيخسرو الثاني - سياسة مناقضة للخط الذي انتهجه السلطان الراحل - كيقباذ الأول - قام بعدة أعمال.

أما على صعيد السياسة الخارجية:

فعلى الصعيد الخارجي تم انفاذ ما كان قرره السلطان كيقباذ الأول قبيل وفاته بأيام من إعادة رسل المغول إليهم محملين بالهدايا مع اعتراف بالتبعية والسيادة المغولية، ودفع إتاوة سنوية[4] ومن الجدير أنّ أوكتاي قاآن المغول، أبدى أسفه الشديد وحزنه العميق لدى سماعه نعي السلطان كيقباذ الأول[5].

كما قام بالاتصال بالخلافة العباسية في بغداد، فقد أوردت المصادر تردد الرسل بين الطرفين، وإنْ لم يتم الكشف عن مضمون معظم ما يحملونه من رسائل، وإنْ كانت لا تتعدى مجرد التنسيق، ومحاولة رأب الصدع بين سلاجقة الروم والأيوبيين والأراتقه[6] في بلاد الجزيرة[1].

---

(١) سعد الدين كوبك "Kopek" ومعنى كوبك (الكلب) الوسيمي: سلطنة سلاجقة الروم، ص١٥٣.

(٢) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٤٨-٢٤٩ ؛ المولوي: صحائف الأخبار ورقة ٥٨٠أ-ب.
Leiser: Ahistory. of the Seljuks ,p77, Turan:Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 248

(٣) عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة، ص٢٦.

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٤٥٦ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص٢٤٤ ؛ المولوي: صحائف الأخبار، ورقة ٥٨٠ب.

(٥) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٤٤.

(٦) الأراتقة: أسرة تركية تنسب إلى جدهم أرتق بن أكسك، أحد القادة في دولة السلاجقة العظام، أقام له دولة توارثها أبناؤه من بعده، في بلاد الجزيرة والشام، وانقسمت إلى عدة إمارات وفروع منها: حصن كيفا وآمد (٤٩٥-٦٢٩هـ/ ١١٠١- ١٢٣١م) وخرتبرت ° ٥٥١- ٦٦٠هـ/ ١١٨٥-١٢٦١م) وماردين (٥٠٠ ٨١١هـ/ ١١٠٦- ١٤٠٨م) زمباور: معجم الأنساب، ص٣٤٤ ؛

سبقت الإشارة إلى أنّ السلطان كيخسرو الثاني، كان أكبر المستفيدين من سياسة والده، حيث ورث عنه دولةً مستقرة، وقوية وفي مأمن من خطر المغول فاستطاع تحقيق بعض المكاسب الخارجية في بداية حكمه.[٢] فنجح في التوسع على حساب جيرانه و أضاف أملاكاً جديدة إلى مملكته، فتمكنت جيوشه سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م، من ضم سيمساط، والقلاع المجاورة لها، ومدينة آمد[٣] وميافارقين[٤] بل أصبح مسيطراً على معظم منطقة ديار بكر[٥] إلاّ أنّ هذا التوسع لا يمكن مقارنته بما تم في عهد السلطان كيقباذ الأول، فالتوسع الأخير لم يكن له هدف ولا غاية ولا خطة، فأصبح

ولمزيد من التفاصيل انظر: عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

(١) كتاب الحوادث، لمؤلف من القرن الثامن الهجري وهو الكتاب المسمى وهماً بالحوادث الجامعة والتجارب النافعة، والمنسوب لابن الفوطي حققه وضبط نصه، بشار عواد معروف وعماد عبد السلام رؤوف دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م. ص٢١٠-٢١١ ؛ ابن دقماق (صارم الدين ابراهيم بن محمد العلائي، ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م) نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، دراسة وتحقيق: سمير طبارة، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص١١٨.

(٢) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص٥٥.

(٣) آمد: قصبة دياربكر، ثالث ديارات الجزيرة الفراتية، وتكتب أحياناً حامد، وسماها الرومان آمدا " Amide وغلب عليها اسم ديار بكر، وهو اسمها في الوقت الحاضر، وهي غربي نهر دجلة، ولها أسوار وأبواب، يضرب بها المثل في الحصانة، أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٧٣ ؛ لسترنج: المرجع السابق، ص١٤٠-١٤٢.

(٤) مَيّافارقين: وبالأرمنية (موفركنMoufargin) وباليونانية (مرتيرو بولسMartyropolis) مدينة قديمة، مبنية بالحجارة البيضاء، لها سور وشرفات وهي جزء من ديار بكر من الجزيرة، وهي قريبة من آمد، واسمها في الوقت الحاضر سلفان. ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص٢٣٥-٢٣٨ ؛ لسترنج: المرجع السابق، ص١٤٣ ١٤٤ ؛ يلماز: المرجع السابق ص٧٤.

(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨١ب ٥٨٢أ ؛ ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٥٦، ٢٦٦ ؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج٣، ق٢، ص٢٥٤ ؛ عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة، ص٢٦.

وديار بكر أصغر الديارات الثلاث التي تتكون منها الجزيرة الفراتية فأكبر منها: ديار ربيعة، وديار مضر. ومن مدن ديار بكر: آمد، حاني ميافارقين، آرزن، وحصن كيفالسترنج: المرجع السابق، ص١٤٠-١٤٦.

عبئاً إضافياً كلف الدولة كثيراً من مواردها البشرية والمادية[1] وأشغلها فترة طويلة، وصرفها عن أمور كانت معالجتها أولى وأهم.

أما الدول المجاورة لدولة سلاجقة الروم، فلم تتوان - في هذه الفترة - في إعلان تبعيتها لها، فخُطب للسلطان كيخسرو الثاني على منابر البلاد الخاضعة لحكم الأراتقة في الجزيرة والإمارات الأيوبية فيها وفي بلاد الشام، كما سُكّت العملة باسمه[2].

وزاد على ذلك، بأن صاهر الأيوبيين، فزوجهم وتزوج منهم[3] والحقيقة أن اختلاف الأيوبيين، واندلاع الحروب الأهلية بينهم، جعلهم يتسابقون للفوز بدعم سلاجقة الروم، والإستعانة بهم ضد بعضهم البعض[4].

أما الدول النصرانية المجاورة، فإنها أصبحت بدورها تابعة لسلطان قونية وأعلن حكام كل من:طرابيزون "Trabizon"[5] ونيقية "Nicaea"[1] وأرمينية الصغرى[2] ولاءهم لدولة سلاجقة الروم[3].

---

(١) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص٥٦.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٢أ.

(٣) تولى المؤرخ ابن العديم كتابة عقد نكاح كيخسرو الثاني على غازية خاتون، أخت الملك الناصر الأيوبي صاحب الشام (٦٣٤-٦٥٩هـ/١٢٦١ـ١٢٣٦م) كما تزوج الملك الناصر ملكة خاتون، أخت كيخسرو الثاني، وأمها الملكة العادلية. ابن العديم زبدة الحلب، ج٣، ص٢٤٠ ومابعدها، وانظر: رأفت محمد النبراوي: درهم أيوبي يسجل مصاهرة ملكية "يتعلق بزواج غياث الدين كيخسرو بأخت الملك الناصر يوسف مجلة العصور، مجلد ٢، ج١، ١٩٨٧م. ص١٧٢.

(٤) علي محمد الغامدي: بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، ص٣٣٤ ؛ أحمد توتي: المرجع السابق، ص١٢٦-١٢٨.

(٥) أقام الكسيوس الأول كومنينوسAlexius I Comnenus حفيد الامبراطور أندرونيكوس الأول Andronicus 1 (٥٧٩هـ/١١٨٣-٥٨١هـ/١١٨٥م) امبراطورية في طرابيزون إثر سقوط القسطنطينية بأيدي جنود الحملة الصليبية الرابعة سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٤م. انظر: علي محمد الغامدي :ا لنفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود، مجلة المؤرخ المصري، العدد ص١٧٦؛
Vasiliev,(A. A):The Foundation Of the Empire Of Trebizond (1204-1222) Speculum, vol,xI (1936) p. 3-37.
وعن الحملة الصليبية الرابعة ونتائجها، انظر: إسمت غنيم: الحملة الصليبية الرابعة ومسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية، دار المجمع العلمي، جدة ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨م.

وأيضاً سادات العلاقات الودية بين دولة سلاجقة الروم، ومملكة الكرج التي تحدها من الشرق، وتوجت بالمصاهرة، حيث تزوج السلطان كيخسرو الثاني الأميرة تمارا "Tamara" ابنة ملكة الكرج المشهورة روسودانRusudan(٤) وبالغ في استقبالها حين قدومها إليه، وتركها على دينها القديم- النصرانية- إلى أن هداها الله إلى الإسلام، فأسلمت فيما بعد(٥).

وطرابيزون، وأحياناً تكتب طرابزند ميناء في جنوب آلبحر الأسود، مشهور بالتجارة إذ تربط بين القسطنطينية في الشمال وأراضي العالم الإسلامي في الجنوب. انظر ابن حوقل (محمد بن حوقل- ت ٣٨٠هـ/١٩٩٠م) صورة الأرض منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٧٩م، ص١٢٩، ١٣٢؛ Miller, William: Trabizond last Grec Empire, London, 1920,p25,70- 72.

(١) نتيجة أيضا لإستيلاء الصليبيين على القسطنطينية تمكن ثيودور لاسكاريس Theodor Lascaris صهر الإمبراطور الكسيوس الثالث "Alexius III" (٥٩٢-٦٠٠هـ/١١٩٥- ١٢٠٣م) من إقامة امبراطورية في نيقية الواقعة في الشمال الغربي من آسيا الصغرى، حوالي سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م. وتلقب بلقب "امبراطور الرومان" انظر: حسنين ربيع: دراسات في تاريخ الدولة آلبيزنطية دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٣م، ص٢٧٠؛ عمر كمال توفيق: تاريخ الدولة آلبيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٥م، ص٢١٢

(٢) تمكن الأرمن بقيادة روبين الأول "Ruben1" من انشاء امارة في قيليقيه "Cilicia" وذلك سنة ٤٧٣هـ/١٠٨٠م، وتحولت فيما بعد إلى مملكة، ووطن بديل للأرمن، وأطلق عليها مسمى "أرمينية الصغرى" تمييزاً لها عن أرمينية (الكبرى) الموطن الأصلي للأرمن. ولعبت مملكة أرمينيا الصغرى دوراً خطيراً في الصراع بين الشرق الإسلامي والغرب النصراني، انظر: مروان المدور: الأرمن عبر التاريخ مكتبة الحياة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٢م. ص٢٢٢-٢٢٤ ؛ ٢٢٥

(٣) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص٥٥ ٥٦ ؛

Vryonis, speros: The Decline Of Medieval hellyenism in Asia Minor and the Process Of Isamization from the eleventh throughThe FIfteenth Century Berkeley Los Angeles. London. 1971. p. 134,Cambridg History of Islam. Vol,1,P247.

(٤) روسودان، أو رسسودان، بنت الأمير داويد سوسلان، وأمها الملكة "تمارا" بنت الملك جورج الثالث، تولت روسودان العرش، سنة ٦٢١هـ/١٢٢٣م، خلفا لأخيها الملك "لاساLasa" وفي عهدها خضعت آلبلاد لحكم الخوارزميين ثم المغول، وتوفيت سنة ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م. يوسف عزت باشا: تاريخ القوقاز، نقله إلى العربية: عبد الحميد غالب بك، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م، ص ٣٨-٣٩.

(٥) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص ؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٤٠٣؛ تاريخ الزمان، ص٢٨٣-٢٨٤.

Ibn-bibI:EL- HUSEYN-B. M. A. C: EL-Evamirul – aliyye fi, L-umuril- Alaiyye. Onsoz Vefihrizti hazir liyan: Adnan Sadik Erzi,1. Tipkibasim,Ankara 1965, s. 483-485

وربما هدفت ملكة الكرج رسودان من وراء ذلك الزواج كسب حليف قوي، ويقف إلى جوارها ضد هجمات المغول التي أخذت تتوغل في مملكتها(١) ولهذا الأمر دلالته فهو مؤشر خطير على ضعف عقل السلطان، وانشغاله عن شئون الدولة بتوافه الأمور(٢).

والجدير بالذكر أنّ المصادر تكاد تجمع على أن كيخسرو الثاني كان منصرفاً إلى اللهو والطرب، واللعب حتى بالسباع والكلاب، ومجالسة الأراذل والتشاغل عن أمور الدولة(٣) ولقد علّق المؤرخ ابن كثير على ذلك بقوله: "وقالوا الملك لا ينبغي له أن يلعب ويلهو، ..وصدقوا فيما قالوا، فإن لعب الملوك والأمراء وغيرهم، دليل على زوال النعم، وخراب الملك، وفساد الرعية"(٤) وكان من سوء طالع دولة سلاجقة الروم، أن وفاة السلطان علاء الدين كيقباذ الأول جاءت فجأة(٥) ولم يخلفه من يملك صفاته، فعدّ أحد الباحثين

---

(1) Brosst. M: Histoire de La Georgi I. ST-Petersburg 1879,S. 502,524-525,Quatremere (E. M): Histoire des Mongols de la perse, paris,1836,s. 368. Turan:Selçuklular Zamaninda Türkiye , S. 415

(٢) ولقد شغف السلطان كيخسرو الثاني بزوجته الكرجية، حتى أنه رغب في سك اسمها على النقود، لولا الانتقادات والضغوط التي انهالت عليه من بعض مستشاريه، فعدل عن رغبته إلى حدّ ما. حيث سك عملة نقدية في قونية، صور نفسه فيها على هيئة سبع، وزوجته الكرجية على هيئة شمس مشرقة على ما حولها. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٧٧ ؛ تامارا تالبوت رايس: السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، نقله إلى العربية لطفي الخولي وإبراهيم الداقوقي، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٨م ص١١١ ؛ محمد باقر الحسيني: نقود السلاجقة، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص١٢٦ ؛ Brosse t :Op. Cit,s. 524-525.

(٣) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ص٧٤٢ ؛ المختار من تاريخ ابن الجزري المسمى، حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه. اختيار شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م، تحقيق: خضير عباس المنشداوي دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨، ص١٨٥ ؛ ابن كثير (أبوالفداء الحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرون دار الريان للتراث القاهرة: الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١٣، ص٣٠٤.

(٤) المصدر نفسه والجزء، والصفحة.

(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٤٥٦ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٢٤٦.

تلك الوفاة أكبر عوامل الضعف التي أصابت الدولة[1] والحقيقة أنّ وفاته لم تكن وفاة رجل واحد، "ولكنه بنيان قوم تهدّما"[2].

أما على صعيد السياسة الداخلية:

فقد ظهر جلياً الفرق بين عهدي كيخسرو الثاني وسلفه، فإن كانت هذه السياسة حفظت استقلال كيقباذ الأول وحُسن استعداده للأخطار المحدقة به، وبلغت بها الدولة ذروة مجدها، فإن تغيّرها في عهد خليفته كيخسرو الثاني كانت إرهاصات للسقوط المريع الذي مُنيت به على أيدي المغول.

فلم يلبث الوزير سعد الدين كوبك الذي أمسى مسيطراً على الدولة أن قادها إلى الهاوية وفي غفلة من السلطان القليل الخبرة والدراية، فكان من أولى الخطوات التي اتخذها، الوشاية بزعيم الخوارزميين قيرخان[3] ومن ثم اعتقاله في إحدى القلاع[4] حيث توفي فيها فجأة، فثار أتباعه وأعلنوا تمردهم على الوزير وسلطانه، فعمّ التزلزل، وفشا الاضطراب، وخرجوا على حميّة[5] وأغاروا، ونهبوا نواحي خرتبرت[6] وملطية وعبروا الفرات متجهين إلى الشام

---

(١) عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة، ص٢٦.

(٢) هذا عجز بيت من الشعر، وصدره :"وما كان قيس هلكه هلك واحد"، وهو منسوب إلى عبدة بن الطيب من قصيدة له يرثي فيها الصحابي قيس بن عاصم المنقري رضي الله عنه، الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٢٠٦.

(٣) قيرخان وتكتب أحياناً غايرخان، الأمير حسام الدين، مقدم الخوارزمية وزعيمهم، كان السلطان علاء الدين يكرمه غاية الإكرام، وأقطعه أرزنجان ثم زاده سيواس، ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٤٥ ؛ المولوي صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨١ب.

(٤) ذكر ابن بيبي أنّ اسم القلعة "زمندو" ولم أجد لها تعريفاً فيما توفر لدي من مصادر.

(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٤٦٨ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٢٥١ ؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٣٧ ٤٣٨.

(٦) خرتبرت: بالفتح ثم السكون، وفتح التاء، وباء مكسورة، وراء ساكنة، وهو الاسم الأرمني أما اسمها العربي فهو حصن زياد، في أقصى ديار بكر، يبعد عن ملطية مسافة يومين و بينهما الفرات، وتعرف اليوم باسم خربوط. ياقوت: المصدر السابق ج٢، ص٣٥٥-٣٥٦ ؛ لسترنج: المرجع السابق، ص١٤٩.

وحاولت فرقة من جيش سلاجقة الروم اللحاق بهم، فاشتبك الجانبان في معركة حامية كان النصر فيها من نصيب الخوارزميين الذين واصلوا سيرهم نحو بلاد الشام[(١)].

وقد اشتعلت فتنة الخوارزميين في السنة الأولى التي تولى فيها كيخسرو الثاني الحكم "٦٣٤هـ/١٢٣٦م" ولم ينطفئ أوارها إلاّ سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م[(٢)] وهي السنة التي دخل فيها المغول أراضي آسيا الصغرى كمحتلين لا مغيرين.وكلفت هذه الفتنة الدولة كثيراً من الجهد وألحقت بها أفدح الخسائر سواءً الاقتصادية أو العسكرية[(٣)]وتحول هؤلاء الخوارزمية من حلفاء أقوياء يمكن الاعتماد عليهم، والوثوق بهم إلى أعداء الدّاء، يسعون بكل ما أوتوا من قوة إلى تقويض أركان الدولة ولقد أدرك المؤرخون خطورة هذه الخطوة، التي أقدم عليها الوزير كوبك، بمباركة من السلطان كيخسرو الثاني، فعلق عليها أحدهم بقوله: "...فأول قارورة كسرت في دولته أنه أوحش الخوارزميين، فخرجوا من بلاده "[(٤)].

ومما زاد الطين بلة أن فتنة الخوارزميين، وإخراجهم من آسيا الصغرى تزامنت مع ظهور حركة بابا اسحق.المشار إليها أنفاً[(٥)].

ولم يتوقف الوزير سعد الدين كوبك عند هذا الحد من الفساد، وسوء الإدارة، بل تمادى في غيّه، وأراد التخلص من كبار الأمراء، ورجال الدولة، الذين بات يخشى منافستهم، وأيقن أنه لن يصل إلى ما يشتهي، من التحكم

(١) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٥١ ؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٣٧-٤٣٨ ؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٥، ص١٣٥.
(٢) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٣، ص٢٦١ ؛ ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٤٨٧-٤٩٣؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٢٦٤ ٢٦٥.
(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٢أ؛ ابن بيبي: الأوامر العلائية ص٤٦٨ أخبار سلاجقة الروم ص٢٥١ ؛ صبري سليم: المرجع السابق، ص٥٢-٥٣.
(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ورقة ٥٨٢أ.
(٥) انظر: كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص٥٦.

في شئون الدولة، وتسيير دفتها منفرداً، إلاّ بالتخلص منهم، كونهم أقرانه وأنداده، وبناءً عليه، وضع مخططاً لإزاحتهم من طريقه واحداً تلو الآخر، وفتح بذلك باباً، لم يغلق بعده، وتمثل في الصراع بين الوزراء وكبار رجال الدولة، والذي لم يتوقف حتى بعد أن أصبحت الدولة تابعة فعلياً للمغول.وسنعالج هذا الموضوع في مبحث قادم إن شاء الله.

وبدأ الوزير كوبك مشروعه في تصفية خصومه، بالوشاية بالأمير شمس الدين"ألتونبه" الجا شنكير[1] "Alton- aba"وكان شيخاً كبيراً تولى أتابكية[2] السلطان كيقباذ الأول، وكان من نصحاء الدولة، وقدماء الأمراء فأمر السلطان باعتقاله في أنطالية، [3]ومن ثم قتله في شتاء عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م ولم تعرف له جريمة ارتكبها، أو ذنب اقترفه.[4] لكنه ـ بقدرة الله ـ نجا هذه المرة من الموت، وتوارى عن الأنظار، مدة طويلة.وبعد ذلك أشار الوزير كوبك على سلطانه بالتخلص من أخويه: عز الدين، وركن الدين، وأمهما الملكة العادلية.فأُزهقت أرواحهم بعد إيداعهم السجن فترة قصيرة.[5]

---

(١) الأمير شمس الدين أبو سعيد آلتون آبا بن عبد الله، الأمير الاسفهسلار أحد قواد الجيوش في عهد السلطان قلج أرسلان الثاني (٥٥١ـ ٥٨٨هـ/ ١١٥٦ـ١٢ ١١٦ م) وابنه ركن الدين سليمان شاه (٥٩٢ـ ٦٠٠هـ/ ١١٩٥ ١٢٠٣م) كما عاصر السلطان علاء الدين كيقباذ الأول وتولى الأتابكية عنده إذ كان رقتها شيخاً مسناً. انظر وقفية آلتون آبا منشورة لدى:
Turan,Osman:SelcukDevriVakfiyeleri"Belleten",X1,Ankara,1947. s. 233-234,"Altin-aba ve Vakfiyesi, Belleten 42 (1947)
وانظر أيضا: نوره بانياب: المرجع السابق، ملحق رقم :٣ ص٤٨٧.

(٢) أتابكية: وظيفة يُسمى من يتولاها أتابك، وهو لفظ تركي، مركب من مقطعين: أتا بمعنى "أبٌ " أو الشيخ المحترم، و: بك، ومعناها أمير. واستخدم هذا المصطلح منذ أواخر العصر العباسي، ويقوم متوليه على تربية أبناء الملوك، وكثر استخدامه عند ملوك السلاجقة. وفي العصر المملوكي أصبح لقباً لأمير الجيش وقائده. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٨ ؛ ابن كنان: المصدر السابق، ص١١٣ ؛ الخطيب: المرجع السابق ص١٧.

(٣) أنطالية: على وزن أنطاكية، وعند الصليبيين: ستالية Satalia أو: أتالية Attaleia وهي مدينة قديمة، تقع جنوب آسيا الصغرى، على ساحل البحر الأبيض المتوسط، إلى الجنوب الغربي من قونية، وإلى الغرب من مدينة العلائية، والمسافة بينهما مائة ميل، علي محمد الغامدي: أنطالية في عصر الحروب الصليبية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ص٢.

(٤) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٥٢ ؛ المولوي: صحائف الأخبار، ج٢، ورقة ٥٨أ-ب.

(٥) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٥٣.

ثم التفت الوزير إلى خصم آخر، وهو الأمير تاج الدين "پروانه"[(١)] "Bervana" ابن القاضي شرف الدين الأرزنجاني، وكان أميراً فاضلاً بارعاً في الخط والبلاغة، مشاركاً في العلوم، خاصة الفقه والعربية، فأُلصقت به تهمة اقتراف الزنا، وشهد عليه شهود الزور، فأقيم عليه الحد رجماً، في مدينة أنكورية[(٢)].

وبعد نجاح الوزير كوبك في التخلص من هؤلاء الأمراء تفاقم شره وزادت هيبته، وملأ الرعب قلوب رجال الدولة فلم يسعهم معارضته.[(٣)]

وبالرغم من كل هذا، وجد كوبك نفسه غير مطمئن حتى يتخلص من آخر الأمراء الكبار، بل ربما كان أكبرهم على الإطلاق، فهو كبير قواد الجيش في عهد كيقباذ الأول، وحقق له انتصارات عديدة[(٤)] وكان يلقب بـ"ملك الأمراء"[(٥)] بالحضرة السلطانية، وبلغ مكانة " كان أهل العالم بأسره

---

(١) پروانه Bervana لفظ فارسي معناه في الأصل الحاجب، وقد أُطلق في دولة سلاجقة الروم على الوزير الأكبر. انظر العيني :(بدر الدين محمود العيني ت، ٨٥٠ هـ/١٤٥١م) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، عصر سلاطين المماليك. ج٢، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ص١٦٤ ؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٥٧٢، حاشية (١)، ص٦٤٧ والجدير بالذكر أن المصادر الفارسية تكتبه على هذا النحو " پروانه " بينما المصادر العربية تكتبه: برواناه. Quteremere: Op. Cit. 1. 2. p. 57,n. 69.

(٢) وأنكورية وهي أنقرة الحالية، عاصمة الجمهورية التركية (١٧٠- ١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م) وهي إلى الجنوب الشرقي من قسطمونية بينهما مسافة خمسة أيام. القزويني: آثار البلاد، ص٥٠٦ ؛ ابن سعيد: الجغرافيا ص١٨٥-١٨٦.

(٣) المولوي :صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨١أ ؛ ابن بيبي:أخبار سلاجقة الروم، ص٢٥٥-٢٥٦.

(٤) انظر ابن بيبي: الأوامر العلائية ص٤٢٠؛أخبار سلاجقة الروم، ص٢٠١، ٢١٣ ٢١٩.

(٥) ملك الأمراء، وبالتركية"بكلربكي"(بكربكي)، وبالفارسية "ميرميران"، لقب عُرف منذ العصر العباسي، وكان في بدايته فخرياً، ثم تحول إلى وظيفة، هي أعلا وظائف الدولة في دولة بسلاجقة الروم، تلاشت في ظلها الوزارة أو كادت، وكان يختص بها كفال الممالك من نواب السلطنة، ومتوليها يقوم مقام السلطان في التصرف. ، وكان صاحب هذا المنصب أيضاً يتولى القيادة العامة للجيش بكافة فروعه. البقلي، محمد قنديل: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣، ج١٥، ص٣٢٧ ؛ دائرة المعارف الإسلامية تسترتشين، ج٤، ص ٤٣٦؛ مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٦٥-٦٨؛ صبته عبد الله: المرجع السابق، ص٢٢٧.

يحسدونه عليها "[1] إضافة إلى ما اتصف به من شجاعة وحسن تدبير، وبراعة في العلوم، ومكارم الأخلاق وخبرة في معالجة الأمور، وبالجملة كان من "أكابر الدهر وفضلاء العصر"[2] ذاك هو الأمير كمال الدين "كاميار Kamyar"، فوشى به الوزير عند سلطانه، والذي لم يتعود أن يطلب من وزيره برهاناً على ما يدعيه فسُجن كاميار في إحدى القلاع[3] ثم قتل، ولم يجرؤ أحدٌ على الكلام[4]. والحقيقة أنه لم يكن لكاميار ذنب، سوى أنه لم يتدخل لإيقاف الوزير كوبك عند حدّه عندما بدأ يتخلص من الأمراء السابقين، مع أنه كان قادراً على أن يفعل ذلك، بحكم مكانته ونفوذه القوي في الدولة[5].

ونرى أنه نتيجة لتصرفات الوزير كوبك، فقدت الدولة بعض أركانها المهمة، فكل الذين تم قتلهم هم من أمراء السلطان كيقباذ الأول، وأعوانه المقربين، الذين يثق بهم، وحقق بمساعدتهم مكاسب جمة للدولة حتى عُدّ عهده العهد الذهبي في دولة سلاجقة الروم[6] فإذا كان فَقْد السلطان كيقباذ الأول خسارة فادحة للدولة، فإن غياب - أوتغييّب - كبار أمرائه وأعوانه، خسارة ثانية لا تقل في فداحتها عن الخسارة الأولى.لا سيما وأن الخطرالمغولي لازال باقياً، بل متفاقماً ويقترب رويداً رويداً من حدود الدولة السلجوقية في آسيا الصغرى.

وفي خضم هذا التدهور الذي أصاب دولة سلاجقة الروم، خاصة على الجبهة الداخلية، بدأت الغارات المغولية تمس كيان الدولة، ولم يتحسن

---

(١) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٣٩.

(٢) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٥٨.

(٣) وتسمى هذه القلعة "كاولة" انظر ابن بيبي: المصدر نفسه، ص٢٥٨، ولم أعثر على تعريف لها فيما توفر لدي من مصادر. ويبدو أنها كانت معتقلاً لمن يريد السلطان معاقبته انظرالمصدر نفسه، ص٣٣، ٢٥٨، ٣٩٣.

(٤) المولوي: المصدر السابق، ج١، ورقة ٨٢أ؛ ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٥٨.

(٥) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٥٢.

(٦) انظر: عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة، ص٢١-٢٦.

الوضع الداخلي، حتى بعد صحوة السلطان كيخسرو المتأخرة من غفلته، إذ أدرك بعد فوات الأوان، أنه وقع تحت تأثير وزيره كوبك، وانساق وراء رغباته، وأطلق يديه في التخلص من كبار رجال الدولة وأنه ربما كان هو نفسه الضحية القادمة في مخطط الوزير كوبك.[1] لذلك قرر التخلص منه، ودبّر مع حراسه وبعض أمرائه، مسألة اغتياله وتم ذلك في قصر السلطان في مدينة قباد آباد[2] وهكذا شرب الوزير كوبك من الكأس التي طالما سقاها للآخرين وفي محاولة منه لترميم الجبهة الداخلية - إثر تخلصه من الوزير كوبك - اختار السلطان كيخسرو الثاني الصاحب[3] مهذب الدين ليتولى الوزارة[4] وجيء

(١) المولوي: المصدر السابق، ج١، ورقة ٥٨٢ب ؛ ابن بيبي: الأوامر العلائية ص٤٨١؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٢٥٩.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٤٨٢ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٢٦٠. وقوباد آباد، مدينة بُنيت في عهد السلطان علاء الدين كيقوباد، و هو الذي اختار موقعها، وتقع في القسم الجنوبي من آسيا الصغرى نواحي أنطالية، انظر: أخبار سلاجقة الروم ص١٨١، ٢٧٣. وربما أنّ هناك جزيرة في البحر المتوسط، مقابلة لمدينة قوباد آباد، وسميت باسمها.

(٣) الصاحب: من معانيها المرافق، والقائم على الشيء، والمتولي له، المعجم الوسيط، ص٥٣٢. ووردت في التاريخ الإسلامي مضافة إلى غيرها، مثال: صاحب القلم، صاحب السيف، وكثيراً ما يطلق هذا اللقببدون إضافة على الوزير الأكبر في دولة سلاجقة الروم، انظر: ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، في مواضع عديدة من الكتاب.

(٤) مهذب الدين علي بن محمد بن حسن الكازي، قيل إن أصله من عراق العجم، حفظ القرآن الكريم وأتقنه، و اشتغل بالعربية وتصدى لتدريسها، نزح من دياره إبّان تعرضها لغزو المغول، ودخل آسيا الصغرى واستقر بها، وتوصل إلى أن أصبح معلماً لأولاد معين الدين مستوفي دولة سلاجقة الروم في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ الأول، وكان المستوفي المذكور يحضر مجالسه في بعض الأوقات، فرآه بارعاً في العربية، فقال له :" لو تعلمت الحساب لكان أرفع لك في المكانة والرزق، فتعلم الحساب على يد المستوفي، وبرع فيه، وكان المستوفي يطلب الإقالة من السلطان والأخير يرفض، فعينه المستوفي نائباً عنه ومازال به حتى رتبه مستوفياً مستقلاً، ولمس منه السلطان علاء الدين كفاية ومقدرة، فاستوزره، وعظم شأنه، وتقدم عنده، واستمر في الوزارة في عهد كيخسرو الثاني، حتى وافته منيته. ابن شداد (عز الدين محمد بن علي ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م) تاريخ الملك الظاهر، باعتناء أحمد حطيط، دار النشر فرانز شتايز بقسيادن، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٨٥ ؛ اليونيني (قطب الدين موسى بن محمد، ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م) ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٣، ص٢٦٨ ؛ ٢٦٩.
والمستوفي هو الذي يشغل وظيفة الإستيفاء، وهي وظيفة رئيسية على متوليها مدار أمور الدولة في الضبط والتحرير ومعرفة أصول الأموال ووجوه مصارفها. صبح الأعشى ج٤ص٣٠.

بالأمير جلال الدين قرطاي من منفاه[١] وأُسندت إليه وظيفة."الطست خانه"[٢] وخزانة الخاص[٣]، كما أسندت نيابة السلطنة إلى الصاحب شمس الدين الإصفهاني[٤].

وقد تأثرت آسيا الصغرى ـ كمثيلاتها من بلدان المسلمين ـ بالهجمات التي شنها المغول، على الجزء الشرقي من العالم الإسلامي، والتي كانت تنبئ عن شدة الخطر القادم، فاستقبلت آسيا الصغرى مهاجرين جدد قصدوها للاحتماء بها، وللنجاة بأرواحهم من عدو شرس اجتاح أراضيهم، ولا يتورع عن قتلهم، أو نهبهم، والتنكيل بهم، وبدأ سلاجقة الروم بالاستعداد للمواجهة وأحسن السلطان علاء الدين كيقباذ الأول التصرف في هذا الظرف العصيب لكن خلفاءه جانبهم الصواب فوقعوا ضحية للمارد المغولي القادم بكل قوة من الشرق.

(١) كان من قدر الله سبحانه وتعالى على الأمير جلال الدين قرطاي أن أبعد عن بلاط السلطان كيخسرو الثاني، ونفي في مكان منعزل بأمر الوزير سعد الدين كوبك، ولم يأمر بقتله كما فعل بالآخرين من أنداده كما سبقت الإشارة إليه. أنظر :ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم ص٢٦١.

(٢) الطست خانه: قال القلقشندي بالطاء المفتوحة، بعدها سين مهملة وهو الصواب، وقد غلب على الناس استعمال لفظ الطشت بشين معجمة مع كسر الطاء، وهي لفظة فارسية مكونة من كلمتين الطست: أو الطست وهو إناء كبير مخصص للغسيل، وخانه أوخاناه ومعناه بيت، فيكون المعنى: بيت إناء الغسيل، وهو مكان مخصص لملابس السلطان، والأدوات المنزلية الخاصة بالقصر، ويشرف عليه موظف كبير، تحت يده عدة غلمان. صبح الأعشى، ج٤، ص٩-١٠ ؛ الخطيب: المرجع السابق ص٣٠٦.

(٣) الخزانة لغة مكانة الخزن، والجمع خزائن. كانت الخزائن مما يلحق بقصور الخلفاء والسلاطين، أو تقام بجوارها، وتختص كل خزانة بشيء مما يكنزه الخليفة أو السلطان، أو مما تحتاجه خاصته وقصوره. عطية الله: القاموس الإسلامي، ج٢، ص٢٣١ـــ ٢٣٢.

(٤) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٦١.

فتنة "بابا اسحق" (البابائية)(١):

وبعد التخلص من سعد الدين كوبك، وفيما كانت الدولة تحاول استعادة عافيتها دخلت مرة أخرى في فتنة عارمة وهي ما عرف بالحركة البابائية.وهي حركة قامت ضد دولة سلاجقة الروم، ولقد ساعد على اندلاعها وانتشارها تكدّس أعداد غفيرة من التركمان، في المنطقة التي احتضنت الحركة، وكثيرٌ منهم هاجروا إلى هذه المنطقة، نتيجة للضغط المغولي على مناطق شرق آسيا الصغرى(٢).

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره، فإنّ هناك أسباباً دينية، وسياسية، واقتصادية، وأطماعاً شخصية، إضافة إلى النقمة الشعبية من حياة الترف والبذخ، التي كان يرفل فيها السلطان ورجال حاشيته، في حين كان كثير من التركمان يعيشون حياة الكفاف(٣).

ولقد أطلق المؤرخون والباحثون مسميات متباينة على هذه الحركة، فالبعض سماها " ثورة"(٤)، وآخرون وصفوها بأنها حركة خارجة على

---

(١) تنسب الحركة إلى زعيمها " بابا اسحق و هو شخصية غامضة كان يتظاهر بالزهد والورع، ويلجأ إلى السحر والشعوذة أحياناً, واستغل بكل اقتدار سذاجة التركمان، بالإضافة إلى ظروف وأسباب يطول الإشارة ا إليها، فأغوى كثيراً من الناس فاتبعوه. انظر سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج٨، ص٧٣٣؛ ابن بيبي: المصدر السابق ص٢٧٢؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٤٣٩؛ أحمد توني: المرجع السابق، ص ٤٤٨. Turan: Op. Cit. S. 422.

(١) ابن بيبي: المصدر السابق، ص٢٧٢ ؛ أحمد توني: المرجع السابق، ص٥٠.

(2) Turan, O sman: SELÇUKLULAR ZAMANINDA TÜRKIYE, Siyasi Tarih, Alp Arslan,dan Osman Gaziye "1071-1318". 4. Baski, Istanbul 1996,s. 421, Cambridge History of Islam,v:IA ,p. 24 .

زبيدة عطا: مرجع سابق، ص١٣١.

(٣) ابن بيبي أخبار سلاجقة الروم ؛ ص٢٧١-٢٧٢ ؛ Turan: Op.Cit, s.421
أحمد توني عبد اللطيف: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة المنيا، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٤٩ـ ٥٣.

(4) Cambridge,op. cit, p34i Turan: Op. Cit. s. 424,
وانظر أيضاً: زبيدة عطا: المرجع السابق، ص١٣١ ؛ أحمد توني: المرجع السابق ص٤٤٨ والثورة اصطلاحاً: عملٌ مسلح، يتخذ طابع العنف، تقوم به طائف من الشعب، ضد الحكومة القائمة بهدف اسقاطها، و احداث تغيير جذري في البلد محل الثورة. عطية الله أحمد: القاموس الإسلامي، ج١، ص٥١٢.

القانون[1] فيما اعتبرها أنصارها جهاداً[2] على أن جُلّ المصادر وصفت زعيمها "بابا اسحق" بأنه أحد الكذابين المدعين للنبوة[3] وهذا الوصف الأخير هو الأكثر ملاءمةً لهذه الحركة.

ظهرت الحركة أولاً في مناطق كان للتركمان وجود كثيف فيها خاصا نواحي سيميساط وكختا[4] وحصن منصور[5] وذلك سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م وسيطروا على هذه المناطق وعاثوا فيها فساداً وتقتيلاً واستحلوا دم ومال كل من عارضهم بغض النظر عن دينه وجنسه، وهزموا قوات السلطنة السلجوقية مرتين متتاليتين في مالطية[6] وبعد إخضاعها زحفوا على سيواس[7]، وتمكنوا

---

(١) ابن بيبي: المصدر السابق، ص٢٧١.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٧٢ ؛ Turan: Op. Cit. s. 422.

(٣) كان " بابا اسحق " يطلب من أتباعه أن يقولوا: " لا إله إلا الله البابا رسول الله " وفي بعض الروايات: " البابا ولي الله" ولا يذكرون الشهادة الثانية وهي " محمد رسول الله" انظر: سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ص٧٣٣؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٣٩؛ ابن دقماق: المصدر السابق، ص١٣١؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٣٠٧.

(٤) كختا: بكسر الكاف، وسكون الخاء المعجمة، وتاء مفتوحة، بعدها ألف، Khiakhta وأحياناً: كاهتا Kahta ، قلعة قديمة حصينة، مقامة على نهر صغير يحمل الاسم نفسه. أما اليوم فإنها تقع على الطريق البري رقم "٣٦٠"، وعلى بعد ٤١كم شرق أديامان (حصن منصور)، وحوالي ٤٠ميلاً جنوب شرق مالطية. ابن العديم :المصدر السابق، ج٣، ص١٩٨؛ دليل فودرورز، ص٣٩٦ ؛ Encyclopaedia Of Islam, Leiden,E. J. Brill, 1980,Art: Kiakta.

(٥) ويغلب عليها الآن اسم: أديامان " Adiman "، وكان الرومان يسمونها :" برها Perrhe هو حصن قديم، من أعمال ديار مضر، غربي نهر الفرات، بينه وبين زبطرة مرحلة، أعاد ترميمه منصور ابن جعونه العامري وهو من قواد الدولتين الأموية والعباسية وإليه نُسب، وأصبح خراباً على زمن أبي الفدا ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٢٦٥-٢٦٦؛ أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٢٨٢ ــ٢٨٣ لسترنج مرجع سابق، ص١٥٥.

(٦) مالطية وتكتب ملطية، ومالاطيا، وعند الرومان: ميلتين Melitene مدينة في ديار بكر، من قواعد الثغور الجزرية، عند سفوح الجبال المواجهة لجبال طوروس، في سهل منبسط من الأرض، وموقعها في الوقت الحاضر على خط عرض ٣٨ شمالاً وخط طول ٣٨ شرقاً تقريباً ابن سعيد: المصدر السابق، ص١٧١ ؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج٣، ق٢، ص٨٣٦؛ لسترنج: المرجع السابق، ص١٥٢ــ ١٥٣.

(٧) سيواس: بكسر السين، وسكون الياء، ويقال لها أيضاً: سيفاس، وسماها ماركوبولو "سيفاستا" و"سباستيا Sevasta=SBASTIA وبالروماني سباستيا Sebastia مدينة بُنيت في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ الأول، على نهر قزل يرماك (هليس Halys) في منطقة كانت ملتقى لطرق القوافل بين أرزن الروم شرقاً، وقيصارية غرباً، وكان بها ٢٤ خاناً لخدمة التجارة، أما اليوم فهي مركز ولاية سيواس بالجمهورية التركية، تبعد عن العاصمة أنقرة مسافة ٢٢٥ ميلاً إلى الشرق.

من دخولها وقتل واليها، وساروا منها إلى أماسية[1] ليجتمعوا هناك - حسب زعمهم - مع قائدهم "بابا اسحق" وفي الطريق استولوا على توقات[2] لكن قائد جيش السلطنة السلجوقية وواليها في أماسية(مبارز الدين حاجي أرمغانشاه Armangan-şah)سبقهم إلى أماسية، وقبض على زعيمهم " بابا اسحق" وصَلَبه وعلّقه على برج القلعة، في الوقت الذي اضطرب فيه السلطان كيخسرو الثاني، وفرّ من العاصمة، والتجأ إلى قوباد آباد [3].

أما أنصار " بابا اسحق" فقد جُنَّ جنونهم لرؤية جثة زعيمهم تتدلّى على سور البرج، فاقتحموا أماسية، وقتلوا واليها مبارز الدين، وتنادوا بالزحف على العاصمة - قونية - وبدأ وكأن الحركة في طريقها إلى القضاء على الحكم السلجوقي، فلم يجد السلطان بداً من الاستعانة بالجيش الرئيسي، الذي كان وقتها يرابط على حدود الدولة الشرقية، تحسباً لهجوم مغولي محتمل، فسار هذا الجيش لملاقاة البابائيين، ووقف تقدمهم نحو العاصمة، والتقى الجمعان

ابن سعيد: المصدر السابق، ص١٨٧؛ أبو الفدا: المصدر السابق، ص٣٨٤-٣٨٥؛ رحلات ماركوبولو، ترجمها إلى العربية عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، ص٥٠، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج٣، ق٢، ص٨٠٤.

(١) أماسية: بفتح الهمزة والميم بعدها ألف ثم سين مكسورة وياء مفتوحة وتاء مربوطة، وتكتب أيضاً أماصية Amasia من المدن التي بُنيت في عهد السلطان علاء الدين كيقُباذ الأول، تعد من مراكز الحكومة السلجوقية جنوب شرقي سينوب، بينهما مسافة ستة أيام، ابن سعيد: المصدر السابق ص١٩٥ ؛ لسترنج المرجع السابق، ص١٧٩.

(٢) توقات: ودوقات، وتوكات، بلدة من أعمال سيواس، مشهورة بالحصانة، بينها وبين قيسارية مسيرة أربعة أيام، وموقعها اليوم على الطريق البري رقم ١٨٠، جنوب شرقي أماسية بينهما مسافة ١١٤كم، الدويدار: زبدة الفكرة، ج٩، ص٥١، لسترنج: المرجع السابق، ص١٧٩، دليل فودرورز ص٣١٨.

(٣) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٧٣ ؛. Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye s. 423, ويصف ابن بيبي " قوباد آباد" بأنها جزيرة التجأ إليها السلطان، مع أنه يذكر في موضع آخر أنّ "قوباد آباد" مدينة، انظر: أخبار سلاجقة ١ ص١٨١، ٢٧٣. وربما أنّ هناك جزيرة في البحر المتوسط، مقابلة لمدينة قوباد آباد، وسُميت باسمها

في صحراء " مالية"Malya" القريبة من قيرشهر[1] وتمكن الجيش من الانتصار على حركة "بابا اسحق" وذلك عام ٦٣٨هـ/١٢٤٠م[2].

لكن تبعاتها وذيولها ، استمرت عامين آخرين حتى انتهت تماماً سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م.

ولقد كلفت هذه الحركة الدولة الكثير من الجهد ، إضافة إلى خسائر بشرية ومادية فاقت التصور.كما أنها كشفت عن ضعف خطير في الجبهة الداخلية للدولة ، بعكس ما كانت تبدو عليه في الظاهر من قوة وعظمة ، ولا سيما أنّ الخطر المغولي كان يتربص بها على حدودها الشرقية[3].

(١) قير شهر Kirsehir ، وهي عند الرومان جستنيانو بوليس موكيسوسMokissus " Justinino Polis " ؛ مدينة تقع على بعد ٨٠ ميلاً غرب قيصرية، لسترنج ؛ المرجع السابق، ص١٧٩.

(٢) سبط ابن الجوزي: المصدر السابق ج٨، ص٧٣٣ ؛ ابن بيبي: المصدر السابق ن ص٢٧٣ ؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٨٥؛ تاريخ مختصر الدول، ص٤٣٩-٤٤٠؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٣٠٧؛ أحمد توني: المرجع السابق، ص٤٨-٥٦. Vincent: Op. Cit ,XXX, s. 139- 140, Turan: 4CambridgeM. HIV. PI. PP34-35

(٣) عن آثار ونتائج هذه الحركة، انظر: ابن العبري: مختصر الدول ص٤٣٠؛ كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ص١٦٥، ١٧٦، ١٧٨؛ أحمد توني المرجع السابق، ص٥٦. ألوسيمي: محمد نجيب زكي: سلطنة سلاجقة الروم "٥٨١-٦٤١هـ/١١٨٥-١٢٤٣م " رسالة دكتوراه غير منشورة قسم التاريخ كلية الآداب-جامعة القاهرة ١٩٩٤م. ص١٥٤-١٥٦
Cahen,(C): Baba Ishag, Baba IIYas Hadji Bektash et qAutres" Turcica, Revue Detude Turgues, Tome. I, 1969 pp. 53-64

الفصل الأول

الغزو المغولي لآسيا الصغرى، ٦٤١هـ/١٢٤٣م

الفصل الأول

الغزو المغولي لآسيا الصغرى، ٦٤١هـ/١٢٤٣م

أولا: غارات المغول الأولى على آسيا الصغرى.

ثانيا: حملة بايجونوين ومعركة كوسه داغ ونتائجها.

ثالثا: خضوع سلطنة سلاجقة الروم للمغول.

أولا: غارات المغول الأولى على آسيا الصغرى:

يرجع توغل المغول في أراضي دولة سلاجقة الروم إلى الأيام التي كانوا يطاردون فيها السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي.إلاّ أنه بعد مقتل الأخير، وزوال دولته، وجد سلاجقة الروم أنفسهم وجهاً لوجه، أمام الخطر المغولي، وبدأ هؤلاء بشن الغارات على أطراف الدولة السلجوقية، وكان من خططهم العسكرية القيام بهجمات خاطفة، هدفها الأساسي، معرفة قوة الخصم ومدى استعداده لمواجهتهم[١] وفي هذا الإطار جاءت هجماتهم المتكررة، ومنها مهاجمتهم في سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م، لمدن: نصيبين[٢]، وآمد، وخلاط وأعمالها ومارسوا - كما هي عادتهم - القتل والسبي والنهب، ثم ورجعوا إلى قواعدهم التي انطلقوا منها[٣].

وفي العام التالي (٦٢٩هـ/١٢٣٢م) قاموا بغارة أخرى، ووصلوا إلى ضواحي سيواس، وكانوا تحت قيادة "جرماغون Germagon"[٤] الذي كلفه

---

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٤٣٣ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٢٢٨، وانظر أيضا: ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٠، ص٣٩٣.

(٢) نصيبين: بالفتح ثم الكسر ثم ياء، بلدة عامرةً من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام. ياقوت، معجم البلدان، الجزء الخامس ص٢٨٨.

(٣) ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٠ ص٤٩٣ ؛ ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم ص٢٢٩ ؛ النويري: نهاية الأرب ج٢٧، ص٣٤٤.

(٤) من كبار القادة في هذه الفترة، ويرد الاسم أحياناً: شورماجان Charmagan وتشرماغون، وأخذنا حسب منهجنا في هذه الدراسة بما جاء عند الهمذاني، إذ هو مؤرخ المغول. وقضى جرماغون على الدولة الخوارزمية وسيطر على ممتلكاتها وأخذ يتوسع نحو الغرب، باتجاه آسيا الصغرى، وامتدت سيطرته على تلك المنطقة قرابة عشر سنوات، وخلفه في منصبه القائد بايجو. انظر:

القآن اوكتاي بتعقب السلطان جلال الدين الخوارزمي والقضاء عليه فاتخذ موغان[1] قاعدة له[2].

ولما اقترب المغول من سيواس، نهض السلطان علاء الدين كيقباذ الأول لصدهم، فأرسل جيشاً بقيادة الأمير كمال الدين كاميار[3]، فأخذ يطارد الجيش المغولي الذي تراجع من ضواحي سيواس إلى آرزن الروم، ومنها انسحبوا إلى قواعدهم في الشرق، بعد أن عاثوا فساداً في الأراضي التي هاجموها، فيما واصل جيش سلاجقة الروم زحفه، وعبر الحدود الشرقية وهاجم أراضي مملكة الكرج، واستولى على عدد كبير من القلاع، وفرض على ملكة الكرج صلحاً، وذلك كله بحجة أنّ الكرج تواطؤا مع المغول، وسهلوا لهم مهمة التوغل في أراضي السلاجقة[4].

وقد أشارت المصادر إلى غارات مغولية محدودة، على أطراف مملكة سلاجقة الروم، إحداها كانت في سنة ٦٣٥هـ/١٢٧٣م حيث مارسوا ـ كما هي عادتهم ـ القتل والنهب والتخريب[5] وبعد حوالي عامين من تلك الغارة

الجويني (عطا ملك ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) تاريخ فاتح العالم: جهانكشاي، نقله عن الفارسية د. محمد التونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٣١١ ؛ الهمذاني جامع التواريخ، ج١، ق٢، ص٣٢؛ العريني: المغول، ص١٧١ ـ١٧٢. سعد حذيفة الغامدي: أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣، ص١٥٦ـ١٦٤.

(١) موغان، ومغان، ومغكان، وموقان: مسميات لمكان واحد، والأول أشهرها. وهو سهل عظيم، يحده شرقاً: جبل سيلان، وغرباً: الساحل الشرقي لبحر قزوين، وشمالاً: جبال طالش، وجنوباً: نهر ارس. ويُعد غالباً اقليماً لوحده، ابن حوقل: المصدر السابق، ص٢٥١ ؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص٢٢٥ ؛ لسترنج: المرجع السابق، ص٢٠٩-٢١٠.

(٢) وذكر البعض أن لجرماغون قاعدة في مكان يسمى سيسيان Sisyan يقع بين بحيرة كوكتشة، ونهر ارس، إلى الغرب من بحر قزوين سعد حذيفة الغامدي: سقوط الدولة العباسية ص٢٩٩، حاشية (١) نقلاً عن :

Boyle, J. A: The Journeg Of Het,um 1 King Of Little Armenia To The court Of Great Khan Mongke Central Asiatic Journal. 1964, IX/3, P. 175-189.

(٣) وهو والد زوجة ابن بيبي المؤرخ، انظر مقدمة مترجم أخبار سلاجقة الروم ص "ل".

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٧٩ب ٥٨٠أ ؛ ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم ص٢٢٩ ؛ ولمزيد من التفصيل انظر: صبيته عبد الله: المرجع السابق ص٢١٥-٢١٦.

(٥) ابن دقماق: نزهة الأنام، ص٩٦-٩٧.

(٦٣٧هـ/١٢٣٩م) جاء المغول ثانية، ولكن هذه المرة بجيش جرار، ووصلوا إلى أرمينية، لكن جيش سلاجقة الروم كان يسيطر على الممرات والشعاب والمعابر في جبال أرمينية، ونجحوا في منع دخول الجيش المغولي إلى أراضيهم[(١)] إلاّ أن السلاجقة فقدوا جزءاً مهماً من مملكتهم، وهو ميناء سغداق[(٢)] على البحر الأسود، إذ سيطر عليه المغول الزاحفون على أوربا[(٣)].

وفي خضم الصراعات التي انغمس فيها السلطان كيخسرو الثاني، سواءً على الصعيد الداخلي، والمتمثلة في حركة بابا اسحق وتمرده، والخلاف بين كبار رجال الدولة، والصراع مع بقايا الخوارزمية، أو على الصعيد الخارجي، والمتمثلة في الحروب المستمرة مع الممالك الأيوبية، والأرتقية المجاورة[(٤)] ظهر المغول ثانية على الحدود الشرقية لدولة سلاجقة الروم ولعل من أوضح الأسباب التي أدت إلى توقفت الغارات المغولية فترة من الزمن في الزحف علي دولة سلاجقة الروم[(٥)].

فمن هذه الأسباب: انشغال القوى الإسلامية في الصراع فيما بينها، حيث اندلعت حرب ضروس بين الأيوبيين والسلاجقة وبقايا الخوارزمية والأراتقة، ولم تتوقف تلك الحروب إلاّ بعد دخول جحافل المغول في غزو منظم إلى أراضي

---

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٨٥؛ مختصر الدول، ص٤٣٩ كتاب الحوادث الجامعة، ص١٩٧ ؛ عباس إقبال: تاريخ المغول ص١٦٩ ؛ أحمد توني: المرجع السابق، ص٢٤٥؛ خصباك: جعفر حسين، العراق في عهد الإيلخانيين، بغداد، ١٩٨٦م، ص٨١.

(٢) سغداق (صوداق) ميناء على الضفة الشمالية للبحر الأسود (بحر القرم) يقابله على الضفة الجنوبية ميناء سامسون، أرض محجر، يحيط به سور ويستخدمه التجار بكثرة. انظر: ابن سعيد :كتاب الجغرافيا، ص٢٠٣ ؛ أبو الفداء، تقويم آلبلدان، ص٢١٤-٢١٥ ؛ علي الغامدي: النفوذ السلجوقي في حوض آلبحر الأسود، مجلة المؤرخ المصري، ص٢١٠، حاشية ٦١.

(3) Cahen: Le commerce Anatolien, p 95,Turan: Slcuklular Zamaninda Turkeyzamaninda turkiye,s. 358.

علي الغامدي: النفوذ السلجوقي في حوض آلبحر الأسود، مجلة المؤرخ المصري ص٢٠٣.

(٤) انظر أخبار ذلك الصراع في :ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٨٦، ٢٨٦، ابن العديم: زبدة الحلب، ج٣، ص٢٦٣ ٢٦٤ ؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٥، ص٣١٠ ومابعدها.

(٥) النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٢٤٧.

آسيا الصغرى[1] ومما لا شك فيه أنّ المغول كانوا يرقبون ما يحدث في المنطقة، إذ أنّ من عادتهم قبل القيام بأي غزو وضع خطة عسكرية له، ومناقشتها، وبث العيون لجمع المعلومات الكافية عن الخصوم، ومدى استعداداهم وقدرتهم على المقاومة[2].

ومن هذه الأسباب أيضاً: علمهم بمدى ضعف دولة سلاجقة الروم والذي ظهر جلياً خلال حركة (بابا اسحق) فقد كادت هذه الحركة أن تُطيح بالدولة وكلف إخمادها خزينة الدولة أموالاً طائلة، وخسائر بشرية فادحة[3].

ومن أسباب هذا الزحف أيضاً. التغيير في القيادة الميدانية للجيش المغولي المرابط على الحدود الغربية لإمبراطوريتهم[4] إذ تم عزل القائد الميداني السابق جورماغون لتدهور حالته الصحية[5] مع بقائه قائداً عاماً لذلك الجيش، ولا يبرح مقر قيادته في سهل موغان.وأسندت القيادة الميدانية لقائد جديد، ليؤدي مهمته في الإغارة ومهاجمة المناطق المجاورة بالسرعة والقوة المطلوبة، وكان القائد الجديد يدعى بايجو "Baiju"[6] والموصوف بالعناد[1] وبأنه (لا يرضى

(١) انظر: ابن العديم: زبدة الحلب، ج٣، ص٢٦٣ ــ٢٦٤ ؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٨٦، ٢٨٦ ؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج٣، ق٢، ص٤٦٨ ؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٥، ص٣١٠.

(٢) الصياد: المغول: ص٣٦٤.

(٣) عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة، ص٢٧. Vryonis: The Decline Of medieval , p. 734.

(٤) أطلق ابن الأثير على جيشهم الذي زحف نحو الغرب، وكُلفَ بمطاردة السلطان جلال الدين الخوارزمي "المغربة" وذلك لتوسعهم في مناطق غرب خراسان الكامل في التاريخ، ج١٠ ص٤٠٦.

(٥) أصيب جورماغون بالفالج (الشلل) سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٠ ؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص١٦٩ ؛ سليم واكيم: امبراطورية على صهوات الجياد، دار الكاتب العربي، ص١١٤.

(٦) تباينت طريقة كتابة هذا الاسم في المصادر، فكتب: باجو، وبيجو، وبيد شو Baidshu على أن الاسم الوارد في المتن (بايجو) هو الأشهر وهو الأصح أيضا، لوروده في المصادر الفارسية بهذا اللفظ. انظر: ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥١٤، أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٠، والنسخة الأخرى ترجمة محمد علاء الدين منصور. دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٢٦٩

بأنصاف الحلول)[٢] فقد كان طموحاً، وراغباً في كسب رضا رؤسائه، مدركاً أنّ هذا لن يتأتى له إلا بإضافة أملاك جديدة للإمبراطورية المغولية[٣].

وهناك من يرى أنّ عدم وجود خان أعظم يحكم إمبراطورية المغول في هذا الوقت[٤] كان له دور في اندفاع بايجو وجيشه في هجوم مفاجئ للكثيرين[٥].

وآخر الأسباب التي يمكن إضافتها إلى هذه الفقرة، ما يقتضيه الاحتكاك والتجاور بين دولتين مختلفتين دينياً واجتماعياً خاصة أن إحداهما في طور الفتوة والتوسع، والأخرى في دور الضعف والانحطاط.فكان الصدام العسكري بين الدولتين مسألة وقت ليس إلاّ.

ولاحت بوادر الخطر أولاً في رسالة تهديد بعث بها خاقان المغول الأكبر (أوكتاي قاآن) إلى ملوك المسلمين المعاصرين له، وذلك سنة ٦٣٨هـ/١٢٤١م وقد حفظت لنا المصادر النسخة التي وردت منها إلى ملك ميافارقين الأيوبي ؛ شهاب الدين غازي[٦]، وفيها يطلب الخاقان من حكام المسلمين، الدخول في طاعته، ويحذرهم من محاولة مقاومة جيشه، ولابد أن نسخة من تلك الرسالة، وردت إلى سلطان سلاجقة الروم، بحكم أنه أحد ملوك المسلمين المعاصرين

الهمذاني: جامع التواريخ الأصل الفارسي، نشر د. بهمن كريي، طهران، ١٣٣٨هـ. ش. ج٢، ص٧١٩ ؛ وانظر أيضاً: الجويني: جهانكشاي، ج٣، ص٢٦٧-٢٧٠.

(١) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٣١١ ؛ محمود عمران سعيد: المغول وأوربا، دار المعرفة الجامعية (ب. ت). ص٤٣.

(٢) سعد حذيفة الغامدي: سقوط الدولة العباسية ص١٩٥.

(٣) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٠ ؛ رنسيمان: المرجع السابق؛ ج٣، ص٣٠٣.

(٤) توفي أوكتاي قاآن سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م، وخلفته-وصيةً على العرش-أرملته تورا كينا خاتون" Turakina ولمدة خمس سنوات تقريباً (٦٣٩- ٦٤٤هـ/١٢٤١- ١٢٤٦م) انظر الهمذاني: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيز خان، ص١٩٥ وما بعدها.

(٥) الوسيمي: سلطنة سلاجقة الروم، ص١٥٦.

(٦) الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل الكبير أبي بكر بن أيوب، تملك خلاط وميافارقين وحصن منصور وغيرها في سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م. بعهد من الأشرف موسى، وتوفي سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م. على أرجح الأقوال. أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص٢٢١.

لزعيم المغول "أوكتاي قاآن" وكذلك فإن رد الملك الأيوبي شهاب الدين غازي جاء محرضاً على ضرورة توجيه تلك الرسالة إلى الملوك الذين هم أكبر منه شأناً وخص بالذكر ملوك: سلاجقة الروم، وبلاد الشام، ومصر، وقد قرن رد فعله بجوابهم على رسالة الخاقان: "ومهما فعلوه فعلته"[1].

فبعد توفر الأسباب المشار إليها أنفاً، بدأ بايجو نوين "NOYEN"[2] في الزحف بجيش يناهز عدده ثلاثين ألفاً واختار هدفاً له مدينة آرزن الروم[3] وهي مدينة تجارية تقع على طريق القوافل بين بلاد الكرج والأناضول فعرف عن أهلها الثراء.إضافة إلى كونها البوابة الشرقية لمن أراد دخول أراضي دولة سلاجقة الروم[4].

وما أن وصل جيش المغول إلى المدينة، حتى ضرب عليها الحصار وشرع في مهاجمة الأسوار بالمنجنيقات[5] والعرّادات[6] وأبدى المحصورون مقاومة

---

(١) سبط ابن الجوزي: المصدر السابق، ج٨، ص٧٣٣ ؛ ابن دقماق: نزهة الأنام، ص١٣٢؛ ابن أيبك: كنز الدرر ج٧، ص٣٤٢.

(٢) نوين وتكتب نويان أحياناً، والأول أشهر ؛ كلمة فارسية، وقيل مغولية، تنطق بضم النون وكسر الواو وسكون الياء وآخره نون. ومعناه قائد تومان Toman وهو عشرة آلاف مقاتل وهو أعلى طبقات الأمراء، ومن ألقاب كفال الممالك القانية، كما يُطلق على الأمراء من أفراد الأسرة الحاكمة، بل ورد مضافاً إلى أسماء ملوكهم، " فكل اسم من أسماء ملوكهم في أخره نوين" العمري: مسالك الأبصار، السفر الثالث، ص١٠٤ ؛ العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٨٢ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤٢٢.

(٣) أدى عزل جورماغون عن القيادة الميدانية مع بقائه قائداً عاماً للجيش الغربي "المغربة" واسناد القيادة الميدانية إلى بايجو إلى الخلط بين الشخصيتين. فذكر ابن العبري أن القائد المغولي الذي استولى على أرزن الروم وأخربها هو جور ماغون، وهو مخالف لبقية المصادر التي تتفق على أن بايجو هو قائد الجيش المهاجم.
انظر: تاريخ الزمان، ص٢٨٦، تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٠.

(4) Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye . s . 427

(٥) مفردها منجنيق، وهو آلة حصار حربية، تُصنع من الخشب، مؤلفة من دفتين قائمتين، بينهما سهم طويل، له رأس ثقيل، وذنب خفيف، في نهايته كِفة يُوضع الحجر المراد قذفه، حيث تُجذب بقوة إلى أسفل، ثم ترسل بسرعة. الطرسوسي (مرضي بن علي، ت٥٨٩هـ/١١٩٣م) تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء، ونشر أعلام الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء، تحقيق: كلود كاهن، مجلة الدراسات الشرقية، دمشق، ج١٢ (١٩٤٧م)،

عنيدة، وتولى قيادة المقاومة الأمير سنان الدين ياقوت العلائي، وساعده عليها قائد فرقة الفرنجة المرتزقة في الجيش السلجوقي (استنكوس Istankus) (٢) واشتد الهجوم، وتواصل ليلاً ونهاراً، وبالمقابل زادت ضراوة المقاومة، وطال الحصار، واقترب من نهاية شهره الثاني، وبدأت بوادر الشتاء - وشتاء تلك المناطق قارص - وتطرق السأم والملل إلى نفوس جنود المغول وكاد قائدهم بايجو نوين أن يرضى من الغنيمة بالإياب ولكن فجأة اقتحم المغول أسوار المدينة، ودخلوها عنوة(٣) وهنا نلحظ تبايناً في بعض روايات المصادر، عن السبب في نجاح المهاجمين في احتلال المدينة.

ذكر "العيني" أنّ المغول نجحوا في هدم أسوار المدينة بعد أن نصبوا عليها اثنا عشر منجنيقاً، فإنساحوا فيها، وسيطروا عليها(٤).

وذكر المؤرخ الفرنسي المعاصر (Vincnt Beauwais) أنّ سنان الدين ياقوت العلائي، قائد المقاومة في أرزن الروم طلب المدد من السلطان، لكن المدد تأخر، واشتد الخطب على المحصورين، فاضطر سنان الدين إلى تسليم المدينة للمغول(٥).

ص١٦-١٨ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢ ص١٤٣ ؛ الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص٤١٠.

(١) مفردها عرادة، وهي من آلات الحصار أيضاً، على هيئة المنجنيق المشار إليه آنفاً، إلاّ أنها أصغر منه حجماً. الخطيب: المرجع السابق، ص٣١٩.

(٢) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٠ ؛

(٣) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٢ ؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٦٨ ؛ مختصر تاريخ الدول، ص٤٤٠ ؛ العيني: عقد الجمان، ج١، ص١١٨.

(٤) العيني: المصدر السابق، والجزء والصفحة. وهذه الحادثة عنده في حوادث سنة ٦٥٤هـ، وهو وهم بيّن. وانظر أيضاً النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٣٤٩ ؛
Guiragos de Kantzag: Extraits ed trad. E,Dulaurie Journal Asiatique V. II, 1885, p 426-27 , Grigor Of Akanc:History Of the Nation of Archers (The Mongols) Hitherto Ascridec to Malak, id The Monk, The Armenia text, Edited Witian English Translation and Notes by: Robert P. Blake and Richard N. Frye. Hariard "Journal Of Asiatic Studies, XII, (1949)" p. 307
الوسيمي: سلطنة سلاجقة الروم، ص١٥٧.

(5) Miroir Historial , ter: J. de Vigny. Paris 1531,. XXXI, s141,147, Turan :Slcuklular Zamaninda Turkey. S. 430.

أما رواية ابن بيبي ـ وهو معاصر أيضاً ـ فهي الراجحة على غيرها نظراً لدقة تفاصيلها، وترابط حوادثها، وانعدام التناقض بين أجزائها، والتوافق بين الحادثة والنتائج التي أفرزتها، ومضمون هذه الرواية أن شحنة[1] المدينة (شرف الدين الدويني) كان على غير وفاق مع قائد الجيش المكلف بالدفاع عن المدينة (الأمير سنان الدين ياقوت) فدفعه البغض والحقد، على أن يخون الأمانة ويتصل بقائد المغول (بايجو) ويعرض عليه المساعدة، وذلك بتمكين فرقة من جنود المغول من الدخول إلى المدينة عن طريق أحد الأبراج، مقابل حصوله على الأمان، هو ومن معه من أنصاره، ولم يكذّب (بايجو) خبراً، وأعطى شرف الدين ما طلبه من أمان وتواعد معه في ليلة ظلماء، وبعث إليه مئتي مقاتل مغولي، نجحوا في تسلق السور، والدخول إلى البرج المشار إليه، وحطموا الأبواب فتدفقت جحافل المغول ومن معهم إلى المدينة وفوجئ القائد سنان الدين ومن معه بما حصل، وحاولوا المقاومة، وعمّ الاضطراب، واقتتل الطرفان ليلاً، وعند انبلاج الصبح، كان المغول قد أكملوا السيطرة على أجزاء المدينة، وأصبح جميع سكانها الذي نجوا من القتل أسرى[2].

وتُجمع المصادر على أن الغزاة اقترفوا ـ كما هي عادتهم ـ مذبحة مروعة، فبالإضافة إلى من قتل أثناء الاقتحام، وبعد أن فرغ جنود المغول من النهب والسلب، جمعوا من بقي حياً من أهل المدينة، وأخرجوهم منها، كبارهم وصغارهم، ذكورهم وإناثهم، وقسموهم فيما بينهم، و بحثوا عن أهل

---

(١) الشحنة: بكسر الشين، وجمعها شحاني وشحن، وهو المتولي لرئاسة الشرطة في آلبلد، ومن مهامه حفظ الأمن والمحافظة على النظام، ومعاقبة المسيئين، وهو معدود في طبقة الولاة. والوظيفة نفسها تسمى (الشحنكية). بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٥٣؛ محمد محمود ادريس، رسوم السلاجقة ونظمهم الإجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، ص١٠٩-١١٠. الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٨، حاشية ١.

(٢) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨١-٢٨٢.

الصناعات، ومن يصلح للعمل، ونَحَّوْهُم جانباً، ومالوا على الباقين بالسيوف، فلم يُبقوا منهم أحداً[1].

ولاقى نفس المصير أيضاً الأمير سنان الدين ياقوت العلائي، وابنه، حيث تم أسرهما أولاً، ثم عُرضوا على القائد بايجو، الذي وبّخ سنان الدين، وأبدى استغرابه في عدم نجاح هذا الأمير، في تجييش الجيوش والإكثار من العساكر رغم الأموال الطائلة التي يكنزها في المدينة، ثم أمر بقتل الابن أولاً أمام عيني والده، ثم ثنى بالأب على مرأى ومسمع الجميع[2].

وتفاصيل هذه الرواية هو الذي جعلنا نرجح أن المدينة سقطت عنوة في أيدي المغول، وأن سنان الدين ياقوت لم يسلمها للغزاة، و إلاّ لكان قد أمّن نفسه ومن معه على الأقل، إن لم يكن قد أمّن المدينة بما فيها وإن لم يكن مستبعداً على المغول الغدر ونكث الأيمان[3] ونستطيع أن نستشف من توبيخ القائد المغولي لسنان الدين أن عدد الجيش الذي تولى الدفاع عن المدينة كان قليلاً نسبياً، وأن أموالاً طائلة كانت موجودة داخل المدينة إضافة إلى أنّ انتقام المغول الشنيع من الأهالي دليل على شدة المقاومة وشراستها.

أما جيش المغول، فبعد القتل، والسلب، احرقوا ما استطاعوا إحراقه من المدينة، وهدموا الأسوار، وعادوا إلى قواعدهم في سهل موغان وهم يحملون معهم كنزاً هائلاً من الغنائم[4].

---

(١) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨١ ؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٨٦، غير أنه نص على ابقاء المغول على الفتيان والفتيات واتخاذهم عبيداً ؛ العيني: عقد الجمان، ج١، ص١١٨.

(٢) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨١ ؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٨٦؛ العيني: عقد الجمان، ج١، ص١١٨ ؛ Vincent de Beauvais, Op. Cit, XXXI, S. 147.

(٣) الصياد: المغول في التاريخ، ص٣٤٥.

(٤) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨١ ؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٨٦؛ Vincent de Beauvais :Op. Cit , XXXI, s. 147, Freyec: History of The National Of Archers , HJAS, 1994. S. 39.

ثانيا: حملة بايجونوين ومعركة كوسه داغ ونتائجها:

بعد أن دمر المغول مدينة أرزن الروم، وفعلوا بها ما فعلوا، أدرك السلطان غياث الدين خطورة الموقف، وبدأ يستعد للمواجهة القادمة، خاصة وأن المغول عادوا بعد غزوتهم السابقة دون وقوع صلح بين الطرفين، يمنع المغول من تكرار ما فعلوه بأرزن الروم كما أن عودتهم إلى موغان كانت انتظاراً لانقضاء فصل الشتاء.

وفي إطار هذه الاستعدادات، بدأ السلطان بالتنازل عن بعض المكاسب التي سبق وأن حققتها جيوشه فتنازل عن خلاط[1] للملك شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين، كما تنازل عن رأس عين[2] للأرتقي صاحب ماردين[3] وأقطع ولاية خرت برت للخوارزميين[4] كما أصلح بين هؤلاء والأيوبيين[5] والأراتقة[6] لينهي بذلك النزاع القديم والشائك بين تلك الأطراف، والذي تسبب هو في اندلاعه، عندما أقدم على طرد الخوارزميين من مملكته بعيد اعتلائه العرش.

---

(١) خلاط: بكسر أوله، قصبة أرمينية، تكثر فيها المزارع، ويغزر فيها الماء، وبردها قارص يضرب به المثل، بالقرب منها بحيرة كبيرة مشهورة، يُصدر منها السمك إلى مختلف المناطق ذكر ياقوت أنها من عجائب الدنيا، معجم البلدان، ج٢، ص٣٨٠-٣٨١. وتنطق أحياناً: اخلاط. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٢١٨.

(٢) رأس عين: أو رأس العين، من مدن الجزيرة، بين حران ونصيبين ودنيسر، تبعد عن الأولى والثانية خمسة عشر فرسخاً وهي إلى الثالثة أقرب. تكثر فيها العيون (حوالي ٣٦٠عيناً) وتحيط بها المزارع، ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص١٣-١٤ ؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص١٢٥.

(٣) ماردين في الأصل قلعة صخرية على قنة جبل، في منتصف الطريق تقريباً بين رأس عين ونصيبين وهي مشرفة على دُنيسر، ونشأ في جنوبيها ربض عظيم، به أسواق وخانات ومدارس وأربطة، ودُور أهلها كالدرج، كل دار فوق الأخرى، ليس دون سطوحهم مانع، ومعظم شربهم من صهاريج مُعدة في دورهم، ويقولون ليس في الأرض أحسن من قلعتها ولا أحصن ولا أحكم. ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص٣٨ ؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص١٢٥ ١٢٦.

(٤) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٥، ص٣١٤.

(٥) المصدر نفسه، والجزء، ص٣٢٧. Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye, s. 432.

(٦) ابن أيبك: كنز الدرر، ج٧، ص ٢٥٣؛ علي الغامدي: بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، ص٣٧٥.

وأيضاً أوفد السلطان كيخسرو الثاني وزيره الصاحب شمس الدين الإصفهاني إلى حلب[1] ثم إلى دمشق[2] وكان يحمل أموالاً طائلة، أنفقها كلها لتجنيد الجيوش[3].

وفي إطار تلك الاستعدادات، طُلب من مملكة أرمينية الصغرى تجهيز ثلاثة آلاف جندي تنفيذاً لاتفاقيات سابقة بين المملكتين السلجوقية والأرمينية[4].

وتم اختيار قيسارية - العاصمة الثانية لسلطنة سلاجقة الروم - مكاناً تجتمع فيه الجيوش استعداداً للزحف نحو الشرق، لمواجهة المغول[5].

وبعد انقضاء الشتاء كان السلطان قد جمع جيشاً جراراً لكن عاب هذا الجيش انعدام التجانس بين أفراده[6].

ثم تحرك السلطان على رأس جيشه الكبير العدد[1] من معسكره في قيصرية إلى سيواس، [2] وكان في معية السلطان، نساءه وأطفاله، جاء بهم -

(١) حلب: مدينة مشهورة، تقع في شمال الشام، تحميها قلعة حصينة، وكانت في تلك الأيام تحت حكم الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد الأيوبي "٦٤٠-٦٥٩هـ/ ١٢٤٢ــ١٢٦١ " ابن العديم: زبدة الحلب، ج٣، ص٢٢٦ ٢٦٩.

(٢) دمشق عاصمة بلاد الشام، وأشهر مدنه، وكانت خلال تلك الفترة تحت حكم الملك الصالح اسماعيل بن العادل الكبير (٦٣٧ ٦٤٣هـ/ ١٢٣٩ ١٢٤٥م) أبو الفدا: المختصر: ج٢ ص٢٦٦-٢٧٨.

(٣) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٩٦ ؛ ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص٣٢ ؛ ابن واصل مفرج الكروب، ج٥، ص٣٢٧.

(٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٨٧. Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 431.

(٥) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٤.

(٦) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص٥٦ ؛ أحمد توني: المرجع السابق، ص٢٤٥.

وقد ضم جيش سلاجقة الروم، جنوداً من الأتراك والقفجاق، والكرج، والفرنجه، والعرب، والخوارزميين، والتركمان، وحتى بعض العناصر المغولية. انظر: ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٨٧ ؛ تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٠ ؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص١٧٠ الصياد: المغول، ص١٨٣؛ العريني: المغول، ص١٠٦.

ولا يخفى أن هذا التباين الكبير بين أفراد هذا الجيش ليس فقط في الأجناس، بل في الديانات والمذاهب وهنا مكمن الخطر.

كما يقول ابن بيبي - "ليقاتل قتال الحريم[٣]" ونسي - أو تناسى - أن المنهزم لا يرده شيء.[٤] وعند وصول الجيش إلى سيواس، تواترت الأنباء بتقدم المغول بقيادة بايجو إلى أرزنجان[٥]، ونزولهم بصحراء آقشهر القريبة منها، وهنا وقع الخلاف بين قادة جيش سلاجقة الروم، وانقسموا إلى طائفتين، الأولى ترى البقاء في سيواس و التحصن داخلها، واستدراج المغول حتى إذا بلغوا سيواس، يكونوا قد أنهكهم التعب، مما يسهل من مهمة الجيش السلجوقي، المستريح، والمستعد للمواجهة[٦] وهدفت هذه الطائفة أيضاً إلى انتظار المدد المتوقع وصوله[٧].

أما الطائفة الأخرى فكانت ترى سرعة الزحف إلى أرزنجان، ومواجهة المغول، وعدم إعطائهم الفرصة للاستيلاء على أرزنجان وما حولها، وكان معظم أفراد هذه الطائفة من الأحداث، قليلي الخبرة في أمور الحرب، يدفعهم

---

(١) قدّر ابن بيبي عدد الجيش قبل انضمام نجدة حلب إليه بسبعين ألفاً. الأوامر العلائية، ص٥٢٠ أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٤ ؛ بينما رجح عثمان توران أن يكون العدد ناهز الثمانين ألفاً، الأناضول في عهد السلاجقة، ص٢٧؛ .Turan :Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 432
وهناك من قدّر العدد بمائة وستين ألفاً، أو مئتي ألف مقاتل. انظر مناقشة ذلك عند: سعد حذيفة: سقوط الدولة العباسية، ص٣٦٤ ؛ .Turan: Op. Cit. s. 432, net: 49

(٢) ذكر بعض الباحثين، أن بعض الجنود تم نقلهم عن طريق البحر إلى أرمينية انظر: عباس إقبال: المرجع السابق، ص١٧٠ ؛ الصياد: المغول، ص١٨٣.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية ص٥٢٠ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٤ ؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٨٧؛ العيني: عقد الجمان، ج١، ص١١٩.

(٤) تكررت عملية اصطحاب النساء والأطفال مع المقاتلين في التاريخ الإسلامي ولعل اشهرها ما فعله مالك بن عوف حينما جاء يقود كفار هوازن وثقيف ليقاتل الرسول صلى الله عليه وسلم في حنين، وحينها عاتبه دريد بن الصمة على فعلته هذه وقال له :" وهل يرد المنهزم شيء؟"انظر: السهيلي (عبد الرحمن بن عبد الله، ت٥٨١هـ/١١٨٥م) الروض الأنف، تقديم: طه عبد الرؤوف، دار المعرفة، ١٣٩٨هـ/١٩٨٧م، ج٤، ص١٢٢.

(٥) أرزنجان :بلدة من بلاد أرمينية قريبة من أرزن الروم , كثيرة الخيرات والأهل , أغلب أهلها أرمن , وفيها مسلمون وهم أعيان أهلها , وشرب الخمر والفسق بها ظاهر وشائع. ياقوت الحموي: مصدر سابق , ج ١ ص ١٥٠.

(٦) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٨٧ ؛ تاريخ مختصر الدول ص٤٤٠ ؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص١٧٠ ؛ الصياد: المغول، ص١٨٣ ؛ العريني: المغول، ص١٠٦.

(٧) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٤. .Turan :Selçuklular Zamaninda Türkiye ,s. 433

حماسهم وطيشهم إلى انتهاج هذا الأسلوب، على عكس أفراد الطائفة الأولى الذين عرف عنهم ممارسة الحروب، ومواجهة الخطوب(١).

وفي النهاية مال السلطان إلى رأي الطائفة الثانية، واغتر بقولهم(٢).

أما المدد الذي سعى السلطان للحصول عليه وأنفق في سبيله الأموال الطائلة، فلم يتم كما كان متوقعاً، فقد كان من المأمول أن يبلغ عدد العساكر التي ترد من الشام والجزيرة عشرون ألف مقاتل(٣) لكن لم يصل إلى سيواس منهم إلا نجدة حلب، والتي لم تزد على أربعة آلاف مقاتل(٤) ومع ذلك فقد فرح سلاجقة الروم بقدومهم، واستبشروا بهم، وأحسن السلطان استقبالهم، وأجزل لقائدهم العطاء(٥).

أما النجدات المنتظر وصولها من دمشق وميافارقين وماردين، وأرمينية الصغرى فلم تصل أبداً، حيث تخاذل حكام هذه المناطق عن إرسالها، رغم تعهدهم لمندوب السلطان بذلك(٦) على أن المعركة بين المغول وسلاجقة الروم قد انقضت، والصاحب شمس الدين الإصفهاني - مندوب السلطان كيخسرو

(١) ابن بيبي: المصدر نفسه، ص٢٨٤ ، ٢٨٥ ؛ Turan: Op. Cit. s. 434.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٢١ ؛ أخبارا سلاجقة الروم ص٢٨٤ ؛ Turan: Op. Cit. s. 433.

(3) Ibid. s. 433.

(٤) ذكر ابن بيبي أن عدد عساكر حلب التي وصلت إلى آسيا الصغرى بلغ عددها ألفي مقاتل أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٤ ؛ أما ابن العميد فيجعلهم أربعة آلاف. أخبار الأيوبيين، ص٣٢. وانظر أيضا ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج٣، ق٢، ص٤٦٥.

(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٢٢ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٤ ابن واصل :مفرج الكروب ج٥، ص٣٢٧.

(٦) انظر: ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٤ ؛ ابن العبري تاريخ الزمان، ص٢٨٧. وهناك من أشار إلى اشتراك نجدات كل من: ماردين وميافارقين، والخوارزمية، بل وملوك هذه المناطق في معركة كوسه داغ، وهذا خلاف الواقع انظر: ابن أيبك: كنز الدرر، ج٧، ص٢٥٣ ؛ محمود ياسين التكريتي: الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة ٥٦٤ ٦٤٨هـ/١١٦٨ ١٢٥٠م. رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف أ. د ابراهيم العدوي، كلية دار العلوم (كلية الآداب) جامعة القاهرة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م. ص٢٣١.

الثاني - لا يزال في بلاد الشام يحاول جاهداً جمع الجنود وإرسالهم إلى آسيا الصغرى[1].

اتخذ السلطان قراره بالزحف من سيواس إلى أرزنجان، رغم معارضة بعض مستشاريه ووصل إلى مرتفعات "كوسه داغ"[2] المطلة على صحراء آقشهر، حيث يعسكر جيش المغول[3].

وعشية وقوع المعركة، كان الخلاف لا يزال يضرب بأطنابه في معسكر جيش سلاجقة الروم، حيث بات الأمراء ليلتهم تلك في شد وجذب، وفي ساعة كانوا في أمس الحاجة للاتحاد والتعاضد[4].

وعند طلوع النهار، كان السلطان قد تبنى وجهة نظر المتحمسين أيضاً، رغم معارضة العقلاء من مستشاريه لتصرفه هذا.فأعطى بذلك فرصة لأحد

(١) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم ص٢٩٦. Turan :Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 435.

(٢) كوسه داغ "Kosedagh ، Kosa dagh" ": لفظ تركي مكون من مقطعين، الأول: كوسه أو "كوزا" أو "كوسة" ومعناها الأقرع، ومن معانيها أيضاً: الأمرد، والملتهب، والمعنى الأول هو المقصود هنا، والثاني :داغ أو "طاغ" إذ ينطق الأتراك الحرف الأول منها حرفاً بين الطاء والضاد والدال Dag ، ومعناه الجبل، فيكون المعنى " الجبل الأقرع" انظر ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم ص٢٨٣، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٨٧ ؛ الهمذاني: جامع التواريخ (خلفاء جنكيز خان) ص٢٩٩ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١٠٦، محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العليا العثمانية، تحقيق د/ إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣، ص١٢٠، حاشية رقم :١.

وهي سلسلة جبلية اسمها الحالي "جيتشيدي" يبلغ ارتفاعها ١٩١٠أمتار (٦٢٦٦ قدماً) بين أرزنجان وسيواس، تبعد عن الأخيرة منها مسافة ٥٠ ميلاً إلى الشرق، ويخترقها طريق معبد. انظر: عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة، ص٢٧ ؛ دليل فودرورز السياحي، ص٣٥٦.

وهناك من يطلق على هذه المعركة اسم "معركة أرزنجان" لقربها منها. انظر: رنسيمان: المرجع السابق، ج٣، ص٣٠٣ هايد: المرجع السابق، ج٢، ص٢٠٢.

(٣) المولوي :صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٣أ ؛ ابن بيبي :أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٥-٢٨٦ ؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج٣، ص٢٦٨ ؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٨٧ تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٠.

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٣أ، ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٧-٢٨٩ ؛ Turan :Selçuklular Zamaninda Türkiye s. 439.

القادة المتحمسين - بل المتهورين[1] - ليقذف بالجيش في أتون المعركة.إذ ركب حصانه، وأمر المقدمة[2] بالزحف على المغول، والالتحام معهم، زاعماً بأنه كفيل بتحقيق النصر، فدُقت الطبول، وتعالت الأصوات فلم يكن أمام السلطان إلاّ الركوب، وانتظار ما ستسفر عنه المعركة، أما المقدمة فقد سار بهم ذلك القائد، قاصداً المغول، وأثناء النزول من مرتفعات كوسه داغ، ضاقت الممرات بالجنود، وصادفوا وادياً عميقاً قد قطعته السيول.ولم يكن بإمكانهم قطعة، فساروا على سفح الجبل[3] بينما كان المغول يراقبونهم من معسكرهم، ثم ساروا بمحاذاتهم.واستبشر القائد بايجو نوين عندما رأى جيش السلاجقة يتخلى عن مواقعه الحصينة، والجنود يهبطون من المرتفعات دون تبصر[4].

تشجع بايجو نوين عند رؤية ذلك المنظر، وأمر جيشه بالمسير بمحاذاة مقدمة الجيش السلجوقي.ثم اصطدم به.ودارت رحى معركة رهيبة صبرت فيها مقدمة الجيش السلجوقي واضطر المغول إلى التراجع، فظنّ المسئولون السلاجقة، أنهم كسبوا المعركة، ووصلت البشارة بذلك إلى السلطان، فأمر بدق الطبول ابتهاجاً بهذا النصر[5] ونتيجة لهذا ذكرت بعض المصادر أن الجيش السلجوقي كسر المغول في بداية المعركة لكنه خسرها في النهاية[6].

---

(1) وهو :" نظام الدين سهراب بن مظفر الدين" وأحياناً يذكره ابن بيبي باسم "ولد مظفر الدين" انظر أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٨.

(2) هناك خلاف في تقدير عدد تلك المقدمة، إذ يُفهم من كلام ابن بيبي أنها في حدود خمسة آلاف مقاتل ثلاثة آلاف منهم من الفرنج وسلاجقة والروم، ونجدة حلب وعددها عنده ألفا مقاتل. أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٧. بينما قدرها غيره بعشرين ألف مقاتل. انظر: النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١٠٦؛ العيني: عقد الجمان، ج١ ص١١٩.

(3) النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١٠٦ ؛ العيني: عقد الجمان، ج١، ص١١٩.

(4) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٧.

(5) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٧.

(6) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٣، ص٢٦٩ ؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٥، ص٣٢٧ ؛ ابن أيبك :كنز الدرر، ج٧، ص٢٥٣ ؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٧، ص٣٤٨ ؛ الحلبي (محمد بن ابراهيم بن يوسف الحنبلي، ت٩٧١هـ) الزبد والضرب في تاريخ حلب، تحقيق محمد التونجي، جمعية

والحقيقة أن تراجع المغول لم يكن نتيجة لصمود طليعة الجيش السلجوقي فحسب بل جاء ضمن خطة وضعها بايجو نوين لمواجهة الموقف، إذ نتيجة للتراجع، تدفق المزيد من العساكر السلجوقية إلى سفح الجبل، حيث ميدان المعركة، عندها بدأ المغول باستخدام سلاح السهام[(1)] فأمطروا الجيش السلجوقي بذلك وكان السهم لا يقع إلا في فارس أو فرس[(2)].

نتيجة لذلك عجز جيش السلاجقة عن الوصول إلى القوات المغولية، وأخذ جنوده في التساقط، فعم الاضطراب، وكادت تفنى مقدمة الجيش، وفرّ من كتبت له النجاة، وحلت الهزيمة الساحقة بجيش السلاجقة[(3)].

ورغم صمود السلطان، وبقاءه ممتطياً صهوة جواده، وعدم مغادرته لأرض المعركة حتى مضى من الليل بعضه[(4)]، إلاّ أنه فقد السيطرة على جيشه وعندما أيقن بهزيمته أمر بتسريح حرمه ومعظم خزائنه إلى توقات، [(5)] وأسند أمر المملكة إلى الأمير "جاولي[(6)] جاشنكير"، وفوضه في اتخاذ ما يراه مناسباً من أجل الحفاظ على الدولة[(7)].

إحياء التراث الإسلامي، منشورات مركز المخطوطات والتراث، الكويت الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص٤٦.

(١) السهام: مفردها سهم، وهو عود من الخشب يُسوّى، يُركّب في طرفه نصل، يُرمى به عن القوس، المعجم الوسيط، مادة (سهم).

(٢) النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١٠٦ ؛ العيني: عقد الجمان، ج١، ص١١٩.

(٣) ابن العديم :زبدة الحلب، ج٣، ص٢٦٩ ؛ ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٩ ؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٠ ؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٥، ص٣٢٧.

(٤) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٨ ؛ النويري، نهاية الأرب ج٢٧، ص١٠٦ ؛ العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٢٠.

(٥) توقات: بلدة تقع بين قونيا وسيواس ، ذات قلعة حصينة ، وبينها وبين سيواس مسيرة يومان. ياقوت الحموي: كمصدر سابق ج ٢ ص ٥٩؛ ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٨ ؛ وانظر أيضاً النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ ص١٠٦.

(٦) لم أعثر على ترجمة له فيما توفر لدي من مصادر.

(٧) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٢٦ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٨.

أما السلطان فانهزم "مبهوتاً"[1] مما حصل، وقصد توقات، ومنها إلى العاصمة قونية[2]، ويبدو أنه عرج - وهو في طريقه إلى العاصمة - على أنكورية، آملاً التحصن بها[3] لكن الهلع دفعه إلى الانتقال إلى العاصمة، ويبدو أنه لم يستقر له بها قرار أيضاً، ففر إلى أنطالية[4] ولما لم يجد الأمان الذي يطلبه التجأ إلى منطقة تسمى "حوزة الميـاندرMenderes Havzasina"[*].

وكانت هذه الموقعة "على أرجح الأقوال" يوم الجمعة السادس من شهر محرم، سنة ٦٤١هـ/ السادس والعشرين من يونيه ١٢٤٣م[6].

---

(١) ابن العبري :تاريخ الزمان، ص٢٨٧ ؛ وانظر أيضا تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٠.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٣أ ؛ ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٩، ٢٩٦ ؛ D,Ohsson ,M. Lebaron History des Mongols de Puis Tchinuiz- Kan Jsqu,a Timour Beyou Tamerlan, Paris,1824. P. 73.

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ٢٨٧ ؛ تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٠ ؛ ابن واصل مفرج الكروب، ج٥، ص٣٢٧ ؛ اقسرائي (محمود بن محمد، من مؤرخي القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار، تحقيق عثمان توران، أنقرة، ١٩٤٤م، ص٣٣ ؛ أحمد توني: المرجع السابق، ص٢٤٦ ؛ محمد عبد الباسط حسين: الشرق الإسلامي من ظهور السلاجقة حتى زوال الخلافة العباسية ببغداد. رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، ص١٧٢.

Cahen:pre - Pre Of Ottoman Turkey ,p. 138, Turan:Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 442.

(٤) عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة، ص٢٧ ؛ العريني: المغول، ص١٠٦-١٠٧ زبيدة عطا: المرجع السابق، ص١٣٢.

(5) Turan: Op. Cit. s. 442.

والمايندرMeanderواسمه الحالي مندرس نهر في الجزء الغربي من الأناضول مرّ به لويس السابع ملك فرنسا سنة ٥٤٢/١١٤٧، وهو على رأس حملة صليبية وبعد عبوره سار في منطقة جبلية حتى وصل إلى انطالية ومنها إلى بلاد الشام. لسترنج: المرجع السابق، ص١٧٤ ؛ Turan: Op. Cit. s. 442- 448 . ٤٤٢- ٤٤٨.

وهناك من ذكر أن السلطان هرب إلى العلائية. انظر: ابن العميد :أخبار الأيوبيين، ص٣٢ وبعضهم زعم أنه التجأ إلى الحدود البيزنطينية غربي الأناضول. العريني: المغول، ص١٧٩ محمود عمران: المرجع السابق، ص٥٧. وزاد المقريزي على ذلك بأن ذكر أن السلطان التجأ إلى القسطنطينية، وقد نبه محقق الكتاب إلى هذا الوهم. السلوك ج١، ق٢، ص٣١٣-٣١٤ ؛ وتجنبت مصادر أخرى ذكر المكان واكتفت بالإشارة إلى أن السلطان فر إلى بعض المعاقل. انظر: أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٢٧٦، النويري نهاية الأرب ج٢٧، ص٣٤٨.

(٦) الجويني: تاريخ جها نكشاي، الترجمة العربية، ج٣، ص٤٦٧ ؛ ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٨٧ ؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٥، ص٣٢٧.

وكانت النتيجة الرئيسية والمباشرة لهذه المعركة هي انتهاء عصر الاستقلال لدولة سلاجقة الروم، ودخولها منذ ذلك التاريخ تحت مظلة الإمبراطورية المغولية وهي حقيقة لم يختلف عليها اثنان[1].

وإضافة إلى هذه النتيجة البعيدة المدى، كان هناك العديد من النتائج الفورية فقد استفادت قوى خارجية من الكارثة التي حلت بدولة سلاجقة الرومومن تلك القوى مملكة أرمينية الصغرى، إذ سارع هؤلاء إلى الاستيلاء على بعض القلاع، بدعوى أن السلاجقة اغتصبوها منهم إبان قوتهم[2].

ولم يكتف الأرمن بذلك، بل قاموا بعمل تشمئز منه النفوس ويتنافى مع العرف والشهامة الإنسانية، وذلك عندما قاموا بتسليم أم السلطان غياث الدين

لكن البعض وكما سبقت الإشارة إليه خلطوا بين تاريخ الحادثة، وتوغل مغولي آخر بقيادة بايجو نفسه، والذي تم سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م. وجعلوا التاريخ الأخير تاريخاً لمعركة كوسه داغ. وهناك من أورد المعركة المذكورة في حوادث سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م، جامع التواريخ، ج١، ق٢ (تاريخ هولاكو) نقله إلى العربية محمد صادق نشأت وآخرون، دار إحياء الكتب العربية، ب. ت ص٢٦٠؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١٠٦؛ العيني: عقد الجمان، ج١، ص١١٨ ـ ١١٩، وهو يناقض نفسه فذكر الحادثة مرتين بتاريخين مختلفين. المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٤٠٠ ؛ وقد نبه محقق الكتاب لهذا الوهم وانظر معالجة المسألة عند أحمد توني: المرجع السابق، ص٢٤٦.

(١) أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص١٧٢ ؛ كاهن :تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ص٢٥٤؛ كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص٥٦ ؛ عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة، ص٢٩ ؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ/١٩٨٨م. ص٢٣-٢٤ ؛
Turan :Slcuklular Zamaninda Turkey. s. 439, Vasilie(A): The ByzantincEmpir"3241453"V:II(Madison,1952)p. 350,Ostrogorsky :Hist of the Byzantinc State. Translated From The German by :Hussey With aword by: PeterCharanis New Jersey , 1957,II,p. 255.

(٢) منها قلعة كينوك والتي بقيت في أيديهم حتىاستعادها منهم السلطان الظاهر بيبرس، وقلعة فايخوسرو. انظر: المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٣أ؛ ابن عبد الظاهر (محيي الدين عبد الله بن رشيد الدين بن عبد الظاهر، ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م) الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبد العزيز الخويطر، الرياض ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص٤١٧ ؛ العمري: مسالك الأبصار، السفر٣، ص١٤١ ؛ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ج٣، ص٣٤٩.

كيخسرو الثاني وابنتها إلى المغول، وكانتا قد التجأتا إلى مملكة أرمينية الصغرى، بعد زحف المغول على قيصرية[1].

وقام الكرج من ناحيتهم بالاستيلاء على بعض القلاع المجاورة لهم والتي كانت جزءاً من دولة سلاجقة الروم[2].

وكذلك فعل البيزنطيون، حيث توسعوا على حساب جيرانهم السلاجقة وأضافوا إلى دولتهم المزيد من الأراضي[3] ومن تلك النتائج أيضاً، تحرر إمبراطورية طرابزون من ضغط سلاجقة الروم، فتنفس هؤلاء الصعداء، بعد أن كانوا خاضعين لسلاطين قونية[4] بل كانوا يخشون زوال إمبراطوريتهم من الوجود على أيدي سادتهم سلاجقة الروم[5].

وداخلياً، عمت الفوضى، وتمرد التركمان وثاروا في أطراف البلاد، ومارسوا السلب والنهب، وقطع الطرق[6] هذا إضافة إلى نزوح كثيف وصل معه

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٢٨ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٢٩١ ؛ ابن العبري تاريخ الزمان، ص٢٨٧، وذكر أن أم السلطان لا تزال "حتى اليوم مستعبدة" وورد في بعض المراجع أن التي لجأت لملك الأرمن وسُلمت للمغول هي :زوجته وابنته ولم يذكروا أمه. انظر: سعيد عاشور: سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى، في بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، بيروت ١٩٧٧م، ص٢٤٣ ؛ العريني: المغول، ص١٧٩ ؛ عبد الله سعيد الغامدي: جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين، مطابع جامعة أم القرى مكة المكرمة، ١٤١٠هـ، ص٧٢. وذكر العريني في المرجع السابق والصفحة نفسها أن المغول أعادوا للسلطان غياث الدين كيخسرو الثاني زوجته وابنته.

(٢) ومن تلك القلاع: بابروان (تايروان) وأُشْلُوَان وهما قريبتان من أرزن الروم، واسترجعها الايلخان أبغا بن هولاكومن الكرج. انظر بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٦١ ؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢٣٦.

(٣) عمر توفيق: المرجع السابق، ص٢١٨.

(٤) هايد: تاريخ التجارة، ج٢، ص٣٢٩ ؛ Cambridg: History of Islam, VolI,p. 247, Vryonis: Op. Cit. p 134.

(٥) هايد: المرجع نفسه، ص٣٢٩ ؛ أحمد توني: المرجع السابق، ص٢٠٨.

(٦) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٣، ص٢٦٩ ؛ ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٣٧ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص٢٩٧ ؛ ابن واصل :مفرج الكروب، ج٥، ص٣٢٧.

بعض النازحين إلى الشام، بل تجاوزها البعض إلى مصر[١]، وذكرت بعض المصادر أن الناجين من نجدة حلب عادوا إلى ديارهم في أسوأ حال[٢] ولم يجدهم نفعاً ما أظهروه من بسالة في ساحة المعركة مع المغول[٣].

وبسيطرة المغول على آسيا الصغرى، باتوا يطوقون الخلافة العباسية في العراق من الشرق والشمال[٤] كما أصبحوا على مشارف بلاد الجزيرة والشام[٥].

فبعد انتصار المغول في تلك المعركة، وفرار السلطان كيخسرو الثاني، وتفرق فلول جيشه، ذات اليمين وذات الشمال[٦] أصبحت آسيا الصغرى كلها مفتوحة على مصراعيها أمام المغول، وأخذوا يستولون على مدنها، واحدة بعد الأخرى.

إذ تقدمت القوات المغولية إلى مدينة سيواس، وعندما اقترب المغول من أسوارها، خرج إليهم قاضيها "نجم الدين قيرشهري" محملاً بالهدايا التي جمعها من أهالي المدينة، فحصل من جنكيز خان المغول الأعظم علي"البرليغ"[٧] و"البايزة"[١] وهما بمثابة الأمان لحاملهما، يسري مفعولهما على

(١) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٩٦ ؛ ابن واصل :مفرج الكروب، ج٥، ص٣٢٥ ؛ السبكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي، ت٧٧١هـ/١٣٦٩م) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، دار احياء الكتب العربية، ب. ت. ج٥، ص٣ (ترجمة القاضي أفضل الدين الخونجي) وانظر أيضا: ابن العديم :زبدة الحلب، ج٣، ص٢٦٩.

(٢) ابن الجزري: المختار من تاريخ ابن الجزري، ص٨٠ ؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٥، ص٣٢٧ ؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٧، ص٢٥٣.

(٣) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٣، ص٢٦٩ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، الطبقة ٦٤، ص٧ ؛ الحلبي الحنبلي: الزبد والضرب، ص٤٦.

(٤) خصباك: المرجع السابق، ص١٠.

(٥) العريني: المغول، ص١٨٠ ؛ علي الغامدي: بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، ص٣٧٤-٣٧٥ ٣٧٧.

(٦) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٥، ص٣٢٧.

(٧) برليغ ويرليغ وبرالغ، تكتب بالعربية والفارسية والتركية، وهي مشتقة من الكلمة المغولية " يرليغ ، بمعنى قانون، أو مرسوم، وهو شبيه بالأمر الملكي في عصرنا الحاضر، وهو تفويض صادر من السلطان مباشرة إلى الأشخاص الممتازين، ويقال أنه خاص بالتنزيه وهوغيالفرمان، انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤٢٨، كتاب الحوادث الجامعة، ص٣٩٦، حاشية(١)؛

كل مغولي.لذلك عندما رآهما القائد بايجو نوين، سارع إلى تقبيلهما و وضعهما على رأسه، واستجاب لطلب القاضي في عدم اقتحام المدينة، ولكنه اشترط فتح أحد أبواب المدينة (باب أرزنجان) ودخول الجنود المغول منه إلى المدينة، والشروع في النهب لمدة ثلاثة أيام، دون سفك الدماء[٢].

بعد نهاية مهلة الأيام الثلاثة، غادر المغول سيواس قاصدين قيصرية وهي مدينة حصينة، وكانت تقيم بها والدة السلطان غياث الدين كيخسرو الثاني، لكنها خرجت منها بعد وصول الأخبار بهزيمة ابنها وجيشه، في كوسه داغ، وقصدت الأرمن في سيس[٣] مستجيرة بهم من المغول فكانت كالمستجير من الرمضاء بالنار.

وقبل وصول المغول إلى قيصرية، دخلتها فلول جيش السلاجقة المهزوم، ومعهم بعض القادة المعروفين منهم:ملك الزهاد صمصام الدين قايماز " الجامه دار"[٤] وفخر الدين إياز الأعرج سوباشى[٥].إضافة إلى جماعة الفتيان "الأخية"[١]

(١) بايزه: قرص من المعدن، ينقش عليه اسم السلطان، وتهدى إلى الأشخاص الذين يتمتعون بثقة المغول، وربما تضمنت أمر السلطان لسفرائه. بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٥٠، حاشية(١).

(٢) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٩٠ ؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٠-٤٤١ العريني: المغول، ص١٧٩ ؛ سعد حذيفة: سقوط الدولة العباسية، ص٣٦٤ ـ٣٦٥. وذكرت بعض المصادر أن المغول أخذوا سيواس بالسيف وليس بالأمان، وهو خلاف الواقع. انظر: ابن دقماق: نزهة الأنام، ص١٤٩ ؛ الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) دول الاسلام تحقيق: حسن اسماعيل مروة، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٩م)، ج٢، ص١٥٦ ؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٣١٣.

(٣) "سيس" هي عاصمة قيليقية (مملكة أرمينية الصغرى)قالياقوت: اسمها سيسه، وعامة أهلها يقولون: سيس. بلد من أعظم مدن الثغور الشامية، بين أنطاكية وطرسوس. معجم البلدان: ج٣، ص٢٩٧ـ ٢٩٨.

(٤) الجامه دار: وظيفة يتولى صاحبها أمور ثياب السلطان ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٩١، حاشية (٢).

(٥) سوباشي وصوباشي، لفظ فارسي مكون من مقطعين صو "سو" ومعناه: الجند، وباشي، معناه: رئيس، فيكون المعنى رئيس الجند، دخلت إلى اللغة التركية بالمعنى نفسه، وهي مرتبة ادارية و عسكرية في الوقت نفسه، يقوم متوليها بمهام مدير الشرطة، وتنفيذ أوامر القضاء، وفي زمن الحرب يرافق الجيش، ويشرف على انضباط وحداته. شوكت، محمود (الفريق أول)التشكيلات

وهبّ الجميع للدفاع عن المدينة، وترميم الأسوار والقلاع، واتخاذ التدابير والترتيبات اللازمة لذلك[٢].

ومن الجهة الأخرى، أقبل المغول كالسيل الجارف، فنهبوا وأحرقوا كل ما وجدوه خارج الأسوار، ثم أقبل قائدهم بايجو نوين، يحف به أعوانه ومستشاروه، حيث طافوا حول أسوار المدينة، ليعاينوا عن كثب، لكشف نقاط ضعف تلك الأسوار وقوتها، وحُددت مواضع نصب المنجنيقات، وخُصت الجهة التي بها "باب سيواس"[٣] بالنصيب الأكبر منها، رغم حصانة تلك الجهة، وثقة أهالي المدينة فيها[٤] وكأن هؤلاء المغول، أرادوا تطبيق الحكمة التي تقول:"من مأمنه يُؤتى الحذر".

ولم يتردد المغول في استخدام أسراهم، من عساكر سلاجقة الروم، في عملية سحب المنجنيقات ونصبها حول أسوار المدينة[٥]واندلعت الحرب بين المهاجمين والمدافعين، وحمي وطيسها، وأظهر المدافعون صبراً وجلداً عظيمين، ذكرت المغول بالمقاومة الشرسة التي واجهوها في أرزن الروم من قبل.

وبسبب شدة المقاومة من جهة، واكتفاء المغول بما جمعوه من غنائم، وما حققوه من انتصارات في المعارك السابقة من جهة أخرى، تولدت لديهم فكرة فك الحصار، وتأجيل عملية الاستيلاء عليها إلى وقت لاحق[٦].

والأزياء العسكرية العثمانية، نقله إلى العربية: نفيسة عامر، دار طلاس، ١٩٩١, ص٩٩ــ ١٠٢
الخطيب :المرجع السابق، ص٢٩٦.

(١) عن جماعة الأخية انظر: الفصل الخامس ص من هذا البحث.

(٢) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص، ٢٩١؛ Turan ; Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 440.

(٣) وهي منطقة تجارية بها سوق يسمى سوق الدّباغين انظر : Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 440

(٤) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٩١. TURAN: Op. Cit. s. 440.

(٥) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢١٩.
Turan, Osman: Selcuk turkiye sinde Faizlel Parikrazina dair hukukibir uesika, Belleten 62,Ingl Muhammed Shafi, arinagan kitabi(531-552) S. 539,Slcuklular Zamaninda Turkey. S. 440 .

(٦) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٩١. Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 441.

لكن بعد مضي أسبوعين على الحصار، وفيما كان المغول مزمعون على التخلي عنه، لاحت لهم بارقة أمل، بل سنحت لهم فرصة لا تُعوض، وفعلت الخيانة فعلتها مرة ثانية، وتكررت الحادثة التي سبق وقوعها في أرزنجان[١] وكأن التاريخ يعيد نفسه.

إذ دفع الخوف والخيانة أحد المسئولين في المدينة وهو حسام الدين بن "خازوك"[٢] للاتصال بالقائد بايجو طالباً منه الأمان فأمّنه القائد، وحصل منه على معلومات قيمة، عن المقاومة وقادتها، وما يدور داخل المدينة، فجدّ المغول في الحصار، وسمحوا لابن خازوك بالدخول إلى المدينة، وإخراج أهله وأمواله منها، وأغرى ذلك الصنيع بعض القادة لأن يحذوا حذوه، وكان أبرز الخارجين إلى بايجو فخر الدين "سوباشي" المدينة، حيث نال ما ناله سابقه ابن خازوك من الأمان والعناية وبقي صمصام الدين يتولى قيادة المدافعين لوحده[٣].

أما المغول فقد استفادوا مما حصلوا عليه من معلومات، تفوّه بها الخارجون من المدينة، وركزوا هجومهم على برج بوابة سيواس والذي أصيب بأضرار بليغة، نتيجة ضربه بالمنجنيق، ووضعوا عليه السلالم، وتسلقوها، وتغلبوا على الحراس، وفتحوا الباب فدخل الجيش بأسره إلى المدينة، وأوسعوا

---

(١) سعد حذيفة: سقوط الدولة العباسية، ص٣٦٥.

(٢) هكذا: "خازوك" في كتاب ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، النسخة التي ترجمها د. محمد السعيد جمال الدين، ص٢٩١؛ أما النسخة التي ترجمها د. محمد علاء الدين منصور، فورد الاسم بهذه الصيغة "خاژوك"ص٢٧٥ والحرف الفارسي (ژ) يُنطق مثل الحرف (j) في اللغة الانكليزية، انظر: الصياد الشرق الإسلامي في عهد الايلخانيين، ص٥، وقد يُبَدّل هذا الحرف في الفارسية بالحرف (ج) وأحياناً بالحرف (ز) محمد التونجي: ا لمعجم الذهبي، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٠م، الحرف (ژ) ص٣٢١. وكتبه عثمان توران: حاجوك Hajuk انظر : Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 441.

وقد ذكر ابن بيبي، أن هذا الرجل يشغل وظيفة " أكدش باشي" ولم أعرف معناها، إلا إذا كان المقصود " بكباشي"، وهي رتبة عسكرية عثمانية، الخطيب، المرجع السابق ص٧٥.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٢٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٢٩١ ٢٩٢؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye ,s. 441.

أهلها تقتيلاً ونهباً وعذبوا التجار والأغنياء، واستخرجوا أموالهم وكنوزهم، ثم أضرموا النيران فيها، فالتهمت الأخضر واليابس[١].

وبعد الخروج من المدينة، هدموا ما استطاعوا هدمه من الأسوار، وساقوا معهم آلافاً من الأسرى، حتى وصلوا صحراء مشهد "Meshed" في ظاهر المدينة، حيث قتلوا الرجال واستحيوا النساء والأطفال، و اقتسموهم فيما بينهم[٢].

وانتشرت فرق الجيش المغولي - بعد ذلك - في أراضي سلاجقة الروم، تزرع الخوف والدمار حيثما حلت، واستولوا على توقات[٣] وكذلك خلاط وآمد[٤].

ووصل خطرهم إلى ملطية في الجنوب، حيث هرب واليها[٥]، ووجهاؤها وتوجهوا إلى حلب في بلاد الشام.مما دفع من تبقى من الملأ فيها إلى تشكيل هيئة لإدارة شئونها، تعاون فيها المسلمون والنصارى وقرروا تسليمها طواعية للمغول، لكن هؤلاء لم يدخلوا المدينة، ومرّوا بالقرب منها، يتتبعون آثار الفارين منها إلى حلب، حيث أوقعوا بالكثيرين منهم، واستمر فراغ السلطة هذا في ملطية مدة شهرين[٦].

---

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٢٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٢٩٢ ؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٤١ ؛.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٢٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٢٩٢؛ وانظر أيضا: ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٨٨ ؛ تاريخ مختصر الدول، ص٤٤١.
وذكر عثمان توران أن المشهد الذي جُمع فيه الأسرى يسمى " أواسين" انظر : Turan: Op. Cit. s. 441

(٣) العريني: المغول، ص١٧٩ ؛ D,ohsson: Op. Cit. III. p. 73-82,Enc. Of Islam. Vol,V. Arts: Kaikhusru II. & Kaikaus,II.

(٤) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٥، ص٣٢٧ ؛ ابن الشحنة الكبير (أبو الوليد محمد بنمحمد، ت٨١٥هـ/١٤١٢م) روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر، تحقيق: سيد محمد مهنى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص١٣٦ ؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٣١٣

(٥) وهو الأمير رشيد الدين الجويني (أو الخويني) انظر: ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٤١.

(٦) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٨٨ ؛ تاريخ مختصر الدول، ص٤٤١ ؛ وانظر أيضا: ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٩٢ ؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiyc. S. 441.

وسيطر المغول أيضاً على بعض القلاع ذات المواقع المهمة خاصة على حدود دولة سلاجقة الروم مع كل من بلاد الشام[1] ومملكة الكرج ووصلت فرقة منهم إلى سبسطية[2] حيث سارع أهلها إلى التسليم، ودفعوا للغزاة ذهباً وافراً، وتركوهم يدخلون المدينة، ويصادرون الخزائن الخاصة بالدولة، ويحرقون ما عجزوا عن أخذه، خاصة آلات الحرب، ثم هدموا أجزاء من سور المدينة، وانسحبوا منها وتركوها[3].

وفي الجملة اخضع المغول دولة سلاجقة الروم لحكمهم ووطأت خيولهم ما يقدر بمسيرة شهر من تلك البلاد الواسعة.[4]

ووصل تأثير ما حصل في بلاد سلاجقة الروم إلى بلاد الشام "واضطرب الشام لذلك اضطراباً كثيراً."[5]

ثم انقلب الغزاة عائدون إلى مشتاهم في سهل موغان، ولكنهم عرّجوا في طريق عودتهم على مدينة أرزنجان، وطلبوا من أهلها أموالاً، فأبوا، مما أثار حفيظة المغول، فحاصروا المدينة، واقتحموها عنوة، بعد تقويض أسوارها بالمنجنيق، فذبحوا أهلها، ونهبوا أموالهم وممتلكاتهم، وأحرقوا ما تبقى

(1) وأشهرها قلعة قطيبا أو " قطينا" حيث استردها المماليك منهم فيما بعد، انظر: ابن عبد الظاهر (محيي الدين عبد الله بن رشيد الدين بنعبد الظاهر، ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م) تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: د. مراد كامل، الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦١م، ص٢٧ ؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩ ص٢٢٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣١، تحقيق: د. الباز العريني، اللجنة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص٣٧-٣٨ ؛ ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن بن علي، ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م) تاريخ ابن الفرات، ج٧، تحقيق: قسطنطين رزيق، بيروت ١٩٤٢، ص٢٧٣.

(2) سبسطية: بفتح أوله وثانيه، وسكون السين الثانية، وطاء مكسورة، مدينة على أعلى الفرات، قرب سميساط، محسوبة من أعمالها. ياقوت معجم البلدان، ج٣، ص١٨٤.

(3) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٢.

(4) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٣٤٢ ؛ العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٣٧. وانظر أيضا: الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٦١.

(5) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٥، ص٣٢٥.

منها[1] كما أنهم أبقوا على الفتيان والفتيات، واتخذوهم رقيقاً، وأصحاب الحرف، والأطباء ـ كما فعلوا بنظائرهم ـ ليستفيدوا منهم[2].

وعندما شرع المغول في الانسحاب من أراضي آسيا الصغرى، استفاق العقلاء من رجال دولة سلاجقة الروم، من هول الصدمة التي حلت بهم.وتحركوا من أجل الحفاظ على ما تبقى من دولتهم.

وانبرى لمعالجة هذا الموضوع الوزير الصاحب مهذب الدين علي، والذي كان قد انهزم ـ بعد كارثة كوسه داغ ـ إلى بلدة أماسية والتقى بقاضيها فخر الدين[3] واتفق معه على الخروج لمقابلة القائد بايجو، وعرض الصلح عليه[4] وسواءً كان ذلك بعلم السلطان وموافقته ـ كما يذهب إليه البعض[5] أم كان اجتهاداً شخصياً من الوزير والقاضي ـ دون علم السلطان ـ كما يذهب إليه البعض الآخر[6] فإن الرجلين أعدّا العدة، وتزودّا بالهدايا اللازمة، وخرجا في أثر المغول، رغم خطورة الطريق، وانعدام الأمن[7].

أما بايجو فقد وصلته الرسل، وهو في حدود أرزنجان تخبره بقدوم الوفد السلجوقي القادم للتفاوض، فاستقبلهم بترحاب، وانضموا إلى جيشه الذي يوالي انسحابه من أراضي سلاجقة الروم[8].

---

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٨٨ ؛ تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٢ ؛ سعد حذيفة: سقوط الدولة العباسية، ص٣٦٤-٣٦٥ ؛ محمد عبد الباسط: المرجع السابق، ص١٧٢

(2) Vincent: Op. Cit, XXXI,p. 147, Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 441.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٣٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٢٩٣.

(٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٨٨ ؛ تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٢ ؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٢٧٦ ؛ عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة، ص٢٨ ؛ سعد حذيفة: سقوط الدولة العباسية، ص٣٦٦ ؛ أحمد توني: المرجع السابق، ص٢٤٧.

(5) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye S. 441.

(6) Cahen:Pre Of Ottoman Turkey. p. 269.

وهو أيضا ما يُفهم من رواية ابن بيبي انظر الأوامر العلائية، ص٥٣٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٢٩٣ ؛ وانظر أيضا : Turan: Op. Cit. S. 441.

(٧) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٣٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٢٩٣.

(٨) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٣٩ ؛ أخبار سلاجقة ال روم، ص٢٩٣-٢٩٤.

بعد وصول بايجو وجيشه إلى معسكرهم العام في موغان.اصطحب القائد المغولي الوفد السلجوقي إلى مقر القائد العام وهو الأمير جورماغون[١] حيث دارت بين الجانبين مفاوضات صعبة، أظهر من خلالها الوزير مهذب الدين مهارة فائقة في التفاوض وأقنع قادة المغول أن دولة سلاجقة الروم لا تزال تملك الكثير من القوة، وأن الاستيلاء على جميع مدنها وأقاليمها يحتاج إلى الكثير من العدد والعتاد، والمزيد من الوقت، وأن الانتصار الميسور الذي تحقق للمغول في كوسه داغ، ربما يصعب تكراره مرة أخرى، إضافة إلى أنّ الناس في آسيا الصغرى تعودوا على حكم الأسرة السلجوقية، ومن الصعب عليهم أن يسلموا بغير هذا[٢].

ومما سهل مهمة الوفد السلجوقي، قناعة القائد المغولي جورماغون بصعوبة تحقيق نصر سريع على دولة سلاجقة الروم يُفضي إلى الاستيلاء للإمبراطورية المغولية السيطرة الكلية والمباشرة على آسيا الصغرى، إذ يكفي أن تُعلن تبعيتها للخان الأعظم[٣].

وتمخضت المفاوضات عن عقد صلح بين الجانبين تعهد خلاله المغول بالإبقاء على دولة سلاجقة الروم مقابل تبعية سلطانها للخان الأعظم في قراقورم.[٤]

---

(١) سبقت الإشارة إلى عزل جرماغون عن القيادة الميدانية للجيش المغولي المرابط في غرب الامبراطورية المغولية. انظر ما سبق ص١٠٨ من هذا البحث، لكنه ظل قائداً عاماً لا يبرح معسكره في موغان لعجزه، وكانت إحدى نسائه تتولى مسألة تفهيمه، ونقل كلام الوفد السلجوقي إليه، لثقل في سمعه. انظر: ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص ٢٩٤. وقد وافته منيته سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م. انظر العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٨٢، ص ٢٩٤.

(٢) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم ن ص٢٩٤. Turan: Selçuklular Zamanında Türkiye. S. 443

(٣) العريني: المغول، ص٣٣٥ ؛ Cahen: Pre Of Ottoman Turkey, p. 269.

(٤) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٩٤-٢٩٥ ؛ ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور ص١٣ ؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٢٠٧ ؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، وعنوانه: الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق: أولرخ هارمان، القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص٢٥٧ ؛ Howorth:Op. Cit. , III,p. 11.

ولم تكـن تلـك بدعـة في سياسـة المغـول، فقـد أبقـوا علـى حكـم بعـض الأسـر عنـدما دخلـت بلـدانها تحـت حكمهـم طواعيـة قبـل سيطرتهم علـى آسيا الصغرى[1].

واشترط المغول أيضاً أن يقدم لهم سلاجقة الروم الدعم العسكري، عند حاجتهم إليه[2] إضافة إلى ضريبة مالية سنوية، تباينت المصادر بشأنها تبايناً.

كبيراً[3] إلا أن مدينتي سيواس و قيصرية فُرضت عليهما ضريبة سنوية مستقلة، يبدو أنه تم الاتفاق عليهما عقيب مهاجمة المغول للمدينتين[4].

وتضيف المصادر أشياء عينيـة أخـرى، تعهـد سـلاجقة الـروم، بـدفعها للمغول في كل عام، ولم تخل هذه أيضاً من التباين الواضح[5].

---

(١) منهم أسر توالت على الحكم خاصة في بلاد فارس وكرمان مع التبعية للمغول. انظر: زمباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ؛ الصياد: المغول، ص١٨٢.

(٢) عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة: ص٢٨ ؛ العريني :المغول، ص١٠٧ ؛ ١٧٩؛ محمود عمران: المرجع السابق، ص٢٢، ٥٣.

(٣) قدرت بعض المصادر تلك الضريبة بألف دينار كل يوم. انظر: سبط ابن الجوزي ؛ مرآة الزمان، ج٨، ص٧٤٩ ؛ المختصر من تاريخ ابن الجزري، ص١٨٥ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، الطبقة ٦٨، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٢٣٨ ؛ العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد، بيروت، (ب. ت)، ج٣، ص٢٣٩ ؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٧، ص٣٥٢ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج٦، ص٣٤٧.

وذكر الذهبي في مصنفه: دول الإسلام، مقدارها بأربعمائة ألف دينار سنوياً، ج٢، ص١٥٦، في حين جعلها العيني ثلاثمائة وستين ألف درهم سنوياً. عقد الجمان ج٣، ص٤٠١.

أما اقسرائي فذكر أن مقدارها عشرون توماناً في السنة (والتومان عشرة آلاف) أي ما يعادل مائتي ألف دينار. مسامرة الأخبار، ص٣٥.

وقدرها المؤرخ الفرنسي المعاصر "مرشرنسج" بمليون ومائتي ألف دينار من الذهب سنوياً.

ولم يحدد كل من ابن بيبي، وابن العبري مقدار تلك الضريبة واكتفيا بالإشارة إليها دون ذكر رقم معين. انظر: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٩٤-٢٩٥ ؛ تاريخ الزمان، ص٢٨٨؛ تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٢.

(٤) وقدرت هذه الضريبة بأربعمائة ألف دينار سنوياً. انظر: المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٣١٣ ؛ العريني: المغول، ص١٧٩ ؛ محمود عمران: المرجع السابق، ص٥٣.

(٥) وأكثر المصادر ذكرت أنه تم الاتفاق على أن يرسل سلاجقة الروم إلى المغول كل يوم: فرساً، ومملوكاً، وجارية، وكلب صيد. انظر: سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٨، ص٧٤٩ ؛ المختصر

وأشار البعض إلى أن المغول أقاموا لهم شحنة في بلاد الروم، يكون نائباً للخان الأعظم، وممثلاً له[1] إلاّ أن هذا الأمر لم يتضح إلاّ في وقت لاحق[2]. رغم أن التاجر القزويني، والذي سبق أن حمل رسالة خان المغول إلى السلطان علاء الدين كيقباذ الأول، ورد السلطان عليها[3] ادّعى أنّ خان المغول عيّنه نائباً عنه في بلاد الروم، وأصدر له مرسوماً بذلك، إلاّ أنّ تسرع بايجو في مهاجمة أراضي سلاجقة الروم، أفسد كل ذلك[4] لكن يتبادر إلى الذهن، أنّ احتمال موافقة سلاجقة الروم على إقامة نائب للخان في بلادهم، بعد هزيمة كوسه داغ هو أكبر بكثير من موافقتهم عليه قبلها.

وبعد أن أحكم الوفد السلجوقي عقد الصلح مع المغول قفل عائداً إلى آسيا الصغرى، وكان محل حفاوة وترحيب كل المدن التي مرّ بها، وذلك بإيعاز من السلطان نفسه، والذي وصلت إليه البشائر بعقد الصلح، فتشجع وعاد إلى قونية - عاصمة ملكه - حيث استقبل الوفد بحفاوة منقطعة النظير، وأجزل لأعضائه العطاء، وخص منهم وزيره مهذب الدين علي.واعترف له بالفضل في إعادة الحياة للدولة بعد النكسة التي منيت بها على أيدي المغول في كوسه داغ[5].

من تاريخ ابن الجزري، ص١٨٥ ؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٧، ص٣٥٢ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، الطبقة "٦٥"، ص٧ ؛ العبر، ج٣، ص٢٣٩ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٢٤٧.
وذكرت مصادر أخرى أنه تم الاتفاق على أن يأخذ المغول من سلاجقة الروم آلافاً من رؤوس الماشية بكافة أنواعها، وأحمالاً من الثياب والقماش التي أشتهرت بها بلاد الروم. انظر ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٩٥ ؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٨٨ ؛ تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٢ ؛ اقسرائي: مسامرة الأخبار، ص٣٦ ؛ العيني: عقد الجمان، ج٣ ص٤١٠.

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، الطبقة "٦٥"، ص٨ ؛ زبيدة عطا: الترك في العصور الوسطى، ص١٣٤.

(2) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye, s. 448.
واستبعد وجود شحنة مغولية في هذه الفترة.

(٣) انظر ما سبق ص٣٢ من هذا البحث.

(٤) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٤٤. مع ملاحظة مرور فترة طويلة. نسبياً بين ذهاب هذا الرسول إلى المغول سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٧م، وعودته التي جاءت بعد موقعة كوسه داغ سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م.

(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٣٧ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٢٩٨.

ومع أن الوزير مهذب الدين رفض كثيراً من الأموال والهدايا التي منحت له من السلطان، إلا أنه قَبِلَ إسناد الوزارة إليه مرة أخرى، وكانت غيبته الطويلة في بلاد المغول وانقطاع أخباره، قد دفعت المسئولين في قونية إلى تنصيب الصاحب شمس الدين الإصفهاني خليفةً له في الوزارة، وكان الإصفهاني قد عاد لتوه من بلاد الشام، ولم يشهد معركة كوسه داغ، وخشي من سخط السلطان عليه، إلا أن السلطان قبل عذره وعفا عنه[1].

وإثر ذلك بدأ المسؤولون في بلاد سلاجقة الروم عمليةً لإصلاح ما أفسدته هجمات المغول، وإقالة البلاد من عثرتها[2] إلا أنها غدت منذ ذلك التاريخ محمية مغولية[3].

(١) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٢٩٦-٢٩٧؛ ويقول في ذلك "... وضع أساس التبعية"
(٢) المصدر نفسه ص٢٩٥.
(3) Cahen: pre ottoman. Turkey,pp.٣٦٥ وانظر أيضا: سعد حذيفة: سقوط الدولة العباسية، ص

الفصل الثاني

الهيمنة المغولية على آسيا الصغرى(٦٤١-٦٦٠هـ/ ١٢٤٣-١٢٦٢م)

الفصل الثاني

الهيمنة المغولية على آسيا الصغرى(٦٤١- ٦٦٠هـ/ ١٢٤٣- ١٢٦٢م)

المبحث الأول: السلطان كيخسرو الثاني بعد معركة كوسه داغ.

١- موافقة المغول على استمرار الدولة السلجوقية.

٢- القادة المغول الذين تحكموا في آسيا الصغرى قبل قدوم هولاكو.

٣- آثار المغول في بلاد سلاجقة الروم:

٤- نهاية عهد كيخسرو الثاني.

المبحث الثاني: خلفاء كيخسرو الثاني (أبناؤه الثلاثة)

- تحكم الوزير" الصاحب" شمس الدين الاصفهاني في شئون الدولة.
- تدخل القاآن "كيوك" في شئون الحكم في دولة سلاجقة الروم.
- إشراك أبناء كيخسرو الثلاثة في الحكم، تحت إشراف الأتابك قرطاي.
- سفارة علاء الدين كيقباد الثالث إلى بلاد المغول و وفاته.

المبحث الثالث: عرش سلاجقة الروم بين الأخوين: كيكاوس الثاني و قلج أرسلان الرابع.

- تجدد النزاع بين ابني كيخسرو الثاني.
- توغل بايجو نوين بجيشه في آسيا الصغرى من جديد.
- عودة النزاع بين كيكاوس الثاني وقلج أرسلان الرابع.
- موقف الأخوين ابني كيخسرو الثاني من حملة هولاكو و نهاية بايجو نوين.
- الجولة الأخيرة من النزاع بين كيكاوس الثاني وقلج أرسلان الرابع.
- استفادة الأطراف الخارجية من النزاع بين السلاجقة.

المبحث الأول: السلطان كيخسرو الثاني بعد معركة كوسه داغ.

١- موافقة المغول على استمرار الدولة السلجوقية:

عندما فرّ السلطان كيخسرو الثاني - غداة هزيمته في كوسة داغ- عبر مناطق غرب الأناضول، والتقى على ضفاف نهر الميانـدر، بامبراطور نيقيه البيزنطي "فاتاتزيس Vatatzes"[(١)] وجدد معه معاهدة قديمة بين الطرفين من بنودها، إرسال نيقية عدداً من الجنود إلى قونية، يتراوح عددهم بين الأربعمائة والألف ومئتين، عند حاجة الأخيرة لذلك[(٢)] وكسب كسخرو الثاني من تجديد تلك المعاهدة، الاطمئنان على حدود مملكته الغربية، أو ما تبقى منها، وإن كان هذا على حساب علاقته مع القوى اللاتينية الصليبية المسيطرة على القسطنطينية.[(٣)]

وبعد تجديد تلك الاتفاقية، عاد السلطان كيخسرو إلى عاصمته قونية، متشجعاً بالأنباء التي وصلته عن نجاح البعثة التي اتصلت بالقائد المغولي جرماغون وعقدت الصلح معه[(٤)].

وبعد انقشاع غبار كارثة كوسه داغ اجتمع السلطان بوزرائه و مستشاريه، وتم الاتفاق بينهم على الاتصال بالأمير المغولي "باتو خان Batu"[(٥)] ليصادق على الصلح الذي تم الاتفاق عليه مع جرماغون نظراً لكونه أكبر قواد المغول في المنطقة[(١)].

(١) الإمبراطور: حنا الثالث دوقاس فاتاتزيس 'John III Dacas tezes Vatatzes' كان زوجاً للأميرة ايرين Irene بنت الامبراطور تيودور لاسكاريس 'Theodor Lascaris' امبراطور نيقيه فخلفه على عرشها بعد وفاته سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٢م. وامتد حكمه حتى سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م.
Vryonis: SPEROS, JR: BYZANTIUM: THE SOCIAL BASIS OF DECLINE IN THE ELEVENTH CENTURY, GREEKS, ROMAN AND BYZANTINE STUDIES, VOL II. (1959) p. 159-175.

(2) Vincnet: Op. Cit. s. 393, Brhier, L La Vie et La mort de Byzance, Paris, 1948, Acropolites. (Georgius) :Historia, Leipzing Annales (from 1203 to 1261) ed by: Recognovit Bekker corpus Scriptorum Historiae Byzantina, Bonn 1903. s. 35 .

(3) Pachymeres, G, Historia, trc. Cousin Chist. Cons. VI. Le. Beau, xxxII. S,411. A. Gardner. A: The zaskarides, Of Nicaea London, 1912. s. 21, Turan: Slcuklular Zamaninda Turkey, S. 443-449 .
وانظر أيضاً: حسنين ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٨٢.

(٤) انظر ما سبق ص ٩٤من هذا البحث.

(٥) باتو، وتكتب أحياناً (في بعض المصادر العربة) باطو، وهو ابن جوجي بن جنكيز خان زعيم مغول القفجاق، خلف والده في حكمها واستمر بها حتى وفاته سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م، الهمذاني:

وتم تشكيل هيئة لإنجاز هذا العمل، وتولى رئاستها شمس الدين الأصفهاني ومن أعضائها قاضي أماسية (فخر الدين)، والترجمان مجد الدين محمد(٢).واستُثني منها الوزير الصاحب مهذب الدين لإعطائه قسطاً من الراحة بعد الجهد الذي بذله في رحلته إلى موغان، والاتفاق مع المغول على الصلح(٣).

وسارت البعثة من قونية، محملة بالكثير من الأموال والهدايا النفيسة نحو الساحل الشمالي لآسيا الصغرى واستقل أعضاؤها سفينة عبرت بهم البحر(٤) ثم أكملوا مسيرتهم براً، حتى وصلوا إلى معسكر باتو خان، على ضفاف نهر "الفولجا Volga"(٥) وحظوا هنالك باستقبال كريم، من جانب الزعيم المغولي الذي قبل هداياهم، وردّ عليهم بمثلها، وخص السلطان كيخسرو الثاني ببعضها، مما يوحي برضاه عنه(٦)، وموافقته على شروط الصلح، وتبعيّة سلاجقة الروم له(٧).

والأهم من ذلك إصداره "برليغا" نصّ على تعيين السلطان كيخسرو الثاني نائباً عنه في دولة سلاجقة الروم.(٨)

وفي نهاية المقابلة، منح الزعيم المغولي شمس الدين الأصفهاني -رئيس البعثة- لقب (نظام الملك وصلاح العالم) وفوضه تدبير شئون البلاد في ظل نائبه السلطان السلجوقي كيخسرو الثاني(١).

جامع التواريخ ج١، ق٢، ص١٢١-١٢٤. وتسميه بعض المصادر: صاين خان انظر: ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٤١-٥٤٢، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٩، ٣٢٨، ٣٣٤، ٣٦١، النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٣٥٧، وذكر أنّ هذا لقبه. وانظر: العيني: عقد الجمان، ج١، ص٧٦-٧٧.

(1) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey, P. 269.

(٢) وهو والد المؤرخ ابن بيبي. انظر: المولوي: صحائف الأخبار، ورقة ٥٩٣أ.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٤٦، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠١.

(٤) المقصود البحر الأسود، ومن أسمائه القديمة: بنطس أو بنطش، وعند الرومان: بونتوس Pontos، وفي كتب البلدانيين العرب: نيطس، ونيطش. وهو يفصل بين آسيا الصغرى وشبه جزيرة القرم. انظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص١٢٩، ١٣٢، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص٣٤-٣٥، لسترينج: المرجع السابق، ص١٦٨-٢١٩.

(٥) الفولجا: نهر طوله ٣٦٨٤كم، وهو أطول أنهار أوروبا، ينبع من تلال فالداي، ويتدفق نحو الشرق والجنوب، حتى يصب في بحر قزوين ويشمل حوضه نحو ثلث مساحة روسيا الأوروبية. الموسوعة العربية الميسرة. بإشراف محمد شفيق غربال. دار نهضة لبنان، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م. ج٢ ص ١٣٣٧.

(٦) ومن تلك الهدايا: قوس وجعبة سهام، وسيف، وقباء، وقلنسوة مرصعة. انظر: ابن بيبي: الأوامر العلائية ٤٣٥.

(٧) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٤٣٥، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠٠؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 450.

(٨) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٤٣، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠٠.

وصحب البعثة عند عودتها إلى آسيا الصغرى أمير مغولي يدعى: "سانقسون قرجي Sangsun Kurji" مندوباً من باتوخان "لرد الزيارة"[٢] ولا يمكن بحال اعتبار ذلك الأمير حاكماً مغولياً في بلاد سلاجقة الروم.

وحصلت البعثة -آنفة الذكر- أيضاً على إذن من الزعيم المغولي باتوخان بمعاقبة مملكة أرمينية الصغرى، جراء ما اقترفته أيدي المسئولين فيها بعيد موقعة كوسه داغ، وما رافقها من حوادث.[٣]

٢- القادة المغول الذين تحكموا في آسيا الصغرى قبل مجئ هولاكو:

إلا أن السؤال الذي يفرض نفسه هنا، هو: هل كان باتو خان مخولاً للتدخل في شئون مملكة سلاجقة الروم؟

من المعروف أن هذا الزعيم المغولي من أحفاد جنكيز خان، وتولى زعامة الجيش المغولي الزاحف على مناطق جنوبي روسيا، والذي أسس دولة مغول القفجاق (أو القبيلة الذهبية)[٤]، وبصفته من سلالة جنكيز خان، وأقرب أمير إلى آسيا الصغرى، ينحدر من تلك الأسرة، فقد تدخل بصورة مباشرة في الشئون الداخلية لدولة سلاجقة الروم.[٥] وساق ابن شداد حادثة تؤكد خضوع القائد بايجونوين لأوامر باتوخان.[٦] مما يرجح صدق مقولة أن

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٤٣، ، أخبار سلاجقة الروم ص٣٠٠.

(٢) المصدرين السابقين، ص٥٤٣، ص٣٠٠.

(٣) زبيدة عطا: المرجع السابق، ص١٣٢ ؛ Chen: Pre Of Ottoman Turkey. P. 270. وانظر ما سبق الفصل الأول ص ٦٨.

(٤) عندما قسم جنكيز خان، دولته بين أبنائه، منح ابنه جوجي، المنطقة الواقعة إلى الغرب من بحر قزوين، وعرفت باسم (دوشت القفجاق) ودوشت كلمة فارسية تعني: صحراء، وتسمى أيضاً القبيلة الذهبية Golden Horde لاستخدامهم خياماً ذهبية اللون. انظر: الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٠-٤٠. ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٤٣، أخبار سلاجقة الروم ص٣٠٠.

(5) Cambridge History Of Islam. IV. P. 1 ,Cahen: The Mongols And Near East. "Setton"747,Pre Of Ottoman Turkey. P. 269.

(٦) والحادثة هي أن بايجونوين حاصر ميا فارقين سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م، فأرسل صاحبها الملك الكامل الأيوبي إلى باتو خان، ليمنع بايجو من احتلال المدينة. فاستجاب لندائه، وأمر بايجو بالرحيل عنها، فرحل وتركها. الأعلاق الخطيرة، ج٣، ق٢، ص٤٧٧.

المذكور كان وكيلاً للقآن على كل القوات المغولية الزاحفة غرباً وما تضمه من مناطق جديدة للدولة المغولية.[١]

واستمر إشراف باتوخان – بطريقة أو بأخرى- على بلاد سلاجقة الروم، حتى أقبل هولاكو بجموعه مفوضاً من أخيه القآن بإدارة المناطق التابعة للمغول في غرب آسيا[٢].

لكن الجيوش المغولية التي اندفعت في غرب آسيا وصولاً إلى عمق الأناضول، كانت خاضعة لقادتها الميدانيين والذين عُينوا بأوامر القآن، وكان هؤلاء هم المتحكمون فعلياً في المناطق التي أخضعها جنودهم[٣].

ويبدو نفوذ أولئك القادة جلياً على أرض الواقع فكان جرماغون، ومن بعده بايجو، صاحبا الحل والعقد في بلاد سلاجقة الروم، ولهما الكلمة الأخيرة في شئونها حتى دخل هولاكو إلى حلبة الصراع[٤].

ورغم قوة نفوذ القادة الميدانيين، إلا أنه كان هناك مشرفون معينين من قبل السلطات المغولية في قرا قورم، للإشراف على إدارة المناطق المضافة حديثاً للنفوذ المغولي، ومن أولئك المشرفين الأمير آرغون آغا "Argon Aga"[٥] والذي أسندت إليه الوصية على العرش "توراكنة خاتون[٦] "Turakina Haton" الإشراف

---

(1) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey , p. 269,
رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٣٤٧.

(2) Cahe :Op. Cit, P. 275.

(3) Cahen: Op. Cit. P. 276.

(٤) العريني: المرجع السابق، ص٢٠١.

(٥) كان آرغون آقا كاتباً لدى أو كتاي قآن بن جنكيز خان (٦٢٦-٦٣٩هـ/١٢٢٨ - ١٢٤١م). الجويني: تاريخ جها نكشاي، ج١، ص٢١٢، الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الايلخانين، ص١٠٢، حاشية (٣).

(٦) توراكنه خاتون – من قبيلة "أوهات مركيت" تزوجها أكتاي قآن، و كانت ذات سلطان كبير يتهمها الهمذاني بإثارة الفتنة بين أفراد الأسرة "الجنكيز خانية" وتجاهل وصية جينكيز خان وآراء بعض كبار الأمراء. اعتلت العرش وصية عليه بعد وفاة زوجها أوكتاي، واستمرت في تصريف شئون الدولة حتى تم انتخاب ابنها الأكبر كيوك قآنا في سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م واستطاعت بدهائها كسب قلوب كثير من الأمراء والقادة، ولم يخل عهدها من الفتن والاضطرابات، وظهر عدد من الطامعين إما في الأموال أو المناصب أو حكم بعض المناطق وتوفيت بعد اعتلاء ابنها العرش بشهرين أو

على المناطق الممتدة من نهر جيجون[١] شرقاً، حتى بلاد سلاجقة الروم غرباً، خلفاً للأمير كوركوز[٢]" Korcuz وقد باشر آرغون عمله سنة ٦٤١هـ/ ١٢٤٣- ١٢٤٤م، ووصلت إليه أنباء انتصار المغول في كوسه داغ، أثناء قيامه بجولة تفتيشية في المناطق التي أسندت إليه في غرب إقليم فارس[٣].

ويبدو أن هذا الأمير كان على علم باستبداد القادة الميدانيين العاملين في المناطق الخاضعة لإدارته، وفي محاولة منه لخفض ذلك الاستبداد، ووضع حد للمظالم التي ارتكبها أولئك القادة، كما اختار أحد معاونيه وهو بهاء الدين الجويني[٤] ليكون نائباً ومشرفاً على مناطق أذربيجان[٥]، وبلاد سلاجقة

ثلاثة. جامع التواريخ، ج١، ق٢، ص١٧٦-١٧٩. هذا وقد ورد اسمها في بعض المصادر والمراجع: توراكينا، وتوركينا، واعتمدنا الرسم الوارد في جامع التواريخ للهمذاني. وذكر عباس إقبال تاريخ وفاتها سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م. انظر: تاريخ المغول، ص١٧٤.

(١) جيحون: نهر كبير كان فاصلاً بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية، أي بين إيران وتوران، وما يقع وراءه من مناطق إلى الشمال عنه سماها العرب بلاد ما وراء النهر، وله أسماء محليّة عرف بها منها: أوكسس Oxus، وأموية أو أمودريا، وعلى ضفاف النهر المذكور مدن كثيرة، وورد وصفه في كتب البلدانيين العرب، وتتبعوا روافده، ومنبعه ومصبه، انظر :، ابن حوقل: المصدر السابق، ص٣٢٦- ٣٢٧؛ القزويني: المصدر السابق ص٣٥٢ لسترنج: المرجع السابق، ص٤٧٦ - ٤٨٨.

(٢) هكذا ورد الاسم عند الهمذاني، وورد بصيغ أخرى منها: كورجوز "Korguz" وجرجوز. انظر: عباس إقبال: تاريخ المغول، ص١٨٨.

Cambridge, History of Iran. Vol 5 "The Seljug And Mangol Perioded By: J(Boyle. J) Cambridge ,1968 , P. 338.

وقد عُهد إلى هذا الأمير بإدارة مناطق غرب الدولة المغولية، وما يضاف إليها من مناطق مستقبلاً، منذ سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، لكن قبض عليه وأدين بتهمة التمرد فأعدم في التاريخ المشار إليه في المتن. انظر: الهمذاني: جامع التواريخ، ج١، ق٢، ص١٧٨، ١٩٠-١٩١، ٢١٥.

(٣) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص١٨٨، حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، ص٢٦٣، Dohsson: Op. Cit. II , p. 262, Cambridge: History of Iran. P. 338.

(٤) بهاء الدين محمد بن محمد الجويني، من إقليم جوين غربي خراسان، رأس الأسرة الجوينية، التي لعبت دوراً مهماً في دولة المغول للإيلخانيين بفارس وتوابعها. كان بهاء الدين مقرباً من السلطان الخوارزميين، محمد ابن تكش، المتوفي سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م. وبعد هزيمة الأخير من المغول دخل الجويني في طاعة هؤلاء، وشغل عدة وظائف منها (صاحب الديوان) في خراسان، وظل موظفاً حتى وفاته سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م في أصفهان، دائرة المعارف الإسلامية، ج٧، ص١٨٣.

(٥) أذربيجان: هو إقليم واسع، يحده شرقاً بلاد الجبل، وبلاد الديلم، وجنوباً العراق، وبعض مناطق الجزيرة، وغرباً بلاد الروم وشمالاً بلاد الديلم أيضاً. وقصبته تبريز، ومن مدنه المشهورة: سلماس والمراغة. ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص١٢٨، أبو الفداء: تقويم البلدان ص٣٨٦.

الروم، وكرجستان[1].لكن محاولة آرغون تلك لم يكتب لها النجاح، وذلك لسببين ؛ **الأول**: أنه هو نفسه، لم يلبث أن انجرف مع تيار الاستبداد والطغيان، فأطلق لسياسته التعسفية العنان، وساعده القادة الميدانيون في ذلك.[2] **الثاني**: أن السيطرة الفعلية والتحرك على أرض الواقع لا زال بيد القادة الميدانيين، والذين لا يملك آرغون سلطة تعيينهم، ناهيك عن عزلهم.

كما أن بعد بلاد سلاجقة الروم عن مركز الدولة المغولية، جعل من الصعب على خانات المغول السيطرة المباشرة عليها.[3] أو حتى على جيوشهم الغازية لها، مما وفر للقادة الميدانيين جواً مناسباً لممارسة الظلم والطغيان.

أما على أرض الواقع.فكما سبقت الإشارة إليه كان لقادة الجيش سلطات واسعة، وكان أول من مارسها في بلاد سلاجقة الروم، جرماغون وبايجو منذ سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م[4] ثم انفرد بها الأخير فترة قصيرة بعد عجز الأول[5].إذ جاء قائد جديد هو:ايلجيكتاي "Elegektay" معيناً من قبل القاآن "كيوك[6] "Kiuk في حدود سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م[7]وجاء بمعيته جيش جرار،

---

(١) حافظ حمدي: الدولة الخورازمية والمغول، ص٢٦٣، عباس إقبال: تاريخ المغول، ص١٧٣ ؛ D,ohsson: op. cit. II. P 262.
وكرجستان بلاد الكرج، وقصبتها تفليس، وعدّها أبو الفداء من أقاليم ارمينية واران وأذربيجان. تقويم البلدان، ص٤٠٢-٤٠٣.

(٢) حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، ص٢٦٣، عباس إقبال: تاريخ المغول، ص١٧٣، محمود السيد: المرجع السابق، ص١٢٣-١٢٤ ؛ ٢٦٢. D.ohsson : op.cit . II . P 262.

(3) Cahen: The Mongols And Near East. "Setton". p. 725.
وانظر أيضاً: العريني: المرجع السابق، ص٢٠١.

(٤) محمود شلبية، رسالة ص٦٩.

(٥) انظر ما سبق – الفصل الأول، ص٨٥ من هذا البحث.

(٦) كيوك خان. الابن الأكبر لأوكتاي قاآن، انتخبت قاآنا سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥هـ وتوفي في نواحي سمرقند سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م. الهمذاني: جامع التواريخ " خلفاء جنكيز خان"، ص ١٧٤-١٨٦.

(٧) وتاريخ هذه الحادثة عند ابن العبري سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٩.

هدفه الأول إخضاع فرقة الإسماعيلية[1]، والقضاء على ثورات بدأت تطل برأسها في الجناح الغربي لدولة المغول المترامية الأطراف.[2]

وبالإضافة إلى إشرافه على الجيوش المرابطة في مناطق غرب الدولة، فقد تم تفويض القائد إيلجيكتاي بالتصرف المباشر في إدارة شئون دولة سلاجقة الروم –وبعض المناطق الأخرى- [3] من الناحيتين الإدارية والمالية، ويكون حكام تلك المناطق مسئولين أمامه، مسئولية مباشرة، ودون تدخل أحد من زعماء وقادة المغول الآخرين[4].

وقد يتبادر إلى الذهن وجود تناقض بين تعيين الأمير آرغون مشرفاً على المناطق الغربية من الدولة – ومن ضمنها بلاد سلاجقة الروم- وبين تعيين القائد إيلجيكتاي وتفويضه بمراقبة تلك المناطق، ومحاسبة حكامها !!!.

لكن المسألة تتضح إذا علمنا أن القاآن كيوك لم يشأ عزل الأمير آرغون من منصبه لأن والدته هي التي اختارته لهذا المنصب، حينما كانت وصية على العرش، لكن ظروف المنطقة وهدف الحملة التي أرسلها بقيادة ايلجيكتاي كان يتطلب توفير جميع أسباب النجاح لها.ومن تلك الاسباب الإشراف المباشر على المناطق التي تستهدفها الحملة، ومحاسبة حكامها، ربما

(١) الاسماعيلية: فرقة من الشيعة يزعمون أن الإمامة بعد جعفر الصادق (٨٠ -١٤٠هـ/٦٩٩-٧٦٥م) في ابنه اسماعيل، وقد زادت شوكتهم حتى أقاموا لهم دولة في إيران في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. الشهرستياني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم. ت٥٤٨هـ/١٢٥٣م) الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز الوكيل بيروت. (ب. ت) ص١٥٢؛ محمد السعيد جمال الدين: دولة الاسماعيلية في إيران، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٨٩-٩٥.

(٢) الجويني: تاريخ جهانكشاي، ص٢٣٦، الهمذاني: جامع التواريخ، ج١، ق٢، ص١٨٣. وانظر أيضاً: ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٩، تاريخ الزمان، ص٢٩١.

(٣) والمناطق الأخرى هي: كرجستان، والموصل، وديار بكر.

(٤) الجويني: تاريخ جهنكشاي، ص٢٣٦، الهمذاني، جامع التواريخ، ج١، ق٢، ص١٨٣، وانظر: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٩.

لتوفير المبالغ المالية اللازمة لدعم الحملة. وكل ذلك يتطلب إطلاق يد القائد ايلجكتاي في تلك المناطق.

وبحكم ارتباط بلاد سلاجقة الروم إدارياً بالسلطة المغولية في بلاد فارس، فإن تلك السلطة كانت في بدايتها مؤقتة، ومزدوجة، ويشوبها شيء من الغموض، واستمرت على تلك الحال قرابة عشرين عاماً[1].كانت السلطات المغولية خلالها تكتفي بفرض حماية لا تستهدف إزالة المؤسسات السلجوقية الحكومية[2].

وزاد المسألة تعقيداً اتصال سلاجقة الروم بمغول القبيلة الذهبية، وإعلان تبعيتهم لهم، رغم عدم اشتراك قوات هؤلاء مباشرة في إخضاع أراضيهم[3].

ومهما يكن من أمر فإن القائد ايلجكتاي أصبح مسئولاً رسمياً عن الإدارتين المالية والإدارية لمناطق غرب آسيا، ومن ضمنها دولة سلاجقة الروم، وتضاءل بذلك نفوذ القائد الميداني بايجو.[4] لكن الأخير عاد وأخذ زمام الأمور، إثر إعدام الأول لتدخله في نزاع وقع بين بعض الأمراء المغول سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م [5]، واستمرت سيطرة بايجو المطلقة على بلاد سلاجقة الروم، منذ ذلك التاريخ حتى قدم هولاكو بجموعه إلى المنطقة[6].

٣- آثار المغول في بلاد سلاجقة الروم:

وعلى كل حال فإن الرعايا في دولة سلاجقة الروم - وغيرها - هم أكبر المتضررين من الحروب والصراعات التي تدور على أراضيهم، فتسفك دمائهم

(١) العريني: المرجع السابق، ص٢٠٧.
(٢) كاهن: تاريخ العرب، ص٢٧٢.
(٣) انظر ما سبق ص ٩٧من هذا البحث. وانظر أيضاً ما يلي ص١٤٧ من هذا البحث.
(٤) العريني: المغول، ص١٩٢.
(٥) الهمذاني: جامع التواريخ، ج١، ق٢، ص٢١٠، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٩٦.
(٦) العريني: المرجع نفسه، ص٢٠٣.

وتخرب مدنهم، وتجبر من نجا منهم على النزوح وترك أراضيهم، والانتقال إلى أراض أخرى نائية، ليأمنوا من بطش المغول وظلمهم.(١)

ولقد سجل التاريخ اعتراف أحد المعاصرين لتلك الحوادث، والمقربين من السلطة المغولية، بأن المناطق الإسلامية التي ابتُليت بغزو المغول لم يبق من سكانها إلا جزء من ألف من مجموع أولئك السكان.(٢) وكما يروي أحد المعاصرين " لم يقتل أحد في العالم من الخلق مثل ما قتل هؤلاء " (٣)وكان للمسلمين في آسيا الصغرى النصيب الأوفر من ذلك العذاب.

وأما الدمار فحدث ولا حرج، فها هو ابن سعيد، يذكر في كتاب الجغرافيا، أن دولة سلاجقة الروم، كانت تضم قبل تعرضها لغزو المغول واحتلالهم ما يقرب من أربعة وعشرين مدينة عامرة، تزخر بالمباني الفخمة، والمساجد، والأسواق والحمامات والمدارس والخانات(٤)، وبها القضاة، والعلماء والتجار والبزازون(٥)، ويتبعها أيضاً أربعمائة ألف ضيعة(٦).وبعد الغزو المغولي والاحتلال اضمحلت بعض المدن، وتلاشى البعض الآخر، أما الضياع فطالت يد

---

(١) الصياد: المغول، ص١٨٣.

(2) Browen (E. G. A): Hisyory of Persia, Literature Under Tatar Dominion Cambridge 1920, vol: II, p: 439.
نقلاً عن الجويني وهو معاصر للحوادث. وانظر أيضاً: حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، ص٢٨٨، محمد عبد الباسط: المرجع السابق، ص١٩٦. شپولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي – نقله إلى العربية خالد أسعد عيسى، دار حسان للطباعة والنشر – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٦٠.

(٣) الهمذاني (رشيد الدين فضل الله، ت ٧١٨ هـ/١٣١٩م) جامع التواريخ، تاريخ غازان خان، نقله إلى العربية: فؤاد الصياد، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص٢٨٠. وسنشير إليه فيما بعد باسم: تاريخ غازان خان.

(٤) الخانات: جمع خان، كلمة فارسية معناها: المنزل الكبير، دخلت إلى العربية في العصر الإسلامي، ومن معانيها الفندق الذي ينزل به التجار وعابروا السبيل، التونجي: المرجع السابق، مادة: خان، الخطيب، المرجع السابق، ص١٥٧-١٥٨.

(٥) البزازون: جمع بزاز وهو بائع الثياب أو السلاح، مأخوذة من البزّ، وهو نوع من الثياب وتأتي بمعنى السلاح المعجم الوسيط. مادة: بزّ.

(٦) ضيعة: هي الأرض المُغِلّة، والعمل النافع المربح، كالتجارة والصناعة وغيرهما من الحرف. جمعها: ضياع وضيَع. القاموس المحيط. مادة: الضيعة.

الخراب معظمها، ولم يبق من ذلك العدد الضخم إلا ما نسبته ١٪ إذ أن (ست وثلاثون ألف قد خربت)[١].

و مادام الحديث بشأن الدمار الذي أحدثه المغول في المنطقة، فسنورد أمثلة لذلك فمنها ما فعله أحد القادة المغول – في الفترة موضع الدراسة- بمدينة ملطية.إذ لم تمض بضعة أشهر على انتصارهم في كوسه داغ، حتى جاءت فرقة من جيش المغول بقيادة ياساور[٢].قاصدة مهاجمة حلب، لكنها اضطرت للنكوص على أعقابها، بسبب حفىً أصاب خيولهم[٣]، وأثناء العودة إلى المعسكر في موغان عرّج ياساور بفرقته العسكرية على مدينة ملطية.وكان واليها رشيد الدين، قد عاد إليها لتوه بعد هروبه منها إثر سماعه نبأ هزيمة السلطان في كوسه داغ.

فبعث إليه ياساور يتهدده، ويبتزه، لم يجد الوالي مناصاً من جمع الأموال والنفائس والحلي وإرسالها إلى القائد المغولي.حيث جمع من تجار المدينة وأهلها ما يزيد على أربعين ألف دينار من الذهب، وكثيراً من أواني الذهب والفضة، صادرها من أهلها، ومن الكنيسة الكبرى في المدينة، ورضي المغول بما حصلوا عليه من الوالي وانسحبوا، بعد أن قتلوا من وجدوه خارج أسوار المدينة، وعاثو فساداً في مزارعها، واحتاج قائدهم يساور إلى من يعالجه من مرض ألمّ به، فتصدى لذلك والد ابن العبري المؤرخ[٤].ورافقه حتى وصل إلى خرتبرت[٥]، ولما شفي أذن له بالعودة، وحالما رحل المغول عن ملطية، عمها

(١) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص١٨٦.

(٢) يساور، وورد أيضاً: نساور. انظر: ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٨٩.

(٣) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٦.

(٤) المؤرخ ابن العبري هو: أبو الفرج جمال الدين غريغوريوس ابن الشماس تاج الدين هارون المتطبب ابن توما الملطي كاتب سرياني، اشتهر بلقب: ابن العبري، نسبة إلى قرية عبرا، على نهر الفرات، قرب ملطية. انظر: تاريخ الزمان، كلمة المقدّم: الأب جان موريس فييه الدومينيكي، ص١٢.

(٥) خرتبرت:أسم أرميني لحصن في أقصي ديار بكر من بلاد الروم , وبينه وبين ملطية مسيرة يومين بينهما نهر الفرات. ياقوت الحموي: مصدر سابق , ج٢ ص ٣٥٥.

الوباء، وضربت المجاعة أطنابها فيها، واحتاج الناس إلى الطعام حتى باعوا أولادهم بأقراص الخبز، وهلك الكثير منهم وخرجت منها أسره ابن العبري وانتقلت إلى أنطاكية[1].

وبعد ثمان سنوات تقريباً، تعرضت ملطية لهجوم آخر من القائد نفسه، إذ جاء يساور بجنوده، وعاث فساداً في ملطية، فقتل الناس في الطرقات، وأحرق البيوت والأديرة، وابتز الأهالي، الذين هرعوا إلى المفاوز والمغارات وبعد نهب وسلب استمر أربعين يوماً، غادر المغول المنطقة متجهين إلى معسكراتهم[2].

ولقد شهدت هذه السنة نفسها (٦٥٠هـ/١٢٥٢م) مذابح فظيعة، ارتكبها جنود المغول، راح ضحيتها أكثر من عشرة آلاف إنسان، وشملت مناطق ديار بكر وميافارقين وما حولها، ونُهبت خلالها قافلة تجارية قادمة من بلاد الروم إلى بغداد، تضم ستمائة جمل.محملة بالمواد الغذائية، ثم عاد المغول إلى خلاط[3]، حيث أقاموا معسكرهم [4].

فهذا مجرد مثال لبعض الخراب والدمار الذي جلبه المغول معهم، عند غزوهم لأراضي المسلمين، ومنهم دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى.

ويجب ملاحظة أن المغول حرصوا دائماً على المحافظة على تميزهم كطبقة عسكرية فابتعدوا عن تولي المناصب الإدارية في المناطق التي استولوا عليها، وتركوا تلك المناصب في أيدي أهلها[5].وشكلوا بذلك طبقة معزولة عن

---

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٨٩، تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٦.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٩٨-٢٩٩.

(٣) خلاط: هي قصبة أرمينية الوسطي , وهي عامرة كثيرة الخيرات والثمار اليانعة , وبه بحيرة تسمي بحيرة خلاط يكثر بها السمك ويصدر إلي البلاد. ياقوت الحموي: مصدر سابق , ج٢ص ٣٨٠-٣٨١.

(٤) المختصر من تاريخ ابن الجزري، ص٢٣١، ابن الفوطي: كتاب الحوادث الجامعة، ص٢٦٠-٢٦١.

(٥) حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، ص٢٦٠، عادل هلال: المرجع السابق، ص١٧٢.

رعاياهم الجدد، ولم يكن يهمهم من أولئك الرعايا إلا الطاعة، والانتظام في دفع الضرائب[1].

وبناءً على ما سبق فإن ما قام به سلاجقة الروم من تقرب وخضوع للزعيم المغولي باتو خان، لم يكن سوى محاولة منهم للتخلص من نفوذ القادة الميدانيين للجيوش المغولية.لكن تقسيم الدولة المغولية فيما بعد، وترسيخ ذلك التقسيم جعل مملكة السلاجقة الروم بعيدة عن نفوذ القبيلة الذهبية.وكرّس تبعيتها للدولة الإيلخانية[2] في بلاد فارس[3].

نهاية عهد كيخسرو الثاني:

وللمزيد من الخضوع إلي القائد المغولي باتوخان أرسل كيخسرو الثاني بعثة يعرض عليه السماح له بالقيام بحملة عسكرية علي جيرانهم الأرمن في قليقية. ولم يبدي القائد المغولي أي أعتراض, ورجعت البعثة وأستقبلت بحفاوة, حيث خرج الناس والمسئولون للترحيب بها في كل بلد تمر به من بلاد سلاجقة الروم، وذلك بإيعاز من السلطان نفسه[4].وفيما كان السلطان كيخسرو الثاني يستعد لاستقبال البعثة مرض وزيره الصاحب مهذب الدين وتوفي سنة ٦٤٢هـ/١٤٢٢هـ.[5]وخسرت الدولة بوفاته أحد أركانها، ومن كان سبباً في إنقاذها، وإقالتها من عثرتها نتيجة هزيمتها في كوسه داغ.وترك مهذب الدين

(1) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. P. 275.

(٢) الدولة الإيلخانية: هو الجزء الغربي من الدولة المغولية الكبرى، ورأس تلك الأسرة ومؤسس دولتها هولاكوخان بن تولي خان بن جنكيز خان، وتضم إيران والعراق والجزيرة وآسيا الصغرى، وقامت هذه الدولة سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م واستمرت إلى سنة٧٥٤ هـ/١٣٥٦م، تقريباً. وكل حكامها من ذرية هولاكوخان ويطلق على حاكمها لقب ايلخان، وهو مصطلح مغولي مكوّن من مقطعين (إيل) ومن معانيها: خاضع، مطيع، تابع وقبيلة، و(خان)، أو قاآن ومعناه: الملك الأكبر، فيكون المعنى: الخاضع للقاآن أو المطيع له إذ كان الإيلخان يحكم نيابة عن القاآن (الخان) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص ٤١٩.

(3) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey P. 275.

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٤٣، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠٠.

(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٣ب.

ولداً هو معين الدين سليمان، والذي قربه السلطان إليه اعترافاً بما أسداه والده للدولة من خدمات، وما كان عليه من إخلاص وحسن سريرة[1].

وعند وصول البعثة جاء رئيسها شمس الدين الأصفهاني بالهدايا والمراسيم التي حصلها عليها من باتوخان، ومَثُلَ بين يدي السلطان في قرية تسمى (قرايوك) Kara-ouk، من أعمال آقشهر[2] "Aksehir"، القريبة من قونية[3] وفرح السلطان بما جاءت به البعثة، وخلع[4] على أفرادها الخلع، وعين شمس الدين الأصفهاني وزيراً له خلفاً لمهذب الدين، وأقطعه مدينة قبر شهر وفوض إليه إدارة شئون الدولة بصورة مطلقة لم ينلها وزير قبله[5].

وبعد أخذ الوزير شمس الدين الأصفهاني قسطاً من الراحة، بدأ استعداداته لغزو مملكة أرمينية الصغرى، فحشد لإنجاز تلك المهمة جيشاً جراراً [6] وتولى الوزير نفسه قيادة الحملة، وصحبه من الأمراء الكبار: سيف الدين طرنطاي، وشرف الدين محمود، وسراج الدين سروجا "Sarica" وتحرك

---

(١) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٦٤.

(٢) أق شهر وتكتب أيضاً: آقشار: مدينة إلى الشمال الغربي من قونية بينهما مسافة ثلاثة أيام ولها بحيرة كبيرة تعرف باسمها، يسافر فيها بالمراكب. ابن سعيد: الجغرافيا، ص١٧١، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص٣٨٢، لسترنج: المرجع السابق، ص١٨٤.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٤٤، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠٠.

(٤) الخلعة: في اللغة هو ما يخلعه الحاكم أو الأمير على أحد الناس من الثياب الفاخرة، وهي اصطلاح متداول عند العرب منذ العصر الجاهلي، حيث كان ملوكهم يخلعونها على شاعر مادح، أو رجل أحسن في قول أو فعل، واستمرت بهذا المعنى طيلة العصر الإسلام ولا تزال. وقد تكون الخلعة عيناً أو مالاً، ولكنها في الغالب لباس مكون من جبة مطرزة، وعمامة وطيلسان، وسيف ونحوها. عطية الله: القاموس الإسلامي، ج٢، ص٢٧٢ السامرائي: إبراهيم السامرائي: المجموع اللفيف، دار عمان، ١٩٨٧م، ص١٧٣.

(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٤٤، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠٠، وذكر أن السلطان أعطاه سيفاً ذا غمد ذهبي، وقال: كل من يتجاوز حكمه، يشقه بذلك السيف نصفين، ولا شيء عليه.

(٦) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٣ ب، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٤٦، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠١، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٩٠، تاريخ مختصر الدول، ص٢٤٦.

الجيش نحو هدفه فيما غادر السلطان كيخسرو الثاني العاصمة إلى العلائية(١) ليرقب ما يحدث عن كثب(٢).

وانضم إلى الجيش أثناء تحركه حاكم لامبرون(٣) الأرمني وكان مناوئاً لقريبه ملك أرمينية الصغرى(٤).

عبر جيش سلاجقة الروم جبال بابرون "Babron"(٥) عن طريق مضيق جُوليك "Gulek"(٦) واستولى على منطقة(٧) هناك، واضطر ملك أرمينية الصغرى هيثوم الأول(٨) "Hetum.I" إلى الاعتصام بمدينة أضنة(٩).فيما التجأ بقية أفراد

---

(١) العلائية: ميناء مشهور على البحر المتوسط، بناها السلطان علاء الدين كميناء الأول. بعد انتزاعه لقلعة كلونورس، من اليونانيين حيث أمر ببناء سور حولها، وتسميتها باسمه "العلائية" وزارها ابن بطوطة ووصفها بالحصانة والقوة والنشاط، واسمها الحالي "علايا" ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٢٣٧، أخبار سلاجقة الروم، ص١٢٠، رحلة ابن بطوطة، ج١، ص ٣١٥.

(2) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye S. 453.

(٣) لامبرون "Lambron " منطقة، بها قلعة منيعة على نشز بين جبال طوروس "Turos " وجبال البلغار "Bulgar " قريبة من مضيق جولك "Gulek "، وتتبع إدارياً للحاكم الأرمني بطرسوس، ويلقب حاكمها سنيور "SeYorluk" وغلب هذا اللقب على اسمها في وقتنا الحاضر وصارت تعرف به وكانت ملاذاً للطامعين والخارجين على سلطة ملك قليقلية. رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبيى، ج١، ص٢٧٩، مروان المدور: المرجع السابق، ص٢٣٠-٢٣٥؛

Nubar Pasai: Sissouan, venis. 1899. s- 82-83, Turan: OP. Cit , s. 452.

(٤) رنسيمان: المرجع السابق، ج٣، ص٣٤٩. Turan: OP. Cit, S. 452.

(٥) بايرون –أو بابيرون– جبال تقع إلى غرب من سلسلة جبال طوروس. انظر المدور: المرجع السابق، ص٢٢٤، وانظر في الصفحة نفسها خريطة (قيلقيلية والدول المجاورة).

(٦) مضيق جوليك، وبالتركية "جوليك بوغاز" GouLag Boghaz: درب بين الجبال، يشرف عليه حصن كبير يسمى جوجلاج "Gouglag " يوفر له الحماية، وهو على الحدود بين مملكة أرمينية الصغرى وبلاد سلاجقة الروم. هايد: المرجع السابق، ج٢، ص١٥-٩٥. ويبلغ ارتفاع ذلك الممر عن سطح البحر ١٠٥٠متراً/ ٣٤٤٥ قدماً. دليل فودورز، ص٢٥١.

(٧) واسم المنطقة "جقروا Gukurowa ولم أجد لها تعريفاً. انظر: Cahen: pre of ottoman. p. 271.

(٨) هيثوم الأول بن قسطنطين، مؤسس أسرة الهيثومين، التي حكمت أرمينية الصغرى بين عامي (٦٢٣ – ٧٤٣هـ/١٢٢٦ – ١٣٤٢م)، تزوج إيزابيلا بنت ليو الثاني، والتي ورثت العرش عن والدها، بعد مهلكه سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م. وتوجت مع زوجها هيثوم ملكين لمملكة أرمينية الصغرى سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م. وقد اعتزل هيثوم الأول السياسة في أواخر حياته، وتنازل عن العرش لولده ليو الثالث ,Leo III، وترهب في أحد الأديرة ولم يلبث أن هلك في السنة نفسها ٦٦٨هـ/١٢٧٠م. انظر: رنسيمان: المرجع السابق، ج٣، ص٣٠٨، ٥٦٩-٥٧٠.

(٩) أضنة – أو أدنة ADANAH – مدينة بناها الروم على الضفة الغربية لنهر سيحان (سارس Sarus محاطة بسور وخندق، وهي قريبة من المصيصة وطرسوس وهذه المدن الثلاث يطلق عليها

أسـرته[1] إلى مدينـة طرسـوس[2].وكـانـت هـذه المدينـة هـدفاً لجـيش سـلاجقة الـروم، لأهميـة موقعهـا[3]، فهـي مينـاء تجـاري ضـخم يعج بالحـركـة، وأرضـها سـاحلية سهلة بعيدة عن الجبال.

وحوصـرت المدينـة بشـدة، وضـربت أسـوارها بالمنجنيقـات، وأخـذ قـادة الجيش يتناوبون الهجوم عليها ورغم حصانتها، وضراوة المقاومـة بداخلها والـتي اشتركت فيها فرقة من جيش الفرنجة[4]، إلا أن سقوط المدينـة بـات وشيكاً، ولكـن فجأة جنح الطرفان للصلح[5].فما هي أسباب ذلك الصلح ؟

لقـد تظـافرت عـدة أسـباب أفضـت في النهايـة إلى ذلـك، منهـا: انهمـار الأمطار بغزارة ولفترة من الوقت حتى أصبح من الصعب على العساكر مواصلة القتال، ناهيك عن السيول الجارفة، التي احتملت في طريقها كثيراً من معدات الجيش وعتادة[6].

ومنهـا أيضـاً سـوء النيـة عنـد بعـض قـادة الجـيش السـلجوقي النـاتج عـن الحسـد، إذ رأو أن مـا سـيحققونه مـن نجـاح سـيجير باسـم الـوزير شمـس الـدين الأصفهاني مما يزيد مكانته علواً دون أن يكون لهم نصيب في ذلك، حتى أن

البلدانيون المسلمون اسم الثغور، وهي معدودة في أملاك مملكة أرمينية الصغرى أبو الفداء: تقويم البلدان، ص٥٠-٥١، لسترنج: المرجع السابق، ص١٦٢-١٦٣.

(١) ومنهم ولداه: قسطنطين و سمباد.

(٢) طرسوس: بفتح أوله وثانيه، من الثغور، مدينة ساحلية على بحر الروم (البحر المتوسط) إلى الشمال من أنطاكية، كانت بيد المسلمين وبإحدى القرى التابعة لها (البذنون) قبر الخليفة العباسي المأمون (١٩٦ -٢١٨هـ/ ٨١١-٨٣٣ م)، واستولى عليها الروم سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م، ثم آلت لملوك الأرمن في قليقية ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٢٨-٢٩.

(٣) أحمد توني: المرجع السابق، ص٢٤٧. Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. P. 270-272.

(٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٩٠.

(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٤٦، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠١.

(٦) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٤٦، اخبار سلاجقة الروم، ص٣٠١، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٨٩، تاريخ مختصر الدول، ص٢٤٧.

كل قائد منهم كان يحتفظ بما يكسبه من الغنائم أثناء نوبته في الهجوم على المدينة.أو يبعثه إلى بلده بدلاً من أن يرسله إلى القائد العام للجيش(١).

ومنها أيضاً الأوامر التي وصلت إلى الوزير شمس الدين تطلب منه سرعة العودة إلى بلاط السلطان مما اضطر الوزير إلى التفاوض من أجل الصلح وإتمامه(٢).

وهناك من يرى أن الوزير بلغته أنباء وفاة السلطان مما اضطره إلى التفاوض مع الأرمن وعقد الصلح معهم قبل أن يتناه إلى أسماعهم نبأ وفاة السلطان(٣).

ويبدو أن مسألة وفاة السلطان جاءت تالية لعقد الصلح إذ نص ابن بيبي على أن الوزير شمس الدين عندما وصل إلى الأعتاب السلطانية –بعد عقد الصلح- كانت قد مضت على وفاة السلطان سبعة أيام(٤)، وهي فترة قصيرة إذ أن المفاوضات تستغرق وقتاً، كما أن انسحاب الجيش يستغرق وقتاً أيضاً.و من غير المعقول أن تتم هاتان العمليتان في بحر أسبوع واحد.

ومهما يكن من أمر فإن الطرفين كانا بحاجة إلى الصلح، وتم عقده في خريف سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م، ومن بنوده: أن يسلم الأرمن للسلاجقة بعض القلاع منها قلعة بركنارا(٥)، وأن يدفعوا الجزية المتأخرة عليهم وأن ينتظموا في دفعها مستقبلاً(٦).كما يغرمون تكاليف الحملة العسكرية الأخيرة(١).

---

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٤٦، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠١.
(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٤٧، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠٢.
(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٩٠، تاريخ مختصر الدول، ص٢٤٦ -٢٤٧.
وذكر المولوي أنه علم بخبر مرض السلطان، صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٣ب.
(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٤٧، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠٢، وعند المولوي أنه مضت ثمانية أيام على وفاته، صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٣ب.
(٥) لم أعثر على تعريف لها فيما اطلعت عليه من مصادر.
(٦) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٤٧، اخبار سلاجقة الروم، ص٣٠٢. وانظر أيضاً: رنسيمان: المرجع السابق، ج٣، ص٣٤٩. Cahen: pre of ottoman. P271.

ويتبين من عبارة ابن بيبي أن الوزير شمس الدين الأصفهاني بعث إلى التكفور(٢)، هيثوم، يطلب منه الموافقة على عقد الصلح كما يَمتّنّ عليه بأنه وقف إلى جانبه مراراً – فيما مضى- ومنع السلطان من التعدي عليه(٣).

ورغم المشقة التي عانى منها جيش السلاجقة أثناء الانسحاب، والهجمات والنهب لساقته من قبل الأرمن(٤).فيمكن اعتبار أن هذه الحملة حققت نجاحاً جزئياً، وأثبتت أن سلطنة سلاجقة الروم، لا تزال موجودة، ولو على مستوى القوى المجاورة لها(٥)، والتي كان بعضها إلى وقت قريب يعترف لها بالسيادة.

أما السلطان كيخسرو الثاني، فسبقت الإشارة إلى توجهه إلى العلائية، ومراقبة تحركات قواته من هناك(٦).لكنه لم يلبث أن توفي فجأة وقيل إنه مرض(٧).فيما ذكرت بعض المصادر أنه كان مولعاً باقتناء السباع وتربيتها،

(1) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 455.

(٢) التكفور: لفظة أرمنية تعني ملك وتكتب الأرمنية على النحو التالي ( ).
ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٨، حاشية (٢). وقد أطلق ابن بيبي، والمولوي هذا اللقب على حاكم طرابيزون أيضاً، والمشهور أنه لقب ملوك الأرمن في أرمينية الصغرى. انظر: حسن باشا. الألقاب الإسلامية في التاريخ والآثار، القاهرة، ٧ ١٩٥، ص٢٣٣، علي محمد الغامدي: النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود في أوائل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، مجلة المؤرخ المصري، حاشية رقم (٣٦).
Tornebiz (Fr): Histaire Politique et religieuse de I, Arminie. Paris. 1900, p. 231-235.
ووردت عند ابن بيبي في أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠٢، "تكرور" وهو لقب يطلق على ملك بلاد الأرمن في قلقيلية. انظر: حسن باشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والآثار القاهرة، ١٩٥٧م، ص٢٣٣.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية ص٥٤٨، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠٢.

(٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٩٠، تاريخ مختصر الدول، ص٢٤٧، وانظر أيضاً: ابن بيبي: الأوامر العلائية ص٥٤٧، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠٢، وقد أشار إلى مصاعب واجهة الجيش أثناء الانسحاب، دون ذكر هجمات أرمينية.

(5) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey, P. 270-271.

(٦) انظر ما سبق ص ١١٠ من هذا البحث.

(٧) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٣ب.

فعضه سبع فكان سبب موته[1] وكانت وفاته بالعلائية ونُقل جثمانه إلى قونية، حيث دفن بمقابر أسرته هناك[2].

وتباينت الأقوال في تاريخ وفاته، والصحيح أنها كانت في سنة ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥- ١٢٤٦م[3] وهو آخر سلاطين سلاجقة الروم، الذين حكموا حكماً مستقلاً، قبل غزو المغول لمملكتهم وخضوعها لدولتهم[4].

وخلّف كيخسرو الثاني ابنتين وثلاثة من الذكور، والبنتان هما: سلجوق خاتون[5]، وكرجي خاتون[1]. أما الذكور فهم: عز الدين كيكاوس، وعمره

---

(١) ابن أيبك: كنز الدرر، ج٧، ص٣٥٢، المختصر من تاريخ ابن الجزري، ص١٨٦، الذهبي: تاريخ الإسلام، الطبقة"٦٥ "، ص٧، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص١٧٣.

(2) (Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 454.

(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٣ب.
جوزجاني (أبو عمرو منهاج الدين عثمان بن سراج الدين، معروف به "منهاج سراج" طبقات ناصري (ألف في الفترة ما بين ٦٥٧-٦٥٨هـ) تحقيق عبد الحي حبيبي قندهاري، كابل ١٣٤٣ هـ. ش، ص٢٦٥، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٩٠، تاريخ مختصر الدول ص٤٤٧، كتاب الحوادث، ص٢٠٦، تاريخ ابن خلدون، مج٥، ق٢، ص٣٦١- ٣٦٢؛ Howorth: op. Cit. III. P. 13.
وبعضهم ذكر تاريخ وفاته سنة ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م. انظر: قزويني (حمد الله بن ابي بكربن أحمد بن نصر مستوفي): تاريخ كزيدة، به اهتمام دكتر عبد الحسين نوائي، تهران ١٣٣٦- ١٣٣٩هـ. ش. ص٤٤٧ خواند مير (غياث الدين محمد بن همام، ت٩٤٢هـ/١٥٣٥م) حبيب السير في أخبار أفراد البشر، جاب أول، تهران ١٣٣٣هـ. ش جاب دوم عكسي، تهران ١٣٥٣هـ. ش. جلد أول، ص٥٤٠ ؛، حلمي: أحمد كمال الدين السلاجقة في التاريخ والحضارة، الطبعة الأولى، دار البحوث العلمية للنشر والتوزريع الكويت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ص٩٢. واختلط الأمر على بعض المؤرخين وسجلوا تاريخ وفاته سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م. انظر: ابن دقماق: نزهة الأنام، ص٢٢٨، وأشار المحقق إلى التاريخ الصحيح في الحاشية رقم ٤ في الصفحة نفسها، أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٢٢٩، ابن الشحنة الكبير: روضة المناظر، ص٢٥٨، تاريخ ابن خلدون، مج ٥، ق٥، ص١١٨١، المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٤٠٠-٤٠١، وصححها المحقق في الحاشية رقم ١ في الصفحة نفسها، القرماني: أخبار الدول، ج٢، ص١٥٦. العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٣٦-١٣٧، حوادث سنة ٦٥٤هـ وقال إن مدة ملكه عشرين سنة، وانتقد من خالفه من المؤرخين قائلاً: (وقد خبط نفر من المؤرخين في تاريخ وفاة هؤلاء، وتاريخ ولايتهم. منهم بيبرس الدوادار، والصواب ما ذكرناه).

(٤) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص١٧٢، القرماني. المصدر السابق، ص٢، ص٥١٦.

(٥) توفيت سلجوق خاتون بقيصرية سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٥م كما هو مدوّن على شاهد قبرها، زمباور: المرجع السابق ص٢١٦-٢١٧، وخاتون -ويجمع خواتين- كلمة تركية معناها: سيدة عريقة

إحدى عشرة سنة، وأمه بنت راهب يوناني[٢]، وركن الدين قلج أرسلان، وعمره تسع سنوات، وأمه رومية[٣] وقيل الأميرة الكرجية[٤]، وذكر أحد الباحثين أنها تركية من أهل قونية[٥].

وعلاء الدين كيقباذ، وعمره سبع سنوات وأمه الأميرة الكرجية[٦] وانفرد زمباور بذكر ولد رابع له سماه "فلك الدين"[٧].

الأصل، دخلت إلى اللغة العربية عن طريق المغول، التونجي، المرجع السابق مادة: خاتون، السامرائي: المرجع السابق، ص٥٢.

(١) كرجي، وفي بعض المصادر جورجي، وهي شقيقة علاء الدين كيقباذ الثاني، أمهما الأميرة الكرجية. العمري. بيبرس المنصوري(ركن الدين بيبرس الخطائي المنصوري، ت ٧٢٥هـ/١٣٢٥م): مختار الأخبار، تحقيق: صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م. ص٥٩ ؛ مسالك الأبصار، ج٣، ص١٤٤، وقد تزوجها بروانه معين الدين سليمان، انظر ما يلي ص٢٢٦ من هذا البحث.

(5) Enc. History Of Islam, Art: Kaikaus, Cahen: Pre Of Ottoman Turkey P. 274.
وانظر أيضاً: بيرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١١٠، حاشية رقم ٣. وذكر محمد علاء الدين منصور في نسخته التي ترجمها عن "مختصر سلجوق نامة" أن اسمها "بردوليه". انظرها: ص٣٠٢، حاشية (١).

(٣) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص٤٤٧، وذكر أن أباها قسيس، والراهب الرجل من النصارى يتخلى عن أشغال الدنيا، وينقطع للعبادة في صومعة، والقسيس، والقس: رئيس من رؤساء النصارى في الدين. وهو الآن في مرتبة بين الأسقف والشماس. المعجم الوسيط، مادة "رهب"، و مادة :" قس".

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٣ ب.

(5) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. P. 271.

(٦) وورد في بعض المصادر أن اسمها: كرجي. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٧، كتاب الحوادث، ص٢٠٦، النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١٠٧، العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٣٧. وذكر زمباور أن اسمها: تمر "Tamar ". معجم الأنساب، الأسرات، ص٢١٧.

(٧) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة: ص٢١٦-٢١٧، وأضاف أنه توفي سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

المبحث الثاني
خلفاء كيخسرو الثاني (أبناؤه الثلاثة)

١ـ تحكم الوزيرلله الصاحب لله شمس الدين الأصفهاني في شئون الدولة:

وتكاد المصادر تتفق على أن أصغرهم[١] علاء الدين كيقباذ، كان ولياً للعهد في حياة والده[٢].إلا أن السلطنة جاءت من نصيب أكبرهم (عز الدين كيكاوس).إذ اجتمع الوزير شمس الدين الأصفهاني مع (رفاقه الأربعة) جلال الدين قرطاي، وخاص أغز، وأسد الدين روزبه Rozbah، أمير الجاندارية[٣]وبروانه فخر الدين بكروبعد التشاور اتفقوا على تنصيب عز الدين كيكاوس سلطاناً، إذ امتاز على أخويه الآخرين بحسن الطلعة، وجمال الأبهة، وعلو مرتبة السن، فحملوه من قلعة برغلوا "Berglo"[٤] إلى التونتاش Altontash.وبايعوه هناك، بحضور أخويه، حيث كان ركن الدين على يمينه وعلاء الدين على يساره، وبعد انتهاء مراسم التنصيب ساروا جميعاً إلى قونية ليجلس السلطان الجديد على عرش أسلافه[٥]وأصبح الثاني من سلاطين سلاجقة الروم الذي يحمل اسم ولقب: عز الدين كيكاوس[٦].

---

(١) وشذ كل من ابن خلدون والقرماني، وجعلاه أكبر الأبناء، وربما اجتهاداً منهما. بحكم أنه كان ولي عهد أبيه. انظر: تاريخ ابن خلدون، مج ٥، ق٢، ص٣٦٢، أخبار الدول، ج٢، ص١٥٦.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٤٧٣، ٥٩١، أقسرائي: المصدر السابق، ص٣٦، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٤١٠، تاريخ مختصر الدول ص٤٧٧، ابن دقماق، نزهة الأنام ص٢٢٨. وسبقت ا:لإشارة إلى أن كيخسرو الثاني، يؤثر زوجته الكرجية على غيرها Turan ; Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 458.

(٣) لفظ مركب من كلمتين: أمير العربية، وجاندار أو جامدار، وهي بدورها كلمة مركبة من: جان "جام" التركية ومعناها الروح، ودار الفارسية ومعناها: مالك أو صاحب، وأمير جاندار، لقب موظف من العصر الأيوبي من مرتبة أمراء الطبلخاناه، مهمته تنظيم دخول الأمراء على السلطان، وتقديم البريد له بالاشتراك مع الدوادار. ويعمل تحت امرته طائفة من العسكر يقال لهم: جنداريه أو جاندارية. السامرائي: المرجع السابق، ص٩٩، الخطيب، المرجع السابق، ص٤٤.

(٤) برغلو: بضم الباء والراء وسكون الغين المعجمة، لعلها ألو برلو الحالية، وهي بلدة بها قلعة تقع غرب بحيرة أكردور، واسمها عند الروم سوزوبوليس "Sozopolis" أو أبولونيه" "Apollonia" وقد وصفها ابن بيبي بشدة الحصانة.
أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٨، لسترنج: المرجع السابق، ص١٧٤-١٨٤.

(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ٥٥٠، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠٣.

(٦) ومن ألقابه الرسمية أيضاً: السلطان الغالب عز الدين، وبرهان أمير المؤمنين، والسلطان الأعظم، محمد باقر الحسيني: دراسة تحليلية وإحصائية للألقاب الإسلامية، مجلة سومر، المجلدان: ٢٧، ٢٨، سنة ١٩١٧ــ ١٩٧٢م، ج ١، ١٥٤، ١٥٧، ٢٦٤.

وفي الوقت نفسه تم توزيع المناصب القيادية في الدولة من جديد، فاحتفظ الصاحب شمس الدين الأصفهاني بمنصب الوزارة، وتولى النيابة[1] جلال الدين قرطاي[2]، وأصبح خاص أو غز ملك الأمراء، وفخر الدين أبو بكر العطار بروانه، وجاءت الأتابكية من نصيب روزبة، وإمارة العدل[3] لـ "نُصرت"، والطغراء[4] لشمس الدين محمود[5].

وأقيمت الاحتفالات ابتهاجاً بهذه المناسبة في جميع مناطق الدولة، وخاصة العاصمة قونية[6].

وفيما كان هؤلاء الزعماء يديرون دفة الدولة متعاونين، بدأ الحسد يطل برأسه فيما بينهم، وهو حسد قديم سبقت الإشارة إليه، عندما كان جيش سلاجقة الروم يحاصر طرسوس[7] ومداره على الوزير الأصفهاني والذي حصل على منزلة لم يسبقه إليها أحد من وزراء دولة سلاجقة الروم[8].

---

(١) النيابة وظيفة يتولاها النائب، وهو لقب أطلقه المغول أولاً على حكام المقاطعات في دولتهم، الذين ينوبون عن الملك أو القآن، وعنهم أخذه الخاضعون لهم، وكذلك المعاصرون لهم كالمماليك. انظر: ابن كنان (محمد بن عيسى بن زين التقاة بن كنان، ت١١٥٣هـ/١٧٤٠م) حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق: عباس صباغ، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١م، ص١١٢، الخطيب: المرجع السابق، ص٤٢٠.

(٢) جلال الدين قرطاي، من مماليك السلطان كيقباذ الأول، وُصف بالتدين، وحسن الخلق، وكان العامة يبالغون في تبجيلة. ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٣٢٧، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٩٢، العمري: مسالك الأبصار، ج٣، ص١٤٦.

(٣) أمير العدل، وأحياناً: أمير العدل والمظالم، وأحياناً أمير دار، وهو المختص في أمور المظالم. ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص٤٦٢.

(٤) الطغراء: بلغة التتار "المغول" العلامة المرسومة على الرسالة، وهي عبارة عن خط مقوس يُرسم في أعلى الكتب الملكية، وهو بمثابة التوقيع على الكتاب. غالباً ما يتضمن نعوت الحاكم و ألقابه، وأصلها فارسي دخلت على التركية. وكان لها موظف خاص في الديوان يقال له: الطغرائي. عطيه الله: القاموس الإسلامي، ج٤، ص٥١٣.

(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٣ ب، ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠٤.

(٦) المولوي: المصدر السابق، ج١، ورقة ٥٨٣ ب، ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠٣-٣٠٤.
Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye , S. 459, 461.

(7) Turan: Op. Cit. S. 460.
وانظر ما سبق ص١١٢

(8) Vincent: Op. Cit. vol: XXXII, S. 26, Turan: Op. Cit. . S. 460.
وانظر ما سبق ص٩٨

وكان الوزير المذكور حذراً وخائفاً من أعوانه، خاصة من الأتابك روزبه وملك الأمراء خاص أغز، والذين ارتبطا بصلة المصاهرة، وارتفع شأنهما، حتى أن الوزير وبروانه لم يكونا يقدمان على أمر إلا بعد مشورتهما.وأخذت الوشايات ضدهما تصل إلى أذني الوزير الأصفهاني، وتولى كبر هذا الأمر أمير العدل نصرت، وبروانه أبو بكر، اللذان شكّلا فريقاً منافساً لروزبه وخاص أغز(١).

وبعد أن ملأ الشك قلب الوزير، قرر الابتعاد عن هذا الجو، وعزم على مرافقة الأمير ركن الدين قليج أرسلان في رحلته المزمعة إلى خان مغول القفجاق والتي بدأت الاستعدادات لها قبيل وفاة السلطان غياث الدين كيخسرو الثاني(٢).

لكن أمير العدل وبروانه أقنعا الوزير بالبقاء في العاصمة، وضمنا له التخلص من روزبة وخاص أغز، إن هو أذن لهما بذلك(٣).

ودبر الوزير مع صاحبيه مؤامرة انتهت بقتل الأتابك روزبه، وملك الأمراء خاص أغز، وتعليق رأسيهما على بوابة قصر السلطان، كما قتل معهما عدد من أتباعهما ونهبت دورهما، (وعند صلاة العشاء لم يبق في دورهم وديارهم دياراً)(٤).

ولم يكد يستريح بال الوزير من هذين الخصمين(٥).حتى تحقق عنده أنه واقع تحت تأثير صاحبيه أمير العدل وبروانه، وظهر له مدى ما يتمتعان به من

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٥١، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠٤. Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 460.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٥١-٥٥٢، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠٤-٣٠٥.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٥٢، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠٥. Turan :Op. Cit. . S. 460.

(٤) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠٨، وانظر أيضاً الأوامر العلائية، ص٥٥١-٥٥٢ Turan: Op. Cit. . S. 460

(٥) وصف ابن بيبي "روزبة" بأنه لم يكن متأدباً مع الامراء، لكنه فريدٌ في كفاءته، وخبرته وعفته، أما خاص أغز: فهو غلام رومي الأصل، ذو فضل وافر، وعبارة باهرة، وخط جميل، وكرم وجود. أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠٨.

قدرة على التآمر ووضع الخطط للتخلص من الخصوم، زِدَ على ذلك أنّ لهما في العاصمة قونية أعوان وأنصار كثر، بينما هو كان يبدو وحيداً بينهم [1].

ويذكرنا هذا التنافس بين رجال الدولة، ما حصل في بداية عهد غياث الدين كيخسرو الثاني، من صراع بين الزعماء والذي استطاع من خلاله سعد الدين كوبك الوصول إلى أعلى المراتب، والاستبداد بمقدرات الدولة.فلا غرو أن يكون لسعد الدين كوبك كِفلٌ من هذه الجرائم المتتالية ولا سيما أنه البادئ في سلوك هذا الطريق، في ظل دولة سلاجقة الروم[2].

وبعد أن ضاق الوزير شمس الدين الأصفهاني ذرعاً بتصرفات بروانه وأمير العدل، وازدادت وطأتهما عليه، استشار سراً شمس الدين الطغرائي، فأشار عليه بالاستنجاد بشرف الدين محمود الأرزنجاني – قائد قوة أرزنجان[3]- فكتب إليه الوزير يستدعيه إلى العاصمة بحجة أنه سيخلف خلص أغز في منصب ملك الأمراء[4].

وجاء شرف الدين الأرزنجاني بأتباعه وأعوانه إلى العاصمة، حيث استقبل بحفاوة من قبل الوزير وأركان الدولة[5].

وبعد أن استقر الحال بشرف الدين الأرزنجاني، بدأ الوزير الأصفهاني يفصح له عن المضايقة التي يلقاها من بروانه وأمير العدل، ويعتذر عن مقتل روزبه وخاص أغز، وأنّه لم يكن برضاه، وينحي باللائمة على صاحبيه

---

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٥٢، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٠٩.
(٢) انظر ما سبق، ص ٤٢ من هذا البحث.
(٣) وذكر المولوي أنه أمير ملطية، وهو مخالف لما في بقية المصادر. انظر: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٤ أ.
(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٥٨، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٠.
(٥) ابن بيبي: المصدرين السابقين، ص٥٥٩، ص٣١٠.

السابقين (بروانه وأمير العدل) وإنه إذا لم يتخلص منهما، فإن رحى المؤامرات ستدور على جميع كبار الدولة(١).

واتفق الوزير الأصفهاني وشمس الدين الطغرائي، وشرف الدين الأرزنجاني على الفتك ببروانه أبي بكر، وأمير العدل نصرت لكنهم أدركوا صعوبة القيام بذلك العمل طالما بقي الاثنان في العاصمة قونيه، لكثرة أنصارهما(٢).

وبعد التشاور مع معاونيه، قرر الوزير إيفاد أمير العدل نصرت لمرافقة الأمير ركن الدين قلج أرسلان إلى عاصمة المغول ليشارك في مراسم تتويج كيوك خان الذي سيصبح الخان الأعظم للمغول وبهذا تم التفريق بين الرجلين.كما تقرر انتقال السلطان عز الدين كيكاوس الثاني من قونيه إلى سيواس لغرض الزيادة وتفقد أحوال البلاد(٣).

وعندما اقترب موكب السلطان من سيواس، بعث الوزير إلى النائب جلال الدين قرطاي بأن يلحق بهم، ويحمل معه، خزائن السلطان وأهله، وعندما رأى أبو بكر بروانه ما يحصل حوله في قونيه، شعر بالخوف و (أصابه الذهول، وصرخ قائلاً: لماذا تغادرون فجأة على هذا النحو دون سبب واضح ودون مشورة؟ وغلبته الأوهام) (٤).

وأراد بروانه أن يتحصن في قونيه، ودعا إليه (الأخيّة) (٥) وعرض عليهم مساعدته، لكنهم رفضوا بحجة أنّ الوزير الأصفهاني كافل لمصالح السلطان

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٥٩، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٠.
(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٦٠، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٠-٣١١. Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 461.
(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٦١، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١١.
(٤) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٢.
(٥) عن "الأخية" انظر الفصل الخامس من هذا البحث.

كيكاوس الثاني بوصية من والده كيخسرو الثاني، وأن وقوفهم مع بروانه ضده يُعد عصياناً للسلطان وكفراناً للنعمة(١).

وفي خضم هذه الحوادث، وصل إلى العاصمة الأمير شمس الدين يوتاش(٢)، وهو من أتباع الأمير علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو الثاني(٣).وقد أسند إليه الوزير مسئولية قيادة قوة قونية، وأوصاه بمراقبة الأمير بروانه، ومنعه من الخروج من العاصمة، هو ومن يلوذ به(٤).

وعندما رأى بروانه أبو بكر انفضاض الناس من حوله والتفافهم على القائد الجديد، أُسقط في يده، ونصح ابنه بالفرار إلى مملكة أرمينية الصغرى، لكن الابن لم يتقبل النصيحة، وبقي ليشارك أباه في مصيره(٥).

ولما حطت رحال السلطان في سيواس، أصدر الوزير الأصفهاني أمراً بالقبض على أمير العدل "نصرت" واعتقاله في إحدى القلاع(٦)، كما بعث أحد ثقاته، الموصوفين بالشدة إلى قونية، ليتدبر أمر بروانه أبي بكر، وابنه.فما لبث أن قبض عليهما، وسجن الأب في قلعة دارنده(٧)، والابن في قلعة كاخته، واستراح الوزير من هموم طالما أرّقته(٨).

وقرر الوزير وأركان الدولة إيفاد بعثة ركن الدين قلج أرسلان إلى البلاط المغولي، وعدم تأخيرها أكثر من ذلك، وضمت البعثة أيضاً: القاضي

---

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٦٣، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٣.
(٢) ويكتب أحياناً "يالطاش" "Yaltas"
(3) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye , S. 462.
(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٦٤، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٣.
(٥) ابن بيبي: المصدرين السابقين، ص٥٦٤، ص٣١٣.
(٦) وتسمى هذه القلعة حافيك، أو هاويك، Hafik ولم اهتد لمكانها في المصادر التي رجعت إليها. ولعلها التي ذكرها ابن العبري باسم "هابيج" وقال إنها تُستخدم سجناً، دون تحديد موقعها. تاريخ الزمان، ص٢٩٢.
(٧) دارندة، وتكتب درندة، وطرندة، ويسميها الرومان "ترنته Taranta " وهي قلعة حصينة فوق ملطية، بينهما مسيرة ثلاث مراحل. و المسافة بينها وبين حلب عشرة أيام. القلقشندي :صبح الأعشى، ج٤، ص١٣٥ ؛ لسترنج: المرجع السابق، ص١٥٣.
(٨) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٦٤، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٣.

جمال الدين الخنتني "Hunteini"[1]، ومشرف الممالك[2] وقاضي قونية في الوقت نفسه عز الدين محمد شاه الرازي، والترجمان بهاء الدين يوسف بن نوح الأرزنجاني[3].

وفي سبيل تعزيز قبضته على زمام السلطة، تزوج الوزير الأصفهاني أم السلطان كيكاوس الثاني فاشمأزت نفوس الأمراء من هذه الفعلة، وعدوها عدم احترام للأسرة السلجوقية[4] وكان أشد الغاضبين من ذلك ملك الأمراء شرف الدين الأرزنجاني، والذي ساهم بشكل واضح في تخليص الوزير من خصومه وعلى رأسهم بروانه وأمير العدل، والذي لم يقتنع بالمبررات التي ساقها الوزير ليدافع عن عملية زواجه بأم السلطان.كما زاد الطين بلة تدخل الوزير في خلاف وقع بين ملك الأمراء المذكور وأحد أتباعه، وكان ذلك التابع قد صدر بحقه حكم بالإعدام، ونفذ الحكم، فاحتج الوزير على ذلك الحكم، ووجه توبيخاً شديداً لملك الأمراء، واتهمه بالتسرع، وقلة الديانة والمروءة، ومن ذلك الحين تبدلت الصداقة بين الاثنين إلى عداء، والثقة إلى شك وتربص[5].

ووجد ملك الأمراء نفسه كالأسير مع الوزير الأصفهاني، فأعمل الحيلة للخروج من العاصمة، فنجح في ذلك، وخرج من قونية خائفاً يترقب،وقصد أرزنجان، إذ هي معقله وفيها أهله وأنصاره[6].

---

(١) وصفه ابن بيبي بأنه من فحول أئمة تركستان، يحظى بالتكريم و الاحترام، في سلطنة سلاجقة الروم، وقد تحمل أسفاراً شاقة في خدمة السلطان قلج أرسلان الرابع. الأوامر العلائية، ص ٥٨٨.

(٢) ومشرف الممالك مرتبة دون الوزارة. ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٦٢، وهو ما يمكن أن نعبر عنه في عصرنا الحالي بالتفتيش، وبرزت هذه الوظيفة في عهود الإيلخانيين. الصياد: الشرق الإسلامي، ص١٠٩، حاشية (٣).

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٦٤، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٣. Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 462.

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٣ب، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٦٦، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٤-٣١٥، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٩١، وذكر أنها ولدت له ولداً. وانظر أيضاً. تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٧.

(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٦٦، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٤-٣١٥.

(٦) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٦٦، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٥.

وعندما تناهى إلى سمع الوزير خروج شرف الدين الأرزنجاني من قونية إلى أرزنجان، خشي غائلة أمره، وحاول تدارك الموقف، فبعث في أثره -على عجل- الترجمان تاج الدين سيمجوري[١]، ونظام الدين علي استاد دار[٢]، فالتقيا به بحضور القاضي نجم الدين قيرشهري، [٣] قاضي سيواس، الذي سبق له التفاوض مع المغول إبان حصارهم لسيواس،وتم الاتفاق على أن يتولى شرف الدين الأرزنجاني قيادة جند أرزنجان ونكيسار[٤] ويُعطى ثلاثمئة ألف درهم، وتكون الحدود المتاخمة له تحت إشرافه ومراقبته[٥].

وفيما كان الوزير يظن أنه أمن جانب شرف الدين الأوزنجاني، بإبعاده، فوجئ بهذا الأخير يقود جنده من أرزنجان ويهاجم نكيسار، - رغم اسناد أمرها إليه- ويدخلها بالقوة ويعلن العصيان على الوزير في الوقت نفسه عصيان على الدولة السلجوقية ذاتها[٦].

---

(١) وورد: سيجوري، وسنجوري.

(٢) استاد دار: كلمة مكونة من لفظين: استاد أو استاذ الفارسية: معناها معلم، ودار، يعني بيت وهي عربية، وهو لقب للأمير المسئول عن رعاية بيوت السلطن، وشئونه الخاصة، والإشراف على مطبخه والعاملين فيه، وقبض أموال السلطان وصرفها على الوجوه التي يراها. ابن كنان: المصدر السابق، ص١٣١، الخطيب: المرجع السابق، ص٢٨.

(٣) يذكر"Turan" أنه نظام الدين إيلالمش Ilalmis ووظيفته أمير عارض، ويشير إلى أن القاضي نجم الدين خرج مع شرف الدين الأرزنجاني انظر: Selçuklular Zamaninda Türkiye S. 463. وما في المتن موافق لما في ابن بيبي وورد الاسم عنده " نظام الدين علي بن أيلتمش. الأوامر العلائية، ص٥٦٦، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٥. وأمير عارض: هو عارض الجيش وهي مرتبة عسكرية ظهرت في العصر الأيوبي. قد تكون بعد رتبة "مقدم في الزمن الحاضر. السامرائي المرجع السابق، ص٧٦.

(٤) نكيسار، أو نيكسار، واسمها عند اليونان: نيو سيزارية Neo-Casarea مدينة في الجزء الشمالي من الأناضول قريبة من سيواس، وإلى الغرب منها مدينة توقات. وصفت بأنها مدينة جليلة. قزويني (حمد الله بن أبي بكر بن نصر مستوفي) نزهة القلوب، بامقابلة وحواشي، وتعليقات وفهارس، بكوشتش محمد دبير سياقي، تهران، ١٣٣٦هـ- ش، ص١٨٣، ١٨٥، ١٨٧، لسترنج: المرجع السابق، ١٧٤، ١٧٥.

(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٦٦، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٥.

(٦) ابن بيبي: المصدرين السابقين، ص٥٦٧، ص ٣١٥ ؛

فلم يكن أمام الوزير الأصفهاني إلا مواجهة التمرد والقضاء عليه، ليتخلص من خصم عنيد من جهة، ويثبت للمغول وغيرهم أنه رجل الدولة السلجوقية القوي، الذي يمكن الاعتماد عليه.

وبالفعل تم حشد جيش ناهز عدد أفراده العشرون ألفاً[1] وأسندت قيادته لشمس الدين يوتاش "Yav-tas"، والتقى الطرفان في مكان من أعمال نكيار يسمى "خروقي"[2] فانهزم شرف الدين الأرزنجاني، واعتصم بقلعة كماخ[3]، وتبعه جيش الوزير وحاصره، ورغم حصانة القلعة، وامتلائها بالمؤن والأرزاق إلا أن شرف الدين شعر بالخوف، وأيقن بعجزه عن الصمود والمقاومة، خاصة بعد أن لمس من المحاصرين معه داخل القلعة جفاءً، نتيجة لنجاح مساعي قيادة الجيش في الإيقاع بين الطرفين، ولعدم مناصرة أهالي كماخ لعصيانه، فعرض على قائد الجيش ومساعديه الشفاعة له عند الوزير، فكتبوا بدورهم إلى الوزير، فجاء الرد منه بقبول الشفاعة فسلّم شرف الدين نفسه للأمراء الذين جاءوا في طلبه وانتهى بذلك تمرده[4].

وفيما كان الجيش عائداً إلى قونية اعترضه في الطريق رسول قادم من الوزير الأصفهاني وفي يده رسالة لأمراء الجيش مضمونها (أن يفصلوا رأس شرف الدين عن جسده ثم يرسلوا بها إلينا) [5].فتم تنفيذ أمر الوزير في قرية تسمى "جينوق"[6] ووضع الرأس بعد قطعه في كيس، فحمله الرسول عائداً به

---

(1) Vincent: Op. Ci t. Vol: XXXII, S. 26-27, Turan ; Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 463.

(٢) خروقي: من أعمال نكيسار، وورد اسمها عند "Turan": هورنيد "Horunide" انظر: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 463.

(٣) كماخ، وكَمْخ، كَمَخ، وعند الروم: كمخا Kamcha قال يا قوت سألت واحداً من تلك النواحي، فقال: (هي كَماخ بالألف لا شك فيها، وهي قلعة عظيمة على نهر الفرات الغربي بينها وبين أرزنجان مسيرة يوم واحد. معجم البلدان، ج٤، ص٤٧٩، لسترنج: المرجع السابق، ص١٥٠-١٥١.

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٦٦-٥٦٧، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٥.
Vincent: op. cit. vol XXXII, S. 27, Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 463.

(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٦٧، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٥.

(٦) "جينوق"، وعند توران جوبوك Gubuk وهي قرية من أعمال قيصرية. Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye S. 463.

إلى العاصمة، بعد أن نزل بإحدى دور القرية وعلق الكيس في مسمار في تلك الدار[1].

وبعد أن استراح خاطر الوزير من شرف الدين الأرزنجاني[2] بعث بعض رجاله إلى قلعة دارنده، وآخرين إلى قلعة كاختة، حيث يُعتقل في الاولى البراونة أبو بكر العطار، وفي الأخيرة ابنه، وأمرهم بقتل الاثنين، فخُنقا بوتر القوس حتى ماتا[3].

وبهذا يكون الوزير شمس الدين الأصفهاني قد تخلص من خصومه ومنافسيه، فاستبد بالسلطة وتفرد بها أو كاد، وكثُرت حاشيته، فكان لا يسير إلاّ في موكب يضاهي السلاطين، يحف به الحراس حيثما حلّ أو ارتحل، وقد أطنب ابن بيبي في وصف حاله، وكيف كان يقضي النهار من أوله حتى وقت متأخر من الليل[4].

ولم يدم صفاء الدهر للوزير – وليس من عادته ذلك – فبعد مضي سنتين[5] على ذلك الحال، اندلعت ثورة ضد الوزير وما يمثله من سلطة، تولى زعامتها رجل تركي يُدعى أحمد، ادعى أنه ابن للسلطان علاء الدين كيقباذ الأول من الملكة العادلية (ابنة الملك العادل الأيوبي شقيق صلاح الدين) وأن أخاه السلطان السابق غياث الدين كيخسرو الثاني عندما أراد التخلص منه أمر أحد رجاله (مبارز الدين أرمتشاخ) أن يقتله، لكنه استطاع الفرار في

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٦٨-٥٦٩، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٥-٣١٦. Turan: Op. Cit. S. 463.

(٢) وكان الأرزنجان يعرف اللسان اللاتيني، ويعطف على النصارى لكثرة احتكاكه بالجنود اللاتين والمرتزقة العاملين في جيش سلاجقة الروم. Vinent: op. cit. vol: XXXII. S. 27. Turan: Op. Cit. S. 463.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٦٩، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٦.

(٤) قزويني: تاريخ كزيده، ص١٥٢، وانظر أيضاً: ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٧٠-٥٧٢، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٧-٣١٨، ويصفه ابن العبري في تاريخ الزمان ص٢٩١ بأنه (تكبر وتجبّر).

(٥) وذلك بين عامي ٦٤٤- ٦٤٦هـ/ ١٢٤٦ ـــ ١٢٤٨م.

منطقة تسمى "بورغولو" "Borgulu" حيث اختبأ هناك، وغيّر اسمه من قلج أرسلان إلى أحمد وكانت الشائعات بهذه الحادثة تنتشر بين التركمان أصلاً[1].

وعلى الفور أرسل الوزير جيشاً لإخماد هذا التمرد لكن المواجهات الأولية أوضحت أن المتمردين أقوى مما كان يظن الوزير، خاصة وأن الثوار اختاروا مناطق الأوج على الحدود، مسرحاً لعملياتهم[2]، فابتعدوا بذلك عن مركز الدولة، وضمنوا مساندة التركمان لهم، بسبب ضجرهم من استبداد الوزير، وطبائعهم التي جُبلت على التمرد والبعد عن تحكم السلطة المركزية[3].فعزز الوزير قواته التي بعثها بمدد جديد يقوده أمير العدل الجديد خطير الدين زكريا.[4]

وفيما كان الوزير يتلهف لسماع أنباء انتصارات جيشة إذ تناهي إلى مسامعه أن الأمير السلجوقي ركن الدين قلج أرسلان، والوفد المرافق له، عائدون في طريقهم من منغوليا، وقد عيّن قاآن المغول الأكبر، الأمير

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٧٣-٥٧٤، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٧، وانظر أيضاً :
Anonim Slçuk-nâme, Turkce, Edime Badi. EF. Kitaplan 559. Farsscca nsr, Nafizuzluk Ankara 1952. S. 51, Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 464.
وانظر أيضاً: المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٤ أ.

(2) Cahen :The Mongols And Near East. "Setton". P. 726.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٧٢، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٨، ويذكر المؤرخ الفرنسي "Vincent" " أن أخا السلطان هذا يسمى "كوترين Cotcrin " وعدد المناصرين له يبلغ العشرين ألفاً، وصلت غاراتهم إلى أطراف قونية، وحاولوا الاستيلاء على العلائية، لأن بها خزائن الدولة، ونشروا الدمار والخراب في المناطق التي هاجموها، وتم القضاء على الثورة بعد ثلاثة أشهر من اندلاعها، وساهم حاكم لامبرون الأرمني في إخمادها. Miroir Historal. Vol XXXII, S
وانظر أيضاً:
Cahen: Notes pour Histoire des Tur comans de "Asie Mineure au XIII Siecle",Journal Asia tiquc Tome XXXIX , 1951 , P. 335-340, Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye, S. 464.

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص ٥٨٤، أخبار سلاجقة الروم، ص ٣١٩

السلجوقي سلطاناً بدل أخيه كيكاوس الثاني، والأدهى من ذلك أنه أصدر أمراً بعزل الوزير وقتله[١].

واضطرب الوزير عند سماعه الخبر، وأخذ يشك فيمن حوله، ولم تزده الرسالة التي وردت إليه من صاحبه النائب جلال الدين قرطاي إلا شكاً، والتي أكدّ له فيها أنه وكبار رجال الدولة لا زالوا على عهدهم له بالمساندة والتأييد، واقترح عليه الإقلال من الحاشية والاكتفاء بغلام أو غلامين يصحبانه عند حضوره لديوان الوزارة، وتفاقمت شكوكه بصاحبه قرطاي عندما نصحه بالتسلل والخروج من العاصمة واللحاق بالجيش الذي كان بعثه لمحاربة الخارجين من التركمان وزعيمهم المدّعي أحمد[٢].

وفي محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، أرسل الوزير الأصفهاني أحد أتباعه وهو سوباشي ملطية، رشيد الدين بهدايا عظيمة إلى خان المغول الكبير كيوك خان ليأتيه بالخبر اليقين، ويحاول ثني القاآن عن رأيه إذا كان ما بلغه من الأخبار صحيحاً، لكنّ الرسول المذكور لم يغادر أرزنجان، قاصداً منغوليا، حتى بلغه نبأ دخول السلطان الجديد، ركن الدين قلج أرسلان، أراضي آسيا الصغرى، تحف به حاشيته ووزراؤه، فأيقن بفشل مهمته، وخشي على نفسه، فانهزم جريدة إلى حلب، تاركاً وراءه أثقاله والهدايا التي حمّلها إياه الوزير الأصفهاني[٣].

---

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٤أ، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٨٤، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٩. Howorth: Op. Cit , III , p. 13.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٨٤، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٩-٣٢٠. وانظر أيضاً: المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٤ أ.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٨٤، ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٢٩٢؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 465.

أما الوزير - نفسه - فقد فكّر في أخذ السلطان عز الدين كيكاوس الثاني والهرب إلى إحدى القلاع البحرية(١)، والاعتصام بها،

لكن النائب جلال الدين قرطاي – وبقية رجال الدولة أفشلوا عليه فكرته إذ لم يؤيدوا ما ذهب إليه(٢).

وفي النهاية لم يجد الوزير الأصفهاني بداً من البقاء في العاصمة، وجمع حوله أنصاره ومماليكه، وشدد على قصره الحراسة وأخرج من خزائنه خلعةً كان قد أهداها إياه باتو خان زعيم مغول القبيلة الذهبية، عند لقائه به إبان سفارته المشهورة له والتي سبقت الإشارة إليها(٣)، ولبسها ظاناً أن من سيأتي للقبض عليه سيراعي حرمة تلك الخلعة (٤).

لكن الرسل القادمين من لدن كيوك خان، هاجموا داره بكتيبة من العسكر(٥)، وألقوا القبض عليه وصادروا كل ما وجدوه في داره، وساقوه إلى القصر السلطاني ليسمع بنفسه حكم الخان عليه، وقد سأل الوزير أحد الموكلين به وهو في الطريق إلى القصر: (إلى أين نحن ذاهبون؟ أجاب: إلى

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٩٢، تاريخ مختصر الدول، ص٤٥٠، وقد حددها "Turan" بانها إما العلائية أو أنطالية. انظر: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 465.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٨٤، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٢٠، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٩٢، وفيه أنّ جلال الدين قرطاي اعتقل الوزير في بيته، وبعث إلى السلطان بهاء الدين (يقصد ركن الدين) يخبره بما حصل، فأرسل السلطان جنوداً من المغول، فتسلموه. وانظر أيضاً تاريخ مختصر الدول، ص٤٥٠، أحمد توني: مرجع سابق، ص١٦٠.

(٣) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٨٥، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٩.

(٥) لعلها الفرقة التي تسمى الرنود Runud و وكانت تستخدم في ذلك الوقت بواسطة أشخاص مهمين في حاشية السلطان كيخسرو الثاني لاغتيال المنافسين و الخصوم، وأستخدمها الوزير الأصفهاني نفسه في تصفية خصومه، لكنها انقلبت عليه بحجة صدور الأوامر بقتله من القاآن الكبير للمغول. Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. p. 271 , 336.

حيث أرسل الصاحب الآخرين، وحيث سيرسلنا مستقبلاً)[1].فأيقن أنّ المنية قد أنشبت أظفارها.

وتم قتلـه في (٨ ذي الحجـة سـنة ٦٤٦هــ/ ٢٥ مـارس "آذار" ١٢٤٩م)[2].وطرحت جثته ثلاثة أيام، ثم فُصل رأسه عن جسده، وبُعث به إلى السلطان قلج أرسلان الرابع في مدينة سيواس[3].

ومن عجائب القدر، أنّ الرسول الذي حمل رأس الوزير إلى السلطان، نزل بقرية "جينوق" واستراح في إحدى دورها، وعلق الكيس وبداخله الرأس، في مسمار هناك، وإذا بها الدار نفسها، والمسمار عينه، الذي عُلّق فيه رأس شرف الدين الأرزنجاني المقتول -كما سبق ذكره- [4] بأمر الوزير الأصفهاني[5] !!!.

ولم يقتصر العقاب على الوزير الأصفهاني بل تجاوزه إلى أنصاره المقربين منه، والذين ظلوا مساندين له حتى تم قتله، فَنُكّل بعدد من الأمراء الكبار

---

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٨٥، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٢٠.

(2) Anonim Slçuk-nâme. S. 51.
وانظر أيضاً: ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٩٢، Cahen:Op. Cit. . P. 272.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٨٧، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٢٣، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ٤١٣. Anonim Slçuk-nâme. S. 51.
وذكر المولوي أنه سُلم إلى أقرباء الأمراء الذين تسبب في قتلهم، فعذبوه أياماً، حتى أقر بجميع الأموال التي استولى عليها، ثم قتلوه، صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٤ أ.
وذكر ابن العبري، أن جنوداً مغولاً حققوا معه، فأقر بذخائر طائلة، ثم أجهزوا عليه، تاريخ الزمان، ص٢٩٢.
وأشارت بعض المصادر أن قاتله أميرٌ سلجوقي يدعى شرف الدين محمد، وهذا الأخير من أصحاب ابن الخطير، وقتل معه.
انظر: اليونيني المصدر السابق، ج٣، ص١٧٣، ابن أبي الفضائل (المفضل، ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م) النهج السديد، والدر الفريد، فيما بعد تاريخ ابن العميد، تحقيق: بلوشية، باريس ١٩١٩-١٩٢٩م، ج٢، ص٥٤، ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٤.

(٤) انظر ما سبق ص ١٢٦ من هذا البحث.

(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٤ أ، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٦٧، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٥-٣١٦.

منهم: طرنطاي، وسراج الدين بن بجة، وتركري، وشجاع الدين ابن القزويني، وبيجار[1].

٢ـ تدخل القآن كيوك في شئون الحكم بدولة سلاجقة الروم:

بدأ التفكير في إيفاد بعثة الأمير ركن الدين بعد وقت قصير من تولي أخيه عز الدين كيكاوس الثاني السلطنة سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م، إذ جاء وفد من المغول يطلب حضور السلطان الجديد ليشارك في مراسم تتويج الخان الجديد كيوك، أسوة بغيره من حكام الأقاليم والمناطق الخاضعة للدولة المغولية، لكن المسئولين في الدولة السلجوقية، وعلى رأسهم الوزير شمس الدين الأصفهاني، آثروا بقاء السلطان في عاصمته، وتحججوا بأن مغادرته لها في هذا الوقت ليس في مصلحة الدولة، خاصة أن الأعداء ـ من الأرمن وغيرهم ـ يتربصون بها الدوائر.واستطاعوا إقناع رسل المغول بذلك خاصة بعد إغداقهم الأموال والهدايا على أعضاء الوفد المغولي واقتراحهم أن ينوب الأمير ركن الدين قلج أرسلان عن أخيه السلطان عز الدين كيكاوس الثاني في المشاركة في احتفالات المغول[2].

وتقرر أن يضم الوفد السلجوقي أيضاً كلاً من: القاضي جمال الدين الختني، ومشرف الممالك عز الدين محمد شاه، وبهاء الدين يوسف بن نوح الترجمان وكان أتابكاً للأمير ركن الدين قلج أرسلان[3].

---

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٨٧، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٢٣. وبيجار، يكتب أحياناً: بايجار، وبيشار وبيجار، الأمير حسام الدين، تولى حكم خرتبرت، كان موصوفاً بالشجاعة، لجأ إلى مصر وعاش فيها كريماً، وتوفى بها في شعبان سنة ٦٨١هـ/ نوفمبر ١٢٨٢، وقد جاوز عمره المئة. ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٢٧، حاشية ٢، ٣٣٦، اليونيني: المصدر السابق، ج٤، ص١٦٨، الذهبي: تاريخ الإسلام، الطبقة" ٦٩ " ص٧٢.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٥٢، ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٢٩٠، تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٧. Chen:Pre Of Ottoman Turkey, p. 276, Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye , S. 459.

(٣) ابن بيبي: المصدر نفسه، ص٥٦٤، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٣، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٧-٤٤٨، ٤٥٠.

وأثناء المشاركة في احتفالات تتويج كيوك خاناً أعظم للمغول، التقى أعضاء الوفد السلجوقي بكبار المسئولين المغول، وعلى رأسهم الخان الأعظم، وأطلعوهم على ما جرى في دولة سلاجقة الروم من صراعات بين كبار رجال الدولة وما نجم عنها من اغتيالات، وما أعقب ذلك من استبداد الوزير شمس الدين الأصفهاني وزواجه من أم السلطان عز الدين كيكاوس الثاني فأوغروا صدور المغول عليه وعلى من يلوذ به من المستشارين والأعوان.(1)

ومهما يكن من أمر فإن ما قام به أتباع الأمير ركن الدين قلج أرسلان في بلاط المغول، يعد جولة من جولات الصراع بين كبار رجال الدولة.لكن هذه الجولة تميزت بتدخل السلطات المغولية، ومن ثم غدا ديدن المتصارعين على السلطة في دولة سلاجقة الروم التقرب من زعماء المغول، لكسب رضاهم، والحصول منهم على (البراليغ) اللازمة، لإثبات أحقيتهم بمناصب الدولة، وإضفاء الصبغة الشرعية عليها(2).

وقد نجح رفاق الأمير ركن الدين قلج أرسلان في مسعاهم، وحصلوا على مراسيم من كيوك خان بعزل السلطان عز الدين كيكاوس الثاني، وتنصيب أخيه ركن الدين سلطاناً (3)، فأصبح الرابع من سلاجقة الروم الذي يحمل اسم ركن الدين قلج أرسلان(4).

(1) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 465.
(2) Combridge, History Of Islam . IV. B. 1. p749.
(3) الهمذاني: تاريخ جنكيز خان، ورقة ٣٨٩ب – ٣٩٠ أ، الجويني، تاريخ جها نكشاي ص٢٣٠، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٩١، تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٩.
(4) وعند أحد الباحثين أنه قلج أرسلان الثالث، وهو وهم، انظر حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، بيروت: ١٩٦٧م، ج٤، ص٩٠، ومن ألقابه الرسمية أيضاً قسيم أمير المؤمنين، وعز الدنيا والدين، انظر: محمد باقر الحسيني: دراسة تحليلية، مجلة سومر، ص١٦٤–١٦٥ ؛
Amed Tevhid: Muze-i Humayun. Meskukat Kadim-I Islamiyye katalogue Istanbul , 1321 , s. 249.

ومن المراسيم التي حصلوا عليها أيضاً، توزيع المناصب العليا في الدولة على رفاق السلطان الجديد، والقبض على الوزير شمس الدين الأصفهاني وإعدامه[1].

ولعل من أسباب نجاح الوفد السلجوقي في إقناع السلطات المغولية بالموافقة على مطالبهم امتعاض السادة المغول من عدم حضور السلطان عز الدين كيكاوس الثاني شخصياً لاحتفالاتهم[2]، رغم توجيه الدعوة له، فيكون بذلك قد خالف العادات والنظم المغولية، بينما جاء حضور أخيه ركن الدين دليلاً لهم بأن هذا الأمير، هو رجل السلطات المغولية الذي يمكن الاعتماد عليه والثقة به.[3] كما أنّ صلة القرابة التي كانت تربط بين أحد أعضاء الوفد وهو القاضي جمال الدين الختني، وأحد كبار الوزراء في البلاط المغولي وهو عماد الدين الختني[4] سهلت على الوفد السلجوقي إيصال مطالبه للخان المغولي[5].

ولفرض تلك التغييرات التي أحدثها الخان المغولي، جاء الوفد السلجوقي وبصحبته ألفين من الجنود المغول[6].

---

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٤٨٤-٤٨٥، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٩؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 465.

(٢) عن اهتمام المغول بإقامة هذه الاحتفالات وحضورها، انظر: القزاز: محمد صالح، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، النجف ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ص٣٥٣-٣٥٤.

(٣) الجويني: تاريخ جهانكشاي، ص٢٣٦، الهمذاني: جامع التواريخ، ج١، ق٢، ص١٨٠-١٨١، ١٩٢.

(٤) لم أعثر له على ترجمة فيما توفر لديّ من مصادر.

(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٨٨، ويذكر البعض أن كيوك خان فرض ضريبة سنوية جديدة على قلج أرسلان الرابع، تمثلت في "٢٠٠. ٠٠٠ و١ " دينار، وخمسمئة ثوب حرير موشىً بالذهب، وخمسمئة رأس من الخيل، ومثلها من الجمال، وخمسة آلاف رأس من الغنم، وكمية ضخمة من الهدايا العينية، تعادل قيمتها الضريبة نفسها. Howorth: op. cit. vol: III. P. 13. العريني: المغول، ص٢٠٣.

(٦) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٨٨، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٢٣، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٥٠، وأشار أحد الباحثين إلى أن عدد القوات المغولية بلغ عشرين ألفاً. Howorth: op. cit. V: III. P 13. .

وأثناء عودة الوفد إلى آسيا الصغرى، كانت البلدان والمدن التي يمر بها في الطريق إلى قونيه، تعلن ولاءها للسلطان الجديد، معترفة بحكمه[1].فيما شرع هو في عزل ولاتها السابقين وتعيين بدلاء عنهم من مناصريه[2].

وبعد القضاء على الوزير الأصفهاني بعث السلطان ركن الدين قلج أرسلان الرابع القاضي جمال الدين الختني إلى العاصمة قونية ليطلع السلطان عز الدين على قرار عزله الصادر من خان المغول، وإسناد الحكم إليه، فوصل القاضي إلى العاصمة واطلع السلطان المعزول وحاشيته على القرار، وأعلن ذلك على رؤس الأشهاد[3].

لكن النائب جلال الدين قرطاي – وكان أكبر المناصرين للسلطان عز الدين وأعظمهم نفوذاً – اجتمع بالقاضي جمال الدين وعرض عليه تنصيبه قاضياً للعاصمة قونية، وهذا يعني أن حكمه سيكون نافذاً في جميع مناطق الدولة، فرضي القاضي بذلك، ثم اقترح عليه إشراك الأخوة الثلاثة أبناء غياث الدين كيخسرو الثاني في الحكم، درءاً للخلاف وتنفيذاً لأمر الخان المغولي.إذ ليس من المعقول إسناد عرش الدولة للابن الثاني مع وجود الابن الأول على قيد الحياة[4].

٣ـ اشراك أبناء كيخسرو الثلاثة في الحكم تحت اشراف الأتابك قرطاي:

ووجد اقتراح النائب قراطاي قبولاً عند القاضي جمال الدين، الذي نقله بدوره إلى السلطان ركن الدين، وتم الاتفاق على ذلك كما تم الاتفاق على تسريح الجنود المغول وإعادتهم إلى بلادهم معززين مكرمين[5].

---

(١) ومن هذه البلدان، أرزنجان، وخربوط وملطية، وسيواس، وقيصرية، وآمد.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٤٨، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٤١٢-٤١٣، تاريخ مختصر الدول، ص٤٥٠، الهمذاني: جامع التواريخ، ج١، ق٢، ص١٩٣. D,ohsson: Op. Cit. , III , P. P. 92-95.

(٣) ابن بيبي: المصدرين السابقين، ص٥٨٨، و ص ٣٢٢.

(٤) المصدرين نفسيهما، ص٥٨٨، ص٣٢٣-٣٢٤.

(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٨٩، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٢٤.

ويبدو أن بهاء الدين يوسف بن نوح الترجمان الأرزنجاني، وزير السلطان ركن الدين لم يكن راضياً عن هذا الاتفاق، لذلك قرر السلطان عزله[1] وإرساله صحبة الجنود المغول إلى أرزنجان، ونُصّب خلفاً له في الوزارة نظام الدين خورشيد[2].

وأيضاً صدر عفو عن الأمراء المحسوبين على الوزير السابق شمس الدين الأصفهاني، ووزعت عليهم المناصب فأصبح سراج الدين بن بجة بكلربكي[3]، وسيف الدين تركري سوبا شياً[4] لسيواس، وسيف الدين طرنطاي سوباشياً لملطية.ورغم أن هذه التعيينات لم تشملها اتفاقية قرطاي مع القاضي الختني، إلاّ أنّ الأول غض الطرف عنها، لضمان نجاح الاتفاق الذي تم[5].

ولكن أنصار السلطان عز الدين تخلو فجأة عن هذا الإتفاق، ورجعوا (عما قد أتفقوا عليه مع القاضي الختني)[6].ويبدو أنهم لم يعرضوا الاتفاق

(١) ويذكر ابن بيبي أن الأمراء سئموا من تحكمات بهاء الدين، انظر: الأوامر العلائية، ص٥٩٠، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٢٤.

(٢) بعد مقتل الوزير الأصفهاني أسندت الوزارة إلى قاضي قونية عز الدين محمد الرازي، وكان مشرف الممالك وأحد أعضاء الوفد المشار إليه آنفاً، وباشر الوزارة مدة قصيرة. انظر ابن بيبي، أخبار سلاجقة الروم، ص٣١٣.
Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 467, Cahen :Pre Of Ottoman Turkey. P. 343.

(٣) بكاربكي: تنطق أحيانا بكر بكي , وهي كلمة تركية بمعني أمير. الخطيب: مرجع سابق ,ص ٨٤.

(٤) سو باشيا: تنطق صو باشيا, وهي لفظ فارسي مركب من , سو ومعناها الجند , وباشي معناها رئيس يقوم بمهام مدير الشرطةبالمنطقة المتواجد فيها وتنفيذ أوامر القضاة. الخطيب: مرجع سابق ,ص٢٩٦.

(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٩٠، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٢٤. ,Turan :Op. Cit. . S. 467 وانظر أيضاً : .Cahen:Op. Cit. . P. 272

(٦) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٩٠، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٢٤. ويكتنف الغموض أسباب انتقاض الاتفاق المشار إليه، فابن العبري يذكر أن جلال الدين قرطاي خدع أنصار السلطان ركن الدين، فتظاهر بتأييدهم في اسناد عرش السلطنة لصاحبهم ركن الدين دون أخيه عز الدين، وطلب منهم الذهاب إلى أقسراي وإعلان سلطنة ركن الدين، ووعدهم بإحضار السلطان عز الدين، وإجباره على الموافقة على ما يأمر به السلطان ركن الدين، حسب الأوامر المغولية التي جاء بها، فذهبوا إلى أقسراي للعمل بمشورة قرطاي، فيما أقبل عز الدين من قونية متجهاً إليها. لكن جنوداً من المغول نصبوا كميناً لأنصار السلطان ركن الدين، فأوقعوا بهم، وشتتوا قوتهم، فجاء عز الدين

السابق على السلطان ركن الدين وأصحابه إلا لخشيتهم من العساكر المغولية التي جاءت معهم، وعندما تأكدوا من انصراف هؤلاء إلى ديارهم، نكصوا على أعقابهم، وتعاظموا مسألة قبول ركن الدين وعلاء الدين شريكين لعز الدين في الحكم، إضافة إلى اعتدادهم بقوتهم.

وخرج السلطان عز الدين كيكاوس الثاني بأنصاره من قونية على حميّة، قاصدين قيصرية لقمع ما يرونه تمرداً من السلطان ركن الدين وأتباعه، وكانت أعدادهم في ازدياد مستمر أثناء زحفهم، حتى ناهز عددهم العشرة آلاف مقاتل[1].

وعندما سمع أنصار السلطان ركن الدين بحركتهم تلك، خرجوا للقائهم أيضاً، وهم يكيلون الشتائم للسلطان عز الدين وأنصاره، وفي مكان قريب من خان السلطان[2]، التقى الجيشان.وكان على مقدمة "العساكر العزدينية"[3] أرسلان دغمش، أمير اصطبل[4]، وشمس الدين يوتاش بكلربكي، ونور الدين يعقوب جامه دار، بينما تولى كل من: سيف الدين

كيكاوس الثاني إلى أقسراي، وأخذ معه أخاه ركن الدين !!! والتناقض هنا واضح، فكيف يهاجم المغول أنصار السلطان ركن الدين، وهم الذين جاؤوا لمساندته ؟!! وعلق على ذلك "Turan" بقوله: (إن ابن العبري اختلط عليه الأمر) وينحي الباحث باللائمة في وقوع الخلاف والحرب على أنصار ركن الدين قلج أرسلان الرابع لحرصهم على انفراده بالعرش. Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 469. ويعلق "كاهن Cahen " على ذلك بقوله: " وبالرغم من غموض النصوص. . " Pre Of Ottoman Turkey. P. 272.

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٩٠، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٢٤. وذكر أحد الباحثين أن عددهم قليل دون تحديد رقم. أنظر : Cahen: Op. Cit. P. 272.

(٢) وذكر المولوي أنها وقعت بين أقسراي وقونية، صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٤ أ، وعند " Cahen " أنها في أقسراي. Pre Of Ottoman Turkey. P. 272.
وخان السلطان المقصود به خان السلطان قلج أرسلان وعن الخانات انظر ما يلي، الفصل السادس من هذا البحث.

(٣) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٣٢٥.

(٤) أمير اصطبل: وظيفة يتحدث متوليها في شئون اصطبل السلطان – أو الأمير- ويتولى أمور ما يحويه من خيل وإبل وغيرها، مما هو داخل في حكم الأصطبل. ودرج المؤرخون على استخدام مصطلح " أمير آخور " لقباً للمتصدي لهذه الوظيفة، وآخور: كلمة فارسية بمعنى (العلف) فيكون المعنى: أمير المعلف. القلقشندي. صبح الأعشى، ج٥، ص٤٦٠-٤٦١.

طرنطاي، سوباشي ملطية، وسيف الدين تركري، سوباشي سيواس، قيادة قوات السلطان ركن الدين[١].

ولم يلبث أن نشب القتال بين الطائفتين، حقق خلاله أنصار السلطان عز الدين تفوقاً واضحاً تم خلاله أسر القائدين: طرنطاي، وتركري، وقتل القاضي جمال الدين الختني[٢].

وبقي السلطان ركن الدين في قلة من جنوده، فتقدم إليه أرسلان دغمش، وترجل له، وقبّل الأرض بين يديه.وأخذ بعنان فرسه – بحكم أنه أمير اصطبل- وقاده حتى أوصله إلى خيمة أخيه السلطان عز الدين الذي هبّ لاستقباله وعانقه، ودخلا الخيمة سوياً، حيث اتفقا على نبذ الخلاف، وطي صفحة الماضي، وإطلاق سراح الأسرى[٣].

والحقيقة أن هذه المعركة لم تكن إلا الجولة الأولى، من صراع مرير، وحرب أهلية ضروس، نشبت بين ابني السلطان غياث الدين كيخسرو الثاني.

ورغم تحقيق إتباع عز الدين كيكاوس الثاني للانتصار في هذه الجولة، إلاّ أنهم لم يحققوا هدفهم في جعل سلطانهم منفرداً بالحكم دون مشاركة من أخويه، إذ عمد زعيمهم قرطاي إلى تكريس خطته السابقة في إشراك أبناء كيخسرو الثاني الثلاثة في الحكم.ويبدو أنه خشي عاقبة الأمور بعد هزيمة السلطان ركن الدين المدعوم من المغول، ولم يشأ الدخول في نزاع جديد مع

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٩١، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٢٥.

(٢) يشير ابن بيبي إلى أن أرسلان دغمش، قام بدور كبير في تلك المعركة، وقاد الهجوم العنيف الذي تسبب في مقتل القاضي الختني. بينما تنسب مصادر أخرى هذا الدور للبكلربكي شمس الدين يوتاش. انظر: الأوامر العلائية، ص٥٩١، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٢٥، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٥٠، اقسرائي: مسامرة الأخبار، ص٣٦-٣٨.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٩٢، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٢٥.
والجدير بالذكر أن إحدى الروايات أشارت إلى إصابة طرنطاي بجروح في هذه المعركة، لم يلبث أن توفي متأثراً بها. انظر: Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 468.
وهي رواية مجانبة للصواب، إذ امتد العمر بطرنطاي المذكور، وشارك في حوادث كثيرة تالية، كما سنرى إن شاء الله.

السلطات المغولية، والحل الوحيد المتاح لتفادي ذلك، هو إشراك الأخوة الثلاثة في الحكم، وبالفعل تمت مراسيم تتويج الأخوة الثلاثة وذكرت أسماؤهم في الخطبة، ونقشت على النقود المضروبة في دولة سلاجقة الروم[(١)].واستمرت أسماؤهم في الظهور على النقود منذ سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م حتى سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م[(٢)].

ولا يخفى الضرر المترتب على تعيين أكثر من حاكم على البلد الواحد، فهو (خطأ في الرأي، وخطأ في التدبير، وفيه خطر على المملكة، إذ لا يسع الغمد سيفين، وكثرة الأيدي في الصلاح فساد...) [(٣)].

وبناءً على نتيجة تلك الجولة من الصراع أيضاً، أعيد توزيع المناصب، فأصبحت الوزارة من نصيب نجم الدين النخجواني، والذي قبلها بعد تردد[(٤)]، وعُين شجاع الدين عبد الرحمن رئيساً للبحر[(٥)]، ونجيب الدين دليخاني مستوفياً، ورشيد الدين الجويني أميراً للعارض، ونظام الدين خورشيد،

---

(١) النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١٠٧، العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٣٦-١٣٧. محمد باقر الحسيني: نقود السلاجقة، ص١١٣، دراسة تحليلية وإحصائية، ص١٧٩.
ويذكر ابن العبري أن الأمراء الكبار، أمثال: جلال الدين قرطاي، وبهاء الدين الترجمان، اتفقوا على تقسيم المملكة بين عز الدين كيكاوس، وركن الدين قلج أرسلان، فيحظى الأول بالنصف الغربي، بينما يحصل الثاني على النصف الشرقي، ويتم تعويض أخيهم الأصغر علاء الدين كيقباذ بما يكفيه من الأملاك الخاصة، وبذلك اشترك الثلاثة في الحكم، وضربت السكة بأسمائهم، وكتبوا السلاطين الأعاظم: (عز وركن وعلا) تاريخ مختصر الدول، ص٤٥٠-٤٥١، لكن يبدو أن التقسيم المشار إليه لم يظهر إلى حيز الوجود إلا في وقت لاحق. كما ستوضح الصفحات التالية.

(٢) محمد باقر الحسيني: نقود السلاجقة، ص١١٥، دراسة تحليلية وإحصائية، ص١٧٩ -١٨٠.

(٣) الثعالبي (أبو منصور عبد الله بن محمد بن إسماعيل، ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م) تحفة الوزراء، تحقيق: حبيب علي الراوي، وابتسام مرهون الصفار، بغداد، ١٩٧٧م ص٥٣-٥٤، وانظر أيضاً: الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص٤٢٩.

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٤ أ.

(٥) رئيس: مشتق من الرياسة أو الرئاسة، وهو بمعنى رفعة القدر وعلو المرتبة. تطور معناها ليصبح لقباً لأكابر الناس وأشرافهم منذ القدم، ثم أضيف اللفظ إلى أسماء أخرى. منها رئيس البحر الوارد في المتن، وهو المناط به قيادة القوات البحرية، ابن منظور (أبو الفضائل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، ت٧١١هـ/ ١٣١١م). لسان العرب، ط بيروت، ب. ن. مادة: رأس، عطية الله: المرجع السابق، ج٢، ص٦٢٦، الخطيب، المرجع السابق، ص٢١٦.

برواناه، وخطير الدين زكريا قائداً لحرس "حرملو"[1] إضافة إلى إمارة العدل، واحتفظ كل من يوتاش، وأرسلان دغمش بوظيفتيهما السابقتين، الأول بكلربكي والأخير أمير اصطبل[2].

أما جلال الدين قرطاي، فهو الأتابك للسلاطين الثلاثة وصاحب الحل والعقد في السلطنة كلها وقد تم الفراغ من تشكيل تلك الحكومة، في ربيع الأول سنة ٦٤٧هـ/ يونيو ١٢٤٩م[3].

ومن أولى المهام التي اضطلعت بتنفيذها الحكومة الجديدة، إخماد تمرد قام به أحد الخارجين في مناطق الأوج، يدعى "أيوز ملك " والذي استغل فترة الحرب بين الأخوين الآنفة الذكر، ولقي مساندة من بعض التركمان، لكن يوتاش ودغمش نجحا في القضاء عليه[4].

وتبيّن للوزير الجديد ـ نجم الدين النخجواني ـ أن مصروفات كبار رجال الدولة ومرتباتهم، تسبب مشكلة خطيرة لخزينة الدولة، واقترح إنقاص تلك المرتبات، والاقتصاد في الإنفاق، وتوفير الأموال لدفعها لجباة المغول (ولتهيئة أسباب استرضاء جيش المغول الذي أنيط به استبقاء الملك والدولة)[5] وبدأ الوزير بنفسه ليكون قدوة للآخرين[6].

وتكشف سياسة الوزير الآنفة الذكر، مدى الضغط الذي يقع على كاهل السلطة السلجوقية من قبل المغول، والذي يدفع ثمنه -بلا شك- رعايا الدولة، من أموالهم وأملاكهم، وجهدهم.

(١) حرملوا، لم أجد تعريفاً بها فيما اطلعت عليه من مصادر.
(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٩٥، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٢٩.
(3) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 468.
(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٩٥، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٢٨.
(٥) ابن بيبي: المصدرين السابقين، ص٥٩٥، ص٣٢٧، حاشية رقم ٣.
(٦) نفسيهما، ص٥٩٥، ص٣٢٧-٣٢٨.

وفيما كانت الأمور تسير على هذا النحو، ورجال الدولة يحاولون تضميد جروحها، إذ ببعثة مغولية قادمة من لدن "باتو خان" ومعها أمر بالتحقيق في قضية مقتل الوزير السابق شمس الدين الأصفهاني، والقبض على من باشر قتله، وإرساله مع البعثة إلى بلاط باتو خان(1).

ويأتي اهتمام باتو خان بتلك القضية لمعرفته بالوزير الأصفهاني والذي التقى به في أعقاب موقعة كوسه داغ، وفوض إليه الحكم في بلاد سلاجقة الروم نائباً من قبله وفي ظل وجود السطان غياث الدين كيخسرو الثاني.وتم اختيار شمس الدين الطغرائي – لبلاغته وفصاحته وعذوبة كلامه – ليسافر إلى باتو خان ليشرح له ملابسات ما حصل للوزير الأصفهاني، وتم تزويده بالأموال والهدايا، لتكون عوناً له في مهمته، كما أُرسل معه اثنان من المتهمين بقتل الوزير الأصفهاني وهما: بهاء الدين يوسف بن نوح الأرزنجاني وصارم الدين اليساور، مقيدة أيديهما "بالدوشاخة"(2)، وضم الوفد أيضاً كلاً من رئيس البحر شجاع الدين والمستوفي نجيب الدين وأمير العدل، وقائد حرس حرملو خطير الدين زكريا، وكلهم من أشياع الوزير المقتول شمس الدين الأصفهاني(3).

وبعيد سفر الوفد المذكور إلى بلاط "باتوخان"، تبين للوزير النخجواني صعوبة تحقيق الإصلاحات التي نادى بها، فقرر التخلي عن منصب الوزارة،

---

(1) المولوي: صحائف الأخبار، ج1، ورقة 584 أ، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص596، أخبار سلاجقة الروم، ص328.

(2) "الدوشاخة" كلمة فارسية، معناها ذات الفرعين، وهي من أدوات الاعتقال. وقد أوردها، د. محمد السعيد جمال الدين بهذا الرسم، دون ترجمة، بينما أوردها د. علاء الدين منصور، في النسخة التي ترجمها من كتاب "مختصر سلجوق نامة" ص297، باسم (بفرعين) وانظر: النسخة التي ترجمها د. محمد السعيد من الكتاب نفسه، ص329، وانظر أيضاً: كتاب الحوادث، ص349، حاشية رقم 1، محمد السعيد جمال الدين: علاء الدين عطا ملك الجويني (حاكم العراق بعد انقضاء الخلافة العباسية)، طبع مصر، 1982م، ص40.

(3) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص596، أخبار سلاجقة الروم، ص328-329.

والانسحاب من مسرح الحياة السياسية في دولة سلاجقة الروم، والتوجه إلى حلب[1]، فأصبح ذلك المنصب المهم شاغراً.

أما الوفد الذي رأسه الطغرائي فقد نجح في مسعاه، وأقنع زعيم مغول القبيلة الذهبية بالحجج التي سمعها منه، وتسلّم قَتَلَةَ الوزير الأصفهاني، ليقتص منهم[2].

واستغل أعضاء الوفد لقاءاتهم بزعماء المغول بالحصول منهم على أوامر بتثبيت كل منهم في منصبه، وإسناد منصب الوزارة لرئيس الوفد شمس الدين الطغرائي، نتيجة لتخلي الوزير السابق النخجواني عنه، ومغادرة البلاد[3].

وبالإضافة إلى تلك الأوامر، عاد الوفد إلى آسيا الصغرى ومعه أيضاً خلعتين من باتو خان إلى كل من السلطان عز الدين كيكاوس الثاني، وجلال الدين قرطاي، وأقيم احتفال بهذه المناسبة قرئت خلاله الأوامر المغولية، ولبس السلطان والأتابك الخلعتين[4].

ويلفت النظر في هذه الحادثة حرص كبار رجال الدولة في سلاجقة الروم على الحصول من السادة المغول على الأوامر التي تثبت أحقيتهم في مناصبهم، كما أنها تبين تغلغل النفوذ المغولي المتزايد في شئون الإدارة الداخلية للدولة.كما أنها تظهر تناقضاً بين رغبات كل من قاآن المغول الكبير في قراقورم وبين زعيم مغول القبيلة الذهبية في الأردو[5] Ordo وهو التناقض الذي حاول حكام دولة سلاجقة الروم استغلاله لصالحهم، ومثالاً عليه ما فعله

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٤ أ، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٩٦، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٢٨.
(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٩٦، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٢٨.
(٣) المصدرين نفسيهما، ص٥٩٧، ص٣٢٩.
(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٩٨، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٢٩.
(٥) كلمة تركية تعني المعسكر، أو قاعدة عسكرية. التونجي، المرجع السابق، مادة "أردو" وقد استخدم هذا المصطلح للدلالة على عواصم الدول المغولية الأربع. والمكان الذي يعسكر فيه الزعيم المغولي، في الصيف أو الشتاء.

السلطان ركن الدين قلج أرسلان الرابع أثناء لقائه مع كيوك خان، وما فعله الطغرائي وأصحابه في سفرتهم إلى باتوخان على أنّ القاسم المشترك بين المسئولين في دولة سلاجقة الروم هو حرصهم على الحصول على أوامر مغولية تضفي شرعية على ما يطمعون في الحصول عليه من وظائف، بغض النظر عن من يُصدر تلك الأوامر من الحكام المغول، سواءً كان الخان الكبير أم أحد أعوانه.

وبدا - لفترة وجيزة - أنّ الوضع العام في دولة سلاجقة الروم يتجه نحو الاستقرار، في ظل سيطرة الأتابك قرطاي وأعوانه على دفة الحكم.لكن فريقاً من أولئك الأعوان لم يرق لهم أن تأتي مراسيم تولي الوظائف المهمة في الدولة من قبل المغول وتزعم هذا الفريق بعض الموظفين القدماء من أنصار السلطان عز الدين كيكاوس الثاني، وانتقدوا مجيء وفد الوزير الطغرائي بأوامر التولية من قادة المغول[١].ويبدو أيضاً أن الغيرة والحسد كامنتان في نفوسهم، لأن أعضاء الوفد الذين سافروا صحبة الوزير الطغرائي عادوا وهم أكثر قوة وثقة من غيرهم من كبار الموظفين بحكم أنهم التقوا بالزعيم المغولي -باتوخان- شخصياً، وضمنوا لأنفسهم الدعم والتفويض في الحصول على المناصب التي سعوا إليها[٢].

وكان أكبر المنتقدين البكلربكي شمس الدين يوتاش" والذي بدأ يقدح في صلاحية رئيس البحر شجاع الدين، بحضور السلطان، وتجاوزه إلى القدح في الوزير الطغرائي، وزاد من اعتراضه مستغلاً لزوم الأتابك قرطاي، وأمير الاصطبل أرسلان دغمش، وبروانه نظام الدين خورشيد جانب الصمت، والذي كان على ما يبدو دليلاً على الرضا[٣].

---

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٩٦، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٢٩.
(2) Cahen:Pre Of Ottoman Turkey. P. 271.
(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٩٩، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٢٠.

وبدأت تظهر ملامح الانقسام على الحكومة السلجوقية، ويتضح تدريجياً تكوّن حزبين متنافسين، أحدهما يمثل كبار رجال الدولة القدماء، ويضم الأتابك قرطاي والبكلربكي يوتاش، وأمير الاصطبل أ دغمش، والآخر يمثل أعضاء الوفد الذي سافر إلى باتوخان وعاد بمراسيم التولية المغولية ويضم كلاً من الوزير الطغرائي ورئيس البحر شجاع الدين وأمير العدل وقائد حرس حرملو خطير الدين زكريا[1].

وأدرك أصحاب الوزير الطغرائي خطورة الدخول في تنافس مع الأتابك قرطاي وأصحابه، مما سيفضي إلى صراع تكون عاقبته وخيمة على الطرفين، فتسللوا مبتعدين عن العاصمة، حيث قصد رئيس البحر شجاع الدين ميناء سينوب[2]، فيما توجه رشيد الدين إلى ملطية، وخطير الدين إلى حرملو، ولم يبق في العاصمة مع الوزير الطغرائي إلا المستوفي نجيب الدين دليخاني[3].

ولم يلبث أن وقع الخلاف بين الوزير الطغرائي وصاحبه المستوفي نجيب دليخاني، فانقلب الأخير على الوزير، ووشى به عند الأتابك قرطاي، واتهمه بالسعي لتقويض قواعد الدولة، وعقد اجتماع بدار الحكم، حضره عدد كبير من المسئولين على رأسهم قرطاي، وتمت مواجهة الوزير بالتُهم المنسوبة إليه، فلم يحر جواباً، وما استطاع المحاجّة، فتضاءلت مكانته، وضعف موقفه[4].

---

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٥٩٩، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٠.

(٢) سينوب، وصنوب، وصينوب "Sinope" هي أسماء لميناء كبيرة على الضفة الجنوبية للبحر الأسود "بحر بنطس" يحيط بها البحر من كل جهاتها عدى الشرقية. وهي إلى الشمال الشرقي من قسطمونية، وقد زارها ابن بطوطة ووصفها بالجمال وقوة الحصانة. رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٣٥٣، لسترنج: المرجع السابق، ص١٩١.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٠٠، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٠.

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٠٠، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٠.

وترافقت هذه الحادثة مع وقوع نزاع من نوع آخر في أطراف دولة سلاجقة الروم، حيث اختلف كل من معين الدين سليمان ابن الوزير مهذب الدين، وسوباشي ملطية السابق، سيف الدين طرنطاي حول من له الحق في قيادة جند أرزنجان، ورفع الاثنان خلافهما إلى القائد بايجو، ليحلّ الخلاف بينهما[1].ولهذا الأمر دلالته، فهو يظهر عدم سيطرة الحكومة السلجوقية في قونية على أطراف الدولة، ويكرس مقولة أن رجال دولة سلاجقة الروم في هذه الفترة يحرصون على كسب رضا وموافقة المغول فيما يعتزمون القيام به من أعمال، أو يحصلون عليه من مناصب كما يبدو جلياً استمرار نفوذ القائد المغولي بايجو نوين وتأثيره على مجريات الحوادث في هذه المنطقة من العالم.

ومهما يكن من أمر فإن معين الدين سليمان كسب الرهان، إذ كان يحظى بعطف ورعاية القائد بايجو، الذي كان يُعد والده - الوزير الأسبق مهذب الدين - صديقاً له، منذ لقائهما الأول بعيد هزيمة كوسه داغ الآنفة الذكر[2].

وأراد الوزير شمس الدين الطغرائي الاستفادة من ذلك الود الذي لا يزال بايجونوين يكنه لأسرة الوزير مهذب الدين، ولا سيما أنه –الطغرائي- ربيب الوزير المذكور، ونشأ في حجره، فكتب رسائل إلى بايجو يستنجد به، ويحرضه على الأتابك قرطاي وأصحابه، لكن تلك الرسائل وقعت في يد الأتابك قرطاي، الذي دعى الأمراء وأطلعهم عليها بحضور الوزير الطغرائي نفسه، فوبخوه على فعله، و تقرر عزله عن الوزارة واعتقاله في قلعة انطالية[3].

---

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٠٠، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٠.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٠٠، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣١.

(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٤ أ، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٠٠، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣١، وورد فيه كلمة انطاقية بدل انطالية، وهو تصحيف مطبعي، تلافاه طابع النسخة التي ترجمها د. علاء الدين منصور، انظرها، ص٢٩٩.

لكن أحد أعوانه المخلصين، والمعروفين بقوة الحيلة[1] استطاع التسلل إلى بايجو، وأخبره بما حصل للوزير الطغرائي، فبعث القائد المغولي اثنين من أتباعه[2] لإطلاق سراح الوزير المعزول، فلم يسع رجال الحكم في قونية إلاّ الإذعان لطلبه، فأخرج الطغرائي من المعتقل.وتم تسليمه لمبعوثي بايجو، فاصطحباه إلى معسكر القائد المغولي، وقد انضم إليهم أثناء العودة الأمير رشيد الدين[3] سوباشي ملطية السابق، الذي كان معتقلاً في قلعة حافيك.

أما في قونية قام الأتابك قرطاي وبقية الأمراء بتصيب القاضي[4] عز الدين محمد شاه الرازي وزيراً للسلطنة خلفاً للوزير المعزول شمس الدين الطغرائي وذلك في سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م[5].وربما تولاها للمرة الثانية[6].

وفي خضم تلك الحوادث كانت رسل المغول تترى على قونية يحملون أوامر السلطة المغولية بمثول السلطان عز الدين كيكاوس الثاني أمام الخان[7] ونجح المسئولون في دولة سلاجقة الروم في تأجيل ذلك الموضوع عدة مرات، لكن أمام إصرار رسل المغول على أخذ السلطان معهم، تقرر خروج السلاطين الثلاثة: كيكاوس الثاني، وقلج أرسلان الرابع، وكيقباذ الثاني، من قونية إلى قيصرية، تمهيداً لبعث السلطان عز الدين إلى الخان المغولي، وخرج معهم

---

(١) واسمه: أثير الدين المنجم.

(٢) وهما علاء الدين علي بك، وجمال الدين درزي الساوجي.

(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٥ ب، وذكر أن الأمير رشيد الدين هرب من معتقله، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٠١، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٢. وذكر ابن العبري أنه قُتل في معتقله. تاريخ مختصر الدول، ص٤١٢ـ٤١٣. وهي رواية ثبت الآن عدم صحتها.

(٤) وقد شغل وظيفة قاضي قونية فترة من الزمن، انظر ما سبق، ص من هذا البحث

(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٤ أ، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٠٢، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٣.

(٦) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٤ أ، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٠٢، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٣.

(٧) المقصود هنا: باتو خان، ثم الذهاب إلى قرا قورم لمقابلة القاآن. انظر: ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٠٤، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٤، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٠٠، تاريخ مختصر الدول، ص٢٦٣. Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 471, 473.

الأتابك قرطاي، والوزير الرازي، وبقية الأمراء[1]، وعند وصولهم إلى قيصرية استطاع سوباشي المدينة (سيف الدين تركري)[2] الاستحواذ على السلطان كيكاوس، ودفعه إلى مجالسة السفهاء والأحداث، والإنغماس في الملذات ومعاقرة الخمر، والابتعاد عن كبار رجال الدولة وعقلائها، وهي أمور كان الأتابك قرطاي يحول بينه وبين الانجراف في تيارها.[3]

وبينما كانوا على هذه الحالة في قيصرية قدم عليهم - بعد غياب طويل - الأمير شمس الدين ألتونبه"Alton-aba"[4] قائد جيش آمد[5] وذُهل لكثرة حاشية السلاطين الثلاثة، وتبذيرهم الأموال، وقارن بين هذه الحال، والحال التي كان عليها السلطان علاء الدين كيقباذ الأول وحاشيته، رغم أن الدولة في ذلك العهد كانت في أزهى عهودها، ولم يسلم كبار الأمراء -ومنهم الأتابك قرطاي- من توبيخ ألتونبة وتقريعه، لكن الأمير تركري لم يتحمل ذلك، فأوعز إلى بعض أتباعه بالتخلص من ألتونبه وانتقاداته اللاذعة، فدسّ له السم في الطعام، فكانت نهايته[6].

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٠٤، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٤.

(2) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 471.

وكان قد أطلق سراحه بعد المعركة السابقة.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٠٥، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٤، وانظر أيضاً ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٠٠.

(٤) كان هذا الأمير أحد ضحايا الوزير سعد الدين، المشار إليه آنفاً، والذي كلف أحد أنصاره بالقضاء عليه، لكن الأيام كشفت بقاءه على قيد الحياة، ولم يرد اسمه في حوادث تلك الفترة إلا في هذا الموضع. انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٠٥، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٤-٣٣٥. ويذكر Turan أنه أمير على ديار بكر. انظر Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 472.

(٦) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٠٦، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٥.

عندها أدرك بقية الأمراء ضرورة وضع حد لتهور تركري، فاتهموه بالتسبب في موت ألتونبه، وحرضوا عليه السلطان عز الدين فأمر باعتقاله، والقضاء عليه، فارتاح الناس من شره.(١)

أما السلطان عز الدين، فقد خرج من قيصرية متوجهاً إلى سيواس، في طريقه إلى بلاط الخان المغولي، وترك أخويه، وبقية الأمراء في قيصرية، وبينما كان في طريقه، وبرفقته رسل المغول، بلغه نبأ وفاة الأتابك قرطاي في قيصرية(٢)، فاستولى عليه القلق وخشي من انفراط نظام الدولة، وقيل أنه سمع أن الأمراء يميلون إلى تولية أخيه ركن الدين مقاليد الحكم، وتنحيته هو عن السلطنة(٣).فصرف رسل المغول، وقفل عائداً إلى قيصرية، حيث اجتمع بأخويه، وبقية الأمراء، واستقر رأيهم على إرسال السلطان علاء الدين كيقباذ الثاني - الأخ الأصغر - على رأس وفد(٤) إلى خان المغول، ليعتذروا عن عدم تمكن السلطان عز الدين من الحضور بنفسه، بحجة وفاة الأتابك قرطاي،

---

(١) وقد اعتقله الأمراء في قلعة يقال لها (منداس Mendas) ثم قضي عليه. ابن بيبي، الأوامر العلائية، ص٦٠٧، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٦.
ووصف ابن بيبي الأمير تركري: بأنه من الأمراء، وأبناء مماليك السلطنة، ويغلب على مزاجه الظلم والجود وكثرة المزاح. انظر: الأوامر العلائية، ص٦٠٤، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٤.

(٢) كانت وفاته في الثامن والعشرين من رمضان سنة ٦٥٢هـ/ الحادي عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٢٥٤م ؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 472.
بينما يرى كاهن "Cahen" أن تاريخ وفاته مختلف فيه، فقيل قبل الحرب السابقة بين الأخوين وقيل بعدها، وربما كان مريضاً غير قادر على لعب دور نشيط قبل وفاته. Pre Of Ottoman Turkey. P. 275.

(٣) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٦١، بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٤٨.

(٤) وضم الوفد كلاً من، الأمراء: سيف الدين طرنطاي، و رئيس البحر شجاع الدين عبد الرحمن، ونور الدين القابض، والخواجه مصلح لا لا. انظر: ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٠٧، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٦.
وخواجه أو خواجا: لفظ فارسي معناه سيد أو ثري أو تاجر كبير، دخل العربية في العصر الإسلامي، وأصبح لقباً يطلق على كبار التجار، وطرأ عليه تغيير في العصر العثماني، فأصبح من ألقاب التشريف الخاص بالنصارى ولا يزال كذلك حتى اليوم. خاصة في شبه الجزيرة العربية. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٦، ص١٣، التونجي: المرجع السابق، مادة: خواجا.
ولا لا: لفظ تركي، يُطلق على من يقوم بتأديب أو تربية أبناء السلاطين والأمراء الكبار، الخطيب: المرجع السابق، ص٣٣٧.

والخوف من تعرض البلاد لهجمات من الأعداء خاصة أطرافها الغربية[1] وتم تزويد الوفد بالكثير من الهدايا النفيسة والأموال[2].

٤ـ سفارة علاء الدين كيقباذ الثاني إلى بلاد المغول و وفاته :

بعد مغادرة علاء الدين كيقباذ الثاني وأصحابه قيصرية، وأثناء مسيرهم في الطريق، انضم إليهم الوزير السابق شمس الدين الطغرائي، وصاحبه رشيد الدين، ومن كان لاجئاً معهما عند المغول.كما انضم إلى الركب جدة السلاطين الثلاثة، وهي والدة السلطان غياث الدين كيخسرو الثاني.[3]

ودبّ الخصام بين أعضاء الوفد المذكور، ولا سيما بين الوزير السابق (الطغرائي) وبين رئيس البحر شجاع الدين عبد الرحمن.وذلك لإصرار الأول على إعلان سلطنة علاء الدين كيقباذ الثاني، في كل بلد يمرون به من بلاد سلاجقة الروم، بحجة أن زعيم المغول طلب مثول سلطان دولة سلاجقة الروم بين يديه، وها هو السلطان سائر لتحقيق ذلك[4].

---

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٤ ب، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٠٠، تاريخ مختصر الدول، ص٤٦١، بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٤٨

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٠٧-٦٠٨، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٦.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٠٧، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٦، وأشار المولوي إلى أن الوزير الطغرائي كان لاجئاً عند المغول، وبقي كذلك حتى وصول كيقباذ الثاني وأصحابه فانضم إليهم. صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٥ ب.
أما جدة السلاطين المذكورة فهي مهتري خاتون "Mahperi hatun". بنت كيرفارد "Kirfard" حاكم العلائية قبل أن ينتزعها منه السلطان كيقباذ الأول، وكانت مهتري خاتون على دين النصرانية، وأسلمت فيما بعد وساهمت في إنشاء بعض الجوامع والمدارس، ووصفت بالتقوى والورع، وعاشت بعد ابنها كيخسرو الثاني وجاء اسمها منقوشاً على جدار مقبرتها، وهو مؤرخ بسنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م، وربما هو تاريخ وفاتها. انظر: Edhem. Halil :Kayseriy şehri
Turan. Osman: Souverains SeldJoukide et Leurs sujets-non Istanbul. 1334. S. 62- 70.

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٠٧-٦٠٨، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٦. Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 473.

ولا بد أنّ هذا العمل أثار الشك والقلق في نفسي السلطانين الآخرين (كيكاوس الثاني وقلج أرسلان الرابع)، إذ ليس من المستبعد أن يعود كيقباذ الثاني من عند خان المغول حاملاً (برليغا) بتنصيبه سلطاناً متفرداً على دولة سلاجقة الروم، كما فعل الخان سابقاً مع السلطان ركن الدين قلج أرسلان الرابع.(١)

وكان ذلك بداية للشكوك بين السلاطين وزاد الطين بلة أطماع الأمراء الشخصية الذين أذكوا تلك الشكوك، حتى تحولت إلى صراع مرير، ومن الواضح أن رحيل الأتابك قرطاي قد أفرز هذه النتيجة، ففي أثناء حياته نجح هذا الرجل في المحافظة على وحدة الدولة وتخطي الصعاب التي واجهتها طيلة أربعة أعوام خلال الفترة من سنة ٦٤٨هـ/١٢٤٩م إلى ٦٥٢هـ/١٢٥٤م(٢).

ومهما يكن من أمر فإن السلطان علاء الدين كيقباذ الثاني وصل إلى أرزن الروم على أطراف دولة سلاجقة الروم، وهناك وافته رسل باتوخان، تطالبه بدفع بقية الضرائب، وفي الوقت نفسه بلغته أنباء تحرك بايجونوين نحو آسيا الصغرى، فبعث رسالة إلى أخيه السلطان عز الدين يبلغه بكل هذه الحوادث، وينصحه بمدارة المغول وعدم الدخول معهم في حرب(٣).

وبينما كان الوفد في طريقه إلى باتو خان، تفجر الصراع بين الأخوين كيكاوس الثاني و قلج أرسلان الرابع.ويبدو أن أخبار ما جرى بينهما كانت تصل إلى أعضاء الوفد، فظهرت الفرقة بينهم، وتآمر بعضهم على بعض، ولما وصلوا إلى بلاط باتو خان اتهم بعضهم بعضاً بالخيانة، وحاول الزعيم المغولي استجلاء الموقف وأجرى معهم تحقيقاً، لكنه لم يتوصل إلى حقيقة بيّنة، ففرق

(١) أقسرائي: مسامرة الأخبار، ص٣٧. Turan: Op. Cit. S. 473.

(٢) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٦١، العريني: المرجع السابق، ص٣٣٦؛ Cahen: The Mongols And Near East. "Setton", P. 726, Turan: Op. Cit. . S. 473.

(٣) أقسرائي: مسامرة الأخبار، ص٣٧-٣٨؛ Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. P. 276. Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 473.

بينهم، وبعث بهم إلى منكو قاآن[1]، في منغوليا، ليحاكمهم ويقف على جلية أمرهم[2].

لكن أثناء مسيرهم توفي السلطان علاء الدين كيقباذ الثاني، في أحد شهور سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م[3]، واختلف في سبب وفاته، فقيل مات مسموماً[4]، واتهم أخوه السلطان كيكاوس الثاني، بتدبير مؤامرة قتله[5].وهناك من يرى أنه مات فجأة حتف أنفه[6].

وقد واصل الوفد بعد ذلك سفره، والتقى بالقاآن منكو، الذي أجرى تحقيقاً في كيفية وفاة السلطان علاء الدين، لكن الحقيقة بقيت غامضة، فيما استمر الخلاف بين أعضاء الوفد حتى بحضرة الخان الكبير الذي لم يخف دهشته، وأخضع أعضاء الوفد لاختبار خلص في نهايته إلى تقريب سيف

---

(١) منكو قاآن – ويكتب: مانجو، مونكاكا، بن تولوي خان، بن جنكيز خان – الملك الرابع من الملوك الذين جلسوا على تخت الخانية القانية حيث أنتخب لهذا المنصب في ذي الحجة سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، وذكر ابن العبري أنه في ربيع الأخر ٦٤٩هـ/١٢٥١م، وهلك في المحرم سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م، وعمره اثنان وخمسون عاماً. الهمذاني، جامع التواريخ، ج١، ق٢، ص٢٠٣، ٢٢٥، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٢٦١.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢٩، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٤، بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٤٩–٥٠، النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١٠٩.

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان ص٣٠٠، أقسرائي: مسامرة الأخبار، ص٣٩، والبعض جعل تاريخ تلك السفارة، سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، انظر: ابن دقماق: نزهة الأنام، ص٢٢٨، ومنهم من جعلها سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م – انظر العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٤٤، تاريخ ابن خلدون، مج٥، ق٢، ص١١٨٢، ٣٦٣، المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٤٠٨. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٣٤٢، وهي عنده مؤرخة سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٤٧م.

وفي كتاب الحوادث أن وفاته سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م – انظرها ص٣٧١.

(٤) أقسرائي: مسامرة الأخبار، ص٣٩. Howorth: op. cit. v. III. P. 13.

(٥) مسامرة الأخبار، ص٣٩–٤٠. D, ohsson: op. cit. V. III, P. 95-97.

وأشار ابن العبري إلى أن رفاقه أجهزوا عليه. انظر: تاريخ الزمان، ص٣٠٠، وانظر أيضاً: المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٤٠٨، حاشية رقم ١، وفيها أنه مات مقتولاً، دون ذكر المصدر.

(٦) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٥ب، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢٩، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٤، كتاب الحوادث، ص٣٤١، النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١٠٩، العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٤٥، ١٤٧، تاريخ ابن خلدون، مج ٥، ق٥، ص١١٨٢.

وذكر الدواداري أنه مرض ومات. زبدة الفكرة، ج٩، ص٤٨. فيما يرى "كاهن شرزدا" أنه كان معتل الصحة. Pre Of Ottoman Turkey. P. 277.

الدين طرنطاي وإبعاد شمس الدين الطغرائي ورفاقه، وعاد الجميع بعد ذلك إلى آسيا الصغرى، يحملون معهم جثة السلطان المتوفى حيث دفن في أرزنجان[1]، كما حمل طرنطاي معه أوامر مغولية جديدة[2].

(1) بيبرس الدواداري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٥٠، العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٤٤، ١٥٥، وذكر أنه توفي في أرزنجان، ابن خلدون العبر، مج٥، ق٢، ص٣٦٤.
وذكر القاضي أحمد أنه دفن في أرضروم مع أمه كرجي خاتون، ص٢٩٨. وقيل دفن بقونية، القلقشندي: صبح الأعشى، صج٥، ص٣٤٢.

(2) وزعمت محققة كتاب زبدة الفكرة، ج٩، ص٤٨، حاشية ٢، أن هورث "Howorth " كتب عن سفارة علاء الدين كيقباذ الثاني إلى المغول بتفصيل لم يوجد عند غيره، دون أن يشير إلى مصادره. مع أنه ينقل عن ابن العبري والهمذاني، و في نهاية الأرب ,وعقد الجمان: ذكر مفصل لهذه السفارة.

المبحث الثالث
عرش سلاجقة الروم بين الأخوين كيكاوس الثاني وأخيه قلج أرسلان الرابع

تجدد النزاع بين ابني كيخسرو الثاني:

سبقت الإشارة إلى أنه أثناء غياب وفد السلطان علاء الدين عن آسيا الصغرى حدث نزاع بين أخويه، وما كانت تلك إلا الجولة الثانية في الحرب الأهلية الضروس التي تفجرت ـ من قبل- بين الأخوين كيكاوس الثاني، وقلج أرسلان الرابع.

وبعد خروج كيقباد الثاني من قيصرية عاد الأخوان إلى العاصمة قونية، واستمر كيكاوس الثاني في الانشغال بملذاته ولهوه، وتقريب أترابه وندمائه، وتوليتهم المناصب، وإبعاد كبار الأمراء وعقلائهم، ومنح أخواله[1] وهم من النصارى صلاحيات واسعة، مما أوغر الصدور منه[2].أما أخوه ـ قلج أرسلان الرابع ـ فلم يكن راضياً عن تلك التصرفات، ووجد من الأمراء المتضررين من سياسة كيكاوس الثاني من يدعمه، ويحرضه على الخروج ومحاولة الاستقلال بالسلطنة، واستطاع بمساعدتهم أن ينسل من قونية، ويلتجئ إلى

(١) وهما: كيرخيا "Kir Haye"، وكير كديد "Kirkedid". أقسرائي: مسامرة الأخبار، ص٤٠، وانظر أيضاً ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٠٩، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٧. بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١١٠.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٦ أ، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٠٩، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٧، ويتهمه ابن العبري أنه علم بوفاة أخيه علاء الدين فعزم على الفتك بأخيه الآخر ركن الدين. تاريخ الزمان، ص٣٠١.

قلعة دَوْلو "Dawlao"[(١)]، حيث أعلن العصيان على أخيه وسيطر أنصاره على قيصرية، وبدأت جموعهم تتدفق إليها وذلك في سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م[(٢)].

ومن الأمراء الذين ناصروا قلج أرسلان الرابع: كمال الدين ويلقب بـ "قائد المهمات"[(٣)] ونصرة الدين[(٤)] حاكم قلعة "دولو"، وأمير العارض وسوباشي قيصرية ملك الزهاد صمصام الدين قايماز، وهذا الأخير كان حاقداً على كيكاوس الثاني وحاشيته منذ عزله عن حكم نكيدة[(٥)] وإسناد أمرها إلى غلام مجهول من جلساء كيكاوس الثاني[(٦)] وانضم إليهم أيضاً سوباشي الأبلستين[(٧)]، فلك الدين خليل، وحسام الدين بيجار[(٨)].

ولما تأكد كيكاوس الثاني من خروج أخيه عليه، استنفر جنوده، وخرج في أثره والتقى الجيشان في صحراء "أحمد حصار"[(٩)]، وقبل أن تتشب المعركة دارت مفاوضات على أساس منح قلج أرسلان الرابع الحكم في مناطق: سيواس وملطية، وخرتبرت، لكنه طلب زيادة منطقتي قيصرية

(١) دَوْلو، أو دوالوا، شمال قونية، وإلى الجنوب الغربي من قيصرية،وتقع شمال قونية ، وجنوب غرب قيصرية ، وجدد السلطان علاء الدين السلجوقي أسوارها. لسترنج: المرجع السابق، ص١٧٨، ١٨٣.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٤ ب، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٠٩، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٧، Ahmid Tavhid: Muze- I Humayun. Meskukat Kadimi, s. 474.

(٣) قائد المهمات: كليجرجي باشي. وهو من الذين سافروا مع قلج أرسلان الرابع في سفرته إلى المغول. انظر ماسبق.

(٤) نصرة الدين بن سنان الدين قايماز، من أنصار ركن الدين المخلصين.

(٥) نكيدة: وتكتب أيضاً: نيكدة، مدينة عمرها السلطان علاء الدين كيقباذ الأول على أنقاض مدينة طوانة (تيانه Tyanah) القديمة، مرّ بها ابن بطوطة وذكر أنها تابعة لملك العراق، ويشقها النهر الأسود (قرا صو) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٣٢١، لسترنج، المرجع السابق ص١٨٣.

(٦) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦١٠، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٨.

(٧) الأبلستين: وكانت تسمى "أرابيسوس Arabissus " واسمها اليوم: البستان، مدينة متوسطة الحجم، إلى الشرق من قيصرية، وكانت من الثغور بين المسلمين والروم. ياقوت "معجم البلدان، ج١، ص٧٥، لسترنج: المرجع السابق، ص١٧٨، ١٧٩.

(٨) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦١٣-٦١٤، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٩-٣٤٠. Turan : Salçuklular Zamaninda Türkiy . S . 474.

(٩) أحمد حصار "Ahmed Hisar" أو صحراء حصن أحمد.

وقيرشهر.[١] و رغم الموافقة المبدئية التي أظهرها كيكاوس الثاني وأتباعه، إلا أن شرارة الحرب اندلعت فخاض الطرفان معركة قوية، أسفرت عن انتصار كيكاوس الثاني، وهرب قلج أرسلان الرابع ومن معه، ووقع الأميران صمصام الدين، ونصرة الدين، في الأسر، حيث بادر أخوال كيكاوس الثاني إلى قتلهما[٢].

أما قلج أرسلان فهرب إلى قلعة دولو، تمهيداً للجوء عند الأرمن في مملكة أرمينية الصغرى، فلحقه أمير الاصطبل أرسلان دغمش واستطاع بمساعدة التركمان القبض عليه، وإحضاره إلى قيصرية، حيث التقى بأخيه كيكاوس الثاني الذي عاتبه على فعلته، ثم هدأ من خاطره ومنحه خلعة ثمينة، وبعض الهدايا، وخيّره في الإقامة إما في "برغلو" أو "أماسية"، فاختار الأخيرة منهما، وبقي بها مدة، ثم طلب نقله منها لسوء حالة الجو فيها، ونُقل إلى "برغلو" فأقام بها[٣].

وهناك من ذكر أنه كان معتقلاً فيها، ولم يكن حراً طليقاً[٤] ويبدو أن كيكاوس الثاني، أراد إبعاده عن العاصمة، وأمهات المدن، ومناطق الحدود - خاصة الشرقية - ليأمن جانبه[٥] ويبعده عن المغول، حلفاءه التقليديين[٦].

---

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦١٤، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٠.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦١٥، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٢، ص٣٤٢، أقسرائي: مسامرة الأخبار، ص٣٩. Anonim Selçuk- nâme. S. 53.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦١٥، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٢.
وذكر ابن العبري، في تاريخ الزمان، ص٣٠١، أنه سجن في قلعة (دوالو)، وكرر المعلومة نفسها، في كتابه الآخر: تاريخ مختصر الدول، ص٤٦٢، ورجح أحد الباحثين، عدم صحة تلك المعلومة لأن قلعة "برغلو" تقع على الحدود الغربية لدولة سلاجقة الروم، بعيداً عن أيدي المغول، بينما قلعة (دوالو) في المنطقة الواقعة تحت نفوذهم، وبإمكانهم -لو أرادوا- إطلاق سراح ركن الدين منها. انظر: أحمد توني: المرجع السابق، ص٢٥١. وهو رأي معقول جداً.

(٤) اقسرائي: مسامرة الأخبار، ص٤٠، إلاّ أنه يسمى القلعة (بودور Budur)، وأضاف أن أخوال السلطان كيكاوس الثاني، النصارى، تولوا حراسة قلج أرسلان الرابع، وكانوا مضيقين عليه.

(5) Anonim Selçuk- nâme. S. 53, Turan:Salçuklular Zamaninda Türkiy. S. 475.

(6) Cahen :Pre Of Ottoman Turkey , P. 272.

وبدا ـ لفترة من الوقت ـ أن دولة سلاجقة الروم، تتجه إلى نوع من الاستقرار، في ظل تفرد السلطان كيكاوس الثاني بالحكم، وبمعاونة الوزير عز الدين محمد الرازي، لكن الأخير، لاحظ كثرة تردد أمراء المغول على آسيا الصغرى، وتدخلهم في شئون دولتهم، واستنزافهم المستمر لخزائنها وأموالها، ناهيك عن الغارات التي لا تكاد تنقطع، خاصة على أطراف البلاد، ومصادرة الممتلكات، والثروات المادية والحيوانية، والزراعية العائدة للسكان، وبما أن معظم أولئك الجنود الذين يقومون بتلك الأفعال، يأتمرون بأمر القائد بايجونوين، فقد قرر الوزير -بعد التشاور مع السلطان وبقية الأمراء- إرسال وفد إلى عاصمة المغول، ليتوسل للقاآن، أن يكف بايجونوين أيدي جنوده، عن العبث بمصالح دولة سلاجقة الروم(١).

وتم تشكيل وفد للقيام بتلك المهمة برئاسة فخر الدين علي(٢)، وكان إذ ذاك أميراً للعدل، وأدى الوفد مهمته على أكمل وجه، حيث صدرت الأوامر إلى بايجو نوين وجنوده، بعدم التعرض لسلطنة سلاجقة الروم، كما تم إيقاف مشروع التعداد السكاني الذي كان قد شُرع فيه بالبلاد(٣).وعرّج الوفد أثناء عودته على بايجو نوين، لإبلاغه بأوامر القاآن(٤)، وظهرت علامات عدم الرضا على وجه القائد المغولي، وأيقن أنه قد حيل بينه وبين الإشراف الكامل على بلاد الروم.(٥)

---

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٠٦، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٣. وقد خلطت بعض المصادر بين أهداف هذه البعثة، وأهداف بعثة علاء الدين كيقباذ الثاني – المشار إليها آنفاً– انظر: بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٥٠، ابن دقماق: نزهة الأنام، ص٢٢٨، العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٤٩، تاريخ ابن خلدون، مج٥، ق٢، ص٣٦٣، ١١٨٢.

(٢) الأمير فخر الدين علي بن الحسيني المعروف بصاحب عطا، من كبار الأمراء، وكان مسموع الكلمة، تولى وزارة دولة سلاجقة الروم، وعمر فيها دهراً طويلاً. ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦١٦، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٣، اقسرائي: المصدر السابق، ص٦١، ٦٣، ٨٩.

(٣) وقد أسندت مهمة التعداد لرجل يقال له: شمس الدين القزويني، انظر: ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦١٧، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٣.

(٤) ابن بيبي: المصدرين السابقين، ص٦١٧، وص٣٤٣.

(٥) ابن بيبي: المصدرين نفسيهما، ص٦١٨، وص٣٤٤، اقسرائي: المصدر السابق ص٣٨-٣٩.

وإثر تناقص مبعوثي بايجونوين وطلباتهم، بدأت الدولة، والرعية معاً في تنفس الصعداء، وبدأ رسل الدول الأخرى المجاورة (الخلافة العباسية في بغداد، وحكام: الموصل[١] وماردين، والبيزنطيين) وغيرهم، في التوافد على بلاط السلطان كيكاوس الثاني، يحملون الهدايا والرسائل[٢].

إلاّ أنّ خروج طائفة "الأغاجريين"[٣]، وقطعهم الطرق، وممارستهم للسلب والنهب في نواحي مرعش[٤] وما حولها، أثار حفيظة المسئولين في الدولة، فبادروا بإرسال جيش لقمعهم، وخرجت الحملة من قونية، وبصحبتها الوزير الرازي والبكلربكي يوتاش، فوصلوا إلى قيصرية، فيما تخلف السلطان كيكاوس الثاني في ضواحي قونية، وفي تلك الأثناء، وصلت أنباء زحف بايجو بجيشه إلى بلاد سلاجقة الروم، وأن طلائعه وصلت إلى أرزنجان، فصدرت الأوامر إلى الجيش السلجوقي بالرجوع إلى العاصمة[٥].بيد أن بعض فرقه بقيادة الأمير علي بهادر قد التقت بالأغاجريين، فيما كان البعض الآخر على مشارف الأبلستين في طريقه إلى مرعش لمواجهة المتمردين.[٦] ومهما يكن من أمر فإن

(١) الموصل: بالفتح وكسر الصاد، إحدى قواعد بلاد الإسلام، مدينة قليلة النظير، كبراً وعظماً، باب العراق، ومفتاح خراسان، ومنها يقصد إلى أذربيجان، مدينة قديمة على طرف دجلة، يتبعها أعمال واسعة، وكانت تحت حكم بدر الدين لؤلؤ وأولاده (٦٣١ -٦٦٠هـ/١٢٤١ ١٢٦١م) ياقوت معجم البلدان، ج٥، ص٢٢٤، زامباور: المرجع السابق ص٣٤١.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦١٨، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٤، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٦٦-٤٦٧.

(٣) الأغاجرين: طائفة من التركمان، ويقال أن كلمة آغا جاري تعني ساكن الغابة، وظهرت هذه الطائفة في منطقة مرعش والأحراش القريبة منها. وسببت إزعاجاً للسلطات الحاكمة في بلاد الشام وسلاجقة الروم ومملكة أرمينيا الصغرى. ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦١٨ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٤، الهمذاني: جامع التواريخ، ج١، ق٢، ص٣٥.
CahenPre Of Ottoman Turkey. P. 275,Turan: Salçuklular Zamaninda Türkiy , S. 477.

(٤) مرعش بالفتح ثم السكون، والعين مهملة مفتوحة، مدينة من الثغور، بين الشام وبلاد الروم، لها سوران وخندق، وسطها حصن، ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص١٠٧.

(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦١٨، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٤.

(٦) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦١٨، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٤.

الجيش بكامله قد عاد إلى العاصمة في انتظار ما ستسفر عنه مشاورات السلطان مع قادته[1].

٥ـ توغل بايجونوين بجيشه في آسيا الصغرى من جديد:

سبب حركة بايجونوين المفاجئة، فهي ناجمة عن قرار القاآن منكو إرسال أخيه هولاكو على رأس جيش جرار نحو الغرب، لتحقيق مشروعه، في اجتياح البلاد الواقعة بين نهر جيحون شرقاً، ومصر غرباً، وإسناد حكمها إلى قائد الحملة، هولاكوخان[2].

ولقد أقضت حركة هولاكو وجيشه، مضاجع بايجو وجنوده، والذي ظل ردحاً من الزمن يشرف على الجناح الغربي للدولة المغولية، إشرافاً فعلياً ومباشراً، وأدرك أن هولاكو جاء ليهدد نفوذه في هذه المنطقة.

و جاء هولاكو، ومعه أمر صريح بتبعية كل من سبقه من القادة والجيوش له، وانخراطهم في جيشه[3]ولا يمكن بحال ترجيح رواية النويري، والتي ينقلها عمّن يزعم أنه من ذرية بايجو، والتي يذكر فيها أن القاآن أمر هولاكو بالمسير إلى تلك المنطقة، وزوده بكتاب يأمره فيه بعدم مخالفة القائد بايجو، لكن هولاكو زوّر الكتاب ليبدو وكأن الأمر يقضي بسيادته على كل الزعماء السابقين له في المنطقة، وعلى رأسهم بايجو[4].بل إنه جاء ليحقق ما عجز عنه جرماغون وبايجو[5].

---

(١) ابن بيبي: المصدرين نفسيهما، ص٦٢٠، ص٣٤٥.

(٢) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٥٩، الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٣٤، ٢٣٦، جوزجاني، طبقات ناصري، ص٤١٣-٤١٤، العريني: المغول، ص٢٠٧.

(٣) الهمذاني: تاريخ جنكيز خان، ورقة ٢٦٣ب – ٢٦٤ أ، جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٣٤، مصطفى طه بدر: محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول. الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م، ص١٤٨. Howorth: op. cit. III. P. 193, Brown: op cit. II. P. 452.

(٤) نهاية الأرب، ج٢٧، ص٣٨١.

(٥) الهمذاني: تاريخ جنكيز خان، ورقة ٢٦٣ ب.

كما لا يمكننا أيضاً، الأخذ برأي من جعل سبب توغل بايجو في أراضي سلاجقة الروم –في هذه المرة– تأخر السلطان كيكاوس الثاني عن دفع الضرائب المقررة عليه مسبقاً[1]، إضافة إلى رفضه طلب بايجو منحه بعض المناطق التي استحسنها في منطقة موغان وما جاورها[2] لأن موغان خارج نطاق آسيا الصغرى ولم تتبع أبداً دولة سلاجقة الروم حتى في أيام قوتها زمن كيقباد الأول، فهي تقع جنوب بحر قزوين، في شمال إيران.و موغان اتخذها المغول قاعدة لهم لمراقبة القوى الإسلامية في مناطق فارس والعراق وآسيا الصغرى والشام، منذ غزوة جنكيز خان الأولى على بلاد الدولة الخوارزمية[3].

ومن المستبعد أيضاً أن يكون السبب في ذلك التوغل، غضب الأمير حسام الدين بيجار، من المعاملة التي قوبل بها من حراس السلطان كيكاوس الثاني، مما دفعه للاتصال بالقائد بايجو، وتحريضه على غزو بلاد سلاجقة الروم ثانية[4].

فكل الحوادث التي واكبت عملية التوغل، وتلتها تدل على استبعاد صحة الأسباب المشار إليها.

ومهما يكن من أمر فإن قدوم هولاكو بجيشه فرض على بايجو وجموعه الاندفاع أمامه، والراجح أن توغله في آسيا الصغرى، يندرج ضمن خطة الغزو العامة، لهولاكو على بلاد الخلافة في العراق، فبينما زحف هولاكو من الشرق بجحافله، قدم بايجو بجيشه من الشمال، وذلك لتطويق

---

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٤ ب، بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٥٢، العريني: المغول، ص٢٠٣، زبيدة عطا: الترك في العصور الوسطى، ص١٣٦.

(٢) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٢٥، زبيدة عطا: الترك في العصور الوسطى، ص١٣٦.

(٣) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٢٥، زبيدة عطا: الترك في العصور الوسطى، ص١٣٦.

(٤) النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٣٥٠، العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٥٣.

بغداد تطويقاً كاملاً.وقد توغل بايجو نوين بجيشه في آسيا الصغرى للمرة الثانية[1].

ولم ينسْ بايجو - أثناء تحركه داخل مملكة سلاجقة الروم - أن يبعث رسالةً إلى السلطان كيكاوس الثاني، يشرح فيها سبب حركته، والمنحصر في البحث عن مشتى ومصيف لجنوده[2]، بعد تقدم هولاكو بجيشه إلى معسكره القديم بموغان، ورغبته في النزول به.[3] وهذا يؤكد ما رجحته في الصفحات السابقة لأن بايجو لا يمكن أن يفصح عن خطة الغزو العامة، حتى لا تصل أخبارها إلى بغداد.

لكن المسئولين بدولة سلاجقة الروم، ساورتهم شكوك عظيمة، في نية بايجو، إذ لم يسبق أن طُلب منهم استضافة مثل هذا العدد الكثير من الجنود، داخل بلادهم[4].كما أن تحرك هؤلاء الجنود جاء مفاجئاً.وللوقوف على جلية الأمر بعثوا الأمير نظام الدين خورشيد "بروانه" إلى بايجو، فعاد رسولهم، ليؤكد لهم أن القائد المغولي لا يضمر شراً لسلاجقة الروم وبلادهم، وليست لديه أي نوايا حربية ضدهم[5].

لكن السلطان كيكاوس الثاني، كان قد أعد العدة للمواجهة، بتحريض من ندمائه، وجلهم من الشباب، المتحمسين، قليلي الدراية والمعرفة،

---

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦١٦، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٣. وقد عدها البعض المرة الثالثة، انظر: العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٥٣، تاريخ ابن خلدون، مج٥، ق٢، ص٣٦٤، وعدها آخر توغلاً للمرة الرابعة !!، النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٣٥٠.
وما ذلك إلا مثال للخلط في المصادر والذي يزيد مهمة الباحث تعقيداً.

(٢)وهي أماكن نزول الجيوش في فصلي الشتاء، والصيف، وكان المغول يهتمون بها كثيراً، وقد يُبنى بها قصورٌ للأمراء منهم، بينما ينزل بقية الجنود في زروب من القصب كالحظائر، وينصبون أمامها الخيام، فتصبح مدينة متسعة الجوانب، وإذا خرجوا منها لمصيفهم أحرقوا تلك الحظائر.
انظر: العمري، مسالك الأبصار، السفر٣، ص٩٩، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤٢٥.

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٠٢، تاريخ مختصر الدول، ص٤٦٢. Cahen: Pre Of Ottoman Turkey P. 272.

(4) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. P. 275.

(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢٠، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٦. Abid. P. 275

ويبدو أنه اغتر بما تجمع عنده من قوات, فبالإضافة إلى جيشه المرابط في العاصمة - كما أشرنا - جاءته نجدات مختلفة المشارب، منها فرقة من البيزنطيين بقيادة ميخائيل "باليولوجس P alioluges"[(١)]، وجموع من التركمان المرتزقة، وبعض المجاهدين المسلمين الباحثين عن إحدى الحسنيين.[(٢)]

وهو كما قال أحد الباحثين "جيشاً مركباً" يحمل عوامل ضعفه في تعدد أجناسه وكل طرف فيه جاء ليحقق أغراضه وأهدافه، دون الاكتراث بتحقيق طموحات حليفه الذي يقاتل إلى جانبه[(٣)].

ومما شجع كيكاوس الثاني وحلفائه على انتهاج خط المقاومة، اعتقادهم بأن هولاكو هو القائد الجديد المسئول عن بلاد سلاجقة الروم، وأن بايجو قد صُرف عن عمله، ولم تعد له صفة رسمية[(٤)].فمواجهتهم له لا تعد خروجاً على الدولة المغولية، بل ربما تصب في مصلحتها.

أما بايجونوين فقد طلب انضمام معين الدين سليمان بن الوزير مهذب الدين إليه، ونُفذ طلبه، كما أن بروانه نظام الدين خورشيد، عاد إليه ثانية يحمل الهدايا، ويخبره بموافقة السلطان على طلبه في اختيار مشتى ومصيف

---

(١) ميخائيل باليولوجس، أمير طموح، من أسرة استقراطية، لعبت دوراً هاماً في تاريخ الدولة البيزنطية، بضعة قرون، وقد أتهم ميخائيل بالتخطيط لعمل ضد الإمبراطور فاتاتزيس 'Vatatzes' (٦٢٠ـ ٦٥٢هـ/ ١٢٢٢-١٢٥٤م) فاضطر إلى الهرب من نيقيه واختار اللجوء إلى سلاجقة الروم في قونية، وعندما آل عرش نيقيه إلى الطفل القاصر حنا الرابع " John V ابن تيودور لاسكاريس الثاني، سنة ١٢٥٨م/ ٦٥٧هـ، أستدعي ميخائيل من منفاة بقونية، وتوج امبراطوراً سنة ١٢٥٩م/٦٨٠هـ، تحت اسم ميخائيل الثامن ومن أشهر إنجازاته استعادة القسطنطينية من الصليبيين، واتخاذها عاصمة للامبراطورة البيزنطية مرة أخرى، سنة ١٢٦١م/ ٦٦٠هـ. حسنين ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٨٥-٢٩٦.
Vasilie (A. A): History of the Byzantin Empire (3241254)Madison,1961 , Vol. III. P. 536-581.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٤ ب، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢١، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٥-٣٤٦، العريني: المغول، ص٣٣٧.

(3) Cahen: The Mongols and Near East, "Setton" P. 726, Pre Of Ottoman Turkey. P. 276.
وانظر أيضا : العريني: المغول، ص٣٣٧.

(٤) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٦٢.

لقواته[1].لكن القائد المغولي أيقن أن السلطان كيكاوس الثاني اختار القتال، فبدأ جنود المغول في مهاجمة المدن خاصة، أرزن الروم، وأقسراي(٢).

أما في قونية، فقد خرج الجيش بقيادة الوزير عز الدين محمد الرازي، وأمير الاصطبل أرسلان دغمش، والبكلريكي ياوتاش، وتوجه إلى أقسراي لمواجهة المغول، فيما تخلف السلطان في قلة من حاشيته، بالعاصمة قونية(٣).

وفي مكان بين خان السلطان علاء الدين وأقسراي(٤) استطاعت مقدمة الجيش المغولي بقيادة خواجه(٥) نوين سحق طلائع جيش كيكاوس الثاني وحلفائه والتي تولى قيادتها رجل مجهول الحال، ويدعى "تركمان الشحنة" ؟![6] فلم ينج منها أحد، وفي اليوم التالي، وهو الثالث والعشرين من رمضان سنة ٦٥٤هـ/ الخامس عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٢٥٦م.اصطدم الجيشان الرئيسيان، فكانت الدائرة على جيش كيكاوس الثاني وحلفائه، فاستشهد

---

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦١٩، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٥-٣٤٦. فيما ذكر ابن العبري أن كيكاوس الثاني رفض طلب بايجو في توفير مشتى له ولجنوده. تاريخ الزمان، ص٣٠٢. ويبدو أن العقلاء من أعوان السلطان يؤيدون منح بايجو ما يطلب، بينما صغار السن منهم يرون رفض الطلب، ولو أدى ذلك إلى وقوع الحرب.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦١٩-٦٢٠، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٦، أقسرائي: مسامرة الأخبار، ص٤١، وأقسراي، أو أقسرا، وتعني: القصر الأبيض. مدينة بناها السلطان قلج أرسلان الثاني سنة ٥٦٦هـ/١١٧١م، بينها وبين قونية ٤٨ فرسخاً، (أو ثلاث مراحل) ونفس المسافة تقريباً بينها وبين قيصرية ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص١٧١، أبو الفدا: تقويم البلدان ص٣٨٢.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢١-٦٢٢، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٦.

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢٢، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٦-٣٥٥، وذكرأنها بالقرب من "رباط علائي ". Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. P. 276.
وعند ابن العبري: بجوار فندق السلطان بين قونية وأقسراي. تاريخ الزمان، ص٣٠٣ تاريخ مختصر الدول، ص٤٦٢، وهناك من ذكر أنها في صحراء قونية. النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٣٥٠.
وقيل: "صحراء رباط علاء الدين". انظر: المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٥ب
وقيل: بالقرب من أقسراي. الصياد: المغول، ص٢٧٩، العريني: المغول، ص٢٢٤.

(٥) وورد الاسم أيضاً (خُجا). انظر: بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٥٢، العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٥٤.

(٦) ويصفه ابن بيبي أنه "من جملة اللئام والعوام". أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٦.

الوزير عز الدين الرازي، فيما فرّ كل من: ياوتاش، وأرسلان دغمش[١]، وحليفهم البيزنطي باليولوجس والذي التجأ إلى التركمان في قصطمونية[٢].

ويُرجع بيبرس المنصوري سبب الهزيمة إلى محاولة السلطان كيكاوس الثاني الاعتداء على محارم قائدة أرسلان دغمش في قونية، حيث اقتحم عليهن دارهن وهو ثمل، فسمع بذلك أرسلان دغمش فاستشاط غضباً، وأرسل سراً إلى بايجو - قبيل المواجهة - ووعده بالإنهزام أمامه، حال اندلاع القتال، فنفذ وعده وتسبب في سرعة هزيمة جيش السلطان وحلفائه.[٣]

ومن الملاحظ أن ابن بيبي لم يشر إلى هذا السبب، وإنما عزا سبب الهزيمة إلى تكدر خواطر الأمراء الكبار، من السلطان كيكاوس الثاني، لسماعهم بعزمه على معاقبتهم بعد فراغهم من الحرب مع المغول، وذلك نزولاً عند مشورة حاشيته من الشباب وصغار السن، مما دفع كبار الأمراء إلى التراخي وعدم الإخلاص في القتال مما كان سبباً في الهزيمة.[٤]

وقد أخذ أحد الباحثين على المؤرخ ابن بيبي تجنبه ذكر مساويء حكام سلاجقة الروم، خاصة كيكاوس الثاني، والذي تصفه مصادر أخرى معاصرة، بأقذع الأوصاف، منها: كتب ابن العبري وأقسرائي وغيرها.[٥]

---

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٤ ب، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢٣، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٧، تاريخ ابن خلدون، مج ٥، ق٢، ص٣٦٤، وذكر ابن العبري مقتل يوتاش في هذه المعركة، لكنه وهم. إذ عاش بعدها واشترك في حوادث أخرى. تاريخ الزمان، ص٣٠٣.

(2) Cahen :Pre Of Ottoman Turkey. P. ٢٧٦ قصطمونة:من أعظم مدن أسيا الصغري، وهي كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار ، ويوجد في شمال شرقها ميناء صنوب الكبير ، كما أنها مدينة حصينة. كي لسترنج: مرجع سابق, ص ١٩١.

(٣) زبدة الفكرة، ج٩، ص٥٢-٥٣ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٣٥٠-٣٥١، Turan, Osman: Turkiye Selcuklularinda topark hukuki. "Belleten. XLV II" (1948). S. 65-67.

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢٣-٦٢٤، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٧.

(5) Turan:Salçuklular Zamaninda Türkiy. S. 480.

ويؤيد صحة السبب الأول انفصال أرسلان دغمش عن كيكاوس الثاني وانضمامه إلى أخيه قلج أرسلان الرابع، نتيجة لهذا العمل، وقد أورد ابن بيبي حادثة انضمام أرسلان دغمش إلى قلج أرسلان دون ذكر السبب.

ولما علم كيكاوس الثاني بهزيمة جيشه، حمل أمواله وأهله وحاشيته - ومنهم أخواله - وخرج من قونية إلى أنطالية ومنها إلى العلائية ليتحصن بقلعتها[١].

وتقدم بايجونوين بجموعه إلى قونية وحاصرها، وكان "استاد الدار"، نظام الدين علي بن أيلتمس، قد نجا من المعركة ودخل العاصمة، وتولى قيادة الدفاع عنها، فضرب المغول عليها الحصار، وعندما رأى إمام الجمعة[٢] استحالة الصمود، خطب في المصلين، وأشار عليهم بالتبرع بالأموال والهدايا الثمينة، فجمع منها شيئاً كثيراً، وخرج بها للقاء بايجونوين، لكنه لم يجده، ووجد زوجته التي أحسنت استقباله وبعد نقاش معه هداها الله للإسلام، على يديه وعندما جاء زوجها بايجو شفعت عنده لأهل قونية فقبل شفاعتها وأخذ الأموال والهدايا، وفك الحصار عن العاصمة، ومنع جنوده من دخولها أو إيذاء أهلها[٣]. لكن بعض أسوارها لم تسلم من الهدم[٤].

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢٤، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٨-٣٤٩.

(٢) وعند ابن بيبي أن أستاذ دار المذكور آنفاً هو الذي تصدى لهذا العمل. الأوامر العلائية، ص٦٢٣، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٨.

(٣) المولوي صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٤ ب، بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٥٣، النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٣٥١. وهذه الرواية تتفق مع مكانة المرأة عند المغول. وعن هذه المكانة انظر: ريخا ميسرا: المرأة في عصر المغول، نقله إلى العربية: د. أحمد الجوارنة، دار الكندري للنشر والتوزيع، إربد، ١٩٩٨م.
وهناك من ينسب فضل نجاة قونية من المغول إلى الصوفي جلال الدين الرومي، ويعدها من كراماته، وهو أمر أبعد ما يكون عن الحقيقة. انظر:
Eflaki. Ahmed: Ariflerin Menakibeleri (1,2) Ceviren: TAHSIN YAZICI, RE MZIKITABEVI, ISTANBUL, 1987. I, S. 258, 261, 722.

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢٧، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥١.

ويذكر ابن بيبي أن الناس، كانوا قد ضجروا من تصرفات كيكاوس الثاني وكانوا يميلون إلى أخيه قلج أرسلان، لذلك عندما انهزم الأول إلى العلائية، سارع الأهالي إلى إخراج الأخير من معتقله في "برغلو" وإحضاره إلى قونية ومبايعته سلطاناً[1].

لكن هناك روايات - تبدو هي الأقوى - تشير إلى أن بايجونوين هو الذي أمر بإحضار قلج أرسلان الرابع من معتقله ومبايعته سلطاناً[2].خاصة بعد أن يئس من القبض على كيكاوس الثاني، إذ أنه بعد وصوله إلى قونية، بعث حفيده بيسوتاي[3] على رأس كتيبة من الجيش إلى العلائية لإحضار كيكاوس الثاني، وإبلاغه برغبة بايجو في إبقائه على ملكه، والرفق به، والشفقة عليه، لكن هذا الأخير نجح في خداع القائد المغولي الصغير، والخروج من حدود دولة سلاجقة الروم، واللجوء إلى القسطنطينية[4].ثم جيء بقلج أرسلان الرابع إلى قونية، حيث نصب سلطاناً منفرداً على عرش سلاجقة الروم، بمباركة من بايجو نوين، وذلك في السادس عشر من صفر، سنة ٦٥٥هـ/ الرابع من مارس (آذار) سنة ١٢٥٧م[5].

---

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢٣، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٨. وذكر المولوي أن الأمراء المنهزمين من المعركة قصدوا برغلو للتحصن بها، وعندما علموا بفرار كيكاوس الثاني أخرجوا قلج أرسلان من معتقله وساروا به إلى قونيه وبايعوه سلطاناً. صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٤ب.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٢٢، والذي أحضره القائد اليجاق، تاريخ مختصر الدول، ص٤٦٢، طه بدر: محنة الإسلام، ص١٤١.

(٣) بيسوتاي " Biysutay "، وورد أيضاً: 'يسوتاي Yisutay وعند المولوي بيشوباي Bishubay وقيل حفيده، وقيل ابنه. صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٥ أ.

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٤ب -٥٨٥أ، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢٥-٦٢٦، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٠. وذكر أن بايجو عاتب حفيده عتاباً شديداً لتمكن كيكاوس الثاني من الإفلات منه.

(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٤ ب، وأشار إلى أنّ إطلاق سراح قلج أرسلان كان في شوال سنة ٦٥٤هـ، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢٦. Anonim Selçuk- nâme. S. 54. وهي في هذا المصدر من حوادث سنة ٦٥٤هـ. Turan: Salçuklular Zamaninda Türkiy, S. 483.

وكان قلج أرسلان الرابع قد بعث رسالة إلى أخيه كيكاوس الثاني، قبل أخذه البيعة سلطاناً في قونية، نصحه فيها بعدم التعرض للقوات المغولية مرة ثانية، وأن الحكمة تقتضي مداراتهم لأنهم - وحتى الآن - لم يستطع أحد الوقوف في وجههم، وذكره بالمصير الذي آلت إليه الدولة الخوارزمية، وبالهزائم التي حلت بسلاجقة الروم منذ هزيمة كوسة داغ حتى الآن، كما أشار عليه بالعودة من المنفى والذهاب سوية إلى بايجونوين لتقديم فروض الطاعة والولاء له، والحفاظ على ما تبقى من المدن والقرى العامرة في البلاد، والتي لم تطلها يد التخريب المغولية[1].

وكان حتماً أن يعاد توزيع المناصب، على حاشية السلطان الجديد وعُين شمس الدين (قاضي جق) وزيراً لكنه لم يلبث أن توفي بعد شهر، فعُرض المنصب على نظام الدين خورشيد، لكنه رفض قبوله، واكتفى بالنيابة، فيما تولى معين الدين سليمان بن الوزير السابق مهذب الدين - البروانكيه.[2]

واختار بايجو نوين مكاناً بين قونية وأقسراي ليكون مشتى لجنوده، وكان بمعيته السلطان قلج أرسلان الرابع، وصادف أن كان شتاء ذلك العام دافئاً، على غير المعتاد، إلا أن توفير متطلبات الجيش المغولي ومؤنته، كلّفت خزينة الدولة، والأهالي مبالغ طائلة، ولم يكن الجنود المغول يترددون في المطالبة بالمزيد من المؤن والأموال – وكانت هذه عادتهم، فكان وجودهم مكلفاً جداً ومدمراً للحالة الاقتصادية، ومضايقاً للناس أشّد المضايقة لكن لم يكن هناك حلّ إلاّ الصبر والتحمل وانتظار الفرج.وإمعاناً في السيطرة والتحكم قام بايجونوين بتعيين مشرفين من قبله على بعض المدن، خاصة أقسراي لنشاط الحركة التجارية فيها، ورغم أن هذه السياسة ضمنت

(1) Turan: Op. Cit. S. 484.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٤ ب، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢٤، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٤٩. Turan :Salçuklular Zamaninda Türkiy. S. 485.

استمرار الناس في ممارسة أعمالهم اليومية كالتجارة والزراعة إلاّ أنها ساهمت في ابتزاز أموال الناس وتوفير مستلزمات الجيش[١].

وأثناء إقامة بايجو في هذه المنطقة هلك القائد خواجه نوين، وكان من أبرز قواده، ولعب دوراً مهماً في الموقعة الأخيرة مع جيش كيكاوس الثاني، واتهم النائب نظام الدين خورشيد بتسميمه، فحوكم وأُدين، ثم أُعدم.[٢] وأصبح بعدها معين الدين سليمان "پروانه" مدبراً لمملكة السلطان قلج أرسلان الرابع، وتزايدت مكانته حتى أمسى فيما بعد الحاكم الفعلي للبلاد[٣].

بعد انقضاء فصل الشتاء رحل بايجو بجموعه نحو الشرق وسمح للسلطان قلج أرسلان بالعودة إلى قونية، فلم يلبث بها إلا قليلاً، فخرج منها قاصداً قراقورم للمثول بين يدي الخان الكبير، ويبدو أنه رغب في الحصول منه على يرليغ رسمي بصفته أصبح سلطاناً منفرداً لدولة سلاجقة الروم، ولما بلغ قيصرية وافته رسل أخيه كيكاوس الثاني تطلب منه البقاء في البلاد والمشاركة مع أخيه في الحكم، لكنه رفض وعزم على مواصلة رحلته[٤].

أما كيكاوس الثاني الذي كان يرقب الأمور عن كثب فإنه عاد مسرعاً إلى وطنه إثر انسحاب بايجو وجنوده، واستطاع دخول العاصمة قونية، وإعلان سلطنته من جديد[٥].وتذكر بعض الروايات أنه تلقى نجدة من الامبراطور البيزنطي في نيقية "يتودورالثاني لاسكاريس Theodor II"

(١) المولوي صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٥ب، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢٦، أقسرائي: مسامرة الأخبار، ص٤٥-٤٦، وانظر أيضاً : Cahen :Pre Of Ottoman Turkey. P. 274.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٥ أ، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢٦، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٠، أقسرائي: مسامرة الأخبار، ص٤٥-٤٦.

(3) Turan: Op. Cit. S. 485.

(٤) المولولوي: صائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٥أ، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢٧، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥١. ويرى "شرزداً" أن قلج أرسلان الرابع، لم يشعر بالأمان في قونية، فغادرها إلى المدن الشرقية الأكثر ولاءً له مثل: قيصرية وتوقات. Pre Of Ottoman Turkey. P. 289.

(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢٨، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٢.

Laskaris[1]، قوامها ثلاثة آلاف مقاتل، في مقابل تخلي السلطة السلجوقية عن مناطق "لاديق"[2]Ladikوخوناس "Honas"[3]، للدولة البيزنطية.[4]

ورغم استعادة التركمان منطقة لاديق، إلا أنه يبدو أنّ هذا الاتفاق في مصلحة الدولة البيزنطية أكثر منه في مصلحة سلاجقة الروم، إذ كسبت الإمبراطورية البيزنطية مناطق جديدة في الأناضول، كما أنها تخلصت من كيكاوس الثاني الذي كان وجوده مثيراً لقلق المغول وربما اتخذوا موقفاً عدائياً من البيزنطيين لاستضافتهم أحد الخارجين على السلطة المغولية.

ومهما يكن من أمر فإن كيكاوس الثاني دخل قونية، ونصب نفسه سلطاناً في ١٤ ربيع الآخر ٦٥٥هـ/ ٣ مايو ١٢٥٧م[5].

(١) تيودور الثاني لاسكاريس "Theordor II Lascaris"، خلف والده حنا فاتاتزيس في حكم نيقية سنة ١٢٥٤م/٦٥٢هـ، ولم يلبث أن توفي بعد أربع سنوات وخلفه ابنه يوحنا الرابع لاسكاريس John IV Lascaeis. انظر: ، Vasiliev: History Of The Byzantin Empir , II , P. 533-536
Papadopulos: Theodore Laskaris, Empereur De Nicee. Paris ,1908,p. 125-128.
حسنين ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٨٤-٢٨٩.

(٢) لاديق، أو " لاديق سوخته "Laodicea Combusta" أي لاديق المحروقة، وأسمها اليوناني " Katake Kaumena، وتسمى أيضاً " لاذقية قرمان "، وهي مدينة إلى الشمال من قونية رحلة ابن بطوطة، ج١، ص ٣٢١؛ لسترينج: المرجع السابق، ص ١٨٢.

(٣) خوناس: وتكتب خنوس، وحالياً اسمها "خنس" بلدة إلى الجنوب من أرزن الروم. لسترنج، المرجع السابق، ص١٨٠، وترى أنها تقع إلى الشرق من دولة سلاجقة الروم، بينما أطماع البيزنطيين في الغرب. فلعله مكان آخر مشترك معه في الاسم.

(٤) أقسرائي: مسامرة الأخبار، ص٤٩. Pahymeres :Op. Cit. S. 965, Akropolites: Op. Cit. P. 69, Papadopulos: Op. Cit. P. 126-127.
ويرى "Cahen" أن الصداقة بين الرجلين قديمة، والمعاهدة متفق عليها منذ سنة ٦٥٢ـ ٦٥٣هـ/ ١٢٥٤م. Pre Of Ottoman Turkey. P. 274.
وأشارت زبيدة عطا إلى أن الامبراطور نصح السلطان بالعودة إلى وطنه. الترك في العصور الوسطى، ص١٣٦.

(5) Anonim Selçuk- nâme. S. 54, TuranOp. Cit. S. 485.
وانظر أيضاً ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٦٦.

ولم يغفر كيكاوس الثاني لأنصار أخيه قلج أرسلان الرابع تخليهم عنه، ومناصرتهم لأخيه والوقوف إلى جانبه، فنكّل ببعضهم، وقتل البعض الآخر وكان لأعيان نكيدة الحظ الأوفر من هذا الانتقام.(١)

وأراد كيكاوس الثاني أن يقطع الخط على أخيه فبعث رسالة إلى هولاكو، يلوذ به، ويتعهد بالطاعة، ويشتكي من بايجونوين وجنوده(٢)، لكن أخاه قلج أرسلان وصل إلى هولاكو بنفسه، واجتمع به في همذان(٣) وعلى إثر ذلك حصل منه على "برليغ" يخوله حكم دولة سلاجقة الروم كلها، وبلا مشارك.وكان مع قلج أرسلان، مساعده معين الدين "بروانه" الذي حصل على توقات اقطاعاً له(٤).

وجاء قلج أرسلان وأعوانه إلى أرزنجان وقضوا بها فصل الشتاء وكان شتاء قاسياً منعهم من الحركة إضافة إلى أنهم أدركوا أن كيكاوس الثاني وأنصاره لن يسمحوا لهم بالدخول إلى البلاد، ومنازعتهم الملك والسلطة(٥).

في تلك الأثناء، وصل هولاكو بجيشه إلى أطراف العراق، ثم عاد أدراجه إلى همذان، حيث عسكر بها مدة عشرة أشهر، وفي مستهلها استدعى بايجونوين من بلاد سلاجقة الروم، وعندما وقع نظره عليه، انتهره، وسأله عن منجزاته التي حققها منذ توليه قيادة الجيش المغولي الزاحف نحو الغرب، خلفاً

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٥ أ، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢٧، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٢ . S. 54. Anonim Selçuk- nâme

(٢) ابن حبيب(الحسن بن عمر بن حبيب الحنبلي، ت ٧٩٩هـ/ ١٣٧٧م) درة الأسلاك في دولة الأتراك، مخطوط، دار الكتب المصرية، رقم ٦٧٥٣ ح، ثلاثة أجزاء، الجزء الأول، حوادث سنة ٦٤٨-٧١٤ هـ. ج١، ورقة ١٥ أ-ب، المولوي: صحائف الأخبار، ج١ ورقة ٥٨٥ أ، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٠٣، تاريخ مختصر الدول، ص٤٦٦.

(٣) همذان: بالتحريك والذال معجمة، في الإقليم الرابع، حصينة، محاطة بالجبال، وهي من أحسن البلاد، ومحل "للملوك" إلاّ أن شتاءها قاسٍ يُضرب به المثل. ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٤١٠-٤١٧.

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢٩، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٢-٣٥٣.

(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٥ أ، بيرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٩٠، العيني: عقد الجمان، ج١، ص٣٢٠. Howorth: op. cit. III , P. 138.

لسلفه جرماغون ؟ فأجاب بأنه لم يقصر في عمله، واجتهد ما وسعه الاجتهاد، وأخضع أقاليم واسعة من الري[1] إلى حدود الشام، ومن ضمنها بلاد سلاجقة الروم.فأمره هولاكو بالعودة ثانية إلى المناطق التي استولى عليها، واستئناف عملياته العسكرية، واحتلال ما تبقى من مناطق بأيدي المسلمين والصليبيين على حد سواء، حتى ساحل البحر المتوسط[2].

ولما حلّ الربيع، دخل بايجونوين بلاد سلاجقة الروم للمرة الثالثة، وتوقف في أرزنجان، وكانت تحت سيطرة قلج أرسلان الرابع، مما شجع بروانه، على أخذ طائفة من جيش المغول، ومهاجمة توقات، لاستعادتها من أنصار كيكاوس الثاني، وبينما كانوا في طريقهم إليها، وبالقرب من "يلدوز داغ"[3] "Yulduz Dag" اصطدموا بجيش من أتباع كيكاوس الثاني، يقوده البكلربكي يوتاش، والذي يتولى شئون توقات، منذ انتزاعها من قلج أرسلان الرابع، وحليفه معين الدين سليمان بروانه، وحقق يوتاش النصر، فيما تقهقر بروانه وفلوله إلى أرزنجان، وطلب مدداً جديداً من بايجو، والذي بعث له "توماناً"[4] من عساكر المغول بقيادة كل من "اليناق"[5] و "قدغان" وتحركوا

---

(١) الريّ: بفتح أوله وتشديد الثاني، مدينة مشهورة، من أمهات البلاد، قصبة بلاد الجبل، بينها وبين نيسابور مئة وستون فرسخاً، وبينها وبين قزوين، سبعة وعشرين فرسخاً، وهي الآن إحدى ضواحي طهران، رآها ياقوت، وأطنب في وصفها، معجم البلدان، ج٣، ص١١٦-١٢٢.

(٢) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص١٩٨-١٩٩، طه بدر: محنة الإسلام، ص١٥٦-١٥٧، حسن الأمين: المرجع السابق، ص١٣٤.
Quatremere: Histoir des Mongols , P. 223, 225, Dohsson, op. cit. III ,P. 206-207, . Supler (Berotold): "Die Mongolenzeit" in: Hand Bucheder Orinta Listiksechs ter Band. E. J. Br "Leiden-Kolon, 1953" P. 31.

(٣) وهو جبل بين سيواس وتوقات، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢٨، ومعناه بالعربية: جبل النجم. وقال القلقشندي: أنها قلع قرب الفرات. صبح الأعشى، ج٤، ص١٣٧.

(٤) تومان: كلمة مغولية، يقصد بها الفرقة من الجيش يبلغ عدد أفرادها عشرة آلاف مقاتل.
Quatermere: Histoire des Sultans Memlouk d, Egypt . Paris, 1837-1845. vol: II. P. 152.

(٥) أليجاق، هكذا ورد الاسم عند ابن بيبي، إلا أن بعض المصادر تورد اسم قائد في هذه الفترة اسمه الينا‌ق، ويكتب أحياناً: علي إيناق، وعلي شاق، انظر: الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٢٤-٤٥، ٨٣، ٨٩. . إلخ، العيني: عقد الجمان، ج١، ص٣٢١.
والجد بالذكر أنّ الينا‌ق المذكور أمير كرجي الأصل، لعب دوراً مهماً في الحوادث في عهد أبناء هولاكو، وقتل في خضم الصراع بين أبناء هولاكو، سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م. الهمذاني: جامع

من أرزنجان إلى "نكيسار" فاستولوا عليها بلا عناء وبايع أهلها للسلطان قلج أرسلان الرابع، الذي منحها أقطعاً للبروانه مع اقطاعه الأول توقات[1].

ثم سار بروانه وقادة المغول بالجيش إلى توقات لكنهم عجزوا عن الاستيلاء عليها لحصانتها، ولشدة المقاومة التي أظهرها يوتاش ومن معه، لكن الخطر لم يبتعد إلا بعد أن عزم بايجو على الخروج بجيشه من آسيا الصغرى[2].

إذ وصلت الأوامر من هولاكو إلى بايجونوين بالقدوم عليه في العراق لحرب الخلافة العباسية، والاستيلاء على بغداد وسبقت الإشارة إلى أن منكوخان جرد جيشاً جراراً، ووجه لحرب الإسماعيلية، وإخضاع مناطق غرب إيران والعراق وبلاد الشام حتى البحر المتوسط[3].

٦- موقف الأخوين ابني كيخسرو الثاني من حملة هولاكو، ونهاية بايجو نوين:

أما هولاكو، فجاء بجيشه حتى عسكر على الضفة الشرقية لنهر جيحون، وبعث إلى أتباعه في كافة المناطق رسالة تفيض بالوعد والوعيد، وبين فيها أنّ هدفه تحطيم قلاع الإسماعيلية، وأنه ينتظر مساهمتهم في هذه الحملة، فهرعوا إليه عند تلقيهم رسالته، فجأة من بلاد الروم السلطانان: عز الدين، وركن الدين، محملان بالهدايا – كغيرهما من بقية الأتباع-

التواريخ، ج٢، ق٢، ص١١٦، ميرخواند (محمد بن سيد برهان الدين خواند شاه) روضة الصفا، تهران ١٣٣٩هـ. ش. جلد بنجم، ص٣٣٢، الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانين، ص١٣٩ -١٤٧.

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٥ ب، وعنده ابن البروانه طلب المدد من هولاكو، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢٩، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٥، بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٩٠-٩١، واسم القائد المغولي عنده (بيان نوين)، العيني: عقد الجمان، ج١، ص٣٢١، واسم القائد عنده: (علي شاق).

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٥ ب، العيني: عقد الجمان، ج١، ص٣٢٠.

(٣) البحر المتوسط كان يعرف ببحر الروم، انظر: لسترنج: المرجع السابق، ص١٥٩.

فاستقبل الجميع بحفاوة، وعبروا معه النهر متجهين إلى الغرب في أواخر سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م[١].

وجاء لمقابلة هولاكو - أيضاً - الأمير "أرغون آقا" المشرف الإداري على الأقاليم الغربية، من الدولة المغولية، ومنها آسيا الصغرى فتسلم منه هولاكو إدارتها بعد أن ظل مشرفاً عليها مدة تقارب الخمس عشرة سنة[٢].

وبعد أن قضى هولاكو على قلاع الإسماعيلية في غرب إيران.تقدم بجموعه نحو العراق، حيث كان هدفه التالي الخلافة العباسية في بغداد.ولما وصل إلى مشارف العراق، بعث إلى بايجونوين يطلب حضوره بعساكره، لينضم إليه في الهجوم على بغداد[٣].

ولخشية بايجو من لقاء هولاكو، وليقينه أنه ما جاء إلا للسيطرة على المنطقة كلها، وإبعاده عنها، تلكأ في إجابة طلبه، وساق الأعذار تلو الأعذار، ومنها: أن التركمان - وغيرهم من الأعداء - يمنعون جيشه من الخروج من آسيا الصغرى، ويقطعون عليه الطرق، ويسدون عليه المعابر، لكن هولاكو لم يترك له سبيلاً للاعتذار، وأرسل "تومانين" من جنوده، ليؤمنوا له ولجيشه طرق الانسحاب والمسير إلى بغداد[٤].

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٤٠.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٣٩، عباس إقبال: تاريخ المغول، ص١٨٩.
وقد امتد العمر بالأمير آرغون آقا حتى توفي سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٥م. وكان يحظى باحترام أرغون آقا كما كان مع والده هولاكو، ودفن بمرج "رادكان طوس". الهمذاني، جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٦١.

(٣) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٨١، بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٥٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٣٨٠.

(٤) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص٤٣، بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٥٧-٥٨، النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٣٨٠-٣٨١.

وجاءت نجدة هولاكو إلى أرزنجان، واستعادت السيطرة عليها، وحاصروا كماخ[١]، وهاجموا الأكراد[٢]، وقتلوا منهم وسبوا، وسيطروا على الطرق والممرات، ولم يتركوا لبايجو حجة، فقدم بجيشه وتحركوا جميعاً باتجاه بغداد[٣].

ومهما تكن نوايا بايجونوين والتي لم تخف على هولاكو[٤] فإنه بالفعل تعرض لمضايقة من التركمان وغيرهم من أنصار كيكاوس الثاني، الذي راهن على الاستفادة من انسحاب بايجو، وعلى انشغال كل جيوش المغول في المنطقة بمهاجمة بغداد والاستيلاء عليها.

وفي هذا الإطار كانت قوات كيكاوس الثاني وحلفائه[٥] تتعقب المغول تهاجم مؤخرتهم، وحاولت إخضاع المناطق التي سبق للمغول أن انتزعوها من كيكاوس وسلموها لأخيه قلج أرسلان الرابع، فدارت معارك كرّ وَفَرّ شملت: ملطية، وكماخ، والابلستين، ودفع ثمنها الأهالي الذين جنوا الخراب، والدمار والموت من ذلك الصراع، وكانت فرق من عساكر المغول، تهاجم البلدان المذكورة، وترتكب المذابح -كعادتها- حتى أن كماخ، لم يبق فيها أحد من المقاتلة التركمان، وبلغ عدد الضحايا في الابلستين قرابة سبعة آلاف نسمة ومن كتبت له النجاة، وقع أسيراً[٦].أما ملطية فعلى أثر انسحاب

---

(١) كماخ: قلعة تقع علي الجهة الغربية لنهر الفرات علي مسيرة يوم من مدينة أرزنجان ، وهي ذات قري كثيرة وأرضها خصبة. ياقوت الحموي: مصدر سابق ، ج ٤ ص ٤٨٩؛ لسترنج: المرجع السابق، ص١٥٠-١٥٠.

(٢) الأكراد: شعب من الشعوب، قيل إنهم من نسل إيران بن أشور، وقيل: غير ذلك، وهم قبائل وبطون، وأكثر قبائلهم الشوهجان والهاجردان. المسعودي (أبو الحسن علي المسعودي، ت٣٥٠هـ/٩٦١م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، مطبعة الشرق الإسلامي، القاهرة، ب. ت، ج٢، ص١٢٣-١٢٤، العيني: السيف المهند، ص١٦-١٧.

(٣) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٥٧-٥٨، النويري: نهاية الأرب، ج٢٨٠ ٣٨٠ - ٣٨١، العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٦٨.

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢٧، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥١.

(5) Cahen :Pre Of Ottoman Turkey, P. 270, Turan :SalçuklulaZamaninda Türkiy. S. 481.

(٦) ابن حبيب: درة الأسلاك، ورقة ١٥ أ - ب، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٠٢-٣٠٥، تاريخ مختصر الدول، ص٤٦٧-٤٦٨.

المغول منها، ضربتها المجاعة، حتى أكل أهلها القطط والكلاب وجثث الموتى[1].

وفي خضم تلك الحوادث كان هولاكو قد أجهز على الخلافة العباسية.واستباح بغداد في صفر سنة ٦٥٦هـ/ فبراير ١٢٥٨م، ولم تكن مسألة سقوط الدولة العباسية منذ سيطرة المغول على آسيا الصغرى وإحاطتهم بالعباسيين من الشمال والشمال الغربي إلا مسألة وقت فقط[2].

ومن جانبه أدرك كيكاوس الثاني حرج موقفه وربما دفعه هذا إلى بعث رسالة إلى هولاكو بعد سيطرة الأخير على بغداد[3].

لكن المهم أن السلطان السلجوقي (كيكاوس الثاني) أصبح مستعداً لأي حل يُعرض عليه متضمناً بقاءه في السلطة منفرداً أو بالاشتراك مع أخيه، وفي هذه الأثناء، كان الوفد السلجوقي الذي رافق علاء الدين كيقباذ الثاني في رحلته إلى منغوليا قد عاد إلى البلاد بعد غياب استمر ما يناهز أربع سنوات (٦٥٢ـ٦٥٦هـ/ ١٢٥٤ـ ١٢٥٨م) وهو يحمل مشروعاً من القاآن.بتقسيم البلاد بين ابني غياث الدين كيخسرو الثاني[4].

وكان القاآن منكو عند استقباله للوفد المشار إليه[5].قد قرب إليه طرنطاي، وأعطاه برليغاً، يقضي بتصيب كيكاوس الثاني سلطاناً لدولة سلاجقة الروم، لكن جاءت رسالة إلى القاآن من بايجونوين، يشتكي فيها

(١) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٦٨.

(٢) سعد بن حذيفة: سقوط الدولة العباسية، ص٣٦٦.

(٣) ذكر اليونيني في ترجمته لهولاكو، أن القاضي أبو الثناء سراج الدين محمود ابن أبي بكر الأرموي المتوفى سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٤م. قد التقى الزعيم المغولي في بغداد بعد استيلائه عليها، ونقل إليه رسالة من "صاحب الروم". ولم يحدد من هو صاحب الروم ؟ ومن المرجح أنه يقصد كيكاوس الثاني، لأنه ذكر في سنوات سابقة أن صاحب الروم هو كيكاوس الثاني. انظر: ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٣٥٩.

(٤) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٦٤، العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٢٢، حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية، ص٢٧٥.

(٥) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

من مضايقات كيكاوس الثاني وأنصاره، ومعاركهم ضده، فغضب القاآن "منكو" واستعاد البراليغ التي أصدرها، وعاتب طرنطاي، الذي ردّ معتذراً بطول فترة غيابه عن البلاد، وجهله بما جرى في تلك المدة، وحاول شمس الدين الطغرائي انتهاز الفرصة، لصالح صاحبه قلج أرسلان الرابع، وتعهد نيابة عنه، بدفع الضريبة المقررة في حال تتويجه سلطاناً منفرداً، ولقي هذا الاقتراح قبولاً من لدن القاآن، وشرع في إصدار القرارات، لكنه تراجع بعد ذلك، باقتراح من الطغرائي نفسه[١]، ويبدو أنه خشي من تفاقم الصراع بين قلج أرسلان الرابع وأخيه.

ومهما يكن من أمر فإنه بعد التشاور بين المسئولين المغول، والحاضرين من أمراء سلاجقة الروم، تم الاتفاق على قسمة البلاد بين الأخوين مناصفة[٢].

وبناءً على التقسيم المشار إليه، أصبح نهر سيواس[٣] حداً فاصلاً بين دولتي الأخوين فنال ركن الدين قلج أرسلان الرابع القسم الشرقي منها، وهو المتاخم لحدود الدولة المغولية، ويبدو أن هذه القسمة تم التخطيط لها بدقة ليصبح قلج أرسلان الرابع في الجزء القريب من السلطة المغولية، ليأمنوا شره، ولأنه أثبت فيما مضى – وفي عدة مواقف- صدق انتمائه للمغول، بعكس

(١) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٥٠، العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٤٩-١٥٢. وانظر أيضاً: ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٣٠-٦٣١، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٥، أقسرائي: المصدر السابق، ص٣٩.

(٢) في رواية ابن بيبي: أن الطغرائي هو الذي أقنع القاآن بعدم تنصيب قلج أرسلان الرابع سلطاناً منفرداً، بعد أن كان القاآن قد أصدر أمراً بذلك. لكن بيبرس المنصوري يشير إلى أن الطغرائي كان حريصاً على تنصيب قلج أرسلان سلطاناً على كل بلاد سلاجقة الروم بعد عزل السلطان السابق كيكاوس الثاني، لكن القاآن نفسه اقترح مسألة التقسيم. فرضخ الجميع لإرادته. انظر: الأوامر العلائية، ص٦٣٠، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٥، زبدة الفكرة، ج٩، ص٥٠، العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٥١-١٥٢.

(٣) نهر سيواس ويسمى قزل أرمك، أو: قزل إيرماق، وهليس "مرطرنا" وبينه وبين المدينة نصف فرسخ. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص٣٨٤، لسترنج: المرجع السابق، ص١٧٩.

أخيه المشاكس لهم، كيكاوس الثاني، والذي حصل على الجزء الغربي البعيد عنهم[1].

وعندما عاد الوفد السلجوقي من عاصمة المغول بمشروع التقسيم سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م.كان كلاً من الأخوين على استعداد لقبوله[2].

ومشروع التقسيم الآنف الذكر جاءت خطوطه الأولى من سلاجقة الروم أنفسهم، حيث تفاوض الأخوان على شيء مثل هذا من قبل[3].لكنه أيضاً لم يكن بدعة مغولية إذ سبق للمغول تقسيم بعض البلاد التي سيطروا عليها بين أكثر من حاكم[4].وكانوا يستخدمون بنجاح سياسة (فرق تسد)[5].

وبعد أن رضى السلطانان بالتقسيم جاءتهما الأوامر من هولاكو بالقدوم عليه في أطراف العراق، ومشاركته في الزحف على بلاد الشام[6].

فخّف السلطانان لتنفيذ أمر هولاكو، فوصل كيكاوس الثاني أولاً، وتبعه قلج أرسلان الرابع[7] فاجتمعا بالزعيم المغولي في مكان يقال له "مونيق

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٩٣، العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٥١، محمود شلبية، المرجع السابق، ص٧٠-٧١. Cahen: The Mongols And Near East. " Setton ". P. 726 , Pre Of Ottoman Turkey. P. 342.

(٢) وتولى ابن بيبي كتابة عهد التقسيم بين الأخوين، وشهد عليه بعض قادة المغول، انظر: الأوامر العلائية، ص٦٣١، بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٦٤، وذكر أحد الباحثين أن الأخوين رفضا مسألة التقسيم. سليم واكيم: المرجع السابق، ص١١٧، وهو مخالف لما في المصادر.

(٣) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٤) من أمثلة ذلك تقسيم بلاد الكرج بين أميرين من الأسرة الحاكمة فيها. الهمذاني: جامع التواريخ، ج١، ق٢، ص١٨٤، العريني: المرجع السابق، ص١٩٢، ٢٠٣.

(٥) سعيد عاشور: سلطنة المماليك و مملكة أرمينية الصغرى، ص٤٣، سليم واكيم: المرجع السابق، ص١١٧.

(٦) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٣٢، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٦، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣١٤، الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٩٩-٣٠٠، بيبرس المنصوري: (ركن الدين بيبرس الخطائي المنصوري الدوادار، ت ٧٢٥هـ/١٣٢٥م) التحفة الملوكية في الدولة التركية، نشرة عبد الحميد صالح حمدان، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٤٢، زبدة الفكرة، ج٩، ص٦٤-٦٥.

(٧) وصل عز الدين إلى معسكر هولاكو يوم الرابع من شعبان سنة ٦٥٦هـ/ أغسطس ١٢٥٨م، ووصل أخوه ركن الدين بعده بأربعة أيام. الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٣٠١، وانظر

"Muniq"[١] وكان كيكاوس الثاني قد امتلأ قلبه رعباً، لعلمه بعدم رضى هولاكو عنه، فحرص أشد الحرص على إظهار خضوعه، بل تردى في أسفل دركات الذل والهوان وأقدم على عمل أدهش كل من أبصره، أو سمع به، إذ أهدى إلى الزعيم المغولي، زوجاً من الأحذية الفاخرة نقش صورته على موضع القدمين، وقدمها إلى هولاكو، متوسلاً إياه أن يقبلها، وينتعلها فيطأ بقدميه على صورته، لتكون شرفاً له، فرقّ القائد المغولي لحاله، وقبل هديته وتوسله!![٢] ولعبت دورقوز[٣] زوج هولاكو دوراً في إقناع زوجها بالعفو عن السلطان السلجوقي[٤].

وعندما التقى الأخوان بحضرة هولاكو – وكانا قديمي عهد ببعضهما – تعانقا وتباكيا، وتعاهدا على نبذ الخلاف، ومن جهته كرّس الزعيم المغولي مسألة التقسيم كما قررها أخوه القاآن[٥].

أيضاً: المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٥ ب، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٣١-٦٣٢، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٦، العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٢٢.

(١) مونيق بلدة من ضواحي تبريز، الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٣٠١. وهذا ما دفع البعض إلى ذكر أن اللقاء حصل في تبريز. انظر: المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٤٠٨.
Cambridge Medieval History volume IV. by: Hussey J. M. Cambridge University Press , 1967. P. 507.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٣٠١، رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ج٣، ص٣٥٨، سعد بن حذيفة: سقوط الدولة العباسية، ص٣٦٧، عبد الله الغامدي: المرجع السابق، ص٦٨-٦٩.

(٣) دوقوز أوتوقوز خاتون "طغرزش" بنت أيقو بن أونك خان ملك قبيلة "كرايت" المغولية، تزوجها تولي بن جنكيز خان، وبعد وفاته آلت إلى ابنه هولاكو، حسب تعاليم الياسا وهي أشهر زوجات هولاكو، وأفضلهن عنده، مقدمة على بقية الزوجات، وكانت مثل بقية قبيلتها-على دين النصرانية، على المذهب النسطوري. وكانت عوناً وملاذاً لأهل ملتها، من المغول وغيرهم، وأقيمت من أجلها الكنائس في كل البلاد، وكانت قوية الشخصية، توفيت بعد زوجها هولاكو بأربعة أشهر وأحد عشر يوماً (سلخ شعبان، أو غرة رمضان ٦٦٣هـ/ يونيو- يوليو ١٢٦٥م) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٢٠-٢٢١.

(٤) الهمذاني: المصدر السابق، ج٢، ق١، ص٣٠١.

(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٥ ب، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٣٢، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٦، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٠٣/ ٣١٥، تاريخ مختصر الدول، ص٤٨٦، النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٣٨٥.

ويقال أن بروانه معين الدين نصح الإيلخان بإمضاء مسألة التقسيم، وأنها تصب في مصلحة الدولة الإيلخانية، وتضعف قوة سلاجقة الروم(1) والحقيقة أن الإيلخان أعجب به، ووثق فيه، وطلب من قلج أرسلان الرابع ألا يبعث أحداً إليه في أمور مملكته سوى بروانه المذكور(2).

ولأن الإشراف على دولة سلاجقة الروم انتقل إلى الدولة الإيلخانية، فقد قرر الإيلخان على ابني غياث الدين كيخسرو الثاني أتاوة جديدة، غير تلك التي فرضت على أبيهما بعيد هزيمته في كوسة داغ(3)، فشملت الضريبة الجديدة، مئتي ألف دينار ذهباً، وخمسمئة ثوب من الحرير، وثلاثة آلاف أخرى موشاة بالذهب والديباج، وخمسمئة رأس من الخيل، ومثلها من البغال، وذلك في كل عام، مع توفير الضيافة، وتهيئة الإقامة لكل جيش مغولي يدخل أراضي سلاجقة الروم(4).

ورغم عدم اشتراك الأخوين (كيكاوس الثاني وقلج أرسلان الرابع) في معركة بغداد، إلاّ أن بعض أنصارهما، والمرتزقة من رعيتهما، اشتركوا في تلك المعركة.وقد قام بايجو بتجنيد قوات خاصة من سكان الجزء الشرقي لبلاد سلاجقة الروم، وهو الجزء الخاضع لسلطة ركن الدين قلج أرسلان الرابع، بل إن طائفة من عساكره، انضمت إلى بايجو وأصبحت جزءاً من جيشه الذي زحف به على بغداد(5).

---

(1) أقسرائي: مسامرة الأخبار، ص٦٣.

(2) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٧٩-٢٨٠، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٣٤٢-٣٤٣.

(3) ويذكر أحد الباحثين أن الضريبة لم يحدث عليها تغيير، وبقيت كما هي قبل التقسيم. انظر: Howorthe: op. cit. III , P. 13.

(4) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. P. 331.
ويُذكر زيادة على ما في المتن، ثلاثمائة سبيكة من الذهب : Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S 458.

(5) سعد حذيفة: سقوط الدولة العباسية، ص٣٦٦-٣٦٧. القزاز: المرجع السابق، ص٣٤٤.

نهاية بايجونوين:

أما الخليفة العباسي المستعصم بالله[١]، فوصلت إليه رسالة من هولاكو، ينصحه فيها بعدم المقاومة، ويذكّره بالمصير الذي آل إليه وضع بعض الأسر الإسلامية الحاكمة، عندما فكرت في مقاومة المغول، ومن بينها الأسرة السلجوقية في بلاد الروم[٢].

وبعد ثبوت عجز المقاومة، خرج ابن العلقمي[٣] وزير الخليفة، لمفاوضة الغازي المغولي، وعاد ليخبر سيده موافقة الغازي، على بقائه في منصب الخلافة كما فعل قومه مع سلاطين سلاجقة الروم[٤] أو يكون الخليفة تابعاً له، كما كان أسلافه العباسيين مع السلاجقة العظام[٥].لكن أياً من العرضين لم يتم

---

(١) المستعصم بالله: أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بن الظاهر بن الناصر، الخليفة السابع والثلاثون للدولة العباسية، وبه انتهت دولتهم في العراق، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه في جمادي الآخرة سنة ٦٤٠هـ/ ديسمبر ١٢٤٢م، وقتل بأمر هولاكو في صفر سنة ٦٥٦ فبراير ١٢٥٨م. كتاب الحوادث، ص١٣٤، ١٧٥، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص٧٠.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ ج٢، ق١، ص٢٦٨، محمد ماهر حماده وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي، مؤسسة الرسالة، ط الثالثة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٣٤٥.
سلمان التكريتي: بغداد مدينة السلام وغزو المغول، مكتبة الشرق الجديد. بغداد. ١٩٨٨م، ص١٥٨.

(٣) مؤيد الدين محمد بن محمد بن العلقمي، البغدادي الرافضي، وزير الخليفة المستعصم، قام بأمره زهاء أربعة عشر عاماً، وناصر مذهبه، وأهل ملته بشدة فعارضه أهل السنة، فكاتب هولاكو، وجسّره على غزو بغداد، وعاش بعد سقوطها أشهراً، ثم هلك. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص٣٦١ -٣٦٢، الصفدي (خليل بن أيبك، ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م) الوافي بالوفيات، نشر وتحقيق جمعية المستشرقين الألمانية، فسبادن، ١٩٦٢م، ج١، ص١٨٤-١٨٦.

(٤) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٣٥، ابن الوردي، (زين الدين عمر بن الوردي، ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) تتمة المختصر في تاريخ البشر، تحقيق: أحمد رفعت البدراوي، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م، ج٢، ص١٩٦، ابن تغردي بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص ٤٥٧، تاريخ وصاف، ص٣٧.

(٥) الذهبي: العبر، ج٣، ص٢٧٧-٢٧٨، اليافعي: مرآة الجنان، ج٤، ص١٠٦، القرماني المصدر السابق، ج٢، ص١٩٦.

الأخذ به[1]، فقُتل الخليفة شهيداً، واستبيحت دار السلام، عاصمة الخلافة، وقُتل أهلها، في مذبحة مروعة، لم يخف أمرها على أحد.

ومما لا شك فيه أن قوات المغول التي كانت ترابط على أراضي آسيا الصغرى بقيادة بايجو نوين، لعبت دوراً رئيسياً في اجتياح بغداد، حيث هاجمتها بضراوة من الجهة الغربية، وحققت النصر الأول على جيش الخلافة، والذي كان مقدمة الاجتياح الشامل والمدمر[2].

هذا ولم ينس هولاكو أن يمنح ابني غياث الدين كيخسرو الثاني، بعضاً من الكنوز التي استولى عليها من قصور بغداد[3].

وبعد الانتهاء من أمر بغداد، لم يعد هولاكو بحاجة إلى خدمات قائده العتيد بايجونوين، بل ربما أمسى التخلص منه ضرورة ملحّة ولم يغفر له تثاقله في تنفيذ أمره بالانضمام إليه، عند بداية زحفه على بغداد، وظنّ أنه يروم الاستقلال ببلاد سلاجقة الروم، ويستبد بحكمها[4]، وزاد من حنقه عليه، شيوع أنباء عن محاولة اتصاله بالخليفة، عندما كان مسئولاً عن حصار الجانب الغربي من بغداد، فوجدها هولاكو فرصة سانحة، للتخلص من منافس كبير، فحاكمه بهذه التهمة، وقضى عليه بلا تردد[5].

---

(١) وقد جمع بعض المؤرخين والباحثين، بين العرضيين المشار إليهما، انظر: الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٠٢-٢٠٣، ٢٦٣، اليونيني: المصدر السابق، ج١، ص٨٨، الديار بكري (حسين بن محمد الحسين، ت٩٦٦هـ/ ١٥٥٩م) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، بيروت، ب. ت، ج ٢، ص٤٠٢، مصطفى طه بدر، محنة الإسلام ص١٩٨.

(٢) ابن العميد: المصدر السابق، ص٤٣، الهمذاني: جامع التواريخ، ج١، ق٢، ص٢٨٥، كتاب الحوادث، ص٣٢٠، ٣٢٤-٣٢٥، أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٣٠٢.

(٣) المولوي: صحائف لأخبار، ج١، ورقة ٥٨٥ ب.

(٤) النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٣٨٤.

(٥) هناك مصادر ذكرت أنه قتل بضرب عنقه بالسيف، انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، الطبقة "٦٦"، ص٣٧، العبر: ج٣، ص٢٧٨. وأخرى ذكرت أنه قتل بالسم: انظر: النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٣٨، العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٠٠. وتبدو الوسيلة الأخيرة أكثر توافقاً مع عادات المغول وقانونهم (الياسا).

ولم تنته علاقة بايجو نوين بآسيا الصغرى بحادثة مقتله، وهو الذي تفرد بالإشراف على شئونها ردحاً طويلاً من الزمن، إذ ذكرت بعض المصادر أن أحد أبنائه يدعى أفاك Afak (أو أفال Afal)[1] قد ورث أباه، في التدخل في شئون دولة سلاجقة الروم، وكان يقرب معين الدين بروانه بن مهذب الدين، احتراماً للعلاقة التي كانت تربط أبويهما والتي نشأت إثر موقعة كوسة داغ[2]واستمر أفاك في الاضطلاع ببعض المهمات في المنطقة، حتى وفاته، حيث خلفه ابنه "سلامش Slamesh"[3].

أما هولاكو فبعد أن استراح من عناء الحرب مع الخلافة العباسية قرر المضي قدماً في حملته غرباً لعبور الفرات والاستيلاء على بلاد الشام فطلب من كيكاوس الثاني وقلج أرسلان الرابع الذهاب إلى تبريز[4]، والاستعداد للمشاركة في غزو بلاد الشام، فذهبا إلى هناك واضطرا إلى الاستدانة من خزانة هولاكو، لتجهيز العساكر[5]، وكان الدّين ضخماً، ولكن لم يكن بوسعهما إلاّ تحمله، وساهم الوزير الطغرائي في توفيره، وتم بذلك تجهيز فرقة من الجيش على حسابهما[6].

---

(١) هناك خلاف بين المصادر في طريقة كتابة هذا الإسم حيث ورد: أفاك، وأفال ، وأفك. انظر: بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج ٩، ص ٣٠٢؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٧، ص٤١٠ ؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٤٠٠؛ المقريزي: السلوك، ج ١، ق٣ ص٨٧٤.

(٢) وانظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٣٨٤، العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٠١، وعن سلامش، انظر ما يلي الفصل الثالث، ص من هذا البحث. وقد ذكر ابن شداد، أنه التقى في مهمة قام بها إلى المغول إبان هجومهم على ميافارقين سنة ٦٥٥هـ-٦٥٦هـ/١٢٥٧-١٢٥٨م، أحد قادة المغول واسمه أزدمر بن بايجو، ولم يشر إلى أنه من ذرية بايجونوين، ولم يعثر محقق الكتاب على ترجمة له. الأعلاق الخيرة، ج٣، ق٢، ص٤٩٦، ٥٩٠.

(٤) تبريز: بكسر أوله وسكون ثانيه، وكسر الراء، أشهر مدن أذربيجان، مدينة عامرة حسنة، ذات أسوار محكمة، زارها ياقوت الحموي سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م. ووصفها بالحسن وجودة الفاكهة. معجم البلدان، ج٢، ص١٣.

(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٥ب، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٣٣، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٦-٣٥٧.

(٦) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٥ ب ؛

وإذا كان هذا العمل مُرضياً لهولاكو، فإن عواقبه على دولة سلاجقة الروم كانت وخيمة، وظلت خزينة الدولة تئن تحت وطأة ذلك الدين سنين عديدة[1] وليضمن هولاكو وفاء سلاجقة الروم لدينه، عين مشرفاً من قبله، يتابع تلك القضية، وهو تاج الدين معتز[2] ومنحه سلطات واسعة، وأقطعه مناطق أقسراي، وديفلي[3]، وقره حصار[4]، وأضيفت إليها منطقة قصطمونية، والتي كانت اقطاعاً للطغرائي، فأُخذت منه على سبيل الرهن، حتى يتم الانتهاء من تسديد الدين الذي تصدى هو لأمره، وكالةً عن السلطانين[5].

ولما بدأ هولاكو زحفه نحو الشام، كان السلطانان (كيكاوس الثاني، وقلج أرسلان الرابع)، في ركابه، وفي معسكر هولاكو، وصلت رسالة إلى كيكاوس الثاني من الملك السعيد[6] صاحب ماردين، ينكر عليه

(1) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. P. 2578.

(٢) تاج الدين معتز ابن القاضي محي الدين الخوارزمي، كان أبوه قد نقل رسالة من السلطان جلال الدين منكبرتي إلى السلطان علاء الدين كيقباذ الأول ومات في سيواس وهو في طريق العودة إلى السلطان جلال الدين سنة ٦٢٧هـ/١٢٣٠م. ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٣٧٣، أخبار سلاجقة الروم، ص١٩٤-١٩٥.

(٣) لم أجد لها تعريفاً فيما رجعت إليه من كتب البلدان.

(٤) قرة الحصار: ومعناها الحصن الأسود، وأوردها ابن بيبي باسم "قره حصار دولة" تميزاً لهذا الحصن عن حصن آخر يحمل الاسم نفسه، ويقع هذا الحصن إلى الغرب من آق شهر "المدينة البيضاء". قزويني: نزهة القلوب، ص١٦١، لسترنج: المرجع السابق، ص١٨٠.

(٥) أقسرائي: مسامرة الأخبار، ص١٦٧. Cahen: pre of ottoman. P. ٢٨٤، ٣١٠، ٣٣١، ٣٤٥.
وكانت قصطمونية تابعة لحكم ياوتاش، لكن بعد هزيمة عز الدين كيكاوس الثاني في الحرب الأهلية الأخيرة، استعادها الطغرائي من ياوتاش، فمنحها له ركن الدين قلج أرسلان الرابع. انظر: Cahen: Op. Cit. P. 310.
ووردت إشارة في ابن بيبي إلى أن هولاكو أعاد توزيع المناصب على أصحاب ركن الدين قلج أرسلان الرابع إثر وفاة الوزير الطغرائي، فجعل تاج الدين معتز مندوباً لضبط أموال الخاص وحفظها. الأوامر العلائية ص٦٣٣، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٧.
وعن وفاة الطغرائي وما تلاها من توزيع للمناصب انظر ما يلي ص من هذا البحث.

(٦) الملك السعيد: نجم الدين ايلغازي (ايل غازي) ابن أرتق، صاحب ماردين وابن صاحبها، تولى حكمها سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، واستمر فيها حتى توفي مريضاً بالوباء، والمغول يحاصرونه في القلعة أواخر سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م. ابن أيبك (أبو بكر بن عبد الله بن أيبك، الدواداري، ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣٢م) كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨ وعنوانه (الدرة الزكية في تاريخ الدولة التركية) تحقيق: أولرخ هارمان، القاهرة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ص ٦٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، الطبقة ٦٦، ص٣٣٧.

انضمامه - مع أخيه - للمغول، وينصحهما بالتحايل للانفصال عنهم.ويحذرهما من غدر هولاكو وبطشه فشكراه على نصيحته، واعترف كيكاوس الثاني أنّ التخاذل وعدم التعاون هو سبب ذّل المسلمين وحكامهم[1].

وبعد دخوله ديار بكر أذن الزعيم المغولي للسلطانيين، بالرجوع إلى بلادهما[2]، فلم يشهدا معه أخذه حلب كما توهم البعض[3].إلا أنّ حاكم أرزن الروم هو الذي نقل رسالة هولاكو إلى المسئولين في حلب، يدعوهم فيها إلى إلقاء السلاح والاستسلام، حفاظاً على أرواحهم وعلى المدينة أيضاً، لكن الحلبيين رفضوا الإنذار المغولي، وقد تعجب صاحب أرزن الروم من ذلك الرفض كثيراً[4].ولا بد من الإشارة هنا إلى أنّ هولاكو قام في هذا الوقت بانتزاع آمد من الملك الكامل الأيوبي، وإعادتها إلى قلج أرسلان الرابع، لأنها - حسب التقسيم - جزء من مملكته[5].

وبعد انفصاله عن الإيلخان، مرّ كيكاوس الثاني بقلعة ميافارقين، وكانت لا تزال صامدة في وجه المغول، فنصح أهلها بمداراة المغول، وإرضائهم، والتقرب

---

(١) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة، ج٢، ق٢، ص٥٦٠-٥٦١، اليونيني: المصدر السابق ج١، ص٣٣٤، السبكي: المصدر السابق، ج٥، ص١١٦-١١٧.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٥ ب، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج٣، ق٢، ص٥٠١، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣١٥، تاريخ مختصر الدول ص٤٨٦، اليونيني: المصدر السابق، ج١، ص٣٤٢-٣٤٣، أبو الفداء :المختصر، ج٢ ص٣٠٢.

(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٥ ب، وقال: (ولما استأمن أهل حلب والشام إلى الخان. أذن للسلطانين في الرجوع إلى ملكهما)، النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١٠٩، ابن دقماق: نزهة الأنام، ص٢٥٥، وقد نوّه المحقق لوهم المصنف في الحاشية رقم ٧، العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٢٢، ٢٧٩-٢٨٠، تاريخ ابن خلدون، مج٥، ق٥، ص١١٨٢، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٣٤٢. Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. P. 278.

(٤) النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٣٨٦-٣٨٧، أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٣١٠، الحنبلي: شفاء القلوب، ص٣٠٧. ولم يصرح أي منها باسم الحاكم.

(٥) انظر ما يلي ص من هذا البحث.

إليهم، وأنه لا جدوى من الاستمرار في المقاومة، لكنهم لم يأخذوا بنصيحته[1].فكان مصيرهم مروعاً، حيث اقتحمها المغول عنوة، وفتكوا بأهلها[2].

ويبدو هذا موقفاً متغيراً من كيكاوس الثاني تجاه المغول، إذ ما فتئ يناوش المغول ويضايقهم باستمرار، لكن يبدو أنه وقف عن كثب على قوة هولاكو وجبروته، الذي زادته قوة إلى قوته، نشوة النصر الكبير الذي أحرزه في بغداد.وليس مستبعداً أن يكون المغول طلبوا منه القيام بهذا العمل لعله يقنع أهالي ميافارقين –وكذلك ماردين- بالتوقف عن المقاومة[3].ولا سيما أن جيشهم زحف باتجاه حلب، وجعلها هدفاً رئيسياً له.

وفي أثناء عودته، عرّج كيكاوس الثاني على دَيرمار برصوما[4]، واجتمع بالبطريرك[5] المسئول عنه وأغدق عليه وعوداً طيبة[6].والملفت للنظر أن هذا الدير هو في الجزء المخصص لأخيه ركن الدين قلج أرسلان الرابع.وليس لكيكاوس الثاني سلطة عليه، لكن يبدو أنه رغب في الاحتفاظ بأنصار أو متعاطفين معه على الأقل، حتى في القسم الآخر من المملكة.

---

(١) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج٣، ق٢، ص٥٠١-٥٠٢.

(٢) ابن شداد: المصدر نفسه، ج٣، ق٢، ص٥٠٣. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٣١-٢٣٢.

(3) Cahen: Op. Cit. P. 278.

(٤) دير مبني على قنة جبل قرب ملطية، له اعتبار كبير عند نصارى تلك المنطقة، وفيه كثير من الرهبان. وسماه القزويني (ديرماتوما) وقال على فرسخين من ميافارقين. آثار البلاد، ص٣٧٢. لسترنج: المرجع السابق، ص١٥٣.

(٥) بطريرك بطرك: مرتبة دينية عند النصارى، يعد صاحبها رئيس رؤساء الأساقفة، ورد هذا اللقب في التوراة، وكان ينعت به رؤساء القبائل أو العائلات. المعجم الوسيط: مادة: البطرك، الخطيب: المرجع السابق، ص٨٠. والبطريك المذكور هنا هو: "ديونيسيوس Dionesyus " (٦٥٠- ٦٦١ هـ/١٢٦١ـ١٢٥٢م).

(٦) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣١٥.

أما الجيش المغولي، الزاحف على بلاد الشام، فقد بنى ثلاثة جسور، لعبور نهر الفرات، أحدها قرب ملطية[1].وبعد الاستيلاء على حلب ودمشق، غادر هولاكو على عجل قاصداً منغوليا، للمشاركة في انتخاب قاآن جديد، خلفاً للقاآن الراحل منكو، وعبر عن طريق خلاط[2]، ويشير ابن بيبي إلى أنّ هولاكو أثناء عبوره تلك المنطقة التقى السلطانين مجدداً، واسترد من كيكاوس الثاني اليرليغ والعملة اللتان منحهما إياها القاآن الراحل، ودفعمها لأخيه ركن الدين قلج أرسلان، وأظهر له كثيراً من التودد[3]، وهنا يظهر بجلاء ميل هولاكو إلى قلج أرسلان الرابع وتقريبه له، أكثر من أخيه كيكاوس الثاني[4].والمهم عند الزعيم المغولي أنه ضمن ولاء سلاجقة الروم، وربما كان هذا أحد أهداف حملته العسكرية في المنطقة[5].

٦ـ الجولة الأخيرة من النزاع بين ابني كيخسرو الثاني:

بعد أدائهما لتلك المهمة، فإن ابني غياث الدين كيخسرو الثاني، عاد كلّ منهما إلى مملكته، فبينما عاد كيكاوس الثاني إلى قونية[6]، قصد قلج أرسلان الرابع قيصرية[7]، وقيل سبسطية[8].وترافقت عودتهما إلى البلاد.مع

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ٣١٥ - وذكر أنها أربعة جسور، تاريخ مختصر الدول ص٤٨٦، كتاب الحوادث، ص٣٧٠
ابن شاكر الكتبي (صلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي، ت٧٦٤ هـ/ ١٣٦٢م)، عيون التواريخ، ج٢٠، تحقيق: فيصل السامر، ونبيلة عبد المنعم، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م ص٢١٤.

(٢) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٢٠٩.

(٣) الأوامر العلائية، ص٦٣٢، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٧. وانظر أيضاً : Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. P. 278.

(٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣١٥، المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٤٠٨، Cahen: Op. Cit. P. 278.

(٥) محمود عمران: المرجع السابق، ص٦٤.

(6) bid , P. 278.

(٧) المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٤٠٨.

(٨) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣١٥. سبسطية: مدينة قرب سميساء ، تقع علي أعلي نهر الفرات - في الشمال - ذات سور. ياقوت الحموي: مصدر سابق ، ج ٣ ص ١٨٤.

انتشار الجوع والوباء فيها، مما تسبب في المزيد من الخسائر البشرية والاقتصادية[١].

وبدأ كل من السلطانين بإدارة شئون مملكته، يعاونه فريق من الوزراء والمستشارين، فمع كيكاوس الثاني: يوتاش، وشمس الدين الحرماني[٢]، ومع أخيه قلج أرسلان: أرسلان دغمش على وظيفة أتابك؛ وذكرنا سبب تخليه عن كيكاوس الثاني، وانحيازه إلى ركن الدين، ومعه أيضاً سيف الدين طرنطاي سوباشي أماسية، ووظيفته بكلربكي، وخطير الدين زكريا، ومعين الدين سليمان بروانه[٣].

إلاّ أن الأخوين متفقان على وزارة الطغرائي –شمس الدين- وإن كان محسوباً أكثر في أنصار قلج أرسلان الرابع[٤].إلا أنه بذل جهداً كبيراً في مسألة التقسيم، أكسبه رضا السلطانين[٥].وكان جُل هم الوزير، رأب الصدع بين الأخوين[٦].وقد اعتبر أحد الباحثين أن التقسيم في ظل وحدة الوزارة تقسيماً نظرياً[٧].

لكن في اثر وفاة الوزير الطغرائي (في حدود سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)[٨].اتخذ كل سلطان وزيراً، فتولاها عند كيكاوس الثاني النائب فخر الدين علي، فيما نهض بها عند قلج أرسلان الرابع معين الدين بروانه[٩]، وتولى

---

(١) ابن العبري: المصدر نفسه، ص٣٠٩.

(٢) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٦٤، وهو عنده (الخرماني)، العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٢٢. وقد وهم كلا المصدرين وذكرا من معاوني كيكاوس الثاني كلاً من: الأتابك قراطاي، والوزير عز الدين الرازي، وثابت أنهما توفي قبل هذه الحوادث.

(٣) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٦٥، العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٢٢.

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٥ ب، بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة ج٩، ص٦٥.

(٥) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٩٩–٣٠٠.

(٦) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٦ أ.

(7) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. P. 287.

(٨) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٣٣ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٧. Cahen: Op. Cit. P. 278.

(٩) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٦ أ، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٣٥، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٧.

الكتابة بين يديه شرف الدين وضياء الدين ابني الخطير (خطير الدين زكريا)[١]و منذو ذلك الوقت بدأت نذر التوتر تلوح في الأفق[٢].

ولم يكن الإيلخان هولاكو بمعزل عما يجري في دولة سلاجقة الروم، إذ طلب من قلج أرسلان الرابع أن يولي وزارته للبروانه خلفاً للطغرائي، وأكدّ على تاج الدين المعتز مراقبة الخزانة السلطانية ليضمن تسديد الديون الآنفة الذكر[٣]، ومن الملاحظ هنا تدخل الإيلخان في القسم الخاص بقلج أرسلان الرابع، دون القسم الآخر.

وبينما أمور الدولة تميل إلى الاستقرار - في ظل التقسيم - تفجر الصراع مجدداً، وكانت شرارته الأولى اتهام بروانه لكيكاوس الثاني بأنه يراسل المماليك في مصر[٤].فنقلها إلى القائد المغولي (ايناق)' وكان معسكراً بجيشه في شرق البلاد، وهو مفوض من الإيلخان بمراقبة الوضع في بلاد سلاجقة الروم[٥].فاستأذنا الإيلخان في (تأديب) كيكاوس، فما لبثت الأوامر أن صدرت إليهما - ومعهما قلج أرسلان الرابع - بوضع حدّ لتحركات كيكاوس الثاني وطرده، وإعادة توحيد الدولة تحت حكم قلج أرسلان[٦] والحقيقة أنّ الاتصال بالمماليك في مصر، كانت - في نظر المغول - من الكبائر، ويدفع من يقترفها روحه ثمناً لها[٧].كما أن السلطات المغولية كانت بحاجة إلى الاستقرار في آسيا الصغرى ريثما يتم تحقيق هدفين، هما: القضاء على الخلافة العباسية في بغداد، وبسط النفوذ المغولي على بلاد الشام ومصر وبعد تحقيق الهدف

(١) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٣٢٠.
(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ص٣٢٠. Cahen: Op. Cit. P. 278.
(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٣٥، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٧.
(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٦أ، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٣٥، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٧. Howorth: op. cit. V. III, P. 138.
(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٦ أ.
(٦) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٦ أ، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٣٥، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٧-٣٥٨.
(٧) انظر: الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإليخانيين، ص٣٨.

الأول، واستحالة تحقيق الثاني - على الأقل في المستقبل المنظور - فإن مسألة التخلص من السلطان المشاكس كيكاوس الثاني، وإعادة توحيد الدولة السلجوقية في بلاد الروم تحت حكم حليفهم المخلص قلج أرسلان الرابع تعتبر من الأولويات(١).

ويضيف البعض سبباً آخر وهو طمع بروانه في السيطرة على القسم الآخر من الدولة بعد أن ضمها إلى القسم الذي يتولى وزارته(٢)، والحقيقة أن أي انتصار يحققه قلج أرسلان الرابع على أخيه هو انتصار للبراونه نفسه.

وفوجئ كيكاوس الثاني بزحف المغول وحلفائهم عليه، وكان خارج العاصمة، في طريقه لمقابلة الإيلخان هولاكو لتجديد الطاعة له، والشكوى من عواقب تصرفات بروانه، إذ كان كيكاوس الثاني يتوجس منه شراً خاصة بعد وفاة الوزير الطغرائي(٣).

ويبدو أن الرجلين تخامرهما شكوك متبادلة، وسعى كلاً منهما للاستعانة بالإيلخان، فكان السبق للبروانه وأصحابه.

ولما أراد الإيلخان التأكد من صحة الوشايات التي تصل إليه عن تصرفات كيكاوس الثاني، بعث إليه يطلب مثوله بين يديه - وكعادته - خشي كيكاوس الثاني من عواقب اللقاء وبعث ياوتاش - أحد ثقاته - ليعرف جلية الأمر، وبينما كان ياوطاش في طريقه، مرّ بمدينة أرزنجان، فرأى النصارى يحتفلون علناً بأحد أعيادهم(٤).فأنكر عليهم ذلك لكن مرافقيه من المغول

(١) العريني: المرجع السابق، ص٣٣٧، محمود شلبية: المرجع السابق، ص٧٠-٧١، وانظر أيضاً
Cahen: The Mongols And Near East. "Setton". P726 , Pre Of Ottoman Turkey. P. 287.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٤٥، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٤.
وتشير إحدى الروايات إلى أن كيكاوس الثاني انشغل انهمك في اللهو والملذات، واهمل حفظ الأطراف والثغور، فنهض أخوه ركن الدين لتدارك الموقف. انظر: المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٦ أ، العيني: عقد الجمان، ج١، ص٣٢١.

(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٦ أ، اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص١١٤.

(٤) وهو عيد غطاس النصارى: غطاس - بالكسر ثم طاء مفتوحة. وهو-حسب زعمهم-اليوم الذي غسل فيه يحي بن زكريا عيسى بن مريم-عليهم السلام جميعاًفي بحيرة الأردن ولما خرج عيسى

نهروه، بحجة أن أرزنجان داخلة تحت حكم قلج أرسلان الرابع، وهو لم يعترض على تلك الاحتفالات.فلما شعر ياوطاش بالإهانة نكص على عقبيه، وعاد إلى سيده في قونية، ولم يكمل رحلته إلى بلاط الإيلخان[1].

وما من شك أن النصارى في آسيا الصغرى تطاولت أعناقهم في ظل السيطرة المغولية، إذ كان هؤلاء يوفرون لهم الحماية، ويشملونهم بالعطف[2].

ولما عاد ياوطاش إلى قونيه شجع كيكاوس على العصيان[3].لكن الأخير فضل سلوك طريق الخضوع، وجهز نفسه للخروج للقاء الإيلخان، وبينما كان في الطريق[4].جاءته أنباء تقدم أعدائه، من المغول وحليفهم ركن الدين قلج أرسلان الرابع، وعزمهم على مهاجمة مملكته[5].

ويبدو أن كيكاوس الثاني فوجئ بتحركات خصومه فبعث إليهم وزيره فخر الدين علي لمعرفة نواياهم، وتجديد العهد مع أخيه ركن الدين، ووصل الوزير إلى أقسراي، حيث اجتمع بركن الدين وأعوانه، ونجح هؤلاء في استمالته إلى جانبهم وعرض عليه البراونه التخلي له عن منصب وزراة ركن

من الماء اتصل به روح القدس على هيئة حمامه، والنصارى يغمسون أولادهم فيه في الماء وهو الذي يسمونه المعمودية وهو يقع في شدة البرد، ويوافق اليوم الحادي عشر من الشهر. القبطي: طوبة. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص٤٥٥.

(١) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٨٩، اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص١١٤، ويذكر أن هولاكو طلب حضور ياوتاش (أرتاش)، النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١١٠.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٤٨، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣١٥.

(٣) وبناءً على نصيحته هاجمت قوات كيكاوس الثاني مملكة أخيه ركن الدين واستولت عليها وحاصرت توقات وبها أهل بروانه. انظر: بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ج٩، ص٨٩، النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١١٠، العيني: عقد الجمان: ج١، ص٣١٩ -٣٢٠، وهذه الرواية لا تتفق مع سياق الحوادث فيما بعد.

(٤) في صحراء، تعرف باسم (روزبه) ويبدو أنها قريبة من قونية. انظر: ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٢٦، أخبار سلاجقة الروم، ص١٠٨، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٣٦، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٩.

(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٦أ، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٣٦، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٩.

الدين مقابل انضمامه إليهم وتخليه عن سيده كيكاوس، فقبل العرض[1]، ولما علم كيكاوس الثاني بما حصل من وزيره، أسقط في يده وعاد مسرعاً إلى قونية، ولما أدرك إصرار خصومه على ملاحقته خرج منها بأهله وماله، وحاشيته وقصد أنطالية[2].

أما خصومه فتقدموا في جيشين، أحدهما مغولي بقيادة اليجاق، والأخر سلجوقي رومي بقيادة السلطان ركن الدين قلج أرسلان الرابع، وتمكنوا من دخول قونية بعد يومين من هروب السلطان كيكاوس الثاني[3]، ووضعوا أيديهم على ما تركه السلطان المنهزم من عدد وعتاد، وما بقي من خزائن السلطنة في العاصمة، وسلموها لمندوبَيْ الإيلخان[4]، الذين جاءا مع الحملة فأخذاها ونقلاها إليه[5].

ثم خرج الجيشان لقضاء الشتاء خارج العاصمة، واستغل عساكر المغول الفرصة[6]، وشنوا غارات عديدة على المناطق المجاورة لمعسكرهم[7] وليس من الراجح وقوع معركة بين جنود كيكاوس الثاني وخصومه، قبل سقوط قونية، كما ذكرت بعض المصادر[8]، والراجح - والله أعلم - سقوطها بدون قتال كما أشرنا.

---

(١) وذكر المولوي أن بروانه منعه من العودة إلى كيكاوس. صحائف الأخبار: ج١، ورقة ٥٨٦ أ.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٦ أ، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٣٦-٦٣٧، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٩. وذكر المولوي أن الوزير فخر الدين علي أرسل إليه سراً ينصحه بترك العاصمة والفرار منها.

(٣) تحديداً يوم ١٣ أغسطس (آب) ١٢٦١م، رمضان ٦٥٩هـ، انظر : Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. P. 279.

(٤) وهما (توكلك بخشي) و (بهاء الدين شاهنشاه).

(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٣٨، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٠.

(٦) عسكر المغول في قرية "قرابوك" بمنطقة آقشهر، فيما عسكر السلطان قلج أرسلان الرابع وجيشه في قرية "ألتونتاش". ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٠.

(٧) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٦ أ.

(٨) اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص١١٤، الذهبي: تاريخ الإسلام، الطبقة ٦٦، ص٧٨، وجعلا تاريخ المعركة المذكورة في شهر رمضان سنة ٦٥٩ هـ.

لكن انصار السلطان المنهزم، حاولوا مقاومة المحتلين، ومهاجمتهم بين الحين والآخر، من ذلك الغارة الليلية التي قادها علي بهادر - وهو من قادة كيكاوس الثاني - لكنه ظل طريقه، ووقع في كمين لأعدائه ففتكوا بكثير من أصحابه، واستطاع هو النجاة، والتجأ إلى الأوج[1].

ولما كانت العداوة على أشدها، بين الدولة الإيلخانية في بلاد فارس وتوابعها وبين دولة المماليك في مصر والشام، رغب السلطان الظاهر بيبرس[2] في استغلال الموقف لصالحه، فبعث رسلاً إلى كيكاوس الثاني في أنطالية، يعرض عليه المساعدة، لكن الأخير تردد في قبول العرض، وطلب مهلة للتفكير، مع وعد بالقبول إذا شعر باقتراب الخطر المغولي منه[3].

ويبدو أنه خشي من الارتماء في أحضان المماليك فيفقد ما بقي له من دولته وربما كان يأمل في كسب الجولة القادمة من الحرب، خاصة وأنه معتاد على التقلب بين النصر والهزيمة في ثنايا هذا الصراع الطويل مع أخيه وحلفائه المغول.

وتغيّر موقف كيكاوس الثاني، من عرض الظاهر بيبرس، عندما ظهر له تصميم المغول على ملاحقته، فبعث رسلاً إلى القاهرة، يطلبون المساعدة، مع عرض بالتنازل عن نصف مملكته للسلطان المملوكي[4].ومنح الأراضي

---

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٦ أ، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٣٧-٦٣٨، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٠.

(٢) الملك الظاهر، أبو الفتوح، بيبرس بويع سلطاناً بعد مقتل السلطان المظفر قطز، سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م. وأخباره كثيرة، وجمع كل من ابن شداد، و ابن عبد الظاهر، سيرته في مصنفين مستقلين، وهما من مصادر هذا البحث.

(٣) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص١٢٦-١٢٨، اليونيني: المصدر السابق، ج٢ ص١٦٠، وانظر أيضاً: منى إبراهيم عبد الرحمن: السفارات الاجنبية في مصر على عهد سلاطين المماليك. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ص٢٨.

(٤) ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م) مفرج الكروب في اخبار بني أيوب، الجزء السادس (تاريخ الواصلين) مخطوطة، مصورة بدار الكتب المصرية برقم ٥٣١٩، عن نسخة باريس، ورقة ٤٠١أ-ب ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص١٢٥-١٢٨؛ بيبرس المنصوري : مختار الأخبار، ص٢٠ ؛ منى ابراهيم: المرجع السابق، ص٢٨.

واقطاعها للأتباع، استخدمها الأخوان (كيكاوس الثاني وقلج أرسلان الرابع) إبّان الصراع المرير الذي دار بينهما[1].

من جانبه، رحب الظاهر بيبرس بعرض كيكاوس، وسارت بأمره كتيبة من عسكره، قوامها ثلاثمئة مقاتل[2] من حلب، قاصدةً آسيا الصغرى، وتولى قيادتها الأمير ناصر الدين أغلمش[3]، ومعه منشور[4] من السلطان بيبرس باقطاعه آمد وأعمالها[5] والملفت للنظر أن آمد وأعمالها - حسب التقسيم - جزء من مملكة قلج أرسلان الرابع وليست من مملكة كيكاوس الثاني، ويبدو أن كيكاوس كان يأمل في اعادة توحيد دولة سلاجقة الروم تحت حكمه من جديد، ولا يجد بأساً من التنازل عن بعضها في سبيل تحقيق هذا الهدف.

هذا ولم تتح الفرصة للعساكر المملوكية للتورط في الحرب الأهلية بين سلاجقة الروم، إذ طلب كيكاوس الثاني من الظاهر بيبرس وقف تقدمها، بحجة أن قواته حققت النصر على الأعداء، وبدأت حصار العاصمة قونية، وأن المغول وحلفاءهم اصيبوا بالذعر عند سماعهم بالعساكر المملوكية فاتكفؤا إلى داخل البلاد.[6] ويبدو أن الشكوك لازالت تساور كيكاوس الثاني تجاه المساعدة المملوكية، ومن غير المستبعد أن يكون تعرض لخدعة مغولية جعلته يشعر أن قدوم الكتيبة المملوكية لا لزوم لها.

(1) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey , P. 329.

(٢) وفي عقد الجمان أنّ قائدهم (ناصر الدين أغلمش) منح اقطاع ثلاثمئة فارس في بلاد الروم ج١، ص٣٣٤.

(٣) أغلمش Ogulmush ، وورد أيضاً: أعلمش، وأعلمس.

(٤) منشور، والجمع مناشير: ويقصد به الأمر السلطاني المكتوب للأمير أو قائد الجند، المتضمن رَزقه-أو رزق جنوده-من ديوان الاقطاع. ويختلف باختلاف مرتبة الشخص الصادر إليه. وهو محدث في العهد الأيوبي، واستمر في عصر المماليك. ويقابله في العصر العثماني "فرمان" ابن كنان: المصدر السابق، ص٥٨ ؛ الخطيب: المرجع السابق، ص٤١١.

(٥) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٦، ورقة ٤٠١ أ ب ؛ ابن عبد الظاهر الروض الزاهر ص١٢٥-١٢٨؛ بيبرس المنصوري: مختار الأخبار، ص٢١ ؛ منى ابراهيم: المرجع السابق، ص٢٨.

(٦) ابن واصل: المصدر السابق، ج٦، ورقة ٤٠١أ؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ص١٢٨ ؛ بيبرس المنصوري: مختار الأخبار، ص٢١. النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٥٧.

فيما ذكرت بعض الروايات أن المماليك لم يوقفوا تقدمهم باتجاه الأناضول إلا بعد سماعهم بخبر انهزام كيكاوس الثاني واللجوء إلى القسطنطينية[١].ولحق به قائده "علي بهادر" الذي كان قبل لحاقه بالقسطنطينية، قد جمع حشداً كبيراً من الأنصار جلهم من التركمان، وزحفوا على قونية لمحاصرتها، وكان جمعُه يزداد كلما توغل في الأناضول، وبالقرب من العاصمة، وفي مكان يقال له "كاروانسراي ألتونبه"[٢] التقوا بقوات السلطان قلج أرسلان الرابع، بقيادة معين الدين بروانه، ومعه بعض المغول، فانهزم علي بهادر وجموعه، وتفرقوا ؛ بين قتيل وأسير وهائم على وجهه، وتفقد القائد المغولي " أليناق " الأسرى وأجهز على كبرائهم، ومنهم المستوفي السابق، نجيب الدين دليخاني[٣].

وكان من ضحايا هذا الصراع أيضاً البكلر بكي ياوطاش[٤] الذي أسهم بشكل مؤثر، في حوادث الصراع السابقة بين ابني غياث الدين كيخسرو الثاني.

وكانت تلك المحاولة الأخيرة لكيكاوس الثاني وأعوانه لاستعادة السلطة المفقودة.إذ تفرد قلج أرسلان الرابع بحكم دولة سلاجقة الروم، لكنه وقع تحت تأثير وزيره " بروانه معين الدين " الذي أصبح الحاكم الفعلي للبلاد، ولمدة تزيد على خمسة عشر عاماً، مما حدا ببعض المؤرخين والباحثين بتسميته "عصر بروانه"[٥].

---

(١) بيبرس المنصوري: زبدة الفكر، ج٩، ص٩٢.

(٢) وهو خان أنشأه الأمير ألتونبه، وعنه انظر ما يلي، الفصل الخامس، ص من هذا البحث.

(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٧أ ؛ ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٤٢ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٢ ٣٦٣. وقد أورد أسماء أمراء أسرى، لاقوا المصير نفسه، منهم: قاضي العسكر جلال الدين سفر بحصارى ؛ واستاذ الدار، ولم يسمه.

(٤) اليونيني: المصدر السابق، ج٢ ص١٦٠.

(٥) عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة، ص٢٩.

٧- استفادة الأطراف الخارجية من النزاع بين السلاجقة:

جدير بنا قبل اسدال الستار على هذا المبحث، الوقوف على نتائج الصراع المرير بين أركان الحكم في دولة سلاجقة الروم (بين الوزراء ثم بين السلاطين) ودور القوى الخارجية المجاورة فيه.

من نافلة القول أنّ المغول هم المستفيد الأكبر مما جرى، حيث توفرت لهم فرصة عظيمة للتدخل في الشئون الداخلية للدولة السلجوقية، واستطاعوا - بمساعدة حليفهم قلج أرسلان الرابع - السيطرة على معظم مناطق دولة سلاجقة الروم عدى الأطراف البعيدة خاصة في الشمال الغربي وهي مناطق لم تكن حتى دائمة الخضوع للسلاطين السلاجقة[1].

كما أصبح لهم - المغول - اتصال بقوى خارجية بسبب سيطرتهم على آسيا الصغرى، كالدولة البيزنطية والصليبيين في انطاكية[2] والأرمن في مملكة أرمينية الصغرى، و طرابزون، اضافة إلى جعل آسيا الصغرى حَلَبةً لصراع مرير بين ايلخانات فارس من جهة، ودولة المماليك ومغول القبيلة الذهبية من جهة أخرى.

واستفاد المغول أيضاً من الصراع بين السلاجقة في تكريس الفرقة بينهم، وتشتيت قوتهم حتى يضمنوا عدم اتفاقهم على مقاومتهم، واثارة القلاقل في وجوههم.

وممّن جنى نتائج هذه الحرب الأهلية بين سلاجقة الروم **مملكة أرمينية الصغرى**، فقد رأينا في بداية هذا المبحث كيف هاجمت جيوش غياث الدين كيخسر والثاني أجزاء من مملكة الأرمن في قيليقية[3].انتقاماً منهم لموقفهم

---

(١) عثمان توران: المرجع نفسه، ص٢٨.

(٢) أنطاكية: بالفتح ثم السكون، والياء مخففة، قصبة العواصم من الثغور الشامية وهي من أعيان البلاد وأمهاتها، بينها وبين حلب مسيرة يوم وليلة. ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٢٢٦-٢٧٠.

(٣) قليقية أو كيليكيا "CILICIA" منطقة يحدها شرقاً جبال آمانونس، وشمالاً وغرباً جبال طوروس، وجنوباً البحر المتوسط ويمتد ساحلها عليه من طرسوس إلى جنوبي اسكندرونه، وتبلغ مساحتها

في موقعة كوسه داغ، وما أعقبها من حوادث.وتوقف تلك الهجمات، بسبب مرض السلطان ثم وفاته (١).

فاستغل الأرمن الفرصة، واستعادوا كل ما فقدوه على أيدي السلاجقة مؤخراً وسلك ملكهم هيثوم الأول سياسة المهادنة، بل التبعية تجاه المغول، ونجح في تحقيق مكاسب"آنية" لكن حوادث المستقبل كشفت له أنه " راهن على جواد خاسر"(٢) إذ أصبح عرضةً لهجمات المماليك المدمرة، الذين استباحوا حماه، واجتاحوا أراضي مملكته أكثر من مرة، إبان مواجهتهم للمغول الإيلخانيين.(٣)

وكان هيثوم الأول أول ملك أجنبي، يفد إلى قراقورم بنفسه معلناً تبعيته للدولة المغولية(٤) لكنه مهد لزيارته هذه، بسفارة بعثها إلى منغوليا سنة٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م، برئاسة شقيقه الكند سطبل سمباد(٥). وحضر اعضاؤها احتفالات

---

٤٠. ٠٠٠كم٢، بطول ٤٠٠كم من الشرق إلى الغرب، ويعرض ١٠٠كم من الشمال إلى الجنوب. ومن مدنها: طرسوس، ومرسين، وآياس AIAS، ومرعش، وعينتاب، وزيتون، وعاصمتها سيس. وتعرف أيضاً باسم أرمينية الصغرى، تمييزاً لها عن أرمينية الكبرى، وقد هاجر إليها الأرمن وأقاموا لهم فيها دولة. مروان المدور: المرجع السابق، ص٢٢٣ ٢٢٤.

(١) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٢) عادل هلال: المرجع السابق، ص١٧٣.

(٣) عن الصراع بين دولتي المماليك وايلخانات فارس , انظر ما يلي من هذا البحث.

(٤) محمود عمران: المرجع السابق، ص ٢٣٣-٢٣٤.

(٥) سمباد SEMBAD وسمباط، وهو شقيق الملك هيثوم الأول. كان يشغل وظيفة "الكند سطبل" COMES STABULI CONNETABLE" وهي وظيفة أمير آخور في المصادر الاسلامية (انظر التعريف بها في ص، حاشية، من هذا البحث) لكن الأرمن أطلقوا هذا المصطلح فيما بعد على " أمير الجيوش " انظر: ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص٤٤٨، حاشية (٢) ؛ فايز اسكندر: مملكة أرمينية الصغرى بين الصليبيين ودولة المماليك ١٢٥٠-١٣٧٥م/ ٦٤٨-٦٧٦هـ رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الأداب، جامعة الاسكندرية ١٩٨٠م، ص٨٢-٨٣.

(٥) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٩ ؛ رنسيمان: المرجع السابق ج٣، ص٣٤٩-٣٥١؛ سعيد عاشور: سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى، ص٢٤٣-٢٤٤ علاء محمود قداوي: تحالف ملوك أرمينية الصغرى وأنطاكية الصليبية مع المغول لاحتلال بلاد الشام وتصدي المماليك لهم "٦٤٤- ٧٢٣ هـ/ ١٢٤٦-١٣٢٣م " بحث منشور في مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة العدد ١٠ ربيع ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. ص١٥١-١٧٠.

تتويج كيكوك قاآناً للمغول وحصلوا منه على ضمان باستمرار هيثوم الأول ملكاً على بلاده، والإذن له باستعادة ما أخذه سلاجقة الروم من قلاع وحصون أرمنية[1].

ولعل من المفارقات هنا أن قلج أرسلان الرابع كان حاضراً في الحفل المذكور نفسه وهو مندوب عن أخيه السلطان عز الدين كيكاوس الثاني لكن الزعيم المغولي كيوك خان[٦] أسند السلطة لقلج أرسلان بعد انتزاعها من أخيه كيكاوس الثاني، بينما لم يفعل الشيء نفسه مع الأمير الأرمني سمباد، بل حقق مطالبة في اقرار أخيه هيثوم الأول على مملكته وكأن الزعيم المغولي يريد اشعال الفتنة بين سلاجقة الروم لتمزيق وحدتهم، وبالتالي اضعافهم، وفرض السيطرة التامة عليهم.

ومهما يكن من أمر فإن بعثة سمباد الأرمنية عادت بعد ثلاث سنوات إلى قليقية، واستبشر بها هيثوم الأول، وسعى للاستفادة منها، لكن وفاة كيوك خان حالت دون تنفيذه لبعض خططه في استعادة ما فقد من قلاع[٢]، بل جعلته عرضة لغارات سلب ونهب من قبل عساكر المغول في آسيا الصغرى[٣].

لكن ما حققته بعثة سمباد من نجاح شجع هيثوم للمسير بنفسه، إلى قراقورم في سنة ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م، واضطُر إلى انتحال شخصية مملوك يخدم تاجراً لعبور دولة سلاجقة الروم، وكاد يُفتضح أمره في مدينة أرزنجان، لكن كتبت له السلامة حتى عبر حدود سلاجقة الروم فأفصح عن نفسه[٤].

---

(٦) وقد عرف عن كيوك خان الجبروت حتى أن " القادمون من البلاد البعيدة يتهيبون لقائه ويتمنون أن يعودوا من حيث أتوا من غير أن يلقوه". الجويني: تاريخ جهنكشاي، ص ٢٣٧.

(٢) رنسيمان: المرجع السابق، ج٣، ص٣٤٩-٣٥١.

(٣) عادل هلال: المرجع السابق، ص٩٧.

(٤) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٥٩-٤٦٠، ٤٦٢، وقد روى الحادثة عن الملك الأرمني نفسه، وينعته بالملك حاتم.

وفي قراقورم، استقبل القاآن الجديد منكو ضيفه الأرمني استقبالاً ودياً[1].وأكد له مساعدته في تحقيق ما سبق أن منحه إياه سلفه كيوك قاآن.وزاد عليه بأن جعله مستشاره في شئون نصارى غربي آسيا[2].

وتذكر الروايات الأرمنية أن هيثوم رفع للقاآن قائمة بسبعة مطالب، من بينها استعادة ما أُخذ من دولته من مناطق، فوعده القاآن بتحقيقها [3].

واستغل التكفور هيثوم، دخول بايجو نوين لبلاد سلاجقة الروم للمرة الثانية، فانضم إلى جيشه، ليضمن سلامته ويقال أنه شهد معه حربه ضد أنصار كيكاوس الثاني[4]وفور وصوله عاصمة ملكه، شرع هيثوم في استعادة ما زعم أنها أراضي من مملكته سلخت منها بالقوة[5].وجُلّ ما استعاده من سلاجقة الروم، قلاع حدودية كان هؤلاء قد استولوا عليها من الأمير الأرمني كوخ باسيل[6]وفي النهاية اضطر حاكم لامبرون الأرمني إلى اللجوء لسلاجقة الروم.[7]

وبقي ملك أرمينية الصغرى مطمئن الجانب خاصة من جهة سلاجقة الروم ولم يترك مناسبة إلاّ وأظهر فيها انحيازه وتبعيته للمغول، وبعد احتلال هولاكو حلب، خفّ للقائه هيثوم الأول، وأكد له الإيلخان، حرصه على وحدة مملكته وزاد عليه بأن اصدر أمره إلى تابعيه من سلاجقة الروم، باعادة ما سبق أن أخذه السلطان كيخسروالثاني من قلاع أرمنية[8].

---

(١) رنسيمان: المرجع السابق، ج٣، ص ٣٤٩-٣٥١.

(٢) رنسيمان: المرجع السابق، ج٣، ص٣٤٩-٣٥١؛ العريني: المرجع السابق، ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٣) مروان المدور: المرجع السابق، ص ٢٣٦ ؛ M. Cbem: Three Italian trevellers. Moscow ,1968. p. 20.

(4) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey , P. 271.

(٥) الصياد: المغول، ص ٢٩١ ؛ العريني: المغول، ص١٩٩ ٢٠٠. cahen:preofottoaman. p. 271

(٦) محمود عمران: المرجع السابق ص٢٧٤.

(7) Cahen :Op. Cit. p. 271.

(٨) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص ٣٦٠ ؛ محمود عمران: المرجع السابق، ص٢٣٤ ٢٣٥.

ومن الملاحظ أن الملك الأرمني ما انفك يتوسل إلى زعماء المغول لمساعدته في استعادة ما يزعم أنها قلاع وحصون من مملكته، سلبها جيرانه سلاجقة الروم منه إبان قوتهم[١].

وبعد مشاركته مع الايلخان هولاكو، عاد هيثوم الأول إلى مملكة أرمينية الصغرى، ولخشيته من ايقاع قلج أرسلان الرابع به، اصطحب معه فرقة من جيش المغول، ورغم أن السلطان السلجوقي كان يضمر له شراً، إلا أن خوفه من هولاكو أجبره على التظاهر بحسن الإستقبال للملك الأرمني بل وحتى عقد التحالف معه على أي عدو خارجي[٢].ولم يرَ السلطان السلجوقي في ذلك ضيراً طالما أن الاثنين خاضعان لسلطة واحدة هي سلطة الايلخان هولاكو.

ورغم هذا التحالف الهش، لم يتردد هيثوم الأول في خوض معركة مع التركمان " القرمانيين[٣] الذين أغاروا على حدود أرمينية الصغرى سنة ٦٥٧ ـ ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، وحَضّوُا بدعم من قلج أرسلان الرابع، بعد انفراده بالملك وفرار أخيه كيكاوس الثاني إلى القسطنطينية، وكسب الأرمن هذه المعركة، وأبعدوا خطر التركمان عن مملكتهم[٤].

ولابد من الاشارة إلى أن أسقفاً[٥] أرمنياً يدعى "مرحسيا"[١] ويقطن في أرزنجان علا شأنه في هذه الفترة، ووصل إلى أن أصبح مستشاراً لقاآنات المغول

---

(١) العمري: المصطلح الشريف، ص٥٥ ٥٦ ؛ فايز اسكندر: مملكة أرمينية الصغرى بين الصليبيين ودولة المماليك الأولى، ص١١٧.

(٢) ابن عبد الظاهر: الرو الزاهر، ص ١٩١-١٩٢ ؛ النويري نهاية الأرب، ج٣٠، ص ٢٥٩-٢٦١؛ العيني: عقد الجمان، ج١.

(٣) عن القرمانيين انظر المبحث الخاص بالإمارات التركمانية، في هذا البحث ؛ اليونيني: المصدر السابق، ج١ ص٤٦١-٤٦٩ ؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، الطبقة ٦٦، ص٤٠٠-٤٠١.

(٤) محمود عمران: المرجع السابق، ص ٢٣٤ـ٢٣٥ ؛وانظر العريني: المرجع السابق، ص ٢٣٨.

(٥) الأسقف: بضم الألف، وسكون السين، وقاف مضمومة، ثم فاء مشددة، وقد تخفف مرتبة دينية عند النصارى، شاغلها من الرؤساء عندهم، وهي أعلى من القسيس وأدنى من المطران، تجمع على أساقفة وأساقف. المعجم الوسيط مادة: سقف.

في العاصمة قراقورم، وكاد يقتطع أرزنجان من دولة سلاجقة الروم، لولا أن جهوده في هذا المجال اصطدمت بمعارضة ايلخانات فارس[٢].

ومن القوى الخارجية المجاورة، التي استفادت من الضعف الذي حاق بدولة سلاجقة الروم خلال هذه الفترة المماليك الأيوبية في بلاد الشام والجزيرة.وسبقت الإشارة إلى علاقة المصاهرة بين علاء الدين كيقباذ الأول، وأبناء السلطان العادل الأيوبي[٣] وقد تكرر حدوث هذه المصاهرة، بين الأسرتين، قبل دخول المغول إلى آسيا الصغرى، وسيطرتهم على دولة سلاجقة الروم، إذ تزوج غياث الدين كيخسرو الثاني ابنه الملك العزيز[٤] الايوبي صاحب حلب.وفي الوقت نفسه عُقد قران الملك الناصر[٥] بن العزيز صاحب الشام على "ملكة خاتون" بنت علاء الدين كيقباذ الأول سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م[٦].

(١) ورد الاسم: مَرْخسياً ومرخسيا، ومركيس، وسرجيس، وسركيس. انظر ابن العبري تاريخ مختصر الدول، ص١٧٠ ؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفلكرة، ج٩، ص٨٩ ؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص١١٤ ؛ العيني: عقد الجمان، ج١، ص٣١٩

(2) cahen: Pre Of Ottoman Turkey. p. 327.

(٣) انظر ما سبق، ص من هذا البحث.

(٤) الملك العزيز، غياث الدين محمد بن الملك الظاهر غازي ابن السلطان الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي. ولد في حلب، أواخر سنة ٦١٠ هـ/ ١٢١٣م، خلف والده على عرش حلب سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م، تحت الوصاية، واستقل بالحاكم سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م، واستمر حتى وافته منيته سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م. ابن العديم: زبدة الحلب، ج٣، ص ١٧٥ ٢٢٠.

(٥) السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي، صاحب حلب، ثم صاحب الشام كلها، خلف أباه على عرش حلب سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م، واستقل بالملك سنة ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م ولما وصلت أنباء كسرة المغول في عين جالوت غضب عليه هولاكو، وأمر بقتله فقتل سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل، أبو شامة المقدسي ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م) تراجم رجال القرنين السادس والسابع " المعروف بذيل الروضتين " تصحيح: محمد زاهد الكوثري، مراجعة السيد عزت العطار الحسيني، دار الجيل، بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٤م، ص٢١٢. ٠١

(٦) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

وزفت العروس السلجوقية إلى زوجها سنة ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م، وخرج الأمراء وقادة الجيش وكبار رجال الدولة وعامة الناس لاستقبال موكبها خارج دمشق "وكان يوماً مشهوداً"[١].

وبعد عام من ذلك، أنجبت ابنها الأمير علاء الدين بن الناصر والذي قتل صبراً مع والده وأخيه على أيدي المغول سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م.[٢]

ورغم وجود صلة المصاهرة تلك بين الأيوبيين والسلاجقة إلا أن المصالح تلعب دورها في تحديد نوع العلاقة بين الدول فعندما شعر الملك الأيوبي الكامل[٣] صاحب ميافارقين بضعف قبضة سلاجقة الروم على مدينة آمد، خشي من سقوطها بأيدي آخرين ولقربها من مملكته وما تتمتع به من حصانة وثروة سارع بانتزاعها من نواب سلاجقة الروم وضمها إلى مملكته سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م[٤] وبقيت بيده حتى أسرة المغول سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، وكان مما نقمه عليه هولاكو عدم تنفيذه لأمره باعادة هذه المدينة إلى اصحابها الأول[٥]، ورأينا كيف اعادها بعد ذلك هولاكو إلى تابعه قلج أرسلان الرابع.[٦]

(١) ابن حبيب: درة الأسلاك، ج١، ورقة ٥ ب ؛ سبط ابن الجوزي: المصدر السابق، ج٨ ص٧٩١ ؛ ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص٤٢، ٥٠.

(٢) اليونيني: المصدر السابق، ج١، ص٤٦٢، ج٢، ص١٤٠، الذهبي: تاريخ الاسلام، الطبقة ٦٦، ص١٦

(٣) الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك المظفر شهاب الدين غازي بن السلطان العادل أبو بكر ابن أيوب، صاحب ميافارقين، تملكها بعد أبيه سنة ٦٤٥هـ/ ١٢٧٤م داهن المغول في بداية الأمر، ثم جاهدهم جهاداً كبيراً فحاصروه في قلعة ميافلاقين مدة عشرين شهراً، وكان يخرج إليهم وينال منهم، وطال الحصار، وضربت المجاعة والأوبئة ميافارقين فمات ألوف من الناس، ونجح المغول في اقتحام البلد والقلعة بمكيدة ويقال لم يجدوا فيها مع الملك الكامل إلا نحو سبعين نفساً، فأسروه وعذبوه، ثم قتلوه شهيداً، وطافوا برأسه في عدة بلاد، منها دمشق، وكان ملكاً ديناً، لم يكن في أهل بيته من يضاهيه في الدين وحسن الطريقة مع الشجاعة والاقدام، وشدة اليأس وقوة النفس. رفض الاذعان للمغول حتى بعد أن اسروا أبناءه و نساءه، وجاؤا بهم تحت أسوار القلعة ليناشدوه الاستسلام. أبو شامة: ذيل الروضتين، ص٢٠٥؛ اليونيني: المصدر السابق ج١ ص٤٣٠ ٤٣٢ الذهب: تاريخ الاسلام الطبقة ٦٦، ص٣٦٦-٣٦٨.

(٤) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص٢٤٢، عماد الدين خليل: المرجع السابق ص١٩٥.

(٥) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج٣، ق٢ ص٥٠٥.

(٦) انظر ما سبق ص

ومن الأدلة الواضحة على ضعف دولة سلاجقة الروم، بسبب السيطرة المغولية وماتلاها من فوضى واضطراب، التغير في موازين القوى، فبعد أن كانت بعض القوى المجاورة لسلاجقة الروم، تعلن ولاءها لهم [1] نراها بعد ذلك تتنصل من تبعيتها، بل وتقتطع ما يليها من أجزاء من الدولة السلجوقية إذا واتتها فرصة مناسبة.

ومن تلك القوى المجاورة **الأيوبيون في بلاد الشام**، إذ سبق لملوك حلب الخطبة والدعاء للسلطان كيخسرو الثاني على منابر مملكتهم إبان الحرب الأهلية بين الأيوبيين في بلاد الشام.[2]

لكن بعد أن ابتلي سلاجقة الروم بالاحتلال المغولي، وبعد الخلاف بين أبناء غياث الدين كيخسرو الثاني، انقلبت الموازين، فأصبح سلاجقة الروم يستنجدون بالأيوبيين لمؤازرتهم، ولم يتردد كيكاوس الثاني في اعلان تبعيته للناصر الأيوبي في الشام، وذلك عندما جاءته رسل بايجو نوين سنة ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م، تطالبه بدفع مبلغ مئتي ألف دينار، ويبدو أنها جزء من الضريبة المفروضة على دولته من قبل المغول، وهي في الوقت نفسه مثل للابتزاز الذي مارسه بايجو وغيره من القادة المغول علي سلاجقة الروم.فما كان من كيكاوس الثاني إلاّ أنْ أحال رسل بايجو على الملك الناصر بحجة أنه أكبر ملوك المسلمين في المنطقة، والجميع - بما فيهم سلاجقة الروم - يأتمرون بأمره، وتوجه رسل المغول فعلاً إلى الشام، والتقوا هناك بالمؤرخ ابن شداد[3] وهو يشغل

(١) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٢) عن الحروب الأهلية بين الأيوبين، انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج٣، ص١٨، ومابعدها، ج٥ ص١٢٣ ومابعدها، علي الغامدي: بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، ص١١٧ ١٧٣.

(٣) عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم بن شداد الأنصاري الحلبي: مؤرخ جغرافي، ولد بحلب سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٧م، وخرج منها إلى مصر بعد غزو المغول لها سنة ٦٥٨هـ ١٢٦٠م، وعاش فيها بقية عمره حتى وافاه الأجل في صفر سنة ٦٨٤هـ/ نيسان/ ابريل ١٢٨٥م. من مؤلفاته: "الأعلاق الخطيرة" و "سيرة الملك الظاهر" المعروف بتاريخ الملك الظاهر، انظر مقدمة المحقق، ص١٠ــ ١٨. وكلاهما من مصادر هذا البحث.

وظيفة رسمية في الدولة الأيوبية[1] وأكد لهم صدق ما ذهب إليه كيكاوس الثاني من تبعيته للأيوبيين، كما رفض اعطاءهم ما جاؤا من أجله من مال[2].

وكان لقبائل التركمان، دورهم الذي مارسوه في هذه الفترة، ورغم أن بعضهم محسوبون من أنصار كيكاوس الثاني، وكانوا عماد عساكره التي خاض بها معاركه المشار إليها آنفاً ـ سواءً ضد أعدائه المغول، أو خصومه من سلاجقة الروم، فإنه اضطر إلى معاقبة طوائف منهم، لتحجيم قوتهم، أو ضم مناطقهم، أو دفع أذاهم عن الناس، ومن ذلك قضاءه المبرم على اسرة منكوجك[3] وضم أملاكها إلى دولته نهائياً سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م[4] بمنطقة ديوركي[5]، وسبقت الإشارة إلى الأغاجريين، ووقوف كيكاوس الثاني في وجوههم بقوة، حيث أرسل لحربهم جيشاً بقيادة " علي بهادر" فأظهر في هذه الحملة شجاعته، وصرامته، وخلص الناس من أذى تلك الطائفة، حيث كانوا يفسدون في الأرض، ويقتلون الرجال، ويسبون الذراري، فتمكن علي بهادر

---

(١) تاريخ الملك الظاهر، مقدمة المحقق، ص١٠-١٨.

(٢) الأعلاق الخطيرة ج٣، ق١، ص٢٤٢؛ وانظر أيضاً: عماد الدين خليل: المرجع السابق ص١٩٥.

(٣) تنسب هذه الأسرة إلى " منكوجك "ManguGek وهو أحد قادة السلاجقة الذين توغلوا في الأناضول بعد موقعة ملاذكرد سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م، ونجح في تأسيس دولة، تعاقب أبناؤه عليها من بعده، وانقسموا إلى فرعين: الأول حكم أرزنجان وماحولها منذ سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٧١م حتى انتزعها منهم السلطان علاء الدين كيقباذ الأول سنة ٦٢٥هـ /١٢٢٨م، والثاني (وهو الوارد في المتن) حكم ديوركي حتى انتزعها منهم كيكاوس الثاني- ولا يعرف الكثير عن حكم هذه الأسرة انظر :
Von Berchem, Gorpus. Inscriptionum arahi icarum , III Partie 1 Fasc Siwaset Diurigi par Van Bercham et Halil Edhem, memoire de 1,institut. Franc caisdu Caire, Tome XXIX, 1910, Houtsma :La Dynastie des Benu ManguGek , Rcvueorient. 1901. p. 277 ss, Amed Tevhid: Muze-i Humayun. Meskukat Kadim. s. 456.
زامباور: المرجع السابق، ص٢٢٠؛ لين بول: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، ص٣٣٠ ، ٣٣١.

(٤) لين بول: تاريخ الدول الإسلامية، ص ٣٣١.

(٥) ديوركي، ودفريكي، وسماها الرومان: تفريكل Tephrike، واليونانيون: أفريك رس‌سمزتا والعرب: ابريق. أو الأبروق: قلعة حصينة ببلاد الروم، على ضفة ابريق (واسمه الحالي جلته ايرمق) أحد روافد نهر الفرات. ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٧١؛ لسترنج: المرجع السابق، ص١٥١ ، ١٥٢.

من هزيمتهم وأسر زعيمهم[1] و تكبيله، واحتجازه في قلعة المنشار[2] فأمن الناس، و"انفتحت السبل، وامتار الناس الطعام وفرج الله عنهم غمهم قليلاً[3]".

وحتى عندما انفرد قلج أرسلان الرابع بالعرش، ولجأ أخوه كيكاوس الثاني إلى القسطنطينية رفض كثير من التركمان الاعتراف بسلطته، ولا سيما القاطنون منهم في الأوج[4] واضطر آلاف منهم إلى النزوح عن ديارهم ومرافقة حليفهم كيكاوس الثاني، في خروجه الأخير من آسيا الصغرى، ومسيره إلى القسطنطينية، حيث نزلوا منطقة "دبروجة Dabrojja"[5] واستوطنوها مدة من الزمن[6].

ولابد من الاشارة إلى أن كيكاوس الثاني، في أثناء سعيه لحشد الأنصار لمواجهة الأعداء والخصوم، لجأ إلى منح بعض مناطق مملكته لأنصاره التركمان، ولا تزال بعض الوثائق الدالة على ذلك قيد الحفظ[7] و فترة الصراع بين الأخوين، وفرت تربة خصبة للتركمان بذروا فيها بذور

(١) ويدعى جوتي بك أو شوقي بك. انظر ابن العبري تاريخ مختصر الدول، ص٤٦٧ ؛ تاريخ الزمان، ص٣٠٤.

(٢) المنشار: بلفظ المنشار الذي يُشق به الخشب، حصن قريب من الفرات. ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص٢١٠.

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٠٣ - ٣٠٤ ؛ تاريخ مختصر الدول، ص٤٦٧.
وانظر أيضاً: Cahen: Pre Of Ottoman Turkey , p. 278.
حيث ذكر أن تلك الحملة تمت في سنة ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠م.

(٤) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٩١؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٢ ص١٦٠ ؛ العيني: عقد الجمان، ج١، ص٣٢١.

(٥) دبروجة: اقليم جنوب شرقي رومانيا، وشمال شرقي بلغاريا وتقتسم الدولتان السيادة عليه، وهو اقليم زراعي، كان جزءاً من الدولة البيزنطية، ثم من بلغاريا في العصور الوسطى، الموسوعة العربية الميسرة، ج١، ص٧٨٢.

(٦) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص٥٩ - ٦٠ ؛ وانظر
Wittek. P. Y. A: On The christiyan. Turks of the Dobruja. Bsoas "1952" XIV. 3. p. 3. Cambridge, History of Islam , la, p 264.

(٧) العيني: عقد الجمان: ج١، ص ٣٢٠ ؛
Cahen: theThe Mongols And Near East. "Setton". p. 750, Pre Of Ottoman Turkey, p. 309 , 327.

اماراتهم.التي نمت وترعرعت فيما بعد، وخرجت من بين أنقاض دولة سلاجقة الروم بعد انهيارها في آسيا الصغرى.

ولابد من الإشارة هنا إلى حرب وقعت بين الأكراد والكراسلة [١]، إبان الفترة موضع الدراسة، فيها برهان ساطع على عجز السلطة السلجوقية عن فرض سيطرتها على أجزاء البلاد، ومردّ ذلك لانهماكها في الحرب الأهلية الضروس المشار إليها آنفاً.إذ ذكرت المصادر أن أهالي أرزنجان أُجبروا على الجلاء عنها، والاعتصام بالجبال القريبة منها.فراراً من المعارك بين الأكراد والكراسلة، سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م [٢].

ومن القوى التي استفادت من الحرب الأهلية بين سلاجقة الروم أيضاً، مملكة طرابيزون، إذ زحف جيشها، بين عامي (٦٥٢-٦٥٧هـ/ ١٢٥٤-١٢٥٩م) [٣] ١٢٥٤-١٢٥٩م) [٣] وانتزع ميناء سينوب من أيدي السلاجقة [٤] وهم الذين ناضلوا كثيراً من أجل ضمه إلى دولتهم والاحتفاظ به [٥].

(١) الكراسلة، والكراسلية: قبيلة من الأكراد، ذكرهم القلقشندي تحت اسم " الكوسة" ومقرهم جبال شهرزور. انظر: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٧٣ ؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٥٧، حاشية رقم (٢). Enc. Of Islam , Art: "Kurd".

(٢) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٥٨ ؛ العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٦٨

(3) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. p. 230.

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ورقة ٥٨٧أ ؛ ابن بيبي: الأوامر العلائية ص٦٤٣ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٣ ؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٢٤ ؛ Cahen: The Mongols And Near East. " Setton ". p. 726.

(٥) علي الغامدي: النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود، بحث منشور في مجلة المؤرخ المصري، العدد ١٩.

الفصل الثالث

عهد معين الدين سليمان بروانه(٦٦٠-٦٧٦هـ/١٢٦٢- ١٢٧٦م)

الفصل الثالث:

عهد معين الدين سليمان بروانه(٦٦٠ـ٦٧٦هـ/١٢٦٢ـ ١٢٧٦م)

- سياسية السيطرة على الأوضاع الداخلية:

١- قضاؤه على السلطان قلج أرسلان الرابع وتنصيب إبنه كيخسرو الثالث.

٢- محاولته التخلص من الوزير فخر الدين علي.

٣- فتنة إبني الخطير.

- علاقته بالقوي المحيطة (المغول المماليك الأرمن التركمان).

١- علاقته بالمغول.

٢- علاقته بالمماليك والأرمن.

٣- علاقته بالتركمان "الأوج".

- الصدام بين المماليك والمغول في جنوب غرب آسيا الصغرىومعركة الأبلستين ونتائجها على المنطقة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٧م:

١- المناوشات بين المماليك والمغول قبل معركة الأبلستين.

٢- معركة الأبلستين ونتائجها على آسيا الصغرى.

٣- دخول آباقا بن هولاكو بجيشه إلى آسيا الصغرى وما نتج عنه.

٤- مقتل معين الدين بروانه ونتائجه على آسيا الصغرى.

١- سياسية السيطرة على الأوضاع الداخلية:

أ. قضاؤه على السلطان قلج أرسلان الرابع وتنصيب ابنه كيخسرو الثالث خليفة له

ومع بزوغ نجم بروانه، بدأ الصراع بين الاخوين، إلاّ أن مكانته علت منذ اختفاء كيكاوس الثاني عن حلبة الصراع ولجوئه إلى القسطنطينية سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢موكانت سيطرته على مقدرات الدولة واضحة المعالم، حتى سماه البعض "ملك الروم"[١] و "حاكماً على الممالك"[٢].

وانتهج بروانه سياسة داخلية وخارجية دلّت على حرصه الشديد على التفرد بإدارة دولة سلاجقة الروم، مع إظهار الخضوع والتبعية للدولة الإيلخانية، وعدم الابتعاد كثيراً عن دولة المماليك في مصر والشام، والتي تمثل دولة الإسلام العظمى في حينه، فاجتهد في إيجاد توازن بين تلك القوتين المتصارعتين، بما يحفظ له استقلالاً داخلياً قدر الإمكان[٣].

على صعيد السياسة الداخلية، نجح بروانه في التحكم بالسلطان قلج أرسلان الرابع، ومن خلاله سيطر على دولة سلاجقة الروم كلها، مدعوماً بثقة المغول وتأييدهم، إذ خوّله الايلخان هولاكو التصرف في بلاد الروم، وجعله نائباً عنه فيها أسوةً بنواب آخرين، نصّبهم الإيلخان في أقاليم دولته، إثر

(١) كتاب الحوادث، ص٤٣١ ؛ تاريخ ابن خلدون، مج٥، ق٢، ص٣٦٥، مج٥، ق٥، ص١١٨٣.

(٢) اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٣٦٩ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، الطبقة ٦٨، ص٢٢٦ ؛ ابن شاكر (محمد بن شاكر الكتبي، ت ٧٦٤هـ /١٣٦٢م) فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: احسان عباس. دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣م. ج٢، ص٧١ ابن كثير: المصدر السابق، ج ١٤، ص١٢٠؛ ابن العماد الحنبلي (عبد الحي أحمد بن محمد بن العماد، ت١٠٨٩هـ/ ١٧٧٥م) شذرات الذهب في أخبارا من ذهب، بيروت (د. ت) ج٥، ص١٣١٢.

(3) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. p. 280.

عودته من قراقورم خالي الوفاض، سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٣، وكان راوده أمل انتخابه قاآناً لكل المغول خلفاً لأخيه منكو[١].

وإمعاناً في تشديد قبضته على أجزاء دولة سلاجقة الروم، أخذ بروانه بعض المناطق والقلاع إقطاعاً خاصاً له، فاختار المناطق المتميزة، إما بالحصانه مثل: توقات وكوغونيةKoghonia [٢] التي جعلها مخزناً لأمواله وذخائره ويشرف عليها والٍ من قبله[٣]وما أطلق عليه بلاد الدانشمنديين[٤]وإما موانئ بحرية، تتمتع بالحصانة، ونشاط الحركة التجارية، مثل: سينوب بعد استعادتها من حاكم طرابيزون.

وأسند حكم بعض المناطق لأتباعه المخلصين، فابنه مهذب الدين علي[٥] كان ينوب عنه في إدارة شئون الدولة في فترات غيابه عنها[١] وفي وقت لاحق تولى الإشراف على إقليم قصطمونية[٢].

---

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٣٣٦ ؛ العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٧٩-٢٨٠، ج٢ ص١٦٥ ؛ عباس: اقبال: المرجع السابق ص١٢٣.

(٢) كوغونية، و كوغونيا وتكتب أيضاً: كوغرينا، و " كوعريا" مهملة بلا نقط وهي قلعة حصينة إلى الشرق من قونية، وتعرف الأن باسم قراحصار الشرقية لسترنج: المرجع السابق، ص١٨١ ؛ لين بول: المرجع السابق، ج١، ص٣٣٠.

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٨٣ ؛ ابن أبي الفضائل: المصدر السابق، ص٥٩

(٤) الدانشمنديون: نسبة إلى الأمير طايلو التركماني المعروف بدانشمند (يعني معلم الصبيان) وقد انضم هذا الأمير مع قبيلته من التركمان إلى السلطان السلجوقي آلب أرسلان (٤٥٥هـ/٤٦٥/ ١٠٦٣ ـ١٠٧٢م)، حيث كلفه بعد معركة ملاذكرو الشهيرة. بفتح مناطق في الأناضول منها: سيواس وتوقات ونكسار وأبلستين وملطية، وتعهد له بعدم تعرض أحد من أبنائه أبناء السلطان-لما يضمه دانشمند من مناطق ينتزعها من الروم. وأقام أبناء دانشمند امارات لهم في سيواس، وملطية وانتزعها منهم فيما بعد سلاجقة الروم، وأخذت البلاد التي حكموها اسمهم، وعرفت ببلاد ابن دانشمند، أو الدانشمنديين. انظر: المولوي: صحائف الأخبار، ورقة ٥٩٤ أو ما بعدها ؛ علي محمد الغامدي: المجاهد المسلم كمشتكين بن دانشمند ؛ علي صالح المحيميد: الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(٥) الرئيس مهذب الدين علي بن بروانه معين الدين سليمان بن مهذب الدين علي كان ينوب عن والده في بلاد الروم، ولما وقعت معركة الأبلستين ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م، أخذه السلطان الظاهر بيبرس معه إلى مصر مع أمراء آخرين من بلاد الروم وصار من أمراء الدولة في مصر. وترقى بها حتى تولى نيابة دار العدل، وجلس بها والقضاة بين يديه، فأمضى الاحكام، وكان حسن الخط جداً، عارفاً بالأحكام، محباً للعدل. وتوفي بمصر سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م ابن حجر (شيخ الإسلام شهاب

وعلى الساحل الجنوبي اختار أحد أنصاره المخلصين وهو بدر الدين (وقيل بهاء الدين) محمد، لإدارة شئون أنطالية[٣]. وعينه ملكاً للسواحل[٤]، ونجح في تثبيت سلطة الدولة هناك، بل استطاع من مركزه - أنطالية - فرض سيطرة الدولة، على الأقاليم البحرية الجنوبية كلها[٥]. وخلفه في منصبه هذا بعد رحيله، خال بروانه وهو: الخواجا سعد الدين يونس بن سعد الدين المستوفي[٦]. ويبدو جلياً أهمية سيطرة بروانه المباشرة على منفذين تجاريين مهمين أحدهما في الطرف الشمالي من البلاد والآخر في الطرف الجنوبي منها.

أما مدينة أرزنجان، وهي البوابة الرئيسية لدولة سلاجقة الروم على عاصمة الإيلخانين في بلاد فارس، فجعل إدارتها في يد ختنه[٧] مجد الدين

الدين أحمد بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، القاهرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م ج٣ ص١٢٣ ؛ ابن تغري بردي (أبو المحاسن جمال الدين يوسف ابن تغري بردي، ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج ٤ (حقيق محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م) ص٢٥٧-٢٥٩ ؛ الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق: فهم شلتوت مكتبة الخانجي القاهرة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ج١ ص٤٥٦.

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص ١٦٠، اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٦٨ ابن ايبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٩٠.

(2) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey , P. 306

(٣) كثيراً ما تصحف "أنطالية" في المطبوعات إلى " أنطاكية" انظر مثلاً ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٨١ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٣٦٠.

(٤) إمارة " ملك السواحل" استحدثها سلاجقة الروم، ومعظم أهلها من اللاجئين الذين انحدروا نحو الجنوب بعد معركة ملاذكرد، وهي على أطراف قيليقية، ومن مهامها الرئيسية مراقبة الأرمن في آسيا الصغرى والتصدي لهم وكذلك القوى الصليبية في أنطاكية وقبرص. النويري نهاية الأرب، ج٣٠، ص٣٦٠.

(5) Cahen: Op. Cit. p. 83 , 306.

(٦) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٨١ ؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٨٥. النويري نهاية الأرب، ج٣٠، ص٣٦٠، وسعد الدين (وقيل: معين الدين) المستوفي هو جدّ بروانه لأمه.

(٧) الختن: بفتح التاء والخاء، كل من كان من قِبَلِ المرأة: كأبيها، وأخيها وكذلك زوج الأخت، وزوج البنت والأخير هو المقصود هنا. القاموس المحيط، مادة: خَتَنَ.

الأرزنجاني، بالإضافة إلى وظيفة الاستيفاء[1] ثم الوزارة فالأتابكية فيما بعد كما سنرى[2].

ومنح بروانه أيضاً قيادة جند نكيده لشرف الدين مسعود بن خطير الدين زكريا، ويساعده أخوه ضياء الدين محمود، وهما من أعوانه المقربين، وكان قد وعده بمنحه قيادة جند نكيده، مقابل مساعدته في شن الحرب على كيكاوس الثاني وإخراجه من البلاد[3].

و يتضح مما سبق، حرص بروانه على فرض سيطرته الكاملة على مناطق الحدود المهمة، والموانئ التجارية، والقلاع الحصينة في داخل البلاد فقلعة نكيدة ـ على سبيل المثال ـ يستطيع من يسيطر عليها التحكم في منطقة طوروس الجبلية الأرمنية[4].

وكان من ركائز سياسة بروانه بذل الأموال بسخاء لدفع خطر، أو استمالة عدو وأنفق في سبيل ذلك "ما لا تسمح به نفس ملك"[5]، ومن طرقه أيضاً ـ لضمان استمرار ملكه وسلطانه ـ المبادرة إلى التخلص من المنافسين ـ خاصة من أهل البلاد ـ مهما كان أصلهم أو المركز الذي يشغلونه ؛ وفي بداية الأمر اتفقت أهدافه مع طموحات سيده السلطان قلج أرسلان الرابع، وعملا معاً حتى تمكنا من إخراج كيكاوس الثاني من البلاد، وبالتالي من ميدان التنافس على الحكم، ثم عكف الرجلان على تتبع أنصار السلطان المخلوع ومعاقبتهم، وتسليمهم إلى المغول الذين بادروا بالقضاء عليهم[6].

---

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٥٧ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٧٣، ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٣، ١٦٩؛ اليونيني: المصدر السابق ج٣، ص٢٢٩.

(٢) انظر ما يلي من هذا البحث.

(٣) ابن بيبي: لأوامر العلائية، ص٦٤٥ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٤.

(4) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. p. 283.

(٥) اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٢٦٩.

(٦) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٧أ ؛

واشترك بروانه - أيضاً - مع قلج أرسلان في الحصول على إذن الايلخان هولاكو، لاستعادة سينوب من مغتصبها حاكم طرابيزون، حيث سارا إليها بالجيش وحاصراها قرابة سنتين حتى تمكنا من استعادتها(١)

وبعد استتباب الوضع في بلاد الروم للسلطان قلج أرسلان الرابع، حصل تغيير في القيادة الإيلخانية في بلاد فارس وتوابعها، إذ هلك الإيلخان الأول هولاكو سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م(٢) وخلفه على عرش الإيلخانية ابنه آباقاBAKA(٣).

وكتب الإيلخان الجديد إلى نوابه وأتباعه أن يغدو عليه بتبريز، ليجددوا عهد التبعية له(٤).

فقدم عليه من بلاد سلاجقة الروم، قلج أرسلان الرابع، ووزيره بروانه(٥). ولم يكن هذا الأخير ليهدر مثل هذه الفرصة، أو ليدع السلطان السلجوقي يذهب بدونه للاجتماع بسيدهما الجديد. وتذكر بعض المصادر أنه بعد الفراغ من هذه المهمة، قفل السلطان عائداً إلى مقر ملكه بينما تأخر وزيره في بلاط الإيلخان. ونجح في كسب ثقته - كما كسب ثقة والده قبله - وغرس بذور الشك في نفسه تجاه السلطان والأسرة السلجوقية كلها. واتهم سيده - قلج أرسلان الرابع - بمحاولة الاتصال بالمماليك والعمل معهم على مقاومة الوجود

---

(1) Cambridge History Of Islam. v: I A , P. 265.

(٢) حدد الهمذاني تاريخ وفاته بليلة الأحد، التاسع عشر من ربيع الآخر-جامع التواريخ ج٢ ق١، ص٣٤١

(٣) آباقا، وفي المصادر الإسلامية "آبغا" هو الابن الأكبر لهولاكو.
ووريثه على عرش الإيلخانية، لمزيد من التفاصيل عن حياته وعهده، انظر الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢ ق٢، ص٣-٨٥، شيرازي (أديب شرف الدين عبد الله بن فضل الله) وصاف الحضرة: تاريخ وصاف، بمباي ١٣٦٩ هـ ص٥٣-١٠٥ الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الايلخايذين ص٣٣-١١٧.

(٤) اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٧ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام الطبقة ٦٧، ص٢٣٠-٢٣١ ويسميه ركن الدين كيقباذ ؛ ابن كثير: المصدر السابق ج١٣، ص٢٦٧.

(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٤٣ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٣ ؛ اليونيني المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٧ ؛ الكتبي: ابن شاكر الكتبي صلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي، ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) عيون التواريخ، ج٢٠، تحقيق: فيصل السامر، ونبيلة عبد المنعم، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م، ص٣٣٩.

المغولي في آسيا الصغرى، فحظيَ بتفويض من الإيلخان شخصياً، بإدارة شئوون دولة سلاجقة الروم، والقضاء على كل من تسول له نفسه، مقاومة النفوذ المغولي في المنطقة، أو الاتصال بأعدائهم المماليك حتى وإن كان السلطان السلجوقي نفسه[1].

وأيضاً كسب بروانه من هذا اللقاء تفويضاً من الإيلخان بالتصرف في ميناء سينوب باعتبارها اقطاعاً خاصاً له[2].وهكذا لم يرجع بروانه من رحلته هذه إلاّ وهو أعظم سيطرة، وأقوى نفوذاً.[3]

في قونية، بدأ السلطان قلج أرسلان الرابع يشعر بضيق الخناق، الذي يمارسه بروانه وأنصاره عليه وأخذ يتطلع للخلاص منه، والشعور نفسه كان يراود بروانه أيضاً[4].

وفي أحد مجالسه صرح السلطان لندمائه بنيته في تخليص أهل نكيده، من ظلم شرف الدين بن الخطير وتعسفه[5] ولم يخف امتعاضه من تسلط بروانه على دولته، وكشف لهم عن عزمه على رفع شكوى للإيلخان بذلك[6].

ورغم أن بعض الروايات تشير إلى أن السلطان كان في حالة سكر عندما تفوه بتلك الكلمات[1] إلاّ أن عيون بروانه التي كانت مبثوثة في مجلسه،

---

(١) اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٧ ؛ ابن شاكر: عيون التواريخ، ج٢٠، ص٣٢٩-٣٣٠
Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. p. 284.

(٢) اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٧ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، الطبقة ٧٦ ؛ ابن شاكر الكتبي عيون التواريخ، ج٢٠، ص٣٤٠ ؛ وانظر أيضاً: ابن بيبي. الأوامر العلائية، ص٦٤٢ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٣.

(٣) ابن كثير: المصدر السابق، ج١٣، ص٣٦٧.

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٧أ ؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٢٥ كتاب الحوادث، ص٣٨٥ ؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٨، ٤٠٤ ؛ ابن شاكر: عيون التواريخ، ج٢٠، ص٣٦٤.

(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٤٦ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٤.

(٦) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٤٦ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٥، وانظر أيضاً اليونيني، المصدر السابق ج٢، ص٤٠٤ ؛ ابن شاكر: عيون التواريخ، ج٢٠، ص٣٦٤.

وعلى رئيسهم ضياء الدين محمود بن الخطير ـ شقيق قائد جند نكيده ـ نقلت تلك المعلومات إلى بروانه(٢).

وحمّل بعض المؤرخين، السلطان قلج أرسلان الرابع مسؤولية ازدياد نفوذ بروانه، لتشاغله بمجالس اللهو ومعاقرة الخمر، وترك شئوون الدولة بيد وزيره.(٣)

من جهته تحرك الوزير للدفاع عن نفسه وكتب إلى الايلخان، يجدد اتهامه للسلطان ويؤكد ثبوت مراسلته للمماليك في مصر، لتنسيق المقاومة ضد المغول، فورد عليه تفويض الإيلخان باتخاذ ما يراه مناسباً من قرار، و الاستعانة بالحامية العسكرية المغولية في الأناضول(٤).

وكانت الحامية المغولية ترابط في الأناضول بصفة مستمرة، يتولى قيادتها عدد من الأمراء(٥) وبنى بروانه جزءاً من سياسته الداخلية على الاعتماد على تلك الحامية، بكسب رضا قادتها وجندها، وتنفيذ رغباتهم، في مقابل تهميش ما تبقى من جيش سلاجقة الروم، وبناءً عليه غدت سيطرته على الأوضاع الداخلية مطلقة(٦).

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٤٧ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٦ ؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٤ ؛ ابن شاكر: عيون التواريخ، ج٢٠، ص٣٦٤.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٧ ؛ ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٤٦٧، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٥ ؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٤ ؛ ابن شاكر: عيون التواريخ، ج٢٠، ص٣٦٤.

(٣) اليونيني: المصدر نفسه، والجزء والصفحة، ابن شاكر: المصدر نفسه والجزء والصفحة وقد ذكر ابن العبري أنّ والده (السلطان كيخسرو الثاني) كان في عهده يتصرف هذه التصرفات. تاريخ الزمان، ص٢٨٤.

(٤) اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٤ ؛ ابن شاكر: عيون التواريخ ج٢٠، ص٣٦٤

(٥) من القادة خلال هذه الفترة :" تبشي (وورد: تابشي، وتابشي)، وكراي، وبرد، وايكان ونوغاتمر"، انظر: اليونيني: المصدر نفسه، والجزء، والصفحة، أقسرائي: المصدر السابق، ص ٦٥؛ ابن شاكر: المصدر نفسه، ج٢٠، ص٣٦٥ وانظر: أحمد توني: المرجع السابق ص٦١؛ وأيضاً ص من هذا البحث، مع ملاحظ وجود اختلاف بين المصادر في أحرف بعض الأسماء.

(٦) العريني: المغول، ص٣٣٩.
Cahen: TheMongol And Near East. "Setton"p727,Pre Of Ottoma Turkey. p283.

واعتماداً على التفويض الممنوح إليه، كتب بروانه إلى قادة الحامية المغولية، يحذرهم من مخططات السلطان السلجوقي، ويعرض عليهم خطة للتخلص منه، واتفق معهم على الإجتماع في مدينة أقسراي، واستدعاء السلطان للتحقيق معه(١).

من جهته بعث قلج أرسلان الرابع إلى وزيره يستدعيه للاجتماع به في قونية، وكان بروانه إذ ذاك في توقات(٢)وهي قلعته التي يلجأ إليها إذا داهمته الخطوب.وتلكأ في إجابة الدعوة، لشكوك تساوره في نوايا السلطان من جهة، والنصيحة التي وصلت إليه من الوزير فخر الدين علي في قونية، تؤكد على أن السلطان يضمر له شراً.(٣) والجدير بالذكر أن الرجلين بروانه والوزير يشتركان في الأصل، فكلاهما فارسي(٤).

وبينما كان السلطان في العاصمة منتظراً قدوم بروانه، وإذ برسل قادة الحامية المغولية يغدون عليه ويطلبون حضوره إلى أقسراي، بحجة وصول أوامر جديدة من الإيلخان يجب عليه سماعها، بحضور القادة وبروانه(٥).

ولم يسع السلطان إلاّ امتثال الأمر، رغم نصيحة مستشاريه له بالإمتناع(٦).وفور وصوله إلى المعسكر، استقبله بروانه، ودار بينهما نقاش - بحضور القادة المغول - أنكر خلاله السلطان التهم التي وجهت إليه، وتظاهر القادة بتصديقه، وأقاموا له مأدبة(٧).

(١) اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٤ ؛ ابن شاكر: عيون التواريخ: ج٢٠، ص٣٦٤.
(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٧أ.
(٣) اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٤ ؛ ابن شاكر: عيون التواريخ ج٢٠، ص٣٦٤
(4) Cahen: Pre Of Ottoma Turkey. p284.
(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٤٨ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٦ ؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٤ ؛ ابن شاكر: عيون التواريخ، ج٢٠، ص٣٦٤.
(٦) اليونيني: المصدر نفسه، والجزء والصفحة، ابن شاكر، المصدر نفسه، والجزء ص٣٦٤ .٣٦٥
(٧) اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٤ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١١٢.

ولحرص بروانه على التخلص من السلطان أمر تابعاً له بدس السم في شرابه ولما أحس به يسري في عروقه، خرج من الخيمة مسرعاً، وتقيأ ما شرب وامتطى صهوة جواده منهزماً إلى قونية، فأدركه بعض أتباع بروانه، وأعطوه الأمان، وأعادوه إلى المعسكر[1].

وفي " خركاه"[2] أحد القادة المغول[3] أُعتقل السلطان، بعيداً عن حاشيته الكبيرة التي جاءت برفقته من العاصمة[4]. وسئل عن سبب عزمه على قتل بروانه؟ فأنكر ذلك بشدة، وتحجج أنه ربما كان ثملاً عندما صرح بذلك.لكنه عاد وناقض نفسه، عندما عرض عليه تخلية سبيله، مقابل الكشف عن أسماء المتآمرين معه، فعدد بعضهم، فتأكد المغول من تورطه في المؤامرة، فتقدم إليه أحدهم، ووضع وتر القوس[5] في حلقه، فخنقه حتى فارق الحياة[6]، وطريقة القتل هذه، يمارسها المغول مع الحكام والملوك، ومن هم في طبقتهم، بزعم أن قانونهم " الياسا"[7] يحرم إسالة دماء تلك الطبقة من البشر[1].

---

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٥٢ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٨ ؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٥ ؛ ابن شاكر: عيون التواريخ، ج٢٠، ص٣٦٥.

(٢) خركاة كلمة فارسية كانت متداولة في الفترة موضع الدراسة، وتعني: خيمة كبيرة، التونجي: المعجم الذهبي، مادة: خركاه.

(٢) ونص كل من: اليونيني وابن شاكر، على أنه القائد " نابشي" ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٤٠٥: عيون التواريخ، ج٢٠، ص٣٦٥.

(٣) اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٥ ؛ ابن شاكر عيون التواريخ، ج٢٠، ص٣٦٥

(٤) وقد وهم محقق كتاب. المختصر في أخبار البشر " لأبي الفداء، إذ أشار في الحاشية إلى أنه قتل بوتر، قال: وهي قرية من أعمال دمشق، ومنشأ الخطأ أن بعض المصادر ومنها المختصر لأبي الفداء أشارت إلى أنه قتل بالوتر، دون اضافة كلمة القوس. انظر، ج٢، ص١٧٢، حاشية.

(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٧أ ؛ ابن بيبي: الأوامر العلائية ص ٦٤٨؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٨ ؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٢٥، كتاب الحوادث، ص٣٨٥ ؛ اليافعي: [أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي , ٧٦٨هـ/١٣٦٧م] مرآة الجنان , وعبرة اليقظان , فيما يعتبر من حوادث الزمان. بيروت , ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م. ج٤، ص١٢٥.

(٧) الياسا: ومن أسمائها :"اليسق والتوار" ومعنى يسق بالتركية: الترتيب والتورا: المذهب فيكون المعنى: الترتيب المذهب، وأصل كلمة يسق. مركب من كلمة سي ياسا، وهي مكونة من لفظين. سي ومعناها بالفارسية، ثلاثة، وياسا، ومعناها بالمغولية الترتيب، فيكون المعنى " التراتيب الثلاثة"

وأخفى بروانه والمغول موت السلطان، وفيما انصرف المغول إلى مشتاهم نحو الشرق[٢] عاد كبار رجال الدولة - بما فيهم بروانه - يحملون جثمان السلطان في محفة، زاعمين أنه مريض، وكانوا خلال الطريق يدخلون عليه الطعام والشراب.ليوهموا الناس أنه لازال على قيد الحياة[٣]، وعند وصولهم إلى العاصمة أعلنوا وفاته، زاعمين أن جواده كَبَا به، فسقط عن ظهره، فدقت عنقه[٤].

والراجح - والله أعلم - أن اغتياله كان في جمادى الأولى سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م[٥] وعمره دون الثلاثين[٦].

وبالرغم من إثبات كثير من المصادر – كما رأينا – دورًا للبروانه، في عملية اغتيال السلطان قلج أرسلان الرابع، إلا أن ابن بيبي – في خضم سرده

وتحرف المصطلح على مرّ الزمان واستقر في يومنا هذا على " يسق" وهي أحكام ابتدعها جنكيزخان وقسمها إلى ثلاثة أقسام، بعضها موافق للشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وكثير منها مخالف لها. وقد أوصى أتباعه بالحفاظ عليها والتمسك بها. ظل كثير من الترك ملتزم بها رغم كثرتهم، وتفرقهم، واختلاف دياناتهم، انظر القلقشندي: صبح الأعشى ج٤، ص٣١١ ؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكر، ج٩، ص١٣٨ حاشية(٢).

(١) بيبرس المنصوري: زبدة الفكر، ج٩، ص٥٩.

(٢) ابن بيبي، الأوامر العلائية، ص٦٤٦ ٦٤٧ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٨.

(٣) اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٦. ابن شاكر: عيون التواريخ، ج٢٠، ص٣٦٥.

(٤) ابن حبيب: درة الأسلاك، ورقة ٢٠ب ؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٦ ؛ الذهبي: العبر، ج٣، ص٣١٦؛ ابن شاكر: عيون التواريخ، ج٢٠، ص٣٦٥ ؛ اليافعي مرآة الجنان، ج٤، ص١٢٥.

(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٧أ ؛ ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٤٨ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٧ ؛ الهمذاني: جامع التواريخ، ج١ ق٢، ص٣٠٠.
وهناك من أرخ وفاته بسنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م، انظر: ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج٣، ق٢، ص٥٢٧؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٣٨٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١١٢ ؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص١٧٢.
وهناك من ذكر أنها وقعت في سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م. انظر: ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٣٩.
وأشار آخر إلى أنها سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م. انظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٥، ص١٨٧؛ الدليل الشافي، ج٢، ص٥٦٣.

(٦) ابن حبيب: درة الأسلاك ورقة ٢٠ب ؛ اليونيني، المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٦ ؛ الذهبي: العبر، ج٣، ص٣١٦ ؛ دول الإسلام، ج٢، ص١١٨.

لمناقب بروانه – ينفي عنه تلك التهمة، ويبريء ساحته من هذه الفعلة، وينحي باللائمة فيما حصل على ابني الخطير، ويستطرد قائلاً: (ومع أن حادث السلطان ركن الدين ينسب إليه إلا أن رب العالم عالم بأن أسّ ذلك الكبير..ولدي الخطير الزنجاني، ولم يكن هناك من جانٍ جاحد إلا هما، ويشهد على براءة ساحة "بروانه" من ذلك معشر الجن والإنس وفق قول الله تعالى: **﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفرو...الآية﴾** [1].

وبعد إشهار خبر وفاة السلطان قلج أرسلان الرابع، نصب بروانه ابنه غياث الدين كيخسرو خلفاً له[2] وعمره سنتان ونصف[3].

فكان الثالث من الأسرة السلجوقية الحاكمة في بلاد الروم، الذي يحمل هذا الاسم واللقب[4].

---

(١) سورة البقرة الآية ١٠٢ ؛
أخبار سلاجقة الروم، ص٣٩١.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٧أ؛ ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٤٧؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٨؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج٣، ق٢، ص٦٩٢.
وذكرت بعض المصادر، أن قادة المغول المشار إليهم أنفاً، جاؤا مع بروانه، إلى قونية، حاملين معهم جثة السلطان الراحل، واشتركوا في تنصيب ابنه خلفاً له، انظر: ابن حبيب: درة الأسلاك، ورقة ٢٠ب، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج٣، ق٢، ص٦٩٢-٦٩٣؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٢٥؛ قزويني: تاريخ كزيدة، ص٣٠١. وأخذنا برواية ابن بيبي، وإحدى روايتي ابن شداد، لإحاطتهما بحوادث تاريخ سلاجقة الروم في تلك الفترة.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٤٧؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٨.
وقد تباينت المصادر في تقدير عمره، بين ثلاث سنوات وعشر. ورجحنا رواية ابن بيبي. وانظر: ابن حبيب: درة الأسلاك، ورقة ٢٠ب؛ المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٧أ: ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٢٥؛ كتاب الحوادث، ص٣٨٥؛ الذهبي: دول الإسلام، ج٢، ص١٨٨.

(٤) ومن ألقابه التي وردت على النقود المضروبة في عهده: "غياث الدنيا والدين"، "برهان أمير المؤمنين" ومن أكثر ألقابه غرابة لقب "كلب أمير المؤمنين"، محمد باقر الحسيني: دراسة تحليلية وإحصائية للألقاب الإسلامية، مجلة سومر، ج١، ٢، مجلد ٢٨، ص١٩٧. والجدير بالذكر أن الدولة العباسية قد سقطت قبل تاريخ ضرب تلك العملة، وآخر خلفائها في بغداد قد استشهد. (إلا إذا كان المقصود الخليفة العباسي الذي أقامه المماليك في القاهرة) وليس هناك مبرر ليتخذ السلطان السلجوقي مثل هذا اللقب. لكنه تصرف يوضح مدى الضعف والذل الذي خيم على بلاد سلاجقة الروم حكامًا ومحكومين.

وعين فخر الدين علي وزيرًا للسلطان الجديد[1]، لكن المستفيد الأكبر من ذلك التغيير هو بروانه، الذي أضاف إلى مناصبه، منصب الوصاية على السلطان القاصر ولا يتعارض هذا مع وزارة فخر الدين علي الذي يصدر عن أمر بروانه[2] وإمعانًا في السيطرة، كلف بروانه ابنه مهذب الدين علي الإشراف على تربية السلطان الصغير[3] بل ذهب أبعد من ذلك، وتزوج عمة السلطان، كرجي خاتون بنت غياث الدين كيخسر والثاني[4].

وليضفي صبغة شرعية، على أعماله تلك، قام بروانه بزيارة الإيلخان آباقا، مصطحبًا معه فرس السلطان الراحل، ولامة حربه، وهدايا جليلة، قدمها للإيلخان، ووجوه دولته، ومن ثم عاد إلى آسيا الصغرى[5].

٢- محاولة بروانه التخلص من الوزير فخر الدين علي:

ونتيجة لحرصه على توسيع نفوذه بشكل مستمر، وعدم منح أي فرصة للمنافسين كان بروانه شديد الحذر، حتى من أقرب الناس إليه وعلى استعداد لتصديق أي وشاية في هذه الناحية، وطالما عمل مع الوزير فخر الدين علي، جنبًا إلى جنب، في جو من الاتفاق، لكن الشكوك بدأت تتسلل إلى نفسه،

---

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٧ب: ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٤٨؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٨

(٢) النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١١٢؛ تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص٢٦٧؛ تاريخ ابن خلدون، مج ٥، ق٤، ص٨٤٥؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٥٧١-٥٧٢، Howorth: OP. Cit. V. III, P. 258; Cahen: Pre Of Ottoman Turkey , P. 284.
وأشار إلى أن فخر الدين علي وبروانه كلاهما من أصل فارسي.

(٣) اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٣٨٧.

(٤) ابن عبد الظاهر والروض الزاهر، ص٤٦٣، ابن فضل الله: مسالك الأبصار، ج٣، ص١٤٤؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٦٣١.
وقد وهم من ظن أنها أم السلطان كيخسرو الثالث انظر: قزويني: تاريخ كزيدة، ص٣٠١؛ أحمد توني: المرجع السابق، ص٢٨١. والبعض الآخر ذكر أنها ابنة غياث الدين صاحب أرزن الروم، وحكمها حكم الرواية السابقة لها. انظر: بيبرس المنصوري: مختار الأخبار، ص٥٩؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٣٥٤

(٥) اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٣٨٧؛ ابن شاكر: عيون التواريخ، ج٢٠، ص٣٦٣-٣٦٤

عندما لاحظ ازدياد نفوذ الوزير، وارتفاع شأن ابنيه: تاج الدين حسين[١]، ونصرة الدين محمود[٢]، خاصة أن الأول منهما امتاز بالفروسية، ومعرفة فنون الحرب(٣).وكانت قصطمونية قد أعطيت لهما، بعد فك رهنها من تاج الدين معتز[٤].وأصبح للوزير وابنيه جماعة من الأنصار، يتزايد عددها باستمرار[٥].

ورغم أن الوزير نفسه لا يحسن القراءة والخط[٦].إلا أن أعمال البر التي يقوم بها، والأوقاف التي يوقفها، وممارسته للتجارة، إضافة إلى معاضدة ابنيه، تشكل روافد قوته، التي بدأت في الظهور والنمو، مما وفرّ جوًا مناسبًا للحساد والوشاة، لإيغار صدر بروانه عليه[٧].

فأضحى بروانه يتربص بالوزير الدوائر، دون شعور الأخير بشيء من ذلك، وكان يعرض على بروانه، كل ما يعنّ له من شئون الدولة والحكم، ومن ذلك رسالة وصلت إليه من السلطان المخلوع كيكاوس الثاني، من منفاه، يلتمس منه المساعدة المالية، لنفاد ما عنده من مال[٨].ويبدو أنه اختار أن يطلب المساعدة من فخر الدين علي دون بروانه، لأن الأول كان معدودًا في أنصاره إبان فترة حكمه، بخلاف الأخير الذي كان وإياه على طرفي نقيض.

---

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٥٢؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٧١؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٦٢، وأشار محقق الكتاب إلى أن الاسم الوارد في المتن "الحسين" غير صحيح، والصحيح هو "محمد" اعتمادًا على ما جاء عند اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٣، ص٧. لكن الاسم الوارد في المتن هو الأصح كما أثبتناه.

(٢) عند اليونيني: "نصير الدين"، المصدر السابق، ج٣، ص٨، ١٨٥ وعند غيره: نصرة الدين حسن. انظر: Cambridge. History Of IsLam. V. IA. P. 263-264; V. J. Barry: Ahistory of the Ottoman. P. 10-11.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٥٣؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٧١.

(٤) انظر ما سبق، ص من هذا البحث.

(5) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. P. 307.

(٦) العمري: مسالك الأبصار، السفر الثالث، ص١٥٠

(٧) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٥٣؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٧٠؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٢٩١ ؛ العمري: مسالك الأبصار، السفر الثالث، ص١٥٠.

(٨) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٥٣، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٩

وبحسن نية، استشار الوزير - فخر الدين علي - بروانه في موضوع الرسالة، فاحتفظ بها الأخير، وأشار عليه، بتحقيق التماس السلطان المخلوع.بعد تأكده من أخذ الوزير بنصيحته، بدأ بروانه يخطط للإيقاع به، جاعلاً أولى خطواته، التخلص من ابني الوزير، ليأمن ردة فعلهما، فاستعان بصديقه شرف الدين مسعود ابن الخطير[1]، فأطلعه على ما في نفسه، فتعهد له صديقه بالقبض على ابن الوزير الأكبر تاج الدين حسين، واحتال عليه، وتمكن من الإمساك به، وبعث إلى بروانه يخبره بذلك[2].

أما الابن الأخر - نصرة الدين محمود - فقد توارى مدة من الزمن عن الأنظار، ولم يظهر إلا في بلاط الإيلخان آباقا[3].ولابد أنه شعر بما يحاك ضد أسرته.

ولما خلا الجو للبروانه على هذه الصورة، بادر بالقبض على الوزير فخر الدين علي، واتهامه بمراسلة السلطان المنهزم كيكاوس الثاني، وربما التآمر معه على الدولة، والوجود المغولي بالمنطقة، ولإقناع القادة المغول بفداحة الجرم الذي اقترفه الوزير، استدعى بروانه أحد أعوانه[4] وجعله قائداً لعسكر آمد، وحمله هدايا كثيرة، ورسالة إلى قادة الحامية المغولية يشرح فيها تآمر الوزير مع أعداء الدولة، وطلب القادة الوزير للتحقيق معه، فلم يتبين لهم ما يستوجب إعدامه.كما كان يأمل بروانه، ولم ينكر الوزير استلامه الرسالة المشار إليها، واحتج بأنه دفعها للبروانه ليطلع عليها، واستشاره في كيفية الرد

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية: ص٦٥٣؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٩، ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٦٢؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٧-٨؛ وفي المصدرين الأخيرين أن ضياء الدين محمود بن الخطير، هو الذي قام بهذه المهمة، وليس أخوه شرف الدين.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٥؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٩

(٣) اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٨

(٤) واسمه: "شمس الدين ولد صدرو".

عليها.قرر القادة المغول التحفظ على الوزير، وعرض قضيته على الإيلخان، وانتظار حكمه فيها[١].

وتم احتجاز الوزير في قلعة "عثمان جوق"[٢]، سنة ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م، وتجميد ممتلكاته وتجارته، فيما أُخلي سبيل ابنه الأكبر تاج الدين حسين، شرط ملازمته لبروانه في الإقامة والسفر[٣].

و يتضح مما سبق جزءًا من سياسة بروانه في كسب الأنصار واستمالتهم، لتحقيق أهدافه، والمتمثلة في منح المناصب – كما فعل بالرسول الذي بعثه إلى المغول – وفي إغراق الهدايا على قادة الحامية المغولية.

وعلي أثر اعتقال الوزير، أعاد بروانه تشكيل حكومته، فاسند منصب الوزارة لختنه مجد الدين محمد بن الحسن الأرزنجاني، إضافة إلى إدارته شئون أرزنجان، وتخلى عن وظيفة الاستيفاء لجلال الدين محمود الشرف.وأصبح ظهير الدين متوح[٤] بن عبدالرحمن مشرفًا على الممالك، وزين الدين أحمد

---

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٧ب، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ٦٥٦؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٧٢

(٢) عثمان جوق: Osman Joq؛ ووردت أيضًا: عثمان جن، وعمق جان، و"Osmanig" وهي قلعة في إقليم قسطمونية، إلى الجنوب الغربي من سامسون، انظر ابن بيبي: الأوامر العلائية ٦٥٦؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٧٣؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٦٢؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٤٧ محمد فريد بك: المرجع السابق، ص١٤٠، حاشية رقم(١)؛ Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. P. 310.

(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة: ٥٨٧، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٥٦-٦٥٧؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٧٢. وانظر أيضًا: ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٦٢

(٤) وذكر ابن بيبي أنه من ذرية القاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، صاحب الإمام أبي حنيفة المتوفي سنة ١٨٢هـ/ ٧٩٨م.

الأرزنجاني ناظرًا[١]. واحتفظ سيف الدين طرنطاي بوظيفته السابقة: بكلربكي[٢].

أما في بلاط آباقا، فقد نجح نصرة الدين محمود، الابن الأصغر للوزير فخر الدين، في الحصول على أمر من الإيلخان، بتخلية سبيل والده، والإذن له بالقدوم عليه، للوقوف على كنه مشكلته[٣].

ولم يلبث أن جاء الوزير السابق إلى تبريز، حيث التقى بالإيلخان، الذي وبّخه على تصرفه مع السلطان المخلوع، وفي نهاية الأمر، تمت تبرئة ساحته، من التهمة المنسوبة إليه، وصدر الأمر بإطلاق سراحه، وإلغاء الحجز على ممتلكاته وتجارته، والسماح له بالعودة إلى بلاده بعد تجريده من مناصبه السابقة[٤].

وبعد مضي ثلاث سنوات على عزله من الوزارة، طلب فخر الدين علي من بروانه، السماح له بمرافقته لمقابلة الإيلخان آباقا[٥]، وفي مجلس الإيلخان، تشفع القائد المغولي "توقو نوين[٦] Tougo" لفخر الدين علي، فقبل الإيلخان

(١) ناظر الشيء حافظه، وهي مرتبة استحدثت في العصر الأيوبي، وعد شاغلها في البداية من أرباب الوظائف الدينية، وحصلت لها تطورات في العصرين المملوكي والعثماني، وكثر النظار تبعًا لكثرة الوظائف. ابن منظور: المصدر السابق، مادة نظر، الخطيب: المرجع السابق، ص٤٩-٥٠

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٥٧؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٧٣؛ وانظر أيضًا: ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٦٢، اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص ٨.

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٦٢؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٨

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٧ب، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٥٧؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٧٣؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٦٢-٦٣؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٨.

(٥) وذكر ابن بيبي ذهاب الوزير بمفرده إلى الايلخان، أنفة منه عندما رأى تسلط الأراذل على مقدرات الدولة، ويبدو هذا أمرًا مستبعدًا، فما كان بروانه ليسمح له بالذهاب بمفرده ولقاء الإيلخان، خاصة في هذه الفترة، التي بدأت علاقته فيها بالتوتر مع المغول. انظر ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٥٨؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٧٤، وعن سفر بروانه للقاء الإيلخان انظر ما يلي من هذا البحث.

(٦) توقو البتيكجي بن إيلكاي نويان، ويكتب الاسم الأول أحيانًا: طوغو. الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٢، ٦٢-٦٣

شفاعته، وأصدر "يرليغًا" بإعادته إلى الوزارة، وإعادة اقطاع ابنيه إليهما، ومنحهما قيادة جند التخوم الغربية[1]، وهي أهم مناطق الحدود في دولة سلاجقة الروم[2] في مقابل تعهد الوزير، بدفع إتاوة سنوية للمغول، عبارة عن ألفي بالشت[3]، وسبعمئة فرس، وبعد ارتدائهم للخلع التي منحت لهم من الإيلخان عاد الوزير وولداه مسرورين بما حصلوا عليها من مكاسب[4].

ويبدو هذا إجراءً عجيبًا، اتخذته السلطات المغولية، ضد مصلحة بروانه، الذي ما فتيء يظهر خضوعه وتبعيته لهم في كل مناسبة، لكن العجب يزول إذا علمنا أن هذا التغيير في السياسة المغولية جاء في خضم التوتر الذي خيم على علاقتهم ببروانه في هذه الفترة.

ويبدو أن السلطات المغولية أرادت تحجيم نفوذ بروانه من جهة، وذلك بإعادة الوزير السابق إلى منصبه ليكون ندًا له عند الحاجة إليه، ومن جهة أخرى الحصول على المزيد من الأموال، عن طريق الوزير وابنيه، يدل على ذلك إقطاعهم المزيد من الأراضي تحت ذريعة تسديد نفقات الوزارة[5].

والحقيقة أن كل ما كان يهم المغول هو توفير مطالبهم وعدم إثارة المشكلات في وجوههم حتى ولو أدى ذلك إلى أزمات اقتصادية واجتماعية لأتباعهم من حكام ومحكومين على حد سواء.

ورغم عدم رضا بروانه عن هذا التغيير الصادر من الإيلخان، إلا أنه لم يجد مناصًا من قبوله، وأخذت الوزارة من مجد الدين الأرزنجاني، وعوض

---

(١) وتضم منطقة التخوم الغربية كلاً من: "لاديق، خوناس، وتقع بين كوتاهية وبيشهر واكشهير، وعاصمتها قلعة قرة حصار المنيعة" انظر: Cambridg History of Islam, Vol. IA. P263-264 ,Cahen :The Mongols And Near East. "Setton" cast. P. 727; Barry: Op. Cit. P. 10-11

(2) Cambridg History of Islam. Vol: I. A. P 264 ,Cahen: Op. Cit. P. 727.

(٣) بالشت Balish، ويقال بالش: نقود مغولية ذهبية كانت متداولة في الفترة موضع الدراسة. ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٢٣، حاشية (١).

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٥٨؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٧٤؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٢٢-١٢٣؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١١٢-١١٣؛ Cahen: Pre Of Ottoman Turkey P. 285.

(5) Cahen: Op. Cit. P. 285.

عنها بالأتابكية واستأنف فخر الدين علي عمله وزيرًا في دولة سلاجقة الروم[1].ولكن بدون أن يفقد بروانه شيئًا من سيطرته ونفوذه[2].

١-فتنة ابني الخطير:

ولم يكد بروانه ينته من مسألة الوزير فخر الدين علي وابنيه، حتى ظهرت له فتنة ابني الخطير، وهما كما رأينا من أنصاره القدماء، لكنه كان لا يمنح ثقته المطلقة لأحد، ويرفض وجود منافس له على الساحة الداخلية لدولة سلاجقة الروم.

وبينما كان بروانه في مهمة له في الأردو.أعلن شرف الدين مسعود بن الخطير تمرده، وتدل رواية ابن بيبي على أنه استغل غياب بروانه ليقوم بذلك.إلا أن روايات أخرى تذكر أن ما قام به ابن الخطير وأصحابه كان بعلم بروانه ومباركته.وهذا هو المرجح، كما سيتضح من الصفحات القادمة.

ويشير ابن بيبي إلى أن بروانه قبل سفره أوصى اثنين من قواده، وهما: تاج الدين "كيو Keyo" [3]، وسنان الدين بن أرسلان دغمش . سوباشي قونية[4]. بمراقبة تصرفات ابني الخطير، أثناء غيابه، والإجهاز عليهما في حالة الارتياب فيهما، دون تردد[5].

ويبدو أنه أراد بذلك إبعاد التهم عن نفسه، فإن نجح تمرد ابن الخطير في تحقيق هدفه، وهو التخلص من الهيمنة المغولية التي أخذت وطأتها تشتد عليه، يكون له فضل في تحقيق ذلك، وإن لم يكتب لذلك التمرد النجاح، فسيظهر

---

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٧ب، وأضاف أنه أعطى وظيفة "بكلربكي" مع الأتابكية؛ (وسبقت الإشارة إلى اسناد تلك الوظيفة إلى طرنطاي) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٥٩؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٧٤. اقسرائي: المصدر السابق، ص٩٦

(2) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. P. 283.

(٣) وذكره ابن تغري بردي باسم "كيوي" قال: ومعناه الصهر. النجوم الزاهرة: ج٧، ص٢٦٩

(٤) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٥٩؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٧٠-١٧١

(٥) الأوامر العلائية، ص٦٦٣؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٧٨-٣٧٩.

للمغول براءته منه، وسيحتاجون عونه لقمعه، مما يساهم في ترميم جسور العلاقة بين الطرفين والتي تسير في هذه الفترة في توتر متصاعد[1].

ومهما يكن من أمر، فبعد مسير بروانه للاجتماع بالإيلخان، تحرك شرف الدين بن الخطير بالعساكر إلى الأبلستين، بأمر من بروانه، وذلك تحسبًا لغارات قد يقوم بها المماليك على تلك النواحي[2].

ومن معسكره في الأبلستين، بعث ابن الخطير رسالة إلى السلطان الظاهر بيبرس، يستفسر منه، عن مدى دعمه له، في حالة إعلانه التمرد على المغول، فجاءه رد الظاهر بيبرس مشجعًا، ووعده بالمساعدة[3].

ولم تكن تلك الرسالة الأولى التي يبعث بها كبار رجال دولة سلاجقة الروم، إلى السلطان المملوكي، فقد سبقتها رسائل من بروانه نفسه، وبعلم كبار أصحابه، ومنهم ابنا الخطير(شرف الدين مسعود، وضياء الدين محمود) وكلها تصب في التنسيق بين الجانبين للتخلص من نير الاحتلال المغولي[4].لذلك جاء في بعض الروايات أن رسالة ابن الخطير للظاهر بيبرس _ الأنفة الذكر - تضمنت اتهامه للبروانه بالرجوع عما اتفقوا عليه في مكاتبات سابقة، وأنه فضل الانحياز للمغول[5].

وعلى أثر الجواب الذي تلقاه من بيبرس جمع ابن الخطير الأمراء الذين في معسكره، ومنهم: تاج الدين كيو، وسنان الدين بن دغمش، وعرض عليهم رسالة بيبرس، فأجمعوا أمرهم على الرد برسائل منفردة، إلى بيبرس، يظهرون

---

(١) انظر ما يلي من هذا البحث.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٦٤؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٧٩؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٥٣، ١٥٧؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٩١

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٥٦؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٦٦؛ تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص٦٥

(٤) انظر ما يلي من هذا البحث.

(٥) النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٢٣٣؛ ابن أبي الفضائل: المصدر السابق، ص٢٤٨-٢٤٩؛ تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص٦٦

ولاءهم له، وطلب منحهم فسحة من الوقت، لإخراج كيخسرو الثالث من قيصرية، ونقله إلى مكان آمن على الحدود، مع سلطنة المماليك، لضمان سلامته.وأنيطت هذه المسئولية بالأميرين: تاج الدين كيو، وسنان الدين دغمش[1].

وتبين لابن الخطير أنه تسرع فيما أقدم عليه، وداخله الندم[2].ويبدو أن مرد ذلك، عدم انتظاره لعودة بروانه، والاتصال بالسلطان المملوكي دون الاتفاق معه.

ولم يكن أمام ابن الخطير إلا المضي قدمًا في تمرده، فأصدر أمره بقتل من كان في معسكره من المغول، ونهب ممتلكاتهم، وبعث أخاه ضياء الدين محمود، والأمير سنان الدين بن البكلريكي سيف الدين طرنطاي، إلى الظاهر بيبرس، يخبره بما اتخذه من خطوات ضد المغول، والتقى رسولاه بالسلطان المملوكي، وسلماه الرسالة في شهر صفر، سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٧م[3].

وفي قيصرية، لم يسمح مهذب الدين علي بن بروانه وكان ينوب عن والده – للأمراء بأخذ السلطان كيخسرو الثالث، وطالب بحضور ابن الخطير نفسه إلى قيصرية.للوقوف على ملابسات تمرده[4].

---

(١) ابن بهادر (محمد بن محمد بن بهادر، ت ٨٧٧هـ/ ١٤٧٣م) فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر، نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية، رقم ٢٣٩٩، ورقة ٦٠٠أ، حوادث سنة ٦٧٤هـ، ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٥٧؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٦٦
وفي بعض المصادر أن السلطان كيخسرو الثالث والأمراء الذين خرجوا مع ابن الخطير إلى قلعة نكيدة كتبوا إلى الظاهر بيبرس يطلبون مساعدته للتخلص من بروانه وحلفائه المغول. انظر: ابن أبي الفضائل: المصدر السابق، ص٢٩٤؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٦٩؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٩٢-١٩٣.

(٢) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٥٧؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٦٦

(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٧ب؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٦٧؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٩١

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٦٥؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٧٩-٣٨٠؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٥٩

وبما أن خطة ابن الخطير اقتضت إخراج السلطان من قيصرية، والذهاب به إلى منطقة الحدود، انتظارًا للمدد من دولة المماليك.فقد أقبل بجيشه إلى قيصرية، لكنه رفض دخولها خشية على نفسه، من ابن بروانه والعساكر المغولية التي معه داخل المدينة، واستدعى الأميرين الذين أرسلهما من قبل لإحضار السلطان، وهما: تاج الدين كيو، وسنان الدين بن دغمش، و وبخهما على تقصيرهما و تأخرهما في قيصرية، وعدّ هذا خيانة لما تم الاتفاق عليه مع الظاهر بيبرس، فأمر بقتلهما، ونفذ فيهما الحكم على الفور[1].

وزادت خشية ابن الخطير على نفسه من ردة فعل مهذب الدين بن بروانه، بعد قتله للأميرين المذكورين أنفاً، وازداد إصراره على عدم الدخول إلى قيصرية بنفسه، وألحّ في إخراج السلطان إليه، للاجتماع به، ولم يسع الأمراء إلا الرضوخ لطلبه، ونادى المتمردون بشعار الظاهر بيبرس في البلد، وأجبر ابن الخطير السلطان كيخسرو الثالث، والأمراء: مجد الدين الأرزنجاني الأتابك، وسيف الدين طرنطاي البكلربكي، وجلال الدين محمود المستوفي، أن يسيروا معه إلى قلعة نكيدة[2].

أما مهذب الدين علي بن بروانه، فالتقى بابن الخطير، في معسكره خارج قيصرية، و أوهمه أنه سيرافقهم إلى نكيدة، وعاد إلى قيصرية، بذريعة

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٩؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٦٧-١٦٨؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٩٢، المختصر من تاريخ ابن الجزري، ص٢٨٥-٢٨٦
وفي رواية ابن بيبي-وهي مقتضبة إلى حد كبير-أن ابن الخطير نما إلى علمه أن تاج الدين كيو، وسنان الدين دغمش اتفقا مع مهذب الدين علي بن بروانه على الفتك به، فأعمل الحيلة على قتلهما، انظر: الأوامر العلائية، ص٦٦٤؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨٠، لكن تبقى الإجابة على سؤالين: كيف استدراجهما إلى خارج قيصرية؟ ولماذا لم يتوخيا الحذر، وقد اتفقا مع ابن بروانه على التخلص منه؟.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٧ب، وذكر قلعة دولو بدل نكيدة، وهو مخالف لما في بقية المصادر. ومعلوم أن نكيدة تحت إدارته من مدة ليست قصيرة، انظر: ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٦٥؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨١؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٠؛ المختصر من تاريخ ابن الجزري، ص٢٨٦

إخراج أهله وماله منها، لكنه انسل منها، بعد أن أخذ ما يريد، والتجأ إلى توقات[١].

ولما وصل شرف الدين بن الخطير إلى نكيدة[٢] بمن معه، بعث أخاه ضياء الدين محمود إلى الظاهر بيبرس، ليطلعه على مستجدات الأمور، وأجبر من معه من الأمراء، أن يبعث كل منهم قريبًا له، ليرافقوا أخاه في سفارته إلى السلطان المملوكي، فامتثلوا أمره، فأرسل البكلربكي طرنطاي ابنه سنان الدين موسى، وأرسل الأتابك مجد الدين الأرزنجاني، أخاه نظام الدين يوسف، فيما بعث المستوفي جلال الدين أخاه، الحاجي[٣].

وسار هذا الوفد[٤] إلى بلاد الشام، حيث التقى السلطان الظاهر بيبرس، وبعد إطلاعه على ما حصل في بلاد سلاجقة الروم، ردّ عليهم بقوله: "أنتم استعجلتم في المباينة، فإني كنت قد وعدت معين الدين بروانه، قبل توجهه إلى الأردو، أني أواخر هذه السنة أطأ البلاد بعسكري، فإنها بمصر[٥]".

---

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٧ب، ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٠، اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٦٩؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٩٣

(٢) نكيدة :وتكتب نكدة ونكيدا , وهي مدينة قامت علي أنقاض مدينة طوانة , بناها السلطان علاء الدين السلجوقي , وهي متوسطة الحجم يتبعها عدة مدن صغري مثل دولو وغيرها , ومر بها ابن بطوطة وذكر أن في بعض أجزائها خراب وأنها ضمن ملك العراق , ويشقها نهر يعرف بالأسود وعليه ثلاث قناطر , وعليه نواعير ومنها تسقي البساتين والفواكه بها كثيرة. ياقوت الحموي: مصدر سابق , ج٥ ص٣٠٣؛ابن بطوطة :الرحلة , تحقيق , عبد الهادي التازي , المغرب ١٩٩٣, ج٢ ص١٧٧؛كي لسترنج: مرجع سابق, ص ١٨٣.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٦٥؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨١؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٠، ١٦٤-١٦٥؛ تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص٤٣

(٤) ذكر الهمذاني أن عدد الوفد مئة رجل، ومنهم: ابن بروانه، وبالإضافة إلى المبالغة في العدد، فإنه لم يثبت في المصادر المعاصرة للحادثة – زمانًا ومكانًا – قدوم ابن بروانه على السلطان بيبرس إبان تمرد ابن الخطير هذا، مما جعلنا نتجاوز عن هذه الرواية. انظر: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٦١

(٥) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٠؛ وانظر أيضًا: اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٦٧-١٦٨؛ المختصر من تاريخ ابن الجزري، ص٢٨٦

وهـذا الجـواب مـن السـلطان بيـبرس يكشـف بجـلاء، تـورط بروانـه في قضية التآمر على الوجود المغولي في المنطقة، والتنسيق مع السلطان المملوكي لتحقيق تلك الغاية.

ورغم علم ابن الخطير- وبعض كبار الأمـراء - بالمراسـلات الـتي تمـت بـين السـلطان بيـبرس وبروانـه، إلا أن قائـد التمـرد، تسـرع في إعـلان تمـرده، كمـا أوضـح بيـبرس، ودفعـه ذلـك إلى التصـرف بتهـور واضـح[1] ولقـد أثنـى السـلطان المملوكي على تصرف مهذب الـدين علـي بـن بروانـه، حينمـا علـم بتحصـينه في توقات[2]، وقال معلقًا على ذلك: "...فنعم ما فعل، فإنه كان مطلعًا على ما بيني وبين والده"[3].

وفي نهايـة المقابلـة، نصـح السـلطان بيـبرس أمـراء سـلاجقة الـروم الـذين بحضـرته، بـالعودة إلى ديـارهم، وتحصـينها، والصـمود فيهـا، وانتظـار وصـوله إليهم بجيشه في الربيع القادم[4].

لكن ضياء الدين بن الخطير، أخذ يستجدي السلطان المملوكي، ويلـح عليه بالطلب، ليعمـل شيئًا لإنقـاذ أخيـه وسـلطان سـلاجقة الـروم وبقيـة الأمـراء والثائرين، ونزولاً عند رغبته، تقدم بيبرس بحاشيته إلى حلب، وجـرد فرقـة مـن عسـكره، لتدخل إلى آسيا الصغرى، وتسـاهم في الـدفاع عـن ابـن الخطـير ومـن معـه، أو تـؤمّن لهـم طريـق الانسـحاب إلى الشـام، ولم يكـد رجـال تلـك الفرقـة يصلون إلى كينوك[5]، حتى علموا أن جيشًا مغوليًا كبيرًا قد حـال بيـنهم وبـين

(1) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey P. 287.

(٢) توقات: بلدة في أرض الروم بين قونيا وسيواس، ذات قلعة حصينة وأبنية مكينة، بينها وبين سيواس مسيرة يومان. ياقوت الحموي: مصدر سابق، ج٥ص ٥٩.

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٠-١٦١؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٦٦

(٤) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٠-١٦١؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٦٦؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٩٣، المختصر من تاريخ ابن الجزري، ص٢٨٦

(٥) كينوك: الاسم التركي لبلدة الحدث (الحدث الحمراء) إذ يغلب على تربتها اللون الأحمر، ومعنى كينوك: المحرقة، بها قلعة حصينة، معدودة في الثغور، وهي بين ملطية وسميساط ومرعش، وبينها

نكيدة، حيث يتحصن ابن الخطير ومن معه، فعادوا أدراجهم إلى بلاد الشام، والتي غادرها بيبرس على عجل إلى مصر، لكي لا يعلم المغول بقلة جيشه فيغيرون عليه بها[1].

أما بروانه، فقد أنهى مهمته في الأردو، وقفل عائدًا إلى آسيا الصغرى، ولما حلّ بارزن الروم، بلغته أنباء تمرد ابن الخطير، فسارع بإخبار الإيلخان، الذي أمده بجيش يناهز عدده الثلاثين ألف مقاتل، ومن قادته، أحد أبناء هولاكو[2]، و"تو داون Toudoun"، و توقو Tougouz[3].

ويبدو أن بروانه أدرك استحالة نجاح ابن الخطير وخشي من افتضاح أمره أمام المغول، وهم الذين يساورهم الشك في ولائه، فاختار التضحية بابن الخطير، والتصدي لحركته و بقوات مغولية، ليزيل ما تطرق إلى نفوسهم من شكوك. في المقابل، أسقط في يد شرف الدين بن الخطير، فلم تصل إليه المساعدة المملوكية التي عوّل عليها، وجاءه بروانه والمغول بجنود لا قبل له بها، ولما أيقن عجزه عن المواجهة، تخلى عن السلطان كيخسرو الثالث، وكبار رجال الدولة، وانهزم – مع نفر قليل من أصحابه – يبحث عن مكان

وبين أنطاكية ثمانية وسبعون ميلاً. ابن ؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٢٢٧- ٢٢٩ ؛ عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤١٧- ٤١٨

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦١؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٧٠؛ بيبرس المنصوري: مختار الأخبار، ص٥٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٢٣٤-٢٣٥.

(٢) لم يذكر اسمه صريحًا هنا، ولكن من المرجح أن يكون آجاي بن هولاكو. انظر ما يلي ص من هذا البحث.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٦٦-٦٦٧؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨٢؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦١؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٤٢.
وتوداون: ويكتب أحيانًا: تودان، وهو ابن الأمير سودون (أوصادون)؛ وتوقو: (أوطوغو) هو ابن القائد: ايلكاي نوين، الذي سبق أن شفع للوزير فخر الدين علي. انظر: الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٢، ٦٢-٦٣، ١٧٠.

يعصمه من أعدائه، فقصد قلعة "لؤلؤة"(١) فسمح له القائم عليها بدخولها، ثم جرده وأصحابه من سلاحهم، وغدر بهم، وسلمهم إلى بروانه(٢).

وعقد بروانه وقادة الجيش المغولي محاكمة للمتورطين في التمرد، والسؤال الرئيسي المطروح على الجميع: لماذا خلعتم طاعة الإيلخان، و تبعتم ابن الخطير، المنحاز للمماليك أعداء الدولة.؟ وأول من تم التحقيق معه، السلطان كيخسرو الثالث، فإعتذر بحداثة سنه، وأنه قد غُرر به، ولم يسعه إلا الدخول فيما دخل فيه مستشاروه وكبار رجال دولته، فتدخل بروانه، وحمّل شجاع الدين قيبة الخادم "اللالا" (٣) مسئولية انضمام السلطان للمتأمرين، فقام إليه " فقتله بيده "(٤).

ثم جيء بالأمراء الكبار، ومنهم: البكلركي سيف الدين طرنطاي، والأتابك مجد الدين الأرزنجاني، والمستوفي جلال الدين، فكان جوابهم، أن ابن الخطير أمرهم بالانضمام إليه، وخافوا إن هم عصوه، أن يزهق أرواحهم، كما فعل بتاج الدين كيو، وابن أرسلان دغمش، وقرر القادة المغول احتجازهم، والتحفظ عليهم حتى يسمعوا جواب ابن الخطير(٥).

---

(١) لؤلؤة: واسمها عند البيزنطيين "لولون Loulon "، بلدة لها قلعة حصينة، وهي في النهاية الشمالية لدرب الأبواب القيليقية، وبينها وبين البذنون عشرة أميال، وإلى الشمال منها نكيدة، وقال ياقوت: قلعة قرب طرسوس. معجم البلدان، ج٥، ص٢٦؛ لسترنج: المرجع السابق، ص١٦١-١٦٢، ١٧١، ١٨٣.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٦٨؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨٣، ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٢؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٧١؛ المختصر من تاريخ ابن الجزري، ص٢٨٧

(٣) هكذا ورد الاسم عند ابن بيبي، وبه أخذنا، وعند غيره " قايبا الخصي "انظر: الأوامر العلائية، ص٦٦٩؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨٤ ؛ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٣؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ٢٣٥؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج ٨، ص ١٩٣.

(٤) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٣، وانظر: ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٦٩؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨٤؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٩٣، النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٢٣٥

(٥) ابن أبي الفضائل: المصدر السابق، ص٢٤٨ ؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٣؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٧٢؛ المختصر من تاريخ ابن الجزري، ص٢٨٧.

وجاء دور قائد التمرد في التحقيق، وسئل عن سبب قيامه بهذا العمل؟، فأجاب موجهًا حديثه للبروانه: "أنت حرضتني على ذلك"[1]، وأماط اللثام عن مكاتبات متبادلة بين السلطان بيبرس وبروانه، فسارع الأخير للإنكار، ولخطورة الاتهام، توقف عنده قادة المغول، وأرسلوا حيثيات التحقيق مع ابن الخطير، إلى الإيلخان آباقا، ليرى رأيه فيها[2].

أما الأمراء الكبار، المتحفظ عليهم، فأقر ابن الخطير، أنه أجبرهم على متابعته، فتقرر إطلاق سراحهم، عدا البكلريكي سيف الدين طرنطاي، المتهم أيضًا، بدعم التمرد ماليًا، فعفي عنه مقابل توفيره مئتي فرس، وألف درهم، وكفالة ألف رجل من عساكر المغول في فصل الشتاء.وكان لضآلة ذنبه، ومصانعته لبعض قادة المغول بماله، دور في إنقاذ حياته[3].وبعد تخلية سبيله، أُمر بملازمة بيته[4].

وفي انتظار أمر الإيلخان، انهمك المغول في تعذيب ابن الخطير، بجلده بالسياط وغيرها، ليقر بأسماء من ساندوه في تمرده، ونتيجة لذلك بدأ يعترف ببعض من ساعدوه[5]وأدرك بروانه أنه سيذكر اسمه، فأرسل إليه سرًا،

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٣؛ وانظر أيضًا: اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٧٢؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٩٦

(٢) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٣؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٧٢؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٩٦.

(٣) ابن أبي الفضائل: المصدر السابق، ص٢٤٩-٢٥٠ ؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٤؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٧٢-١٧٣ ؛ المختصر من تاريخ ابن الجزري: ص٢٨٧، وعنده عدد الأفراس ثمانون رأسًا، الذهبي: تاريخ الإسلام، الطبقة "٦٦"، ص٢٢؛ وذكر أربعمئة ألف درهم، بدل ألف.

(٤) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٤٣

(٥) ومن الأسماء التي وردت في اعترافات ابن الخطير، سيف الدين قلاوز أمير شكار، وعلم الدين سنجر أمير جاندار، وشرف الدين محمد وهو المتهم بالإجهاز على الوزير شمس الدين الأصفهاني. ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٦٩؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨٤؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٣؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٧٢. وأمير شكار كلمة فارسية تعني الصيد، فيكون المعنى أمير الصيد، وهي وظيفة منذ العصر الأيوبي، متوليها من الأمراء فئة أمراء الطبلخاناه ومهمته الإشراف على الطيور الجوارح وما يتصل بها وبالصيد. الخطيب: المرجع السابق، ص٤٤.

وأشار عليه بإنكار كل ما أقر به متذرعًا بانتزاع أقواله منه، تحت تأثير العذاب.واعدًا إياه بالعمل على العفو عنه، فاستجاب ابن الخطير لمشورته[1]، وهذا يعني أنه تراجع عن اعترافاته، ويبدو أن هذا ما قصده ابن بيبي حين قال: "فأخذ لفرط دهشته وغاية حيرته، يجيب عن الأسئلة إجابات متناقضة[2]".

وفيها غادر القائد ابن هولاكو آسيا الصغرى، وبقي القائدان توداون، وتوقو، لمعالجة ذيول حركة ابن الخطير، جاء أمر الإيلخان، بتطبيق قانون "الياسا" على شرف الدين بن الخطير، والقاضي بقتله، وبعث رأسه وأطرافه الأربعة إلى مدن متفرقة من بلاد سلاجقة الروم، فنفذ فيه الحكم، في شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م[3].

وعلى أثر ذلك تنفس بروانه الصعداء، ونجا من ذلك الامتحان الصعب[4]، لكن مركزه داخل دولة سلاجقة الروم، اهتز كثيرًا، ولا أميل إلى رأي من ذهب إلى أن القضاء على تمرد ابن الخطير على هذا النحو زاد من مكانة بروانه عند المغول.بل إن شكوكهم في تابعهم بروانه، لم تزل كامنة في نفوسهم، وتلا تمرد ابن الخطير، ثورات التركمان، وغزو الظاهر بيبرس آسيا الصغرى، واللتان أفضتا بدولة سلاجقة الروم إلى الانحلال والسير في طريق الانقراض[5].

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٤؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٧٢؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٩٦

(٢) الأوامر العلائية، ص٦٦٩-٦٧٠؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨٤

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٧٠، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨٤؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٤؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٩٦؛ الذهبي: دول الإسلام، ج٢، ص١٩٥

(٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٣٤؛ عباس إقبال: المرجع السابق، ص٢٢٨؛ حسن الأمين: المرجع السابق، ص٢٢٧

(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٧ب. Cahen: Pre of Ottoman. P. 287.

علاقته بالقوي المحيطة (المغول المماليك الأرمن التركمان).

ا- علاقته بالمغول:

بعد وقوفنا على سياسة بروانه الداخلية، لابد من بيان علاقته مع القوى الخارجية المحيطة بدولة سلاجقة الروم، وفي البداية لابد من الإشارة إلى أن تلك العلاقة خضعت لاعتبارين أثنين هما:

الاعتبار الأول: مراعاة موقع دولة سلاجقة الروم، فهي تقع بين قوى يعادي بعضها بعضًا، فالإيلخانيون من الشرق، والمماليك من الجنوب، ومملكة أرمينية الصغرى في العمق، فكانت أراضي سلاجقة الروم ميدانًا لحروب طاحنة بين تلك القوى، ورغم أن بروانه – ودولته – في عداد توابع الدولة الإيلخانية.إلا أنه حاول جاهدًا الحفاظ على " شعرة معادية "، مع الظاهر بيبرس سلطان المماليك، فكان يحرص على بقاء الاتصالات معه، بقدر حرصه على إظهار تبعيته وإخلاصه لإيلخانات فارس، مما حدا بالبعض إلى وصف تلك السياسة بأنها ذات وجهين[1].

الاعتبار الثاني: طبيعة بروانه نفسه، المتمثلة في الذكاء، والدهاء، والاقدام، والطموح[2]، وهي صفات دفعته إلى السعي الحثيث، لتقوية نفوذه، والمحافظة عليه.والقضاء على كل من يشكل خطرًا عليه، مما فرض عليه انتهاج سياسات متنوعة، حسب تنوع المواقف والظروف، جاعلاً نصب عينيه هدفًا واحدًا، هو بقاؤه الحاكم الأول لدولة سلاجقة الروم[3].

---

(١) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٥٠١؛ Cahen: The Mongols And Near East. "Setton". P. 727.
عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٢٢٨؛ العريني: المرجع السابق، ص٢٣٩

(٢) الذهبي: العبر، ج٣، ص٣٣٢؛ ابن شاكر: عيون التواريخ، ج٢٠، ص٤٧؛ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج٥، ص٣١٢؛ عباس إقبال: المرجع السابق، ص٢٢٨؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، مقدمة المحقق، ص٢٣؛ حسن الأمين: المرجع السابق، ص٢٢٧

(٣) أحمد توني: المرجع السابق، ص٦٣

وأدرك بروانه - منذ الوهلة الأولى - أن بقاءه، واستمراره حاكمًا لبلاد الروم، مرتبط بمدى ما يظهره من ولاء وخضوع للإيلخان، وما يقدمه له من خدمات بعد انفراد الدولة الايلخانية، دون غيرها من ممالك المغول[1] - بالسيطرة على آسيا الصغرى.

ويبدو أن بروانه، ورث سياسة مهادنة المغول عن أبيه، وفي المقابل، ورث أيضًا عطف القائد بايجو، واهتمامه، كما أشرنا ولما انقضى عهد بايجو، وحل عهد هولاكو، تفاني بروانه في خدمته، وتحقيق مطالبه، حتى وثق به، وفوضه في إدارة شئون بلاد سلاجقة الروم، نائبًا عنه.

وحتى هذه الثقة التي حازها، لم تمنعه من توخي الحذر الشديد — والذي اشتهر عنه - ، فعندما جاءته رسل الإيلخان هولاكو، تحثه على القدوم عليه، سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م.فوجيء بهذا الطلب، و أوجس في نفسه خيفة، وخشي من إيقاع الإيلخان به، ولعدم قدرته، على رفض الطلب، اتفق مع أحد خواصه، وهو "شاه ملك"[2] على أن يتظاهر الأخير بالعصيان، ويتحصن في قلعة "كادغرة"[3]، وبحجة القضاء على عصيانه، يؤجل بروانه سفره إلى الإيلخان[4].

وتم تنفيذ الاتفاق بدقة، فاعتصم شاه ملك بالقلعة، وجاء بروانه بجنوده، ومعظمهم من المغول، وضرب عليه الحصار، واشتد الحصار، وزادت وتيرة المقاومة، وخاف بروانه من ازدياد الإصابات في جنوده، وطلب الاتصال سرًا بـ"شاه ملك" لكن هذا الأخير بدأ يخشى على نفسه من عقاب الإيلخان، فرفض اللقاء السري، وأشرف على بروانه وجنوده من فوق أسوار القلعة، فبادره بروانه يعاتبه على عصيانه، فرد عليه بأن ذلك تم بالاتفاق بينهما، وهدد

(١) والمقصود: القآن الكبير في قراقورم، وخان القبيلة الذهبية في جنوب روسيا، وهما اللذان سبق لهما التدخل في شئون دولة سلاجقة الروم.

(٢) وعند اليونيني أنه كان في منصب أمير الأمراء. أي: بكلربكي. المصدر السابق، ج١، ص٥٣٦

(٣) كذا في أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٣. وفي ذيل مرآة الزمان ج١، ص٥٣٦، "غرا".

(٤) اليونيني: المصدر السابق، ج١، ص٣٥٦؛ أحمد توني: المرجع السابق، ص٦٠

بإطلاع هولاكو على ملابسات الاتفاق، فعرض عليه بروانه الشفاعة له عند الإيلخان مقابل استسلامه، لكن شاه ملك لم يصدقه، واستمر في العصيان، وزاد قلق بروانه من إمكانية تسلله من القلعة، ولحاقه بالإيلخان، فيفتضح أمره، فأوسع الحيلة للإمساك به، حتى نجح في إنزاله من القلعة[1]ويظهر أنه كان للسلطان قلج أرسلان الرابع دور رئيس في عملية استسلامه. وكان لا يزال على وفاق مع وزيره بروانه. إذ هو الذي أعطاه الأمان، فلما أمسك به، دفعه لمن معه من المغول، فأجهزوا عليه[2].فالسلطان هنا يعمل - بلا شك - في مصلحة بروانه، فلم يجر تحقيقاً مع شاه ملك، عن أسباب عصيانه، ولم ينقله إلى الإيلخان ليرى فيه رأيه، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، وهو إعطاؤه الأمان، ثم الغدر به، بعد أن تمكن منه.

وتدفعنا المعاملة الحسنة التي عامل بها بروانه أبناء شاه ملك وأنصاره[3]، على ترجيح رواية اليونيني بأن ما حصل كان باتفاق مسبق بين الاثنين.

لكن القضية تطورت فأخذت منحى آخر، خرجت به عن السيطرة.بعكس رواية ابن بيبي، فإضافة إلى أنها مقتضبة ؛ فإنه يعتبر ما حصل عصيانًا حقيقيًا، وينسب الفضل في إخماده للسلطان السلجوقي.ومما يجعلنا نميل إلى ترجيح رواية اليونيني - المشار إليها - لجوء بروانه لانتهاج مثل تلك الخطة أكثر من مرة، وتحقيق مبتغاه بواسطتها.

ومهما يكن من أمر، فيبدو أن حادثة العصيان تلك، وفرت للبروانه فرصة للتنصل من طلب الإيلخان، فلم تذكر المصادر لقاءً للبروانه مع هولاكو بعد ذلك، حتى وفاة الأخير بعد أقل من عامين وهذا يعني تحقيق بروانه لهدفه من الخطة، كما أنها أظهرت للمغول أنه يمكنهم الاعتماد على حليفهم المخلص في دولة سلاجقة الروم.

(١) اليونيني: المصدر السابق، ج١، ص٥٣٧

(٢) ابن البيبي: الأوامر العلائية، ص٦٤٣؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٣

(٣) اليونيني: المصدر السابق، ج١، ص٥٣٧؛ أحمد توني: المرجع السابق، ص٦٠

ولما تربع "آباقا" على عرش الإيلخانية، واتت الفرصة بروانه ليلتقي به مرتين متتاليتين، الأولى برفقة قلج أرسلان الرابع، والثانية مع ابنه وخليفته كيخسرو الثالث، وفي كلتا المرتين، حاز على ثقة الإيلخان ورضاه، وعندما عاد من لقائه الثاني إلى بلاد الروم، جاء برفقته أميران مغوليان، هما: "آجاي Ajay" [(١)]، شقيق الإيلخان آباقا، و"سماغر نوين" [(٢)]، بهدف قيادة الحامية المغولية في بلاد سلاجقة الروم[(٣)].

ولا يُعد هذا الإجراء تغيرًا في ثقة المغول ببروانه، فهو طالما اعتمد على عساكر المغول، في فرض سيطرته، وتعاظم دورهم عنده، مقابل تضاؤل دور جيش سلاجقة الروم، حتى أفضى به إلى الزوال فيما بعد، وتلك سياسة، حقق بروانه عن طريقها الكثير من المكاسب[(٤)].

والهدف الرئيسي من مجيء القائدين المذكورين، إلى آسيا الصغرى، لتنفيذ سياسة انتهجها المسئولون المغول، تقضي بالاحتفاظ بقوات كثيرة في جنوبي آسيا الصغرى، على الحدود المتاخمة للدولة المملوكية، لتفاقم الصراع بين الجانبين، وأنيط بهذه القوات الدفاع عن آسيا الصغرى من جهة، ومواصلة الضغط على أراضي الدولة المملوكية في شمال الشام من جهة أخرى، وبسبب أهمية الدور الذي تقوم به، تولى قيادة تلك القوات أمراء متميزون، ومقربون إلى الإيلخان نفسه، وفي هذا الإطار جاء آجاي بن هولاكو[(٥)].

---

(١) آجاي بن هولاكو، كان حيًا في أوائل عهد ابن أخيه الإيلخان آرغون ابن آباقا سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م. كما ذكر الهمذاني، رغم أن بعض المصادر الإسلامية ذكرت أنه هلك كافرًا بعد أخيه الإيلخان آباقا في شهور سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م. جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٢٨؛ ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص٣؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٤، ص١٠٠-١٠١

(٢) اختلفت المصادر في طريقة كتابة اسمه، فكتب: صمغرا، وصمغار، وسمغرا Samgar ؛ وأخذنا بما ورد عند الهمذاني، إذ هو مؤرخ القوم.

(٣) اليونيني: المصدر السابق، ج٤، ص١٠٠-١٠١

(4) Cahen: The Mongols And Near East. "Setton" P. 727.
(5) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey , P. 285-286, 345.

ومنذ مجيء آجاي وسماغر، وبروانه يواجه صعوبة متزايدة في أرضاء القائدين المغوليين، لكنه حقق فيما بعد نجاحًا في الاتفاق مع سماغر، إذ عملا سويًا على إنجاز بعض المهمات، ويعود سبب النجاحات التي حققها بروانه مع هذا القائد المغولي، وأمثاله إلى أمواله وهداياه التي يغدقها عليهم، وحرصه المتناهي على تلبية رغباتهم، وإظهار إخلاصه ونصحه لهم[1].

ومن صور التنسيق والتعاون، اللذان تما بين بروانه وسماغر.اشتراكهما في قمع تمرد القائد" تكودار Tokoda "[2]، الذي كان يقود أحد جيوش الإيلخان في منطقة كرجستان، فطمع في حكم ما تحت يده من أراضي، وخلع طاعة آباقا.فاستنفر الإيلخان عساكره، فأقبلت من كل الجهات، وجاءت نجدة آسيا الصغرى، يقدمها بروانه وسماغر نوين، و معهما أيضًا البكلربكي سيف الدين طرنطاي سوباشي أماسية، وبعد تحقيق حملة الإيلخان لأهدافها، وقمع التمرد، عادت نجدة آسيا الصغرى إلى بلادها[3].

ومن صور التعاون بين الرجلين أيضًا، أتفاقهما على تبادل الرسائل مع السلطان المملوكي بيبرس، سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧٢م.واقتراح عقد صلح معه، فرد عليهما بيبرس بثلاث رسائل وثلاث مجموعات من الهدايا، إحداهن للإيلخان آباقا، لعلمه أنهما ليسا إلا نائبين عنه في البلاد، وبعد استلام كل منهما لرسالته وهديته، تم تجهيز الرسل للذهاب إلى الاردو، لعرض الموضوع على الإيلخان، ورافق بروانه رسل المماليك في سفرهم إلى تبريز، ولما حل ببلاط

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٣٤؛ كاهن: المرجع السابق، ص٢٧٢؛ Cahen : Pre Of Ottoman Turkey. P. 269

(٢) تكودار بن موجي بيه بن جغتاي، تمرد على آباقا، فهزمه الأخير. وعفا عنه وكان يتردد على معسكر الإيلخان حتى توفي، ولم يذكر تاريخ وفاته. انظر: الهمذاني جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٢٣

(٣) وتم القضاء على التمرد المشار إليه في معركة وقعت في رمضان سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩، الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٢٤؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٤١١، ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٤١. تاريخ ابن خلدون، مج٥، ق٥، ص١١٥؛ D,ohsson : Op. Cit . III, P. ٤٣٤.

الإيلخان وجدها فرصة ليشتكي له من تصرفات أخيه آجاي، الذي أمسى شديد الوطأة عليه، دائم الجدال معه، وقد عجز بروانه عن توفير طلباته، وبلغ الخصام بينهما حدًا جعل كل منهما يتربص بالآخر[1].

وفي سبيل إقناع الإيلخان بصدق شكواه، لجأ بروانه إلى سلاح طالما استخدمه بنجاح، وهو اتهام آجاي بالتخطيط لقتله، ثم الانضواء تحت لواء الظاهر بيبرس، والاستقلال ببلاد سلاجقة الروم، فطلب منه الايلخان كتمان هذا الأمر، ووعده بسحب آجاي وسماغر واستبدالهما بالقائد توقو نوين[2].

وأثر عودته من بلاط الايلخان، سنة ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م، وجد بروانه الأمير آجاي حانقًا عليه، شديد الإعراض عنه، فظن أنه علم بما جرى بينه، وبين الإيلخان فداخله الندم، وخشي على نفسه ليس من آجاي فقط، بل من الإيلخان نفسه أيضًا، فحمله هذا على مكاتبة السلطان بيبرس[3].

وهنا تظهر بجلاء، سياسة " الوجهين "[4] التي اضطر بروانه إلى انتهاجها، للحفاظ على سلطته ومركزه في دولة سلاجقة الروم، فهو يجري اتصالات علنية وسرية بطرفين متعاديين، يطلب من كل منهما الدعم والمساعدة.

وفي رسالته التي بعث بها إلى الظاهر بيبرس، تعهد بروانه، بالثورة على العساكر المغولية، والعمل على قتل قادتها وعلى رأسهم آجاي وسماغر، مقابل اعتراف السلطان المملوكي بسلطنة كيخسرو الثالث السلجوقي وبقائه على

---

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٧٨، ١٠٧، اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٣٤؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٧٧-١٧٨. وقد شكك " Cahen " في عزم كل منهما التخلص من الآخر، رغام اعترافه بأن المصدر الوحيد لهذه المعلومات هو ابن شداد.
Pre Of Ottoman Turkey. P. 285.

(٢) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٨٧-٨٨؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٣٤

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٧٩، ٨٨؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٧٧-١٧٨؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٣٤.

(٤) انظر: Cahen: Op. Cit. P. 285, وانظر أيضًا: عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٢٢٨.

عرش مملكته، ووجود بروانه مدبرًا لشئون الدولة، ومصرفًا لأمورها، وأن يرابط جيش مملوكي في أراضي دولة سلاجقة الروم بصفة دائمة(١).

ولما جاء الرد من بيبرس، كانت الأوضاع في بلاد سلاجقة الروم قد تغيرت، فالإيلخان وفى بوعده للبروانه، واستدعى أخاه آجاي وسماغر إليه سنة ٦٧٣هـ/ ١٢٧٥م، و استبدلهما بتوقو نوين(٢).

ولما جاء القائد المغولي الجديد (توقو نوين) إلى آسيا الصغرى، كان برفقته نحو أربعين رجلاً من خاصته، وهو يحمل تفويضًا من الإيلخان، بحصر وضبط أموال دولة سلاجقة الروم، وعدم الرضوخ لطلبات بروانه، والعمل على تحجيم نفوذه والامتناع عن تنفيذ أوامره، والمشاركة معه في اتخاذ القرارات ومتابعة تنفيذها(٣).

وعند وصوله إلى بلاد الروم، تجاهل بروانه القائد المغولي الجديد، فيما خف للقائه بقية الأمراء، واستقبلوه بالهدايا، وانضم إليه بعضهم في جولته التي طوف خلالها في أرجاء دولة سلاجقة الروم، وجبى خلالها أموالاً طائلة، بعث بها إلى خزانة الإيلخان في بلاد فارس(٤).

ومرة أخرى، تدفع الرعية ـ في دولة سلاجقة الروم ـ ثمنًا باهظًا لصراع بين كبار رجال الدولة، لا ناقة لهم فيه ولا جمل، فها هو القائد المغولي

---

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٧٩، ٨٨؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٢١٩؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج١٣، ص٢٨٥، وأضاف أن الأمراء – ومنهم ابنا الخطير – وافقوا بروانه في هذا العمل.

(٢) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٨٨؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٨٩؛ واختلط الأمر عند الهمذاني فذكر أن "سماغر" و"كهوركاي Khorkai"، جاءا خلفًا لتوقو وتوداون بعد وفاتهما. والصحيح أن توقو ثم توداون: جاء بعد عزل سماغر وآجاي، جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٢

(٣) ابن أبي الفضائل: المصدر السابق، ص٢٢٧–٢٢٨ ؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٠٨؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٨٩؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٧٨.

(٤) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٠٨؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٨٩؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٧٨

الجديد، يصادر الموال وينتزعها من أهلها، في طول البلاد وعرضها، ويبعث بها إلى الإيلخان ليكسب رضاه.

أما بروانه، فأعرض عن توقو نوين، ليختبر قوته، وليشعره بأنه كان السبب في عزل سلفه والمجيء به، لكنه أدرك مدى ما يتمتع به القائد المغولي الجديد من قوة وجرأة، فغير موقفه، وأظهر الاستكانة، وجاء يتقرب إليه، ويغدق عليه الهدايا ويعلن خضوعه لأوامر الإيلخان[1].

وفي تبريز، أجرى الإيلخان تحقيقًا مع أخيه آجاي خلص في نهايته إلى أن أخاه لم يرتكب إثمًا يستحق عليه العقاب، وفي المقابل زادت شكوكه تجاه بروانه، وترك لأخيه حرية العودة إلى آسيا الصغرى متى شاء، فيما طلب من توقو نوين، وزعماء دولة سلاجقة الروم، وهم بروانه، والسلطان كيخسرو الثالث، والبكلربكي طرنطاي، القدوم عليه، في عاصمته، فتحرك ركبهم في أواخر سنة ٦٧٣هـ/ ١٢٧٥م.قاصدًا تبريز وفي أطراف بلاد سلاجقة الروم، وتحديدًا في أرزنجان التقوا بالأمير آجاي، العائد إلى آسيا الصغرى، فداخلهم الخوف منه، فهم في عداد خصومه، فلم يرو بدًا من التزلف إليه، بالهدايا، و الإعتذارات، وأسرعوا في مواصلة سيرهم، وانضم إلى ركبهم الأسقف مرحسيا[2]، فمثلوا بين يدي الإيلخان، وأتحفوه بما معهم من هدايا، وفي هذا اللقاء، سأل الايلخان السلطان كيخسرو الثالث عن المتسبب في قتل أبيه ؟!، فأجاب ببراءة " أن أباه مات ولم يقتل ! "وكان هدف الإيلخان الاقتصاص من الجناة[3].

ويكشف الحوار السابق - بين الإيلخان وكيخسرو الثالث - مدى ما يساور آباقا من شكوك تجاه بروانه، فهو يعلم يقينًا، كيف لقي السلطان قلج

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٠٨؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٨٩؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٧٨

(٢) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٢٢؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١١٢

أرسلان الرابع حتفه، ويدرك الدور الذي لعبه بروانه في ذلك، وربما أراد أن يشعر بروانه بعدم رضاه عن سياسته، أكثر من رغبته في الاقتصاص منه، لمقتل السلطان، ولهذا فهو أصر على إحضار السلطان الصغير مع الوفد.كما أن الحوار يكشف عن جهل كيخسرو الثالث بالمصير الذي آل إليه والده، وقس عليه عامة الناس البعيدين عن خفايا الخلاف بين بروانه والسلطان الراحل.

وبعد عودة بروانه ومن معه إلى بلاد سلاجقة الروم، وعند دخولهم إلى سيواس، بلغتهم أنباء اضطهاد آجاي للموالين للبروانه، حيث صادر ممتلكات بعضهم، وجلد بعضهم، ومنهم ضياء الدين بن الخطير، وشمل انتقام آجاي كثيرًا من أنصار بروانه، وهم وجهاء البلد، فاتفق بروانه وتوقو نوين على الكتابة إلى الإيلخان للشكوى من جور آجاي وتعسفه، وظلم أتباعه للناس(1).

ولابد من الإشارة إلى أن هذه الحوادث تزامنت مع إعادة الوزارة في دولة سلاجقة الروم، إلى الوزير فخر الدين علي، وهو التغيير الذي رجحنا أن يكون من أسبابه النية في تحجيم نفوذ بروانه، الذي سعى جاهدًا لعزل الوزير ومعاقبته كما أشرنا آنفاً(2).

ولما وصلت رسائل الشكوى إلى الإيلخان، استدعى أخاه آجاي من بلاد الروم، مرة أخرى، وقبل وصوله إلى بلاط الإيلخان، بعث آجاي رسالة إلى أخيه

(1) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٢٣، اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١١٣

(2) انظر ما سبق ص من هذا البحث، والجدير بالذكر أن ابن بيبي يشير إلى أن الوزير فخر الدين علي عندما عاد من بلاط الإيلخان إلى قونية وقد أعيدت إليه الوزارة، أعيد توزيع المناصب في الدولة، وكان الجميع تحت إدارة قائد مغولي جديد يدعى "برقوغا Brquga " وهي معلومة وردت في كتاب الأوامر العلائية، لكنها لم ترد في المختصر "سلجوق نامة"، ثم لم يتكرر ذلك الاسم في أي حادثة تالية. انظر: الأوامر العلائية، ص٦٥٨؛ أخبار سلاجقة الروم، ص ٣٧٤، نسخة ترجمها د. علاء منصور، ص٣٢٤.

آباقا يتهم فيها بروانه وتوقونوين بسوء الإدارة، وسرقة أموال الدولة، والتآمر عليه، والوشاية به عنده، ليستدعيه فيصفوا لهما الجو في آسيا الصغرى[1].

ولقيت رسالة آجاي قبولاً في نفس الإيلخان، فرد عليه برسالة مفعمة بروح العصبية، جاء فيها: "من هو بروانه حتى يُسمع كلامه فيك؟، أمره إليك إن شئت تقتله وإن شئت تبقيه !"[2] وهذا بدون شك تفويض من القائد الأعلى إلى أحد جنوده، لكن بروانه – وهو الرجل الداهية – اطلع على نص رسالة الإيلخان قبل وصولها إلى آجاي، عن طريق عيونه الذين بثهم على الطرق منذ علم أن آجاي كتب إلى الإيلخان يتهمه، ونجح جواسيسه في التحايل على رسول الإيلخان، واستضافته في إحدى الدور، وأخذوا الرسالة منه، ولما علم بروانه بمحتواها، أمر بإعادتها إلى الرسول، وبادر بإرسال الهدايا والأموال إلى آجاي، واستعطفه، وبالغ في الاعتذار إليه، حتى اطمأن إلى تخفيف حدة غضبه عليه، وإن لم يزله بالكلية[3].

ويبدو أن آجاي احتفظ بالتفويض الإيلخاني لديه، انتظارًا لفرصة أخرى مواتية، لأنه لم يسارع باتخاذ أي إجراء ضد بروانه.

من جهة أخرى أيقن بروانه وحليفه توقو نوين، أن وجود آجاي معهما في آسيا الصغرى خطر عليهما، فاتفقا على الكتابة ثانية إلى الإيلخان واتهام آجاي بالتخطيط لقتلهما، والاستيلاء على البلاد، ثم تسليمها للظاهر بيبرس، وأن التنسيق بين الرجلين في هذا المجال قطع شوطًا طويلاً، ولإضفاء مصداقية على تلك التهم، جمع بروانه وحليفه تواقيع أعيان البلاد في سلاجقة الروم، ومنهم قضاة وفقهاء، على صحة وثبوت تلك التهم[4] ويبدو أنهما تعمدا اختيار

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٢٣؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١١٣
(٢) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٢٣
(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٢٣؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١١٣
(٤) ابن أبي الفضائل: المصدر السابق، ص٢٢٧ ؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٢٣؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١١٣.

القضاة والفقهاء، لأنهم علماء المسلمين، وصفتا الكذب وشهادة الزور محرمة في شريعة الإسلام.

ومن نافلة القول أن تهمة الاتصال بالمماليك، والتنسيق معهم لا يوازيها تهمة في ميزان الإيلخانات، وهي سلاح فتاك، ويبدو أن بروانه أول من ابتدعها، عندما أراد إثارة غضب الإيلخان هولاكو، ضد السلطان كيكاوس تمهيدًا للقضاء عليه، وإعادة توحيد دولة سلاجقة الروم، تحت حكم قلج أرسلان الرابع.و ما من شك أنه استخدم هذا السلاح بفعالية تامة في عدة مواقف فيما بعد.

ولحساسية الموقف في العلاقة بين الإيلخانات والمماليك، وحاجة الإيلخان إلى الاستقرار والهدوء في آسيا الصغرى، كي لا ينتهز أعداؤه المماليك الفرصة، فيثيرون في وجهه المتاعب، قرر وضع حد لمسألة الشد والجذب بين بروانه وتوقو نوين من جهة، وأخيه آجاي من جهة أخرى، فاستدعاهم جميعًا للمثول بين يديه، وطلب أيضًا حضور البكلريكي طرنطاي، والأسقف مرحسيا، واستعد الجميع لتنفيذ أمر الإيلخان، لكن بروانه شك في سبب توجيه الإيلخان الدعوة إلى الأمير السلجوقي البكلريكي طرنطاي، ورغم أنه رافقه في زيارة سابقة للإيلخان، إلا أن وجود السلطان كيخسرو الثالث معهما في تلك الزيارة، مبرر كاف لحضوره لكن المبرر انتفى هذه المرة، فخشي بروانه من صدور أمر إيلخاني بعزله واعتقاله وتفويض الأمر بعده للبكربكي طرنطاي، وبناءً عليه أسند إلى طرنطاي كفالة السلطان كيخسرو الثالث، وأقطعه أرزنجان – زيادة على سيواس – ونصحه بالبقاء مع السلطان الصغير، وتعهد له بالاعتذار إلى الإيلخان نيابة عنه، فضمن بذلك عدم مرافقته له في رحلته[1].

---

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٢٤؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١١٣

وعلم بروانه أنه سيخاصم، فأخذ معه كل من تعرض لعسف آجاي وظلمه، ليستصرخوا الإيلخان ويستدروا عطفه، ويطالبوا بعدله، في الاقتصاص من آجاي، ووصلوا إلى بلاط الإيلخان في الربيع الأول من سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٦م.ونجح بروانه في مسعاه، وصدر أمر الإيلخان بالتحفظ على آجاي في تبريز، وأعدم سبعة أشخاص من أنصاره لثبوت تورطهم في الظلم وسفك الدماء، وسمح للبروانه ورفاقه بالعودة إلى آسيا الصغرى[١].

ولم يكد يصل الوفد إلى قونية، حتى جاءت في إثره، رسل الإيلخان، تطلب من بروانه العودة إلى تبريز، للاجتماع بالإيلخان، فاضطربت نفس بروانه، وظن أنه هالك لا محالة[٢] فبالإضافة إلى شكوك الإيلخان المتزايدة فيه، فقد وقعت حادثتان خطيرتان كان هو المذنب فيهما.أولاهما: وقوع إحدى رسائله التي بعث بها إلى الظاهر بيبرس في يد قائد مغولي، كان مرابطًا بجيشه على الحدود الجنوبية لآسيا الصغرى، ويقال أنه بعث بها إلى الإيلخان[٣]وأخراهما: أن أميرًا مغوليًا قتل هو وأصحابه في بلاد سلاجقة الروم، وذلك بمشورة بروانه.وكان الأمير المذكور كافرًا، وكان له أخوان مسلمان[٤].أقاما مدة في بلاد سلاجقة الروم في كنف عمتهما، وكانت تحت بروانه[٥].

إذ كان مصاهرًا لأسرة مغولية معروفة، طمعًا في استمالة هؤلاء المغول وكسبهم إلى صفه، وجاء الأخ الكافر ومرافقوه، وطلب من أخويه المسلمين

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٢٤، اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١١٣-١١٤

(٢) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٥٢، اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٦٤

(٣) انظر ما يلي ص من هذا البحث.

(٤) وهما: شكتاي وجاروجي. انظر ما يلي ص من هذا البحث.

(٥) لم تذكر المصادر اسمها، ولا اسم أبيها، وقيل أنها ابنة الملك نوين. انظر: Howorthe: Op. Cit. III , P. 183 ; Enc. Of Islam. P. 655.
لكن ابني أخويها المسلمين، هاجرا إلى مصر وكان لهما فيها شأن. انظر ما يلي ص من هذا البحث.

منحه مبلغًا من المال، واحتج الكافر على أخويه، بأنه ملازم للبيكار[1] بينما هما ينعمان برغد العيش، وراحة البال، وسكنى المدن، وهددوهما بالاختصام إلى الإيلخان إن لم ينفذا طلبه، فأشار عليهما بروانه باعطائه - وأصحابه - ما يريد، وبعد انصرافهم خاف بروانه عاقبة الأمر، وتوهم أنهم ربما يوشي به عند الإيلخان، فطلب من أحد أتباعه وهو الأمير بهادر بن حسام الدين بيجار، - وأبوه سوباشي خرتبرت - أن يلحق بهم ويقتلهم جميعًا، وكان بهادر المذكور زوجًا لأخت الأمير المغولي الكافر، فلحق بهم، وقضى عليهم، وسلب ما معهم، فنصحه بروانه أن يفر هو وأبوه إلى سلطنة المماليك، ويطلبا اللجوء فيها، ففعلا ذلك[2].

وبسبب هاتين الحادثتين، تردد بروانه في المسير إلى الإيلخان، وأرسل إلى الظاهر بيبرس، يستحثه على القدوم بجيشه إلى بلاد الروم، لينقذه من الورطة، التي ألفى نفسه فيها، لكن جواب الظاهر بيبرس تأخر، فيما أخذت رسل الإيلخان تترى عليه، تطلب مثوله بين يديه، ومرة أخرى وجد بروانه فرصة للمماطلة، فاعتذر لرسل المغول، بأنه منهمك في تجهيز أخت[3] السلطان كيخسرو الثالث، والتي ستزف إلى الإيلخان آباقا، الذي سبق أن أبدى رغبته

---

(١) البيكار: لفظ فارسي معناه الحرب عامة، ويجمع على بياكير. ابن واصل. مفرج الكروب، ج٣، ص٢٠٤، حاشية (٥)؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص١٠٥، حاشية (١).

(٢) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٥٢-١٥٣؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٦٤-١٦٧؛ تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص٦٨؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٥٣. وبهادر هو الأمير حسام الدين "وقيل شمس الدين" كان من أعيان الأمراء في مصر، توفي في شعبان سنة ٦٨٠هـ/ نوفمبر ١٢٨١م. وهو في عشر السبعين، ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٢٨، النويري: نهاية الأرب، ج٣١. تحقيق: محمد عبد الهادي شعيرة، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٨٤-٨٥ب، ابن أبي الفضائل: المصدر السابق، ص٢٣٩.

(٣) وهي: سلجوقي خوندخاتون. بنت قلج أرسلان الرابع، وأمها كرجي خاتون، وتوفيت سلجوقي سنة ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م زمباور: المرجع السابق، ص٢١٧

في الزواج منها[1].لكن الإيلخان لم يقبل عذر بروانه واتهمه بسوء النية، إن لم يسارع في الحضور ويدع خلفه كل ما يتحجج به[2].

وإزاء الحاح الايلخان، لم يجد بروانه مناصًا من الرضوخ لأمره، فبعث الجيش – وفيه كثير من المغول – إلى الأبلستين للمرابطة هناك، ومراقبة الحدود مع دولة المماليك، فيما تحرك هو من العاصمة قاصدًا الأردو، وفي محاولة أخيرة منه لتحاشي اللقاء مع الإيلخان، أرسل إلى البكلربكي طرنطاي – وكان من أمراء الجيش المرابط في الأبلستين – واجتمع به، وأطلعه على ما يخالج نفسه من ريبة تجاه الإيلخان، واتفق معه على سحب الجيش من الأبلستين والتوجه به إلى قيصرية، والكتابة إليه من هناك، وطلب عودته إلى البلاد، بحجة أنها تتعرض لهجوم مملوكي، يقوده الظاهر بيبرس نفسه.وصده بدون مشاركة بروانه يبدو عملاً مستحيلاً، وتم تنفيذ الاتفاق بدقة، وتظاهر بروانه بالسفر إلى تبريز، وقبل خروجه من حدود دولة سلاجقة الروم، وصلته رسائل متتالية بإسم البكلربكي وقادة الجيش، حسب الاتفاق المبرم بينهما فسارع بروانه بإرسال تلك الرسائل إلى الإيلخان فلما عاينها، سمح له بقطع رحلته، والعودة على عجل إلى قيصرية لوضع حد لخطر المماليك[3].

وتبدو هنا براعة بروانه، في استغلال التوتر المستمر في العلاقات بين الإيلخانات والمماليك لصالحه.

وفور وصوله إلى قيصرية، شرع بروانه في تجهيز الجيش، ثم ساقه إلى الأبلستين، بذريعة مواجهة المماليك، وفي المقابل تقدم الظاهر بيبرس على رأس

---

(١) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٤١؛ وذكر ابن العبري أن بروانه، زف الأميرة السلجوقية إلى الإيلخان بمبادرة منه، ليبعد عنه شبهة الاتصال بالمماليك، زاعمًا بأن السلطان بيبرس ينوي اختطاف الأميرة المذكورة والزواج منها. انظر: تاريخ الزمان، ص٣٣٤؛ عباس إقبال: المرجع السابق، ص٢٢٨

(٢) تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص٤٢؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٤١

(٣) ابن بهادر: المصدر السابق، ورقة ٦١٧ب، تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص٤٢-٤٣؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٤١؛ تاريخ ابن خلدون، مج٥، ق٤، ص٨٤٦

الجيش المملوكي، قاصدًا آسيا الصغرى، وبناءً على استغاثة بروانه السابقة به، لكن الظروف التي أجبرت بروانه على الاقدام على هذا العمل زالت – وإن مؤقتًا – ولم يعد بحاجة إلى مساعدة الظاهر بيبرس، لذلك بعث إليه اقتراحًا، بأن يؤجل السلطان دخول بلاد سلاجقة الروم إلى العام القادم، وأن يوجه غزوته هذه المرة إلى مملكة أرمينية الصغرى[١].

واعتبر الظاهر بيبرس ذلك عهدًا من بروانه، والتزم به من جهته، واعتذر بذلك عند إحجامه عن تقديم مساعدة فعالة، لابن الخطير، إبان تمرده السالف الذكر.

ولما اطمأن آباقا لانحسار الخطر المملوكي عن حدود آسيا الصغرى، أرسل في طلب بروانه ثانية، فوجدها هذا فرصة لتجهيز العروس السلجوقية، واصطحابها معه إلى الإيلخان، لعله يحظى بمزيد من العطف، ويزيل ما في نفسه من شكوك.فأقبل ومعه العروس، في موكب عظيم، يضم كبار أعيان الدولة، ولم يسع الإيلخان إلا أن يحسن استقبالهم ويجزل عطاءهم، وبعد انتهاء مراسم الزفاف عاد بروانه والوفد المرافق له إلى بلاد الروم[٢].ولم يسلم بروانه من العتاب، لكنه عموماً حظي بإستقبال كريم، وربما انشغل الإيلخان بأمر زواجه من الأميرة السلجوقيه ونسي - أو تناسى - الأمر الذي من أجله ألح في طلب بروانه.ومهما يكن من أمر، فإن بروانه جنى ثمار خططه في عدم الالتقاء بالإيلخان إلا بعد مضي، وقت غير قصير من استدعائه الأول، وفي حالة لا تسمح بإثارة كل المواضيع، خاصة الحساسة منها.

وحصل بروانه أيضًا على مكاسب من عملية المصاهرة بين الأسرة السلجوقية والأسرة الإيلخانية، حيث "قوي ظهر سكان ديار الروم بتلك

---

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٠٧، ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٧٧

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٧أ، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٦٤، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٧٨؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٥٣. الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٢٤

الصلة، وحظي الصاحب[1] و بروانه، بمزيد من العطف واللطف - يربو على المعهود - من جانب الحضرة الإيلخانية وأضاف فرضة[2] من ديار الأرمن إلى ممالك السلطان"[3].

وأثناء عودة بروانه ومن معه من بلاد فارس، وبعد دخولهم أرزنجان بلغهم نبأ تمرد ابن الخطير، وأخذه للسلطان كيخسرو الثالث، وبقية الأمراء إلى نكيدة.وانهمك بروانه في معالجة ذلك التمرد، ولم يكد يفرغ منه، حتى عبر الظاهر بيبرس بجيشه الحدود، غازيًا آسيا الصغرى وهي الغزوة التي سيكون لها نتائج بعيدة المدى على آسيا الصغرى وسنتناولها في صفحات تالية.

بـ علاقة بروانه بالمماليك والأرمن:

ومن القوى الخارجية، التي على "مدبر شئون ممالك الروم" – بروانه – التعامل معها - أيضًا - سلطنة المماليك في مصر والشام، ومملكة أرمينية الصغرى، وتصب معظم علاقته مع المماليك، في خانة صراع هؤلاء المحتدم، مع المغول الإيلخانيين في فارس، وهو موضوع سنتناوله صفحات قادمة - إن شاء الله.

أما مملكة أرمينية الصغرى فعلاقتها بدولة سلاجقة الروم، قديمة ومتقلبة، كما استعرضناه في صفحات سابقة.ففي عهد بروانه، كانت الدولتان (سلاجقة الروم، ومملكة أرمينية الصغرى) خاضعتين لإيلخانات فارس، وسبقت الإشارة إلى التحالف الهش بين قلج أرسلان الرابع السلجوقي، وهيثوم الأول الأرمني، ويذكر اليونيني أن بروانه التقى هيثوم الأول، في مجلس الإيلخان آباقا، سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م، وتراشقا بالكلمات واتهم كل

(١) المقصود بالصاحب. الوزير فخر الدين علي.

(٢) الفرضة: بضم الفاء، محط السفن من البحر، وهي الميناء: الرازي (محمد بن أبي بكر ابن عبدالقادر، ت. بعد ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م) ترتيب مختار الصحاح، تحقيق: شهاب الدين أبي عمر، دار الفكر، لبنان: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، مادة: ف. ر. ض.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٦٧، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨٢.

منهما الآخر بمكاتبة الظاهر بيبرس، والنية في الانحياز إليه[1].وهي حادثة تظهر بجلاء عدم اطمئنان كل منهما للآخر.

ويبدو للباحث، أن بروانه لم يحد عن سياسته التي انتهجها، المتمثلة في التقارب مع المماليك، وإظهار التبعية للمغول، وعدم الدخول مع الأرمن في قيليقية في نزاع مكشوف، خاصة بعد أن أصبح هؤلاء خاضعين لإيلخانات فارس، مشمولين بعطفهم ورعايتهم، أكثر من جيرانهم المسلمين[2]مع الأحتفاظ بعلاقات حسنة مع الأرمن حيث انتهز بروانه رحلة قام بها هيثوم الأول إلى الإيلخان آباقا سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م، وأثناء عودته ومروره بأراضي سلاجقة الروم، بعث بين يديه أحد أتباعه، فالتقى هذا ببروانه، الذي استشاره في إمكانية زواجه من إحدى بنات الملك الأرمني، فحسن له تابع الملك ذلك، ونصحه بحسن استقباله، بحجة أن ذلك يضمن له موافقة الملك[3].

ولما وطأت أقدام الملك الأرمني، أراضي سلاجقة الروم[4]، فوجيء بحسن الاستقبال، حيث كان بروانه وأعيان الدولة على رأس مستقبليه، وكانوا يحملون معهم الهدايا والتحف، وتعجب هيثوم من ذلك، لكن عجبه زال عندما "أظهر بروانه ما في قلبه"[5].فلم يسع الملك إلا التظاهر بالموافقة، وإبداء الفرحة والبشر، والوعد بإتمام هذا المشروع بعد وصوله إلى سيس عاصمة ملكه[6].

ويبدو أن موافقة هيثوم، جاءت نتيجة لخوفه من ردة فعل بروانه، إذا هو بادر برفض طلبه، لذلك عندما وصل إلى أرمينية الصغرى، وجاءته رسل بروانه، تطلب وفاءه بوعده، أخذ يماطل ويراوغ، واعتذر عن إتمام مشروع

(١) ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٣٨٨؛ وانظر أيضًا: النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٢٥٩، ٢٦١، وهي عنده من حوادث سنة ٦٦٢هـ.

(٢) عباس إقبال: المرجع السابق، ص٢٢٨؛ حسن الأمين: المرجع السابق، ص٢٢٧

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٢٦؛ تاريخ مختصر الدول، ص٤٩٩

(٤) ويقال أن اللقاء تم عند خان قرطاي. ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٢٦

(٥) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٩٩

(٦) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٢٦؛ تاريخ مختصر الدول، ص٥٠٠

الزواج، بحجة أن أحد أبنائه في أسر المماليك[1]، ولا يمكن بحال المضي قدمًا في أي عمل من هذا النوع، إلا بعد استعادة ابنه لحريته، والتي أرغمته هو على الذهاب إلى تبريز، والاجتماع بالإيلخان آباقا[2].

وإزاء ذلك الموقف، لم يكن أمام بروانه إلا الانتظار، وبعد إطلاق سراح الأمير الأرمني، كانت الأميرة قد هلكت، فأصبح هيثوم الأول في حل من التزامه، فحنق عليه بروانه، وعدها خدعة له[3].

ورغم فشل تلك المحاولة، استمر بروانه في ممارسة ضغوطه، من أجل تحقيق المصاهرة مع الأسرة الأرمنية الحاكمة في سيس وفي نهاية المطاف حقق مراده، إذ زف الملك " ليون الثالث Leo III" [4] بن هيثوم الأول، ابنته إلى زوجها، زوجها، مهذب علي بن بروانه، سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧٢م، لتكون عوضًا عن أخته التي لم يحقق أبوه وعده بتزويجها للبروانه[5] ورافق هذا الزواج، عقد صلح بين سلاجقة الروم، والأرمن في قيليقية، وصفه ابن العبري بأنه كان "صلحًا وهميًا"[6].

---

(١) وكان المماليك قد أسروا بالفعل ابنه ليو في هجومهم المشهور على قيليقية سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م. وأطلق سراحه فيما بعد بمقايضة بالأمير سنقر الأشقر. لمزيد من التفاصيل انظر: اليافعي (حسن بن إبراهيم بن محمد، كان حيًا سنة ٦٧٩هـ/ ١٢٧٠م) جامع التواريخ المصرية في ذكر الملوك والخلفاء والسلاطين الإسلامية صورة بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم ١١٤٢، عن نسخة المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٥٤٣، ورقة ١٩١ب - ١٩٢أ. ابن واصل: مفرج الكروب، ج٦، ورقة ٢١٤أ - ب؛ مملكة حماة في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة اعداد الباحث، وإشراف أ. د. علي محمد الغامدي. جامعة أم القرى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. ص٣١٢-٣١٤.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٢٦؛ تاريخ مختصر الدول، ص٥٠٠

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٢٦؛ تاريخ مختصر الدول، ص٥٠٠، عباس إقبال: المرجع السابق، ص٢٢٤-٢٢٥؛ حسن الأمين المرجع السابق، ص٢٢٣-٢٢٤

(٤) ليون الثالث، بن هيثوم الأول، ثاني ملوك الأرمن من أسرة " هيثوم " خلف والده على العرش سنة ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م، واجه صعوبات جمة، واستمر في الحكم حتى وفاته سنة٦٨٨هـ/١٢٨٩م. مروان المدور: المرجع السابق، ص٢٣٦-٢٣٧

(٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٢٩

(٦) ابن العبري: المصدر نفسه والصفحة.

وبعد موقعة الأبلستين، انتقل – أو نقل – ابن بروانه إلى مصر، وتخلى عن زوجته الأميرة الأرمنية، فأخذها والدها لتعيش في كنفه بقية عمرها(١).

ولقد برهنت الحوادث أن سحب الشك لم تنقشع أبدًا من سماء العلاقة بين سلاجقة الروم، وجيرانهم الأرمن في قيليقية، ففي سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧٢م.ثارت طائفة من اليونانيين(٢) على التكفور ليون الثالث، ولقيت تعاطفًا عظيمًا من سلاجقة الروم، حتى أن الثائرين وعدوهم بتسليمهم قلعة كانوا يسيطرون عليها.لكن سرعة تحرك الملك الأرمني أحبط المحاولة، و قُتل و أُسر عددٌ من من الثائرين، ومن نجا منهم التجأ إلى بلاد سلاجقة الروم(٣).

وفي خضم الصراع السياسي بين بروانه والأمير المغولي آجاي بن هولاكو، رأينا استعانة الأول بالسلطان المملوكي الظاهر بيبرس، وبناء عليه عبر السلطان المملوكي الحدود، قاصدًا آسيا الصغرى، وبما أن الظروف تغيرت لمصلحة بروانه أرسل إلى الظاهر بيبرس، يقترح عليه تأجيل ما تم الاتفاق عليه بينهما إلى العام القادم، وأن يقصد بغزوه هذه السنة مملكة أرمينية الصغرى(٤).

ويبدو أن السلطان المملوكي، لم يرد العودة بجيشه خالي الوفاض، فوافق على اقتراح بروانه، ليثبت له حسن نيته، وصدق عزيمته في التحالف معه، وليكون غزو الأرمن هذا العام ممهدًا لغزو بلاد الروم السلاجقة في العام

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٣٧

(٢) اليونانيون، أو الإغريق، شعب تكون من اختلاط جماعات من الآخيين، والأيوليون، والأيونيون، الذين قطنوا شبه جزيرة البلقان وبنوا عدة مدن، وأخذوا بأسباب الحضارة، وبلغت حضارتهم شأوًا بعيدًا في عصور ما قبل الميلاد. الموسوعة العربية الموسرة، ج٢، ص١٩٩٥.

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٢٨-٣٢٩.

(٤) ابن أبي الفضائل: المصدر السابق ص٢٥٥ ؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص١٠٧؛ D,ohsson: Op. Cit. III , P. 471- 472.

المقبل، فحول وجهة هجومه نحو قيلقية، فأغار عليها، واقتحم بعض مدنها، ومنها العاصمة سيس، ثم انسحب إلى مملكته سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٥م[١].

ورغم شكوك المسئولين المغول في إخلاص بروانه إلا أن حاجتهم إليه - على ما يبدو - جعلتهم يكظمون غيظهم منه ويتجاهلون كل التقارير التي تحذر منه، وكان أحدها من الملك الأرمني ليون الثالث، الذي أبلغهم أن بروانه اتفق مع الظاهر بيبرس على الثورة ضدهم، وإخراجهم من آسيا الصغرى، سنة ٦٧٥هـ/ ١٩٧٦م، فأنكر بروانه ذلك، واتهم الملك الأرمني بالكذب وتزييف الحقائق، بغية التقرب للمسئولين المغول، فمال الإيلخانيون إلى بروانه، وصدقوه[٢].

ولم تكن مملكة أرمينية الصغرى، مصدر الإزعاج الوحيد للبروانه، في علاقته بالأرمن، فثمة مصدر آخر، وهو شخص أرمني، وإن كان في عداد رعية سلاجقة الروم، إلا أنه استفاد من ظروف عديدة، فارتفع شأنه، وكاد يستقل بحكم أرزنجان، كما أشرنا. والشخص المقصود، هو الأسقف مرحسيا، وهو من أعيان أرزنجان، تقرب إلى الإيلخان آباقا، حتى غدا أثيرًا عنده، متمكنًا منه، وفي أكثر من مناسبة ؛ عندما كان الإيلخان يرسل في طلب بروانه، يدعو أيضًا مرحسيا، فينضم إلى الركب إذا مر بأرزنجان، وهو في طريقه إلى الأردو.

وفي مجالس الإيلخان، كان مرحسيا دائم القدح في رعايا الدولة من المسلمين، مشككًا في ولائهم، وكان حريصًا على إقامة حلف عسكري بين ايلخانات فارس، والقوى النصرانية في المنطقة، متمثلة في مملكة أرمينية

(١) سعيد عاشور: سلطنة المماليك، ص٢٥٥؛ عبدالله الغامدي: المرجع السابق، ص٢٠٥؛ Daohsson: Op. Cit. V. III, P. 742; Cahen: Pre Of Ottoman Turkey, P. 286
(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٣٥.

الصغرى، وبقايا الصليبيين للوقوف في وجه دولة المسلمين الكبرى، الدولة المملوكية[١].

وعندما ذهب بروانه إلى الإيلخان، ولم يشأ أن يرافقه طرماي البكلريكي، وعهد إليه بكفالة السلطان كيخسرو الثالث، وأقطعه أرزنجان، كما بينا[٢].والتقى مع مرحسيا في مجلس آباقا، فاحتج الأسقف على إقدام بروانه منح أرزنجان اقطاعًا للبكلريكي، وعد هذه مكيدة منه لإبعاده عن المدينة، وحاول جاهدًا استصدار أمر ايلخاني، بإقطاعه المدينة مقابل تعهده بتوفير خمسمئة فرس بفرسانها سنويًا[٣].

ويبدو هذا عرضًا مغريًا، إذا علمنا أن السلطات المغولية، لا يهمها إلا من يدفع لها أكثر، لكن القائد المغولي، توقو نوين - وهو صديق للبروانه كما رأينا - تدخل في النقاش، وكان حاضرًا المجلس، ونبه مرحسيا إلى أنه من لابسي البرانس[٤] - بمعنى أنه رجل دين نصراني - وهذه الطائفة من الناس لا يليق بها الإقطاع، وتدخل بروانه – في الوقت المناسب – واتهم مرحسيا بحماية الفلاحين من أهل ملته، في كافة بلاد سلاجقة الروم، وذلك بإلباسهم البرانس - بإعتبارهم رجال دين - فلا تؤخذ منهم الضريبة، لأن لابسيها معفيون من الضرائب حسب القانون المغولي، مما يضيّع على الدولة أموالاً طائلة في كل عام، وفوجيء مرحسيا بهذا الاتهام، فلم يحر جوابًا.ولاقى ذلك قبولاً في نفس الايلخان، ولا غرو، فالهدف الأسمى عنده، الحصول على المزيد من المال، من أي تابع من أتباعه، فأصدر أمرًا بعدم قبول حماية، أو شفاعة مرحسيا لأحد من الفلاحين لا في أرزنجان ولا غيرها من المناطق التابعة للدولة، ومن ثم سمح

---

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٢٤؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١١٤، ٢٢٩؛ المختصر من تاريخ ابن الجزري، ص٢٩٢.

(٢) انظر ما سبق ص من هذ البحث.

(٣) ابن شداد: تايخ الملك الظاهر، ص١٢٤؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١١٣-١١٤؛ Cahen:Pre Of Ottoman Turkey. P. 327

(٤) البرانس: جمع برنس، بضم الباء والنون، وبينهما راء ساكنة. وهو كل ثوب رأسه منه، ملتصق به، ويطلق أيضًا على القلنسوة الطويلة المعجم الوسيط. مادة: برنس.

لوفد سلاجقة الروم بالعودة إلى بلاده، فعادوا إليها في ربيع الآخر سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٦م[١]، ويبدو أن بروانه حقق انتصارًا مهمًا على الأسقف الأرمني، كما أن الإيلخان لم يغلظ العقوبة على مرحسيا، لمكانته السابقة عنده، ولحاجته لدعم النصارى في مواجهته المتواصلة مع سلطنة المماليك.

ويبدو أن بروانه تشجع بالنصر الذي حققه على مرحسيا، وبتغيير خاطر الإيلخان نحوه، فوجدها فرصة سانحة للتخلص نهائيًا منه، فغامر بإصدار أمره إلى واليه على أرزنجان[٢]، بقتل الأسقف الأرمني، وبسبب مكانته المعروفة عند آباقا، عد بعض المؤرخين ذلك الأمر مجازفة من بروانه، ودليلاً على جرأته وإقدامه[٣].

ونفذ أمر بروانه، وأعدم مرحسيا وابنه ونيفًا وثلاثين نفرًا من أتباعه، في رمضان سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م[٤].واعتبرها البعض من حسنات بروانه[٥].

جـ-علاقة بروانه بالتركمان:

وبالإضافة إلى القوى الخارجية التي كان للبروانه علاقة بها، وسبق استعراضها، كان عليه التعامل مع طرف آخر، لا يمكن اعتباره خارجيًا،

---

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٢٤، اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١١٣-١١٤؛ وفي هذين المصنفين، أنّ اتصال بروانه بالظاهر بيبرس قوى جأشه وجعله أمنا من غضب آباقا وانتقامه، لذلك واجه مرحسيا بالشدة التي رأيناها. ولقد أظهرت الأيام أن مراسلة بروانه للظاهر بيبرس، جرّت عليه حنق آباقا وغضبه ولم تؤمن جانبه.

(٢) وكان وقتها، قطب الدين محمود الأرزنجاني، نائبًا عن أخيه الوالي والأتابك في الوقت نفسه: مجد الدين الأرزنجاني. انظر: ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٩؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٩؛ المختصر من تاريخ ابن الجزري. ص٢٩٢، ولقبه عنده: معز الدين بدل قطب الدين.

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٩؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٩.

(٤) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٩؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٩. وفي رواية ابن العبري: أن الذي تولى قتل الأسقف مرحسيا وأتباعه الأمير بيجار "بيشار" سوباشي خرتبرت، ثم فر إلى الشام لاجئًا عند المماليك. تاريخ الزمان، ص٣٣٣-٣٣٤؛ وانظر: Cahen: Pre Of Ottoman Turkey , P. 286.وعن لجوء بيجار إلى المماليك انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٥) اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، الطبقة"٦٧" ص٢٣.

وفي الوقت نفسه لا يعترف دائمًا بتبعيته للسلطة الحاكمة في قونية، أولئك هم قبائل التركمان الأوج القاطنون على الحدود.

فبعد انغماسهم بعمق في الحرب الأهلية الطاحنة بين ابني كيخسرو الثاني، ووقوفهم في معظم الأوقات إلى جانب كيكاوس الثاني حتى في حروبه مع المغول، فإنهم بعد هزيمته، وخروجه النهائي من ساحة الصراع، رفضوا الاعتراف بسلطة أخيه ركن الدين قلج أرسلان الرابع[١].

ووجد زعماء التركمان الفرصة سانحة للحصول من السيد المغولي الجديد "هولاكو" على نوع من الاستقلال في ظل التبعية للدولة الايلخانية، فبعث أربعة منهم، وهم (محمد بك، وأخوه الياس بك، وصهرهما علي بك، وقريبهم سونج Song).إلى الإيلخان، يظهرون له الطاعة والتبعية، ويتعهدون بدفع ما يفرض عليهم من ضريبة، ويلتمسون منه ارسال سنجق[٢]، وبرليغ، وشحنة مغولي يقيم بين ظهرانيهم، فأجاب ملتمسهم، وحقق مطالبهم في سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م[٣].

وغدا هؤلاء التركمان الأوج مستقلين ببعض مناطق التخوم[٤]، وجاءهم شحنة مغولي يدعى قلشار Qulshar فأقام عندهم[٥].

ورغب هولاكو في تحقيق أكثر من هدف بهذا الإجراء، فهو يفصل بين السلطة الحاكمة في قونية وبعض من كانوا من رعاياها في السابق، ليحول

---

(١) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٩٠-٩١؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص١٢٧؛ العيني: عقد الجمان، ج١، ص٣٢١؛ وانظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٢) سنجق، وصنجق، لفظ تركي فارسي، معناه: علم أو راية، استخدم منذ العصر الأيوبي، وحصلت لها تطورات كثيرة في العصرين المملوكي والعثماني. ابن كنان: المصدر السابق، ص١٣٨؛ الخطيب: المرجع السابق، ص٢٥٩.

(٣) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٩٣؛ العيني: عقد الجمان، ج١، ص٣٢١-٣٢٢. تاريخ ابن خلدون، مج٥، ق٥، ص١١٨٣.

(٤) ومن هذه المناطق: طنغزلو وخوناس وطلماني وما حولها.

(٥) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٩٣؛ العيني: عقد الجمان، ج١ص٣٢١-٣٢٢.

دون تحالفهما ضد الوجود المغولي في المنطقة، لاسيما وأن التركمان، كانوا يشجعون كيكاوس الثاني على مقاومة المغول ويعتبرون ما يقومون به ضدهم جهادًا.

ومن أهدافه أيضًا كسب ولاء التركمان والمحافظة عليه بأقل مؤنة ومنها أيضًا، قطع الطريق على القوى المعادية للدولة، لاستغلال قوة هؤلاء التركمان، وطبيعة أرضهم الجغرافية، للاستفادة منهم في نزاعاتها مع الدولة الايلخانية.

من جهته رغب الإيلخان في اختبار ولاء أتباعه التركمان، فبعث إلى زعيمهم محمد بك، يطلب حضوره إلى الأردو، سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م ولريبة في نفسه، لم يأمن الزعيم التركماني غدر الإيلخان وبطشه، فامتنع عن الحضور، فأصدر الإيلخان أمره إلى قلج أرسلان الرابع ووزيره بروانه، بتجريد حملة مشتركة من سلاجقة الروم والمغول لمعاقبة التركمان، وفي المقابل رحب السلطان ووزيره بهذا الإجراء، فهو سيضيف لمملكتهما المزيد من الأراضي، ويعيد فئة خارجة إلى حظيرة الطاعة، ويثبت للمغول أن دولة سلاجقة الروم، هي القوة التي يمكن للمغول المراهنة عليها إذا رغبوا في بسط سيطرتهم على منطقة آسيا الصغرى وفي الصف التركماني، وقع خلل خطير، إذ انشق "علي بك" عن بقية الزعماء الآنف ذكرهم، ووفد على قلج أرسلان الرابع، وشجعه على المضي قدمًا في حملته لقمع تمرد التركمان وزوده بمعلومات قيمة، عن نقاط ضعف جماعته وقوتهم، وطبيعة أرضهم، والطرق المؤدية إلى قلاعهم وحصونهم، وتقدمت الحملة، فالتقت بالتركمان في صحراء "طلمانية" فدارت عليهم الدائرة، وانهزم زعيمهم محمد بك، واعتصم بأحد الجبال، فأنزل بالأمان، وأخذ أسيرًا إلى العاصمة، وقبل وصولهم إليها[1] قُتل صبرًا، وكوفئ صهره المنشق علي بك، بتعيينه أميرًا على التركمان، بمرسوم ايلخاني،

---

(١) ذكر العيني أنه قتل في برلو، عقد الجمان، ج١، ص٣٢٢، وعن "بولو" أو "برغلوا".

وظهرت سيطرة المغول على مناطق التركمان منذ ذلك الحين، بصورة أشد وضوحًا عن ذي قبل[1].

وعلى العموم، فإن بروانه لم يكن راضيًا عن ثورات التركمان التي تشتعل بين فترة وأخرى، كما أنه لم ينس أنهم أنصار تقليديون لخصمه السابق، السلطان كيكاوس الثاني، فسعى جاهدًا لمد سلطة الدولة إلى مناطقهم، واستخدام القوة ضد كل محاولة للخروج من جانبهم، وحقق في ذلك نجاحًا ملموسًا لكنه لم يكن تامًا، نظرًا لطبيعة التركمان الاستقلالية، وطبيعة أراضيهم الجغرافية، رغم أنه انتهز كل فرصة مواتية لإخضاعهم[2].

ومن الفرص التي سنحت له، مرابطة جيش مغولي قوي، بقيادة سماغر على الحدود الجنوبية لدولة سلاجقة الروم، ليراقب تحركات المماليك، و تلك المناطق الحدودية، مناسبة تمامًا للتركمان، إذ يمارسون فيها نشاطهم العسكري ضد السلطة الحاكمة.فاقترح بروانه على القائد المغولي، إرسال كتيبة من الجيش، يقدر عددها بألف وخمسمئة رجل، للإغارة على جماعات التركمان المقيمون في المنطقة المحصورة بين حارم[3] وأنطاكية وتم إرسال الكتيبة التي فاجأت التركمان، وأوقعت بهم خسائر فادحة، حتى كادت تستأصل شأفتهم، وظن أهل الشام أنها مقدمة لهجوم مغولي كاسح، فجفلوا من ديارهم واضطرب أهل دمشق، وذلك في شهور سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧٢م[4].

وأثناء تمرد ابن الخطير، اهتبل التركمان الفرصة، وانضووا تحت راية زعيمهم ابن قرمان[5]، "Garaman"، وعرضوا المساعدة على ابن الخطير، الذي

---

(١) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٩٣؛ العيني: عقد الجمان، ج١، ص٣٢٢؛ ابن خلدون: العبر، مج٥، ق٥، ص١١٨٣، ١١٨٩. Cambridg History of Islam. Vol: I. P. 264.

(٢) الصياد: المغول، ص٣٣٩؛ Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. P. 280.

(٣) حارم: بكسر الراء، حصن حصين وكورة جليلة معدودة من أعمال حلب. مواجهة لأنطاكية، ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٢٠٥

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، الطبقة "٦٥"، ص٦١-٦٢.

(٥) عن بني قرمان. انظر ما يلي، الفصل الرابع، من هذا البحث.

رحب بهم، وسلمهم قيادة جُند أرمينية[1].فشرعوا في قتل من يليهم من عساكر المغول، حتى طهروا منطقة السواحل والثغور منهم، وكتب زعيمهم محمد بك[2] إلى السلطان الظاهر بيبرس، يستنجد به[3].

ولم يكن بنو قرمان وحدهم في تمرد ابن الخطير، فقد اشترك فيه كثير من تركمان الأوج، فجاسوا خلال الديار، وأغاروا على القلاع والحصون، والقرى والمزارع، وقطعوا طرق القوافل[4].

وبعد إخماد تمرد ابن الخطير، سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م، تفرغ بروانه لمعاقبة التركمان الثائرين، وجرد الجيش تلو الآخر، وكان يبدو مستحيلاً القضاء المبرم عليهم، لكنه أخمد شوكتهم، وأسر كثيرًا منهم، وأجبر من بقي منهم على اللجوء إلى المناطق الجبلية[5]واستمر ضغطه على زعمائهم، حتى اضطر كبيرهم محمد بك بن قرمان، أن يسلم أخاه الأصغر رهينة عند بروانه في قيصرية[6].وتبدو هذه الوسيلة إحدى طرق بروانه في الضغط على خصومه، لضمان ولائهم وتبعيتهم له، ولم تمض عدة أشهر على ابن قرمان الصغير معتقلاً في قيصرية، حتى دخلها الظاهر بيبرس غازيًا، كما سنرى في الصفحات القادمة إن شاء الله.

---

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٩٥، أخبار سلاجقة الروم ص٣٩٣.

(٢) محمد بك بن قرمان، لقبه شمس الدين، وقيل بدر الدين، وهو شخصية أخرى غير محمد بك المذكور في الصفحات السابقة. انظر: ابن أبي الفضائل: المصدر السابق، ص ٢٢٩ ؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص ١٥٨.

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٥٨-١٥٩

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٧ب.

(٥) المولوي: المصدر السابق، ج١، ورقة ٥٨٧ب؛ ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٩١؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٩٣. Cahen: Pre Of Ottoman Turkey, P. 282.

(٦) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١١٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٣٥٥؛ وانظر أيضًا: ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٨٨؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٩٣

٣ـ الصدام بين المغول والمماليك في جنوب غرب آسيا الصغرى، و للهمعركة الأبلستين للهونتائجها على المنطقة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٧م:

١- المناوشات بين المغول والمماليك قبل معركة الأبلستين:

شغلت فترة الصراع بين الدولتين الإيلخانية في بلاد فارس وتوابعها، والمملوكية في مصر والشام، حيزًا واسعًا من تاريخ العصر المغولي، وتعددت ساحات المواجهة بينهما، ودخلت فيها أطراف أخرى، حتى أصبح صراعًا عالميًا بين حلفين كبيرين(١).

وشكلت منطقة آسيا الصغرى، الحلبة الرئيسية للصراع، وحاول كل طرف الظفر بها، فدخلتها جيوشهما، تجر معها الخراب، والدمار، وسفك الدماء.

واحتدم الصراع بين مغول فارس والمماليك في أعقاب معركة عين جالوت(٢).حيث استقرت الحدود بين الدولتين(٣)، وأصبحت مناطق جنوب آسيا الصغرى، وشمال بلاد الشام، نقاط تصادم بينهما، وشكلت كلاً من:

---

(١) تكون الحلف الأول من: سلطنة المماليك، ومغول القبيلة الذهبية، بعد اسلام زعمائها، والحلف الآخر ضم كلاً من: دولة ايلخانات فارس. ومملكة أرمينية الصغرى، وبقايا الصليبيين، وتم الاتصال أيضًا والتنسيق مع ملوك إنجلترا وفرنسا، والباباوات، وإمبراطور الدولة البيزنطية بعد استعادة البيزنطيين للقسطنطينية من أيدي الفرنجة. عن الحلف الأول ؛ انظر: ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٣٥، ٧٨، ٣٠٧؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٩-١٠، ١٣٧-١٤٢، ٢١٣- ٢١٧ ؛ وعن الحلف الثاني ؛ انظر:
D,ohsson: Op. Cit. IV. P 404, Howorth: Op. Cit. III , P. 204; Boyle, J. A.: The IL-Khans Of Persia And The Chirstian West "History To Day , XXXIII , 8 , 1973, p. 551-562 , 556.
وانظر أيضًا: مصطفى طه بدر: مغول إيران بين المسيحية والإسلام، ص٤٧؛ عادل هلال: المرجع السابق، ص١٠٦-١٦٤

(٢) معركة عين جالوت، من المعارك الفاصلة، انتصر فيها المسلمون على المغول سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م. انظر: اليافعي: جامع التواريخ المصرية، ورقة ١٥٥؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٤٣٠-٤٣١.

(٣) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٥١٤؛ Caben: Pre Of Ottoman Turkey. P. 255 , 263.

البيرة[١]، ومرعش، وحارم، وعين تاب[٢]، وقلعة جعبر[٣]، خطوط المواجهة الأولى لكل طرف[٤].

وركز الايلخانيون اهتمامهم على تلك الجبهة، للاستفادة من عدة عوامل، منها: وجود أتباعهم فيها، وهم سلاجقة الروم، ومملكة أرمينية الصغرى، وأضحت تلك المناطق، أنسب المناطق للإيلخانيين وذلك بسبب الطبيعة الجغرافية لمنطقة قيليقية وشمال الشام، حيث يسهل للجيوش القادمة من الشمال – من آسيا الصغرى – مهاجمة بلاد الشام، بينما يعسر على الجيوش القادمة من الشام مهاجمة آسيا الصغرى، بسبب وعورة منطقة قيليقية وجبال طوروس، التي لا يوجد فيها إلا درب واحد من الصعب اجتيازه، لاسيما وهو داخل منطقة أرمينية الصغرى[٥].فضلاً عن عنصر المباغتة الذي توفره بلاد الأرمن للمغول، لمهاجمة بلاد الشام.ذلك أن مهاجمة بلاد الشام عن طريق الفرات من ناحية حران، يتيح وقتًا أطول، وهو ما يمكن المماليك من الاستعداد قبل وصول الجيوش المغولية.

---

(١) البيرة: بلدة من ثغور الروم، بها قلعة حصينة، وهي اليوم في جنوبي تركيا وتسمى "بيرة جك" أي "البيرة الصغيرة" تقع على خط عرض ٣٧,٢ ْح شمالاً، وطول ٣٨ ْح شرقاً، دائرة المعارف الإسلامية، ج٨، ص٨٥٦٧. ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج٣، ق٢، ص٧٦٩.

(٢) عين تاب: وتكتب عينتاب، وعنتاب: قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية، كانت تعرف بدلوك، وهو رستاقها. وهي اليوم جنوبي جمهورية تركية، و شمال مدينة حلب، متقابلتان على خط عرض ٥٨ ٣٧ شمالاً، وطول ٣٠ ,٣٧ شرقاً. ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص١٧٦؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج٣، ق٢، ص٨١٢.

(٣) قلعة جعبر: قلعة على نهر الفرات مقابل صفين. كان اسمها دوسر، وهي اليوم ضمن الأراضي السورية. ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص١٤٢؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج٣، ق٢، ص٨٢١.

(٤) بيبرس المنصوري: مختار الأخبار، ص٨١ ؛ فايد عاشور: العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، دار المعارف. ص٨٥.

(٥) انظر رنسيمان: المرجع السابق، ج٣، ص

لذلك أولى الإيلخانيون حلبة الصراع تلك عناية فائقة وخصصوا لها فرقًا من الجيش ترابط فيها بصورة دائمة وأسندت قيادتها لقادة متميزين، ومنحوا صلاحيات واسعة، وكان بعضهم من أسرة جنكيزخان الحاكمة[1].

من جهته، أدرك السلطان الظاهر بيبرس أهمية تلك الجبهة، فعمد إلى تحصينها بسلسلة من الاستحكامات الدفاعية متمثلة في الأبراج والحصون، ونقاط المراقبة[2] واهتم كثيرًا بالبيرة، حتى أنه "لم يعتن ببلد اعتناءه بها"[3] ومنذ استعادتها من المغول - في أعقاب عين جالوت - شحنها بالمقاتلين وزودهم بمؤنة وأسلحة تكفيهم مدة طويلة[4] واستمرت في يد واليها الأمير آقش المغيثي[5] والذي امتد حكمه فيها ما يقارب الأربعين عامًا[6]. "وقد سد ذلك الثغر الثغر وخبره، وعرف أحواله واكتفى به"[7].

وفي خضم الصراع بين الجانبين، سعى الظاهر بيبرس للاستفادة من النزاع بين المغول والسلطان كيكاوس الثاني وحتى بعد هزيمته ولجوئه إلى

---

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٥٥؛ Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. P. 345.

(٢) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص٢٠٠-٢٠٢، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٩٨-٣٩٩؛ عصام محمد شبارو: السلاطين في الشرق العربي ودورهم السياسي والحضاري، (المماليك، ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٤م، ص٨٠.

(٣) ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص٣٥٨.

(٤) ابن الجزري(شمس الدين محمد بن إبراهيم، ت: ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م) تاريخ حوادث الزمان وأنبائه و وفيات الأعيان من أبنائه، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج١، ص٤٥٧-٤٥٨؛ ابن حبيب (الحسن بن عمر بن حبيب الحنبلي، ت: ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م، ج١، ص٢١٦.

(٥) أقش – وقيل أقوش – ابن عبد الله المغيثي. الأمير جمال الدين، تولى شئون البيرة منذ سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، كان مشكور السيرة، محبوبًا من الرعية، توفي سنة ٦٩٨هـ/ ١٣٠٠م، ابن الجزري: تاريخ الزمان، ج١، ص٤٥٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣١، ص٣٨٠.

(٦) ابن الجزري: تاريخ الزمان وأبنائه، ج١، ص٤٥٧؛ النويري: نهاية الأرب. ج٣١، ص٣٨٠؛ المقريزي (أحمد بن علي بن عبدالقادر، ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ج٢، ص٢٤٨؛ ترجمة رقم ٨١٥.

(٧) ابن الجزري: تاريخ الزمان وأبنائه، ج١، ص٤٥٨؛ وانظر أيضًا: ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص٢١٦.

القسطنطينية.لم تنقطع الرسائل بين السلطانين[1]، يحدوهما أمل في عودة السلطان المخلوع إلى دار ملكه، والمضي قدمًا في مشروعهما الهادف إلى طرد المغول من آسيا الصغرى.وكان بيبرس حريصًا على الحصول على موطيء قدم، في مملكة سلاجقة الروم، يمكنه من مواجهة المغول الإيلخانيين، والأرمن في قليقية، وبقايا الصليبيين في سواحل الشام الشمالية[2].

وكسب المماليك حليفًا مهمًا هو بركة خان [3]حفيد جنكيزخان زعيم مغول القبيلة الذهبية، إذ هداه الله للإسلام، فأصبح عدوًا لدودًا لإيلخانات فارس، يصفهم بالكفر، ويدعو إلى جهادهم بكل وسيلة وبدأ التنسيق بينه وبين الظاهر بيبرس، واستخدما القسطنطينية محطة في طريق الاتصال بينهما، فكانت تمر بها رسلهما في الذهاب والإياب، وكان كيكاوس الثاني مطلعًا على تلك الرسائل ومشاركًا في تبادلها أحيانًا[4].

وعلى الصعيد العسكري، انخرط الجانبان ـ ايلخانات فارس، والمماليك ـ في حروب طاحنة، أخذت شكل الغارات، والغارات المضادة، فبعد عودة الملك الأرمني هيثوم الأول، من زيارته إلى هولاكو سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م، التقى السلطان قلج أرسلان الرابع في مدينة هرقلة[5]وعقد معه حلفًا[1]، ويبدو ذلك

(١) المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٤٨٥؛ الرمزي (م. م): تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار. طبع المطبعة الكريمسة والحسينية ببلدة " وارنبورغ " ١٩٠٨، ج١، ص٤٣٦، منى إبراهيم: المرجع السابق، ص١٢.

(٢) العريني: المغول، ص٢٨٠؛ سعيد عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ط القاهرة، ١٩٥٧، ص٤٧-٤٨؛ الحركة الصليبية، ج٢، ص٩٢٥.

(٣) بركاي (وفي المصادر الإسلامية: بركة) ابن جوجي خان بن جنكيز خان. خلف أخاه باتو على عرش دولة مغول القفجاق (القبيلة الذهبية) سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢، وأسلم وتحالف مع المماليك ضد هولاكو ثم ابنه آباقا. وانتقل إلى رحمة الله تعالى سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥- ١٢٦٦م. الهمذاني: جامع التواريخ، ج١، ق٢، ص١٢٤-١٢٥؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٢، ص٣٤٩.

(٤) ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص٩٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٥٢؛ سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص٩٠٧.

(٥) هرقلة: وعند الرومان: هركلية "Heraclia"، واسمها الحالي: أراكلية Arakliyah مدينة قديمة تقع علي نهر باسمها والذي يصب في البحر قرب سينوب. ابن سعيد: المصدر السابق، ص١٩٤-

بإيعاز من الإيلخان، ولم يلبث الملك الأرمني أن جمع جيشًا من الأرمن وسلاجقة الروم، والمغول، وبعض العرب، وساقه إلى عين تاب، قاصدًا الإغارة على الحدود المملوكية، لكن هؤلاء فاجأوه بهجوم خاطف، خسر خلاله نيفًا وثلاثين من جنوده، صرعى، فيما أسر آخرون، فاضطر إلى التقهقر، واستنجد بالحامية المغولية ببلاد الروم، فأمدوه بسبعمئة مقاتل، وجاءه المدد أيضًا من صهره صاحب انطاكية[٢]، فأمر بأن يلبس الجميع السراقوجات[٣]، تشبهًا بالمغول، لإحداث صدمة نفسية لجنود المماليك الذين استعدوا بدورهم للقاء، لكن الطقس وقف حائلاً بين الجانبين، إذ هطلت الثلوج بغزارة، فتعذرت المواجهة، وعاد كل طرف إلى داخل أراضيه[٤].

وردًا على تحرشات الأرمن في قيليقية، ولتحقيق مكاسب أخرى منها الخشب للاستفادة منه في الأعمال الحربية[٥] سير الظاهر بيبرس جيشًا قويًا من مصر والشام، واسند قيادته للملك الأيوبي المنصور محمد، صاحب حماة[٦]،

١٩٥؛ياقوت الحموي: مصدر سابق ، ج ٥ ص ٣٩٨؛ لسترنج: المرجع السابق، ص٣٤، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٥.

(١) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٢) هو الملك بوهمند السادس، بن بوهمند الخامس أمير أنطاكية وطرابلس، ورثهما عن والده، عند وفاته سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م وكان في الرابعة وعشرين من عمره، واستمر حتى وفاته سنة ٦٧٥هـ ١٢٧٥م. وقد استعاد السلطان بيبرس أنطاكية منه سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م. رنسيمان: المرجع السابق، ج٣، ص٢٨٠-٢٨١، ٣٧٨-٣٨٠: سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص٨٦٧، ٨٧٨.

(٣) السرقوج: لباس يغطي الرأس، عند المغول. العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٧٧.

(٤) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص١٩٢-١٩٣؛ شافع بن علي (شافع بن علي الكاتب العسقلاني، ت٧٣٠هـ/ ١٢٣١م) الفصل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، لبنان. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص٧٤.

(٥) عن أهمية الخشب وتوفره في مملكة أرمينية الصغرى وحاجة المسلمين له في التجارة والصناعة الحربية. انظر: سعيد عاشور: سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى ص٢٤٢؛ علي محمد الغامدي: سياسة نور الدين محمود العسكرية ازاء الأرمن في قيليقية، مستلة من كتاب بحوث تاريخية (١-٢)، الجمعية التاريخية السعودية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص٣١٠

(٦) المنصور محمد الثاني بن المظفر الثاني، خلف والده على مملكة حماة الأيوبية سنة ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م، وعاصر سقوط الدولة الأيوبية في مصر والشام، وقيام دولة المماليك، واحتفظ بمملكته الأيوبية في ظل الحكم المملوكي، وتوفي بحماة سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م. انظر: ابن واصل: مفرج

فاجتاح مملكة أرمينية الصغرى، سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م، وقتل، وسبى، وأسر، وأحرق بعض المدن والقلاع[١]، وكان الملك هيثوم الأول غائبًا عن بلاده إبان ذلك الاجتياح، إذ كان في بلاد سلاجقة الروم، يستجدي القائد المغولي المرابط فيها المدعو "نفجي Nafji"[٢] ليسارع إلى نجدته، ويصد الغزو المملوكي عنها، لكن القائد المغولي اعتذر لعدم صدور الأوامر إليه، وبعد وصولها، سار بجيشه مع ملك الأرمن، ترافقه قوات من سلاجقة الروم، ولما دخلوا إلى قيليقية، كان الجيش المملوكي قد غادرها، محملاً بالغنائم، فانشغلت النجدة المغولية بنهب ما فضل من غنائم الجيش المملوكي[٣].

وأثناء اجتياح المماليك لأرمينية الصغرى، أغارت كتيبة من جيشهم على أطراف دولة سلاجقة الروم، وغنمت وعادت إلى معسكر الجيش الرئيسي في قيليقية[٤].

وجدد المماليك غاراتهم على القلاع والحصون التي يسيطر عليها المغول في آسيا الصغرى، فهاجموا في سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م، قلعة كركر[٥]، ثم قلعة شرموشاك[٦] واستاقوا مواشيها غنيمة معهم، وقفلوا عائدين إلى بلادهم[٧].

الكروب، ج٥، وج٦ مخطوط؛ ولمزيد من التفاصيل انظر بحث: مملكة حماة في العصر الأيوبي، إعداد: الباحث، الفصل الرابع، ص٢٣١-٣٦٠.

(١) اليافعي: جامع التواريخ المصرية، ورقة ١٩١ب، ابن واصل: مفرج الكروب، ج٦، ورقة ٢١٤ب، ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٢٧٠.

(٢) لم أعثر له على ترجمة في ما توفر لدي من مصادر.

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٢٤-٣٢٥؛ تاريخ مختصر الدول، ص٤٩٨-٤٩٩؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٢٧٠-٢٧١؛ ابن أبي الفضائل: المصدر السابق، ص٢٥٥.

(٤) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٢٧٠؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٢٩١.

(٥) كركر: هناك أكثر من موضع يحمل هذا الاسم، والمقصود هنا: حصن على الفرات بين آمد وملطية. ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٣٧٠.

(٦) شرموشاك: ووردت أيضًا: شرموساك، قلعة بين كركر والكختا. النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٣٢١؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٤٩-٥٠.

(٧) النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٣٢١؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٤٩-٥٠.

وفيما يبدو أنه كان ردًا على تلك الغارة، هاجم جيش مغولي بعض أعمال حلب، سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م وشاركته فيها عساكر صليبية[١].

ولأجل أهمية جبهة آسيا الصغرى ولاحتدام الصراع حولها، اختار الإيلخان آباقا، أخاه آجاي لقيادة الحامية المغولية في تلك المنطقة، و أردفه بالقائد سماغر، ونصحه بإعداد ما يستطيع من قوة، وأن يأخذ معه "ابن بايجو"[٢]، وبروانه، وما تبقى من جيش سلاجقة الروم، ويسير إلى الحدود المتاخمة لسلطنة المماليك ويرابط فيها، فوصل إليها في شهور سنة ٦٦٩هـ/ ١٢٧١م[٣].

وعندما بدأ الظاهر بيبرس يحقق نجاحًا متواصلاً على جبهتي الصليبيين في الشام، والمغول الإيلخانيين في آسيا الصغرى، اتفق الجانبان الصليبي والمغولي، على التحالف، ضد الخطر المحدق بوجودهما في المنطقة، فجاء "ادوارد الرابع Edward, V"[٤]، ولي عهد انجلترا إلى عكا، وبعث مندوبين إلى الإيلخان آباقا للتنسيق معه لإعداد حملة مشتركة لمواجهة قوات المماليك، وتم الاتفاق على ذلك، إلا أن انشغال جيوش الإيلخان على جبهات أخرى[٥]، حتم عليه التريث قليلاً، وفي النهاية أضطر إلى تجميع جنوده المتفرقين في آسيا

---

(١) النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص١٧٠؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٥٧. Cahen: Pre of Ottoman. P 280.

(٢) من المرجح أن يكون المقصود آفاك ابن بايجو، انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٣) اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٤٥٧. وذكر أحد الباحثين أنه في السنة المشار إليها، قدم جيش مغولي إلى الأناضول، لقمع ثورة اندلعت فيه!!. ومنذ ذلك الوقت أخذ الوجود العسكري المغولي داخل الأناضول صفة الاستمرارية. انظر:Halil Inalqik: Op. Cit. s. 6

(٤) ادوارد بن هنري الثالث. جاء إلى الشرق بحملة صليبية قليلة العدد، (١٠٠٠مقاتل) وحاول توحيد جهود الصليبيين في الشام والتحالف مع المغول لمحاربة المماليك، لكنه فشل في ذلك، واضطر إلى العودة إلى بلاده سنة ١٢٧٢م/ ٦٧١هـ. فاعتلى عرش انجلترا خلفًا لوالده الذي توفي أثناء غيابه في الشرق، وأصبح لقبه ادوارد الرابع، واستمر في الملك حتى وفاته سنة ١٣٠٨م/ ٧٠٧هـ. فاعتلى عرش انجلترا خلفًا لوالده الذي توفي أثناء غيابه في الشرق، وأصبح لقبة ادوارد الرابع، واستمر في الملك حتى وفاته سنة ١٣٠٨م/ ٧٠٧هـ. وسماه ابن عبد الظاهر "الملك ورد". الروض الزاهر، ص٤٠١؛ رنسيمان: المرجع السابق، ج٣، ص٣٨٧.

(٥) وهي الحرب التي خاضها ضد المغول الجغتائيين في تركستان. انظر: الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٨-٥٥؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤٤-٥٤.

الصغرى في جيش واحد، ناهز عدده عشرة آلاف رجل[1]، تولى قيادته مقدم الايلخانيين في آسيا الصغرى، الأمير سماغر، وانضم إليه فرقة من جيش سلاجقة الروم، بزعامة بروانه، وتحركوا سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م، نحو حارم، فتوغلوا في أراضيها، وأغارت فرقة منهم بقيادة أفاك[2] بن بايجونوين، على طائفة من التركمان، فأوقعوا بهم، كما سبقت الإشارة إليه.واستصرخ الظاهر بيبرس من دمشق جنوده المتفرقين في مصر، وأمر بتجفيل أهالي الشام، ولما علم المغول باستعداد المماليك للقائهم، انكفأوا عائدين إلى آسيا الصغرى[3].

أما حليفهم الصليبي إدوارد الرابع، فلم يقدم عونًا لهم أكثر من مهاجمة حصن مملوكي صغير، على الحدود المتاخمة للأراضي التي يحتلها الصليبيون حول عكا[4].ويُعزا فشل هذا التحالف إلى قلة الجنود المشاركين فيه مقارنة بالعساكر المملوكية.فإضافة إلى الجيش المغولي السلجوقي المشترك المشار إليه، لم يتجاوز عدد جيش الصليبيين الألف مقاتل[5].

---

(١) اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٤٦٧؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٦٥؛ رنسيمان: المرجع السابق، ج٣، ص٣٨٩-٣٩٠.

(٢) سماه اليونيني: اقبال، وورد الاسم عند ابن أيبك، أقال. ذيل مرآة الزمان ؛ ج٢، ص٤٦٧؛ كنز الدرر، ج٨، ص١٦٥ وعند ابن تغري بردي: "آمال"، النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٥٦ ورجحنا أنه أفاك وهو ابن بايجو.

(٣) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٣٩٧؛ بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ج٩، ص١٢٣؛ التحفة المملوكية، ص١٧٣؛

(٤) رنسيمان: المرجع السابق، ج٣، ص٣٨٩-٣٩٠؛ عادل هلال: المرجع السابق، ص١١٣؛
Sinor, Denis: The Mongols And West Europe "in Setton (ed) Ahistory of the Crusade. Vol. III. Wioconsin University press, 1985. V. III. P. 531.
ولمزيد من التفاصيل انظر: زينب عبدالمجيد عبدالقوي: الانجليز والحروب الصليبية في الفترة من ١١٨٦-١٢٩١م. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص٢١٣-٢١٧؛
Lockhart , L.: The Relation between Edward I and Edward II of England and the Mongool IL-Khans of Persia "in Journal of Persian studies, vol. VI, 1968, P. 23-31, Powicke, I ,: King Henry III , and the Lord Edward , 2 vols. Oxford. 1947. Vol. II. P 603-604.

(٥) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٣٩٠؛ الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص٦٠؛ زينب عبد القوي: المرجع السابق، ص٢١٥.

وفي رد فعل على هجوم المتحالفين السابق، خرج الجيش المملوكي متعقبًا أعداءه المنسحبين، فاجتاح حران[1]، ومرعش وما بينهما، وانتظرت القوات المغولية العام التالي (٦٧١هـ/ ١٢٧٢م) حتى تستعيد مرعش مرة أخرى، وتدمرها الدمار الذي لم تقم لها بعده قائمة[2] وهي مثال قائم للخراب الذي أصاب بعض البلدان الإسلامية على أيدي المغول، خاصة إبان صراعهم مع سلطنة المماليك.

ومن نافلة القول، أن الحرب بين الجانبين (ايلخانات فارس والمماليك) لم تقتصر على الجانب العسكري فقط، بل تجاوزته إلى جوانب اجتماعية واقتصادية، فالأرمن في قيليقية، يفرضون حظرًا على تصدير الخشب إلى بلاد الشام ومصر[3] والسلطات المغولية تمنع مرور البضائع المملوكية في موانيء ومدن آسيا الصغرى، وتفرض عقوبات قاسية على من لا يلتزم بذلك، فيضطر التجار إلى التحايل، ودفع الرشاوى للمسئولين للسماح لتجارتهم بالتنقل بين آسيا الصغرى وبلاد الشام ومصر[4].

ويعد تلك المحاولات المغولية، وما يتبعها من رد فعل مملوكي عنيف، أيقن القائد سماغر و بروانه، أن تحقيق نجاح كبير على الجيش المملوكي يكاد يكون مستحيلاً، خاصة في ظل التوتر الذي ساد علاقة بروانه مع القائد العام للحامية الايلخانية في المنطقة آجاي ابن هولاكو.

وبناءً عليه قرر سماغر وبروانه، عرض الصلح على الظاهر بيبرس، والاقتراح عليه إرسال هدية إلى الإيلخان، والتباحث معه حول مشروع الصلح،

(١) حارم: حصن حصين، من أعمال حلب. تجاه أنطاكية. وهي اليوم بلدة صغيرة في الشمال الغربي من الجمهورية العربية السورية، تتبع محافظة أدلت القريبة من الحدود التركية ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٢٠٥؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج٣، ق٢، ص٧٨٠.

(٢) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص ٣٣ ؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٢٣؛ التحفة المملوكية، ص٣٧-٣٨.

(٣) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص٩١؛ Stevenson. "M. A": The Crusaders in the East Cambridge Universty Press , 1968 , 1907, p. 339.

(٤) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٣٠٧؛ وانظر ما يلي الفصل الخامس من هذا البحث.

فجاءته رسلهما بذلك، واستقبلهم في شوال سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧٢م، ورحب بعرضهما(١).

وتنفيذاً لذلك الاقتراح، وصلت رسل الظاهر بيبرس إلى بلاد سلاجقة الروم، وهم يحملون رسائل وهدايا إلى كل من: الايلخان آباقا، والقائد سماغر، وبروانه، والتقوا القائد سماغر، وبروانه، كلاً على إنفراد(٢).واعطوا كل منهما ما يخصه من الرسالة والهدية(٣).ثم ساروا - وبصحبتهم بروانه - إلى الأردو، للاجتماع بالايلخان وإيصال الرسالة والهدية إليه(٤).

وعند وصولهم إلى تبريز، تفاجأ آباقا بقدومهم، وتساءل عن سببه؟! فأخبروه بأنها بمبادرة من سماغر وبروانه، وبعد انتهاء المراسم المعتادة، من تبادل التحيات، والهدايا، استمع الإيلخان إلى شروط الصلح التي يريد بيبرس التفاوض حولها، ومن بينها انسحاب الجيوش المغولية، من المناطق الإسلامية التي احتلتها، فانزعج الإيلخان من تلك الشروط، وأغلظ للرسل الجواب، فخافوا أن يفرط عليهم أو أن يطغى، لكنه تدارك الموقف، وحفظ للرسل حقوقهم، وصرفهم دون اتفاق وأبدى رغبته في استمرار الوضع الراهن، وبقاء كل دولة على ممتلكاتها(٥).

---

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٣٤-٣٥؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٤٧١-٤٧٢، النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص١٩١-١٩٢

(٢) اختلفت المصادر في ذكر المكان الذي التقت فيه رسل بيبرس القائد سماغر فابن عبد الظاهر والنويري يقولان إنه: مكان بين سيواس والجسر، وابن شداد والذهبي، يقولان إنه: قونية، وذكر بيبرس المنصوري والعيني: قيصرية. الروض الزاهر، ص٣٩٩؛ نهاية الأرب، ج٣٠، ص١٩٢؛ تاريخ الملك الظاهر، ص٣٥، تاريخ الإسلام، الطبقة "٦٦" ص٦٥؛ زبدة الفكرة، ج٩، ص١٢٣؛ عقد الجمان، ج٢، ص٩٣.

(٣) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٣٩٩، بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية، ص٧٤.

(٤) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٣٥؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٣٩٩.

(٥) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٣٤-٣٥؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٣٩٩، ويفهم من روايته أن رسل سماغر و بروانه جاؤوا إلى الظاهر بيبرس ردًا على رسالة كان هو قد بعثها إليهما، اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٧، وعنده أن محاولة الصلح الأولى بين الجانبين تمت سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م؛ وعند الذهبي أنها جرت سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م. بواسطة ملك

ومن الملاحظ أن الظاهر بيبرس ما انفك يؤكد على ما يعتبره حقًا من حقوقه، كسلطان للإسلام والمسلمين، وهو تطهير كل الأراضي الاسلامية، بما فيها آسيا الصغرى، من رجس المغول[1] ولذلك جعل حجر الزاوية في تحالفه مع زعماء مغول القبيلة الذهبية، اعترافهم بحقه في حكم المناطق التي يحررها من مغول فارس، بما فيها أراضي سلاجقة الروم[2].

وكان من البديهي أن يرفض الإيلخان آباقا شروطًا تتضمن انسحابه من أراضي المسلمين التي استولى عليها هو وأبوه من قبل، مما حدا بالمؤرخ الذهبي إلى ترجيح أن شروط الظاهر بيبرس ربما اقتصرت على استعادة مناطق الجزيرة والعراق فقط، ولم تشمل كل المناطق الاسلامية المحتلة لأن "جميع ما بيده (آباقا) بلاد المسلمين"[3].

وبعد بضعة أشهر من تلك المحاولة، التي لم تتمخض عن اتفاق، استأنف الإيلخان الاتصالات، وبعث رسلاً إلى الظاهر بيبرس، فدخلوا دمشق في صفر سنة ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م، وأمر السلطان المملوكي بعدم الاحتفاء بهم، وكانوا قد مروا بحلب والتقوا نائبها[4]، ثم حماة واجتمعوا بملكها الأيوبي[5]، وتسرب

أرمينية الصغرى تاريخ الإسلام، الطبقة " ٦٦" ص٤٢؛ وانظر: ماهر حمادة: وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي: ص٣٦٣.

(١) اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٧؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٤٠؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج١٣، ص٢٥٤؛ أحمد حطيط: صورة بيبرس في أعمال المستشرقين الفرنسيين. قراءة في كتابات "رينيه غروسيه وكلود كاهن". مجلة التاريخ العربي، العدد ١٥، صيف ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٧٥-٩٠؛
Lanepoole. St: Ahistory of Egypt in the Middle Ages, London. 1936. P. 264-269.

(٢) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٣٦؛ اليونيني: المصدر السابق، ج١، ص٥٣٤؛ ج٢، ص١٩٧، ٤٧٣؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص٩٧، ١٦٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٥٨.

(٣) تاريخ الإسلام، الطبقة " ٦٦". ص٦٥.

(٤) وهو في ذلك الوقت: الأمير نور الدين علي بن عمر بن مجلي الهكاري، وقد وليها سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١، وصرف عنها سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م وتوفي بها في ربيع الآخر من السنة نفسها (الموافق ايلول – سبتمبر) اليونيني: المصدر السابق، ج٤، ص٣١.

(٥) الملك المنصور الثاني محمد. انظر ما سبق ص

مضمون رسالتهم، وهو الطلب من السلطان إيفاد الأمير سنقر الأشقر[1].للسعي في الصلح بين الجانبين.لكن أولئك الرسل عندما التقوا السلطان نفسه، "زوّروا" في الرسالة، وزعموا أن الايلخان يطلب حضور السلطان شخصيًا، أو نائبه، للتباحث في مشروع الصلح[2].فسخر منهم السلطان بيبرس، وتساءل: لماذا لا يحضر الإيلخان بنفسه، أو أحد إخوته لمناقشة الموضوع، ولاسيما أنه محتاج إلى الصلح؟!!.وتوعد بمواصلة الجهاد، حتى استعادة أراضي المسلمين المحتلة، وبعد مشاهدة رسل المغول استعراضًا عسكريًا للقوات المملوكية، سمح لهم بالعودة إلى بلادهم[3].

ونتيجة لفشل محاولتي التفاوض، تجدد الصراع العسكري، بين الطرفين، وفيما كان بروانه منشغلاً بمسألة استبدال القائدين آجاي وسماغر، قام قادة مغوليون في المنطقة، وهم: توداون [4] ودرباي Derbay[5]، وجنقر Jongor، وبمشاركة بعض أمراء سلاجقة الروم[6] بالزحف على

(١) الأمير سنقر الأشقر الصالحي النجمي، من كبار أمراء السلطان الظاهر بيبرس، وابنه الملك السعيد، تولى نيابة دمشق، وخرج على طاعة السلطان المنصور قلاوون، وتسلطن فيها ولقب بالملك الكامل، ووقع له حوادث يطول شرحها. وطال أمره إلى أن قبض عليه السلطان الأشرف خليل بن قلاوون، وقتله في سنة ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م. المقريزي: السلوك، ج١، ق٣، ص٦٧٠-٦٧٣، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج٨، ص٣٧-٣٨.

(٢) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص٤٠٤؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٦٠٥ عباس إقبال: المرجع السابق، ص٢٢٧؛ حسن الأمين: المرجع السابق، ص٢٢٥-٢٢٦. وتبدو مسألة تزوير الرسالة من قبل الرسل أمرًا صعبًا، إلا أن المصادر ذكرت ذلك. وربما نائب حلب وملك حماة اطلعا على الرسالة الأصلية أو علما بمضمونها عندما مر بهما الرسل قبل وصولهم إلى السلطان وتزوير الرسالة. وفي النويري أن السلطان التقى الوفد المغولي ومضمون الرسالة طلب الاتفاق. نهاية الأرب، ج٣٠، ص١٩٨.

(٣) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٠٤؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٦٠٥.

(٤) ورد في بعض المصادر "بودوان" بالباء الموحدة.

(٥) ورد هذا الاسم في بعض المصادر: دربي، واثبتنا الرسم الوارد عند الهمذاني. جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٢.

(٦) وهم: الأتابك: أرسلان دغمش، وشرف الدين بن الخطير، وأمين الدين ميكائيل النائب بملطية (وقيل بقونية) انظر: ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٥٦، اليونيني المصدر السابق، ج٣، ص٣، ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٧١. اقسرائي: المصدر السابق، ص٦٢-٦٥.

الرحبة[(١)]، في جمادي الأولى سنة ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م.ولما علم الظاهر بيبرس بحركتهم، استنفر جيشه على عجل، وتحرك لصدهم، فتحولوا عن الرحبة إلى البيرة، فحاصروها، وأثناء تقدم الجيش المملوكي إليها، رصدت عيونه طائفة من المغول يقدر عددها بثلاثة آلاف مقاتل، على ضفة الفرات الشرقية، مما يلي الجزيرة، مقابل مدينة منبج[(٢)]، فعبر الظاهر بيبرس وجيشه النهر، و فاجأوا المغول بهجوم صاعق، فلم ينج منهم إلا القليل، وبلغ عدد الأسرى مئتي مقاتل[(٣)].

لما وصلت أخبار ذلك الهجوم إلى جيش المغول وسلاجقة الروم المحاصر للبيرة، تخلوا عنها، بعد أن أوشكوا على أخذها، وتركوا خلفهم المجانيق، والأمتعة الثقيلة وشيئًا من الأسلحة والدواب[(٤)].

أما السلطان بيبرس وجيشه، فوصلوا إلى البيرة بعد رحيل الأعداء عنها، حيث صعد السلطان إلى قلعتها، وأجزل المكافأة لواليها وجنود حاميتها[(٥)].

وشهدت هذه السنة أيضًا (٦٧١هـ/ ١٢٧٢- ١٢٧٣م) بداية المراسلات بين الظاهر بيبرس والأمير بهادر[(٦)]، سوباشي سميساط، وكان يطالعه بأخبار

---

(١) الرحبة: بلدة على الفرات بين الرقة وعانة، أنشأها مالك بن طوق (ت ٢٦٠هـ/٨٧٤م)، فعرفت به (رحبة مالك بن طوق). وهي اليوم داخل الأراضي السورية وتعرف باسم الميادين. ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٣٤: ٣٦، عطية الله: القاموس الإسلامي ص٥٠٦.

(٢) منبج: مدينة من أعمال حلب، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ، كان الرومان يسمونها: هيرابوليس. وهي اليوم في الشمال الشرقي من سورية. ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص٢٠٥-٢٠٧؛ لسترنج: المرجع السابق، ص١٣٩.

(٣) ابن حبيب: درة الأسلاك، ج١، ورقة ٢٣ب، ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٥٥-٥٦؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٠٥-٤٠٨.

(٤) ابن حبيب: درة الأسلاك، ج١، ورقة ١٣ب، ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٥٥-٥٦؛ ابن عبد الظاهر؛ الروض الزاهر، ص٤٠٦-٤٠٨؛ وذكر ابن الشحنة أن البيرة صارت بعدها للمسلمين، وربما يقصد أنها أوشكت على السقوط في أيدي المغول، لكن المسلمين استعادوها. روضة المناظر، ص٢٦٦

(٥) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٥٦؛ ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص٤٠٨.

(٦) الأمير شمس الدين بهادر بن عبد الله، وقيل ابن الملك فرج، كان أبوه من أمراء السلطان جلال الدين الخوارزمي، وانتقل إلى خدمة سلاجقة الروم، بعد انقراض الدولة الخوارزمية، وأصبح ابنه

المغول وتحركاتهم، فاكتشف أمره، وقبض عليه، ونقل إلى الأردو، فيما تمكن أتباعه – وعددهم يجاوز الألفين – من النزوح إلى أراضي دولة المماليك، حيث أمر السلطان بحسن استقبالهم، ورتب لهم الرواتب، أما زعيمهم بهادر، فتمكن من الهرب من أيدي حراسه، والتجأ إلى البيرة، وهبّ أهلها لاستقباله، ثم أرسلوا معه من أوصله إلى دمشق، حيث دخلها سنة ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م، وسُرّ السلطان بقدومه، وعين له إقطاعًا بمصر[١].

والحقيقة أنّ محاولات استمالة كبار رجال الدولة، سلاح استخدمه الطرفان (الايلخانيون والمماليك) على حدٍّ سواء، إبان الصراع الطويل بينهما، وسبق للمسئولين المغول محاولة استمالة الملك المنصور الثاني محمد، صاحب حماة، حيث وصلت إليه منهم رسالة بهذا الشأن سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م، لكن المحاولة فشلت، إذ اطلع الملك الأيوبي السلطان بيبرس على فحوى تلك الرسالة[٢].

ولعل أخطر محاولات الاستمالة والانشقاق، تلك التي قام بها بروانه نفسه، بتشجيع كامل من الظاهر بيبرس، وسجلت المصادر أولها في سنة ٦٧٢هـ/ ١٢٧٤م، فعلى إثر عودته من بلاط الايلخان وشكواه من آجاي بن هولاكو، وجد من الأخير إعراضًا، فداخله الندم، وبدأ يراسل الظاهر بيبرس سرًا، كما ذكرنا آنفاً[٣].

شمس الدين حاكمًا على سميساط، ولجأ إلى السلطان بيبرس، فأكرم مثواه، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م. وهو في سن الكهولة. بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٣١؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٣، ص٢١٧.

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٣٣٦؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ص٤٢٠، شافع بن علي: حسن المناقب السرية، ص٣١٣.

(٢) اليافعي: جامع التواريخ المصرية، ورقة ١٧٤أ؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٦، ورقة ١٨١أ. ولمزيد من التفاصيل انظر: مملكة حماة في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، بقلم الباحث، ص٢٥٥-٢٥٦.

(٣) انظر ما سبق ص

وفي السنة التالية (٦٧٣هـ/ ١٢٧٥م) جاء السلطان بيبرس بجيشه غازيًا بلاد الروم، بموجب اتفاقه في العام المنصرم مع بروانه، لكن هذا تنصل من الاتفاق ونصح السلطان بغزو قيليقية، وتأجيل مشروع غزو بلاد الروم إلى السنة المقبلة، واستجاب السلطان لنصيحته، وحقق نجاحًا كبيرًا في غزوه لبلاد الأرمن، وأغارت بعض كتائب جيشه على أطراف بلاد سلاجقة الروم[1].

وبعد تردد الرسل بين الظاهر بيبرس وبروانه استشعر منه المغول، فأخذت رسل آباقا تفد عليه، تطلب منه المثول بين يدي الإيلخان، لكن لم يثبت عند الإيلخان شيء مما أتهم به بروانه، لذلك سمح له بالعودة إلى بلاد الروم، وبرفقته توقو نوين، وفور و صولهما إليها وردت عليهما أوامر الإيلخان بغزو البيرة والاستيلاء عليها، ويبدو أنه شك في تواطئهما على أخيه آجاي، لذلك لم يكلف توقو نوين بقيادة تلك الحملة، بل عين قائدين آخرين لتولي المهمة، هما: آباتاي Abatai[2]، وتبشي[3]، على أن يظل توقو نوين مرابطًا بجيشه في بلاد سلاجقة الروم، بينما ينضم بروانه وجيش سلاجقة الروم إلى القائدين السابقين، ويبدأ الجميع بعملية غزو البيرة، وتجمعت تلك العساكر، وجاءها

(١) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٣٤؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٧٧؛ تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص٣٠.

(٢) ورد هذا الاسم بصيغ متعددة في المصادر الإسلامية، منها: أبطاي، أقطاي، أبتاي، وأثبتنا الرسم الوارد عند الهمذاني. و الجدير بالذكر أن هذا القائد توفي في شهر صفر سنة ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م. جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٧٣. ومن المصادر الإسلامية انظر: اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١١٤-١١٥؛ العمري: مسالك الأبصار، السفر ٢٧، ص٣٣٩؛ أبوالفداء: المختصر، ج٢، ص٣٤٠، ابن الوردي: المصدر السابق، ج٢، ص٣١٩.

(٣) تبشي، و نابشي وأحياناً تابشي، ومن المرجح أن يكون والد الأمير بالتو، والذي سماه الهمذاني: تبشي. وهو نفسه الذي مر ذكره في مسألة قتل السلطان قلج أرسلان الرابع، بتواطيء من بروانه ورهط من قادة المغول. انظر: المصادر الإسلامية في الحاشية السابقة انظر ما سبق ص٣٧٥، من هذا البحث.

المدد من مناطق قريبة، مثل ماردين، وميافارقين، والموصل، وأصبح مجمل عدد الحملة يناهز الثلاثين ألفًا، نصفهم تقريبًا من المغول(١).

وفي جمادى الآخرة سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٦م، نزلت جموع الغزاة على البيرة، ونشروا حولها ثلاثة وعشرين منجنيقًا(٢)، من سبعين جاؤوا بها لاستعمالها في الحصار، وهو دليل على إصرارهم على الاستيلاء عليها.وواجهوا مقاومة عنيدة، وبعث بروانه فرقةً من الجيش يقدر عددها بأربعمئة فارس، للإغارة على المناطق المجاورة للبيرة، وتقصي الأخبار عن تحركات الظاهر بيبرس وجيشه، ومحاولة استدراجه، وقيل للتنسيق معه على الثورة ضد المغول(٣).

وذكر البعض أن تلك الفرقة أرسلها القائد المغولي أبتاي لقطع الطرق بين بروانه والظاهر بيبرس، لاعتقاده بأنهما يتآمران ضد الوجود المغولي في منطقة آسيا الصغرى(٤)ورغم أن عددًا مهمًا من المصادر يؤكد على الرواية الأولى، فإن الحوادث التالية ترجح الرواية الأخيرة لانسجامها مع مجريات الحوادث وما نتج عنها.

إذ تمكنت الفرقة المشار إليها، من أسر بعض الأشخاص، تبين فيما بعد أنهم يحملون رسالة من الظاهر بيبرس إلى بروانه، فجاؤوا بهم إلى القائد آباتاي، الذي أرسلهم بدوره إلى بروانه، فأنكر ما جاءوا به جملة وتفصيلاً، وانحى باللائمة على ملك الأرمن في قيليقية واتهمه بتلفيق الرسالة على لسان

---

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٢٥؛ العمري: مسالك الأبصار، السفر ٢٧، ص٣٣٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٨٤-٢٨٥، وذكر أن بروانه مقدم على الجميع بأمر من الإيلخان.

(٢) وقد خالف شافع بن علي بقية المصادر، وجعل عدد المنجنيقات ثلاثة عشر. انظر: حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق: عبد العزيز الخويطر، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص١٥٨.

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٢٥؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١١٤- ١١٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام. الطبقة "٦٧". ص١٧.

(٤) ابن بهادر: المصدر السابق، ورقة ١٢٨ب؛ تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص٤٢؛ أحمد توني: المرجع السابق، ص٦٦.

الظاهر بيبرس، وتظاهر قادة المغول بتصديقه، ربما لخشيتهم من تمرده عليهم، أما هو فقد أمر بقتل الرسل، والطواف برؤوسهم في المعسكر، ليكونوا عبرة لغيرهم والحقيقة أنه لم يكن أمامه إلاّ اللجوء إلى هذا العمل الشنيع لإبعاد التهمة عنه[1].

أما المغول فقد تملكهم شعور الخوف والريبة من شريكهم بروانه، وساد جو من التوتر والقلق، وعدم الثقة بين الجنود المحاصرين للبيرة، وأمسى من الصعب عليهم مواصلة الحصار والحرب، وتزامن ذلك مع تفشي الأمراض بينهم.إضافة إلى تقدم الجيش المملوكي نحوهم.فاستشار القائد آبتاي بعض أمراء دولة سلاجقة الروم المشاركين معه[2]، واستثنى بروانه من المشورة، وهذا مؤشر خطير يدل على عدم ثقته به، فاتفق مع الأمراء المشار إليهم على فك الحصار، والانسحاب إلى عمق آسيا الصغرى[3].

وحتى أثناء الانسحاب والعودة إلى بلاد الروم، سار المغول في طريق غير التي سلكها بروانه والقوات التي تحت قيادته حيث سلك طريق ملطية، وأوجس في نفسه خيفة من المغول، واستشار الأعيان من أصحابه[4]، في إمكانية الكتابة إلى الظاهر بيبرس، والاتفاق معه على إخراج المغول من أرض سلاجقة الروم، وتحديد موعد دقيق للقيام بذلك العمل، والإسراع في تحقيقه، خاصة بعد ورود الأنباء عن إطلاع الايلخان آباقا على موضوع الرسل الذين قبض عليهم أثناء محاصرة البيرة، والرسائل التي يحملونها، فأيد أكثر

---

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٢٦-١٢٧؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١١٦؛ بيبرس المنصوري: التحفة المملوكية، ص٨٢؛ تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص٤١-٤٢.

(٢) ذكرت المصادر كلاً من: البكلر بكي طرنطاي، وحسام الدين بيجار سوباشي خرتبرت.

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٢٧؛ بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية، ص٨٢؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج١٣، ص٢٨٤-٢٨٥.

(٤) ومنهم: ابنا الخطير: شرف الدين، وضياء الدين، وأمين الدين ميكائيل النائب وحسام الدين بيجار، وابنه شمس الدين بهادر. ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٢٧-١٢٨، اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١١٦-١١٧؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج١٣، ص٢٨٥؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٦٢٥.

الحاضرين هذه الفكرة، ولم تخل من معارضين[١].إلا أن المؤيدين أكثر، ونفذوا ما اتفقوا عليه، ووصلت رسالتهم إلى السلطان المملوكي، تناشده سرعة التحرك بجيشه إلى بلاد الروم، مع وعدٍ بمساندته والعمل تحت رايته، للقضاء على النفوذ المغولي في آسيا الصغرى، لكنه ردّ عليهم برسالة يعتذر فيها عن عدم تمكنه من تنفيذ ما يرغبون فيه، لعدم ملائمة الطقس لمسير جيشه، ونصحهم بالتريث، ووعدهم بالقدوم عليهم لتنفيذ هدفهم المشترك في الربيع القادم[٢].

أما الإيلخان آباقا، فوصلت إليه أنباء حملة البيرة، وما تخللها من حوادث، فطلب من بروانه القدوم عليه، في عاصمة ملكه، ببلاد فارس، فأوصى بروانه بعض أمرائه بالهرب، واللجوء إلى سلطنة المماليك.ومنهم: حسام الدين بيجار، وابنه بهادر، وحفيداه مظفر الدين ومعين الدين[٣].

ومن المغول الأميران: سكتاي[٤]، وأخوه جاروجي[١]، واللذان كانا مع عمتهما في بلاد سلاجقة الروم، و كانت هي ـ كما أسلفت ـ تحت معين الدين

(١) من الذين استهجنوا الفكرة: البكلربكي طرنطاي، والأتابك مجد الدين الأرزبخاني.

(٢) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٢٨؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١١٦-١١٧، ابن كثير: المصدر السابق، ج١٣، ص٢٨٥؛ تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص٤١-٤٢.

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٥٦؛ ٣٣٦؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٥٣؛ وانظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٤) هكذا ورد الاسم في عدة مصادر، منها: اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٦٤؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص١٨٨-١٨٩؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٦٢٥-٦٢٦. وهو عند ابن شداد "شكتاي". تاريخ الملك الظاهر، ص١٥٣؛ وعند ابن أبي الفضائل: "سكتامي". النهج السديد، ص٤٩؛ وأخذت بالصيغة التي عليها أكثر المؤرخين. وهو ابن قراجين بن جيغان نوين، وقيل إن جده "جيغان" كان سلاح دار عند جنكيزخان. وعاش سكتاي بقية حياته في مصر، وتوفي بها قبل سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م، إذ في التاريخ المذكور، زوج أخوه، "جاروجي"، ابنته أشلون خاتون للسلطان المنصور قلاوون، بحكم ولايته عليها، بعد وفاة أبيها. وقد أولدها المنصور قلاوون ابنه محمد (السلطان الناصر فيما بعد). العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٥٣، ٣٤٠؛ المقريزي: المقفى الكبير، ج٧، ص١٦٢، ترجمة رقم ٣٢٦٥.
وجاء عند ابن عبد الظاهر، ما يلي: "سكتاب بن باجو، أكبر عظماء التتر!! " تشريف الأيام والعصور، ص١١٠-١١١. وإذا كان يقصد بـ"باجو" بايجو نوين، فيكون هذا الرجل من ذريته. ويبدو ذلك أمراً مستبعداً، لعدم ورود شيء في المصادر يؤيده.

بروانه، ولحق بهم حاكم الأبلستين جندر بك[2] وولداه، ومبارز الدين الجاشنكير[3].

وقد أحسن السلطان الظاهر استقبالهم جميعًا، وأمرّ بعضهم وأقطعهم أراضي ببلاد الشام ومصر[4].

ودفعهم ذلك إلى استقدام من تبقى من أهاليهم في بلاد الروم، ومن يلوذ بهم من الأتباع، ووصلت أعدادهم إلى الألوف[5]. وكل ذلك يندرج تحت سياسة الانشقاق، والاستمالة، التي حرص كلا الطرفين (المملوكي والإيلخاني المغولي) على استخدامها سلاحًا في الصراع المحتدم بينهما. وحسب الموعد المضروب بينهما بروانه والسلطان الظاهر، عبر السلطان المملوكي بجيشه الحدود قاصدًا آسيا الصغرى[6].

(١) وفي بعض النسخ "جاروخي"، انظر: ابن أبي الفضائل: المصدر السابق، ص٤٩ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٥٣؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص ١٦٤، وهو عند العيني والمقريزي: "قرمشي"، عقد الجمان، ج٢، ص٣٤٠، السلوك، ج١، ق٢، ص٦٢٦. وكما هو في الحاشية السابقة فالمذكور شقيق الأول، وكان حيًا سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م.

(٢) هكذا ورد الاسم عند ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٥٣ـ١٥٤، بيبرس المنصوري: مختار الأخبار، ص٥٧. وورد عند النويري. والمقريزي: "حيدربك" نهاية الأرب، ج٣٠، ص٢٣٤؛ السلوك، ج١، ق٢، ص٦٢٥؛ ولم أعثر له على ترجمة فيما توفر لدي من مصادر.

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٣٣٦؛ ولم أجد للمذكور ترجمة في المصادر التي توفرت لدي.

(٤) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٣٣٦؛ النويري نهاية الأرب، ج٣٠، ص٢٣٤.

(٥) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٥٣.

(٦) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٥٠١، شافع بن علي: الفصل المأثور، ص٣٥.

وأورد مصنف كتاب الحوادث سببًا غريبًا لغزو السلطان الظاهر بيبرس لبلاد الروم، حيث قال: "سار الملك الظاهر البندقدار بعساكره إلى بلاد الروم، وكان غرضه قتل بروانه، انظر ص وهو مخالف لما تكاد تتفق عليه بقية المصادر من أن الغزوة المشار إليها تمت بعد التنسيق بين الرجلين. وقد ورد في المصدر نفسه (كتاب الحوادث، ص٤٣٢) أن سبب إعدام بروانه "أنه نقل عنه الميل إلى سلطان مصر والشام".

٢ـ معركة الأبلستين ونتائجها على آسيا الصغرى:

خرج الظاهر بيبرس من مصر بجيشها، ودخل الشام، وأخذ معه عساكرها، فصار تحت قيادته جيش جرار[١].وسار شمالاً قاصدًا آسيا الصغرى، وقبيل عبوره الحدود، بعث فرقة من الجيش إلى الساجور[٢]، للمرابطة حوله، وحفظ معابر الفرات، ومنع تسلل المغول إلى بلاد الشام.فتعرضت تلك الفرقة لهجوم مغولي، لكنها تمكنت من صده، وتكبيد المهاجمين خسائر فادحة[٣].

أما الجيش الرئيسي فسار بقيادة السلطان بيبرس ومر بعدة أماكن[٤]، وسارت أمامه فرقة منه عبارة عن مقدمة يقودها سنقر الأشقر، ووقعت على نظيرتها المغولية بقيادة "كراي Krai"، فدارت الدائرة على المغول، وتشتتوا بين قتيل وأسير وشريد[٥].

وكان الجيش المغولي ومن معه نازلون بصحراء هوني[٦]من أعمال الأبلستين

وقد استعدوا للقاء، وكونوا أحد عشر طُلبًا[١]، ومن المرجح أن عددهم يناهز الثلاثين ألفًا، وأمرهم إلى القادة: توقو نوين، وأخوه أورتقو، وتوداون، وأخو سنجاق نوين[٢].

---

(١) لم تذكر المصادر عدده، لكنه كان جيشًا كبيرًا، وصفه شافع بن علي بقوله: ".بعساكر لو نزلت على الرمال لكاثرتها ". حسن المناقب السرية، ص٣٥.

(٢) الساجور: اسم نهر بمنبج، ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص١٧٠.

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٠-١٧١؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٥٨.

(٤) ذكر ابن عبد الظاهر الأماكن التي مر بها الجيش منذ خروجه من بلاد الشام حتى وصوله إلى الأبلستين، وكان هو شاهد عيان. الروض الزاهر، ص٤٥٣-٤٥٨.

(٥) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧١؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٥٧ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٧٦. وكراي المذكور هنا، هو أحد القادة الذي حققوا مع السلطان قلج أرسلان الرابع قبل مقتله. انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٦) صحراء هوني من أعمال الأبلستين، تقع بين الجبال، ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٢.

واصطف المغول أطلابًا - كما ذكرنا - وعزلوا سلاجقة الروم عنهم، وعساكر الكرج، فكون هؤلاء طُلبًا مستقلاً[٣] وعلل البعض ذلك بخشيتهم من غدر بروانه وعساكره بهم[٤] و ربما كان هذا صحيحًا، إلا أنها ليست بدعة، فقد سبق للمغول الانعزال عن حلفائهم من غير جنسهم في حروب سابقة[٥].

وفي ليلة المعركة طاف الظاهر بيبرس على جنوده وحثهم على الصبر، والاحتساب، والجهاد[٦].

وفي صبيحة يوم الجمعة العاشر من ذي القعدة[٧] سنة ٦٧٥هـ، الموافق السادس عشر[١] - وقيل الثامن عشر[٢] من ابريل (نيسان) سنة ١٢٧٧م.انقض

(١) الطلب: بضم الطاء، لفظ كردي معناه الأمير القائد، الذي له علم وطبل خانة، وهو أمير مئة أو سبعين، ثم أصبحت تطلق على الكتيبة أو الفرقة. وجاء في النص أن كل طلب ألف فارس. ووردت كلمة كردوس بدل طلب عند الذهبي، ومعناهما متقارب، دول الإسلام، ج٢، ص١٩٥.
وعلى حساب أن الطلب ألف مقاتل، يكون عدد المغول حسب هذه المصادر أحد عشر ألف مقاتل ؛ وصرح ابن كثير بهذا العدد. المصدر السابق، ج١٣، ص٢٨٧. وبعض المصادر ذكرت أنهم اثنا عشر طلبًا. بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٣٥؛ التحفة المملوكية، ص٨٤؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٥٧

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٦٢؛ حيث ذكر أسماء القادة وقال ومع كل واحد منهم عشرة آلاف. واختار الصياد هذه الرواية. انظر: الشرق الإسلامي في عهد الايلخانيين. ص٨٠. وسبق لمصادر أخرى أن ذكرت قدوم توقو نوين وتداون بجيش يناهز عدده ثلاثين ألفًا لقمع تمرد ابن الخطير، ومعظم ذلك الجيش لم يخرج من بلاد الروم. بل ذكرت مصادر أنهم بعد القضاء على ابن الخطير ذهبوا إلى مشاتيهم في قيرشهر، وفي أوائل الربيع وردت الأنباء بعبور المماليك الحدود، فصدرت الأوامر بتجمع الجنود في قيصرية، وبعد اكتمال عددهم، ساروا إلى الابلستين. انظر: المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٨أ؛ ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٧٠؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨٦. وانظر ما سبق ص من هذا البحث. وفي كتاب الحوادث، أن عددهم ثلاثة آلاف!! وترى البون الشاسع بين هذا الرقم وما ذكرته بقية المصادر. انظر في ص٣٨٥.

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٢؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٥٨-٤٦٠.

(٤) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٢؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٥٩.

(٥) في سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م. دارت معركة بين المغول والخليفة العباسي المنتصر الثاني الذي بايعه الظاهر بيبرس بالخلافة، وشجعه على الذهاب إلى العراق لمحاربة المغول واشترك مع المغول في هذه المعركة، فرقة من عساكر بغداد، فعزلوهم لوحدهم وقد فقد الخليفة في هذه المعركة، ولم يُعثر له على أثر. ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص٨٣.

(٦) العمري: مسالك الأبصار، ج٣، ص١٤٢

(٧) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧١، ١٧٥؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٦٣.

الجيش المملوكي على المغول وحلفائهم، فصمد هؤلاء، وشنت ميسرتهم هجومًا قويًا تركز على السناجق السلطانية، واخترقوها مندفعين باتجاه ميمنة الجيش المملوكي، فتصدى لهم السلطان بنفسه، وخاصته.ومن جانبها شنت ميمنة المغول هجومًا كاسحًا، على ميسرة الجيش المملوكي، فتراجعت، وأوشكت على الهزيمة، لولا أن أردفها السلطان بيبرس بنخبة من مغاوير جنوده، فتماسكت، وثبتت أقدامها، فحمل السلطان بنفسه، وتبعته عساكره، وأحس المغول بشدة الصدمة، فترجلوا عن صهوات جيادهم، وثبتوا في أماكنهم، واستبسلوا في القتال، فلم يغن عنهم ذلك شيئًا، واستحرّ فيهم القتل، ووقع بعضهم في الأسر، ومن كتبت له منهم النجاة، ولى مدبرًا لا يلوي على شيء(٣).

وعزا ابن العبري، سبب هزيمة المغول لأنهم باشروا الحرب وهم سكارى، إذ فوجئوا بالهجوم المملوكي، ولم يكونوا مستعدين للمواجهة، لكن "شريعتهم" - الياسا - تحرم عليهم الانهزام دون مباشرة القتال وهي رواية مردودة، فالمغول كان عندهم خبر قدوم الجيش المملوكي لحربهم، وقد استعدوا له، ورتبوا صفوفهم - كما أشرنا - زد على ذلك، أنها شذت عن روايات المؤرخين الثقات، على اختلاف مشاربهم، بما فيهم الهمذاني مؤرخ المغول(٤).وكانت موقعة الأبلستين(١) المذكورة، ملحمة حقيقية، هلك فيها

---

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٣٥

(٢) رنسيمان: المرجع السابق، ج٣، ص٤٤٠ سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص٩٢٠، وقيل التاسع عشر من ابريل، عادل هلال: المرجع السابق، ص١١٦.
وحسب تقويم المغول يوم الثاني عشر من شهر أونونج، سنة هوكلر. الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٦٢.

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٢؛ ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٧١؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨٦-٣٨٧؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٣٥؛ تاريخ مختصر الدول، ص٥٠٢، الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٦٢.

(٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٣٥؛ تاريخ مختصر الدول، ص٥٠٢؛ الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص٨٣، حاشية رقم (٣).

المغـول خاصـة أكثـر مـن سـتة آلاف وسبعمـئة وسـبعين نفسًـا[2].مـنهم بعـض القادة[3]، فيما أسر آخرون[4].ناهيك عمن قتل، [5]أو أسـر[6]من حلفاء المغول الـذين حضروا معهم المعركة، من الكرج وسلاجقة الروم.

(١) هذا هو الاسم الذي أشتهرت به، والبعض سماها بأسماء أخرى، منها: "وقعة قيصرية" كتاب الحوادث، ص٣٨٩، و "معركة كينوك وهي وقعة الابلستين" شافع بن علي، الفصل المأثور، ص٨١-٨٢.

(٢) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٨؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٧٠؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٨٣؛ العمري: مسالك الأبصار، ج٣، ص١٥٢.
وذكر ابن العبري أنهم خمسة آلاف؛ تاريخ الزمان، ص٣٣٥، وعند ابن أبي الفضائل أنهم "سبعة آلاف" النهج السديد، ص٢٦٠-٢٦١. فيما لم يحدد المولوي، والهمذاني، رقمًا معينًا، وذكرا أنه لم ينج من المغول إلا القليل، صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٢أ؛ جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٦٢. وسماه ابن تغري بردي "بركة" النجوم الزاهره، ج٧، ص١٦٩.

(٣) ومنهم: "القائد العام توقونوين. ويريزك، وقيل زيرك وهو صهر الإيلخان آباقا، كما ذكر ابن شداد وابن عبد الظاهر. ولم أجد اسمه في أزواج بنات آباقا الذين أوردهم الهمذاني في جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٧-٨. ومنهم أيضًا، سرطق، وهو قريب الأمير المذكور قبله، وجركر وقيل (حبركر، أو جيركر، أو جوديه) وسردلر (أو سركد) وتماديه، وقد يفهم من بعض الروايات أن بعضهم قتل، والبعض الأخر أسر، دون التفريق بين الطائفتين. انظر: ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٣؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٦٢؛ ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨٦-٣٨٧، اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٧٧؛ بيبرس المنصوري: التحفة المملوكية، ص٨٤.

(٤) أشهر أولئك: توداون شريك توقو في القيادة، إذ أثبتت الحوادث التالية، أنه أسير في قبضة السلطان الظاهر، ثم اختفى ذكره بعد ذلك، فيما ورد في بعض المصادر أنه قتل في المعركة، وهي روايات مجانبة للصواب. انظر ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٧١؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨٦-٣٨٧؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٣٥؛ تاريخ مختصر الدول، ٥٠٢؛ بيبرس المنصوري: التحفة المملوكية، ص٨٤؛ العمري: مسالك الأبصار، ج٣، ص١٤٢؛ أبوالفداء: المختصر، ج٢، ص٣٤١. وذكر المقريزي أن السلطان الظاهر، عفى عن بعض الأسرى من قادة المغول، دون ذكر أسمائهم. السلوك، ج١، ق٢، ص٦٢٩.

(٥) ذكر ابن العبري أنه قتل من الكرج خاصة ألفان. تاريخ الزمان، ص٣٣٥

(٦) ووقع عدد كبير من أمراء سلاجقة الروم في الأسر، منهم: مهذب الدين علي بن بروانه، وهو بمرتبة بكلربكي، وختن بروانه مجد الدين محمد، وابنه خواجايونس الأرزنجاني، وهو ابن بنت بروانه، وقطب الدين محمود أخو الأتابك مجد الدين الأرزيخاني، ونصرة الدين بهمن أخو تاج الدين كيوي، وسراج الدين اسماعيل بن جاجا أو "كاجا"، وأخوه نور الدين جبريل، وسيف الدين سنقرجاه، وكمال الدين إسماعيل عارض الجيش، وحسام الدين نولناول، وشهاب الدين غازي بن علي شير كبير التركمان. ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٣-١٧٤؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٦٢، اليونيني: المصدر السابق، ج٣ ص١٧٧-١٧٨؛ العمري: مسالك الأبصار، ج٣، ص١٥١. وذكر ابن حجر أن بروانه هو الذي أرسل ابنه مهذب الدين علي إلى

وسقط بعض أمراء الجيش المملوكي شهداء منهم: شرف الدين قيران العلائي، وعز الدين المحمدي، وسيف الدين قليجق الجاشنكير، وعز الدين أيبك الشقيقي، والأمير، اللاجيء لديهم: ضياء الدين محمود بن الخطير[1].

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، تقدم جيش المماليك إلى معسكر المغول وحلفائهم، فاستولي عليه بما فيه[2] ولم يلبس أن جاء بعض أمراء سلاجقة الروم إلى السلطان بيبرس، وسلموا أنفسهم وأهليهم له[3] وفي الجانب الآخر، نجا بروانه من القتل والأسر[4] ونفذ بجلده[5]، وواصل نهاره بليله، هاربًا، إلى قيصرية، فدخلها سحر يوم الأحد، ثاني عشر ذي القعدة[6]/ الثامن عشر من ابريل (نيسان)، واجتمع على الفور بالسلطان كيخسرو الثالث[7]، والوزير الصاحب فخر الدين علي، والأتابك مجد الدين الأرزنجاني، والمستوفي

السلطان الظاهر، نكاية في الايلخان آباقا، الذي اتهمه بموالاة المماليك. انظر: الدرر الكامنة، ج٣، ص١٢٣

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٢-١٧٣؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٦٠ وذكر ابن العبري أنه قتل من "المصريين" كثير. تاريخ الزمان، ص٣٣٥

(٢) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٦١؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٣٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٣٥٣

(٣) من أولئك الأمراء: سيف الدين جاليش(أو الجاويش) بن اسحاق أمير العدل، وظهير الدين متوج مشرف الممالك، ونظام الدين بن ضياء الدين بن الخطير وأخوه، وسيف الدين بلبان الجاشنكير، وسيف الدين شاهنشاه، ومظفر الدين حجافي، ونصرة الدين بن جاليش عارض جند ملطية، ونور الدين المنجنيقي، وكمال الدين ابن سوباشي ملطية السابق رشيد الدين وأخوته، وسوباشي قلعة كركر. انظر: ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٤، ٣٣٧، ابن عبد الظاهر الروض الزاهر، ص٤٦٢، اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٨١

(٤) يفهم من رواية (كتاب الحوادث) أن بروانه، لم يشهد المعركة، بل كان متحصنًا في قلعة على ساحل البحر، الحوادث الجامعة، ص٤٢٦ وهي رواية مخالفة لبقية المصادر الموثوقة. انظر ص ٣٨٦.

(٥) ويشير بعض المؤرخين إلى أن انعزال بروانه بمن معه من سلاجقة الروم عن المغول قبيل اندلاع المعركة، وفر له فرصة للهرب والنجاة. بيبرس المنصوري زبدة الفكرة، ج٩، ص١٣٥؛ تاريخ ابن خلدون، مج٥، ق٤، ص ٨٤٦.

(٦) وعند اليونيني: ذو الحجة بدل ذي القعدة. ويبدو أنه سبق قلم، إذ ذكر المؤرخ نفسه استعداد السلطان الظاهر بيبرس للمعركة. عشية حدوثها وأنها في ذي القعدة. انظر: ذيل مرآة الزمان، ج٣، ص١٧٦-١٧٨.

(٧) وقع ابن خلدون في الوهم، حين ذكر أن السلطان كيخسرو الثالث، حضر المعركة في الابلستين. مج٥، ق٥، ص١١٨٤

جلال الدين، والنائب بدر الدين ميكائيل[١]، و عز الدين محمد بن علي الطغرائي - وهو أخوه[٢] - ونصحهم بالخروج من المدينة، والاعتصام معه في قلعته "توقات"[٣] تحسبًا من انتقام فلول المغول المنهزمين من الأبلستين، والناقمين على المسلمين من سلاجقة الروم، لاعتقادهم بتواطئهم مع إخوانهم في العقيدة من المماليك، فأخذوا بنصيحته، وجمعوا ما استطاعوا جمعه من أموالهم وذخائرهم وأهليهم وخرجوا إلى توقات، وعلى رأسهم بروانه، وزوجته الأميرة السلجوقية[٤].

أما الجيش المملوكي المنتصر، فغادر ساحة المعركة متوغلاً في آسيا الصغرى، يقود طليعته سنقر الأشقر، يتتبعون فلول المغول، وهدفهم قيصرية، إذ هي العاصمة الثانية لدولة سلاجقة الروم، وأقرب العاصمتين لساحة المعركة، وقيل أنها المكان الذي وعد بروانه السلطان الظاهر بيبرس أن يلتقيا فيها لتنفيذ مشروعهما في طرد المغول من آسيا الصغرى[٥] أو هكذا ظن السلطان المملوكي[٦].

ودخلت طليعة الجيش المملوكي المدينة، وتلو - في أرجائها - كتاب الأمان الصادر من الظاهر بيبرس، وطلبوا من السكان الاستعداد لاستقبال السلطان المنتصر وجيشه[٧].

(١) وقيل أمين الدين، ميكائيل، بدأ عمله في دولة سلاجقة الروم مستوفيًا ثم رقي إلى مرتبة نائب في عهد كيخسرو الثالث. واشتهر بالثراء، والكرم، والكفاءة في الإدارة، مع بلاغة وعلم و وقار. انظر اقسرائي: المصدر السابق، ص٦٤-٦٥.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص ٧٣٠، أخبار سلاجقة الروم، ص٤٠٨-٤٠٩. وذكر بيبرس المنصوري أنه ابن أخي بروانه، زبدة الفكرة، ج٩ ص ٢٢٢، وأخذنا برواية ابن بيبي.

(٣) و رد اسم هذه القلعة عند ابن العبري: دوقية، وعند ابن أيبك دوقاق. وكلاهما تصحيف. انظر: تاريخ الزمان، ص٣٣٥؛ كنز الدرر، ج٨، ص٢٠٠.

(٤) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٤؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٦٣، وانظر أيضًا: ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨٧. بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٣٦.

(٥) تاريخ ابن خلدون، مج٥، ق٤، ص ٨٤٦

(٦) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٣٤١

(٧) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٤؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٦٣.

تحرك الجيش المملوكي بقيادة السلطان بيبرس إلى قيصرية، واخترق الجبال حتى نزل على مقربة من حصن سمندو[(١)]، فنزل قائد حامية الحصن مسلمًا على السلطان، ومعلنًا خضوعه وتبعيته له، بعد حصوله على الأمان له ولمن معه، وكذلك فعل نظيراه قائدا قلعتي دارنده، وقلعة دولو، و واصل الجيش مسيره حتى نزل على السفح الشرقي لجبل يسمى عسيب[(٢)].

وفي يوم الأربعاء، منتصف ذي القعدة/ الحادي والعشرين من ابريل "نيسان"، وصل بيبرس بجيشه إلى أبواب قيصرية، ونزل بدهليز[(٣)] السلطان السلجوقي كيخسرو الثالث، الذي نُصب له خارج المدينة[(٤)] والتي خرج أهلها عن بكرة أبيهم لمشاهدة الضيوف القادمين[(٥)]، حيث ارتج المكان بالتهليل والتكبير، و"ضربت نوبة آل سلجوق"[(٦)] وفي يوم الجمعة[(١)] التالي، دخل السلطان

---

(١) سمندو: بفتح أوله وثانيه. وسكون النون. بلدة في وسط بلاد الروم، غزاها سيف الدولة الحمداني سنة ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م، وذكرها أبوالطيب في شعره. ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٢٥٣. وأشار إليها أحد شراح ديوان المتنبي، لكنه أبعد النجعه، إذ قال: " يقال هي المعروفة اليوم ببلغراد" والبون بينهما شاسع. إذ الأولى في الأناضول. في قارة آسيا. والأخرى في قارة أوربا. شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي. دار الكتاب العربي. بيروت ١٤٠٧هـ، ج١، ص٦٢.

(٢) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٥-١٧٦؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٦٤-٤٦٥، وعسيب: جبل شاهق وصفه ابن عبد الظاهر الذي كان مرافقًا للحملة، ويقال أن الشاعر الجاهلي أمريء القيس ذكره في شعره، وهو مدفون بقربه انظر: الروض الزاهر، ص٤٦٥؛ ديوان امريء القيس، دار المعارف، ١٩٥٨م، ص٢٧

(٣) دهيلز: لفظ فارسي معناه: المعبر ما بين الباب والدار، واستخدم في العربية بالمعنى واللفظ ذاته، ومعناه هنا خيام لاقامة السلطان. انظر التونجي: المرجع السابق، ص٢٨٥ ؛ الخطيب، المرجع السابق، ص ٨٦.

(٤) في وطأة تحمل اسم السلطان كيخسرو، قريب من البستان والمناظر التي كان يتنزه فيها سلاطين سلاجقة الروم. ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٦٦. وعند ابن العبري اسم كيقباذ بدل كيخسرو. انظر: تاريخ الزمان، ص٣٣٥؛ كتاب الحوادث، ص٣٨٩.
وعند ابن بيبي: صحراء المشهد. الأوامر العلائية، ص٦٨٠؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨٧.

(٥) وشذ ابن حبيب عن بقية المؤرخين، وذكر أن أهل المدينة هجروها خوفًا من المماليك، ويفند هذه الرواية بالإضافة إلى شنوذها، كتاب الأمان الذي أرسله بيبرس إلى أهال المدينة قبل دخولها. انظر: درة الأسلاك، ج١، ورقة ٢٧أ، كما نكر ابن حجر أن بروانه، حارب السلطان الظاهر في قيصرية وكان الأخير محاصرًا لها، وهو مخالف لما في المصادر المعاصرة للحادثة انظر: الدرر الكامنة، ج٣، ص١٢٣

(٦) نوبة آل سلجوق: نوبة في اللغة: الجماعة من الناس، وفي الاصطلاح أطلق على مجموعة من العسكر كانوا يتناوبون حراسة السلطان المملوكي، ومن معانيها وهو المقصود هنا جماعة من

السلطان المملوكي إلى المدينة لأداء صلاة الجمعة بها، وعلى رأسه جتر[٢] بني سلجوق، فقصد أولاً دار السلطنة السلجوقية، وقد أُعدت لاستقباله، ونُصب في وسطها تخت[٣] بني سلجوق، فتربع السلطان المملوكي عليه، وأقبل الناس يهنئونه، يتقدمهم الفقهاء والوعاظ، وأعيان قيصرية، وأصحاب المراتب فيها، وجلسوا بين يديه، على عادتهم مع الملوك السلجوقية، في كل يوم جمعة، ورتّل القراء آيات من الذكر الحكيم، وألقى "أمير الحفل"[٤] قصائد في مدح السلطان بيبرس، بعضها بالعربية، وأخرى بالفارسية.ثم مُدّ السماط[٥]، ونثرت "دراهم ظاهرية"[٦] على الحاضرين، وأدى الجميع الصلاة في أحد جوامع المدينة السبعة، والتي خُطب على منابرها كلها للسلطان بيبرس[٧].علمًا أنها ليست

أصحاب الطرب، والموسيقى، تابعة للجيش، يحملون الأعلام والطبول والصنوج ويعزفون الموسيقى ويتراقصون على أنغامها. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة: نوب؛ ابن كنان: المصدر السابق، ص٦٨ـ٦٩، الخطيب: المرجع السابق، ص٤٢٦

(١) ويوم الجمعة يوافق السابع عشر من ذي القعدة/ الثالث والعشرين من ابريل (نيسان). وورد في النسخة الأصلية من كتاب (سلجوق نامه) أن يوم الجمعة يوافق منتصف الشهر، وذكر أنها سنة ٦٨٥هـ، وفي حين نبه الدكتور علاء الدين منصور في النسخة التي ترجمها من الكتاب إلى خطأ الناسخ في التاريخ، وأن الصحيح هو سنة ٦٧٥هـ، فإن الدكتور محمد السعيد فاته التنبيه إلى هذا، في النسخة التي ترجمها من الكتاب، فأثبتها كما هي. انظر ص ٣٣٢، حاشية (١) من نسخة الدكتور منصور ؛ وص ٣٨٧، من نسخة الدكتور السعيد.

(٢) جتر: كلمة فارسية، معناها: مظلة. وتُنشر فوق رأس السلطان أو الملك في المناسبات وهي من علامات المُلك، انتشر استعمالها منذ أواخر العصر العباسي. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص١٠٤؛ السامرائي: المرجع السابق، ص٩١-٩٢

(٣) تخت: كلمة فارسية، تعني: كرسي أومنبر، واصطلاحًا: سرير السلطنة، وهو أيضًا من علامات الملك. يجلس عليه السلطان – أو الحاكم – في الاجتماعات العامة، ليتميز عن غيره من الحاضرين القلقشندي: المصدر السابق، ج٥، ص١١٣.

(٤) وصفه ابن عبد الظاهر بقوله: "وهو عندهم ذو مكانة، وحرمة ووسامة، ويلبس أكبر ثوب وعمامة، موكول به ترتيب الحفل ويظل واقفًا بين يدي السلطان" الروض الزاهر، ص٤٦٧

(٥) سماط: في الأصل ما يُمد تحت أواني الطعام في المآدب، ثم امتد المعنى ليشمل الموائد الكبيرة التي كان يقيمها السلاطين والحكام، في المناسبات المختلفة الخطيب: المرجع السابق، ص٢٥٧-٢٥٨

(٦) أمر السلطان بيبرس، بسك دراهم تخليدًا لهذه المناسبة، تحمل شعاره، وعليها صورة السبع، مع نقش اسمه عليها. ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٥، حاشية (٦)؛ المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي، ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١هـ) النقود الإسلامية (شذور العقود في ذكر النقود) المكتبة الحيدرية، النجف: ١٣٨٧هـ/ ١٦٦٧م، ص٣٠-٣١.

(٧) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٦٦-٤٦٧؛ وانظر أيضًا: ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٣٥؛ الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٦٢

المرة الأولى التي يدعوا فيها خطباء جوامع قيصرية للظاهر بيبرس، إذ سبق لرسله، الذين مروا بقيصرية، وهم في طريقهم للقاء الإيلخان آباقا سنة ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م، أن سمعوا مثل هذا الدعاء، في الجامع الذي أدوا فيه صلاة الجمعة آنذاك[١].

وأثناء إقامته في قيصرية[٢]، وجد السلطان بيبرس أصغر أبناء قرمان التركماني معتقلاً فيها – كما سبقت الإشارة إليه – فأطلق سراحه، وأعطاه - بناءً على طلبه - تواقيع وسناجق له ولإخوته، وكتب إليهم ليسارعوا بالانضمام إليه، وإعلان التبعية له[٣].

ومن الإجراءات التي اتخذها في قيصرية أيضًا، أمره بمصادرة ما وجد من ممتلكات بروانه وزوجته الأميرة السلجوقية، وكانت أموالاً لا تحصى، وقد أخذت معها إلى توقات، ما خف حمله وغلي ثمنه، وأسعفها الوقت لحمله، ورافقها أربعمئة جارية من مماليكها[٤]ويدل هذا العمل على غضب السلطان الظاهر على بروانه، غضبًا أخرجه عن السياسة التي وضعها لنفسه ولجيشه، بعدم التعرض لممتلكات المسلمين في بلاد الروم ولم يأخذ تلك الممتلكات التي صادرها لنفسه، بل وزعها بين أمرائه المرافقين له[٥].

---

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٣٥؛ ابن شاكر: عيون التواريخ، ج٢٠، ص٤٢١.

(٢) استغرقت اقامة السلطان بيبرس بقيصرية وضواحيها زهاء أسبوع، إذ وصل إليها في منتصف ذي القعدة، وخرج منها يوم الثاني والعشرين منه. ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص٤٦٥؛ ٤٦٧: بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٣٦.
وذكر كل من ابن العبري، ومصنف كتاب الحوادث، أن السلطان بيبرس أقام في قيصرية وضواحيها مدة خمسة عشر يومًا. وأخذنا برواية ابن عبد الظاهر، كونه شاهد عيان ومرافق للسلطان في هذه الحملة. انظر: تاريخ الزمان، ص٣٣٥؛ كتاب الحوادث، ص٣٨٧.

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٧، ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٦٦

(٤) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٦–١٧٧؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٦٣، ٤٦٧؛ العمري: مسالك الأبصار، ج٣، ص١٨٢

(٥) النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٣٥٦

وأثناء إقامته في تلك المدينة، وصلت إلى الظاهر بيبرس رسالة من بروانه، يهنئوه فيها بما حققه من نصر، فرد عليه الظاهر برسالة، يطلب فيها حضوره ليفي له بوعده، ويسلمه حكم بلاد الروم، بعد هزيمة المغول فيها. فرد عليه بروانه برسالة أخرى ويتجلى في رسالتيه المذكورتين مدى براعته وإتقانه لأمور السياسة، والحذر في التعامل، ففي الأولى يهنئوه بكل صراحة على الفوز الذي أحرزه، وفي الأخيرة، يتمنى منه مهلة قدرها بخمسة عشر يومًا، ليجهز نفسه للحضور وكان ينتظر وصول الايلخان آباقا بجيشه إلى المنطقة، لكن الظاهر بيبرس، شم من رسائله رائحة الخيانة، وأكدها أسيره القائد المغولي توداون، الذي حذر الأمير سنقر الأشقر من غدر بروانه، بحكم أنه صديق قديم له، فنقلها الأشقر إلى سيده بيبرس فأكدت مخاوفه[1].

ويرى أحد الباحثين أن مهلة الخمسة عشر يومًا التي طلبها بروانه ليتمكن بعدها من الحضور، والتي نصت المصادر على أنها كانت مماطلة منه ليضمن وصول آباقا بجيشه إلى قيصرية، ليست كافية، بسبب بعد المسافة بين قيصرية وبلاد فارس، مقر حكم الإيلخان[2].لكننا نراها كافية إذا أخذنا في الحسبان، أن بروانه أرسل إلى الإيلخان - بعيد المعركة - يناشده الحضور على وجه السرعة، لينقذ هذا الجزء من مملكته من أيدي المماليك[3]، وأن الإيلخان قد وصل بجيشه إلى سيواس، وهو عازم على المسير إلى قيصرية، والمسافة بينهما لا تزيد على ستة أيام[1].

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٧؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٨٢ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٧٣-١٧٤

(٢) عبد الله الغامدي: المرجع السابق، ص٢٠٢

(٣) وذكر ابن بيبي أن رسول بروانه إلى الإيلخان يدعى "سيف الدين أربكي" في حين أشار الهمذاني إلى أن الذي أخبر الأيلخان بما جرى في الأبلستين. رجل مغولي يدعى "بوكداي" وهو أحد خدم القائد تودوان. انظر: الأوامر العلائية، ص٦٧٩؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨٨، جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٦٦. وفي المصدر نفسه، أن الايلخان تحرك بجيشه قاصدًا آسيا الصغرى، في اليوم نفسه الذي جاءه فيه الخبر. وربما يعطي انطباعًا، عن أن المسئولين في بلاد فارس كانوا مستعدين

كما أن بروانه لو أراد الاجتماع بالسلطان الظاهر بيبرس – كما زعم – لما احتاج إلى كل هذه المدة، إذ المسافة بين قيصرية، حيث نزل السلطان المملوكي، وبين توقات التي اعتصم بها بروانه، لا تتجاوز أربعة أيام[٢]، بل ربما ثلاثة[٣].

ومهما يكن من أمر، فقد قرر السلطان المملوكي الانسحاب، وهو بكل المقاييس انسحاب سريع، يحدوه لذلك أسباب عدة، في مقدمتها السبب المذكور أنفاً، إذ خشي مواجهة الإيلخان، في بلاد الروم، بعيدًا عن بلاده، وقواعد ملكه، وقد أيقن بمراوغة بروانه، وعدم وفائه بما تعهد به، إضافة إلى قناعته، بأن أهالي بلاد الروم، لا ينقادون إلا للمغول[٤]؛ وأنّ ما أمّله من انتفاضة سلجوقية عارمة ضدهم، فور رؤيتهم لرايات جيشه تعبر الحدود، لم تتحقق[٥].وكذلك تناقص مؤنة الجيش[٦]، إذ ترفع السلطان وجيشه عن نهب ما بأيدي الناس، وكانوا يشترون ما يحتاجونه من مؤن وغيرها[٧].

ومن أسباب الانسحاب - المشار إليه - أيضًا، شعور السلطان بيبرس بتحقيق النصر المطلوب، والتربع - مؤقتًا - على عرش آل سلجوق، والقضاء على قوة الحامية المغولية في آسيا الصغرى وإيصال رسالة إلى السلطات المغولية، عن مدى قوة المماليك وسرعة تحرك جيشهم، وأخيرًا وليس آخرًا، بُعد المسافة بين

للتحرك، ومتوقعين لغزو مملوكي، وهذا يدحض قول من قال أنهم أخذوا على حين غرة. انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(١) ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص٢٠٢

(٢) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٤؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٦٣

(٣) ابن أبي الفضائل: المصدر السابق، ص٢٦٠، ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص٢٠٠، المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٦٢٩

(٤) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٦٦

(٥) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص٥٨.

(٦) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٧؛ ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨٧؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٦٧

(٧) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٣٥؛ تاريخ مختصر الدول، ص٥٠٢، بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٣٤٤؛ وانظر: كتاب الحوادث، ص٣٨٧.

الجيش المملوكي وقواعد تموينه في بلاد الشام، والخشية من قطع طرقها عليه، ومن ثم حصاره.

وزعم أحد الباحثين أن من أسباب عدم حصول السلطان الظاهر بيبرس على ما أسماه "النتيجة الحاسمة" المقاومة الفعالة التي أبداها النصارى – ومنهم الأرمن – في وجهه[1] وهو زعم ليس له ما يؤكده في المصادر المعاصرة التي أمكن الباحث الرجوع إليها.هذا فضلاً عن أنّ الأرمن في ذلك الحين يدفعون الجزية للظاهر بيبرس، وأصبحوا معزولين عن حلفائهم الصليبيين في الجنوب بعد قضاء الظاهر بيبرس على إمارة أنطاكية الصليبية سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م.

ومهما يكن من أمر، فقد أدرك السلطان الظاهر بيبرس . بعد حين . أنه ربما جازف بتوغله كل هذه المسافة في بلاد الروم[2]، وهي مجازفة سجلتها كتب التاريخ، ونوهت بجرأته فيها، وكانت خاتمة المطاف في مشواره العسكري الحافل بالانتصارات[3].

وقد أمر السلطان بيبرس عساكره بالخروج من قيصرية، فخرجوا منها، ومعهم أم بروانه في عداد الأسرى[4] وشاع بين الناس أنهم زاحفون إلى سيواس[5].لبلوغهم أنباء عن وصول الايلخان بجيشه إليها، وأن السلطان عازم على حربه[6].وعند وصولهم إلى قرية خارج المدينة[7].جاء إلى السلطان بيبرس

(١) شبولر: العالم الإسلامي، ص٦٠.
(٢) اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٣
(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٣١٨-٣١٩؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٣٤٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣١، ص٤٣٨-٤٣٩. شافع ابن علي: الفصل المأثور، ص٣٥
(٤) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٨، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٣٦. اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٨١؛ العمري: مسالك الأبصار، السفر٣، ص١٥١
(٥) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٧-١٧٨؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٨٢، القلقشندي: المصدر السابق، ج١٤، ص١٥٩
(٦) ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص٢٠٢
(٧) هي قرية قيرلو kirlou ، هكذا أثبتها (Quatremere) ووردت في صيغة: قيرلوا، وقبر لولو. انظر: ابن أبي الفضائل: المصدر السابق، ص٢٧٢؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٨؛ العمري: مسالك الأبصار، السفر ٣، ص١٥٠

رسول آخر من بروانه، ومعه هدية، وهدفه - ولاشك - إعاقة حركة الجيش أو تأخيرها على الأقل.فرفض السلطان قبول الهدية، وردّ على بروانه برسالة، ذكّره فيها أن الاتفاق المبرم بينهما، هو الذي حمله على القيام بحملته العسكرية، كما اتهمه بنكث العهد[1].

وأثناء الانسحاب المشار إليه، توجهت فرقة من الجيش للاغارة على قرية للنصارى تسمى "رومان Ruman"[2] فاجتاحتها، وأسرت أهلها، فقتل مقاتلتها، وسبي النساء و الذراري، وتعزا أسباب هذا الانتقام المروع، لتواطؤ أهلها مع فلول المغول المنهزمين من الأبلستين، وتوفير الملجأ والطعام لهم، وكذلك استدراج بعض المسلمين إلى القرية، والغدر بهم، وقتلهم[3].

وعدا هاتين الحادثتين - وهما مصادرة ممتلكات زوجة بروانه، وقتل أهل رومان - فإن الجيش المملوكي لم يتعرض لأحد من سكان بلاد الروم بالأذى، وكانوا يشترون ما يريدون بأموالهم[4].

ومر الجيش أثناء انسحابه ببعض المناطق التي لم يمر بها أثناء دخوله[1]، حتى وصل إلى ساحة المعركة في الأبلستين، حيث أمر السلطان بدفن جثث

Quateremere: Histoire des Sultans Memlok de Egypte , Paris , 1373-1845. P. 430. Ent , 4.

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٧-١٧٨؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٦٨

(٢) رومان: هكذا وردت عند ابن العبري، وأخذنا بصيغته، إذ أنه من نصارى بلاد الروم، وهذه القرية للنصارى، ووردت بصيغ شتى في المصادر الإسلامية، منها: رمانة، الرمانة، رمان، وهي قرية للأرمن، قريبة من خان السلطان كيقباد الأول. وصفها ابن عبد الظاهر وهو شاهد عيان بقوله " بيوتها تحيط بجبل كالهرم، وتحيط بها جبال كأنها عليها سور. انظر. الروض الزاهر ,ص ٤٦٩. انظر ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٨؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٣٦؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٨٢

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٨؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٣٦؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٦٨-٤٦٩؛ الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٦٢ وفي رواية (كتاب الحوادث، ص ٤٢٦) أنه سبى ونهب دون أن يقتل من النصارى أحدا.

(٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٣٥؛ تاريخ مختصر الدول، ص٥٠٢، كتاب الحوادث، ص٤٢٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٧٠-١٧١

شهداء المسلمين، ومنها تحرك عبر "الدربند"(٢) مخترقًا الحدود باتجاه بلاد الشام، حتى وصلوا إلى حارم(٣) فنزلوا قريبًا منها(٤).وقد واجه الجيش أثناء انسحابه مشاقة عظيمة، بعضها راجع إلى العوائق التي أقامها المغول في طريقهم والتي اضطر الفرسان إلى الترجل عن خيولهم لعبورها (٥).

وبعودة الجيش المملوكي إلى مواطنه، يكون قد أسدل الستار على تلك الموقعة المهمة، وإن استمرت نتائجها وإفرازاتها في الظهور تباعًا بعد ذلك التاريخ.ولا تقل تلك الموقعة في الأهمية عن موقعة كوسه داغ، التي جعلت من آسيا الصغرى محمية مغولية، فجاءت معركة الأبلستين لتكرس تلك النتيجة، بل لتجعلها تحت الحكم المباشر للدولة الإيلخانية(٦)، وتضع حدًا لمحاولات الوزراء إنعاش الدولة السلجوقية، أو المحافظة على ما تبقى منها وهي المحاولات التي بدأها مهذب الدين علي والد بروانه، واختتمها ابنه معين الدين بروانه، وممن أسهموا فيها أيضًا بحظ وافر، شمس الدين الأصفهاني، وجلال الدين قرطاي.

---

(١) من الأماكن التي مر بها الجيش: نهر "قزل صو"، وقزل كلمة تركية تعني الأحمر "أي النهر الأحمر". وصحراء قرا حصار، انظر: ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٨-١٧٩؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٦٩-٤٦١

(٢) دربند :يطلق عليها باب الأبواب , وهي مدينة علي بحر الخزر كبيرة كثيرة الأجناس ,وحصينة البناء بناها أنو شروان , ويصنع بها ثياب الكتان , وبها الزعفران وزروع كثيرة , ولهذه المدينة عدة أبواب إلي جهات كثيرة , وعليها سور يمتد إلي البحر لكونها ميناء هام. ياقوت الحموي: مصدر سابق , ج١ ص٣٠٢-٣٠٦.

(٣) حارم: من الحرمان أو الحريم كأنها لحصنتها يحرمها العدو وتكون من حرما لمن فيها ,وهي حصن عظيم تجاه أنطاكية ,وهي من أعمال حلب , وبها أشجار كثيرة لوفرة المياه. ياقوت الحموي: مصدر سابق , ج٢ ص٢٠٥.

(٤) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٩، ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٦١، اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٨٢-١٨٣

(٥) شافع بن علي: الفصل المأثور، ص٣٥، الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٦٢

(٦) زبيدة عطا: المرجع السابق، ص١٤٤، يلماز، المرجع السابق، ج١، ص٤٧٤؛ عبد الله الغامدي: المرجع السابق، ص٢٢١-٢٢٢.

وقد وصف ابن بيبي وضع دولة سلاجقة الروم بعد المعركة بقوله: "تزلزلت المملكة، وتخلخلت قواعد السلطنة"[1].

ومن نتائج معركة الأبلستين أيضًا، تعرض آسيا الصغرى، لحملة مغولية جديدة، نشرت الخراب والدمار والقتل في طول البلاد وعرضها[2].

ومن نتائج تلك الموقعة أيضًا: تجدد الاتصالات بين ايلخانات فارس، وملوك أوربا الغربية، والبابا، لبناء حلف جديد، للوقوف في وجه المماليك.و قد لعب الأرمن دورًا بارزًا في هذه المحاولة[3].

٣ـدخول آباقا بن هولاكو بجيشه إلى آسيا الصغرى وما نتج عنه:

أشرنا في صفحة سابقة، أنه مما تمخض عن موقعة الأبلستين، قدوم حملة مغولية جديدة، على آسيا الصغرى، قادها الايلخان آباقا بنفسه، إذ لبىّ صرخة بروانه – وبقية قادة الحامية المغولية في تلك البلاد – وتوغل بجيشه[4] في بلاد سلاجقة الروم، حتى وصل الأبلستين، فوقف بنفسه على ساحة المعركة، ورأى بأم عينيه أشلاء قادته، وخيار جنده، مجندلة على التراب، قد نهشت منها السباع، والطيور الكواسر، فلم يتمالك نفسه أمام هذا المنظر المؤثر، فبكى بحرقة مصارع جنده، واختلط في نفسه الأسى والحزن مع الغضب والحقد، وخلص إلى فرضية أنهم كانوا ضحية مؤامرة كبرى، وأن بروانه ـ ولاشك ـ هو متولي كبرها، واطلع من أحد أمراء السلطان بيبرس المنشقين

(١) أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨٥

(٢) انظر ما يلي من هذا البحث.

(٣) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص١٩٢١؛ نعمان جبران: المرجع السابق، ص٢٥٢-٢٥٣؛ القزاز: المرجع السابق، ص٣٥٠. عادل هلال: المرجع السابق، ص١١٦

(٤) في حين قدّرهم ابن بيبي بخمسين ألف مقاتل، إلا أن مصادر أخرى نقلت عن الإيلخان نفسه، قوله: إن عدد جيشه ثلاثون ألفاً. انظر: الأوامر العلائية، ص٦٨١؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨٨، ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٨٢، ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص٢٠٥، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج١، ص١٨٩

عنه[1]، على كثرة جيش المماليك في المعركة، مقارنة مع الحامية المغولية التي كانت ترابط في المنطقة، حتى بعد وصول الإمدادات إليها.بل تبين له أنه ربما غُرر به هو أيضًا، فالقوات التي جاء بها - وقد جمعها على عجل - هي أقل من أن تواجه جيش المماليك، وحمّل بروانه أيضًا تبعية تلك المعلومات التي على ضوئها جمع ما عنده من جنود وجاء بهم إلى آسيا الصغرى، فأرسل في طلب فرق من جيشه كان قد أرسلها لتعقب الجيش المملوكي، ووصلت فعلاً إلى كينوك[2].

وهرع بروانه - رغم اتهامه بالتأخر - ومعه السلطان كيخسرو الثالث، والوزير فخر الدين علي ومن تبقى من الأمراء والأعيان، إلى لقاء الايلخان في الأبلستين، ولم يتردد الإيلخان في توجيه اللوم إلى بروانه، واتهامه بسوء تقدير قوة الخصم، وانتهاج الطريقة المثلى للتعامل مع الموقف، ولم يقبل منه عذرًا في ذلك[3].

وتحرك الإيلخان بجيشه متوجهًا إلى قيصرية، "وقد جن جنونه، وطار صوابه، وتخلى عن آدميته"[4]، فالتقى بوجهاء المدينة وسألهم عما فعله بهم الظاهر بيبرس وجنوده، فما ذكروا إلا خيرًا، وعرف منهم أن الجيش المملوكي لم يكن معهم جمالاً، بل خيلاً وبغالاً، وأدرك أنهم عبروا حدود بلاد الروم، وأصبحوا في مأمن من جنوده، فأخذته العزة بالإثم، وأصدر أمره بقتل المسلمين من أهل قيصرية، ونهب أموالهم، وتدمير مساكنهم، ولم تغن شيئًا

(1) وهو الأمير عز الدين أيبك الشيخي، وكان قائدًا لمقدمة الجيش، ويبدو أنه لم ينفذ تعليمات السلطان، حيث كان يسبق الناس، فغضب عليه السلطان وضربه فتسلل إلى المغول والتقى بالإيلخان آباقا، وسار في ركابه، وقد حصل منه الإيلخان على معلومات قيمة عن الحملة المملوكية. ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٧، ١٨١

(2) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٨٢؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٨٦-١٨٧

(3) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٨١-١٨٢؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج١، ص١٨٥-١٨٦

(4) الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الايلخانيين، ص٨٤

شفاعة القضاة والفقهاء، وأعيان المدينة، وانطلق جنوده يفسدون في الأرض، ويهلكون الحرث والنسل[1].

ولم يقتصر العبث والفساد المغوليان على مدينة قيصرية بل تعداها، إلى بلاد أخرى منها: سيواس[2]، وبلدات أخر، نالت نصيبها من البطش المغولي[3].

وغادر الإيلخان بجنوده - بل وحوشه الكواسر - قيصرية، عائدًا إلى مقر ملكه في بلاد فارس، وهم ينشرون الخراب والدمار والدماء، في كل بلدة مروا بها، حتى وصلوا إلى أرزنجان، بعد أن دمروا كل ما يقع على الطريق بين قيصريه وأرزنجان والمسافة بينهما مسيرة سبعة أيام[4].كانت عامرة بالمدن والبلدات، والمزارع[5].

ورافق بروانه - مكرهًا - الإيلخان وهو عائد إلى عاصمة ملكه، ومروا وهم في طريقهم على قلعة كوغونية، ورفض القائم على شئونها تسليمها إلى الإيلخان، وبأمر منه، انبرى بروانه لمعالجة الموقف، وصعد إلى القلعة، ترافقه ثلة من جنود المغول، موكلة بالتحرز عليه، حتى لا يستغل الفرصة، ويعتصم بالقلعة، ويصبح من المتعذر انزاله منها، لكن قائد حامية القلعة، أوصد بابها في وجه بروانه، ولم يَرِقّ لتوسله، واشترط لتسليم القلعة، إطلاق سراح أبناء له أسرى، أخذهم المماليك في معركة الأبلستين، وحمّل بروانه تبعية المعركة ونتائجها[6].

---

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٨٢، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٣٦؛ الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٦٣

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٦٣

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٨٣، بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٣٨؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص٢٠٦

(٤) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٦٣

(٥) ابن شداد: تارخ الملك الظاهر، ص١٨٢-١٨٣؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص١٨٥-١٨٦

(٦) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٨٢؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨٩-٣٩٠؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٨٣

ولم تزد هذه الحادثة الإيلخان آباقا إلا حنقًا وغيظًا على بروانه، ويئس من السيطرة على كوغونية، وانسحب من تحت أسوارها، وقصد قلعة كماخ، فرفض من فيها تسليمها إلا بعد ابتعاد الإيلخان وجنوده عنها، مع اعترافهم بالتبعية للدولة الإيلخانية، فصعد إليها وزير الإيلخان، شمس الدين الجويني[1]. فاستعرض ما بداخلها، وحمل ما وجده فيها من قماش وأموال، وساق الخيل، حتى سلّم الجميع إلى الإيلخان، الذي اكتفى بذلك، وترك القلعة وشأنها[2].

مرّ الإيلخان - وهو في طريقه منسحبًا من آسيا الصغرى باتجاه عاصمته تبريز - على قلعة، من قلاع بلاد الروم، يقال لها "بابرت"[3]، ونزل إليه شيخ منها، وطلب الأمان لنفسه، فخاطبه قائلاً: "يا ملك البسيطة! عدوك حضر إلى بلادك، وما تعرض للرعية، وما أسال محجمة[4] دم، وأنت قصدت العدو، وجئت في طلبه، فلما فاتك، أنخت على رعيتك، فقتلتهم، ونهبت بلادهم، وخربتها، فمن هو من الخانات الذين تقدموا من أسلافك سنّ هذه السنة واعتمد هذه الياسا؟!!"[5].

(١) شمس الدين محمد بن بهاء الدين الجويني، اختاره آباقا لوزارته، وكان قد شغل هذا المنصب في أواخر عهد هولاكو، فنعت بصاحب الديوان، بلغ هو وأخوه عطا ملك درجة رفيعة من المجد، وأصبحا من أركان دولة المغول الايلخانيين، لكن الأسرة كلها تعرضت لمؤامرات، ودسائس واتهامات. ثم نكبت عن أخرها. وقتل المغول صاحب الترجمة سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م. الصياد: الشرق الإسلامي ص١٥٦

(٢) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٨٣؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٣٨، العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٦٣-١٦٤

(٣) بابرت: مدينة كبيرة حسنة من نواحي ارزن الروم بالقرب من أرمينية. ياقوت الحموي: مصدر سابق , ج١ ص٣٠٧.

(٤) محجمة ومحجم: أداة الحجم، والقارورة التي يجمع فيها دم الحجامة. القاموس المحيط، مادة: "حجم".

(٥) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٣٨؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٦٤

فاستفاق الإيلخان من غفوته، وثاب إلى رشده، ووبّخ مستشاريه، الذين نصحوه بمعاقبة رعاياه المسلمين، بل وأهان قسماً منهم(١).

ومن الملاحظ هنا، أن الإيلخان آباقا، استجاب لنصيحة شيخ مجهول، يقطن إحدى القلاع(٢) ولم يفعل الشيء نفسه مع أعيان قيصرية، ولم تجد توسلاتهم إلى قلبه طريقاً، ورفع السيف عن رقاب الناس، ولكن بعد أن "بلغ السيل الزبى" فعدد الذين قتلوا بين قيصرية وأرزنجان يتراوح بين المئتي ألف والخمسمئة ألف(٣) فيما بلغ عدد الأسرى الذين أطلق سراحهم الأربعمئة ألف(٤)، ناهيك عن الخراب، والدمار، وإتلاف المزارع والحقول والأسواق(٥).

ورغم أن جل الضحايا من المسلمين، إلاّ أن النصارى تعرضوا لبعض الاضطهاد، وحُمل بعضهم أسرى، وشملهم فيما بعد عفو الإيلخان، وأطلقوا مع غيرهم(٦) و هناك من يرى أن هدفه من ذلك، الحصول على الفدية من أهاليهم(٧).

وقبيل خروجه من بلاد سلاجقة الروم، عين الإيلخان أحد قادته حاكمًا على البلاد وأمره بهدم قلعتي كوغونية وتوقات عقابًا لمالكهما بروانه(٨).

---

(١) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٣٨

(٢) يعزو الهمذاني فضل إصدار الإيلخان لأمر العفو إلى الوزير شمس الدين الجويني. جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٦٣؛ وربما أشار الوزير على سيده بشيء من هذا، لكن بعد سماع كلام ذلك الشيخ الذي لم يخاطب الإيلخان إلا بعد حصوله منه على الأمان.

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٨٢؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٣٦؛ الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٦٣؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٦٣٣.

(٤) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٣٨؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٣٩٨

(٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٣٦؛ تاريخ ابن خلدون، مج٥، ق٥، ص١١٥٦، عباس إقبال: المرجع السابق، ص٢٢٩.

(٦) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٣٦

(7) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. P. 290.
وأشار سعيد عاشور إلى أن الإيلخان اعتبر النصارى خلفاء طبيعيين للمغول، فلم يعاملهم بمثل ما عامل رعاياه المسلمين من تطرف، الحركة الصليبية، ج٢، ص٩٢١.

(٨) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٦٤، الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين. ص٨٥

وطمع آباقا خان في مدينة أرزنجان وأراد أن يستخلصها لنفسه، فأعلن استيلاءه عليها ولما استفاق ضميره، قرر شراءها، على أن يدفع ثمنها من الإتاوة السنوية التي تدفعها سلطنة سلاجقة الروم إلى خزانته[1] وسمح لوزيره شمس الدين الجويني، أن يشتري من تلك الأراضي ما يشاء، فملك من بلاد سلاجقة الروم مساحات شاسعة[2].

ومن ثم عاد الإيلخان آباقا إلى عاصمة ملكه، بعد أن ارتكب من المجازر في آسيا الصغرى، ما لم يرتكبه قائد مغولي قبله، ومرة أخرى دفعت الرعية ثمنًا باهضًا لذنب لم تقترفه، وبقيت ترزح تحت نير الاحتلال، تتجرع الذل والهوان، وتتوالى عليها الأزمات والكوارث.

أما في الجهة الأخرى المقابلة - أعني دولة المماليك - فقد بلغ الظاهر بيبرس بلاده، سائقًا الأسرى بين يديه، منتشيًا بما حققه من نصر مؤزر على المغول وحلفائهم في آسيا الصغرى، وقبل دخوله دمشق، وصلت إليه رسالة من آباقا، كان الإيلخان قد بعث بها إليه عندما غادر قيصرية في طريقه إلى بلاد فارس، وجاءت الرسالة طافحة بالتهديد والوعيد، مع إلصاق تهمة الصوصيه بالظاهر بيبرس وجنوده، وتعييره بأنه في الأصل مملوك، بيع في أسواق النخاسة[3] وجاء فيها أيضًا وعدُ بغزوه بلاد الشام، التي هي عقر داره حال انقضاء فصل الشتاء[4].

وأخذ السلطان المملوكي تهديدات الإيلخان على محمل الجد، واستنفر عساكره، واستعد للقائه، لكنه عاد وصرفهم لما تواترت الأنباء عن تحرك

(١) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٣٨؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٣٩٧؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٦٣.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٦٣

(٣) النخاسة: السوق المخصص لبيع الدواب والرقيق. المعجم الوسيط، مادة: نخس.

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٨١؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨٩؛ الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٦٣-٦٤

الإيلخان بجنوده من آسيا الصغرى قاصدًا بلاد فارس[1]،ولم يلبث أن انتقل السلطان بيبرس إلى رحمة الله في المحرم سنة ٦٧٦هـ/ يونيو ١٢٧٧م.

ومن المرجح أن وفاته، ربما ارتبطت، بغزوة آسيا الصغرى[2]، غير أنها حرمته من جني ثمار تلك الغزوة الجريئة[3]،ولا يمكن الأخذ برأي من قال إن دولة سلاجقة الروم، أضحت جزءًا من أملاك السلطان الظاهر بيبرس[4]، أو أنه استفاد من غزوته تلك في الناحيتين الاقتصادية والاستراتيجية، وحقق حلمًا طال انتظاره[5]،فسيطرة بيبرس على أجزاء من دولة سلاجقة الروم، إثر معركة الأبلستين كانت مؤقتة زمانًا ومكانًا وحتى تنصيبه لأحد الأمراء[6] نائبًا عنه في قيصرية، قبيل انسحابه منها[7]،لا يعدو كونه إجراءً شكليًا.

٤ـمقتل معين الدين بروانه ونتائجه على آسيا الصغرى:

بعد الخراب والقتل، اللذان عما بلاد الروم، على أيدي المغول، وبإشراف ايلخانهم " آباقا " قفل هذا بجنوده إلى بلاد فارس، وفي معيته معين الدين بروانه وجمع من مماليكه وأصحابه، وقد زاد امتناع بعض القلاع التي كانت خاضعة للبروانة الإيلخان حنقاً عليه.لكنه كان يظهر له الاحترام، والتبجيل طوال الرحلة، بل أشعره أنه يريد استشارته في أمور تتعلق ببلاد سلاجقة الروم وسبل الدفاع عنها ضد هجمات المماليك[8][2].

---

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٢٢١

(٢) عن ملابسات وفاته انظر: ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٢٢٢، اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٧٧، وانظر أيضًا: ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص٥٠٣؛ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٤٠١.

(٣) شبولر: العالم الإسلامي، ص٦٠.

(٤) أحمد توني: المرجع السابق، ص٢٦٣.

(٥) أحمد توني: المرجع السابق، ص٢٦٣.

(٦) وهو الأمير: سيف الدين جاليش، من أمراء سلاجقة الروم، وهو في قائمة من سلموا أنفسهم للظاهر بيبرس بعد معركة الأبلستين، وقد قتل فيما بعد مع بروانه.

(٧) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٦٦.

(٨) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٣٣٦، عباس اقبال: المرجع السابق ص٢٢٩ ؛ وانظر أيضاً: بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٣٨.

وكان بروانه في قبضته، وتحت حراسة شديدة من جنوده[٣][١]. وبعد وصوله إلى مقرُ ملكه، استشار الإيلخان جلساءه، بشأن بروانه !؟، فاختلفت آراؤهم، فمنهم من رأى قتله، ومنهم من نصح بالإبقاء على حياته، والعفو عنه، وإعادته إلى بلاد الروم، لأنه الأقدر على إدارة شئونها، وترميم ما خرب منها، وتكليفه بدفع الإتاوة المقررة على البلاد، ومراقبته بدقة.ومال الإيلخان إلى أصحاب هذا الرأي[٢][٥] لأنه أدرك صعوبة العثور على بديل له، يملك نفس الصفات، والقدرات، سواءً من أهل البلاد أو من القادة المغول[٣][١].

وبناءً عليه، قرر الإيلخان تخلية سبيل بروانه وإعادته إلى عمله في بلاد الروم[٤][٢] لكن ثكالى وأرامل وأيتام قادة المغول الذين لاقوا حتفهم في موقعة الآبلستين، تجمهروا أمام قصر الإيلخان، وأخذوا في الصراخ والعويل، ولطم الخدود، وشق الجيوب، ينعون قتلاهم مطالبين بالقصاص من بروانه، لتسببه في قتلهم، ولم يستطع الإيلخان تجاهل استغاثاتهم ولا اقناعهم بالعفو عنه[٣].

ومما زاد الطين بلة، عودة الرسل المبعوثين إلى السلطان الظاهر بيبرس، وهم يؤكدون أن بروانه كان متواطئاً مع السلطان المملوكي في غزوته الأنفة الذكر لآسيا الصغرى[٥][٤].

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٨٠، أخبار سلاجقة الروم، ص٣٩٠ ؛ الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٦٥ ؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص ٢٧٠.

(١) ابن بيبي :الأوامر العلائية، ص ٦٨٢؛أخبار سلاجقة الروم، ص ٣٩٠، Cahen: pre of ottoman Turkey ,p. 290.

(٢) النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٣٩٨ ؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٣٨-١٣٩ ؛ تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص٩٩.

(3) Cahen: Pre of ottoman Turkey. P. 290

(٤) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٣٩ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٣٩٨ ؛ تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص٩٩.

ومن المستبعد تصديق رواية من ذكر أن الإيلخان فكر في إطلاق سراح بروانه، والسماح له بالذهاب إلى مصر ليعيش في كنف المماليك Howor th op cit val III. P259

(٥) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٦٥ـ٦٦.

وإزاء ذلك لم يجد الإيلخان مناصاً من تطبيق قانون " الياسا " على بروانه فحوكم وثبتت عليه ثلاث تهم؛ وهي: الفرار أمام العدو، وعدم الإخبار مسبقاً عن حملة الظاهر بيبرس على آسيا الصغرى، وأخيراً التلكؤ في المثول بين يدي الإيلخان عند مجيئه إلى آسيا الصغرى، ووقوفه على أرض المعركة في الأبلستين[1].

وأُثيرت مجدداً مسألة مقتل السلطان قلج أرسلان الرابع، ودور بروانه فيها[2].ولم يستطع بروانه إنكار ما وجه إليه من ته[3].

ورغم الاتفاق على إعدامه، إلا أن الطريقة التي تم بها ذلك مختلف عليها، فذكرت بعض المصادر أن الإيلخان كلف الأمير "كوجك توغجي" قائد الحامية المغولية في مملكة أرمينية الصغرى[4] بأخذ بروانه إلى آلاتاغ[5] وإعدامه هناك.فجاء القائد المغولي ومعه ما يناهز المئتين من الجنود، وطلب من بروانه، ورفاقه، الركوب معه إلى الإيلخان، بزعم أنه يرغب في استشارته، في أمر ما، فشعر بروانه بالخطر، وساورته الشكوك، لكنه لم يجد بداً من الرضوخ للطلب، وسار بإتباعه مع عساكر المغول، وعندما وصلوا إلى المكان المحدد، أحاط بهم المغول من كل؛ جانب فأيقن بروانه أنه مقتول لا محالة، فطلب من عساكر المغول التريث، فتوضأ وصلى ركعتين، ثم انقضوا عليه

---

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٦٥.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٨٥ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٩١، ومن الملاحظ أن المؤلف يعود هنا ليبرئ البروانه من هذه الفعلة، وينحي فيها بالملائمة على ابني الخطير: شرف الدين وضياء الدين.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٨٢ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٩٠. Cahen: Pre of Ottoman Turkey, P. 291.

(٤) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص ١٣٩ ؛ تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص٩٩ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٦٦.

(٥) تُكتب بطرق متعددة، منها: آلاداغ، آلداق Alatagh مدينة ومنطقة شمال آذربيجان، تتميز بكثرة المراعي، وغزارة المياه، ووفرة الصيد، ولهذا اختارها الإيلخانيون مصيفاً لهم. عطا ملك الجويني: تاريخ جهانكشاي، ج١، ص ٢٤من مقدمة المؤلف بارتولد: تذكرة جغرافي تاريخ ايران، ترجمة: حمزة سردادور (طالب زاده) طهران، ١٣٠٨هـ. ش، ص٢٧٠ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص١٢٢، حاشية (٤).

بسيوفهم، وقتلوه[(٥)] وقيل أنه لم يجزع من الموت، وكال لجلاديه الشتائم والسباب، و اتهمهم بنكران الجميل، قبل أن يمزقوه إرباً بسيوفهم[(١)].

وهذه الطريقة في الصلاة قبل القتل تسمى " الخُبيبية " نسبة إلى خبيب بن عدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٢)].

وهناك من ذكر أنه قتل خنقاً بوتر القوس[(٣)] وقيل انقض عليه المغول بالسيوف، في أعقاب خروجه من مأدبة أقيمت على شرفه[(٤)] وهاتان الطريقتان وردتا في وصف مقتل السلطان قلج أرسلان الرابع، وسبقت الإشارة إلى دور بروانه في ذلك[(٥)].

وأوردت بعض المصادر خبر إعدامه مقتضباً، وأنه تم بأمر الإيلخان فقط[(٧)] فيما أشار آخرون إلى أن أطرافه بُترت وهو حي[(٨)].

ومهما يكن من أمر، فإن طريقة إعدامه - أياً كانت - لا تتعارض مع أخبارٍ تواترت، عن إقدام المغول على طهي لحمة وأكل بعضه[(٩)] حتى أن

---

(١) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٣٩ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٣٩٨-٣٩٩ ؛ العيني: عقد الجمان، ج٢ ن ص١٦٦ ؛ تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص٩٩-١٠٠.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٣٦.

(٣) خبيب بن عدي بن عامر الأنصاري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسر يوم الرجيع، وبيع في مكة، وقتل بها صبراً، وهو أول من سن الصلاة عند القتل. انظر صحيح البخاري، باب الجهاد، الحديث رقم ٣٠٤٥ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١ تحقيق:حسين الأسد، ص٣٤٨.

(4) Howor th op. cit. val. III. P259

(٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٣٦ ؛ تاريخ مختصر الدول ص٥٠٢ ٥٠٣.

(٦) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٧) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٨أ ؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٨٤ ؛ ابن بيبي: الأوامر العلائية ص٦٩٠ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٩٠.

(٨) ابن أبي الفضائل: المصدر السابق، ص٢٧٣ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام. الطبقة ٦٨، ص٢٢٦ ؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٦٤٧ حاشية (٣) ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج٣، ص٧١.

(٩) الذهبي: تاريخ الإسلام، الطبقة ٦٨، ص ٢٢٦، المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٦٤٧، حاشية (٣) عباس اقبال: تاريخ المغول، ، ص ٢٣٠. Howor th: op. cit. . v. III P2 ; Cambridge: History of Iran, p. 302.

الإيلخان آباقا تناول قطعة منه ومضغها[1] وعادة أكل لحوم الأعداء، وشرب دمائهم معمول بها في المجتمع المغولي[2] وقتل – مع البروانه – نيف وثلاثون من مماليكه[3]، وهم الذين أصروا على مرافقته في رحلته من آسيا الصغرى إلى تبريز، بعد انفضاض كثيرين منهم عنه، عند ما رأوا الإيلخان يعبر به حدود آسيا الصغرى، متجهاً إلى الشرق، وأيقنوا أنه ينوي محاكمته في العاصمة الإيلخانية [4]

وقد كُتبت النجاة لبعض مماليك بروانه، وهم الذين تخلفوا عنه، وكانوا في معسكر الإيلخان، وحينما علموا بنية المغول في التخلص منهم أسوة بسيدهم بروانه ومن معه، استعدوا للقتال ورفضوا الاستسلام وعند ما علم الإيلخان بموقفهم، قدر شجاعتهم، وعفا عنهم، وأعطاهم إذناً بالعوة إلى بلادهم[5] كما كتبت الحياة أيضاً لأحد أتباع البروانه الذي سيقوا معه إلى الأتاغ ليقتل، فظن الموكل بقتله، أنه قد أجهز عليه، فتركه وبه رمق، وبعد

وقد أوردت المصادر الغربية هذه الحادثة نقلاً عن رحالة الملك الأرمني هيثوم الأول إلى بلاط القاآن "مونكو" والتي ترجمها إلي الإنجليزية ونشرها (بو.رس طش). وأورد هذه الحادثة وكما اسلفنا – الذهبي – ومن المستبعد جداً. أن يكون قد نقلها عن رحلة هيثوم المذكور. مما يعني أن تلك الحادثة كانت متداولة على ألسن الناس وانظر:

Boyle , J. A = The Journey of Het,um I king Little Armenia To The court of Great khan Mongke. Central Asiatic Journal IX,. 1964, IX/ 3 , P. 175 – 189.

(١) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ٢٣٠، حسن الأمين: المرجع السابق، ص١١٧. Howorth: op. cit. vIII , P. 259 ; Cambridge: History Of Iran. p. 355.

(٢) الصياد: المغول، ص ٣٣١.

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص ٢٨٤، اليونيني :المصدر السابق، ج٣، ص ٢٧٠، بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص ١٣٩، كتاب الحوادث الجامعة ص ٣٩٥، ولم يحدد العدد بل أشار إلى أنه قتل معه خلق كثير من أصحابه.

(٤) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص ١٨٣، اليونيني، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٧٠

(٥) ببيرس المنصوري، زبدة الفكرة، ج٩، ص ١٣٩، النويري: نهاية الأدب، ج٢٧، ص٣٩٩ وذكر المقريزي منهم الأمير علم الدين سنجد البـرواني، الذي انتقل فيما بعد إلى مصر. وأصبح من أمرائها وتوفي بها سنة ٧٣١هـ/ ١٣٣٢م. السلوك، ج٢، ق١، ص ٣٣٨.

أن انتعش، وقد رحل الجنود، نهض في أثرهم، وتمكن من مقابلة الإيلخان: الذي رق لحاله، وإعادة إلى إقطاعه في بلاد الروم، بعد أن ضاعفه له[1].

وكان إعدام، بروانه، وأصحابه، في ربيع الأول سنة ٦٧٦هـ/ أغسطس ١٢٧٧م[2].وعندما وصل خبر قتله إلى بلاد سلاجقة الروم، حزن الناس له وأسفوا[3]

لكن السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا تصرف بروانه على هذا النحو مع السلطان الظاهر بيبرس؟ فيكاد يجمع المؤرخون على ثبوت المراسلات بين الرجلين، وإقدام السلطان المملوكي على غزوته المشهورة لآسيا الصغرى، بالتنسيق مع بروانه.

إذا أمعنا النظر في سياسة بروانه، منذ بداية سيطرته على مقاليد الحكم في دولة سلاجقة الروم، وجدنا أن تصرفه هذا مع السلطان بيبرس لا يخرج عن نطاق تلك السياسة، والقائمة على محاولة الاستفادة من التناحر بين دولتي إيلخانات فارس والمماليك في مصر والشام.والتزلف إلى الدولتين في آن واحد، مع المحافظة على هدفه الاسمي وهو إبعاد أي منافس داخلي له في دولة سلاجقة الروم، وجعل كل المتنافسين عليها من الخارج بحاجة ماسة لمساندته واعترافه.

---

(١) ويقال لهذا الرجل :" سيف الدين بن أكسي"، ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص ١٨٣، اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص ٢٧٠ - ٢٧١.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٦٥. ;Caphen: pre of ottomen Turkey. p. 291 Cambridge History. of. Iran, p. 361.
وذكرت تواريخ متباينة لهذا الحادثة، منها: سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م، وقيل شهر محرم سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م، وقيل شهر صفر الموافق يوليو من السنة نفسها انظر :ابن شداد :تاريخ الملك الظاهر، ص ١٨٤،: ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ٣٣٦، الذهبي: العبر، ج٣، ص ٣٣٢، تاريخ الإسلام، الطبقة ٦٨، ص ٢٢٦ـ ابن كثير:البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٩٣
وأخذنا برواية الهمذاني لوجوه في بلاد فارس حيث عاصمة الدولة الإيلخانية وقربه مكاناً وزماناً من وقوع الحادثة.

(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ١٥٨٨، ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص ٦٨٦، أخبار سلاجقة الروم، ص ٣٩١.

ومن المحتمل أيضاً أنه خطط لالتقاء السلطان بيبرس بجيشه مع الإيلخان آباقا بقواته داخل أراضي آسيا الصغرى وتوقع حصول معركة فاصلة بين الطرفين، تتضح له بعدها الرؤية ويسارع بالانضمام إلى الطرف المنتصر، وهذا يفسر مسارعته إلى استدعاء الإيلخان فور تأكده من توغل السلطان المملوكي في أراضي آسيا الصغرى.

لكن الأقدار سارت في غير الطريق التي توقعها وتمناها بروانه فالسلطان بيبرس حقق نصراً كبيراً خاطفاً على الحامية المغولية في آسيا الصغرى.لكنه لا يرقى إلى النصر الحاسم الذي يخلص المنطقة من نير الاحتلال المغولي، وكما رأينا انسحب الظاهر بيبرس على عجل، ولم يصطدم بالإيلخان وجيشه، كما أن بقايا الجيش السلجوقي وأهالي المنطقة، لم يسارعوا إلى الانضمام إلى الجيش المملوكي المنتصر ويعلنوا الثورة العامة على الوجود المغولي في أراضيهم، مما كان يأمل السلطان الظاهر بيبرس.

وعلى إثر ذلك، لم يسع بروانه إلا التظاهر بالاستمرار في الولاء للدولة الإيلخانية، خاصة بعد خروج الظاهر بيبرس بجيشه من آسيا الصغرى تاركاً للإيلخان حرية التنقل في إرجائها، فصال وجال، وأعاد تشديد قبضة المغول على تلك المنطقة أكثر من أي وقت مضى.

ولم يكن اجتماع بروانه بالإيلخان آباقا كافياً لتبديد شكوك الإيلخان فيه، بل تضاعفت الشكوك حتى آل إلى المصير الذي أوضحته في الصفحات السابقة

وحري بنا _ في ختام هذا المبحث – أن نحاول تقييم شخصية معين الدين سليمان بروانه وعهده.فقد اتصف بالكفاءة في إدارة شئون الدولة والخبرة في تحصيل الأموال وجمعها[1] مع دهاء، ومكر، وإقدام كبير على الأهوال، وحب

(١) اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص ٢١٩، أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص ٣٤٠، العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ١٦٥؛ Enc. Of Islam. Art: Main al- din. sulamain parvna

العلماء، إذ لا يخلو مجلسه منهم، ويشارك في المناقشات العلمية والأدبية والتاريخية التي تدور باستمرار في مجلسه [١].وكان كثير الصلات لأهل الدين، والفقراء [٢]وهو نفسه، كان متديناً، حافظاً للقرآن الكريم[٣]

ولكن في المقابل، هناك من اتهمه بالمخادعة والتقلب [٤] والإساءة إلى أولياء نعمته من سلاطين سلاجقة الروم [٥] وهي تهمة برأه من تبعاتها ابن بيبي والذي يقول فيه ما نصه " كان الأمير الشهير " معين الدين سليمان بن علي الديلمي: طوداً أشم، وبحراً خضم، في البراعة، والدراية والكفاية وكانت خلواته مملوءة دائماً بالعلماء، والأتقياء، والزهاد، والعباد وكانت رواتب صلاته في محل البلاد، من محل فج، على محل يتيم وأرملة، كالشمس المشرق وكفيض البحار التي لا تحدها الحدود [٦].

وخلال عهده الذي استمر حوالي ستة عشر عاماً، حاول جاهداً، توفير الهدوء، ونوع من الاستقرار ن في بلاد سلاجقة الروم، فهادن المغول، وسايرهم، وحرص على عدم استثارتهم، حتى (صاروا بأمره و طوعه)[٧] واعتمد على عساكرهم، مقابل التقليل من شأن جيش سلاجقة الروم.

من جهة أخرى لم يتوان في قمع الثورات الداخلية التي قامت ضده، والتخلص من المنافسين أياً كان جنسهم أو مكانتهم الاجتماعية ودفعه حرصه على التفرد بحكم بلاد سلاجقة الروم.إلى انتهاج سياسات مختلفة، سبق الحديث عنها.

وانظر مقدمة د. عثمان توران. في تحقيقه كتاب مسامرة الأخبار، ص ٤٨.

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٩٥٨٨، اقسرائي، المصدر السابق، ص ٧١ –٧٢، اليونيني المصدر السابق، ج٣، ص ٢٦٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص ٢٩٢

(٢) كتاب الحوادث، ص ٣٩٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص ٢٩٠

(3) Eflak: op. cit. I. P. 138, 141,171.

(٤) أحمد توني: المرجع السابق ن ص ٧٣ – ٧٤، الصياد: الشرق الإسلامي ص٨٧

(٥) الصياد: الشرق الإسلامي، ص ٨٦، أحمد توني: المرجع السابق ن ص ٢٨٢.

(٦) أخبار سلاجقة الروم، ص ٣٩١.

(٧) اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص ٢٦٩.

وتثبت الوثائق، والآثار التاريخية الباقية، أن عهده شهد نوعاً من الاستقرار، والعمل على تحسين أوضاع السكان، واستمرار عمليات التشييد والبناء ونشاط حركة التجارة الداخلية والدولية، ونادراً ما كان يحدث نقص في الإنتاجين الزراعي والصناعي، أو حركتي الاستيراد والتصدير[1] ولا يمكن التسليم برأي من قال إن فترة حكمه تميزت بالقلاقل، وتدمير بعض المدن، وقتل أحد السلاطين، و وأثرت علي اقتصاد البلاد[2].

ويشهد على كفاءته ومقدرته في إدارة الدولة تردد الإيلخان في إعدامه، رغم تأكده من عدم إخلاصه خشية أن لا يجد من يسد الفراغ الذي سيتركه سواءً من المغول أو سكان البلاد الأصلين وشبه اقسرائي عهده بعهد كقيباذ الأول: وهو كثير التغني بأيامه السعيدة التي افتقدها الناس بعد موته[3]

وتزامن اختفاء معين الدين سليمان بروانه، عن مسرح الحوادث في دولة سلاجقة الروم، مع وفاة بعض كبار رجال الدولة الذين عاصروه، وكانوا مساعدين له بطريقة أو بأخرى، منهم الأتابك مجد الدين الأرزنجاني، الذي وافته منيته بسيواس، بعد عودته من بلاط الإيلخان آباقا، ومنهم تاج الدين

---

(١) عثمان توران: الإناضول في عهد السلاجقة، ص ٢٩. . هايد :المرجع السابق، ج٣، ص ١١٢؛ Cahen: pre of ottoman Turkey, p. 290.

(٢) أحمد توني: المرجع السابق، ص ٧٣.

(٣) مسامرة الأخبار، ص ٤٨، من مقدمة المحقق، ص ٧١ – ٧٢.

معتز الذي كان مشرفاً على دين الخزينة الإيلخانية[1] لدى الدولة، وكان بمرتبة البكلربكي، ويملك صلاحيات واسعة وتوفي بأرزنخان سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م[2].وقد اعتبر أحد المؤخين اختفاء أولئك الأشخاص وفي وقت متقارب إيذاناً بأفول نجم دولة سلاجقة الروم وزوالها[3].

(١) انظر ما سبق من هذا البحث

(٢) المولوى: صحائف الأخبار، ج٢، ورقة ٥٨٨أ، وانظر أيضاً: اقسرائي: المصدر السابق، ص ١١٦ – ١٢٢ ويطلق عليه ابن بيبي لقب مشرف الديوان: ويقصد بالديوان الأمور التي تخص الدولة الإيلخانية حتى أن الوزير في الدولة الإيلخانية يسمى صاحب الديوان انظر الأوامر العلائية ص ٦٣٥، وأخبار سلاجقة الروم، ص٣٥٧.

(٣) اقسرائي: المصدر السابق، ص ١٢٢– ١٢٣.

الفصل الرابع

الحكم المغولي المباشر، وسقوط سلطنة سلاجقة الروم (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م — ١٣٠٨م):

الفصل الرابع

الحكم المغولي المباشر، وسقوط سلطنة سلاجقة الروم (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م — ١٣٠٨م):

أولاً :القضاء على الجيش والإدارة السلجوقية.

١- بقية عهد آباقا (٦٧٦-٦٨١هـ/١٢٧٨-١٢٨٢م).

٢- عهد أحمد تكودار(٦٨١- ٦٨٣هـ/١٢٨٢- ١٢٨٤م).

٣- عهد آرغون (٦٨٣- ٦٩٠هـ/١٢٨٤- ١٢٩١م).

٤- عهد كيخاتو (٦٩٠- ٦٩٤هـ /١٢٩١- ١٢٩٤م).

٥- عهدي بايدو و غازان (٦٩٤- ٧٠٣هـ- ١٢٩٤- ١٣٠٣م).

ثانيًا : الفتن الثورات الداخلية.

١- ثورة جمري

٢- ثورة التركمان العامة

٣- تمردا طغاجار و بالتو

٤- تمرد سولاميش

ثالثاً : تدهور أحوال آسيا الصغرى ونهاية الأسرة السلجوقية

١- حياة كيكاوس الثاني في المنفى(٦٦٠- ٦٧٩/١٢٦٢- ١٢٨٠)

أ- حياته عند البيزنطيين (٦٦٠- ٦٦٦هـ/١٢٦٢- ١٢٦٨م)

ب - ياته في القرم (٦٦٦- ٦٧٩هـ/ ١٢٦٨- ١٢٨٠م)

٢- عرش السلاجقة بين كيخسرو الثالث و مسعود الثاني.

٣- عهد السلطان مسعود الثاني (الفترة الأولى).

٤- عرش السلاجقة بين علاء الدين كيقباذ الثالث و مسعود الثاني.

القضاء على الجيش والإدارة السلجوقية:

عندما انسحب الإيلخان آباقا من آسيا الصغرى، عاد إلى عاصمته في بلاد فارس، مصطحباً معه بروانه، والسلطان كيخسرو الثالث، ووزيره فخرالدين علي.وترك في بلاد سلاجقة الروم بعض الأمراء الذين كانوا يشغلون مناصب عليا، وكانوا أعواناً للبروانه في إدارة شئون الدولة.منهم: البكلريكي أمين الدين مكيائيل وهو نائب السلطنة، ولعل من المناسب هنا الإشارة إلى أن النيابة في دولة سلاجقة الروم ضربين، الأول: نيابة السلطنة وهي أقل من مرتبه الوزير، يكون صاحبها، نائباً عن السلطان السلجوقي فترة غيابه، الثاني نيابة الحضرة العليا، وصاحبها نائب عن الإيلخان المغولي في البلاد[1] ولا بد أن له من الصلاحيات ما ليس للسلطان أو الوزير.

ومن أولئك الأمراء أيضاً: ابنا الوزير فخر الدين علي وهما تاج الدين ونصرة الدين، وكانا مساعدين لنائب السلطنة، ومنهم ملك السواحل بهاء الدين محمد [2]، ومشرف الممالك – أو المملكة – عماد الدين الإرزنجاني[3] والطغرائي عز الدين محمد بن علي، أخو بروانه[4]، والمستوفي جلال الدين[5]

وفي هذه الأثناء كانت ثورة جمري[6] على أشدها وكانت تعصف بالأخضر واليابس في بلاد سلاجقة الروم[7].

---

(١) ابن بيبي :الأوامر المعلانية، ص ٧٣٥، أخبار سلاجقة الروم، ص ٤٠٩. اقسرائي: المصدر السابق، ص ٢٤٢.

(٢) لم أعثر على ترجمة لهما فيما توفر لدي من مصادر.

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص ٧٣٠، أخبار سلاجقة الروم، ص ٤٠٨- ٤٠٩. وذكر بيبرس المنصوري أنه ابن أخي بروانه وهو وهمٌ. زبدة الفكرة، ج٩، ص٢٢٢.

(٥) قال عنه ابن بيبي: هو أبو المحامد ابن أمير الحاج، ناب السلطنة وحاكم وقاضي ديوان المملكة، الأمير العلائية، ص ٧٢٥. ويظهر انه تولى ديوان القضاء، وانظر ماسبق ص من هذا البحث

(٦)- نظر ما يلي من هذا البحث

(٧) جمري:صفة وليست اسم علم، فارسية، من معانيها: السافل، الدعي، الذي لا أصل له. انظر مختصر سلجوق نامه، نسخة علاء منصور، ص٣٤٥، حاشية(١).

وبانتهاء عهد بروانه معين الدين سليمان، دخلت السيطرة المغولية على آسيا الصغرى طوراً جديداً انتقلت فيه الإدارة رويداً رويداً من أيدي سكان البلاد الأصلين، إلى أيدي أمراء من خارج آسيا الصغرى، من رعايا الدولة الإيلخانية، ثم إلى أيدي ولاة من المغول أنفسهم(١)

ولم يكن الانتقال المشار إليه فجائياً ومباشراً وواضح المعالم، بل اكتنفه الكثير من الغموض، اختلطت أثناءه المناصب السلجوقية القديمة، بالمناصب المغولية المستحدثة، والتي كان بعضها خاصاً بهذا الجزء من الدولة الإيلخانية، وليس له نظير في بقية أقاليم الدولة(٢) كما أن الفساد الإداري، الذي نجم عنه بيع المناصب والوظائف الكبرى من قبل المسئولين المغول.زاد من صعوبة تتبع فترات وعهود تولي كل من الوزراء، والنواب والمستوفين، والبروانكية، والمشرفين، وغيرهم من الحاصلين على المناصب العليا فنجد أحدى تلك الوظائف، في عهد شخص ما، ثم يختفي اسمه من الحوادث فجأة ليظهر مكانه اسم شخص آخر، دون التحقق من مصير الشخص الأول، ومعرفة ما إذا كان عُزل عن منصبه وسبب وتاريخ عزله.كما أنه من الصعب التوفيق بين الروايات في هذا الجانب أو ترجيح رواية على أخرى.

ومن الوظائف المستحدثة، والتي ينطبق عليها ما سبق ذكره من ملاحظات، وظيفة (إيالة أو ولاية) (٣) والتي لم يبطل متوليها سلطة أي مسئول كبير آخر، ومن غير المفهوم، حدود سلطات متوليها، إلا أنها عموماً من أنواع (الحكم العام)، ولم تفسر المصادر المقصود من هذه الوظيفة، كما أنها لم تورد أسماء كل الذين شغلوها، لكن وردت أشارات يفهم منها، أن من أولئك

(١) Cahen :The Mongols And Near East. "Setton: P. 728.

(٢) Cahen: pre of ottmanTurkey , p. 345- 346

(٣) إيالة، Iyala ، وبالتركية: Eyaleti أو ولاية Wilayat وبالتركية: vilaya وورد عند الهمذاني: إيالة فارس " جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص ١٥٢.

الـذين تولوهـا: الأمـير المغـولي "طـاش تيمـور الخطـائي"[(١)] وذلـك سـنة ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م، وفي العـام التـالي، اشـترك في شـغل هـذه الوظيفـة اثنـان مـن العنصـر الفارسي همـا "اصـفنديار"[(٢)] و"الـب سـار"[(٣)] وفي سـنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م، ورد أن اسم متوليها "ملك بهلوان" وهو مـن خراسـان وبعده بسنة واحدة، تولاهـا المغولي باينجـار[(٤)]، ويتضـح ممـا سـبق أن تلك الوظيفـة لم تكـن حكـراً علـى العنصـر المغولي دون غيره[(٥)].

ومن المناصب المستحدثة أيضاً، منصب الأمير الكبير، التي يبرز شـأنها بعد إعدام بروانـه، وأول مـن حمـل هـذا اللقـب، الأمير مجير الـدين أمـير شـاه[(٦)] إضافة إلى مناصبه الأخـرى، كمـا أطلـق ذلـك اللقـب – في فترة مـن الفـترات – علـى عـز الـدين محمـد بـن علـي، أخـي بروانـه، وورد كـذلك اسـم القائـد المغولي "بهشور Bahshor"[(٧)]، كأحد من شغلوا هذه الوظيفة، وكما في سابقتها "الإيالة أو الولاية" من الصعب تحديد مسئوليات شـاغل هـذه الوظيفـة بدقـة، أو حتـى وجـود نظـراء لهـم خـارج آسيا الصـغرى، في الأقـاليم الـتي تخضـع لدولـة المغول الإيلخانين[(٨)] ويبدو من المناسب في هـذا الموضـع الإشـارة إلى أن اسـتحداث وظـائف إداريـة جديـدة مـن قبـل المغـول –كالمشـار إليهـا آنفـاً[٩] – كـان يسـير

(١) طاش تيمور الخطائي Tash Timor Khatai، كان من كبار القادة العسكريين المغول في آسيا الصغرى، واشترك في عصيان سولامش انظر ما يلي ص من هذا البحث.

(٢) اصفنديار Isfandyar لم أعثر على ترجمة له فيما توفر لدي من مصادر

(٣) الب سار Elbsar لم أعثر له على ترجمة، فيا توفر لدي من مصادر. لكن هناك منطقة نواحي آقشهير تحمل الاسم نفسه تقريبا(Alp sar) كان يتولى حكمها أحد أبناء كيكاوس الثاني انظر ما يلي ص من هذا البحث.

(٤) باينجار: من كبار القادة المغول، خاصة في عهد غازان، انظر نهايته في حوادث تمرد سولاميش ص من هذا البحث.

(5) Cahen: pre of ottoman Turkey. p. 346.

(٦) مجير الدين أمير شاه ابن تاج الدين معتز، كان أبوه مشرفا على ديوان الخزينة الإيلخانية لدى دولة سلاجقة الروم، وخلفه في منصبه، ثم أصبح نائب الإيخان في بلاد سلاجقة الروم، وانظر ما يلي من هذا البحث.

(٧) بهشور، لم أعثر له على ترجمة فيما أطلعت من مصادر.

(8) cahen: pre of ottomanTurkey. p. 346.

(٩) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

يسير جنباً إلى جنب مع إضعاف وتحجيم قوة ونفوذ الوظائف السلجوقية القديمة فالنيابة جاءت معها نيابة أخرى أكثر نفوذاً كما رأينا[1] والبكلربكية ضعف شأنها بالتدريج حتى غدت في عصر السيطرة المغولية مجرد وظيفة شكلية وليس لصاحبها نفوذ يذكر[2] ولعل هذا يفسر إطلاق هذا اللقب " البكلربكي" على أكثر من شخص في وقت واحد خلال هذه الفترة.

ولعل أنجع طريقة لتتبع ذلك التحول وتلك التغييرات في الإدارة المغولية لمنطقة آسيا الصغرى، هو محاولة التعرف على التغييرات التي أحدثها كل إيلخان من أيلخانات الدولة المغولية في هذا الجزء من دولتهم، والموظفين الذين عينهم لإدارة شئونه والقوانين التي سنها فيه، وهي جميعها تصب في خانة إلغاء الجيش والإدارة السلجوقية، والتي بدورها أفضت إلى تلاشي دولة سلاجقة الروم، حيث تولى أمراء مغوليون حكم آسيا الصغرى بصورة مباشرة[3].

بقية عهد آباقا (٦٧٦-٦٨١هـ/١٢٧٨-١٢٨٢م):

وسيراً على هذا المنهج فإن غزو السلطان الظاهر بيبرس لآسيا الصغرى، وما نجم عنه من اتهام لبروانه بالتورط في ذلك العمل، وما أعقبه من إعدام له- كما وضحت صفحات سابقة[4] فإن السلطات المغولية في بلاد فارس شددت من قبضتها على المنطقة، وكان من أولى الإجراءات التي اتخذها الإيلخان آباقا، في أعقاب اعتقال بروانه وإعدامه، اسناد كفالة السلطان كيخسرو الثالث إلى عز الدين محمد بن علي أخي بروانه المذكور[5].

---

(١) انظر ما سبق ص من هذا البحث

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، ج٧، ص٥٠٥

(٣) عن فترة السيطرة المغولية المباشرة، انظر ما يلي الفصل الخامس.

(٤) انظر ما سبق ص من هذا البحث

(٥) تاريخ ابن خلدون، ج٥، ق٥، ص ١١٨٤.

وأدرك الإيلخان أيضاً، ضرورة تهدئة الأوضاع في دولة سلاجقة الروم، بعد العاصفة الهوجاء التي اجتاحتها، ابتداء بغزو الظاهر بيبرس، ومرورا بالإجراءات العقابية التي اتخذها الإيلخان نفسه وانتهاءً بإعدام بروانه واندلاع ثورة جمري، وذكرت بعض الروايات أنه عرض على ليو الثالث ملك الأرمن تولي الحكم في بلاد سلاجقة الروم، لكن الملك الأرمني اعتذر عن قبول ذلك العرض بحجة صعوبة الجمع بين حكم المملكتين الأرمينة والسلجوقية وتفادياً لمشكلات كثيرة قد تنشأ عن قبوله العرض(١)

ومهما يكن من أمر فإن الإيلخان انتدب وزيره الكفء الصحاب شمس الدين محمد الجويني وأوصاه باستمالة الرعية وإعادة النظم الإدارية وإصلاح الأوضاع المالية وإعادة النظر فيها(٢).

وكان من المهام الموكلة إليه أيضاً معالجة الثورات والفتن التي أندلعت في المنطقة وأبرزها ثورة جمري(٣)

وفور وصوله إلى آسيا الصغرى (في ربيع الآخر سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٨م) شرع الصاحب شمس الدين الجويني في مواجهة القلاقل والفتن(٤).وبعدها التفت إلى إصلاح أوضاع البلاد الداخلية، ولم تقتصر مهمته على ترميم ما أفسدته الاضطرابات السابقة، خاصة في مجال التجارة ووَصْل ما انقطع من طرقها(٥).بل شملت إدخال مؤسسات إدارية مغولية إلى المنطقة لأول مرة، وكلها تهدف إلى المحافظة على حقوق الخزينة المغولية، ونجح الصاحب الجويني في كبح جماح بعض قادة المغول(٦) لكن النجاح الذي حققه لا يرقى

(١) القزاز: المرجع السابق، ص٧٥؛ Howorth: op. cit. III. p. 266.
(2) Chaen: Pre Of Ottoman Turkey. p. 239; Turan :Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 602.
(٣) انظر ما يلي ص من هذا البحث
(4) cahen :Op. Cit. . p. 239 , Turan :Op. Cit. s. 602.
(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص ٧١٥، أخبار سلاجقة الروم، ص٤٠٣، الهمذاني: جامع التواريخ ج٢، ق٢، ص ٦٥. لمزيد من التفصيل عن التجارة انظر ما يلي الفصل السادس من هذا البحث
(6) cahen: pre of ottoman Turkey. p. 239 ; Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 602

إلى اضفاء صفة " معمرالبلاد" على الإيلخان آباقا، وبأنه " عمرت بلاد إيران و...الروم بحسن سيرته"(١)، فإذا كان هذا الوصف ينطبق على الوضع في إيران، فإنه لا ينطبق على دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، وليس هناك أبلغ من تعليق المولوي على محاولة الإصلاح التي قام بها الصحاب الجويني، بأمر من سيده الإيلخان وما آل إليه مصيرها، إذ يقول: " فشرع الصاحب في التدبير لتعمير البلاد، التي أخربتها أيدي الخوارج مرة بعد أخرى فهيهات هيهات"(٢)

ومما يسجل للصاحب الجويني في هذا الباب، نجاحه في نشر السيطرة المغولية لتشمل مناطق لم تكن وصلت إليها من قبل، وكسبه ولاء سكان الأطراف (الأوج) عن طريق الاقتناع وحسن التدبير(٣)

بعد تلك الإصلاحات، لحق الصاحب الجويني بالإيلخان في بلاد فارس لإطلاعه على العمل الذي قام به، ومقدار ما يحتاجه من دعم لمواصلة عملية الاصلاح تلك(٤). وترك نائباً عنه في آسيا الصغرى ابنه خواجة شرف الدين هارون(٥) وصحب الجويني في رحلته تلك من آسيا الصغرى إلى بلاد فارس، الأمير جلال الدين المستوفي.(٦)

ويبدوأن الإيلخان كان بحاجة إلى خدمات وزيره الصاحب الجويني، فأبقاه عنده في البلاط، بينما أعاد تشكيل حكومة سلاجقة الروم، حيث

---

(١) الغياث (عبدالله بن فتح الله البغدادي المعروف، بالغياث، كان حياً سنة ٨٩٠هـ)التاريخ الغياثي، الفصل الخامس، دراسة وتحقيق: طارق نافع الحمداني، بغداد، ١٩٧٥م، ص ٤٤.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٨ ب.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص ٧١٥، أخبار سلاجقة الروم، ص ٤٠٣

(٤) ابن بيبي: المصدرين السابقين، ص٧٢٥، ٤٠٧.

(٥) شرف الدين هاورن بن الصاحب شمس الدين الجويني، أحد فضلاء عصره تزوج من رابعة بنت ولي العهد أبي العباس أحمد بن المستعصم أخر الخلفاء العباسيين في العراق، وأنجب منها أولاداً أسماهم بأسماء الخلفاء. قتل شرف الدين سنة ٦٨٥هـ /١٢٨٦م، تاريخ وصاف، ص ٦٠ -٦٥، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ترجمة رقم ١٠٣٢.

(٦) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص ٧٢٦، أخبار سلاجقة الروم، ص ٤٠٩

أسندت الوزارة إلى فخر الدين علي بالإضافة إلى كونه نائباً عن الإيلخان في المنطقة بينما حصل جلال الدين علي المستوفي، على نيابة السلطنة، وكان هذا كله بإيحاء من الصاحب الجويني(١)

وبعد عودة النائب جلال الدين بتلك الأوامر إلى آسيا الصغرى، غادرها عزالدين محمد الطغراني – أخو بروانه – فالتقى الإيلخان وحصل منه على وظيفة (بكلربكي) (٢) إضافة إلى مناصبه السابقة وهي كفالة السلطان كيخسرو الثالث، والاستيفاء، وقاضي ديوان المملكة (٣).

ونلاحظ هنا عودة ظاهرة السفر إلى عاصمة الدولة الإليخانية والحصول على المناصب العليا من السلطة المغولية، وهي ظاهرة رأيناها قبل عهد بروانه، ولكنها اختفت – أو كادت - في عهده(٤) إلا أن القاسم المشترك - أن صح التعبير. بين عناصر الحكومة السالفة الذكر.أن أفرادها من أصدقاء الصاحب الجويني، ومن الذين وقفوا معه وساندوه أبان عمله في آسيا الصغرى ولا بد أنه أسهم في عملية اختيارهم لتلك المناصب(٥)

ومهما يكن من أمر، فإن أي حكومة تتولى السلطة في بلاد سلاجقة الروم، لا تستطيع أن تتجاهل دور وتأثير الحامية المغولية المرابطة على أرضيها، بل كان لقادة تلك الحامية النصيب الأكبر في تصريف أمور البلاد.

وخلال الفترة التي نتحدث عنها كان القائد العجوز سماغرلازال يتولى قيادة الحامية المغولية(٦) ألا أن الإيلخان آباقا عين في أواخر عهده، أخاه "

(١) ابن بيبي: الأومر العلائية، ص ٧٢٦، أخبار سلاجقة الروم، ص ٤٠٩.
(٢)- المصدرين السابقين، ص ٧٢٦- ٧٢٧، ص ٤٠٩، اقسرائي، المصدر السابق، ص١٤٥-١٤٦.
(3) Chen: pre of ottoman Turkey. P. 239
(٤) انظر ما سبق، ص من هذا البحث
(5) Chhen: pre of ottoman Turkey p239; Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 602.
(٦) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص ٧٤١، أخبار سلاجقة الروم، ص ٤١٣، بيبرس المنصوري:زبدة الفكرة، ج٩، ص ١٤٩.

قونقـو رتـاي" Kangirtay [1] قائـداً ثانيـاً لتلـك الحاميـة وشـريكاً لسـماغر المذكور[2]

لكن القائد الجديد لم يبرز دوره ألا بعد انقضاء عهد آباقا [3] والجدير بالذكر أن هذا التعيين، يتوافق مع سياسة الإيلخان القاضية بتعيين أكثر من قائد لحامية آسيا الصغرى، وهي سياسة لم يحد عنها إلا نادراً كما رأينا[4].

من الملاحظ أيضاً، عودة القادة من أسرة جنكيز خان الحاكمة لقيادة حامية آسيا الصغرى، وما ذلك إلا لأهمية تلك المنطقة، عند القيادة المغولية وعدم استعداد تلك القيادة للتهاون في أمرها ناهيك عن التخلي عنها للقوى المعادية الطامعة فيها، والساعية لإخراجها من تحت المظلة المغولية الإيلخانية وبالطبع فإن الدولة المملوكية هي أبرز تلك القوى[5]

ولم يرد في المصادر ما يشير إلى تحركات القائد قونقورتاي خلال هذه الفترة من إلا زواجه من أخت السلطان السلجوقي كيخسرو الثالث[6] وعلاقة وطيدة تربطه بالأمير عزالدين محمد بكلريكي[7] وربما هو الذي سعى

---

(١) قونقورتاي، قنقو رتاي، فنقرتاي، قونكقورتاي، أغول، ورد الاسم بصيغ متعددة، حتى عند الهمذاني نفسه – كما هو موضح هنا– ناهيك عن بقية المصادر العربية والفارسية الأخرى: إلا أن الصيغة الواردة في المتن، هي أكثر وروداً وهو الابن التاسع لهولاكو، كانت أمه محظية خطائية، انظر: جامع التوايخ، ج٢، ص ٢٢٧.

(٢) بيبرس المصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص ٢٢٢، وذكر الهمذاني اسمي قائدين مغوليين، كانا يقودان الحامية قبل قدوم قونقوري رتاي ومشاركته لسماغر، وهما: كهوركاي، وأرقسون. جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص ٦٥.

(٣) انظر ما سبق ص من هذا البحث

(٤) انظر ما سبق ص من هذا البحث

(٥) القزاز: المرجع السابق، ص ٣٥١.

(٦) بيبرس المنصوري: زبدة الفكر، ج٩، ص ٢٢٢، العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٣١٩.

(٧) بيبرس المنصوري: زبدة الفكر، ج٩، ص ٢٢٢.

لتزويجه من الأميرة السلجوقية بحكم مكانته ووظائفه المتعددة والتي منها كفالته للسلطان[١]

والحقيقة – أنه مع مرور الأيام – تبين أن الموظف المعين من قبل الإيلخان، لإدارة شئون دولة سلاجقة الروم بعد انقضاء عهد بروانه – سواء كان من المغول أومن غيرهم، ما هو إلا ممثل للإيلخان في هذا الجزء من مملكته، وهو أشبه بالرقيب على بقية الموظفين في تلك البلاد، وعليه متابعة مدى تنفيذهم لأوامر الإيلخان وسياسته[٢] وقد أعطي أولئك الموظفون صلاحيات ازدادت مع مرور الوقت اتساعاً، وبالمقابل تقلصت صلاحيات السلطان السلجوقي ونفوذه، حتى تلاشت في نهاية المطاف[٣]

بعد القضاء النهائي على ثورة جمري[٤] تولى فخر الدين علي مهمة إكمال الإصلاحات التي كان قد بدأها الصاحب الجويني[٥] لكن مهمته باءت بالفشل، ويعزا السبب في ذلك إلى تفاقم الدين العام على خزانة الدولة السلجوقية، فمنذ بروز هذه المشكلة إلى حيز الوجود على يد الوزير شمس الدين الطغرائي قبل هجوم هولاكو على بلاد الشام[٦]، وهي لا تزداد مع مرور مرور الوقت إلا تفاقماً، مما أرهق خزينة الدولة، وجعلها عاجزة عن تأدية دورها في البناء والتطور مما حكم على محاولات الإصلاح التالية بالفشل[٧]

وقد رأينا هولاكو يعين الأمير تاج الدين معتز مسؤولاً عن مراقبة ذلك الدين، والسعي إلى تحصيله[٨] واستمر يمارس عمله حتى وافته منيته سنة

(١) انظر ما سبق ص من هذا البحث
(٢) القزاز: المرجع السابق، ص ٣٥١.
(٣) أنظر مايلي من هذا البحث
(٤) انظر ما يلي من هذا البحث
(٥) انظر ما سبق ص من هذا البحث
(٦) انظر ما سبق ص من هذا البحث
(7) Chen: pre of ottoman Turkey, p. 332.
(٨) انظر ما سبق من هذا البحث

٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م، وكان متعاوناً مع بروانه وحمدت سيرته، وسبقت الإشارة إلى أنه من الأمراء الذين عُدت وفاتهم بعد بروانه مباشرة من نذر تدهور الدولة وسيرها بسرعة نحو الزوال [١]

وقد خَلَف الأمير تاج الدين معتز في منصبه ابنه مجيرالدين أمير شاه، الذي ترقى بسرعة في مناصب الدولة العليا حتى أصبح الوزير الأول ونائب الإيلخان[٢]

سبقت الإشارة إلى أنه بعد زوال خطر ثورة جمري شرع الوزير فخر الدين على في ترميم الأوضاع الداخلية لدولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، حيث بعث الرسائل إلى أطراف البلاد، يستميل بها السكان، والخارجين على السلطة ولاسيما مناطق قصطمونية وسينوب وبقية مناطق الأوج، وسلك طريق الترغيب، إذ بعث الهدايا والخلع إلى زعمائهم.والغى الرسوم والاوتاوات المستحدثة [٣] وأعاد تقنيين الضرائب الشخصية بما يتناسب مع المكانة المالية والاجتماعية لكل شخص، دون محاباة أو استثناء، فبدأت الأوضاع تميل إلى الاستقرار، إلا أن عقبة الدين – المشار إليها آنفاً – وتبعاتها، استعصت على الحل.وأجبرت الوزير على ضم المزيد من المناطق، ليصبح إنتاجها حكراً على معالجة تلك المشكلة كما أضطر إلى بيع مناطق أخرى، وإدخالها ضمن الأملاك الإيلخانية الخاصة، مما خفف من عن كاهل خزينة الدولة السلجوقية[٤]

ولكن الوزير فخرالدين لم يُترك وشأنه، بل كان الصاحب الجوني، ومن ورائه الإيلخان آباقا، يتدخلان في عمله ويتصرفان في أمور تخص دولة

(١) انظر ما سبق ص من هذا البحث
(٢) انظر ما يلي من هذا البحث
(٣) ابن بيبي: الأوامر والعلائية، ص ٧٢٠، أخبار سلاجقة الروم ص ٤٠٥.
(٤) ابن بيبي: الأوامر والعلائية، ص ٧٢٠- ٧٢١، أخبار سلاجقة الروم، ص ٤٠٥.

سلاجقة الروم، دون الرجوع إليه، ولا حتى أخذ موافقة السلطان السلجوقي والذي كان صورة بلا معنى.

فمن ذلك أقدام الإيلخان آباقا على اقطاع انطالية لزوجة البكلريكي سيف الدين طرنطاي[1]، قبل سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م[2] وكان المذكور يتولى أماسية قبل ذلك وهي اقطاع له[3] وكان ابنه الأمير سنان الدين من الوفد الذي بعثه شرف الدين ابن الخطير إلى السلطان بيبرس يطلب النجدة ابان تمرده السالف الذكر[4].وبقي سنان الدين عند المماليك مرة في الاعتقال ومرة يفرج عنه [5]وكانت أمه تتمنى عودته، وفي تلك الأثناء نزلت ضيفة عندها في أماسيه زوجة السلطان كيكاوس الثاني[6]، فأكرمتها و بثت لها حزنها، وماتلاقيه من الهموم لفراق ابنها، فوعدتها زوجة السلطان بايصال شكواها إلى الإيلخان وكانت هي في طريقها إليه.ووفت بوعدها، وقبل الإيلخان شفاعتها.وأقطع والدة سنان الدين انطالية لتكون قريبة من ابنها وسمح لها باتخاذ كل ماتراه من الوسائل لتمكن من استعادة ابنها، فانتقلت إلى أنطالية مع زوجها، وبعثا وفداً يحمل هدايا وفدية لإبنهما، وقابل السلطان قلاوون[7]

(١) أسمها كرجي خاتون، بيبرس المنصوري، زبدة الفكر، ج٩، ص ٢٠٠.

(٢) أوردت بعض المصادر والمراجع هذه الحادثة ضمن حوادث سنة ٦٧٧هـ/١٢٨٧م، انظر بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص ١٤٩، ١٩٩-٢٠٠ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢١٤، علي الغامدي: أنطالية في عصر الحروب الصلبية، ص٦٣. لكن المصادر المذكورة تذكر هذه الحادثة استطراداً عند حديثها عن وفاة السلطان كيكاوس الثاني في بلاد القرم، ووضع أبنائه من بعده، لكن تحديد تاريخ وفاته بهذه السنة مسألة فيها نظر. وانظر مناقشتها في المبحث الثالث، ص من هذا البحث

(٣) انظر ما سبق ص من هذا البحث

(٤) انظر ما سبق ص من هذا البحث

(٥) العيني: عقد نجمان، ج٢، ص١١٥ - ١٤١-١٤٢، ٢١٤، ٢١٩

(٦) قيل أن أسمها أرباي خاتون، وأنها كانت زوجة لكيكاوس الثاني ورغبت في الزواج من ابنه مسعود الثاني: " انظر مناقشة هذه المسألة في المبحث الثالث ص من هذا البحث.

(٧) السلطان، المنصور، سيف الدين قلاوون الألفي من كبار المماليك البحرية، ومن اشهرهم في عهد الظاهر بيبرس وكان نائباً لابنه العادل بدر الدين سلامش، ثم خلعه واستبد بالملك سنة ٦٨٠هـ/١٢٩٠م، وحكمت ذريته من بعده دولة المماليك حتى سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م. صنّف في سيرته

الوفد سنة ٦٨١هـ/١٢٨٣م وُخيّر سنان الدين بين الذهاب إلى أهله عن طريق البر أو البحر، فعاد إلى أمه في أنطالية، لكنه لم يتمكن من رؤية والده الذي توفي قبل وصوله[١]

وإذا كان هذا العمل الذي أقدم عليه الإيلخان مبرراً ومعلوم السبب فإنه أقطع بعض مناطق بلاد الروم في آسيا الصغرى دون معرفة سبب تصرفه على هذا النحو ومن ذلك إقطاعه ولاية ميافارقين للأميرة المغولية "قوتوي خاتون"[٢] Qutui KhatUN وبعض منطقة ديار بكر للأميرة "أوجاي خاتون"[٣] "Olagai KhatuN"، وسلماس للأميرة "خاتون جومقر"[٤] Khatun Jomur.

وما من شك، أن الإيلخان يعتبر هذه المناطق جزءاً من دولته، وله حق التصرف فيها كيف يشاء، لكنه أيضاً يعتبر ابتزازاً مارسته السلطات المغولية لإضعاف سلطنة سلاجقة الروم، والتي كانت ضعيفة أصلاً.[٥]

(تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور لابن عبد الظاهر) و(تذكره النبية في أيام المنصور وبينه لابن حبيب.)

(١)- بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ج٩، ص ٢٠٠، العيني عقد الجمان، ج٢، ص٢٩١.

(٢) قوتوي خاتون. من سلالة (ملوك أقوام القنقرات) تزوجها هولاكو خان وهو لم يخرج بعد من ولاية منغوليا، وكان لها مخيم مستقل ولها مكانة كبيرة عند المغول وقد تدخلت في بعض الحوادث المهمة خاصة في عهد ابنها السلطان أحمد، إلا أنها كانت على قيد الحياة، في بداية عهد الإيلخان أرغون بن أباقا، والذي جدد لها اقطاعها في ميافارقين، تعزية لها في مقتل ابنها السلطان أحمد، ومكافأة لها على موقفها المعارض له ولسياسته بعد أسلامه. أنظر: الهمذاني :جامع التواريخ ج٢، ق١، ص٢٢٢، ٢٢٤ - ٢٢٧، ج٢، ق٢، ص ١٥، ١١٩- ١٢١، وانظر أيضاً: ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص٦٥، ويسميها قتوخاتون.

(٣) أولجاي خاتون بنت نور الجي، أبوها (من أصل ملوك اقوام الأويرات) تزوجها هولاكو خان، وأنجبت لها ابنه منكو تيمور، وبعد وفاة هولاكو آلت حسب عادة المغول الذميمة إلى ابنه وخليفته أباقا. وكانت لا تزال على قيد الحياة، سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م. الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص ٢٢٢ـ ٢٣٠-٢٣١، ج٢، ق٢، ص ٥، ١٤، ١٤٨.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٧٢. وجومقر (أو جومقور) الابن الثاني لهولاكو، ولد في منغوليا بعد شهر واحد من ولادة أخيه أباقا. وأمه تدعى كويك خاتون، توفي جومقر في حياة والده، وكان له زوجتان، الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص ٢٢٣- ٢٢٥. ويبدو أن الوارد اسمها في المتن إحدى زوجاته

(٥) لعريني: المغنول، ص ٣٣٦.

ونجد الإيلخان في المقابل يستعيد بعض القلاع، التي كانت خاضعة لسلاجقة الروم، من أيدي مغتصبيها الكرج ويسلمها للمسؤولين في دولة سلاجقة الروم [1] وهذا لايؤثر كثيراً في الوضع العام للدولة الإيلخانية، لأن كلاً من الكرج وسلاجقة الروم، هم من رعاياها، التابعين لها، لكن الإيلخان – ربما – رأي في بقاء تلك القلاع في أيدي الكرج خطراً على الوجود المغولي في المنطقة فانتزعها منهم، وأعادها إلى أصحابها الأول.

من جانبه لم يجد . صاحب الديوان [2] – الصاحب شمس الدين الجويني حرجاً في اسناد حكم بعض بلاد سلاجقة الروم لأمير فارسي هو مجد الملك اليزدي [3] وذلك لا بعاده عن بلاط الإيلخان إذا كان اليزدي المذكور كثير الحسد والوشاية بالأسرة الجوينية [4] واتقاءاً لشره عينه الصاحب الجويني حاكماً على مدينة سيواس في آسيا الصغرى، ومنحه حوالة بعشرة الآف دينار، يتسلمها من صاحب بلاد الروم [5]

وتظاهر اليزدي بقبول ذلك العرض، وخرج قاصداً آسيا الصغرى، وفي الطريق لجأ إلى إحدى الحاميات المغولية واستجار بقائدها [6] وظل في حمايته حتى أواخر سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م.حيث استطاع الوصول على الأمير "آرغون [7]

---

(١) ومن تلك القلاع: بابروان أو تايروان، وأشلوان وبابرت أو (بايرت). ويبدو أنها في المنطقة الحدودية بين آسيا الصغرى وبلاد الكرج. انظر بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص ٩٦١، العيني: عقد الجما، ج٢، ص ١٣٦. وانظر ما سبق من هذا البحث

(٢) صاحب الديوان لقب يطلق على شمس الدين الجويني في عهد الإيلخانين يسمى أحياناً صاحب الديوان، ابن بيبي :الأوامر العلائية ص ٦٨٥، أخبار سلاجقة الروم ص ٣٩١، حاشية(٢).

(٣) مجد الملك بن صفي اليزدي كان أبوه في اتابكية يزد، اتصل مجد الملك بحاشية آباقا خان. وترقى في وظائف الديوان، حتى أصبح ملازماً للصاحب شمس الدين الجويني وأخيه. انظر الهمذاني: جامع التواريخ ج٢، ص ٧٥-٧٦.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص ٧٦.

(٥) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص ٧٧.

(٦) وذلك القائد يدعى: بيسوبوقا. الصياد: الشرق الإسلامي ص ١٠٧.

(٧) آرغون الابن البكر للايلخان آباقا بن هولاكو، الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٢٣-١٢٦

Argoun" ابن الإيلخان آباقا، واشتكى إليه من تصرفات الجويني و أخيه، واتهمها، برشوته مقابل سكوته لكونه إلى علم باتصالهما بالمماليك.بل إنه اتهم الصاحب الجويني بالتوطؤ مع بروانه والسلطان الظاهر بيبرس في الإتصالات التي سبقت معركة الأبلستين، وأنه لهذا السبب عينه حاكماً على سيواس، ومنحه الحوالة المشار إليها ليبعده عن الإيلخان وبقية المسؤولين في الدولة [١]

ولما علم الإيلخان بما جرى لمجد الملك اليزدي ثارت حفيظته واعتقل " صاحب الديوان وحقق معه، وكاد أن يبطش به لولا شفاعة أولجاي خاتون فيه، فعفى عنه وأطلق سراحه[٢]

ولم تكن تلك المرة الأولى التي يُتّهم فيها الصاحب الجويني بالاتصال بالمماليك، إذ سبق لأحدهم أن اتهمه بذلك سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م، لكن التحقيق أثبت براءته فأُخذ الواشي وضربت عنقه، وقطعت أطرافه، وأرسلت إلى أجزاء الدولة الإيلخانية ومنها بلاد سلاجقة الروم.ليكون درساً وعبرة لغيره[٣]

وكان اضعاف الإدارة السلجوقية في آسيا الصغرى متلازما مع اضعاف الجيش أيضاً.فقد رأينا الجيش السلجوقي في أزهى عصوره في عهد كيقباذ الأول، والسنوات التي سبقت كوسه داغ، ووضع الجيش في تدهور وزاد من حدتها الصراع بين أبناء كيخسرو الثاني[٤].

---

(١) الجويني: تاريخ جهانكشاي، جلد أول، ص :لح –لط

(٢) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ٣٣٣.

(٣) كتاب الحوادث، ص ٣٩٩ –٤٠٠

(٤) انظر ما سبق ص من هذا البحث

وفي عهد بروانه أيضاً استمر ذلك التدهور، وقد رأينا بروانه يكثر من الاعتماد على عساكر المغول المؤازرته متجاهلاً في مناسبات كثيرة – جيش الدولة السلجوقية[1]

ولم تصلح الأحوال بعد إنقضاء، عهد البروانه، وظهر ضعف الجيش السلجوقي إبان ثورة جمري، وما تلاها من فتن، وتولت العساكر المغولية بالتعاون مع الأخية[2] مهمة اخماد تلك الحركات المعارضة للاحتلال المغولي والسلطة السلجوقية التابعة له[3]

ولم تزد الثوارات والفتن الداخلية، وكذلك الصراع مع دولة المماليك عبر الحدود بين بلاد الشام وآسيا الصغرى، الجيش السلجوقي الضعيف إلا ضعفاً وهواناً.

ويمكننا الوقوف على أثر الثورات والفتن الداخلية ومدى ما اسهمت به من اضعاف لجيش سلاجقة الروم في المبحث المخصص لتلك الثورات في هذا البحث[4].

أما دور الصراع الطويل والمستمر بين الدولتين المملوكية والإيلخانية في القضاء على الجيش السلجوقي فيمكن معرفته من خلال تتبع مراحل ذلك الصراع وأبرز حوادثه، بعد انقضاء عهد بروانه.

فالإيليخان آباقا لم ينس هزيمة جيشه في الأبلستين، وأخذ يتربص بالمماليك الدوائر، فواتته فرص . ظن أنها سانحة . حيث انشق الأمير سنقر الأشقر- ذاك الذي كان أسيراً عند المغول [5]- على السلطان المنصور

(١) أنظر ما سبق من هذا البحث

(٢) عن الأخية، انظر الفصل السادس ص من هذا البحث

(3) Chen: Pre of Ottoman Turkey p. 337.

(٤) انظر ما يلي ص من هذا البحث

(٥) انظر ما سبق ص من هذا البحث

قلاوون، وبعث إلى المغول يستنجد بهم[1] وكانت غارات المماليك على أطراف آسيا الصغرى، خلال هذه الفترة لا تكاد تتوقف[2] لذلك وجدها الإيلخان فرصة ليثأرلنفسه وجيشه، فجمع جيشاً زاد عدده على خمسين ألفاً، وجعل قيادته لأخيه منكو تيمور Mangou –Timur[3]، وأمره بالمسير إلى آسيا الصغرى، ودخول بلاد سلاجقة الروم، والزحف منها جنوباً نحو بلاد الشام، فيما غادر الإيلخان نفسه عاصمته تبريز، وتوجه إلى الموصل ليكون قريباً من ساحة المعركة.[4]

دخل منكو تيمور[5] بحيشه بلاد الروم في آسيا الصغرى، وانضم إليه ما تبقى من جيش سلاجقة الروم، وجماعات من المرتزقة، كما انضم إليه الأرمن في قيليقية، وجيش من الكرج[6]، وكذلك الحامية المغولية في آسيا الصغرى بقيادة سماغر.[7]

وبعد اكتمال استعداداتهم – في آسيا الصغرى – وملاءمة الطقس للأعمال العسكرية.إنقسم هذا الجيش المغولي الضخم إلى ثلاث فرق،الأولى بقيادة سماغر ومعه أمراء آخرين[8] والثانية يقودها الأميرايدو، ومعه أمراء ما

(١) كتاب الحوادث، ص ٤١٢.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص ٨٣. محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج٧، (العهد المملوكي) المكتب الإسلامي، الطبع أولى ١٤٠٥هـ/. ص ١٧٧.

(٣) فايد عاشور: المرجع السابق، ص ١١٤.

(٤) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص ١٧٩.

(٥) وخلط ابن خلدون بين منكو تيمورين هولاكو قائد هذه الحملة، وبين مونكاتيمور زعيم القبيلة الذهبية، وزعم أن الأخير تصالح مع الإيلخان آباقا، واشترك معه في غزو بلاد الشام، وقد نبه الرمزي إلى ذلك. انظر: تاريخ ابن خلدون، ج٥، ق ٤، ص ١١٥٦، ص١١٥٦، ص ١١٣٥، تلفيق الأخبار، ج١، ص ٤٦٨-٤٦٩.

(٦) الأرمن بقيادة ملكهم(ليو الثالث Lio III) والكرج بقيادة ملكهم (دمتري الثاني. Dmitri II) وانظر: D,ohsson:op. cit. v. III p. 544 ; Howorth :op cit. v. III. p. 369. المقريزي: السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٦٩٢. ولعل عدم ذكر اسم قائد جيش سلاجقة الروم، يوحي بعدم أهمية ذلك الجيش.

(٧) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص ١٦٦، التحفة الملوكية، ص ٩٣- ٩٤.

(٨) منهم: طرنجي وتنجي، وهناك اختلاف بين المصادر في طريقة كتابتهما.

درين وآمد والثالثة – وعمادها من المغول – بقيادة القائد العام منكوتيمور[1]

زحفت الفرق الثلاث من آسيا الصغرى جنوباً، وتوغلت في بلاد الشام، وعاثت خراباً في منطقة حلب، واحرقوا حتى المساجد[2]

وفي الجانب الآخر، استعد المماليك للمواجهة، وخرج السلطان قلاوون بجيشه من مصر، وفي الطريق بلغه نبأ انكفاء المغول ومن معهم إلى قواعدهم في آسيا الصغرى، مكتفين بما حققوه من نهب في شمال بلاد الشام، لأن بوادر الشتاء بدأت في الظهور[3].

وقد ذكر ابن العبري خبر هذه الحملة لكنه أشار إلى أن قائد المغول هو الأمير: قونقورتاي الأخ الأصغر للإيلخان آباقا[4].

وبعد انقضاء فصل اشتاء اغارت سرية من الجيش المملوكي على أراضي آسيا الصغرى، وتمكنت من اسرامير مغولي[5] ونقله إلى دمشق، حيث التقى السلطان قلاوون، وأطلعه على معلومات – عن الجيش المغولي – في غاية الأهمية، منها أن عددهم يفوق الثمانين الفاً، خمسون ألفاً منهم من المغول، والبقية من اتباعهم، وأنهم معسكرون بين قيصرية والأبلستين[6]

(١) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص ١٧١، العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢٥٤، المقريزي: السلوك، ج١، ق٣، ص ٦٨.

(٢) بيبرس المنصوري: زبدة الفكر، ج٩، ص ١٧١، العيني عقد الجمان، ٢، ٢٥٤.

(٣) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٧٢.

(٤) تاريخ مختصر الدول، ص ٥٠٣.

(٥) قيل أن اسمه جلنا بهادر، ووظيفته أمير آخور للايلخان، آباقا. انظر: بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص ١٧٨، التحفة المملوكية، ص ٩٨، النويري: نهاية الأرب، ج٣١، ص ٣٠، تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص٢١٣. وقيل إنه في خدمة منكو تيمور بن هولاكو؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٤، ص ٩٠، ولم يذكر المقريزي اسمه أو وظيفته، السلوك، ج١، ق٣، ص٦٩٠

(٦) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص ١٧٨– ١٧٩ التحفة المملوكية، ص ٩٨– ١٠٠، تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص ٨١٥.

وفي جمادى الآخر سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م، وصلت الأنباء[١] بتحرك المغول من نواحي الأبلستين حيث سارت فرقة منهم إلى الرحبة والتي كان قد وصل إليها الإيلخان آباقا بجيش وأقام محاصراً لها[٢]

أما الجيش الرئيسي بقيادة منكوتيمور، فعند دخوله أراضي الدولة المملوكية، بثّ سراياه، وأغارت على مرعش، وحارم.فيما نزل القائد العام بمعظم الجيش على منطقة حماة[٣]

وتقدم السلطان قلاوون بجيشه ونزل على حمص، وفي يوم الخميس الرابع عشر من رجب سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م دارت بين الطرفين رحى معركة طاحنة أسفرت عن انتصار ساحق للمماليك، وارتدت فلول المغول إلى آسيا الصغرى، فيما انسحب الإيلخان آباقا مذهولاً من تحت أسوار الرحبة[٤].وكان هذا " رابع فتوحات المسلمين بعد الأبلستين والبيرة وعين جالوت"[٥] ولعل القاسم المشترك بين كل هذا الانتصارات، أن المغول استخدموا أراضي آسيا الصغرى للاستعدد أو للعبور لخوض تلك المعارك.

ووهم بعض المؤرخين، وجعلوا من ضحايا تلك المعركة القوية القائد المغولي للحامية المرابطة في آسيا الصغرى سماغر، وعلق أحدهم على ذلك بقوله: " من أسعد ما جرى قتل صمغار"[٦] وهو من أكبر مقدميهم وعظمائهم

(١) كان للسلطان قلاوون جواسيساً يطالعونه على الأخبار وكان بعضهم في آسيا الصغرى وبلاد سلاجقة الروم. شافع بن علي :الفضل المأثور، ص ٥٤.

(٢) وقيل أن مع الإيلخان جيشاً عدده ثلاثون ألفاً: بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ج٩، ص ١٧٩، وذكر الهمذاني أن الإيلخان قصد رحبة الشام متصيداً، ولم يعبر الفرات. جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٨٣.

(٣) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص ١٧٩، العيني، ص ١٧٩، العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٢٧١.

(٤) بيبرس المنصوري: زبدة اللفكرة، ج٩، ص٩٧٩، العيني: عقد الجمان، ج٢، ٢٧٠.

(٥) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ٢٣١.

(٦) هكذا ورد اسمه في بعض المصادر الاسلامية وتم توضيح ذلك في صفحة سابقة، انظر ماسبق، ص من هذا البحث

وشجعانهم وكانت له إلى الشام غارات عديدة [1] لكن الحوادث التالية اثبتت أنه لم يقتل في هذه الموقعة [2]

على أثر تلك الهزيمة لم يلبث أن هلك الإيلخان آباقا أواخر سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م، وربط البعض بين الحادثتين وجعل الثانية نتيجة للأولى حيث قضى الإليخان مهزوماً مقهوراً [3] ولحق به، بعيد فترة وجيزة وللسبب نفسه أخوه منكوتيمور قائد الحملة الأنفة الذكر على بلاد الشام. [4]

عهد أحمد تكودار (٦٨١ـ ٦٨٣هـ/ ١٢٨٢ـ ١٢٨٤م):

واقتضت الحاجة إقامة إيلخان جديد، وانعقد القورولتاري [5] المغولي، وتم انتخاب تكودار [6] بن هولاكو لهذا المنصب، ولم يخل ذلك من معارضة إلا أن طائفة من الأمراء . وعلى راسهم قونقرتاي بن هولاكو زعيم المغول في بلاد سلاجقة الروم والذي جاء من هناك الأجل المشاركة، في عملية الانتخاب . مارسوا ضغوطاً شديدة على المعارضين، حتى تم في نهاية، المطاف اختيارتكودار إيلخاناً للدولة المغولية في بلاد فارس وتوابعها [7]

---

(١) تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص ٢١٩. وانظر أيضاً: المقريزي السلوك، ج١، ق٣، ص٦٩٦.

(٢) أنظر ما يلي ص من هذا البحث

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص ٢٩٧، شبولر " برتولد" تاريخ مغول دار إيران، سياست حكومت ومزهنك دوره ايلخانات، ترجمة دكلتر محمود مير آفتاب، بنكاه ترجمة ونشر كتاب، ١٣٥١هـ. ش. ص ٨٢.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص ٨٥، الذهبي: العبر، ج٥، ص ٣١٧، ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج٥، ص ٢٧٥

(٥) وتكتب أحياناً: قوريلتاي وقور يلتاي، وبالتركية quriltay الاسم المغولي لمجلس السلطنة الذي ينتخب الحاكم أويدرس المسائل العويصة التي لايريد الحاكم أن يبت فيها لوحده. ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور ص٥، حاشية (١).

(٥) تكودار الابن السابع لهولاكو، أمه قوتوي خاتون، أسلم وتسمى باسم أحمد، ويرد اسمه الاسلامي مضافا إلى المغولي (أحمد تكودار)، الهمذاني:المصدر السابق، ج٢، ق١، ص٢٢٦، ج٢، ق٢، ص٨٥- ١٢٢. ويسميه ماركوبولو في رحلاته (اكومات Akomat) انظر رحلته، ص ١١٢.

(٦) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٩١، التاريخ الغياثي، ص ٤٥ - ٤٦ ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص٤.

وبعد انقضاء مراسم التتويج المعتادة شرع تكودار في ممارسة سلطانة، فكان من أولى قرارته، الابقاء على أخيه قونقورتاي قائداً للحامية العسكرية المغولية القوية في آسيا الصغرى وتزويجه بتوقيتي خاتون[١] TUQITI KHATUN وبعد مسيرة إلى مقر عمله في ربيع الثاني في سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م، أردفه الإيلخان بمزيد من عساكر المغول يقودهم الأمير "أقبوقا Agboga "[٢]، وجعلهم رهن اشارته[٣] ويبدو أن الإيلخان تكودار، أراد مكافأة أخيه قونقورتاي الذي الذي ساهم بشكل واضح في إعتلائه العرش، لكنه لم يشأ أن يتركه طليق اليدين في آسيا الصغرى واشرك معه في الإشراف على بلاد سلاجقة الروم، خاصة صاحب الديوان" الجويني، بعد أن عفا عنه وقلده وزارته، ووفوض إليه الإشراف على حكم بعض المناطق منفرداً[٤] والبعض الأخر بالاشتراك مع حكامها المعينيين من قبل الإيلخان ومنها – كما أشرنا- بلاد الروم في آسيا الصغرى[٥] كما منح ابنه خواجه هارون حكم منطقة ديار بكر ومناطق أخرى[٦] إضافة إلى وظيفة البروانكيه في دولة سلاجقة الروم[٧] ولازال من

(١) توقيتي خاتون، إحدى محظيات هولاكو ن وبنت أخت زوجته المشهورة "دوقوز خاتون" توفيت في صفر سنة ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م.
الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص ٢٢١، وانظر أيضاً: ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٢٩٧.

(٢) الأمير اقبوقا بن ايلكاي نوين، من قوم الجلائر، قتل في الحرب التي قامت بين بايدووغازان، سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٥م. الهمذاني، جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٨٨.

(٣) ابن عبد الظاهر، تشريف الإيام والعصور، ص ٤، ١٦، النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص ٢٥٧.

(٤) ومن تلك المناطق: خراسان، والعراق، وأذربيجان انظر: عباس إقبال: تاريخ المغول، ، محمد السعيد :علاء الدين عطا الجويني حاكم العراق بعد انقضاء الخلافة العباسية، ص ٥٦، نقلاً عن صلة (ذيل) تسلية الإخوان، نسخة مصورة عن مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس، ورقة ٣٤ب-٣٥أ، الصياد، الشرق الإسلامي، ص ١٢٤.

(٥) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ٢٣٥، الصياد: الشرق الإسلامي، ص ١٢٤.

(٦) ومن تلك المناطق: الموصل واربيل.

(٧) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩ب، أقسرائي: المصدر السابق، ص ١٤١.

الملاحظ تعيين أكثر من قائد أو مشرف لإدارة بلاد سلاجقة الروم وهي السياسة التي رسخها الإيلخان السابق – آباقا- كما سبقت الاشارة إليه.(١)

ومن الإجراءت التي اتخذها الإيلخان الجديد تقسيم مملكة سلاحقة الروم بين سلطانها السابق غياث الدين كيخسرو الثالث وابن عمه مسعود الثاني، ثم عزل الأول وتنصيب الثاني منفرداً (٢) ولما وصل السلطان الجديد (مسعود الثاني) إلى مقر ملكه في قونية، أحسن مجير الدين أمير شاه استقباله، ففوض إليه السلطان منصب النيابة، كما أقر فخر الدين علي على و زارته، وقيل أعاده إليها بعد أن كان قد عزل في أواخر عهد سلفه كيخسرو الثالث(٣) وكان لا بد من الحصول على "يراليغ" لتضفي صبغة شرعية على تلك تلك التعيينات فذهب مجير الدين إلى تبريز، وحصل عليها من قبل الإيلخان تكودار، وذلك سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢مـ، ولدى عودته، ذهب عماد الدين الزنجاني(٤) إلى بلاط الإيلخان وحصل على وظيفة ناظر في دولة سلاجقة الروم.(٥) واتفق السلطان مسعود، والنائب مجير الدين والوزير فخر الدين العمل العمل سوية من أجل اصلاح الأوضاع السيئة التي آلت إليها الأمور في بلاد سلاجقة الروم.(٦)

ومن العلامات الفارقة في عهد تكودار اظهاره للإسلام واتخاذه إسم، " أحمد" ولقب " سلطان فغدى يعرف باسم السلطان أحمد تكودار(٧)

---

(١) انظر ص من هذا البحث
(٢) انظر ما يلي ص من هذا البحث.
(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص ٧٣٥، أخبار سلاجقة الروم، ص ٤٠٩، اقسرائي، ص١٤٧.
(٤) هو نفسه كان مشرفاً على المملكة، انظر ما سبق ص من هذا البحث
(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠، اقسرائي، المصدر السابق ن ص ١٤٨-١٤٩
(٦) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠ب، اقسرائي: المصدر السابق، ص١٣٧.
(٧) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص ٤-٦، الهمذاني: المصدر السابق ج٢، ق٢، ص ١٢٣.

بدأ السلطان أحمد متحمساً للدين الإسلامي(1) ساعياً لنشره بين أبناء جلدته من المغول، وأمر ببناء المساجد، وقرّب إليه عبدالرحمن الرافعي(2)، وجعله مشرفاً على الأوقاف والشئون الإسلامية عامة، وجعل حكمه نافذاً في جميع أقاليم الدولة الإيلخانية(3).

ووفقاً لذلك التغيير الجديد، انتهج السلطان أحمد تكودار سياسية تصالحية مع جيرانه المسلمين، خاصة الدولة المملوكية، دولة الإسلام الكبرى، أنذاك، إذ بعث إلى نظيره المملوكي رسالة، يبشره فيها باهتدائه إلى الإسلام ويبين له الخطوات التي اتخذها من أجل نصرة هذا الدين في بلاده، ويعرض عليه الصلح حقناً لدماء المسلمين(4).

والملفت للنظر، أن الوفد الذي نقل الرسالة إلى السلطان قلاوون يضم اثنين من رجال دولة سلاجقة الروم، بآسيا الصغرى، وهما: قطب الدين الشيرازي(5) قاضي سيوس، والأمير بهاء الدين أتابك السلطان مسعود الثاني

(1) قال فيه ابن تغري بردي:" كان صحيح الإسلام. وكان فيه الخير " الدليل الشافي، ج1، ص 95.

(2) الشيخ عبدالرحمن الرافعي، أصله من الترك، لجأ إلى آسيا الصغرى بعد اجتياح المغول للعراق، والتقى السلطان كيكاوس الثاني، وألقى في روعه أن الأرواح تتقمصه، وأوهمه بأنه يحسن أشياء كثيرة فأرسله السلطان السلجوقي إلى عاصمة الدولة الإيلخانية حيث انضم إلى حاشية تكودار بين هولاكو، ويقال أنه السبب في دخوله الإسلام. وتوفي معتقلاً بقلعة دمشق في رمضان سنة 683هـ/1284م. تاريخ وصاف، ص 110، النويري نهاية الأرب، ج31، ص 99 -100.

(3) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج9، ص 224، العيني، عقد الجمان، ج2، 316.

(4) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 344، ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص6 -10.

(5) أبو الثناء، قطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي الشافعي، فيلسوف، وعلامة، وصاحب تصانيف، مولده بشيراز سنة 634هـ/1235م، برع في ال حكمة والهيئة وكان بالغ الذكاء، مرحاً. دخل آسيا الصغرى في عهد معين الدين بروانه، فأكرمه، وولاه قضاء سيواس، وملطية التقى جلال الدين الرومي، ثم عاد إلى تبريز وكان مكرماً عند الإيلخانات وأشدهم في ذلك الإيلخان أولجايتو (محمد خدابندة). و كانت وفاته سنة 710هـ/1311م، وله مؤلفات باللغتين العربية و الفارسية، منها: شرح كتاب القانون في الطب لابن سيناء. الذهبي(شمس الدين الذهبي، ت 748هـ/ 1349م) ذيل تاريخ الإسلام ؛ إعتنى به: مازن باوزير، دار المغني، الرياض. الطبعة الأولى 1419هـ، 1998م، ص 112- 115، مجموعة مقالات عباس إقبال اشتياني شامل يكصد ويك مقاله بامقدمة و تصحيح آقي: دكتر محمد دبير سياقي، بعنوان 'علامة قطب الدين شيرازي ومكدطابيات أو، تهران، 1350 هـ. ش، ص 290- 296. الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ غازان خان) نقله إلى العربية وعلق عليه: فؤاد عبدالمعطي الصياد، الدار الثقافية

ولعل وجودهما ضمن الوفد، يظهراهتمام السلطان أحمد تكودار بالوضع في آسيا الصغرى عامة، وفي بلاد سلاجقة الروم خاصة، وادراكه أنها حلبة صراع طويل بين الدولتين الإيلخانية والمملوكية وليكون رجال دولة سلاجقة الروم، شهداء على السياسة الجديدة التي بدأ ينتهجها مع الأعداء السابقين.كما أنه صرح في رسالته بأنهما " من ثقاة هذه الدولة الزاهرة" (١)

وجاء رد السلطان قلاوون، على عرض نظيره المغولي مرحباً بتلك التطورات، مع بعض الحذر بسبب تزايد المعارضة المغولية لسياسة الإيلخان الجديد(٢).

وكانت العساكر المملوكية قد حققت ـ خلال هذه الفترة ـ عدداً من الإنتصارات، زادت الضغوط على الوجود المغولي في آسيا الصغرى.(٣)

أما المعارضة التي كان يخشى منها السلطان قلاوون على أحمد تكودار فانبثقت كما رأينا قبل انتخابه لهذا المنصب، وازدادت شدة بعد اعتناقه الإسلام، وتبنيه لسياسات جديدة، ، ورفع لواء تلك المعارضة الأمير آرغون ابن الإيلخان الراحل آباقا، بدعوىأنه أحق من عمه أحمد تكودار بهذا المنصب واتخذ من مناطق غرب فارس قاعدة له ولأنصاره(٤)

وكسب أولئك المعارضون دعماً قوياً.عندما انضم إليهم الأمير قونقورتاي هولاكو، أخو الإيلخان، وحليفه القوي ونائبه في آسيا الصغرى، والذي لم ترق

للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ١٥١ حاشية (١)، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد بإسم: تاريخ غازان خان.

(١) بهاء الدين ابن الكردي، ذكر اقسرائي أنه ممن حمل لقب وزير في دولة سلاجقة الروم. رغم أنه لم يذكره في كتابه الا مرة واحدة وبمناسبة نقله الرسالة المشار إليها في المتن، مسامرة الأخبار، ص ١٣٦.

(٢) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص ٨، بيبرس المنصوري: مختار الأخبار، ص ٧٦.

(٣) استطاعت قوات المماليك أن تستولي على قلاع حدودية وتنتزعها من أيدي المغول أو حلفائهم من الأرمن وغيرهم، منها: كركر، وقطينا، والكختا. انظر: ابن بهادر: فتوح النصر، ورقة ٧٢، ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص٣٠، بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ١٩٩.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص ٩٧.

له سياسة الإيلخان التصالحية مع المماليك، وكذلك ترويجه للدين الإسلامي بين المغول[١]

وخشي السلطان أحمد تكودار أن يوفر فصل الشتاء فرصة لخصومه، ليجتمعوا ضده، إذ كان من المعتاد أن يتخذ آرغون من بغداد مشتاً له ولجنوده[٢] فيكون على مقربة من آسيا الصغرى، حيث يقيم قونقورتاي وعساكره، وليحول دون حدوث ذلك اختار السلطان أحمد فرقة من الجيش ومعها ثلاثة من القادة هم: "جوشكابGoshkab"[٣] و"آرق[٤] Arog" و"قورمشي Gormshi"[٥]، وأمرهم بقضاء الشتاء في منطقة ديار بكر ومراقبة الطرق بين آسيا الصغرى والعراق[٦]

وفي الوقت نفسه، بعث السلطان أحمد إلى أخيه ونائبه في بلاد سلاجقة الروم، الأمير قونقورتاي، يأمره بالقدوم عليه في بلاد فارس، وأن يصطحب معه أيضاً سلطان سلاجقة الروم كيخسرو الثالث، وذلك للتأكد من نواياهما ضده، وللتحقيق مع قونقورتاي، فيما نسب إليه من مظالم ارتكبها بحق التركمان وهي أفعال فاقت التصور، شملت القتل، والسبي، والمصادرة، وحتى أسر الأحرار منهم وبيعهم على أنهم مماليك، وذلك بحجة تأديبهم[٧] وإذا كان

---

(١) الصياد: الشرق الإسلامي، ص ١٣٧.
(٢)- الهمذاني: المصدر السابقن ج٢، ق٢، ص٩٩.
(٣) جوشكاب بن جومقور بن هولاكو. الهمذاني :جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٢٤.
(٤) آرق اشترك مع أخيه بوقا في تمرد ضد آرغون، وقمع التمرد وقتل المشتركين فيه وعلى رأسهم الأخوين المذكورين سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨م. الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص ١٤٣-١٤٤.
(٥) قورمشي وتكشب قورمش، ابن هندو نوين، كان قائد لعشرة آلاف، اشترك مع بوقا في التمرد ضد آرغون ويبدوا أنه ضمن الأمراء الذين أعدموا معه بعد انتهاء التمرد المذكور. الهمذاني: جامع التواريخ ج٢، ق٢، ص ١٤٣، ١٤٧.
(٦) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص ٩٩.
(٧) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٥١٧، ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص٦١.

كان هذا النوع من العقاب يمكن تبريره في عهد الإيلخانات السابقين، فإن السلطان المسلم أحمد تكودار لا يمكن أن يقبل به[١].

وكان للرسالة الجوابية التي بعثها السلطان المملوكي المنصور قلاوون، إلى نظيره المغولي السلطان أحمد تكودار، أثر كبير في إثارة حفيظة الأخير، إذا انتقد السلطان المملوكي الوسائل العنيفة التي استخدمها قونقورتاي ضد المسلمين التركمان في آسيا الصغرى، وتساءل - بصفته سلطان اكبر دولة إسلامية - كيف يسكت السلطان المغولي على هذه التصرفات وهو الذي، قرر انتهاج سياسة جديدة، على ضوء دخوله في الدين الإسلامي[٢]؟؟

وقد اضافت رسالة السلطان قلاوون التي انتقد فيها بشدة، سياسة قونقرتاي في بلاد سلاجقة الروم، سبباً جديداً، للسلطان أحمد تكودار، ليستدعيه للمثول بين يديه، وربما كان السلطان أحمد لا يرغب في مواصلة التنكيل بالتركمان في آسيا الصغرى، لأن ذلك يسبب حرجاً له، فهم مثله مسلمون والذي يبطش بهم ليس كذلك، وإن كان أخو السلطان نفسه[٣]

ومهما يكن من أمر، فإن الأمير قونقورتاي، توجس خيفة من القدوم على السلطان أحمد تكودار في عاصمته، وقرر عدم تنفيذ أمره، إلا أن إلحاح صهره السلطان كيخسرو الثالث عليه، بضرورة تنفيذ أمر الإيلخان، دفعه إلى الذهاب إلى بلاد فارس وتنفيذ أمر الإيلخان[٤]

وفور وصولهما إلى بلاط الإيلخان، قبض على الأمير المغولي والسلطان السلجوقي، وأفادت سرعة القبض عليهما في تفويت الفرصة على محاولة

---

(1) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 583- 584.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ٣٤٢ – ٣٤٣, ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص ٢٥، بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص ٢٠٩، وفيها التبس الأمر على محققة هذا الجزء من الكتاب، وأرادت التعريف بقونقورتاي (قنغرتاي كما ورد في النص)، فظنت أنه اسم مكان وليس إنساناً، وقالت أنه مكان بأذربيجان. انظر حاشية رقم (١) في الصفحة نفسها.

(3) Anonim Slçuk-nâme. s. 64

(٤) تاريخ ابن خلدون، ، ج٥، ق٢، ص ٣٦٩، ق٥، ص ١١٥٧.

انقلاب كان الأمير قونقورتاي قد أحكم خطتها، ولم يبق إلا ساعات على تنفيذها[١] وبناءً عليه عوقب السلطان السلجوقي[٢] بينما سُلم الأمير قونقورتاي إلى القائد "اليناق"، و هو من انصار السلطان أحمد تكودار وزجاً لابنته[٣]

وبعد محاكمة صورية وسريعية، صدر الأمر بإعدام قونقورتاي، فنفذ الحكم في شوال سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٤م، على الطريقة المغولية وهي الضرب والركل وتكسير العظام دون أهراق الدم[٤] وبدل أن يؤدي هذا العمل إلى اضعاف التمرد على السلطان أحمد تكودار، استغله المعارضون في تأجيج التمرد وزيادة الضغط وحشد الأنصار ضده.[٥]

وكان لزاماً على السلطان أحمد تكودار، أن يبعث قادة من المغول ليخلفوا قونقورتاي في قيادة الحامية المغولية، في آسيا الصغرى، فكلف الأمراء طغرل[٦] وبلرغي[٧] وسماغر بذلك، فقدموا بجنودهم سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٤م [٨]

ولعل من المناسب هنا، التذكير، بأن كل قائد يدخل هذه المنطقة سواءً كُلف بقيادة الحامية، أو جاء للقضاء على فتن وثورات فيها أو حتى للمشتى والمصيف بها، يأتي بجنوده واتباعه، فيعيثون فيها فساداً، ولا يتورعون عن سفك الدماء، والنهب، والسلب، والاغتصاب، وتكليف خزانة دولة سلاجقة الروم مبالغ طائلة، إذ كان منوطاً بها توفير الإقامات لهم، وتوزيع الهدايا

(١) حسن الأمين: مرجع سابق، ص ٢٤٦-٢٤٨. . Cambridge History. Of. Iran. P. 305
(٢) عن معاقبته انظر ما يلي ص من هذا البحث
(٣) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص ١٠٣. D,ohsson:op. cit. III p404, Howorth: op. cit. III, p 34.
(٤) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص ١٢١، وانظر أيضاً: ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٥١٨، ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام و العصور، ص ٦١.
(٥) النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص ٤٠٣.
(٦) لم أعثر له على ترجمة فيما رجعت إليه من مصادر
(٧) لم أعثر له على ترجمة فيما رجعت إليه من مصادر
(٨) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٣١٩. وحسب رواية ابن خلدون أن سماغر عزل من قيادة الحامية المغولية، في هذه الفترة، على خلفية الصراع بين السلطان أحمد وخصومه. ولم أجد مصدراً آخر يؤيد ذلك. ، ج٥، ق٥، ص ١١٥٧.

والأعطيات على القادة وعلية القوم، وفي حالة شعور هؤلاء بأي تقصير من قبل دولة السلاجقة يطلقون العنان للعساكر فيقومون بما يشاؤون لاشباع رغباتهم وسد حاجاتهم[1]

أما على صعيد المعارضة الداخلية ضد السلطان أحمد تكودار فقد زادت بعد عملية الإعدام السالفة الذكر، وتفاقمت وانتهت بالقبض عليه ومحاكمته بموجب " الياسا" والتي تقضي بتسليمه إلى ورثة أخيه قونقورتاي، ورغم ميل بعض الزعماء - ومنهم آرغون - إلى العفو عنه بعد عزله، إلا أن ورثة قونقورتاي بادروا بإعدامه في جمادى الأولى سنة ٦٨٣هـ/أغسطس ١٢٨٤م.وتبع ذلك مصادرة أملاكه حتى ما كان منها في بلاد الروم بآسيا الصغرى.[2]

وبمقتله، "انكسرت شوكة المسلمين الفرس، الذين حصلوا في عهده على قوة فائقة.وعادت "ياسا" جنكيز خان وآداب المغول مرة ثانية إلى السيادة بدلاً من شريعة الإسلام"[3] وعزى اقسرائي سبب نجاح الثورة إلى عدم حزم السلطان أحمد.[4]

عهد آرغون (٦٨٣-٦٩٠هـ/ ١٢٨٤-١٢٩١م):

نتيجة لنجاح الثورة ضد السلطان أحمد تكودار، اعتلى عرش الإيلخانية آرغون بن آباقا بن هولاكو، رغم وقوع خلاف بين كبار الأمراء، وكان بعضهم يميل إلى اختيار "هولاجو[5]"." Hulagu" بن هولاكو، لتولي العرش[1].

---

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠ب

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١١٩-١٢١، تاريخ وصاف، ص١٣٥-١٣٦، كتاب لحوادث الجامعة، ص ٤٧٢، الصياد: الشرق الإسلامي، ص ١٤٦. حسن الامين المرجع السابق، ص ٢٥١.

(٣) حسن الأمين: المرجع السابق، ص٢٥١.

(٤) مسامرة الأخبار ن ص ١٤١.

(٥) هولاجو (بالجيم) الابن الثاني عشر لهولاكو خان، كان ذا مكانة عند المغول وعُرضت عليه الإيلخانية أكثر من مرة ورفضها. الهمذاني:جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٢٨، حاشية (٤).

ولكن هولاجو نفسه، قام وأخذ بيد ابن أخيه آرغون وأجلسه على سرير الملك[٢]

وشرع الإيلخان الجديد في تشكيل حكومته، وتوزيع المناصب على أنصاره، فأسند الإشراف على بلاد سلاجقة الروم، وقيادةالقوات المغولية في آسيا الصغرى لأخيه كيخاتو[٣] ويشاركه في ذلك عمه هولاجو.[٤] كما أبقى على قادة الحامية على وضعهم السابق، حيث لازال سماغر يتزعمهم وربما أجرى تغييراً في السلطة السلجوقية بقتل سلطان مخلوع وتكريس حكم آخر[٥].

واستنتج أحد الباحثين، من مسألة اشراك الإيلخان لأخيه وعمه في الإشراف على منطقة آسيا الصغرى الخاضعة للمغول، ضمان عدم اتفاقهما ضده، لأن تلك المنطقة شكلت مصدر قلق للإيلخانات السابقين واتخذها المناوؤن قاعدة للعمل ضد السلطة المركزية في بلاد فارس، ابتداءً ببروانه معين الدين سليمان، وانتهاءً بقونقورتاي وتآمره ضد السلطان أحمد تكودار.[٦] لكن من خلال تتبعنا لحوادث تلك الفترة يمكننا القول أن سياسية تعيين أكثر من مشرف وقائد لمراقبة الأوضاع في أقليم من الأقاليم الخاضعة للدولة

---

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص ١١٧، وكان هولاجو أحق بالعرش من ابن أخيه آرغون باعتباره أكبر الأبناء الأحياء من ذرية هولاكو كما تنص عليه "الياسا". واعتبر البعض اختيار آرغون أيلخاناً مخالفاً لأحكامها. شبولر: تاريخ مغول درايران الترجمة الفارسية، ص٨٦، الصياد: الشرق الإسلامي ص ١٥٢. Howorth: op. cit, III , p. 330 .

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٢٦، وذكر ابن عبد الظاهر أن من المشاريع لحل ذلك الخلاف، تقسيم الدولة الإيلخانية إلى أربعة أقسام، وأن آسيا الصغرى كانت من نصيب هولاجو بن هولاكو. تشريف الأيام والعصور، ص ٦٦.

(٣) كيخاتو الابن الثاني لأباقا بن هولاكوخان أصبح إيلخاناً فيما بعد. الهمذاني، جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٧٠-١٨٨.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٢٨، التاريخ الغياثي، ص٤٨،

(٥) وكان معه من القادة: طغرل، وبلقارقو. Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 586 وسبقت الإشارة إلى قدوم بلرغي قائداً مع طغرل، انظر ماسبق ص من هذا البحث

(٦) أحمد توني: المرجع السابق، ص ٢٦٨.

الإيلخانية سياسة قديمة، وليست قاصرة على آسيا الصغرى وحدها[1].وإن كانت في هذه المنطقة أوضح من غيرها، وتزداد من الأيام رسوخاً وتأصلاً، فرأينا كيف قسّم هولاكو خان بلاد سلاجقة الروم بين الأخوين كيكاوس الثاني وقلج أرسلان الرابع.

وجاء ابنه وخليفته آباقا فاتبع السياسة عينها.وجاء السلطان أحمد تكودار، فلم يحد عنها، حيث بعث في إثر قونقرتاي القائد آقبوقا، وأشرك مسعوداً الثاني في الحكم مع ابن عمه كيخسرو الثالث[2] ومن المرجح أن القائد آقبوقا استمر يمارس عمله كمراقب للحكام في بلاد سلاجقة الروم حتى بعد قدوم الأميرين كيخاتو وعمه هولاجو، ويؤيد هذا الرأي استقبال الإيلخان آرغون له بعد عودته إلى العاصمة الإيلخانية سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م، بعد مكوثه الطويل مع الحامية المغولية في آسيا الصغرى[3]

ولا يخفى عن البال، أن هولاجو بن هولاكو، كان مرشحاً حسب تعليمات الياسا لمنصب الإيلخانية، لذلك فهو منافس حقيقي للإيلخان آرغون، وإن كان هو الذي دعم ترشيحه لذلك المنصب الرفيع، لذلك ربما يكون آرغون قد أبعده إلى آسيا الصغرى ليأمن جانبه، وزيادة في الحذرأشرك معه أخاه كيخاتو، ليكون رقيباً على تصرفاته، فيستريح بذلك من منافسه.

وإضافة إلى الإجراءات التي اتخذها آرغون والتي تمس الأوضاع في آسيا الصغرى التي سبقت الإشارة إليها فإنه كان دائم الاهتمام بها، لادراكه لأهميتها، فهي تشكل عمقاً استراتيجياً لدولته، ومورداً اقتصادياً ضخماً.[4]

(١) سليمان الموصلي الصائغ: تاريخ الموصل، المطبعة السلفية، مصر، ١٩٢٣م، ج١، ص٢٤٣، عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص ٣٣٩.

(٢) انظر مايلي من هذا البحث

(٣) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص ١٥٧، أحمد توني، المرجع السابق، ص٢٦٩.

(٤) أحمد توني: المرجع السابق، ص ٢٦٧-٢٦٨.

ومن مظاهر اهتمامه بتلك المنطقة، ذلك اللقاء الذي عقده في عاصمته مع قاضي سيواس وأحد أعضاء الوفد الذي بعثه للسلطان أحمد تكودار إلى السلطان قلاوون وهو قطب الدين الشيرازي.والذي قدم خلاله القاضي إلى الإيلخان خريطة مجسمة لآسيا الصغرى، توضح حدودها وسواحلها، ومواقع المدن فيها، وقد لفت موقع مدينة عمورية نظر الإيلخان، وطرح على القاضي عدداً من الأسئلة بشأنها، وطلب معرفة المزيد عنها، واضطر الإيلخان إلى الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٧٢.وجومقر (أو جومقور) الابن الثاني لهولاكو، ولد في منغوليا بعد شهر واحد من ولادة أخيه آباقا.وأمه تدعى كويك خاتون، توفي جومقر في حياة والده وكان له زوجتان، الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص ٢٢٣- ٢٢٥.ويبدو أن الوارد اسمها في المتن إحدى زوجاتهإلى المعلومات الغزيرة التي كان القاضي يملكها عن تلك المنطقة[1]

واستمر اشراف الأمير كيخاتو على بلاد سلاجقة الروم في آسيا الصغرى ثمانية أعوام، سجلت له المصادر خلالها الكثير من الأعمال - كما سنرى - إلا أن شريكه في الاشراف عمه الأمير هو لاجو، لم يرد له ذكر في الحوادث التي جرت في المنطقة خلال هذه الفترة باستثناء ما تفرد به المولوي من أنه اشترك مع كيخاتو في الحملة ضد التركمان سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م[2] والتي سيرد ذكرها في صفحات تالية.عدا ذلك لم يرد عنه ما يستحق الذكر إلا أنه اتهم بالتآمر على حياة الإيلخان آرغون، فقبض عليه، وبعد استجوابه أعدم في بلاد فارس في شهر رمضان سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م.كما قُبض على شريكه في المؤامرة، الأمير جوشكاب بالقرب من ميافارقين وهو في طريقه هارباً إلى بلاد الشام، حيث لاقى المصير نفسه

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص ١٥٦ – ١٥٧، أحمد توني: المرجع السابق، ص ٢٦٨.

(٢) الهمداني: جامع التاريخ، ج٢ ق٣، ص١٤٩، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٦٥. ويقال إن ثلاثة عشر أميراً تم إعدامهم على ذمة تلك المؤامرة. Howorth: op.cit . III,p133

أما الأمير كيخاتو بن آباقا، فقد ارتبط ببلاد سلاجقة الروم، وآسيا الصغرى ارتباطا وثيقاً، وقد استطاب هواءها وأرضها"(٣).لكن من الصعب التسليم بأنه لم يغادرها حتى بلغه نبأ وفاة أخيه الإيلخان آرغون كما ذكر ابن العبري"(٤).إذ يستنتج من الحوادث - خلال هذه الفترة - أنه كان يتردد بين مقرعمله في آسيا الصغرى، وبين عاصمة الدولة في بلاد فارس.وكان قادة الحامية المغولية في المنطقة ينوبون عنه أثناء غيابه وعلى رأسهم سماغر(٥).

وقبل الخوض في تفاصيل حوادث السنوات الثمان التي قضاها كيخاتو مشرفا على بلاد سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، يمكن القول أن عهده تميز بانتهاجه شخصيه سياسة تسامحية، فكان ينأ بنفسه عن ارتكاب المظالم والأعمال التعسفية، التي اعتاد عليها الرعية من الزعماء المغول قبله، واتصف بالمرونة، والكرم الفياض، والإحسان إلى الناس، مع تبجيل للعلماء واحترام للمشايخ وكان " له ميل كثير إلى المسلمين، وإحسان إلى الفقراء، والله أعلم بسريرته(١) " وجعلت له هذه الصفات مكانة في نفوس الرعية في آسيا الصغرى.وربما كان لزوجته المسلمة"(٢) خلال هذه الفترة دور في ظهوره بهذا المظهر ".

لكن في الوقت نفسه انهمك كيخاتو في الملاذ والملاهي، وشغلته عن مراقبة شئون المنطقة، التي تركها بأيدي الموظفين المحليين أو المغول الأدنى

---

(١) المولوي:صحائف الأخبار، ج١، ورقة٥٩١أ، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٦٥.

(٢) تاريخ الزمان، ص٣٦٥.

(٢) المولوي:صحائف الأخبار، ج١، ورقة٥٩١أ. Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 603.

(٣) ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان، ج١، ص١٤١. وانظر أيضا: الذهبي: تاريخ الإسلام، الطبقة ٧٠ (تحقيق عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨- ١٤٢١هـ/ ١٩٩٨- ٢٠٠١م) ص٢٢٥ .

(٢) هي الأميرة عائشة خاتون بنت القائد توغو(طوغو) ابن ايلكاي نوين. الهمذاني:جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٨٠، ١٧٠

مرتبة، ولم يهتم بمراقبتهم ولا ردعهم عن ظلم الناس والتعدي على حقوقهم[١][٢] كان أول دخول لكيخاتو لأراضي آسيا الصغرى لممارسة مهام عمله بها سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م.إذ قدم إليها على رأس جيش كبير[٢][٤].

وفي سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م، ذهب إلى عاصمة الدولة الإيلخانية في بلاد فارس، واصطحب معه خواجه شرف الدين هارون بن الصاحب شمس الدين الجويني، حيث أمر بقتله[٣][١].لتسببه في مقتل بعض الأمراء المقربين إليه[٤][٢]ولم يكن ذلك العمل إلا جزءاً مما عُرف في التاريخ "بنكبة الأسرة الجوينية"[٥][٣]والذي امتد إلى آسيا الصغرى، حيث أعدم فيها الأمير نوروز، وهو أحد أخوة الصاحب الجويني "صاحب الديوان"[٦][٤].

وأثناء غياب كيخاتو - ومعه السلطان السلجوقي مسعود الثاني وكبار رجال دولته - عن المنطقة، ومكوثهم في العاصمة الإيلخانية تبريز، استغل أمير شرطة قونية[٧][٥]، وفخر الدين[٦] ناظر التفتيش بها، الفرصة، فقاما بنهب أموال

---

(1) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 603.
واشتهر عن كيخاتو الافراط في تناول الملذات المادية منها والمعنوية، حتى بعد أن أصبح إيلخانا. انظر القاشاني (أبو القاسم عبد الله بن محمد) تاريخ أو لجايتو: تاريخ بادشاه سعيد غياث الدنيا والدين أو لجايتو سلطان محمد-طيب الله مرقده-به اهتمام مهين هميلي، بنكاه ترجمه ونشر كتاب، تهران ١٣٤٨هـ. ش. ص١٠٧.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ أ ؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٦٥.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٣٦ ؛ تاريخ وصاف، ص٦٠ ٦٥ ؛ وذكر صاحب كتاب الحوادث الجامعة الجامعية ص٣٧٥. أن شرف الدين هارون مات حتف أنفة، قبل وصول الأمر باعدامه بسبعة أيام.

(٣) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٣٦. ومن هؤلاء الأمراء: مجد الدين بن الأثير، وخواجه سعد الدين القزويني، أخو الوزير فخر الدين المستوفي القزويني، والأخير هو الذي وشى بشرف الدين عند المغول.

(٤) الصياد: الشرق الاسلامي، ص١٥٦ ١٥٨ ؛ وانظر أيضا: الذهبي: تاريخ الإسلام، الطبقة ٦٩، ص٣٨٢.

(٥) كتاب الحوادث، ص٣٨٧ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، الطبقة ٦٩، ص٣٨٢.

(٦) لم يذكر اسمه في المصادر.

(٦) لم أعثر على ترجمة له فيما رجعت إليه من مصادر.

(٧) عن أشرف أغلو انظر ما يلي من هذا البحث.

(٧) عن أبناء قرمان أيضا. انظر مايلي من هذا البحث.

الناس، وممتلكاتهم، ظلما وعدواناً، ثم فرّا إلى مناطق التركمان، فلجأ الأول منهما إلى أشرف أغلو، والثاني إلى أبناء قرمان، وتزامن عملهما هذا مع تعرض العاصمة قونية لهجوم من التركمان.

مما حدى بالإيلخان إلى تجهيز حملة عسكرية يبلغ تعداد أفرادها عشرون ألفاً، وأمر أخاه كيخاتو بأن يقودها إلى آسيا الصغرى، ليعيد إليها الأمن والنظام، ويعاقب مثيري القلاقل، من التركمان وغيرهم، واتخذت الحملة معسكراً لها في أرزنجان - على حدود آسيا الصغرى الشرقية - فقضت هناك الصيف والشتاء سنة ٦٨٥/ ١٢٨٥ - ١٢٨٦م.

وحسب الاتفاقية القديمة المبرمة مع دولة سلاجقة الروم، غداة معركة كوسه داغ، كان على خزينة تلك الدولة، توفير المؤن والإقامات للجيش المغولي، وتزامن قدوم هذه الحملة مع ارتفاع في أسعار المؤن، خاصة القمح، فعجزت خزينة الدولة عن توفير الأموال اللازمة وبذل الوزير فخر الدين على جهداً كبيراً للتغلب على تلك المشكلة، وسدد عجز الخزينة من ماله الخاص [1].

بعد استكمال استعداداتها، وتحسن أحوال الطقس تحرك كيخاتو بحملته من أرزنجان ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م ومر على سيواس، ثم قيصرية، ثم أقسراي، ونتج عن زحفه هذا، حركة اجلاء واسعة، حيث هجر الناس - في المدن المذكورة وما حولها - مساكنهم، واعتصموا بالكهوف وقمم الجبال، يحملون معهم ما استطاعوا حمله من الممتلكات والأموال، خشية من تعديات جنود المغول [2].

(9) A nonim Slçuk-nâme. S. 70 , Turan :Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 589.
(1) Anonim Slçuk-nâme. s. 72.
(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ ب ؛ السرائي: المصدر السابق: ص١٦٨.
(4)Anonim Slçuk-nâme. s. 73; Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 587.

لكن وجود الوزير فخر الدين علي ضمن الحملة واستعداده الدائم لتوفير طلباتها، اضافة إلى "رأفة" قائدها كيخاتو، أقنعت الناس بالعودة إلى بيوتهم، وممارسة حياتهم وأعمالهم اليومية كالمعتاد، حتى أن سوق مدينة أقسراي ازدهرت بوجود عساكر المغول، وعمتها حركة بيع وشراء نشطة، ارتفعت معها مداخيل التجار، وارتفعت تبعا لها الضريبة المفروضة على المدينة من قبل المغول، حتى صارت تضاهي الضريبة التي تجبى من العاصمة قونية(٤).

أما سكان قونية، فقد استعدوا لاستقبال القائد المغولي وجنوده، الذين جاءوا لحمايتهم من التركمان، وبعثوا من قبلهم رسولاً للترحيب به، لكن رسولهم - ولسوء حظهم - وقع في كمين لبعض قطاع الطرق فقتلوه.فاستبطأهم القائد كيخاتو، وظن أنهم لا يرغبون في قدومه، لذلك فهم لا يعيؤن به، فأخذه الغضب وأمر عساكره بالزحف على العاصمة، وكان جيشه في ازدياد مضطر، وكلما مر على بلدة أو مدينة انضم إليه الطامعون والمرتزقة، حتى بلغ عدده خمسون ألف مقاتل "(١).

ولما وصل الجيش إلى أسوار قونية، عرف أهلها بنية القائد المغولي في معاقبتهم، فانتشر بينهم الرعب والخوف، وبعثوا وفداً لمقابلة كيخاتو، من أعضاءه أحمد شاه رئيس الآخية"(١)٢ في العاصمة، والشاعر سلطان ولد(٢)، فقدموا له - ولمستشاريه - الهدايا، فقبل عذرهم، وعفى عن قونية وأهلها، ودخلها بعد ذلك، مع ألفين أو ثلاثة آلاف من جنوده بصفته زائراً لا محارباً، نّصب خلالها رسمياً أحمد شاه رئيساً للأخية"٣(٣).

---

(١) عن الأخية انظر الفصل السادس ص من هذا البحث.
وأحمد شاه إضافة إلى رئاسة الأخية كان من كبار تجار قونية وانظر ما آل إليه مصيره فيما يلي ص من هذا البحث.

(١) سلطان ولد ابن الصوفي الكبير جلال الدين الرومي، وهو من شعراء الصوفية أيضا. انظر ما يلي الفصل السادس ص من هذا البحث.

(2) Eflaki: op. cit. s. 331-333 Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 588.

(٣) صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠ب اقسرائي، المصدر السابق، ص ١٦٩- ١٧٠.

وهذه الحادثة هي التي أورد المولوي اسم القائد هو لاجو مشاركا في قيادتها مع كيخاتو.وقد أسهب المؤلف في وصف الدمار والخراب الذي مارسته عساكر المغول خلال هذه الحملة، وأنه لم ينج من شرهم - من مدن بلاد الروم الكبرى - إلا مدينة قونية(٤).

وبسبب تدفق مثل هؤلاء المغول على المنطقة، وما يقومون به من فساد - سبقت الإشارة إلى شيء منه - والزيادة المستمرة في فرض الضرائب، وحيرة المسؤولين في بلاد سلاجقة الروم، وعجزهم عن توفير طلبات تلك الجحافل المغولية، تفجر الخلاف بين الوزير فخر الدين علي والنائب مجير الدين أمير شاه والذي كان مشرفاً على ديون الخزينة المغولية المسجلة على السلطنة السلجوقية، فشكا الوزير إلى الإيلخان تقاعس النائب عن القيام بعمله واتهمه بالإهمال، فطلب الإيلخان مثولهما بين يديه لقيف نفسه على جلية الأمر.(١) بعد أن أصدر أمراً بعزل النائب مجير الدين من منصبه٢(٢).

وامتثالاً للأمر، ذهب المسؤولون إلى تبريز، وهناك نجح النائب في الدفاع عن وجهة نظره، واستخدم محل الوسائل المتاحة لذلك، ومنها اغداق الأموال والرشاوي على حاشية الإيلخان، فكسب رضاهم، ومن ورائهم رضا الإيلخان نفسه، الذي أعاده إلى منصبه، وطالبه بتوفير المزيد من الأموال، فقبل النائب الطلب وتعهد بتنفيذه٣(٣).

أما الوزير فخر الدين، فكان نصيبه العتاب والتوبيخ والمطالبة بتوفير المزيد من الأموال أيضا.وتشير بعض الروايات إلى أنه عزل من منصبه(٤).

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠ أ ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص١٧٠-١٧١.
(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠ أ.
(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠ أ ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص١٧٢.
(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠ ب.

" وسمح للمسؤولين بالعودة إلى آسيا الصغرى، فعاد الوزير مريضا، مكسور الخاطر، بسبب الضغوط التي مورست عليه من قبل السلطة المغولية في تبريزولم يكد يصل إلى قرية نادر[1] NADER، حتى وافاه أجله في ٢٥ شوال سنة ٦٨٧/ ٢٢ديسمبر ١٢٨٨م[2].وكان قد عزم على اعتزال المناصب السياسية والإدارية[3]ونقلت جثته في تابوت، إلى قونية، حيث دفن هناك[4،8].

وبموت الوزير فخر الدين علي تكون قد طويت صفحة، من تاريخ دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، وسقطت آخر ركيزة، تستند عليها الدولة السلجوقية في نظامها وسلطتها"[5]، ويعزا إليه - وإلى سلفه شمس الدين الأصفهاني - الفضل في الحفاظ على الطابع السلجوقي القديم للسلطنة حتى تنحيته من منصبه قبل وفاته[6].

وخلال أربعين سنة قضاها متقلباً في الوظائف الرسمية، نجح الوزير فخر الدين إلى حد كبير في الحفاظ على كيان دولة سلاجقة الروم، وكان من كبار معاوني بروانه معين الدين في عهده، رغم ما وقع بينهما من خلاف[7].واستمر بعده على نهجه، في مسايرة المغول، وتحقيق رغباتهم وعدم استفزازهم، خشية الاصطدام بهم، وفي المقابل نشط في مواجهة التركمان، ومثيري الشغب، في الداخل.

أما على الصعيد الشخصي، فاشتهر فخر الدين علي، بحب الخير، وبناء المؤسسات الخيرية، مع وقار وقوة في الشخصية، ولم تفت في عضده كثرة

---

(١) هي قرية تابعة لبلدة آق شهر. اقسرائي: مسامرة الأخبار، ص١٥٠.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١ ورقة ٥٩٠ أ-ب ؛
Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye , s. 591 ; Cahen: pre of ottoman Turkey. p 296
وقال إن وفاته في شهر نوفمبر.

(٣) اقسرائي: مسامرة الأخبار، ص١٤٩ ١٥٠.

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠ ب.

(5) uran: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 591.
(6) Cahen: The Mongols And Near East. "Setton, p. 726.

(٧) انظر ماسبق ص من هذا البحث.

المشكلات والفتن، والتي واجهها بجسارة، وصبر كبيرين، كما تميز أيضاً بالخبرة والدراية في إدارة شئون الدولة، واطلاع واسع على الشئون المالية، لذلك كله لُقب بـ"صاحب عطا Sahib-Ata"[(١)] حتى غلب على اسمه".

جاءت وفاة الوزير "صاحب عطا" في وقت حرج بالنسبة لدولة سلاجقة الروم إذ فُرضت على الأهالي المزيد من الضرائب، وكان التعهد بتحصيلها، وبعثها إلى خزينة الدولة الإيلخانية من أولى مهمات الوزير الجديد الذي جاء ليخلف "صاحب عطا"[(٢)].

وعلى الوزير الجديد التنسيق مع النائب مجير الدين أمير شاه، فأي خلاف بينهما، سيؤدي إلى عزلهما معاً، أو عزل أحدهما، كما حصل بين النائب وصاحب عطا.إلا أن ثمة قاسم مشترك يجمع بين الوزير الجديد والنائب، وهو كونهما من أصل فارسي، وليسا من أهل المنطقة، إنما جاءا إليها بتكليف رسمي من السلطنة المغولية، للقيام بوظيفة محددة[(٣)].

أما الوزير الجديد، فهو فخر الدين القزويني، وكان قبل تعيينه في هذه الوظيفة، يعمل مستوفياً عند الإيلخان، وأظهر كفاءة وبراعة في عمله، وبعد عزل الوزير السابق فخر الدين علي "صاحب عطا" وجدها فرصة ليخلفه في منصبه، وكان من خلال معايشته للإيلخان آرغون، يدرك شراهة نفسه، وحبه الجم لجمع الأموال وكنزها[(٤)].فتعهد له بجمع أموال طائلة من بلاد

(١) (صاحب عطا) مصطلح من لفظتين إحداهما عربية وهي "صاحب" والأخرى تركية "عطا" "اتا" ومعناها: الأب أو الجد. Turan: Op. Cit. ,s. 591.
Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 591. Cahen: preop ottoman

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ أ ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص ١٦٤.

(3) Cahen: pre of ottoman Turkey. p302.

(٤) كان الإيلخانيون عامة، وآرغون خاصة شرهين جداً في جمع الأموال وكنزها. وقد وصف ذلك أحد المؤرخين المعاصرين؛ انظر: خصباك: المرجع السابق ص١٨٨-١٨٩ ؛ نقلا عن التاريخ السرياني الذي ألفه ابن العبري وأتمه أخوه برصوما ؛ وانظر أيضا: شبولر: العالم الاسلامي ص٧٠ ؛ الصياد: الشرق الاسلامي ص١٦٤.

سلاجقة الروم و إرسالها إلى خزانة الدولة، واستخدم نفوذه في البلاط، وأمواله الطائلة في اقناع حاشية الإيلخان ليتم في نهاية المطاف تكليفه بهذا العمل(٣).

وهنا لابد من الإشارة، إلى أن مسألة (بيع المناصب) تفاقم شرها، وأصبحت الرشاوي والهدايا والوعود، هي مقومات التعيين في الوظائف و لم يعد للكفاءة والأمانة وحسن الإدارة إلاّ هامش ضيق عند البحث عن موظف لشغل منصب ما(٤).

وكان بامكان أي صاحب مال، أن يذهب إلى العاصمة الإيلخانية، فيلتقى الإيلخان نفسه، أو أحد مستشاريه أو حتى نساء قصره، فيطلب الوظيفة التي يشاء ويتعهد بتوفير الأموال اللازمة، بعد تقديم رشاوى، وحمل هدايا، فيحصل على "برليغ" بتعيينه على تلك الوظيفة، وقد يأتي من ينافسه عليها، فيدفع أموالاً ورشاوى أكثر منه، ويتعهد بتحصيل أموال من الرعية أكبر، فيصدر أمر ايلخاني بعزل الأولى، وتنصب الآخر، وكثيراً ما يستمر الصراع بين الاثنين مدة من الزمن، تتأرجح خلاله الوظيفة بينهما، حتى يعجز أحدهما عن توفير ما تعهد به، فيصدر الأمر بإعدامه، بتهمة التقصير، ويتم تسديد ما عليه من ديون من خزينة سلطنة سلاجقة الروم(١).

وهناك طريقة أخرى للتعيين، تتمثل في اقطاع إحدى المناطق أو البلدات، لشخص معين يتم اختياره غالباً بالطريقة السابقة، ويفرضون عليه مبلغاً معيناً في كل مدة (سنة أو أقل أو أكثر) فيستغل هذا سلطته، ويشتط في جمع

---

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠ ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص١٥٣-١٥٤.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠ ب ؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 593.

(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠ أ. وانظر أيضاً: ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٦٣ ؛ الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٥٣، ١٧٨ ؛ Michal prawdin: lempire Mongol et Tamaerlan. paris , 1937 ; p. 374.

الأموال من الناس، حتى أنه يأخذ الضريبة الواحدة عشر مرات في السنة، أو ربما تصل إلى عشرين أو ثلاثين مرة، في السنة الواحدة[١][٢].

ولعل النتيجة النهائية على كل الأحوال، أن الرعية المظلومة هي المتضرر الأكبر من كل ذلك فساءت الأحوال إلى درجة يصعب تخيلها.

وعندما وصل الوزير الجديد (فخر الدين قزويني) كان بمعيته مجير الدين أمير شاه - نائب الحضرة العليا - فدخلا إلى بلاد الروم بآسيا الصغرى، في ذي القعدة سنة ٦٨٧هـ/ ديسمبر ١٢٨٨م[٢][٣].

وكان في معية الوزير أيضاً حاشية كثيرة العدد، حتى قيل إنه ولأول مرة - باستثناء عساكر المغول - دخلت الأناضول موجة كهذه من الأجانب في زمن الإيلخانيين "[٣][٤] وكان من بينهم أخوان للوزير، أحدهما جعله مستوفياً، ويدعى جمال الدين، والآخر مستشاراً عند الوزير نفسه، وكان يجمع بين كل هذه الحاشية اتصاف أفرادها بالجشع والسعي لجمع الأموال كلٌ لحسابه الخاص[٤][١].

إنّ هذا التغيير في أعلى الوظائف الإدارية في دولة سلاجقة الروم، يعتبر خطوة متقدمة على طريق إزالة الدولة السلجوقية في آسيا الصغرى.ونقلها من مرحلة التبعية إلى مرحلة السيطرة المغولية الكاملة والمباشرة في الوقت نفسه، وبدأ يتضح - سواءً من جنسهم أو من غيره - في كل مرافق الدولة، حتى لم يعد ظاهراً في الصورة، من سكان البلاد الأصليين، إلاّ السلطان السلجوقي، والذي هو بدوره، يعمل جاهداً لكسب رضا السادة المغول[٥][٢].

(١) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص٢٨٠.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠ أ ؛ اقسرائي: المصدر السابق ص١٤٨-١٤٩؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 592

(3) Turan: op. cit. s. 592

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠ أ ب ؛ اقسرائي المصدر السابق، ص١٤٩ Cahen: pre of ottoman Turkey. p. 296.

(5) Cahen: pre of ottoman Turkey. p. 296.

كان من المأمول أن يسير الوزير الجديد وفق قوانين وأنظمة دولة سلاجقة الروم، لكنه جاء بقوانين وأنظمة جديدة، وخاصة ما يتعلق منها بمسألة تحصيل الضرائب، والتي ارتفعت قيمتها - كما أشرنا - إلى أرقام باهضة[1](3) وأسقط من سجلاته، الجزية[2](4)، وكانت من مصادر دخل دولة سلاجقة الروم[3](5).

نتيجة لتلك السياسة، تفاقم الظلم، وعمليات النهب والمصادرات، وهجر الناس - كما هي عادتهم في مثل تلك الأحوال - المدن، ولجأوا إلى الكهوف والمغارات، فهجرت المدن، وحل البوار بالأراضي الزراعية، وكسدت التجارة وضرب الخراب بأطنابه في أرجاء البلاد[4](6) وحاول المؤرخ الفارسي حمد الله مستوفي القزويني أن يحسن صورة الأوضاع، فتغنى بما أسماه العدل والرخاء الذي عم بلاد الروم بفضل الوزير فخر الدين القزويني[5](7)، يحمله على ذلك صلة القرابة بينهما[6](8)، لكنه بوصفه هذا خالف غيره من مؤرخي المنطقة الثقات.

ومهما يكن من أمر، فإنه مع مضي الأيام، وازدياد الوضع سوءاً أضحى الوزير وأعوانه عاجزين عن توفير ما التزموا به للسلطات المغولية وبناء عليه بدأ الخلاف بين الوزير فخر الدين القزويني، والنائب مجير الدين أمير شاه، فاقترح الأخير تقسيم ادارة البلاد بينهما، حتى يُمكن معرفة مصدر التقصير ولا يؤخذ المجتهد بجريرة المقصر، فصدرت الموافقة الإيلخانية على التقسيم في سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م[7](1).

(1) (Ibid. p. 296 ; Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 593.
(2) Anonim Slçuk-nâme. s. 72. Turan: Op. Cit. s. 593.
(3) Turan: Op. Cit. s. 593.

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٢ أ ؛ اقسرائي، المصدر السابق، ص١٥٢.

(٥) تاريخ كزيدة، ص٥٩٧، الصياد: الشرق الاسلامي، ص١٥٨ ؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 593.

(٦) وكانا ابني عم. الصياد: الشرق الاسلامي، ص١٥٧.

(٧) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ أ ؛ اقسرائي: المصدر السابق ص١٥٢-١٥٥

وهنا برزت مرة آخرى مسألة التقسيم التي رأيناها إبّان النزاع بين كيكاوس الثاني وقلج أرسلان الرابع، وأدت بدورها إلى زيادة النزاع والفوضى والمؤامرات، وأصبح هم كل واحد من الشريكين التزلف إلى السادة المغول، والقدح والوشاية في شريكه في المسؤلية ومنافسة على الزعامة"[1].

بموجب التقسيم المشار إليه، أصبح الوزير مسؤولاً عن القسم الغربي من البلاد، والذي كان مخصصاً للسلطان كيكاوس الثاني، بينما حصل النائب على القسم الشرقي الذي كان بحوزة السلطان قلج أرسلان الرابع.وتم تعيين قائد مغولي لكل قسم، يتولى الاشراف على عساكره، فالقسم الغربي تولاّه توت قاوولTout gaval، والشرقي دولاداي Doladay.ويذكر المؤرخ أقسراي بأن أحوال القسم الشرقي تحسنت في ظل إدارة النائب، بينما ازداد تدهور الأوضاع في القسم الغربي، لمضي الوزير في سياسته القديمة"[2]، ويجب التعامل مع هذه الرواية بشيء من الحذر، لأن المؤلف كان موظفاً في القسم الشرقي، وتحت ادارة النائب مجير الدين أمير شاه"[3].

لكن الحوادث التالية، دلت على أن الناس في القسم الغربي من البلاد، لم يكونوا راضين عن سياسة الوزير، حتى أنّ أهل العاصمة قونية، لم يحسنوا استقباله، عند عودته إليها من إحدى جولاته التفقدية.فشكا ذلك إلى السلطان مسعود الثاني، الذي طلب من الآخية أن يخرجوا - في المرة القادمة - ويستقبلوا الوزير خارج المدينة، ليطيب بذلك خاطرة، فاستجابوا لطلب السلطان وخرجوا إلى مشارف العاصمة، وفي مقدمتهم رئيسهم أحمد شاه، وهم مدججون بالسلاح، ولم ترض هذه الطريقة غرور الوزير، وأبدى امتعاضه

(1) Cahen: pre of ottoman Turkey. p. 296 , 299.

(٢) مسامرة الأخبار، ص١٥٦.

(3) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 593.

منها، ومن تزاحم الناس على هذا النحو، ورفض قبول الهدايا المقدمة إليه، بحجة أنها قدمت إليه اتقاءً لشره وليس تقديراً وحباً له"[1].

من جانبه، حاول رئيس الأخية اقناع الوزير فخر الدين القزويني بصدق مشاعرهم، كما اشتكى إليه من فداحة الضرائب المفروضة على المدينة وأهلها، لكن الوزير لم يصغ إلى كلامه، فأمر أحمد شاه أتباعه من الأخية بالعودة إلى داخل المدينة، وتركوا الوزير وحاشيته خارج الأسوار وقد تملكهم الذهول من هذا الموقف"[2].

في تلك الأثناء، كان الإيلخان آرغون، قد عهد بوزارته إلى رجل يهودي، يقال له: سعد الدولة"[3].فتحكم هذا في سيده المغولي - وبالتالي في الدولة الايلخانية - تحكماً عجيباً، ورفع من قدر أهل ملته، وأعطاهم مناصب ووظائف هامة، حتى قيل أنه لم يسلم من تسلطه - وتسلطهم معه - اقليم من أقاليم الدولة الايلخانية، إلاّ بلاد سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، وخراسان في بلاد فارس، لوجود مشرفين عليهما من الاسرة المغولية الحاكمة،

ففي الأول كيخاتو بن آباقا وفي الآخير غازان بن آرغون"[4].

وانتشر اليهود - أنصار وزير الايلخان - في كافة المناطق، وتولى أحد أخوة الوزير الإشراف على منطقة ديار بكر، والموصل وماردين، وظلم أهلها،

(١) اقسرائي: المصدر السابق، ص١٦٠.

(٢) اقسرائي: المصدر نفسه، ص١٦٠ ١٦١. Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 594.

(٣) سعد الدولة بن هبة الله (وقيل صفي الدولة) بن مهذب الدولة الأبهري، أبعد من بغداد إلى بلاد فارس، فدخل ضمن أطباء الإيلخان آرغون وفيهم بعض اليهود، واستطاع التقرب من الإيلخان، الذي جعله مشرفاً على تحصيل الضرائب في بغداد. فحقق نجاحاً كبيراً، فازدادت ثقة الإيلخان به، حتى جعله صاحب الديوان، وفوض إليه أمور الدولة كلها جليلها وحقيرها. وأشاد به الهمذاني وبكفاءته الإدارية، لكن الهمذاني نفسه كان من أهل ملته قبل إسلامه. جامع التواريخ، ج٢، ق٢ ص١٣٨ ١٣٩ ؛ ١٥١، ١٥٣، كتاب الحوادث، ص٢٧٨، ٢٨٨.

(٤) غازان وقيل قازان بن آرغون أصبح ايلخاناً فيما بعد. انظر ما يلي من هذا البحث.

وصادر أموال الأغنياء والتجار، ولم يجد من يردعه عن أفعاله الذميمة"[1]. وبنى الوزير سياسته على ابعاد المسلمين عن وظائف الدولة، والوشاية بهم عند الإيلخان وتشكيكه في نواياهم، واتهامهم بعدم الاخلاص، وبأنهم السبب وراء كل مشكلة تعاني منها الدولة المغولية"[2].

وفي آسيا الصغرى ضج الناس من سياسة الوزير فخر الدين قزويني، كما تفاقمت المنافسة بينه وبين شريكه النائب مجير الدين أمير شاه، ووصلت الأنباء بذلك إلى الايلخان ووزيره اليهودي، الذي كان ناقما على فخر الدين القزويني، رغم أن العلاقة بينهما كانت في البداية حسنة، حتى قيل أن القزويني جاء إلى تبريز لتهنئة صديقه سعد الدولة اليهودي بحصوله على منصب الوزارة"[3]. وأنه عندما شعر باعراضه عنه، وتغيره عليه، قدّم إلى الايلخان قائمة بالنفقات الايلخانية وطرق صرف الأموال في كل اقليم من أقاليم الدولة، وهو بذلك يستعرض خبرته ودرايته في الشئون الحالية وفي الوقت نفسه يعرّض بادارة الوزير اليهودي ويحاول اظهار تقصيره وجهله بتلك الأمور"[4].

لكن الراجح - والله أعلم - أن سعد الدولة وزير الإيلخان، كان يتحين الفرص للتخلص من فخر الدين القزويني، باعتباره منافساً خطيراً له في منصب "صاحب الدنيوان"، لثقة المغول فيه، ونجاحه الكبير في وظيفة الاستيفاء التي كان يشغلها."[5]. وقد واتته فرصة لعزل فخر الدين القزويني من الوزارة في بلاد الروم، وأيضاً لعزل نائب الحضرة العليا بها (مجير الدين)، وتعيين خليفتين لهما يكونان من أتباعه وذلك عندما وصلت إلى العاصمة أنباء تدهور الأوضاع في

---

(١) وعيّن أخاً له آخر على بغداد، فتولى الإشراف على شئونها. انظر: ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٥٩، ٣٦٢ ؛ الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٥٢.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٦٤ ؛ ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان، ج١، ص٩٦ ؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٣٥١.

(٣) قزويني: تاريخ كزيدة، ص٢٧٥. وقد انفرد بهذه الرواية، وهو ابن عم الوزير وكثيراً ما يشيد بعمله وما يسميه "عدله"، ويقدح في خصومه.

(4) Howor th: op. cit. iii , p. 313.

(٥) قزويني: تاريخ كزيده، ص٣٠٠.

آسيا الصغرى، وأقنع سعد الدولة الإيلخان، فأصدر أمره باعتقال الوزير فخر الدين القزويني، والنائب مجير الدين أمير شاه، وحملها مكبلين بالأغلال إلى العاصمة تبريز، وتصدى لهذه المهمة أمير مغولي يدعى "بغدي بن غوجي"[(1)] واستُدعي أيضاً قادة الحامية المغولية في المنطقة ليتم التحقيق معهم في إطار تلك القضية.[(2)]

وباشراف الوزير اليهودي، بدأ التحقيق مع الوزير فخر الدين القزويني وأُدين بما نسب إليه من عسف وسوء في الادارة، وجاء أحد ثقات[(3)] الإيلخان من آسيا الصغرى، وشهد على الوزير وأنصاره، ووصف ما اقترفوه من ظلم وجرائم في حق الرعية، فلاقى ذلك كله هوىً في نفس الوزير اليهودي، ولم يجد كبير عناء في استصدار أمر ايلخاني.بإعدام فخر الدين القزويني ونفذ الحكم في ساحة عامة في تبريز في رمضان سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م[(4)].

أما المتهم الآخر، النائب مجير الدين أمير شاه، فتمت محاكمته هو وأعوانه مرتين، الأولى في آسيا الصغرى، وتحديداً في سيواس، حيث بُرأت ساحة بعض مستشاريه، وأطلق سراحهم، فيما نقل هو إلى تبريز، مع شريكه في التقسيم، الوزير فخر الدين، ويقال أن الوزير سعد الدولة كان تواقاً أيضاً إلى معاقبة النائب بنفس الطريقة التي عوقب بها الوزير، إلا أنه نجا من ذلك بفضل شفاعة قطب الدين الشيرازي، قاضي سيواس.الذي

---

(١) هكذا ورد الاسم عند اقسرائي والمولوي، ولعله الأمير بوغداي ويكتب أيضاً: بوقداي بن الأقتاجي والذي كان من أعوان آرغون المخلصين منذ نزاعه مع عمه السلطان أحمد تكودار ونال في عهد منزلة رفيعة. الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٩٩، ١١٠ ؛ ١٥٠، ١٧٨.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ أ ؛ اقسرائي: مسامرة الأخبار، ص١٥٦-١٥٩. الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٥٧. وذكر أنه اعتقل معهما أيضاً شخص يدعى ابن حاجي ليلى ولم يحدد الوظيفة التي كان يشغلها.

(٣) وهذا الرجل يدعى: شمس الدين القونوي، ولم أعثر على ترجمة له.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٧٥ ؛ وذكر مقتل المعتقل الثالث ابن حاجي ليلى قبله بأسبوع. وفي بعض الروايات أن الاعدام تم سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م. المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ أ ؛ الصياد: الشرق الاسلامي، ١٧٣.

اجتمع بالايلخان[1] وفنّد كل الادعاآت التي كان يروج لها سعد الدولة اليهودي ضد مجير الدين.[2] لكن النائب عُزل من منصبه، ووعد الإيلخان باعادته إليه ثانية، لذلك بقي مجير الدين في تبريز مدة، ولما توترت بها الأجواء بسبب مرض الإيلخان آرغون وعقد الأمراء المغول العزم على التخلص من الوزير اليهودي، خشي مجير الدين على نفسه، وغادر تبريز عائداً إلى آسيا الصغرى دون أن يحصل على مرسوم باعادته إلى النيابة[3].

أما القادة المغول الذين تم استدعاؤهم من آسيا الصغرى، على ذمة هذه القضية، فسمح لأحدهم وهو آقبوقا، بالعودة إلى عمله، فيما مُنع الباقون ومكثوا في تبريز[4].

ولم ينتظر وزير الإيلخان (سعد الدولة) نتائج التحقيق مع مجير الدين أمير شاه، بل سارع إلى تعيين رجل فارسي أيضاً ليشغل منصب وزارة دولة سلاجقة الروم، وهو شمس الدين أحمد لاكوشي، بينما أعطيت وظيفة النيابة إلى أبناء "قلاووز"، وبالطبع دون استشارة السلطان مسعود الثاني بن كيكاوس الثاني[5].ويبدو أيضاً أن الأمير كيخاتو المشرف على المنطقة في هذا الوقت استمر على موقفه السلبي وانشغاله بالملاهي عن هذه الأمور التي تمس آسيا الصغرى بشكل مباشر.[6] وبتلك التعيينات تنتهي فترة تقسيم البلاد البلاد بين الوزير والنائب السابقين، وعادت الوحدة الادارية للبلاد من جديد.

(١) وهو اللقاء الذي عرض فيه القاضي على الإيلخان خارطة لآسيا الصغرى، انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ أ ؛ الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٧٥.

(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ أ ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص ١٧٢.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٧٥.

(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ أ. اقسرائي: المصدر السابق ١٧٣.

(٦) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

أما والوزير أحمد لاكوشي عدّه أحد الباحثين من أشهر وزراء سلاجقة الروم في أواخر عهدهم، لشغله هذا المنصب أكثر من مرة[1].لكنه في هذه الفترة كان ينفذ تعليمات الوزير اليهودي سعد الدولة.[2] حتى جعله أحد المؤرخين مشاركاً له في وزارة سلاجقة الروم[3].

وما أن وطئت أقدام الوزير والنواب الجدد أراضي آسيا الصغرى، حتى شرعوا في التعدي على حقوق الأفراد والدولة على حد سواء، وبإيعازمن الوزير اليهودي سعد الدولة، استُرجعت أراضٍ كان السلطان قلج أرسلان الرابع قد منحها في عهده لبعض أنصاره، فصودرت منهم وأعيدت إلى ملكية الدولة الإيلخانية، وأطلق عليها مسمى "أراضي الميري"[4].

والخطوة التالية بعد تلك المصادرة هي البيع، بيعها على أعيان البلاد وتجارها "حتى صارت أكثر بلاد الروم مملوكة لهم" وهناك من يلتمس له العذر في ذلك، بحجة أن دخل البلاد لا يكفي حاجة الأمراء والجند المغول وغيرهم، وهذا العجز يزداد مع الأيام تفاقماً، وليس هناك دواء أنجع من سياسة المصادرة واعادة البيع.وعُدّ ذلك من أسباب الحفاظ على ممتلكات الدولة السلجوقية، والفضل فيه يعود إلى الوزير أحمد لاكوشي وسياسته[5].ويؤيد أحد الباحثين هذا الرأي، بحجة أن أصحاب الأراضي والإقطاعات أخذوا يتنافسون في الحفاظ على ما بأيديهم، حتى لا تصادر منهم، بذريعة التكاسل والاهمال، بل إنهم أخذوا يتبارون في الإعمار والتطوير[6].

(١) أحمد توني: المرجع السابق، ص٢٩٠.
(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ أ ؛ اقسرائي: مسامرة الأخبار، ص١٧٢.
(٣) قزويني: تاريخ كزيدة، ص٣٠١.
(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١أ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص١٧٢-١٧٣.
(٥) قزويني: تاريخ كزيدة، ص٣٠١.
(٦) أحمد توني: المرج السابق، ص٢٩٠.

لكن النتيجة الحتمية أن الوزير لاكوشي والنواب أبناء قلاووز* وجدوا أنفسهم عاجزين عن تسديد ما تعهدوا به، والحل دائماً - في مثل هذه الأحوال - فرض المزيد من الضرائب ومصادرة الأموال والممتلكات، وعلى الرعية يقع العبء الأكبر في توفير ذلك، ولم يقتصر الأمر على الوزير والنواب بل شاركهم بقية الموظفين وقادة العساكر المغولية بكافة مراتبهم العليا والدنيا[(١)]، باستثناء القائد العجوز سماغر والذي كان لا يزال صاحب نفوذ في المنطقة، فقصده الناس واستجاب لهم، واستعاد أملاكاً وأراضي تمت مصادرتها وأعادها إلى أصحابها، ومنع النواب أبناء قلاووز من التعدي على حقوق الناس، لكن نصرة الحق هذه لم تستمر طويلاً إذ لم يلبث أن غادر سماغر المنطقة متوجها إلى تبريز، فعادت الأوضاع إلى ما كانت عليه، وعاد النواب إلى طريقتهم السابقة من النهب والسلب[(٢)].

وينحي المؤرخ اقسرائي باللائمة في الظلم الذي عم بلاد سلاجقة الروم في آسيا الصغرى خلال هذه الفترة، على سعد الدولة وزير الإيلخان[(٣)].

وإذا كان هذا على صعيد السياسة الداخلية، فإن سياسة الدولة الإيلخانية على الصعيد الخارجي تغيرت أيضاً بتوجيهات من الوزير نفسه، فقد انتهت فترة الهدوء القصيرة التي خيمت على الحدود بين بلاد الشام الخاضعة للمماليك وآسيا الصغرى التابعة للمغول والتي بدأت بتولي السلطان أحمد

---

* ذكرت بعض الروايات اسم أحد أبناء قلاووز ويدعى طومان، كما ذكرت أنه تأثر بالطريقة المولوية واعتنقها، انظر :. Eflaki: op. cit. s. 844 – 847

وسبقت الإشارة إلى أن أحد الذين اعترف ابن الخطير للمغول بأنهم شاركوه في تمرده يدعى "سيف الدين قلاوز" وهو أمير شكار. لكن يبدو أن لا علاقته بينه وبين ابناء قلاووز هؤلاء، فهم قادمون من بلاد فارس. وليسوا من بلاد الروم.

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ أ ؛ اقسرائي: المصدر السابق ١٥٦ــ ١٥٧؛ ١٥٩؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 595-596.

(٢) المولوي صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١أ ؛ اقسرائي المصدر السابق: ص١٥٧– ١٥٩؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 596.

(٣) مسامرة الأخبار، ص١٦٠ ؛ وانظر أيضاً: المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ أ.

تكودار عرش الإيلخانية وعادت الغارات والهجمات إلى الظهور من جديد[1].بل إن الإيلخان آرغون جدد اتصالاته بالفرنجة في أوربا لإقامة تحالف صليبي مغولي لمحاربة الدولة المملوكة عن طريق قواعد المغول في آسيا الصغرى والصليبيين في الشام[2]

لكن سياسة الوزير اليهودي سعد الدولة كانت وبالاً عليه، وتسببت في ظهور أعداء له من كافة عناصر الدولة الإيلخانية، منهم أمراء وقادة مغوليون، وانتهزوا فرصة مرض الإيلخان وعجزه عن الحركة وانقضوا على وزيره سعد الدولة فقتلوه ولم يكتفوا بذلك، بل تتيعوا أعوانه وأنصاره وأهل بيته وملته وقتلوا من امسكوا به منهم، ولم يلبث أن لحق به سيده الإيلخان آرغون بن آباقا، إذ وافته منيته بعد صراع مع المرض وذلك في صفر سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م[3].

عهد كيخاتو (٦٩٠ - ٦٩٤ هـ/ ١٢٩١ - ١٢٩٤م):

على أثر وفاة آرغون، عكف المسؤولون والامراء على انتخاب ايلخان جديد للدولة، كان هناك ثلاثة من المرشحين، هم: كيخاتو أخو الإيلخان السابق، وغازان بن آرغون، وابن عمه بايدو.ولكل مرشح أنصار ومؤيدون، وفي نهاية المناقشات رجحت كفة أنصار كيخاتو، وتم انتخابه لذلك المنصب[4].

---

(١) أنظر: ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص٦٧، ١٣٤ ؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، الطبقة ٦٩، ص١٦.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان: ص٣٦٥، حيث ذكر أن وفود الفرنجة والبابا كانت تتقاطر على الأمير كيخاتو في آسيا الصغرى تطلب التحالف لمحاربة المماليك. وانظر أيضاً: عادل هلال: المرجع السابق، ص ١٢٤-١٢٦ ؛ Howorth: op. cit. iii , p. 551 - 552.

(٣) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٦١ ؛ وذكر أن الوزير اليهودي حوكم في دار الأمير طغاجار. وانظر أيضاً: ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٦٤ ؛ ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان، ج١، ص٩٦.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٧٢ ؛ الصياد: الشرق الاسلامي، ص٢٠٧.

كان كيخاتو لا يزال - كما سبق ذكره - مشرفاً على منطقة آسيا الصغرى ومقيماً بها، لكن موقفه اتسم بالسلبية في معظم الحوادث التي شهدتها المنطقة، خاصة ما يتعلق منها بالأمور الإدارية والمالية، ولا يظهر نشاطه إلاّ في النواحي العسكرية، والمواجهات مع التركمان[(1)].

وجاء إلى المنطقة وفد من الأمراء المغول، طالبين من كيخاتو المسير معهم إلى تبريز ليعتلي عرش الدولة ويمارس مهام عمله الجديد[(2)].

عندما جاءت الأنباء إلى كيخاتو بوفاة آرغون وانتخابه خليفة له، كان هو يقوم بزيارة إلى السلطان السلجوقي في العاصمة قونية.وكان الأهالي قبل دخوله العاصمة وجلين من قدومه بعساكره، لتجاربهم السابقة مع الجنود المغول، لكن دماثة خلق القائد كيخاتو، وحسن الاستقبال الذي قوبل به والذي أشرف عليه السلطان مسعود الثاني والمستوفي ناصر الدين[(3)]، وتوفير مستلزمات الجنود دون التسبب في زيادة متاعب السكان، أثارت اعجاب المغول وقائدهم كيخاتو، الذي أثنى كثيرا على المسؤولين في بلاد سلاجقة الروم، وخص منهم بالثناء، المسوتوفي ناصر الدين[(4)].

بعد انتهاء الزيارة، كان كيخاتو قد اكمل استعداداته للرحيل، وخرج السلطان والمسؤولون والأعيان لوداعه، وساروا في ركابه حتى آقشهير.وهناك و دعوه، وقد أوصى كيخاتو المستوفي ناصر الدين بالاستمرار في عمله، وأطلعه على نيته بترقيته إلى مرتبة الوزارة في دولة سلاجقة الروم، ودعمه بإثنين من

---

(١) انظر ما سبق ص ؛ وأيضاً ما يأتي ص من هذا البحث.

(٢) المولوي صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ ب ؛ Anonim Slçuk-nâme. s. 77 – 79 ; Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 604.

(٣) ناصر الدين محمد يولاف أرسلان أوغلو، عينه السلطان مسعود الثاني مستوفياً بعد انتهاء وزارة فخر الدين

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١أ ؛اقسرائي: المصدر السابق، ص ٢٧٩.

القادة العسكريين المغول، وحثّه على توخي العدل والانصاف، وأطلق يده في معاقبة مثيري الفتن والمخلين بالأمن والنظام من التركمان وغيرهم(٥).

ولما سمع المسؤولون والأمراء وأعيان الدولة الإلخانية في بلاد فارس، بأن الإيلخان الجديد في الطريق إليهم، خرجوا لاستقباله، والتقوا به في نواحي خلاط في أطراف آسيا الصغرى، حيث عقد هناك "القولتاري" والذي أُعلن فيه رسمياً تنصيب كيخاتو ابن آباقا إيلخاناً للدولة، في شهر رجب سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م(١).

وظن ابن العبري أن كيخاتو لم يكن راغباً في الملك معللاً ذلك بأن كيخاتو "كان في ولايته "يقصد آسيا الصغرى" راتعاً في بحابح الطمأنينة والسلام، يأكل ويشرب ويتقلب في ملذات الدنيا، ولا سيما أنه شاهد الملكين الذين سبقاه توفيا في شرخ الشباب ولم يشبعا من الدنيا"(٢)(٣) بل إن المؤلف ذهب أبعد من ذلك، وذكر أن كيخاتو تخلى عن عرش الإيلخانية مكتفيا بولايته التي كان عليها، وترك بلاد فارس وجاء إلى آسيا الصغرى ثانية بعد أن قطع على نفسه عهداً للأمراء المغول بالرجوع إلى العاصمة بتبريز والتربع على عرش الدولة بعد مضي سنة(٤).

لكن الهمذاني - وهو مؤرخ القوم - ذكر أن كيخاتو عندما علم بانتخابه ايلخاناً، جاء إلى بلاد فارس "مسرعاً" حيث سُلمت إليه مقاليد العرش(٥)، لكن الظروف اضطرته إلى العودة إلى بلاد الروم في آسيا الصغرى بعد أن

---

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ أ ؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 604.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٧٣ ؛ خواندمير: حبيب السير المجلد الثالث، ص ١٣٤-١٣٥.

(٣) يقصد كلاً من: السلطان أحمد تكودار، والإيلخان آرغون بن آباقا.

(٤) تاريخ الزمان، ص٣٦٥.

(٥) جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٧٢. وانظر أيضاً: كتاب الحوادث الجامعة الجامعة، ص٣٧٥ ؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٢٥٥ ؛ الصياد: الشرق الاسلامي، ص٢٠٧.

أصبح إيلخاناً[١(٥)]، وجاءت هذه العودة في السنة الأولى من حكمه، وتحديداً بين حفلي تتويجه رسمياً، إذ كان من تقاليد المغول تتويج الحاكم في حفلين يفصل بينهما سنة كاملة[٢(٦)]وهذا الذي جعل ابن العبري يعتقد أن كيخاتو بعد تتويجه الأول ترك العرش وجاء إلى آسيا الصغرى، وبعد عودته تم تتويجه للمرة الثانية، فظن أن هذا الأخير تتويجاً جديداً وأن الإيلخان كان متعلقاً بولايته الأولى عازفاً بسببها عن تسم أعلى منصب في الدولة المغولية في بلاد فارس وتوابعها.

وبعد وصول الإيلخان كيخاتو إلى عاصمة ملكه، أرسل يرليغاً إلى السلطان مسعود الثاني، يقره فيه على سلطنته، ويرليغاً آخر بتعيين نجم الدين علي[٣(١)] وزيراً في دولة سلاجقة الروم[٤(٢)]ويبدو أنه أبقى ناصر الدين على وظيفته السابقة وهي الاستيفاء، لأن الشئون المالية خاصة قطاع معقد، وإذا أصابه الخلل عم جميع قطاعات الدولة، ولمعرفته السابقة بكفاءة ناصر الدين في هذه الناحية ولثقته به تركه على تلك الوظيفة، رغم وعده له بتوليته الوزارة كما أسلفنا[٥(٣)].

وبتعيين نجم الدين على وزيراً، تكون قد انتهت الفترة الأولى من وزارة شمس الدين أحمد لاكوشي، كما انقضت فترة نيابة أبناء قلاووز الذين جاءوا معه.ورغم أن ناصر الدين كان مستوفياً إلا أنه حائزٌ على ثقة الإيلخان، وكذلك قادة الحامية المغولية في المنطقة فضلاً عن ثقة السلطان السلجوقي وأمراء دولته[٦(٤)]

---

(١) انظر ما يلي من هذا البحث.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٧٧ ؛ وانظر أيضاً: ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٤٥٧.

(٣) لم أجد ترجمة له، فيما توفر لدي من مصادر.

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ ب ٥٩٢ أ ؛ اقسرائي: المصدر السابق ص٧١ ؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 602.

(٥) انظر ما سبق ص.

(6) Turan: Op. Cit. s. 604.

وخلافاً لنظرائه من الموظفين الفرس، فقد انتهج ناصر الدين سياسة متزنة ومتعقلة، وكان يستشير من حوله في عملية تحديد مقادير الضرائب، وطرق جبايتها من المدن والأقاليم المختلفة، رغم أنه كان مُطلق اليد في الشئون المالية ومَنَع الجنود المغول من التعدي على حقوق الناس، والسعي في الأرض فساداً، خاصة في العاصمة قونية، مع توفير متطلباتهم دون نقص أو تقصير، وكان يكثر من مجالسة العلماء والعقلاء من الناس، ويأخذ أراءهم فيما يعتزم الأقدام عليه من اجراءات، فشعر الناس بشيء من الهدوء والسلام والاستقرار"[1].

لكن عهد ناصر الدين المستوفي، امتداد لعهد سابق، من حيث استمرار الصدامات العسكرية بين التركمان وبعض العناصر المحلية من جهة، وجنود المغول من جهة أخرى"[2]، مما أجهض كل محاولات اعادة البناء، التي اعتزم المستوفي ـ بمباركة من السلطان السلجوقي ووزيره ـ تنفيذها"[3]، وقد علق المولوي على ذلك بقوله: "فإذا كان الأمر كذلك فكيف يتصور النظام والانتظام"."[4]

وأجبرت الفتن والثورات في آسيا الصغرى الإيلخان كيخاتو على القدوم بنفسه على رأس جيش كبير إلى المنطقة"[5]، حيث استقبله في قيصرية السلطان السلجوقي مسعود الثاني ورجال دولته وبعد اعتقاده بنجاح مهمته، قفل الإيلخان عائداً إلى بلاد فارس، ومرض في الطريق، وأُرجف بموته، لكنه

ويقال إن كيخاتو خاطبه قائلاً " كنت محط ثقتي حتى الآن، ومن الآن فصاعداً أنت نائبي، كل الأمراء سيقدرونك، وسيقفون لك احتراماً، وأنت بدورك ستضمن أن يشرب الحمل والذئب من مكان واحد، من غير خوف على الحمل من الذئب " Anonim selcuk- name. s. 79- 80.

(1) Anonim Slçuk-nâme. s. 79 – 82 ; Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 603.

(٢) انظر ما يلي ص من هذا البحث.

(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٢ أ، اقسرائي: المصدر السابق، ص ١٨٠.

(٣) صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠ ب.

(٤) انظر ما يلي ص من هذا البحث.

شُفي وواصل طريقه، ووصل إلى العاصمة تبريز حيث أقيم الاحتفال الثاني بتتويجه في رجب سنة ٦٩١هـ/ يونيو ١٢٩٢م[(٦)١].

انتهز التركمان ـ وغيرهم من الثوار ـ انسحاب الإيلخان من آسيا الصغرى فهاجموا المدن والبلدات وعاثوا فيها فساداً[٢(٧)]. كما أن المماليك ـ الأعداء الألداء للإيلخانيين ـ حققوا في هذه الفترة نصراً مهماً على المغول، واستعادوا منهم قلعة الروم[٣(١)]. وأغارت بعض فرق جيشهم على مدينة سيواس في آسيا الصغرى. لكن الحامية المغولية في المدينة، وبمساعدة من الأهالي استطاعت صد الهجوم، وتكبيد المهاجمين بعض الخسائر[٤(٢)]. كما أن ملطية تعرضت بدورها ـ في هذه السنة ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م ـ لهجوم من العساكر المملوكة في حلب.[٥(٣)] وشجعت الانتصارات التي حققها المماليك على الصليبيين[٦(٤)]، السلطان الأشرف خليل[٧(٥)]. على التهديد بغزو آسيا الصغرى[٨(٦)]، وهو تهديد أخذه المغول على محمل الجد، فبعثوا المزيد من العساكر لتعزيز قواتهم في آسيا الصغرى، كما وفد أيضاً قادة جدد، منهم: "تايجو أغول TAIGU AGUL "[٩(٧)]،

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٧٧.

(٢) انظر ما يلي ص من هذا البحث.

(٣) استولى السلطان الأشرف خليل بن المنصور قلاوون(٦٨٩ - ٦٩٣هـ/ ١٢٩٠ - ١٢٩٣م) على قلعة الروم من أيدي الأرمن وحلفائهم المغول في رجب سنة ٦٩١هـ يونيه ١٢٩٢م وسماها قلعة المسلمين، بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص ٢٦٧-٢٦٨ ؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٣٦٢-٣٦٣، وقلعة الروم قلعة غربي نهر الفرات مقابل البيرة، بينها وبين سميساط. ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص١٦٤.

(٤) اقسرائي: المصدر السابق، ص١٧١ ١٧٢.

(5) Anonim Slçuk-nâme. s. 88,Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye S. 603

(٦) استطاع المماليك تطهير سواحل الشام من الوجود الصليبي سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩٠م. انظر: بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٢٦٣؛ التحفة الملوكية، ص ١٢٨ ؛ عبد الله الغامدي: المرجع السابق، ص٢٧٢ــ ٢٨٤.

(٧) السلطان الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون الثامن من سلاطين دولة المماليك البحرية، والثاني من أسرة قلاوون، بويع بالسلطنة بعد وفاة والده ٦٨٩/ ١٢٩٠م، وجاهد الصليبيين، واستعاد منهم عكا وجميع سواحل بلاد الشام، قتله المماليك سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م. بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٢٥٣، ٢٧٥ ؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج١، ص١٣٦-١٦٨.

(٨) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص١٢٤.

(٩) تايجو أغول نوين، ابن منكوتيمور. الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٧٨.

و"طغاجار"[(٨)١] TUGACHAR ، و"بوغبداي (بوقداي)"[٢(٩)] وتماجي إيناق TAMAGIINAK [٣(١٠)].

وبعد مغادرته آسيا الصغرى، اتخذ الإيلخان كيخاتو قراراً، بتعيين "طاش تيمور الخطائي" قائداً للحامية المغولية في آسيا الصغرى، إضافة إلى وظيفته الأساسية، وهي "الإيالة" التي سبقت الإشارة إليها[٤(١)]، ولم تشر المصادر المصادر إلى مصير القائد العتيد سماغر، وهل عُزل عن القيادة؟ أم أن القائد الجديد، جاء لمساعدته.

وفي نطاق تلك الاحترازات أيضاً.أقر الإيلخان كلاً من مسعود الثاني، والوزير نجم الدين علي، والبكلريكي عز الدين محمد (أخا البروانه) على وظائفهم، وأُعيدت نيابة الحضرة العليا، إلى مجير الدين أمير شاه[٥(٢)].ولم يرد في المصادر شيءٌ بشأن المستوفي ناصر الدين، مما يرجح احتفاظه بمنصبه.

أما في تبريز، عاصمة الدولة الإيلخانية، فقد فاز صدر الدين الزنجاني[٦(٣)]، بمنصب الوزارة، بعد منافسة قوية، مع شمس الدين أحمد لاكوشي، الوزير السابق في دولة سلاجقة الروم.وحصل الزنجاني على هذا المنصب، بفضل الأموال الطائلة التي دفعها، والهدايا والرشاوي التي قدمها

---

(١) طغاجار بن قوتو بوقا، كان والده من أمراء هولاكو خان، وقتل في المعركة. التي جرت بين قوات هولاكو، وقوات بركة. خان سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م. وأصبح ابنه طغاجار من أكابر المغول الإيلخانيين، ويرد الاسم بصيغ متعددة، وأخذنا بما ورد عند الهمذاني، انظر: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٤.

(٢) بوقداي "بو غداي"، هو نفسه الاقتاجي السابق الذكر، انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٣) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٧٨.

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ أ ب القسرائي: المصدر السابق، ص١٨٢. وانظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ أ-ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص١٨٢

(٦) صدر الدين أحمد الخالدي الزنجاني، كان من المتأمرين على الأسرة الجوينية، نال مرتبة رفيعة في عهد كيخاتو، ثم في عهد غازان، وسمى نفسه "صدر جهان" أي صدر العالم. وما ت مقتولاً سنة ٦٩٩هـ/١٣٠٠م. الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢ ص٨٠، ١٧٦-١٧٩ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٢٨٧-٢٨٩.

للمسؤولين المغول، ثم قام بتعيين أخيه قطب الدين[١(٤)]، رئيساً لقضاء الدولة الإيلخانية كلها، وأخيه الآخر زين الدين[٢(٥)]، قاضياً لقضاة بغداد، وابن عمه قوام الملك[٣(١)]، مشرفاً على حكومة العراق.وباشر كل واحد منهم عمله الجديد منذ أواخر سنة ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م.[٤(٢)]

وتبع تلك التعيينات، صدور أمر إيلخاني بعزل جميع الأمراء والحكام والعمال[٥(٣)] والكتاب في الدولة الإيلخانية من مناصبهم، وتفويض اعادة تعيينهم، أو تعيين بدلاء عنهم إلى الوزير صدر الدين الزنجاني، وهي سلطة واسعة لم يحظ بها وزير قبله في الدولة الإيلخانية[٦(٤)].ويبدو أو الوضع في آسيا الصغرى لم يطرأ عليه تغيير كبير إثر التفويض المشار إليه، بل إن الإيلخان عندما وصل إلى عاصمته قادماً من آسيا الصغرى، كتب يراليغاً يُقرّ فيها السلطان السلجوقي وكبار موظفيه على وظائفهم السابقة، وربما كان هذا مكافأة لهم لما بذلوه من جهد في محاربة التركمان وقمع ثوراتهم[٧(٥)].

لكن الحقيقة التي لا جدال فيها.أن السلطان السلجوقي وكل الموظفين في دولته، ليسوا إلا أدوات في أيدي السلطة المغولية تحركها حيث تشاء، ولم تكن سلطتهم تمتد إلى الجنود المغول المرابطين في المنطقة، فضلاً عن القادة،

---

(١) قطب الدين أحمد الخالدي الزنجاني، أخو صدر الدين، أطلق عليه لقب "قطب جهان" أي قطب العالم، قتل بعد أخيه "صدر جهان" بيوم واحد. انظر: تاريخ وصاف، ص٣٤٦ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٢٨٦.

(٢) زين الدين الأخ الثالث لصدر الدين وقطب الدين. ولم أعثر له على ترجمة سوى أنه لاقى المصير نفسه الذي لقيه أخواه. كتاب الحوادث، ص٤٩٥.

(٣) قوام الملك، لقب لابن عم صدر الدين الزنجاني، وهو الذي أطلق عليه ذلك اللقب. وأيضاً شارك أبناء عمه الثلاثة مصيرهم. الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٧٩.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٧٩.

(٥) العمال: جمع عامل: وهو الذي يتولى أمور الرجل، في ماله وملكه وعمله. المعجم الوسيط، ج٢، ص٦٢٨.

(٦) تاريخ وصاف، ص٢٦٩ ٢٧٠ ؛ البدليسي (شرف خان): شر فنامه. نقله إلى العربية: محمد علي عوني، مراجعة وتقديم: يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٦٢م، ج٢، ص١٢.

(٧) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص١٧٨.

الذين استغلوا نفوذهم، والصلاحيات التي منحت لهم، فكانوا يقطعون الأراضي لمن شاءوا، وينزعونها ممن أرادوا، وربما عينوا في كل شهر نائباً للاقطاع، ويقسمون الاقطاع الذي يكفي لشخص واحد بين عشرة أشخاص[(1)].

وأخيراً أقدمت السلطات المغولية خلال هذه الفترة على القضاء على ما تبقى من إدارة وجيش لدولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، وذلك عندما سُرح الجنود، وصودرت أراضي "نظام الميري" ومنحت للقادة المغول، وكبار رجال الدولة وتحول اسمها إلى آراضي "انجو INJU" وهو نوع من الملكية الفردية الخاصة، وتشمل مدناً وبلدات وأراضي شاسعة، واستحدث لإدارتها نظام جديد أطلق عليه اسم الدالاي "Da Lay"[(1)] وزاد الطين بلة، سوء استخدم هذا النظام ودخول اقطاعيين جدد فيه، مما أدى إلى ارتفاع مستمر في نسب الضرائب[(2)].

إن هذا التغيير دمرّ نظام الاقطاع السلجوقي القديم، والذي كان يوفر للسلطان قوة محاربة يناهز عددها مئة ألف رجل[(3)]. عدا ما كان ينضم للجيش من محاربين من الفرنجة، والكرج، وغيرهم من النصارى، والمرتزقة، وفرقة الأتراك المجلوبين من بلاد نصرانية، والذين تتم تنشئتهم منذ الصغر، على تعاليم الإسلام، في مدارس خاصة، والتي على غرارها تشكلت فيالق "الإنكشارية"[(4)] في الجيش العثماني وكان هذا النظام، يوفر للدولة

---

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص١٨٠.

(٢) الدالاي: يقصد به ادارة الأملاك الخاصة. Cahen: pre of ottoman Turkey. p. 321.

(3) Ibid. p. 321 – 322.

وانظر أيضاً: اقسرائي: المصدر السابق، ص١٨٠-١٨٦. Turan , osman: D roit terricn sous les Seldjoukides de T urquie , R. E. IsL. (1948). trk. s. 30 – 32.

(4) Cahen: pre of ottoman Turkey. p. 322.

(٥) الإنكشارية، وبالتركية "يكيجرى" ومعناها الجنود الجدد، أو النظام الجديد، وهم فرق المشاة النظامية التي تكونت في الجيش العثماني منذ القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي. ويتم جلبهم أطفالاً من بلاد النصارى، وينشأون على التعاليم الإسلامية، والتدريب العسكري، وكانوا في فترة من الفترات، أعظم الفرق العسكرية في التاريخ، وعلى أكتافهم قامت الفتوحات العثمانية الواسعة، ولعدة

السلجوقية، قوة محاربة، يربو عددها على اثني عشر ألف مقاتل[1].ناهيك عن اسطول بحري كان يوصف بالقوة والعظمة.[2]

نتيجة لذلك، تحول الجنود والموظفون المسرحون من جيش سلاجقة الروم، إلى عاطلين عن العمل، وربما دفعتهم حاجتهم للمال، وتوفير متطلبات الحياة اليومية، إلى سلوك طريق الاجرام، وتكوين العصابات، وقطع الطرق، أو التحول إلى مرتزقة مستعدين للإنخراط في أي ثورة أو تمرد ضد السلطة الحاكمة"[3].

وقد صور المولوي الوضع بعبارات قليلة وموجزة حيث قال: "...لم يبق لسلاطين الروم جيش ورجال لفقدان الخزائن والأموال، وارسال حواصل اقطاعات الجيش إلى ملوك التتار"[4].

ولم تزعج تلك النتائج السلطات المغولية كثيراً؛ بل مضت قُدماً في تعزيز وجودها في آسيا الصغرى، وتولت حاميتها في المنطقة المهام التي كان يقوم بها الجيش السلجوقي المنحل، وبناءً عليه ازدادت قوة تلك الحامية وأهميتها، ورأى قادتها أن من حقهم التدخل في النزاع بين الأمراء المغول حول أحقية كل منهم بتولي عرش الدولة الإيلخانية"[5].

ولو لم تقدم السلطات المغولية على اجراء تسريح ما تبقى من الجيش السلجوقي، لكانت محاولات انعاشه غير ذات جدوى أصلاً.لأن الأزمات المالية المزمنة كانت كفيلة بتدمير كل محاولة للإصلاح.[6]

قرون. أحمد مصطفى: المرجع السابق، ص١٢٤ ١٢٧ ؛ دائرة المعارف الإسلامية، ج٥، ص١١١-١١٦. Cahen: pre of ottoman Turkey, p. 322 - 323.

(١) أحمد مصطفى: المرجع السابق، ص ١٢٤-١٢٧.

(٢) لسترنج: المرجع السابق، ص١٧٥.

(3) Cahen: pre of ottoman Turkey p. 323 – 324.

(٤) صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠ ب.

(5) Cahen :Op. Cit. . p. 324.

(6) Cahen: pre of ottoman Turkey. p. 324 – 325.

وجاء للاشراف على النظام الجديد في آسيا الصغرى، اثنان من الموظفين أحدهما عسكري وهو تايجو أغول[٧]، والآخر مدني هو حسن

بيه[٢(١)].والأول مسؤول عن الأراضي المخصصة للقادة والزعماء المغول، والآخر مسؤول عن "الأملاك العامة" وهي الأراضي المخصصة للدولة الإيلخانية، وباشر الرجلان عملهما سنة ٦٩٢ هـ/ ١٢٩٣م[٣(٢)].

ولا شك أن مجيئمها يسلب المزيد من السلطات من أيدي السلطان السلجوقي وبقية موظفي دولته.

ولا زال بالإمكان ملاحظة تعيين أكثر من موظف واحد للإشراف على هذه المنطقة، وكل موظف كبير من هذا الطراز، يأتي في معيته حاشية كبيرة من المستشارين والمساعدين.

ولم يحد تايجو أغول وحسن بيه عن نهج من سبقهما من كبار الموظفين القادمين إلى آسيا الصغرى من خارجها، حيث ما رسا الظلم والجور، وكان هم كل واحد منهما ملء خزانته الخاصة بالمال، دون أن يعير أحوال الناس وحرمة حقوقهم أي اعتبار، وشجع سلوكهما هذا، من جاء معهما من المساعدين على سلوك الطريق نفسها، ولم يتدخل الإيلخان كيخاتو لإصلاح الأحوال، أو كبح جماح الموظفين الجدد، رغم علاقته الطيبة بآسيا الصغرى وأهلها، ورفعهم الشكاوى إليه، ويبدو أن تبذيره، وصرفه للأموال[٤(٣)].جعل

(١) انظر ما سبق ص من هذا البحث

(٢) حسن بيه: ورد عند الهمذاني أمير مغولي اسمه حسن بن بوقو، وقال إنه من خاصة كيخاتو منذ الطفولة وانضم إلى بايدو في ثورته ضد كيخاتو، ولم استطع التأكد من أنهما شخصية واحدة، جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٨٦-١٨٧.

(٣) اقسرائي: المصدر السابق، ص ١٨٠-١٨١. Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 614.

(٤) أشتهر كيخاتو بالتبذير، وصرف الأموال الطائلة، خاصة على بناء مدينة سماها "قتلغ باليغ" كما أنه موصوف بالجود والسخاء، وهو معدود في كرماء المغول انظر: الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٨٠ ١٨٢. الصياد: الشرق الإسلامي، ص٢١.

خزانته على شفا الإفلاس، ولا يمكن انقاذها، إلاّ بمثل هذه السياسات المتبعة في بلاد سلاجقة الروم، وبفرض المزيد من الضرائب، على كافة اقاليم الدولة الإيلخانية[1][4].

ومع استمرار العجز في ميزانية الدولة، اقترح الوزير "صدر الدين الزنجاني" على سيده كيخاتو التعامل بعمله "الجاو"[2][1]، وبدأ العمل بها، في جمادى الآخرة سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م، لكن الناس كرهوا التعامل بالعملة الجديدة، وتفاقمت الأزمة المالية وأصبحت طاحنة[3][2] وهنا لا بد من ملاحظة ادخال العملة المغولية إلى آسيا الصغرى، ومنافستها للعملة السلجوقية القديمة[4][3]، وهي خطوة أولى لإلغائها، ضمن الجيش والإدارة السلجوقية.وفي المقابل اشتط الوزير الزنجاني في جمع الأموال، واستعان بمحصلين من الرعاع والأوباش، الذين لم يتورعوا حتى عن مصادرة البشر ، فأخذوا النساء والأطفال من الذين تراكمت عليهم الضرائب ولم يستطيعوا تسديدها، فهجر الناس بيوتهم، بعد أن سدوا أبوابها بالحجارة[5][4].

ولم يطل عهد كيخاتو بعد ذلك، إذ ثار عليه الأمير بايدو[5] مطالباً بالعرش، وتحرك الإيلخان للدفاع عن عرشه، وأرسل إلى قائده في ديار بكر "بايبوقا Baiboga"[6][1]، ليوليه القيادة العسكرية، لكن القائد المذكور وقع أسيراً في أيدي الثوار، فبعث الإيلخان الأمير بن طغاجار وآقيوقا، وعلى رأس

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٨١-١٨٣؛ تاريخ وصاف، ص١٦٤-١٦٧.

(٢) "الجاو" عملة ورقية، ونقود قرطاسية، يتعامل بها الناس في الصين، منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، انظر: محمد زكي شافعي: مقدمة في النقود والبنوك، القاهرة، الطبقة السابعة ١٩٧٧م ؛ ص٤٦ ؛ عباس إقبال (مجموعة مقالات عباس إقبال آشتياني) شامل يكصد ويك مقالة، بامقدمة وتصحيح آقاي: دكتر محمد دبير سياقي، بعنوان "جاو جاب اسكناس" تهران، ١٣٥٠هـ. ش. ص٣٣٧ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٢١٣-٢١٤.

(٣) عن تأثير تلك الأزمة اقتصادياً. انظر: الفصل السادس ص من هذا البحث.

(4) Cahen: pre of ottoman Turkey , p. 325.
(5) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 593.

(٥) بايدو بن تراغاي بن هولاكو

(٦) بايبوقا تولى حكم منطقة ديار بكر في عهد كيخاتو. انظر ما يالي ص

جيش، لمواجهة بايدو وأنصاره، لكن الأول منهما انحاز إلى الثوار، فاضطر الأخير إلى العودة إلى سيده ليخبره بما حصل[٧].

وجد الإيلخان نفسه في موقف صعب، وراودته فكرة الذهاب إلى بلاد سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، لعله يجد هناك أنصاراً، ويرتب صفوفه، ويكر على خصومه، لكن مستشاريه حثوه على الصمود، ومواجهة الخصوم في بلاد فارس، ومع مرور الوقت، أخذ كثير من الأمراء يتسللون من حوله، وينضمون إلى بايدو وأنصاره، ولما وجد الإيلخان أن الوقت يمر في غير صالحه اعطى جنوده أمراً بالاشتباك مع الثوار، فدارت رحى المعركة بنواحي همذان في جمادى الأولى سنة ٦٩٤ هـ/ ١٢٩٥، وهُزم جيش الإيلخان، وتم أسره، وأعدم مع بعض الأمراء[١].

- عهدي بايدو وغازان (٦٩٤ - ٧٠٣ هـ/ ١٢٩٤ - ١٣٠٣ هـ):

ولما استقر بايدو على عرش الإيلخانية، عزل الوزير صدر الدين الزنجاني وأخاه، ووزع المناصب على أنصاره واختار طغاجار للإشراف على آسيا الصغرى، مكافأة له على موقفه المناصر له، وأعطى كل أمير صلاحيات واسعة في إدارة اقليمه[٢] ولم يكن الإيلخان بايدو مطمئناً إلى الوزير السابق صدر الدين الزنجاني، ولإبعاده عن العاصمة، ولعلاقته الوطيدة مع طغاجار، تم تعيينه نائباً عنه في بلاد سلاجقة الروم[٣].

تظاهر الزنجاني بقبول المنصب الجديد.مع أنه كان في الحقيقة يأنف منه[٤] وتحرك من تبريز متوجهاً إلى آسيا الصغرى، لكنه غير خط سيره،

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٨٥-١٨٦.

(٢) الهمذاني: جامع التوريخ، ج٢، ق٢، ص١٨٦ ؛ تاريخ وصاف ص٢٧٩ ؛ كتاب الحوادث الجامعة الجامعة، ص٤٨١.

(٣) تاريخ وصاف، ص٢٨٤ ؛ الصياد :الشرق الإسلامي، ص٢٣٠.

(٤) تاريخ وصاف، ص٣٢٢ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٢٣١.

(٥) ويرى أن هذا المنصب لا يليق حتى بأقل واحد من كتابه، الصياد: الشرق الإسلامي ن ص٢٣٢

واتجه مسرعاً نحو قزوين[١][٥] ومعه أخوه قطب الدين، حيث انضما إلى حاشية الأمير غازان ومن هناك، انهمكوا جميعاً، في التخطيط لاسقاط بايدو[٢][٦].

ورغم قِصَر عهد بايدو ٦٩٤هـ/ ١٢٩٣م[٣][١]، إلاّ أن سياسة معاداة المسلمين ظهرت على السطح من جديد واستغلها القادة المغول وموظفوهم في آسيا الصغرى

فزادوا من ظلمهم وعسفهم للناس، خاصة المسلمين منهم[٤][٢].ولم يلبث أن خرج غازان على بايدو، وأخذ يطالب بالعرش، فهو سليل الإيلخانات، وقبل أن تتشب الحرب بينهما، جرت محاولات ل تم خلالها الإتفاق على تقسيم الدولة الإيلخانية بين الرجلين، فكانت آسيا الصغرى من الأقاليم التي بقيت في حوزة بايدو[٥][٢].

ولم يلجأ الإيلخان بايدو إلى هذا الحل إلا كسباً للوقت، فيما رأى فيه غازان انجازاً مهماً، يمهد إلى تبوأه العرش وانتهاز الفرصة لإعادة توحيد البلاد تحت حكمه[٦][٤].وبناءً عليه فبمجرد وصول المدد إلى الإيلخان، تنصل من الاتفاق وأظهر عزمه على التخلص من منافسة غازان، فاندلعت الحرب وانتهت بهزيمة بايدو ومقتله[٧][٥].

---

(١) قزوين: بالفتح ثم السكون، وكسر الواو، مدينة مشهورة، بينها وبين الري ٢٧ فرسخاً وهي في الأقليم الرابع. ياقوت: معجم البلدا، ج٤، ق٣٤٢-٣٤٤.

(٢) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٢٥.

(٣) دام جكم بايدو أشهراً. وأختلف في عنذها لكنها بين ستة وثمانية أشهر. القزويني: تاريخ كزيدة ص٦٠٢ ؛ كتاب الحوادث الجامعة الجامعة، ص٤٨٣ ؛ عباس العزاوي تاريخ العراق بين احتلالين ـــ، بغداد، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٥م. الجزء الأول (حكومة المغول)، ص٣٦٧؛ الصياد: الشرق الاسلامي، ص٢٤٢.

(4) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 616.

(٥) القزويني: تاريخ كزيدة، ص٦٠٢ ؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٢٦٣ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٢٣٥.

(٦) الصياد: المرجع نفسه، ص٢٣٥-٢٣٦.

(٧) أنظر: الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٢٥-١٢٨.

بعد تخلصه من بايدو، تربع غازان على عرش الدولة الإيلخانية، سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٣م، ولأنه أصبح مسلماً اتخذ لقباً اسلامياً وهو: السلطان محمود غازان[١].

وكما جرت به العادة، بدأ الحاكم الجديد، بتوزيع المناصب على أنصاره، وأصحاب الفضل في وصوله إلى رأس السلطة، فأعطى وزارته لصدر الدين الزنجاني (صدر جهان)، وأرسل القائد طغاجار إلى بلاد الروم في آسيا الصغرى ليكون مشرفاً عليها، وذلك في أواخر ذي الحجة سنة ٦٩٤ هـ/ ١٢٩٤م[٢].ولأنه كان يتوقع منه الخيانة والخروج عليه، فقد اتخذ احتياطات لمعالجة ذلك، وآتت تلك الاحتياطات أُكلها كما سنرى[٣].

أما الوزير (صدر جهان) فلم يكن أيضاً عند حسن الظن به، فثبت مع الأيام، تورطه في اختلاس وفساد مالي واداري، حيث حُوكم وأعدم هو وأخواه قطب الدين، وزين الدين، وابن عمهم قوام الملك، وتم إعدامهم جميعاً في رجب سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م[٤].

وكان من التعيينات التي أحدثها غازان خلال هذه الفترة، ولها علاقة مباشرة بالأوضاع في آسيا الصغرى، هي مرابطة القائد مولاي[٥]، على رأس جيش في ديار بكر وربيعة[٦].

(١) نطق غازان بشهادة الحق في شعبان سنة ٦٩٤ هـ/ ١٢٩٤م. الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٢٣.

(٢) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٢٨، ١٣٠.

(٣) انظر ما يلي ص من هذا البحث.

(٤) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٥٣؛ كتاب الحوادث، ص٤٩٥-٤٩٦. وانظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج١، ص٣١٥. وتاريخ مقتله عنده، سنة ٦٩٩هـ.

(٥) مولاي (وفي بعض المصادر العربية: بولاي، وبولاهم) من كبار قادة المغول في عهد غازان، واشترك معه في غزوه بلاد الشام، تولى حكم ديار بكر وربيعة سنة ٦٩٤ هـ/ ١٢٩٥م. واستمر فيها أربع سنوات، ثم عزل عنها. ولم أقف على تاريخ وفاته. الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٢٤.

(٦) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٢٨، ١٣٠.

أما بلاد الروم نفسها فكان لابد من ايجاد بديل للقائد السابق طغاجار، بعد التخلص منه، وليقوم خليفته بالإشراف على المنطقة، وقيادة الحامية القوية المرابطة فيها.فوقع الإختيار على بالتو[1] Baltu، الذي قاد حملة اخماد تمرد طغاجار، لكن القائد الجديد، سلك سبيل سلفه في العصيان والخروج على طاعة غازان[2].

وما من شك أن حركات عصيان القادة المغول في آسيا الصغرى في عهد غازان[3] قللت من الآثار الإيجابية للاصلاحات الضخمة التي تميز بها عهد ذلك الزعيم المغولي[4].

ونتيجة لإحدى تلك الحركات، خلع السلطان مسعود الثاني من العرش سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٦م، كما تم عزل كبار موظفي دولة سلاجقة الروم، وبقي عرش السلاجقة خالياً من سلطان مدة سنتين، قام السلطان محمود غازان خلالها بتقسيم دولة سلاجقة الروم إلى أربعة أقسام إدارية، يتولى ادارة كل قسم موظف، وإلى جانب ذلك يشغل وظيفة كبرى في الدولة، والموظفون الكبار الأربعة هم: جمال الدين محمد[5] ويتولى الوزارة، ومعين الدين محمد بيه[6] بن معين الدين بروانه على وظيفة والده السابقة وهي "البروانكية" وكمال الدين التفليسي[7]، على وظيفة نائب السلطنة، وشرف الدين

---

(١) بالتو بن القائد تبشي Tabshi، أو "نابشيNabshi" كما ورد في بعض المصادر العربية وانظر أيضاً ما يلي من هذا البحث.

(٢) انظر مايلي ص من هذا البحث.

(٣) انظر ما يلي المبحث الخاص بالفتن والثورات ص من هذا المبحث.

(4) Cahen: pre of ottoman Turkey. p 350.

(٥) لم أعثر له على ترجمة.

(٦) معين الدين محمد بيه ابن معين الدين سليمان بروانه. ورث عن والده ثروة طائلة، وأنصاراً ومؤيدين، خاصة في توقات ونواحيها، ثم امتد نفوذه إلى سينوب وما حولها، خاصة بعد ضعف نفوذ زعماء التركمان من ذرية حسام الدين جوبان. ولمزيد من التفاصيل انظر ما يلي ص من هذا البحث.

(٧) كمال الدين التفليسي. لم أجد له ترجمة فيما وقفت عليه من مصادر.

عثمان[(١)]، ويتولى "الإستيفاء".أما قيادة الحامية العسكرية المغولية، فأعطيت إلى سولاميش، بعد التخلص من بالتو[(٢)] ويساعده القائدان: باينجار، وبوشكور.و بهذا، لم يتبق من كبار الموظفين السابقين في دولة سلاجقة الروم، إلاّ مجير الدين أمير شاه، الذي ثبت عند السلطان محمود غازان أنه لم يخامر عليه ولم يتورط في الثورات العسكرية التي قامت ضده في المنطقة، إضافة إلى كفايته العالية، وتجربته العريضة في ادارة شئون البلاد، فأعيد تعيينه على وظيفة "نيابة الحضرة العليا"[(٣)] ولابد أنه أعلى مسؤول في البلاد، خاصة في ظل خلو العرش السلجوقي من سلطان وإذا كانت تلك الوظيفة معروفة منذ تبعية بلاد سلاجقة الروم للدولة الإيلخانية في بلاد فارس، فإن دورها وأهميتها برزتا بقوة في هذه الفترة وفي العهود التالية.

وفور مباشرة الحكومة الجديدة عملها، تسلمت مبلغ ستة ملايين درهم من خزينة الدولة السلجوقية والتي كانت في عهدة نائب السلطان غازان وهو الأمير مجير الدين، كما دفع لهم أيضاً مبلغ ستمائة ألف درهم وهي المتبقية من دخل الضرائب، والخاصة بالخزينة الإيلخانية ولايندرج تحت هذين المبلغين مستحقات موظفي دولة سلاجقة الروم، ولا مخصصات عساكر الحامية المغولية في البلاد[(٤)].

ورث الموظفون الأربعة الكبار - المشار إليهم أنفاً - تركة ثقيلة، فالخراب والدمار منتشر في طول البلاد وعرضها، بسبب حركات العصيان والثورات

(١) شرف الدين عثمان، من أهل فارس، كان في بداية أمره حاكماً على تبريز، عاصمة الدولة الإيلخانية، ثم أنيطت به مسؤلية الاستيفاء في بلاد سلاجقة الروم، مع حكم رُبع من المنطقة، الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٧٧.

(٢) عن القضاء على ثورة بالتو. انظر ما يلي ص من هذا البحث.

(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٢ أ- ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٢١٠.

(٤) اقسرائي: المصدر السابق، ص٢١٠ ؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 602.

السابقة، حتى سجلات الضرائب فقدت، وتم بيعها مقابل دينار واحد لكل سجل[٤]، وهو دليل واضح على مدى الفساد والاضطراب اللذان عما البلاد.

عندما باشر الموظفون الأربعة عملهم، توجه كل منهم إلى الاقليم المخصص له، فجاء بروانه "الصغير" محمد بيه إلى قسطونية، حيث لا زال لأبيه هناك أعوان وأصدقاء، حافظون للود القديم.لكن ابن صديقهم، والمسؤول عنهم، فاجأهم بسياسة غاية في الظلم، ربما لم يسبقه إليها أحد من الحكام المحليين والأجانب، إذ طالب أهالي قسطونية، بدفع متأخرات الضرائب عن السنوات السابقة، ودفعة واحدة، وزاد عليهم ضرائب جديدة، بحجة توفير احتياجات العساكر التي كانت تعمل تحت أمره، وانتقل إلى مدينة كانكرى Cankiri [٢][(1)] وشرع في مصادرة أموال الأغنياء فيها، سواءً النقدية منها أو العينية، وحتى المواد الغذائية، ومات بعض الأعيان والتجار تحت التعذيب الذي مارسه أعوانه.[٣][(٢)]

والشيء نفسه تقريباً، مارسه النائب كمال الدين التفليسي في الجزء المخصص له، من بلاد سلاجقة الروم، وهو مناطق آماسيه وسامسون وتوابعها وعندما وصل إليها كان برفقته عدد كبير من المساعدين والموظفين، وبسبب ظلمه وجوره، هجر كثير من الناس بيوتهم، وعندما وقع في كمين لقطاع الطرق، فقد كل ما جمعه من الأموال، لكنه نجا بروحه والتجأ إلى سامسون، وأصبح فيها كالمحصور، فأمر بسكّ عملة نقدية فضية، وطرحها للتداول في المدينة، لكن السكان عزفوا عنها لإنها بمعيار ناقص عن المعتاد،

---

(1) Turan :Op. cit. s. 610.

(٢) كانكرى، كنكرى، جانقري: يبدو ومن خلال تتبع الحوادث أنها تابعة لمنطقة قسطمونية، شمال آسيا الصغرى. اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٨، ٧٤، ٢١٨، ٢٠٩، ٢١٧.

(٣) اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٠٩، ٢١٧ ؛ تاريخ وصاف، ص٣٦٣ ؛ Turan :Op. cit. . s. 621.

ثم انتقل بعدها النائب كمال الدين إلى اقسراي وكرر فيها ما فعله في آماسية وسامسون، ولم يكن أمام أهلها إلا الهرب منها"[1].

ولم يكن المستوفي شرف الدين عثمان، ليختلف عن شريكيه، السابقين في سوء الإدارة، إذ لم يكد يصل إلى نكيدة - وهي في المنطقة المخصصة له - حتى بدأ ينهب ويسلب، ويصادر الأملاك، ويفرض المزيد من الضرائب، وانتقل من نكيدة إلى قيرشهير، وطبق فيها سياسته الجائرة، ولم ينج من بطشه حتى العلماء، الذين اضطر بعضهم إلى رهن مدارسهم مقابل تسديد ما يطالبهم به"[2].

وكما هي العادة، جاء الوزير جمال الدين وبصحبته عدد كبير من الموظفين، معظمهم من محصلي الضرائب الفُرس، فجمعوا لخزانته الخاصة - في وقت قصير - ما يربو على عشرة آلاف تومان"[3] من النقود، وهذا بخلاف مدخولات ضرائب الأملاك الخاصة، وبهذا تركوا الأغنياء والتجار، بل وعامة الناس في فقرمدقع، ثم سار الوزير وحاشيته إلى سيواس - وهي أيضاً من المناطق المخصصة له - وحاول في هذه المدينة أن يتظاهر بالليونة، والابتعاد عن استعمال العنف، في مسألة تحصيل الضرائب، لكن طبعه غلب تطبعه، فعاد إلى نهجه القديم، خاصة وأنه رأى نتائجه ماثلة أمامه، فسام - هو وأصحابه - الناس سوء العذاب"[4].

واستمرت فترة "الإدارة الرباعية"[5] المشار إليها مدة عامين "٦٩٤-٦٩٦هـ/ ١٢٩٦هـ/ ١٢٩٨م" وهي الفترة عينها التي كان فيها عرش سلاجقة الروم، في

(١) اقسرائي: المصدر السابق، ص ٢١٦، ٢١٨-٢١٩؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 621 – 622.
(٢) اقسرائي؛ المصدر السابق، ص٢٢٣-٢٢٩.
(٣) عن التومان، انظر ما سبق، ص من هذا البحث.
(٤) اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٢٦-٢٢٧؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 621 – 622.
(5) Turan: Op. Cit. s. 623.

آسيا الصغرى، خالياً من السلطان[1]، وكانت من أصعب السنوات التي مرت على أهل المنطقة، لأن هؤلاء الموظفين الأربعة عندما جاءوا إلى "بلاد الروم فجعلوها مساكن البوم، فترحم الناس معهم علىالحجاج، فأقاموا بها كل واحد في حصته، وأحدثوا صنايع في باب الظلم يعجز عن ملا حظتها الشيطان، ولئن لاحظها استنكف عن ارتكابها رقة على العباد وخوفاً من المولى"[2].

وعندما عهد السلطان محمود غازان بعرش سلاجقة الروم إلى علاء الدين كيقباذ الثالث[3]، سنة ٦٩٦ هـ/ ١٢٩٨م.بعث معه شمس الدين أحمد لاكوشي ليكون وزيراً له، ورجلاً يدعى عبد العزيز ليتولى وظيفة "المستوفي" وَعهَد بقيادة الحامية المغولية في آسيا الصغرى للأمراء: باينجار، وبوجقور[4]، ودوقوز تيمور[5]، فيما لا يزال سولاميش "أمير الأمراء" بمعنى أنه القائد الأكبر للحامية[6].

وفيما وصل السلطان السلجوقي الجديد وأعوانه إلى المنطقة، كان أعضاء الادارة الرباعية السابقة الذكر، ومعهم نائب الحضرة العليا، مجير الدين، في طريقهم إلى تبريز، للإجتماع بالسلطان غازان والحصول منه على يراليغ جديدة تعيدهم إلى وظائفهم السابقة[7].

ولم يستطع السلطان السلجوقي كيقباذ الثالث إلاّ أن يجاري بقية الموظفين والقادة الذين جاءوا إلى المنطقة[8]، فانخرط مع أعضاء حكومته الجديدة في التعدي على حقوق الناس وممتلكاتهم، وحجتهم دائماً - وهي حجة

(١) انظر ما يلي ص من هذا البحث.
(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٢ أ.
(٣) عن علاء الدين كيقباذ الثالث انظر ما يلي ص من هذا البحث.
(٤) بوجقور: لم أجد له ترجمة.
(٥) دوقوز تيمور: لم أجد له ترجمة
(٦) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٥٥ ؛ وانظر أيضاً: المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٢ ب، اقسرائي: ص٢٤٠.
(٧) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٢ ب، اقسرائي: المصدر السابق، ص-٤٢-٤٤.
(٨) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 633.

الجديدة في التعدي على حقوق الناس وممتلكاتهم، وحجتهم دائماً - وهي حجة من سبقوهم أيضاً - تحصيل الضرائب المتأخرة أو الحالّة أو حتى المقبلة، وفيما هم منشغلون بذلك، أعلن سولاميش عصيانه، ودخلت المنطقة بعد ذلك في طور جديد[١(٦)].

وبسبب قساوة الشتاء، لم ينهض السلطان محمود غازان بسرعة لاخماد عصيان سولاميش، وتلبية نداءات الاستغاثة المتكررة التي كانت تصل من كيقباذ الثالث ومعاونيه[٢(٧)].

ولما حل فصل الربيع، وحشد الزعيم المغولي القوة المطلوبة، كان لا يزال عنده في بلاد فارس، النائب مجير الدين أمير شاه، والموظفون الأربعة السابق ذكرهم، وتنافسوا عنده في التعهد بتحصيل أكبر قدر ممكن من الأموال، وزاد بعضهم على بعض، وتباروا أيضاً في دفع الرشاوي والهدايا لموظفي البلاط، فصدرت اليراليغ بإعادة كل منهم إلى وظيفته السابقة، عدا كمال الدين التفليسي الذي فقد منصبه في المنافسة، كما صدر الأمر بعزل الوزير أحمد لاكوشي من منصبه[٣(١)].

وعندما جاء الموظفون الجدد (مجير الدين أمير شاه، وجمال الدين محمد، وشرف الدين عثمان، ومعين الدين محمد بيه) إلى آسيا الصغرى، كانت ثورة سولاميش على أشدها، وجاء على أثرهم القادة المغول المكلفون باخمادها[٤(٢)].

---

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٢ب-٥٩٣ أ ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٢٩-٢٣٥، وانظر ما يلي ص من هذا البحث.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٢ ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٣٩-٢٤٠.

(٣) المولوي صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٢ ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٣١.

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٣ أ ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٣٠.

وبعد فرار سولاميش إلى بلاد الشام، بعث غازان إلى بلاد سلاجقة الروم بآسيا الصغرى الأمير" كورتيمور"[(١)] "Kor Timur" ، ليتولى مهمة استرداد الأراضي والاقطاعات التي رفض أصحابها دفع ما تعهدوا به من أموال، وواجه الأمير بعض حركات العصيان، لكنه قمعها بقسوة، فاشتكى الناس إلى غازان فأمر بالعودة إلى المبالغ المقررة قديماً، والغاء الزيادات الحديثة، وانتهاج سياسة مرنة في تحصيلها"[(٢)].

وأثناء عصيان سولاميش أيضاً، أرسل المسؤولون في الدولة الإيلخانية، نظام الدين يحيى"[(٣)]، وكلفوه بمهمة مسح الأراضي في بلاد الروم، واعادة تحديد الضرائب، ومصادر الدخل الأخرى، واضافة المناطق التي لم تكن قد سجلت من قبل في سجلات الضرائب ومُنح نظام الدين المذكور سلطات واسعة، حتى أطلق عليه لقب الوزير، وفي هذه الأثناء كان السلطان علاء الدين كيقباذ الثالث، ووزيره شمس الدين لاكوشي، قد خرجا من البلاد، وهما في طريقهما إلى بلاط غازان، حتى لايضطرا إلى الإشتراك في ثورة سولاميش، أو حتى لا تحوم حولهما الشكوك بشأنها"[(٤)].

وفي تلك الأثناء، كان الموظفون الثلاثة (الوزير جمال الدين محمد، والمستوفي شرف الدين عثمان، وبروانه معين الدين محمد بيه) يسيرون على سياستهم السابقة، في ظلم الرعية فمثلاً: بروانه معين الدين محمد بيه، عندما عاد من بلاط غازان، مر على كانكرى، وهو في طريقه إلى قصطمونية، وشرع في مصادرة أموال الأغنياء، ولم ينج منه إلاّ من هرب من المدينة، وكان

---

(١) كورتيمور يرغوجي. اقسرائي : المصدر السابق، ص٢٣٠.

(٢) اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٣١ ٢٣٢ ؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 622.

(٣) نظام الدين يحيى بن وجيه الخرساني كان مقرباً جداً من الأمير نوروز بن آرغون آقا، أكبر الأمراء وأوسعهم نفوذاً في عهد غازان، قبل أن يتخلص منه سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م. وكان نظام الدين، ينوب عن نوروز في غيابه. الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٣٧.

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٣ أ-ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق ص٢٥٧-٢٦٠.

من ضحاياه، نصرة الدين سلبي [١]، الذي فرّ إلى اقسراي ليحتمي بأحد القادة المغول [٢] الذي كان قريباً منها، وبصديقه النائب مجير الدين، وبدعم من الأخير عُين نصرة الدين والياً على المدينة، لكنه لم يهنأ بذلك، إذ مات بعد فترة وجيزة، ولا يزال مهموماً مما أصابه على يد ابن بروانه [٣].

واستطاع محمد بيه أن يجمع حوله عسكراً، وكان ينتقل بهم من مكان إلى آخر، وأعدادهم تزداد مع مرور الوقت، فأغراه هذا الوضع الذي وصل إليه أن يسير بجموعة إلى العاصمة قونية، وفعل بها مثلما فعل بكانكري، وقصطمونية، ومات بعض الأغنياء ووجهاء البلد تحت التعذيب [٤] ولم تحمِ حتى مستشفى "دار الشفاء" [٥] اللاجئين إليها من بطشه [٦].

بعد قونية، تحرك محمد بيه وأتباعه إلى قصطمونية، وفي الطريق، عرجوا على بلدة سفري حصار [٧] فلم يكتفوا بجمع الضرائب المتأخرة، بل جمعوا ضرائب سنوات قادمة، وخرجوا من البلدة بثروات طائلة، وحاول جماعة من التركمان قطع الطريق عليهم، لكن محمد بين كان يملك قوة كافية للتغلب على هؤلاء وإلحاق الهزيمة بهم.بل إنه بدأ يخطط للثورة ضد السلطان محمود غازان منتهزاً انشغال الأخير بالحرب مع المماليك [٨].

---

(١) نصرة الدين سلبي، من أغنياء كانكري وأعيانها، وأشتهر بحب الخير والإحسان إلى الفقراء، وكان يملك من المواشي سبعمائة حصان، وعشرة آلاف بقرة. وايراد محصوله في السنة عشرة آلاف درهم. Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 626.

(٢) وهو القائد سوتاي , وعنه انظر ما يلي ص من هذا البحث.

(٣) اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٤٧ ـ ٢٥٠ ؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 626.

(٤) من هؤلاء: أصيل الدين مستوفي، ومحمود كامل.

(٥) مستشفى دار الشفاء كانت معروفة في المنطقة.

(٦) اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٤٩ ؛

(7) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 627.

(8) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 627.

وكان شريكه في الإدارة الرباعية المشار إليها سابقاً(١)، الوزير جمال الدين محمد، منهمكاً أيضاً في مصادرة أموال وممتلكات الأغنياء، راغباً في تعويض مافاته، إذ كان ملازماً لركاب غازان حولاً كاملاً، فقد خلالها الكثير من ثروته السابقة التي أنفقها متزلفاً بها للمسؤولين المغول في تبريز عاصمة الدولة الإيلخانية[٢].

لم يكن النائب مجير الدين أمير شاه، راضياً عن تلك التصرفات، لكنه لا يملك السلطة لمنعها، رغم منصبه العالي في الدولة.فذهب إلى غازان يوضح له جليّة الأمر في بلاد سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، وكان الزعيم المغولي في طريقه لغزو بلاد الشام فرغب في وضع حدّ لكل تلك المظالم.فعهد إلى نائبه مجير الدين أمير شاه، بالعودة إلى آسيا الصغرى والعمل على معالجة مشكلاتها الأمنية، المتعلقة بعصيان سولاميش، ورفع المظالم عن أهالي المنطقة.

وبعث معه "شرف الدين عبد الرحمن"ليكون مستوفياً، لإدراكه أهمية الأوضاع المالية وتأثيرها سلباً أو إيجاباً، في بقية مناحي الحياة، كما أرسل معه القائد سوتاي[٣] "SOTAI" للإشراف على عساكر المغول في المنطقة.وشد أزره ببعض الموظفين والأمناء[٤].

جاء النائب مجير الدين - وأعوانه - وهو مصمم على اعادة الأمور في المنطقة إلى نصابها، ونجح في القضاء على تمرد زعيم تركماني يدعى

---

(١) انظر ما سبق ص من هذا البحث.
(٢) اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٥١ ٢٥٣.
(٣) سيف الدين سوتاي عبد الله أقتاجي. من كبار قادة المغول، تولي حكم ديار بكر مدة طويلة (٧٠٩-٧٣٢هـ/ ١٣٠٩-١٣٣١م) فحُمدت سيرته، وهو أشهر من تولي حكم تلك المنطقة من المغول على الإطلاق. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩، ص٢٦٩؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص١٧٨-١٧٩؛ عماد الدين خليل المرجع السابق، ص٢٧٨-٢٧٩.
(٤) اقسرائي: المصدر السابق ص٢٧٨-٢٧٩.

"كونغور ترك Qungurturk "[1]، كما أخمد فتناً، أثارتها طوائف التركمان، نواحي سفري حصار، وأخرى قام بها " أبناء بوغدين "[2] "Bugdin oglu" ومدّ نفوذ دولة سلاجقة الروم وسلطتها حتى منطقة سينوب وسامسون، حيث أدخل حفيد بروانه معين الدين سليمان في الطاعة بعد أن كان خارجاً عليها.

كما أرتكب عدة أعمال مثل رفع الضرائب في البلاد. فعين مجموعة من الموظفين، من مختلفي الأجناس. وفي أول بلدة دخله هي أرزنجان فرفع مقدار الضريبة علي الأرض التي تحرث بثورين من دينار إلى عشرة دنانير، والأرض التي كان يدفع صاحبها ألفين أو ثلاثة آلاف درهم رفعها إلى خمسين ألفاً، واستلمها نقداً بدون تأجيل[3].

بعد أرزنجان توجه نظام الدين (الملقب بالوزير) إلى سيواس، وجازى صرافاً هناك، بدفع خمسة عشر ألف دينار لأنه صك عملة فضية منخفضة الجودة[4].

وفي آماسيا، طالب أبناء الوزير السابق تاج الدين بروانه بدين قديم كان عندهم، وأخذ منهم ما مقداره ثمانية آلاف دينار، وفي توقات أخذ نظام الدين

---

(١) قونغور ترك، قنغورترك. زعيم من التركمان، قاد ثورة ضد المغول وحلفائهم من سلاجقة الروم، وتحصن بقلعة "قوندوغي" قرب نكيدة، واستمرت ثورته " مدة مديدة" ثم قبض عليه وأودع السجن. المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٢ب، اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٨٢.

(٢) بدر الدين بوغدين وأخوه، تزعما نحو ثلاثمائة فارس من التركمان وقطعوا الطرق في منطقة "قزل أرمق" و "حيليرة" hilire توصل معهم مجير الدين إلى صلح، لكنهم نقضوه، فتحصل على فتوى بجواز استدراجهم ثم قتلهم، فأخذ بها، وقتل الأخوين. اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٥٣-٢٥٦؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 629.

(٣) اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٥٧-٢٦٠، ٢٧٥-٢٧٦ح ٢٩٣. القاضي أحمد نيكدلي: المصدر السابق، ص٣٠٧؛ وانظر: المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٣ ب، Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 632

(٤) اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٧٥؛ Turan: Op. Cit. s. 631

من إحدى العائلات[1] مبلغ عشرين ألف دينار، وعشرين كتاباً قيماً، بحجة أن مورثهم كان مديوناً للدولة[2].

ولم يسلم من تعديه - لسلطته الواسعة - حتى النائب مجير الدين أمير شاه، وبقية الأمراء والأعيان في الدولة حيث دفعوا له مبلغ مائة ألف درهم،وصادر ما مقداره سبعون ألف درهم، من أحد أفراد أسرة معين الدين سليمان بروانه، لاتهامه باقتراف إحدى الجرائم[3].

وبث نظام الدين أتباعه في كل مكان، يصادرون وينهبون، فجمعوا من الأموال مالا يدخل تحت حصر، وكان نظام الدين هذا "حجاجي المشرب في الظلم وعدم الرحمة على عباد الله "[4].

وانتقل نظام الدين إلى أقسراي، وكان بها المستوفي شرف الدين عبد الرحمن الذي لم يتحمل ذلك الظلم، ففر إلى سامسون، حيث كان بها النائب مجير الدين أمير شاه، لكنّ نظام الدين لم يترك المستوفي وشأنه، وبعث في اثره رجلاً خُراسانياً[5] فتربص به، ودخل عليه وهو نائم،واغتاله في الثاني والعشرين من رمضان سنة ٦٩٩هـ /٢ يونيو ١٣٠٠م،وأثارت تلك الحادثة ضجة عظمى، وبادر نائب الحضرة العليا (مجير الدين أمير شاه) إلى اصدار أمر بإغلاق الطرق المؤدية إلى مكان الحادثة، وتمشيط المنطقة، والغابات المجاورة لها، فألقي القبض على القاتل، وبعد التحقيق معه، تم إعدامه[6].

---

(١) وهي عائلة القاضي صدر الدين.

(٢) القسرائي: المصدر السابق، ص٢٧٥ - ٢٧٧؛ Turan: Op. Cit. s. 631

(٣) اقسرائي: المصدر السابق، ص ٢٨٧-٢٨٥. Turan: Op. Cit. s. 632.

(٤) المولوي: صحائف الأخيار، ج١ ؛ ورقة ٥٩٣أ. ويقصد أنه في ظلمه، على شاكلة الحجاج بن يوسف الثقفي، أمير العراق المشهور.

(٥) وهو يدعى: بلك رندي Belek Rindi .

(٦) اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٦٦.

وفيما كان نظام الدين يقوم بأعماله تلك في وسط آسيا الصغرى، كان السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباذ الثالث وأعوانه يرتكبون أعمالاً مماثلة في جنوب وشرق آسيا الصغرى(١).

وتزامنت تلك المصائب في آسيا الصغرى، مع حلول سنوات من الجدب والجفاف، وانتشار المجاعة، فهلك بسبب ذلك المزيد من الناس(٢) وعلق أحد الباحثين على ذلك بقوله إنّ المصائب توالت على بلاد سلاجقة الروم، منذ رحيل بروانه معين الدين سليمان(٣).

ولما طفح الكيل بالمسؤولين والرعيّة - على حد سواء - في بلاد سلاجقة الروم، أوصلوا شكواهم إلى غازان، فاستدعى نظام الدين يحيى إلى تبريز، وأخضعه إلى محاكمة، طالب خلالها أبناء المستوفي السابق - شرف الدين عبد الرحمن - بالقصاص من نظام الدين، وثبتت إدانته، فحكم عليه بالقصاص ونفذ الحكم سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٣م(٤).

ولما كان السلطان علاء الدين كيقباذ الثالث ضيفاً عند غازان(٥)، أعاد أعاد الزعيم المغولي تشكيل حكومة سلاجقة الروم، وعهد بالوزارة إلى علاء الدين الساوى(٦)، و أعاد "الاستيفاء" إلى ناصر الدين محمد الذي كان يتولاه في في عهد كيخاتو، (وبالإشراف) أوالبكلربكية إلى شرف الدين حمزة العلوي، وبقي منصب النيابة حكراً على مجير الدين أمير شاه الذي أثبت خلال

(١) انظر ما يلي ص من هذا البحث

(2) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 632

(3) Turan: Op. Cit. . s. 632.

(٤) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٧٧ ؛ وذكرت روايات أخرى مقتله سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠٢م. المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٢ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٩٤.

(٥) انظر ما يلي ص من هذا البحث

(٦) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٣أ ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٧٩.

السنوات الماضية وفي كافة الظروف والأحوال صدق ولائه واخلاصه للسلطة المغولية الحاكمة في بلاد فارس(1).

وجاء السلطان السلجوقي ومساعدوه وبدأوا في ارتكاب المظالم مجاراةً لما كان عليه المغول وموظفوهم"(2) إلا أن النائب والوزير لم يشاركاهما أفعالهما(3) ولم يلبث أن توفي النائب مجير الدين أمير شاه في رجب سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠٢م وهو في طريقه إلى "الأردو" للقاء السلطان محمود غازان(4).

وكانت وفاته خسارة على دولة سلاجقة الروم وإيذاناً بانقراضها من الوجود.

أما السلطان علاء الدين كيقباذ الثالث وأعوانه فوقعوا في يد القائد أبيشقا(5) الذي عاقبهم بالاعتقال والقتل(6) وأُعيد السلطان غياث الدين مسعود الثاني إلى عرش السلاجقة ثانية سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م وأعيد اختيار علاء الدين الساوي ليكون وزيراً له، وجاء معه إلى قونية(7) وبعد وفاة غازان سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م تولى أخوه أولجايتو محمد(8) عرش الإيلخانية وكان راغباً في اصلاح الأوضاع في بلاد سلاجقة الروم بآسيا الصغرى فبعث القائد

---

(١) المصدر السابق.

(2) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 632

(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١ ورقة ٥٩٣ أ ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٧٩.

(٤) المولوي :صحائف الأخبار ج١، ورقة ٥٩٣ب ؛ اقسرائي المصدر السابق، ص٢٩٣.

(٥) أبيشقا من كبار القادة في عندغازان، وهو برتبة نوين. أقسرائي: المصدر نفسه، ص٢٨٥.

(٦) انظر ما يلي ص من هذا البحث.

(٧) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٣ ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٩٤-٢٩٥م.

(٨) "أولجايتو OLDJAITOU بن أرغون بن آباقا بن هولاكوخان، ومعنى أولجايتو بالمغولية المبارك وأطلق عليه لقب " خربنده" ومعناها " المُكاري" الذي يكري على الحمار، وقيل إن هذا اللقب أطلقه عليه المسلمون السنة، لأنه عندما أسلم تسمى باسم " محمد" وتلقب بلقب " خدابنده" ومعناها عبد الله وعندما تحول إلى المذهب الشيعي، حوروا كلمة خدابنده إلى "خربنده". لمزيد من التفاصيل، انظر: القاشاني: تاريخ أولجايتو ؛ تاريخ وصاف، ص٤٦٧-٥٥٧؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص ٣٤٥-٤٠٥، ٤٩٨-٤١٨، D,ohsson: Op.Cit.Iv,p.

يرنجين إليها وبعهده يبدأ الاشراف المغولي المباشر على المنطقة[1]، وينتهي عصر الموظفين والإدارة السلجوقية أو ما تبقى منها.

ثانيًا: الثورات والتمردات الداخلية:

منذ دخول المغول إلى آسيا الصغرى، وسيطرتهم عليها في أعقاب موقعة كوسه داغ، والمنطقة تموج بالتمردات والثورات، ولم تكن سنوات الهدوء والاستقرار فيها إلا استثناءاً، كما حدث في عهد معين الدين بروانه.

ولعل من المناسب محاولة التعرف على أسباب تلك الفتن والثورات، والتي يأتي في مقدمتها تنوع عناصر السكان، وتباين أديانهم ومللهم ومذاهبهم[2]، ومنها أيضاً: توفر الطامعين، وطبيعة البلاد الجغرافية، حيث الجبال الوعرة، والمسالك الضيقة، والأنهار والاودية الجارية، وحصانة بعض القلاع، واتساع المساحة، ونزوع مناطق الأطراف (الأوج) إلى الإستقلال، وذلك لوجود عشائر[3] التركمان الذين من أبرز صفاتهم، شغفهم بالإستقلال، ونبذهم للخنوع والتعايش مع المحتل.[4]

ومن تلك الأسباب أيضاً: بُعد المنطقة عن عاصمة الدولة الإيلخانية، وتشجيع القوى الخارجية المجاورة لكل ثائر وادعاء الثوار، ومثيري الفتن، أنّ لهم حقاً في المنطقة قد سلب منهم، وهم ساعون لاستعادته، ولم يقتصر هذا على سكان المنطقة الأصليين، كأفراد من الأسرة السلجوقية الحاكمة أو زعماء التركمان، بل تعداه إلى أمراء من المغول أنفسهم[5]، خاصة بعد أن رأى أولئك الأمراء، أن تحت قيادتهم - في آسيا الصغرى - حامية تملك قوة ضاربة،

(١) انظر ما يلي الفصل التالي من هذا البحث ص

(٢) أحمد توني :المرجع السابق، ص٤٨. Vryonis S. j. R: Byzantu Its Internal History, And Relations wit The muslim World. London. 1971,p. 67.

(٣) أحمد توني: المرجع السابق، ص١٩.

(٤) دائرة معارف القرن العشرين، ج٢، ص٦٧١.

(٥) انظر أمثلة على ذلك فيما يلي ص من هذا البحث.

نمت بمرور الوقت حتى أصبح أفرادها ـ ناهيك عن قادتها ـ يرون من حقهم الإسهام بشكل أكبر، في الشئون الداخلية للدولة الإيلخانية[1].

وكما سبقت الإشارة، فإنه من الصعب تتبع جميع الفتن والثورات التي اشتعلت في المنطقة لكننا سنكتفي في هذا المبحث، بمناقشة بعضاً من أهمها خاصة الفترة التي أعقبت اعدام بروانه، حتى تولي القادة المغول إدارة المنطقة بصورة مباشرة، مطلع القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

ثورة جمري:

سبق التعريف بمعنى كلمة " جمري Jemri"[2] وهذا المصطلح أورده كلاً من ابن بيبي واقسرائي ونقله عنهم المولوي ايضاً وهناك رأي قوي يذكر أن أعداءه هم الذين أطلقوا عليه ذلك اللقب وإلا فإن من أُطلق عليه ذلك اللقب، ما هو إلاّ أحد أبناء السلطان كيكاوس الثاني، واسمه " سياوش" وأنه قاد ثورة عارمة ضد المغول وتابعهم السلطان كيخسرو الثالث ومن الثابت أن للسطان كيكاوس الثاني ابن يدعى " سياوش"[3] ويقول أصحاب الرأي المذكور، أن سياوش هذا، هو أول أبناء كيكاوس الثاني دخولاً إلى آسيا الصغرى، حيث كان مع أبيه في المنفى وأنه طلب النصرة من أبناء قرمان الذين يسيطرون على الأجزاء الجنوبية الغربية من آسيا الصغرى، فهبوا لمساعدته[4] وسوف نستخدم مصطلح " جمري" أسوة بابن بيبي واقسرائي، علماً بأنهما من مؤرخي الدولة السلجوقية ويكنان الكثير من الاحترام لأفرادها[5].

(1) Cahen: pre of ottoman Turkey. p. 300.

(٢) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٣) انظر ما يلي ص من هذا البحث.

(4) Anonim Siçuk-nâme. s. 50 – 60; Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s500

(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٣ ب ٥٩٤أ.

غداة موقعة الأبلستين، انتهز محمد بك ابن قرمان، خلو العاصمة قونية من السلطان وكبار مساعديه إذ لجؤوا أولاً إلى توقات مع بروانه، ثم اصطحبهم معه الإيلخان آباقا إلى "الأردو"[(١)] وأراد محمد بك طرد المغول من المنطقة، لكن مشروعه مُني بانتكاسة بعد انسحاب السلطان بيبرس المفاجئ من آسيا الصغرى، وقدوم الإيلخان المغولي بقوة كبيرة.إذ أعاد احتلال المنطقة من جديد[(٢)] لكنه لم يصرف النظر عن مشروعه، ويرى أن الوقت لا يزال مناسباً لتنفيذه، لذلك دخل في مفاوضات مع السلطان المخلوع " كيكاوس الثاني" وهو في منفاه، عند مغول القبيلة الذهبية لكن تلك المفاوضات لم تتمخض عن شيء[(٣)] وليقينه أن أي ثورة يقوم بها ضد المغول، لن تكسب زخماً وأنصاراً إلا إذا شارك فيها أحد أفراد الأسرة السلجوقية الحاكمة، لما لهذا الأسرة من مكانة وتقدير عند الناس[(٤)] أخذ يصرّح لجلسائه أنه لو وجد أميراً سلجوقياً يوافقه الرأي، فسيبايعه على الثورة وحرب المغول[(٥)] وسمعه أحد الأشخاص، وقابل رجلاً به ملامح أحد أبناء كيكاوس الثاني، فأشار عليه بأن يحضره ويبايعه ويعلن للناس أن هذا هو الأمير سياوش بن السلطان كيكاوس الثاني[(٦)].

وتم احضار الرجل المذكور، وشهد جماعةٌ بصحة نسبه، وأُطلق عليه لقب"غياث الدين"[(٧)] وبايعه القرمانيون، والتفّوا حوله، وأمسى ذا شوكة وقوة[(٨)].

---

(١) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٢) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(3) C ahen: pre of ottoman Turkey. p. 289.

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية ص ٦٨٧ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٩٤.

(٥) المصدرين نفسيهما، والصفحتين.

(٦) المصدرين نفسيهما، ص٦٨٩، ص٣٩٤.

(٧) ولقبه عند المولوي " ركن الدين" صحائف الأخبار، ج١-ورقة٥٨٨ب.

(٨) ابن بيبي: الأوامر العلائية ص٦٨٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٩٥.

بعد اكتمال الإستعدادات، زحف " جمري" بجموعه إلى قونية، وحاول نائب السلطان[1] أمين الدين ميكائيل صدهم عنها، لكنه هزم، ودخل التركمان المدينة عنوةً، ونكلوا بالنائب ميكائيل، واستجوبوه عن خزائن الأموال، ثم قتلوه[2] وألحقوا به ملك السواحل بهاء الدين الذي كان معه داخل العاصمة وعاثوا في المدينة فساداً، وقتلوا كل من اعترض طريقهم، وحاصروا القلعة، واقتحموها وأخذوا شعار ملوك السلاجقة (وهي المظلة والراية) وعفوا عن الموجودين في القلعة بعد أخذ مبالغ مالية منهم[3].

وفي اليوم التالي، دخل " جمري" نفسه المدينة دخول الفاتحين، وطاف بأرجائها، ثم وزع المناصب على أنصاره ونال محمد بك بن قرمان الوزارة، وأصدر أوامر تنظيمية عديدة[4].

وبعد مضي عدة أيام، فُتحت أبواب القلعة، وصعد إليها " جمري" وأتباعه، وجلس على عرش سلاجقة الروم في العاشر من ذي الحجة سنة ٦٧٥/ مايو١٢٧٧م[5].

وخُطب باسمه على منابر العاصمة، وضربت العملة بإسمه وأُكره الناس على مبايعته سلطاناً للبلاد[6]

(١) أي نائب السلطان السلجوقي، لغياب السلطان، ويلقب أيضاً بنائب قونية، ونائب ملطية. انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٢) وكان نائب السلطنة المذكور، من البقية الباقية من أمراء وأعيان دولة سلاجقة الروم، وكان صاحب فضائل. أنظر: اقسرائي: المصدر السابق ص٦٥ ٦٦.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٩٥ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص٣٩٨.

(٤) المصدرين نفسيهما ص٦٩٤، ص٣٩٧.

(٥) وذكر التاريخ خطأ في الأصل وهو "٦٧٦" ولم ينوه عنه مترجماً النسختين، انظر: نسخة د/أحمد السعيد، ص٣٩٨، نسخة د منصور، ص٣٣٨.

(٦) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٩٦ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص٣٩٨.

ولم يكتف محمد بك بن قرمان بذلك، بل سعى لتزويج " جمري" من إحدى بنات السلطان قلج أرسلان الرابع، وقبلت أمها[١] بذلك لكنها طلبت مهلة أربعة أشهر لتجهيز العروس، فتم لها ذلك[٢]

ويبدو أنّ الأم ليس بوسعها الرفض مبدئياً، لكنها لم تكن في قرارة نفسها راضية بمصاهرة " جمري " فطلبت هذه المهلة التي تبدو طويلة نسبياً، على أمل أن تتغير الأوضاع لصالحها خلال هذه المدة، ومن ناحية أخرى فإن موافقة " جمري " ومحمد بك، على تلك المهلة يوحي بثقتهما في الصمود والتغلب على خصومهما بعد القضاء على نائب السلطان، وملك السواحل في قونية، واستتباب الوضع فيها لجمري وأعوانه، أدركوا أن الخطر القادم يتهددهم في " آقشهر " حيث يقيم تاج الدين حسين وأخوه نصرة الدين ابنا الوزير فخر الدين علي (صاحب عطا)، وهما بلا شك من الدعائم القوية لوزارة أبيهما والذي لا يرضى بما فعله التركمان وزعيمهم " جمري".

لم يتأخر جمري في مواجهة ما يراه خطراً على نجاح ثورته، فخرج من العاصمة بجموعه متوجهاً إلى " آقشهر " واستعد ابنا الوزير لملاقاته، وفي ضواحي البلدة[٣]، اشتبك الطرفان في معركة طاحنة، وسقط تاج الدين حسين تحت سنابك الخيل، ولحق به أخوه نصرة الدين، وفارقا الحياة، وحلت الهزيمة بأتباعهما وغنم جمري وجيشه أثقال المنهزمين وأموالهم، وأُسر سعد الدين خواجه يونس وهو ابن بنت بروانه معين الدين سليمان، وبعد موافقته على دفع فدية قدرها مئة وأربعون ألف درهم، قتل صبراً، ودخل التركمان " آقشهر "

(١) ويسميها ابن بيبي :" غزيلبا" Gazilba

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٩٢ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٩٨ ؛ ويرى Cahen أن الزواج قد تم فعلاً pre of ottoman Turkey.p . 290 ·

(٣) وقيل إن الحرب كانت خارج قرة حصار-المولوي: صحائف الأخبار، ج١ ورقة ٨٨ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق ص٦٥.
وقيل إلى الشمال الغربي من قونية بجوار "طنطاش". cahen: pre of ottoman Turkey p. 295.

واستولوا عليها فيها من الأموال والمواد الغذائية عقاباً لوقوف أهلها مع خصوم جمري[١].

وبعد أن استراح خاطره من ابني الوزير فخر الدين علي، تحرك جمري بجيشه إلى "قرا حصار دولة" إذ كانت مستودعاً لأموال وخزائن الوزير المذكور، وتجمعت داخلها فلول المنهزمين من الموقعة السابقة[٢] لكنها صمدت في وجه المهاجمين فانكفؤا عنها عائدين إلى قونية[٣].

وبعد وصولهم إلى قونية، أُشيع أن جمري وجيشه، يستعدون للزحف إلى "أرزن الروم" لحرب المغول، وتطهير آسيا الصغرى منهم وأنهم لذلك أقاموا معسكراً في "فيلوباد"[٤] Feloabad وكانوا بالفعل قد نقلوا إليه كل ما استطاعوا جمعه من غنائم و أموال، وكان جمري ومحمد بك يقضيان النهار في قونية، وإذا أرخى الليل سدوله خرجا منها إلى المعسكر في فيلوباد[٥] ويدل هذا التصرف على حذر جمري ومحمد بك، وربما عدم ثقتهما بأهل قونية.

في المقابل كان المغول قد علموا بثورة جمري، بل إن صرخات الاستغاثة وصلت إلى مسامع الإيلخان آباقا، وهو لم يعبر بعد حدود آسيا الصغرى متجهاً إلى بلاد فارس[٦].

وبلغت الانتصارات التي حققها "جمري" وأتباعه، إلى السلطان كيخسرو الثالث، ووزيره فخر الدين علي، وهما عائدان من بلاط الإيلخان، فتوقفا في توقات، وبعثا من جديد إلى الإيلخان يطلبان المدد[٧] وأقبلت طلائع الجيش

---

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٩٨ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٤٠٠.
(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١ ورقة ٥٨٨ب ؛ آقسرائي: المصدر السابق ص٦٦.
(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٩٩؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٤٠٠.
(٤) فليوباد: صحراء بظاهر قونية. ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٩٩، وتكتب أيضاً: فيل آباد. آقسرائي: المصدر السابق ص٥٠.
(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٧٠٠؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٤٠٠.
(٦) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٧٠٠؛ أخبار سلاجقة الروم ص٤٠١.
(٧) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٨ب.

المغولي، وحققت انتصارات على مقدمة جيش جمري والتركمان، وقتل وأسر بعض قادته[(١)].

وكشفت تلك المواجهات الأولى، ضعف موقف جمري وأنصاره، حتى من الناحية المعنوية، لأن على رأس من جناء لحربه، السلطان السلجوقي ووزيره، فبدأ ينسحب بجنوده من معسكر فيلوباد قاصداً العاصمة قونية[(٢)] وربما للتحصن بها، وتقليل الخسائر التي ستكون فادحة، لو التقى بالمغول ومن معهم في منطقة مكشوفة.

ولم تكن تلك الحوادث غائبة عن أهل قونية فتشجعوا، واستعدوا لمواجهة جمري وجيشه، ورمموا شرفات أسوار المدينة[(٣)] ونصبوا المنجنيقات، وهيأوا أنفسهم للحصار[(٤)].

ولما أقبل جمري ومحمد بك ومن معهما على العاصمة وجدوا أبوابها مغلقة، وأهلها متهيئون للدفاع عنها فبعثوا رسولاً إلى الأهالي لاقناعهم بفتح الأبواب، والسماح للجيش بالتزود من المؤن، لكن الأهالي رفضوا العرض، وقام فيهم القاضي محمود الأرموي[(٥)] محرضاً على الصمود، وأصدر فتوى بجواز محاربة جمري ومن معه، ووقف على السور، ورمى بسهم، جاعلاً من نفسه قدوة للآخرين، وخشي جمري أن يقع بين سندان أهل قونية، ومطرقة

(١) ومن أولئك القادة الذين قتلوا، جيلاق Gelag قائد قوة آقشهر، وأمير حرس جمري وقائد قوة "آبكرم" وأسر نساءهم وأطفالهم. ابن بيبي: الأوامر العلائية ص٧٠٠، أخبار سلاجقة الروم، ص٤٠١. وآبكرم :بلدة في آسيا الصغرى، ينسب إليها بعض الفضلاء، انظر، ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص ١١٥.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٧٠٠؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٤٠١.

(٣) وكانت الشرفات قد هدمت بأمر بايجونوين بعد دخوله قونية سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م. انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٧٠٢، أخبار سلاجقة الروم، ص٤٠١.

(٥) قاضي القضاة في العالم سراج الملة والدين، أبو البنا محمود الأرموي، وأثنى القرائي على علمه دون ذكر تاريخ وفاته. مسامرة الأخبار، ص١٢١. وهو الذي ذكر اليونيني، أنه نقل رسالة من "صاحب الروم" إلى هولاكو، بعد دخوله بغداد. انظر ماسبق، ص

القوات المغولية، فقرر المضي على الطريق المؤدية إلى أرمينية الصغرى، بعد أن أغار أتباعه على المناطق والمزارع الواقعة خارج أسوار العاصمة(١).

في هذه الأثناء وصل شمس الدين الجوني "صاحب الديوان" مفوضاً من قبل الإيلخان لمعالجة الفوضى التي دبت في المنطقة منذ اجتياح الظاهر بيبرس لها، وأبرز معالمها ثورة جمري، ودَعَمَ الإيلخان نائبه بقوة كافية، كما جعل حامية المغول في المنطقة رهن إشارته(٢).

وبدأ الصاحب الجويني يتعقب الثوار، وتوغل في بلاد التركمان حتى وصل لارندة(٣) عن طريق البحرولم يتوقف عن ذلك إلا بحلول فصل الشتاء، حيث يهرع المغول إلى مشاتيهم(٤).

وعاد (صاحب الديوان) إلى قونية، التي وصل إليها أيضاً السلطان كيخسرو الثالث ووزيره، وأركان دولته، وبدأوا جميعاً الاستعداد لجولة جديدة من الحرب مع جمري وأتباعهوكانوا ـ بين الفينة ولآخرى ـ يخرجون إلى ظاهر العاصمة، يتقصون الأخبار عن جمري وأنصاره، ويرسلون كتائب من الجيش للإغارة على بعض المناطق وتفتيشها، وفي إحدى الغارات، وقعت الكتيبة التي بعثوها ـ وعدد أفرادها يناهز المائة ـ على جماعة من التركمان

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية ص٧٠١، أخبار سلاجقة الروم ص٤٠٢.
(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٨ب ؛ الاقسراني " المصدر السابق، ص٧٩، وعندهما أن قائد الحامية قتلغ ايتاج، بينما ورد عند الهمذاني أن للحامية قائدين هما: كهوركاي نوين Kahorkay وأرقسون نوين Argsonnoyan جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص٦٥؛ وانظر ما سبق ص من هذا البحث.
(٣) لارندة: بلام وألف وراء مهملة مفتوحة ونون ساكنة ثم دال مهملة وهاء. وهي قريبة من قونية على مسافة يوم جهة الشمال الشرقي، واتخذها بنو قرمان عاصمة لامارتهم. وزارها ابن بطوطة. وذكر أنها مدينة حسنة، إلا أنه يسميها: اللارندة. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص٣٧٨؛ رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٣٢٢؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص١٨٠.
(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٧٢٢ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٤٠٤-٤٠٥.

فقتلت بعضهم، وعندما بدأت عملية سلب ما معهم تبيّن أن من بين القتلى محمد بك بن قرمان وبعض أفراد أسرته(١).

و يقال: إن محمد بك وجمري وثلة من الجنود كانوا طليعة للثوار الذين قرروا انتهاز فرصة تراجع القوات المغولية بسبب حلول الشتاء، وأزمعوا على مهاجمة العاصمة والقضاء على صاحب الديوان والسلطان ومن معهما لكنّ خروج الكتيبة المغولية عليهم فاجأهم، فأمر محمد بك بعض من كان معه، بأخذ جمري وحمله إلى أحد الحصون القريبة والمحافظة عليه، فيما تصدى هو وبعض اخوته وأبناء عمومته لمشاغلة الكتيبة المعادية، فقتلوا ـ كما أشرنا ـ واحتزت رؤوسهم وحملت إلى السلطان وصاحب الديوان، وطيف بها في العاصمة وفي بعض المناطق خاصة القلاع الحدودية بين دولة سلاجقة الروم ومملكة أرمينية الصغرى حيث طوائف كثيرة من التركمان يؤيدون الثوار، وقُصد أن يكون ذلك درساً وعبرة للمتمردين أو من يتعاطف معهم(٢).

وكانت تلك الحادثة ضربة قاسية لجمري وثورته ظن على أثرها (صاحب الديوان) أنه أضعف كثيراً تلك الثورة، والتفت لمعالجة بقية عناصر الفوضى في المنطقة، ومنها فتن تمخضت عن ثورة جمري نفسها(٣).

وبعد أن اطمأن على سير الأمور في بلاد سلاجقة الروم، عزم الصاحب شمس الدين الجويني على السفر إلى تبريز، للقاء الإيلخان، وترك ابنه خواجه

---

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٧٠٤؛ أخبار سلاجقة الروم ص٤٠٤.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية ص٧٠٤ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص٤٠٤.

(٣) منها تمرد المدعو " قزل حميد" في أقصراي، وكان معه أربعة آلاف مقاتل، لكن عساكر المغول انقضوا عليه بعد اضعاف قوة جمري وهزموا أصحابه وقتلوه، بل نهبوا المدينة بسببه. المولوي: صحائف الأخبار، ج١ ورقة ٥٨٨ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص١٢٥-١٢٨.
ومنها عصيان أحد التركمان "قهرمان" في مناطق الأوج، حيث قطع الطرق، وتحصن في إحدى الغابات فسار لحرية صاحب الديوان ومعه كهوركاي نوين وأرقسون نوين وأحرقوا الغابة وهو فيها. الهمذاني، جامع التواريخ ج٢، ق٢، ص٦٥.
وكتب صاحب الديوان إلى كافة الأطراف واستدرج بقية المتمردين وأدخلهم تحت طاعة الدولة، ابن بيبي: الأوامر العلائية ص٧٥١ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص٤٠٥.

شرف الدين هارون نائباً عنه، ومعه قائد الحامية المغولية في المنطقة "كهوركاي نوين" وكان صاحب الديوان قد أعد جيشاً للقضاء المبرم على جمري ومن بقي معه وجعل قيادته للسلطان كيخسرو الثالث، ووزيره فخر الدين علي والأخير = كما هو معلوم= موتور بفقد ولديه على يد جمري و أتباعه، وسيكون حريصاً على الأخذ بثأرهما.

اتخذ السلطان ووزيره من " أنكورية" معسكراً لهما، واستنفرا الناس لمحاربة جمري، ولبّى دعوتهما كثير من الناس، منهم طوائف من التركمان، وبقايا مماليك معين الدين بروانه، في منطقة قصطمونية وما حولها[1] وفي هذا دليل على اتساع دائرة المعارضين لجمري والذين يُعدّونه خارجاً على السلطان الشرعي.

بعد اكتمال الاستعدادات، زحف السلطان ووزيره إلى مناطق الثوار، وكان على طلائعهما البكلربكي الكبير وصاحب أماسية، الأمير سيف الدين طرنطاي.[2]

وفي مكان يسمى مليفدون[3] Melifedon نشبت الحرب بين الجانبين وذلك

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٧٢٥ – ٧٢٦ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٤٠٧.
(٢) انظر ما سبق، ص من هذا البحث.
(٣) مليفدون، هكذا أورد الاسم عند ابن بيبي في الأصل (الأوامر العلائية) وفي مختصره (مختصر سلجوق نامه) والمعروف أيضاً باسم: أخبار سلاجقة الروم، وهي بلدة نواحي عمورية. وفي النسخة التي ترجمها د. منصور، ذكر أن هو تسما (HUTSMA) "وهو من ناشري الكتاب" يشك في قراءة اسم المكان، ويذكر احتمال أن يكون اسمه: " يوليبتون" انظر، ص٣٤٢، والأوامر العلائية، ص٧٢٥، أخبار سلاجقة الروم-نسخة د. أحمد السعيد- ص٤٠٨.
وقيل أن المعركة وقعت بالقرب من " قراحصار دولة" المولوي صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٨ ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص١٤٥.
وقيل إنها شمال غرب نهر سقارية (سقرية).Cambridge History Of Islam Iv. P. 750
والمكان واحد لأن ابن بيبي ذكر عبور السلطان بجيشه النهر المذكور ثم قعت المعركة في المكان الذي أوردناه.

في صيف سنة ٦٧٦هـ /[١] ١٢٧٧م، فدارت الدائرة على جمري وأتباعه، فغدو بين قتيل وأسير ومنهزم، وحاول جمري النجاة بنفسه واللجوء عند بني كرميان، لكن هؤلاء سلموه - ومعه أحد قادة جيشه ويدعى " ساروغلاsarogla[٢] - إلى مطارديه، وبعد التحقيق مع جمري، سلخ جلده وهو حي !! وحُشي تبناً، وطيف به على المدن الكبرى من بلاد سلاجقة الروم، وقد سُرّ السلطان كيخسرو الثالث بهذه النتيجة، إلاّ أنه تضاعف سروره باستعادته لشعار آبائه - سلاطين السلاجقة - وهي المظلة والراية الآنفة الذكر[٣].

وإثر ذلك الانتصار، أخذ السلطان كيخسرو الثالث، يطوف بلاد التركمان[٤] فعاقب بعض الخارجين على السلطة، ورسخ نفوذ الدولة في تلك المنطقة ورافقه "بالطبع" وزيره فخر الدين علي، حيث بثّا السرايا في كل مكان واستأصلوا بقايا أنصار جمري[٥] وتم منح منطقة " قرة حصار" لأحفاد الوزير فخر الدين علي[٦] تعزية له لفقده ولديه.

وما من شك، أن ثورة جمري، تمخضت عن الفراغ في السلطة الذي نتج عن حملة الإيلخان آباقا على آسيا الصغرى، رداً على غزو السلطان بيبرس

تسمى المعركة أيضاً " موت " أو " وه سي" انظر: لين بول: تاريخ الدول الإسلامية، ج٢، ص٤١٦ ؛ أحمد توني: المرجع السابق، ص٧٥.

(١) شك المولوي في تاريخ هذه المعركة، وحاول التقريب فأبعد النجعة، إذ قال :". . . وكان ذلك سنة ٦٨٠هـ تقريباً!!" صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠أ.

(٢) ساروغلا، أحد قادة جيش جمري، والمتهم الرئيسي بقتل ابني الوزير تاج الدين ونصرة الدين، لذلك عندما جيء به إلى والدهما، لم يعف عنه وأمر بقتله. وهذا يرجح ماذهبنا إليه من أن جعل الوزير فخر الدين علي مشتركاً في قيادة الحملة، يجعله متحمساً للأخذ بثأر ابنيه. انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية ن ص٧٢٦ – ٧٢٧ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٤٠٨.

(٤) ومن تلك البلاد: لاديق، وخوناس، وقرا حصار.

(٥) ومن الاجراءات التي اتخذها السلطان، عزل علي بيك عن لاديق وخوناس، واحضاره إلى قونية حيث توفي بها فجأة. أنظر: ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٧٠٧؛ أخبار سلاجقة الروم، وعلق المولوي على ذلك بقوله: " وزعم (أي السلطان) أن البلاد قد صفت له " صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠أ.

(6) Cahen: pre of ottoman Turkey. p. 292.

للمنطقة، وقد كلفت تلك الثورة الدولة السلجوقية الكثير من الخسائر، كما دفع السكان المحليون الجزء الأكبر من الثمن، فأزهقت أرواحهم، ونهبت ممتلكاتهم، وخربت ديارهم.

ثورة التركمان العامة "٦٩٠هـ/ ١٢٩١م"

سوف نلقي الضوء على أشهر الفتن والثورات في آسيا الصغرى متجاوزاً فتناً وثورات عديدة كانت ذات أثر محدود[١]. إلا أن ثورة التركمان بالتعاون مع الطائفة اليونانية في آسيا الصغرى[٢] كانت ذات أثر كبيرحيث أنتهزوا فرصة مغادرة كيخاتو المنطقة، لتولي عرش الإيلخانية، بعد ثمان سنوات قضاها مشرفاً على المنطقة، وظن الثوار بإمكانهم طرد المغول من البلاد[٣].

فحشدوا قواتهم، اختاروا قونية لتكون هدفاً لهم.وشجعهم على ذلك، ضعف حاميتها، وخُلوها من السلطان وكبار رجال دولته، إذ كان هؤلاء مقيمين في قيصرية، واستطاع الثوار بزعامة خليل بهادر[٤] فرض الحصار على قونية، وكانت فرق الآخيه تتزعم المقاومة، ويخرج أفرادها للاشتباك مع الثوار، ويعودون إلى داخل الأسوار، حيث يغلقون الأبواب ويستعدون للإغارة من

---

(١) في سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٥ ١٢٨٦م، ثار التركمان، فجاء كيخاتو على رأس حملة لتأديبهم وسبقت الإشارة إلى شيء من ذلك. انظر ما سبق ص من هذا البحث.
في سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٩٠م. وقعت فتنة بين المسلمين و النصارى، في حصن زياد، حصل خلالها نهب وسلب، وقتل وفوضى استمرت شهراً " كسد فيها الأخذ والعطاء، والبيع والشراء" ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٦٢.
ـ في عام ٦٩٢هـ/ ١٢٩٤م. أمير مغولي من ذرية هولاكو خان أثار فتنة في بلاد فارس، وهرب إلى آسيا الصغرى، وتعقبته قوات مغولية وألقت القبض عليه، بعد معركة في نواحي أرزن الروم، الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٢٦.

(٢) عباس إقبال: المرجع السابق، ص٢٥٥ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٢٠٨ ؛ Cambridg History Of Iran ,p,381.

(٣) حسن الأمين: المرجع السابق، ص٢٧٠؛ Cahen: preof ottoman Turkey, p. 298-300

(٤) خليل بهادر من زعماء أشرف أوغلو. انظر ما يلي ص من هذا البحث.

جديد، لكنهم إزاء ارتفاع الاصابات في صفوفهم قرروا التخلي عن خططهم تلك[١].

وأدت إشاعةٌ سرت بين التركمان ومن معهم بتحرك السلطان السلجوقي مسعود الثاني والحاميه المغولية لحربهم إلى تخليهم عن حصار العاصمة والابتعاد عنها، لكنهم كروا راجعين إليها بعد يقينهم أن الأخبار التي وصلتهم مجرد شائعات لا صحة لها[٢].

وكان الحصار الثاني أشد وطأةً من الأول، وطلب سكان العاصمة الغوث من حفيد الوزير السابق فخر الدين علي (صاحب عطا) وكان يحكم دينزلي، فتحرك لمساعدتهم وفي الوقت نفسه جاءت فرقة مشتركة من عساكر مغولية وسلجوقية بقيادة أحد أبناء السلطان كيكاوس الثاني[٣] والتقي اجمعان بجموع الثوار[٤] ورغم الهزيمة التي حلت بالتركمان ومن معهم إلاّ أن خطرهم لا يزال قائماً[٥] وعندما وصلت أخبار تلك الثورة إلى الإيلخان كيخاتو، عزم علي المسير بنفسه، لوضع حد لتعدي التركمان.

فعَبَر الايلخان حدود آسيا الصغرى الشرقية، على رأس جيش جرار، ووصل إلى مدينة قيصرية سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م، حيث استقبله السلطان مسعود الثاني وترددت أصداء الفرح والاستبشار في العاصمة قونية لمعرفتهم السابقة بالإيلخان كيخاتو والذي جاء ليرفع عنهم ضغط التركمان وتعديهم[٦].

اتخذ الإيلخان قيصرية معسكراً له وبث السرايا، لتغير على معاقل التركمان خاصة في جنوب وغرب آسيا الصغرى، ووصلت الغارات إلى اقشهر،

(1) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s604
(2) Anonim Slçuk-nâme. S. 77-82, Turan: Op. Cit. s. 604.
(3) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 605
(٤) قيل في " أبور جوك" مرغزضصدا" بالقرب من قلعة أرماتسون "ضضصرصشا". Turan :Op. Cit. s. 605
(٥) ابن العبري :تاريخ الزمان، ص٣٦٥، الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص١٧٧؛ Turan: Op. Cit. s. 605.
(٦) Anonim Slçuk-nâme,S. 83-86,Turan :Op. Cit. S605.

ومنتشاMentese[1]، وأريفلي، وتعرضت قرى في تلك المنطقة للنهب والخراب، واجتاحت العساكر المغولية "لارندا" وقتلوا أهلها، وأحرقوا منازلها[2]

ونالت منطقة " أشرف أوغلو"[3] نصيبها من الخراب أيضاً، وتم أسر ما يقارب من سبعة آلاف من التركمان، ونقلوا إلى قونية، فيما جُلبت الغنائم إلى المعسكر العام في قيصرية[4].

ومن معسكره أيضاً في قيصرية، جهز الإيلخان جيشاً كبيراً، واسند قيادته إلى السلطان مسعود الثاني، ومعه نائب الحضرة العليا مجير الدين أمير شاه، ويرافقهما قائدان مغوليان هما:" قوغطاي Goktay"، و"قيراي Gray" ووجههم نحو قصطمونية ليعاقبوا تركمان المناطق الشمالية، أسوة بإخوانهم في الجنوب والغرب[5].

ولم يمكث الإيلخان ليرى نتائج حملته، إذ غادر آسيا الصغرى، متوجهاً إلى بلاد فارس، في رجب سنة ٦٩١هـ/ يونيو١٢٩٢م، بعد أن قضى في المنطقة قرابة عشرة أشهر، [6]واعتراه مرض في الطريق لكنه شفي منه، واضطربت الأوضاع في تبريز، لورود أنباء عن هزيمة الإيلخان، بل وقتله على يد التركمان وكان "طغاجار" ونائبه "صدرجهان" متولياً كبر هذه الإشاعة، لكن سرعان ما ثبت بطلانها وأُلقي القبض على طغاجار ونائبه ثم عفى عنهما الإيلخان[7] وعندما رأى تركمان المناطق الجنوبية والغربية انسحاب الإيلخان قبل اتمام حملته على قصطمونية، اعتبروا ذلك بمثابة هزيمه للمغول، فتشجعوا، ونزلوا

(١) عن امارة ابناء منتشا. انظر ما يلي ص من هذا البحث.
(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٦٥ ؛ Anonim Slçuk-nâme ,S. 83-86,Turan: Selçuklular ZamanindaTürkiye. S605.
(٣) عن امارة أشرف أوغلوا انظر ما يلي من هذا البحث.
(٤) اقسرائي: المصدر السابق، ص١٧٠ ، ١٧١ ؛. Turan: Op. Cit. s. 606
(5) Anonim Slçuk-nâme. s. 88-89,Turan: Op. Cit. s. 60
(٦) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢ق٢، ص١٧٨، ا لصياد: الشرق الإسلامي ص٢٠٨.
(٧) قزويني: تاريخ كزيده، ص٣٠٠ ؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ٢٥٥، الصياد: الشرق الإسلامي، ص٢٠٨.

من رؤوس الجبال التي اعتصموا بها، إبان ملاحقة المغول لهم، وقصدوا العاصمة قونية مستغلين بعد القوات عنها، وشجعهم ورود الأنباء بانتصار المماليك واستيلائهم على قلعة الروم[1].

وفيما كانت جموع التركمان تتدفق على العاصمة السلجوقية، كان أبناء جلدتهم في حلب يتوغلون في آسيا الصغرى، حيث وصلوا إلى سيواس وهاجموا من وجدوه من المغول وحلفائهم، لكنهم صُدوا عن المدينة بعد تعاون أهلها، مع حاميتها المغولية، حيث تكبد المهاجمون خسائر ضخمة[2].

أما هجوم التركمان على قونية، والذي قاده زعيم أشرف أغلو (خليل بهادر) بالتعاون مع أبناء قرمان، فلم يكن أنجح من سابقه، لكن سبب فشله هذه المرة مهاجمة قوات مملكة قبرص الصليبية[3] لمدينة العلائية الساحلية، وكانت تلك المدينة من قواعد القرمانيين، فاضطروا إلى ترك حصار قونية. والاسراع إلى انقاذ العلائية[4] وعندما استأنف التركمان ثورتهم تلك انضم إليها بعض أبناء كيكاوس الثاني فأرجأنا معالجتها إلى المبحث الخاص بنهاية الأسرة السلجوقية الحاكمة في بلاد الروم[5].

تمردا طغاجار[6] ويالتو(٦٨٢هـ/ ١٢٨٤م):

رغم قدوم الإيلخان كيخاتو بنفسه لمعالجة ثورات التركمان، إلا أن الهدوء والاستقرار لم يعودا إلى آسيا الصغرى، وسبقت الإشارة إلى بعض الأنظمة الادارية والمالية التي اتخذت في عهد ذلك الإيلخان، وانعكست آثارها

(1) Anonim Slçuk-nâme. s. -89,Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s 606.
(2) Anonim Slçuk-nâme. s. -89,Turan:Op. Cit. s. 606
(٣) احتل الصليبيون قبرص سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م وفي العام التالي، أسسوا فيها مملكة، استمرت حتى سنة ٨٩٤هـ /١٤٨٩م. ولمزيد من التفاصيل. انظر: سعيد عاشور: قبرص والحروب الصليبية.
(4) Anonim Slçuk-nâme. s. -89,Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 607. .
(٥) انظر ما يلي من هذا البحث.
(٦) طغاجار هكذا ورد عند الهمذاني، بينما أورده اقسرائي بصيغة (بغاجار) وعنه ينقل أيضاً المولوي.

على مجمل الأوضاع في المنطقة، ثم انقضى عهده، وكان عهد خليفته بايدو قصيراً جداً إذ أُطيح به على يد السلطان محمود غازان وكان من الاجراءات التي اتخذها الزعيم المغولي الجديد، تعيين طغاجار مشرفاً على بلاد سلاجقة الروم، وقائداً للحامية المغولية فيها لأسباب سبقت الإشارة إليها.

ولمعرفته بأن طغاجار رجلٌ متقلب الأهواء فإنه توقع خروجه عليه، ولم ينتظرحتى يعلن التمرد عليه، بل بعث على اثره القائد خرمنجي KHormangi[(١)]، وأوصاه بالإتفاق مع القائدين "عرب"[(٢)] Arab، وبالتو، وكانا قائدي الحامية المغولية في آسيا الصغرى، وبرز دورهما إثر وفاة القائد العجوز ساماغر خلال هذه الفترة[(٣)].

وجاء القائد خرمنجي، بأمر صريح من الإيلخان بالتنسيق مع القائدين المذكورين، والفتك بطغاجار، بعد استدراجه، بحجة تسليمه برليغ التعيين الخاص به، ولّمح السلطان غازان لمستشاريه أنّ المصلحة، تحتم عليه، التخلص من الذين يثبت عنده، أنهم يعتزمون التمرد، وأنه عندما يتخذ قراراً بذلك، فإن قلبه يتقطع حسرةً وألماً بحكم أن بعضهم - مثل طغاجار- كانوا من أنصاره يوماً[(٤)].

أما طغار جار، فقد جاء إلى مقر عمله الجديد ومعه حشد من الأتباع والمساعدين، ولم يكن غريباً على المنطقة، إذ سبق له العمل فيها، وقصد في البداية مدينة توقات، فصادر أموالاً كثيرة وجدها في قلعتها[(٥)] وكانت القلعة -

(١) خرمنجي. لم أعثر له على ترجمة.
(٢) عرب بن القائد سماغر، خلف والده في قيادة عساكر المغول في آسيا الصغرى، وأعطي رتبة "تومن"، رغم صغر سنة، واشترك في "القوريلتاي" الذي انتخب أحمد تكودار ايلخاناً للدولة المغولية، وكان من مؤيديه واستمر على مكانته حتى عهد غازان. واستمر على مكانته في عهد غازان. الهمذاني: جامع التواريخ ج٢، ق٢، ص٩١
(٣) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٣٩.
(٤) الهمذاني: المصدر نفسه، ص١٣٤-١٣٥.
(٥) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٣٩ ؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 616

ـ لحصانتها ـ مستودعاً لأصحاب الأموال من عِلية القوم، ورأينا كيف كان بروانه يلجأ إليها وقت الشدائد، ويخزّن فيها أمواله ومدخراته[١].

ولم يكتف طغاجار بتوقات، بل فعل في ولايات أخرى مجاورة مثل ذلك، وكان يقسّم ما يحصل عليه من أموال بين جنوده[٢] فكثر أتباعه، وكسب ولاءهم.

ولما وصل القائد "خرمنجي" شعر طغاجار بما يُحاك ضده، وبدأ يستعد للثورة وطلب مساعدة البكلريكي "عز الدين محمد، أخي البروانه" فلبي طلبه، واجتهد في مساعدته، لجهله بأمر غازان الذي جاء به خرمنجي من جهة، ولسوء علاقته بالقائد بالتو من جهة أخرى.لكنه عندما وقف على جلية الأمر، آثر الإنسحاب إلى سينوب، واصطحب معه ابن أخيه معين الدين محمد بيه، ليكونا بعيدين عن حلبة الصراع، ولوجود أنصار لأسرة بروانه في تلك المنطقة، وأخذا من هناك يرقبان الصراع الدامي الذي يوشك أن يندلع بين المغول[٣].

ولما لم يجد طغاجار مساعدة من رجال دولة سلاجقة الروم سار من توقات قاصداً سيواس، ليجمع المؤيدين والأنصار، وينهك خصومه، الذين جدّوا في طلبه لكن مطارديه (خرمنجي، وبالتو، وغرب) وعساكرهم قطعوا عليه الطريق، واشتبكوا معه في معركة حاسمة سنة٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م.فمني بالهزيمة، ووقع في الأسر، فبادروا بإعدامه بأمر غازان[٤].

بعد أن نجح بالتو في مهمته، تظافرت مجموعة من الأسباب شجعته على التخطيط للإستقلال بما تحت يده من مناطق.فهو أكبر قادة المغول في المنطقة شأناً وسماغر القائد الكبير قد مات وخليفته ـ وابنه في الوقت نفسه ـ "عرب"

---

(١) انظر ما سبق من هذا البحث.

(٢) الهمذاني: تاريخ غازان خان/ ص١٣٩.

(3) CAHEN:Pre Of Ottoman Turkey. p. 300

(٤) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٣٩.

لازال صغير السن، ومنطقة آسيا الصغرى ليست غريبةً عليه بل له فيها جذور عميقة فهو يخدم فيها منذ عهد الإيلخان آباقا[1] كما أنّ أباه من قبله، كان من كبار القادة فيها، واسمه تبشي[2] ومن المرجح أن يكون هو عينه "نابشي "والذي ورد اسمه ضمن كبار قادة المغول في آسيا الصغرى، ويحمل رتبة " نوين"[3] في صدر عهد معين الدين سليمان بروانه، وفي " خركاه". كما أسلفنا - تم اغتيال السلطان قلج أرسلان الرابع وربما كان "بالتو" مع والده، وهو يفسر ما ذكره الهمذاني من أن بالتو كان في بلاد الروم منذ عهد آباقا[4].

واضافة إلى ذلك، فإن القائد بالتو لم يكن يثق في السلطان غازان، خاصة بعد أن أخذت رسله تترى، تطلب منه القدوم إلى تبريز، وخشية من مواجهة المصير الذي آل إليه طغاجار ومن سبقه من قادة المنطقة الذين فكروا في الاستقلال بها عن الدولة الإيلخانية[5] كلها عوامل دفعت بالتو إلى تحويل عملية الإستقلال من فكرة إلى واقع.

ويبدو أن السلطان غازان تأكد أن بالتو سيخرج عن طاعته، وذلك عندما عرضت عليه رسالة كتبها ايلدار Eldar[6]، إلى بالتو، يحثه فيها على العصيان والتمرد، فأمر بالتحقيق مع ايلدار المذكور، وبعد ادانته، أمر بإعدامه فنفذ فيه الحكم في شوال سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م[7] وكتب غازان إلى

(١) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٣٩.
(٢) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٣٩.
(٣) اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٤.
(٤) تاريخ غازان خان، ص١٣٩.
(٥) تاريخ غازان خان، ص١٣٩
(٦) ايلدار بن قونقورتاي. الهمذاني :تاريخ غازان خان، ص١٣٨. ويبدو أنه أحد أبناء قونقورتاي بن هولاكو، الذي كان قائداً في آسيا الصغرى.
(٧) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص ١٣٨.

بالتو يستدعيه للمثول بين يديه، لكن الأخير كان ينتحل في كل مرة عذراً جديداً، ويصرف رسل الإيلخان خالي الوفاض[١].

من جهته، قطع بالتو المبالغ التي كان يرسلها إلى خزينة الدولة الإيلخانية[٢]، وأراد أن يستغل مكانة الأسرة السلجوقية في نفوس السكان، ويكسب ولاءهم، فأجبر السلطان مسعود الثاني، على البقاء إلى جانبه، وأظهره كأنه مساند لحركته الاستقلالية[٣]، وكان يزمع على فعل الشيء نفسه، مع النائب مجير الدين أمير شاه، لكنّ النائب أفلح في الفرار ولم يستقر له قرار، إلاّ في بلاط السلطان غازان حيث أطلعه على أبعاد التمرد الذي بدأه بالتو في آسيا الصغرى[٤].

أعدّ غازان جيشاً من ثلاثين ألف مقاتل، وجعل قيادة لقائد قواته المميز "قتلغ شاه"[٥] "Qutlokh shah"، ودعمه بقادة آخرين بعضهم مقيمين مع عساكرهم، في آسيا الصغرى، وهؤلاء القادة هم:" بورلتاي أغول[٦] Borltai Agol"، و"سولاميش" و"عرب بن سماغر"، و"أبيشقا Abishqa"[٧]، وساهم النائب مجير الدين في تموين الجيش الإيلخاني، خدمة لغازان، ولعداوة سابقة بينه وبين بالتو زعيم التمرد[٨].

---

(١) اقسرائي :المصدر السابق، ص٢٠١ ؛ الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٣٩.

(2) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 618

(٣) اقسرائي :ا لمصدر السابق ن ص١٩٧-٢٠٠؛ Turan:Op. Cit. s. 618

(٤) اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٠٠، وانظر: المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٢أ ؛ D,ohsson: op. cit. iv. p. 169.

(٥) قتلغ شاه، أكبر القادة في عهدي :غازان وخليفته أولجايتو، تسميه بعض المصادر العربية "نائب غازان" اشترك معه في حروبه في الشام، وكان الشخصية الأولى في دولة أولجايتو خدابنده، ويقال أنه فرح بموته، قتل قتلغ شاه في الحروب التي شنها أولجايتو في منطقة جيلان، وذلك سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م القاشاني: المصدر السابق، ص١١٢ ١٢٥؛ حافظ أبرو (ت. ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩) ذيل جامع التواريخ رشيدي، شامل وقايع سنة (٧٠٣- ٧٨٧هـ)، باهتمام دكتر: خانبابا بياني. تهران ١٣٥٠هـ. ش. چاب دوم، ص ٧٢-٧٦؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٣، ص٣٣٥.

(٦) بورلتاي :لم أعثر له على ترجمة.

(٧) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٣٩.

(8) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 618

بعد وصول قتلغ شاه بجيشه إلى وسط آسيا الصغرى ا نضم إليه من لا يزال على ولائه لغازان من العساكر المغولية في المنطقة، وسار يبحث عن بالتو وأنصاره، وعلى مقدمته أبيشقا، وكان بالتو قد كمن لخصومه خلف أحد الجبال وحقق نصراً على مقدمتهم.لكن وصول بقية الجيش، وعلى رأسه قتلغ شاه، أجبر بالتو على التخلي عن مواقعه الدفاعية وأن يخرج إلى صحراء "مالية"، حيث اشتبك الجانبان في معركة قوية في شتاء سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م واستمرت المعركة يومين(١).تخلى فيها عدد من عساكر بالتو عنه، وانضموا إلى جيش الدولة، فرجحت كفته وحلت الهزيمة بجنود بالتو، وخسر الطرفان الكثير من الجنود، ولاذ بالتو بالفرار(٢)بينما وقع السلطان السلجوقي مسعود الثاني في الأسر(٣).

بعد تلك المعركة، غادر قتلغ شاه بجزء من الجيش آسيا الصغرى، متجهاً نحو الشرق، لقضاء فصل الشتاء هناك، وترك للقائد سولاميش مهمة تعقب بالتو والقضاء المبرم عليه(٤).

أخذ سولاميش، يقتفي آثار بالتو، الذي فكر في الإنسحاب إلى مناطق الأوج في أقصى غرب آسيا الصغرى، لكنه لمس من مطارديه اصراراً على ملاحقته والقبض عليه، فغير رأيه، وقرر اللجوء إلى التركمان أبناء قرمان، وسألهم النجدة بموجب اتفاق مسبق معهم(٥) وحري بهم، استغلال مثل تلك الإنشقاقات بين المغول، فسارعوا إلى مد يد العون إليه، ولكنهم تراجعو عن عزمهم، بعد أن رأوا قوة سولاميش وحرصه الدؤب في القضاء على بالتو، كما

---

(١) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٣٩ ؛ وانظر أيضاً: اقسرائي، المصدر السابق ن ص ٢٠٠-٢٠٢.

(٢) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٣٩.

(٣) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٣٩.

(٤) اقسرائي: المصدر السابق ن ص٢٠٤ ٢٠٥.

(٥) اقسرائي: المصدر السابق ن ص٢٠٢ – ٢٠٣ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 618.

أنهم لا يرغبون في تحمل المزيد من الخسائر، ودمار الممتلكات، ولا مانع عندهم من التضحية بحليف مغولي مهزوم ومطارد مقابل تجنيب مناطقهم المزيد من الخسائر المادية منها والبشرية ن فمنعوا بالتو من دخول معاقلهم، وأغلقوا أبوابها في وجهه[1].

والحقيقة أن التركمان متهمون بالتخلي عن من يناصرون إذا رأوا أن بوادر الفشل تحدق به[2]. ولم يقتصر غدرهم ببالتو على هذا الحد، بل إن طائفة من فلول عساكره، بعد أن نجوا من القتل والأسر، في المعركة السابقة، استجاروا ببعض قبائل التركمان، فأجاروهم، ثم خفروا جوارهم، وقتلوا الرجال منهم، وسبوا النساء والذراري[3].

أما بالتو ومن معه فقد وصلوا إلى "بيبشهيرBeysehir"[4]، وفوجئ بموقف القرمانيين واسقط في يده، ولم يجد أمامه مكاناً يقصده إلاّ الأرمن في قيليقية، حيث طلب من ملكهم حمايته، لكنه رفض طلبه، واعتقله، ولم يسمح له بالتوجه إلى بلاد الشام، والأدهى من ذلك، أن بعثه مكبلاً بالأغلال إلى سولاميش[5]. ومن نافلة القول، أن ملك الأرمن قصد بذلك اظهار ولاءه واخلاصه للدولة الإيلخانية التي هو دائر في فلكها.

من جهته، أكمل سولاميش عملية مطاردة أنصار بالتو، حتى قضى عليهم تماماً ويفترض أنه أخذ معه بالتو وكبار أعوانه، ونقلهم إلى تبريز.حيث

---

(١) اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٠٤ ، ٢٠٥ ؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 618-619

(٢) ابن الجزري: حوادث الزمان وأنبائه ج١، ص٤٣٦.

(٣) وكان من عادة المغول اصطحاب النساء والذراري في السلم والحرب، اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٠٦، وانظر المولوي: صحائف الأخبار، ج١ ورقة ٥٩٢أ.

(٤) بيشهير: وبكشهر، وبيشهري: مدينة قريبة من قونية، وهي اليوم قصبة قضاء في ولاية قونية، على الشاطئ الجنوبي الشرقي لبحيرة "كول" واسمها قديماً بحيرة " كارالسKaralis ويعتقد أن المدينة بنيت في عهد كيقباد الأول؛ المولوي: صحائف الأخبار، ج١ ورقة ٥٩٢أ. دائرة المعارف الاسلامية، ج٧ ص ٤٩٨.

(٥) اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٠٩.

تمت محاكمتهم، وبالتالي إعدامهم، وقد نفذ الحكم في بالتو وابنه علناً في ميدان تبريز يوم السبت الخامس والعشرين من ذي القعدة، سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٧/٩/١٤م[١].

٤- تمرد سولاميش(٦٩٨هـ/١٢٩٨م):

بعد الجهد الكبير الذي بذله سولاميش، في القضاء على ثورة بالتو، وتوّجه بالقبض على قائد الثورة، وكان من تبعات تلك الثورة خلو عرش السلاجقة في آسيا الصغرى من سلطان[٢]، فكان هذا سبباً من جملة أسباب دفعت سولاميش على خلع طاعة غازان ومحاولة الاستقلال بآسيا الصغرى

فبالاضافة إلى الأسباب العامة، والتي سبقت الإشارة إليها فإن لكل من حاول التمرد على سلطة الدولة الإيلخانية في آسيا الصغرى، أسباباً خاصة، وهي بالنسبة لسولاميش، تمثلت في الفراغ في رأس السلطة بدولة سلاجقة الروم.كما سبقت الإشارة إليه وزيادة على ذلك، فإن سولاميش، يرأى أنه أحق من غيره بحكم هذه المنطقة، فالجميع يعرفون، أن جدّه[٣] بايجو نوين، هو الذي أخضع هذه المنطقة، وألحقها بالدولة المغولية.

ولكنّ البعض التبس عليهم الأمر، وظنوا أن سولاميش كان يدعي أحقيته بعرش الدولة الإيلخانية نفسها، فهو - من وجهة نظرهم - حفيد

---

(١) الهمذاني: تاريخ غازان، ص١٤٩. وانظر أيضاً: Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 619.

(٢) انظر ما يلي ص من هذا البحث

(٣) سبقت الإشارة إلى الخلاف في اسم والد سولاميش. انظر ما سبق ص من هذا البحث. لكن هناك من جعل سولاميش ابناً مباشراً لبايجو، لا حفيداً له. انظر: ابن الجزري: حوادث الزمان وأنبائه ج١، ص٤٣٧ ؛ العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٤٠١.
أما الصراتي فيجعله (سبط بايجو) مسامرة الأخبار، ص٢٣٩ ٢٤٥.

هولاكو، وأقرب إليه من غازان بن آرغون[1] وهو - كما هو واضح - ظنٌّ خاطئٌ، بُني على معلومة مجانبة للصواب.

والحقيقة أنّ المصادر - وتبعاً لها المراجع - تختلف فيما بينها في (مسألة سولاميش)، و في طريقة كتابة اسمه، واسم أبيه، وتاريخ ثورته، وأسبابها، ومجرياتها[2].

ويرى أحد الباحثين أنه يمكن استنتاج أكثر من قاسم مشترك، بين ثورتي بالتو وسولاميش، فآسيا الصغرى معروفة لديهما تماماً، وأسلافهما من القادة الذين أسهموا في ضمها إلى الدولة الإيلخانية، مما يعني وجود ارتباط معين بينهما وبين المكان" كما أنه لم يكن لدى الرجلين نية مبيّتة للتمرد، لكن غازان - وأسلافه - تعودوا على ارسال من لا يرغبون في بقائه قريباً منهم في العاصمة، إلى آسيا الصغرى[3].اضافة إلى أن كلاً منهما، كان وجلاً من السلطان غازان، وعديم الثقة فيه ن ويتوقع منه - في أي وقت - العزل وربما القتل[4].

ولابد أن سولاميش، سعى لتلافي الأخطاء التي وقع فيها سابقوه، خاصة بالتو، وحرص على اشراك أطراف خارجية معه في ثورته، ليُكسبها زخماً وقوة وسواءً كان سولاميش قابعاً في آسيا الصغرى، على رأس حاميتها القوية، منذ القضاء على ثورة بالتو[5] - وهو الأرجح - أو أنّ السلطان غازان، بعثه على

(١) ابن أبي الفضائل: المصدر السابق، ص٦٢٧ ؛ ابن الجزري: حوادث الزمان وأنبائه، ج٢، ص٤٣٧ ؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٩ (الدر الفاخر) في سيرة الملك الناصر، تحقيق: هانس روبرت رويمر، ص٨ ؛ القلقشندي صبح الأعشى، ج٥، ص٣٦٢ ؛ أحمد توني: المرجع السابق ص٧٨.

(٢) انظر مناقشة ذلك عند: مصطفى طه بدر: إيران في عهد غازان وعلاقتها بمصر بوجه خاص. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة فؤاد الأول، ١٩٤٤م. ص ٢٢١ ٢٢٢م.

(3) Cahen:Pre Of Ottoman Turkey. p. 301

(٤) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٣٩ ؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٣٠٢.

(٥) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٥٥؛ بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ج٩، ص٣٠٢، ١٥٦ أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص٣٧٤.

رأس جيش قوامه خمسة وعشرون ألفاً، وأمره بدخول آسيا الصغرىن وبعد أن تنضم إليه الحامية المغولية في المنطقة، يزحف جنوباً باتجاه بلاد الشام، وذلك جزء من خطة حرب شاملة عزم السلطان غازان على شنها ضد دولة المماليك، ويشترك فيها بنفسه[1] فقد تبلورت في ذهن سولاميش، مسألة الإستقلال بآسيا الصغرى عن الدولة الإيلخانية، واختار شتاء سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٨٩ - ١٢٩٩م، ليعلن ثورته، إذ كان شتاءً قاسياً، قطعت فيه الثلوج الغزيرة، طرق المواصلات بين آسيا الصغرى وبلاد فارس، فأطلق سولاميش شائعة تقول: إن الأوضاع مضطربة تماماً في تبريز، وأن غازان ذهب ضحية ثورة هناك[2] فطلب من كبار القادة المغول الذين معه الاشتراك في ثورته فقبل بعضهم أمثال: اقبال نوين[3] وطاش تيمور الخطائي، وعرب تنجي[4] ورفض آخرون وكان مصيرهم القتل، ومنهم: باينجار، وبوجقور، ويبدو أن ذلك تم بعد معركة قصيرة مع المعارضين[5]

وبعد التخلص العنيف من المعارضين علا شأن سولاميش وثورته، وكثر أتباعه، وكان يغدق عليهم الأموال[6] كما تلقى دعماً من التركمان، فجاء لمناصرته بنو قرمان، ومعهم عشرة آلاف مقاتل[7]

---

(١) ابن الجزري: حوادث الزمان وأنبائه، ج١، ص٤٣٥ ؛ ابن أيبك، كنز الدرر، ج٩، ص٨ ؛ وجمع النويري بين المعلومتين نهاية الأرب، ج٣١، ص٣٧٣.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، وقرة ٥٩٢ب، ؛ الهمذاني: تاريخ غازان خان ص١٥٦ اقسرائي، المصدر السابق، ص٢٣٩ ٢

(٣) اقبال :لم أعثر له على ترجمة.

(٤) عرب تونجي :الم أعثر له على ترجمة فيما توفر لدي من مصادر.

(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٢ب ؛ الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٥٦ اقسرائي، المصدر السابق، ص٢٤٥.

(٦) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٢ب ؛ اقسرائي المصدر السابق، ص١٤٥-١٤٧.

(٧) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٥٦ ؛ ابن الجزري: حوادث الزمان وأنبائه، ج٢، ص٤٣٥-٤٣٦.

وأرسل سولاميش إلى السلطان المملوكي لاجين[1] يناشده المدد، ويعلن خضوعه للدولة المملوكية، فرد عليه لاجين بإرسال تقليد[2] له، يعترف له فيه بالسيادة على جميع بلاد الروم، بما فيها بلاد التركمان ومناطق الأوج التي طالما كانت خارجة على سلطة حكام قونية[3].

ووصلت الأنباء إلى غازان، تؤكد خروج سولاميش عليه، فجعل شغله الشاغل، القضاء على تلك الحركة، وجهز جيشاً بقيادة قتلغ شاه، وعلى مقدمته الأمير جوبان[4] ثم أردفه بجيش آخر بقيادة سوتاي[5].

---

(١) السلطان المنصور حسام الدين لاجين المنصوري، من مماليك السلطان قلاوون ثار على السلطان زين الدين كتبغا، وبويع سلطاناً في صفر سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م، وهو في عشر الخمسين أو جاوزها بيسير. بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٣٢٣ ٣٢٤ ؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، الطبقة ٧٠، ص٣٦٩.

(٢) تقليد: معناه تولية، وهو يكتب بأمر السلطان لمن يوليه على وظيفة من الوظائف الكبرى. القلقشندي صبح الأعشى، ج١١، ص٢٢٠

(٣) للوقوف على نص التقليد، انظر: العمري: مسالك الأبصار، ج٣، ص١٥٨ ١٦١؛ العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٤٠٠ – ٤٠٢. وفي رواية الهمذاني أنه أطلق الاسماء على الأمراء، وأعطوا الرايات والطبول، ويفهم منها أن بعض أمراء المماليك أقطعوا مناطق في بلاد سلاجقة الروم، وإن صح هذا فهو مشابه لما قام به السلطان بيبرس مع كيكاوس الثاني. انظر تاريخ غازان خان ص١٥٦ ؛ وانظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٢) الأمير الكبير جوبان نوين، كان له عدة أولاد أمراء، وبلغ قمة نفوذه في عهد الإيلخان أبي سعيد، فأصبح هو صاحب الحل والعقد، فانقلب عليه الإيلخان وقتله هو وأولاده، وكان مسلماً صحيح الإسلام، له أعمال بر في مكة المكرمة والمدينة المنورة. الذهبي ذيل تاريخ الإسلام، ص٣٣٧-٣٣٩ ؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٧٨-٧٩ ؛ حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ رشيدي، جاب دوم، ص١٦٠ ومابعدها.

(٥) هذه رواية الهمذاني في تاريخ غازان خان، ص١٥٦ ؛ وعليها المُعول، وقريب منها رواية المولوي وهو ينقل عن اقسرائي، انظر: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٢ب ؛ مسامرة الأخبار، ص٢٤٥-٢٤٧.

وهناك العديد من الروايات المتضاربة سواءً في اسماء القادة أو عدد العساكر، فقيل إن عدد الجيش خمسة وثلاثون ألفاً، منهم خمسة عشر ألفاً مع (سنتاي) وعشرة آلاف مع هندوغان، ومثلها مع (بولاهم، أو مولاي أو بولاي) وهو القائد العام " وهو المشار إليه " ابن أبي الفضائل: المصدر السابق، ص٦٢٤-٦٢٥ ؛ ابن الجزري :تاريخ حوادث الزمان، ج٢، ص٤٣٦ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣١، ص٣٧٤ ؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٩، ص٩.

وهناك من ذكر جيشاً واحداً، وقائده مولاي-بولاي-انظر: تاريخ وصاف، ص٤٦٧ ؛ تاريخ ابن خلدون، ج٥، ق٤، ص٨٨٧ ؛ ميرخوند: روضة الصفا، جلد بنجم، ص٤٢٥ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٠٧ ؛ أكرم العلبي: معارك المغول الكبرى في بلاد الشام، دار المأمون للتراث،

وفي جمادي الأولى[1] سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م، تحرك قتلغ شاه بجيشه نحو آسيا الصغرى، وسار على أثره سوتاي[2].

وبالمقابل كان أنصار سولاميش في ازدياد؛ وجاء ذلك نتيجة لاستخدامه سياسة الترغيب والترهيب، وكان جيشه يضم أعداداً من المرتزقة والرعاع وغيرهم[3].

إلا أنّ أهل سيواس امتنعوا عن الدخول في طاعته، وسار لحربهم، وبينما هو عاكف على حصارهم، إذ أقبلت جيوش غازان تطلبه[4].

تخلى سولاميش عن المحاصرة، واتجه إلى خصومه والتقى بهم بالقرب من آقشهر[5] في شهر رجب سنة ٦٩٨هـ/ أبريل١٢٩٩م[6]، وقبل نشوب المعركة تخلى عنه كثير من جنوده المغول، وانضموا إلى جيش الدولة الإيلخانية، وفي هذا دليل على أنهم شاركوه تمرده مكرهين لا طائعين، وسلك التركمان

دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨، ص١١٨ ؛ فايد عاشور العلاقات السياسية، ص١٤٣، ١٧٢. HoWOrth:op. cit. III,p. 475.

ولمزيد من التفاصيل حول اختلاف الروايات، انظر: مصطفى طه بدر، إيران في عهد غازان ص٢٢٤.

(١) وعند ابن الجزري في جمادي الآخرة. حوادث الزمان وأنبائه، ج٢، ص٤٣٦.

(٢) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٥٦.

(٣) واختلفوا أيضاً في عدد جنوده، فقيل خمسون ألفاً، ووعده المماليك بعشرين ألفاً آخرين. الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٥٦ ؛. Cambridge: History Of Iran. p. 386.
وقيل ستون ألفاً. ابن الجزري: حوادث الزمان وأنبائه، ج٢، ص٤٣٦ ؛ النويري: نهاية الأرب ج٣١، ص٣٧٤ ؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٩، ص١٠.

(٤) اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٤٠ ٢٤١؛ وذكر أن الحصار استمر شهراً. وانظر أيضاً: ابن الجزري: حوادث الزمان وأنبائه، ج١، ص٤٣٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣١، ص٣٧٤.

(٥) وكان اللقاء في صحراء بالمنطقة، وقيل في صحراء أرزنجان، وقيل بالقرب من سيواس. الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٥٦ ؛ اقسرائي المصدر السابق، ص٢٤٥ ؛ أحمد توني: المرجع السابق، ص٧٩ ؛ Cahen :pre of ottoman Turkey. p. 300.

(٦) وعند اقسرائي أنها في شهر شعبان، مسامرة الأخبار، ص٢٤٥.

الطريق نفسها، وانسحبوا إلى معاقلهم الجبلية متهمين جنود سولاميش المغول بالخيانة وبقي سولاميش في قلة من جنوده، فحلّت بهم هزيمةٌ نكراء[1].

ووصلت الأنباء إلى تبريز، تزف بشرى الانتصار على المتمردين، وتُخبر أن سولاميش فرّ من أرض المعركة، وأن كثيراً من أتباعه، عادوا إلى الطاعة، ومن رفض العودة تم أسره أو قتله، وأحضر كبار القادة المتمردين إلى العاصمة حيث حوكموا وأعدموا، ومنهم عرب بالو بن تنجي، واقبال بن أورقتو، وطاش تيمور الخطائي، ومن أمراء سلاجقة الروم، كرزة، وجركس، وآيسن[2].

أما في بلاد الشام، فقد وصلت أنباء هزيمة سولاميش بينما كانت النجدة[3] التي أعدها المماليك في طريقها إلى آسيا الصغرى وُطلب منها التوقف عن الحركة قبل عبورها الحدود[4].

أماّ سولاميش نفسه، فقد وصل إلى حلب، ومنها توجه إلى دمشق، حيث دخلها في شعبان سنة ٦٩٨هـ /١٢٩٩م، في قلة من أصحابه[5] منهم أخوه

(١) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٥٦ ؛اقسرائي:المصدر السابق، ص٢٤٥-٢٤٦ ؛ العمري: مسالك الأبصار، السفر الثالث، ص١٦١-١٦٢.
واختلفوا في عدد من ثبت مع سولاميش فقيل خمسمائة، وقيل أقل من ذلك. انظر ابن الجزري: حوادث الزمان وأنبائه، ج١، ص٤٣٦ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣١، ص٣٧٤ ؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٩، ص٨-٩ ؛ Howorth: op. cit. III,p. 428.

(٢) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص٤٥، ١٥٧-١٥٨ ؛ Cambridg. History Of. Iran. p. 387.
ووردت أسماء أمراء سلاجقة الروم فيه على النحو التالي :
" جرسة Jurseh ، و"جركس Cherkes " و"آيسن Isen ولم أعثر على تراجم لهم فيما توفر لدي من مصادر. وانظر: مصطفى طه بدر: ايران في عهد غازان ص٢٢٦.

(٣) قدّر الهمذاني عددهم بعشرين الفاً ؛ تاريخ غازان خان، ص١٥٦ ؛ وعند ابن أيبك: خمسة أمراء ومعهم خمسة عشر الف جندي، كنز الدرر، ج٩، ص١٠ ؛ وذكر ابن الجزري: عشرين أميراً، دون عدد للجنود. تاريخ حوادث الزمان: ج٢، ص٤٣٦

(٤) ابن الجزري: حوادث الزمان وأنبائه، ج١، ص٤٣٧؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٩، ص١٠ ؛ المقريزي: السلوك ج١، ق٣، ص٨٧٦.

(٥) قدّر ابن الجزري عددهم بأقل من عشرين نفراً. حوادث الزمان وأنبائه، ج١ ص٤٣٧.

"قطقطوا[1] Qutgutwa" فاستقبله الأمراء، والأجناد استقبالاً حافلاً، ودخل المدينة في موكب عظيم بناءً على أوامر من السلطة المملوكية ويبدو أن الهدف من ذلك اظهار قوة التأييد والمساندة له، وتطييب خاطره بعد فشل ثورته.

وبعد بضعة أيام، غادر سولاميش ومرافقوه دمشق، إلى القاهرة، وحظي فيها أيضاً باستقبال طيب، وأكرمه مدبّرا أمر السلطنة، "بيبرس الجاشنكير"[2] و"سّلارSallar"[3] ووهم البعض فظنوا أن السلطان لاجين التقى به أيضاً، ووعده بالنصرة ومصدر هذا الوهم أنهم يجعلون وصول سولاميش إلى القاهرة من حوادث سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٨م[4] والصحيح - كما أثبتناه - أن وصوله إلى بلاد الشام ومصر، كان في العام التالي وقد لفت العيني الأنظار إلى تلك الملاحظة، مشيراً إلى أن السلطان لاجين أغتيل في ربيع الآخر سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م بينما دخل سولاميش بلاد الشام في رجب من العام نفسه[5].

---

(١) في بعض المصادر ورد الاسم: قطقطو بدون الألف الأخيرة، وعند اقصرائي: قوتو. انظر: مسامرة الأخبار، ص١١٣، بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٣٠٢ ؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٩، ص١٠-١١ ؛ العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٤٠١-٤٠٢.

(٢) السلطان، الملك المظفر بيبرس الجاشنكيري المنصوري، من مماليك المنصور قلاوون، عظم شأنه في عهد الناصر محمد بن قلاوون، وكان مع سلاّر يدبران أمر السلطنة، ثم أختير هو سلطاناً، بعد تنازل الناصر محمد ولجوئه إلى الكرك في شوال سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م، ولمااستعاد الناصر عرشه مرة أخرى، اعتقله وأمر بقتله في شوال سنة ٧٠٩هـ/ ١٣١١م: الذهبي: ذيل تاريخ الاسلام، ص٩٤-٩٥.

(٣) الأمير سيف الدين سلار بن عبد الله المنصوري، التتري، كان مع المغول في موقعة الابلستينالسالفة الذكر-وأسر، وكان صغيراً، فصار من مماليك المنصور قلاوون، ترقى في المناصب حتى عرض عليه منصب السلطان قبل مبايعة رفيقه بيبرس الجاشنكير، لكنه رفض، وشغل منصب نائب السلطنة مدة عشر سنين (ولم يصل نائب قبله إلى ما وصل إليه) توفي معتقلاً في سجن الناصر محمد، سنة٧١٠هـ/ ١٣١٠. النويري: نهاية الأرب، ج٣٢، ص١٦٣-١٦٤ محمد عبد الغني الاشقر، سلار الأمير التتري المسلم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م.

(٤) أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص٣٧٥ ؛ أحمد توني: المرجع السابق، ص٧٩ ؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 625.

(٥) عقد الجمان، ج٣، ص٤٠٢، وهو يصرح بالنقل عن (صاحب النزهة) ولم أجده في المطبوع من كتاب: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر لليوسفي.

وعند اجتماع السلطان والمسؤولين في القاهرة مع سولاميش، تركوا له حرية الإختيار بين المقام في مصر، أو بلاد الشام، أو العودة إلى آسيا الصغرى، فطلب منهم انجاده بكتيبة من العسكر، يدخل بهم إلى آسيا الصغرى، ومن ثم يحضر أهله الذين تركهم في إحدى القلاع هناك، ويعود ليعيش في كنف دولة المماليك[1].

فأجيب إلى طلبه، وعاد إلى الشام ومعه أمر إلى بعض عساكرها، بالمسير معه حيث يشاء[2] وخرج من حلب بالعساكر، وترك أخاه قطقطوا رهينة عند المماليك[3].

وبمجرد عبور سولاميش ومن معه الحدود إلى مملكة أرمينية الصغرى، فوجئوا بهجوم من فرقة مشتركة، من المغول والأرمن، وكان "تكفور" الأرمن[4] معهم، وهو حسب بعض الروايات، واضع خطة الهجوم، فمُني سولاميش وجنوده بالهزيمة، وقتل قائد النجدة المملوكية التي جاءت معه، وتفرق أصحابه، وفرّ سولاميش إلى إحدى القلاع[5] وتحصن بها فتعقبه الجنود لكن مطاردته استغرقت بعضاً من الوقت، وتنقل من مكان إلى آخر، ولقي مساندة من بعض التركمان، لكنها لم تكن كافية لترجيح كفته، ولم

(١) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة: ج٩، ص٣٠٣.

(٢) جرّد نائب حلب معه عسكراً، ومقدمهم الأمير سيف الدين بكتمر الحلبي (وقيل الجلمي) وقد قتل في المعركة مع المغول. بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٣٠٣ ؛ أبو الفدا: والمختصر، ج٢، ص٣٧٥.

(٣) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٣٠٣. وعاش بقية حياته في مصر، وأعطي بها اقطاعاً. وانظر: التحفة الملوكية، ص١٥١.

(٤) وهو في ذلك الوقت: قسطنطين الأول (١٢٩٨-١٢٩٩م) سعيد عاشور :الحركة الصليبية، ج٢، ص١٠٣٨.

(٥) قيل قلعة في بلاد الروم. بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٣٠٣ ؛ أبو الفدا: المختصر ج٢، ص٣٧٥.
وقيل: إحدى القلاع بدون تحديد. النويري نهاية الأرب، ج٣١، ص٣٧٥ المقريزي: السلوك ج١ ق٣، ص٧٨٧. وذكر ابن أيبك أن سولاميش قتل في المعركة. وانقطع خبره، وهو مجانب للصواب. كنز الدرر، ج٩، ص١٠-١١.

يتوان من كان معه من الجنود من ممارسة النهب والسلب، وأخيراً ألقي عليه القبض بالقرب من (أنكورية) وتسلمه القادة المغول، وبعثوه مكبلاً بالأغلال إلى تبريز[(١)].

وبعد محاكمته، أعدم سولاميش في ميدان تبريز، في ذي الحجة سنة ٦٩٨هـ/ سبتمبر ١٢٩٩م وقُتل " بصورة بشعة، ثم أحرقت جثته، وذرّوا رمادها في الهواء"[(٢)].

وهكذا انتهت حركة عسكرية في آسيا الصغرى، كان هدفها التخلص من سيطرة الدولة الإيلخانية، وإن كان القائم بها رجل من المغول أنفسهم[(٣)].

ولقد ساهمت هذه الثورة - وسابقتها - إلى حد بعيد في القضاء على ما تبقى من جيش دولة سلاجقة الروم[(٤)]، وكانت ثورة سولاميش من الأسباب الأكيدة التي أدت إلى تجدد الصراع بين المماليك وإيلخانات فارس، وقيام غازان بحملته المشهورة على بلاد الشام وما نتج عن تلك الحروب من مآسٍ وخسائر ضخمة في الأرواح والممتلكات.

ولعل من المناسب الاشارة هنا إلى أن السكان المحليين في آسيا الصغرى هم أكثر الأطراف تضرراً من تلك الثورات التي حولت حياتهم إلى جحيم لا يطاق[(٥)].

(١) اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٤٠ ٢٤٥. Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 625.

(٢) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٥٨.

(3) Turan :Op. Cit. . s. 625-627.

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٩١ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق ص١١٧.

(5) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 625-627

ولعلنا نختم هذا المبحث بالاشارة إلى أن ثورة سولاميش لم تكن آخر الثورات ضد المغول في آسيا الصغرى، بل تبعها أخريات لكن معالجتها تتدرج تحت فصل قادم من هذه الدراسة [1].

ثالثاً: تدهور أحوال آسيا الصغرى ونهاية الأسرة السلجوقية:

حياة كيكاوس الثاني في المنفى (٦٦٠- ٦٧٩/١٢٦٢- ١٢٨٠):

عاش كيكاوس الثاني حياة تعيسة في المنفي بعيدا عن الوطن، فتنقل بين بيزنطية والقرم.

أ- حياته عند البيزنطيين (٦٦٠- ٦٦٦هـ/١٢٦٢- ١٢٦٨م):

بعد أن يأس السلطان كيكاوس الثاني من مقاومة المغول، وحليفهم أخيه قلج أرسلان الرابع، قرر السفر إلى القسطنطينية حيث صديقه القديم الامبراطور ميخائيل الثامن باليولوجس، فبعث إليه يستأذنه، فرحب بقدومه، فاستقل كيكاوس الثاني السفن ومعه أهله (أطفاله وأخته، وأمه، واثنان من أخواله النصارى) وكثير من أنصاره التركمان[2].

وبعد وصولهم إلى القسطنطينية، أحسن الإمبراطور استقبال كيكاوس الثاني ومن معه، وكان الإثنان (الامبراطور والسلطان السلجوقي المخلوع) " يقضيان اليوم بأكمله في اللهو"[3].

وبعد فشل القائد علي بهادر (وكان أمير مجلس السلطان كيكاوس الثاني) في محاولته الأخيرة لطرد المغول من قونية لحق بهم في القسطنطينية،

---

(١) انظر ما يلي من هذا البحث.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٣٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٠ ؛ اقسرائي: المصدر السابق ص٧٤.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية ص٦٣٩-٦٤٠؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٠.

وشهد حروباً خاضتها قوات الإمبراطور ضد بعض أعدائه، وساهم في قيادة بعضها، وحقق عدة انتصارات، فأعجب به الامبراطور وقرّبه إليه، وألبسه الخلع(١).

لكن العلاقة بين الطرفين تغيرت.وتذكر المصادر سبباً لذلك حكاية غريبة، مُؤداها، أن حاشية كيكاوس الثاني، اجتمعوا يوماً على الشراب، وتداولوا فيما بينهم الرأي، في الوثوب على الإمبراطور البيزنطي، واغتياله، والاستيلاء على الحكم، وتنصيب سيدهم كيكاوس الثاني مكانه، خاصة وأنهم كثيرو العدد، أحرار في التنقل في المدينة كيف شاؤوا(٢).

لكن المصادر تعود إلى الاختلاف في كيفية معرفة الامبراطور لتلك المؤامرة فقيل إنّ أحد أخوال كيكاوس الثاني النصارى، هو الذي نقل الخبر إلى الإمبراطور وحذره من غدر " هؤلاء المسلمين" لإنّ كليهما على دين النصرانية(٣) ورواية أخرى تذكر، أن كيكاوس الثاني نفسه، لم يكن راضياً على تلك المؤامرة، فبعث خاله النصراني إلى الإمبراطور، يكشف له ما اتفق عليه القوم، ويحذره من فعلهم، وحدد له اليوم المزمع تنفيذ المؤامرة فيه حتى أن الإمبراطور.لم يركب ذلك اليوم للتنزه مع كيكاوس الثاني، كما جرت به العادة(٤).

وتبدو الرواية الأولى أكثر رجوحاً، لأن عقاب الامبراطور للمتآمرين، شمل أيضاً السلطان كيكاوس الثاني وأهل بيته، فإذا كان هو الذي حذره، وكشف له أبعاد المؤامرة ن فلماذا يكافئه بالسجن؟!.بل إن بعض المصادر،

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٣٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦٠.
(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٤٠ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص٣٦٠-٣٦١ ؛ اقسرائي: المصدر السابق ص٧٥ ؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١١٠.
(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية ن ص٦٤٠ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦١. اقسرائي: المصدر السابق، ص٧٥-٧٦.
(٤) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١١١ ؛ أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص٣٣٠ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١١٠-١١١.

يحملّ السلطان السلجوقي مسؤولية ما آل إليه مصيره، ويصفه بالسذاجة وقلة العقل، لعلمه بالمؤامرة وسكوته عليها وعدم انكارها، أو حتى الاحتجاج على حاشيته التي تفكر بمثل هذا المنطق[١].

ورغم غرابة هذه الحكاية، وتشكيك أحد الباحثين فيها بقوة، بحجة أنها لا تتلاءم والعقل السليم، والتفكير الصائب[٢] فإن ورودها في المصادر بشكل يكاد يكون متواتراً، (إذ روتها مصادر عربية وأخرى فارسية معاصرة، ومن المستبعد جداً أن يكون بعضها نقل عن بعض)[٣]، فإن هذا مما يدعم تلك الرواية ويقوي وقوعها وإن أجمعت المصادر ذاتها على سخافة عقول المخططين لها وقصر نظرهم[٤].

وإذا كان ما سبق سبباً رئيساً، فإنه لا يمكن اغفال أسباباً أخرى، منها أن اقدام الامبراطور على تلك الخطوة (اعتقال كيكاوس الثاني ومن معه) جاء نتيجة لضغوط شديدة مورست عليه من قبل زعيم الدولة الإيلخانية "هولاكوخان" وذلك في خِضم الصراع العالمي المحتدم بين معسكري هولاكو خان وحلفائه وبركه خان زعيم مغول القبيلة الذهبية وحليفيه السلطان الظاهر بيبرس وكيكاوس الثاني[٥]. خاصة وأن المراسلات لم تنقطع بين كيكاوس الثاني، وحليفيه الظاهر بيبرس، وبركه خان، حتى عندما كان السلطان السلجوقي المخلوع، ينعم بحماية الامبراطور البيزنطي في القسطنطينية[٦].

---

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٦ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٧٥.

(2) Turan :Slcuklular Zamaninda Turkey. s. 583-584.

(٣) انظر: ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٤٠ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦١ ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٧٥ ؛ بيبرس المنصوري زبدة الفكرة، ج٩، ص١١١ ؛ أبو الفدا: المختصر ج٢، ص٣٣٠.

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٤١ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦١ ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٧٥ ؛ بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ج٩، ص١١٠-١١١.

(5) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye s. 583.

(٦) عن المراسلات انظر: ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٧٨ ؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص١٧١

ومهما يكن السبب فإن الامبراطور، كان يخشى من غضب هولاكو خان، ويخشى أيضاً من وجود كيكاوس الثاني عنده حراً طليقاً ومعه الكثير من الأنصار[(١)] لذلك قرر التخلص منهم، فدعاهم إلى وليمة أقامها لهم، في سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٤م[(٢)] وكل من أراد الخروج بعد انقضاء الوليمة اعتقل وكان من ضمنهم كيكاوس الثاني واثنين من أولاده فسجنوا في إحدى القلاع[(٣)] وأُلحق بهم بعد ذلك بعض أفراد أسرتهم[(٤)].

وجمع الامبراطور البيزنطي المعتقلين وأحضرهم إلى " الكنيسة الكبرى"[(٥)] وجاء برجال الدين النصارى فعرضوا على المحتجزين أن يتخلوا عن دين الاسلام ويتنصروا، فمن رضي أُطلق سراحه، ومن أبى سُملت عيناه ثم قتل وكان من بين القتلى، أمير مجلس السلطان القائد علي بهادر، وأمير آخور بهادر أغرلو[(٦)].

وهكذا، فإن كيكاوس الثاني الذي فرّ من مواجهة المغول وأخيه قلج أرسلان الرابع، وقع في سجون البيزنطيين، هو وكثير من أنصاره.

---

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٧٨.

(٢) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٧٨ ؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة ج٩، ص١١٠.

(٣) جاء في بعض المصادر: إحدى القلاع دون تحديد، انظر: ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٧٨ ؛ أبو الفدا: المختصر، ج٢ ص٣٣٠ ؛ وقيل إحدى القلاع الغربية. بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة ج٩، ص١١٠ (ووردت كلمة العربية بالعين المهملة، وهو خطأ مطبعي) ؛ النويري: نهاية الأرب ج٢٧، ص١١١ ؛ العيني: عقد الجمان، ج١، ص٣٧٨. وقيل قلعة قريبة من اسطنبول. اقسرائي: المصدر السابق، ص٧٥ المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٦ب وقيل في قلعة بمكان يسمى "أينوس" Ainos. Enc. Of Islam. art: kaika,usii.

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٦ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٧٥-٧٦.

(٥) الكنيسة الكبرى في القسطنطينية هي كنيسة " آيا صوفيا" وتقوم على كنيستين إحداهما بنيت في سنة ٣٦٠م، والأخرى سنة ٤١٥م. وتحولت إلى مسجد بعد الفتح العثماني. الموسوعة العربية الميسرة ج٢ ص١٨٧٧-١٨٧٨.

(٦) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٤١-٦٤٢ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦١، بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة ج٩، ص١١١.

ب – حياته في القرم (٦٦٦- ٦٧٩هـ/ ١٢٦٨- ١٢٨٠م):

سبقت الإشارة إلى أنّ اعتقال كيكاوس الثاني ومن معه عند البيزنطيين، جزءٌ من الصراع المحتدم، بين الدولة الإيلخانية وخلفائها من جهة، وبين الدولة المملوكية ومن حالفها من جهة أخرى، وبما أن عجلة الصراع كانت لا تزال تدور، فقد هب مغول القبيلة الذهبية، للضغط على البيزنطيين، وانقاذ حليفهم الاسير لديهم، كيكاوس الثاني، وسواءً كانت عمة كيكاوس الثاني هي السبب في حث زوجها بركة خان زعيم القبيلة الذهبية لتخليص ابن أخيها من معتقله[1] أو أن كيكاوس نفسه طلب النجدة من حليفه المغولي[2]

أو غيرهما من الأسباب[3] فإن طبيعة الصراع نفسه . والذي غدا صراعاً دولياً كما سبقت الإشارة إليه يفرض على زعيم القبيلة الذهبية . ومثله السلطان الظاهر بيبرس . العمل على انقاذ حليفهم السلجوقي المحتجز عند الأعداء.

وبناءً عليه، جهز زعيم[4] مغول القبيلة الذهبية حملة قوية، اكتسحت أراضي

---

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٦ب ؛ اقسرائي، المصدر السابق ص٧٦.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٦٧.

(٣) هناك من ذكر أن محاولة احتجاز رُسل المماليك ورسل مغول القفجاق، في القسطنطينية، واعاقتهم دفعت بركة خان للتحرك ضد البيزنطيين. انظر: فايد حماد عاشور: العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى. ص٨٢.
وذكر "الرمزي" سبباً غريباً لذلك التحرك، وهو أن قلج أرسلان الرابع، ناشد بركة خان تخليص أخيه من سجن البيزنطيين، تلفيق الأخبار، ج١، ص٤٤٨. وهو أمر مستبعد، فالعداء كان محتدماً بين الأخوين، وإن كان قلج أرسلان الرابع متهم-بروانه-بالميل إلى المماليك، فإنه لم يتهم بمكاتبة بركه خان، وهو يدرك جيداً مغبة مثل هذا التصرف ومعلوم أيضاً أن قلج أرسلان الرابع توفي قبل إرسال مغول القفجاق للحملة التي أنقذت كيكاوس الثاني، بحوالي أربع سنوات. انظر ما سبق ص

(٤) اختلفت المصادر في الزعيم الذي بعث الحملة، فمنهم من قال إن بركة خان هو الذين أنفذها. انظر ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٧٨ ؛ ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٤٠ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦١ ؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٦٧.

الدولة البيزنطية، وأجبرت الإمبراطور[1]، على القبول بالصلح والذي من بنوده اطلاق سراح كيكاوس الثاني وأولاده[2] فيما تشير روايات أخرى إلى أن القوات المغولية نفسها مرت على القلعة التي كان محتجزاً بها كيكاوس الثاني، وأطلقت سراحه وسراح من معه، وأخذتهم إلى بلاد القرم[3] وتبدو الرواية الأخيرة منطقية، لأنه لم يتم اطلاق سراح جميع أفراد أسرة كيكاوس الثاني، فابنته وأخته ظلتا أسيرتين عند البيزنطيين، كما أن أمه توفيت عند سماعها إشاعة عن مقتله أثناء عملية تخليصه[4] أما أبناءه الذين أطلق سراحهم معه فكانوا معه في محبسه[5] ومن المستبعد أنهم كانوا محتجزين في قلعة أخرى[6].

وسبقت الإشارة إلى أنّ جموعاً من التركمان، نزحوا مع حليفهم كيكاوس الثاني، ونزلوا منطقة دبروجة وقد عاد كثير منهم بعد ذلك إلى

وآخرون ذكروا أن مرسل الحملة هو مونككاتيمور خليفة بركة خان، انظر: أبوالفدا: المختصر، ج٢، ص٣٣٦ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١١١، ٣٦٣، العيني: عقد الجمان، ج٢ ص٦٢.

وقد ناقش الرمزي هذه المسألة، وبسط فيها القول وخلاصته، أن بركة خان هو الذي أرسل الحملة، وتوفي قبل عودتها فرجعت في عهد مونككاتيمور لذلك نسبها البعض إلى مرسلها فيما نسبها آخرون إلى مستقبلها. تلفيق الأخبار، ج١ ص٤٤٧-٤٤٨.

(١) وهو ميخائيل الثامن باليو لو جس.

(٢) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر ص٧٨ ؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص١٦١، ج٣ ص٦٧ الذهبي تاريخ الإسلام، الطبقة ٦٦، ص٨٤.

(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٦ب ؛ ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٦٤٢ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص٣٦١ ؛ ؛ الهمذاني: جامع التواريخ ج٢، ق١، ص٣٠٠. اقسرائي: المصدر السابق، ص٧٥ ٧٦.

وفي رواية ابن العبري أنه فرّ من محبسه وأرسل إلى بركة خان يستصرخه فلما جاءت الحملة التحق بها، وقريباً منها رواية ابن خلدون. انظر: تاريخ الزمان، ص٣٢٢ ؛ تاريخ ابن خلدون، ج٥، ق٢، ص٣٦٧.

(٤) وفي رواية اقسرائي، مايوحي بخلاصها، لأنها كانت هي وأخته معه في محبسه. مسامرة الاخبار ص٧٥-٧٦ ؛ المولوي: صحائف الأخبار ج١، ورقة ٥٨٦ب.

(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٦ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٧٥ ٧٦.

(٦) الرمزي: المصدر السابق، ج١، ص٤٤٦.

مواطنهم بآسيا الصغرى[1] وقد ربط أحد الباحثين، بين هؤلاء التركمان ونشر الإسلام في منطقة القوقاس[2].[3] !!

والجدير بالذكر، أن المعلومات متضاربة أيضاً، حول تاريخ انقاذ كيكاوس الثاني من معتقله في بيزنطة، وبالتالي مدة ذلك الاعتقال.وفيما تشير أغلب المصادر إلى أن ذلك تم في سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م[4] إلا أن هذا، يتعارض مع ما رجّحناه من أنّ بركه خان، هو الذي بعث الحملة لمحاربة البيزنطيين لكنه توفي قبل عودتها.ووفاته كانت سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م حسب أرجح الروايات[5] لذلك فمن المرجح أن انقاذ كيكاوس الثاني تم سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م.ويؤيد ذلك ما ورد في إحدى النسخ المخطوطة لكتاب السلوك للمقريزي، حيث اعتبرها من حوادث سنة٦٦٦هـ، وإن كان المؤلف طلب نقلها إلى حوادث سنة ٦٧٨هـ، لكن المحقق - وبناءً على مصادر التحقيق - نقلها إلى حوادث سنة ٦٦٨هـ، ونوّه إلى ذلك معتبراً أن التاريخين الذين ذكرهما المؤلف غير صحيحين[6] وقد اختار الرمزي - وبناءً على رواية المقريزي السابقة - تاريخ سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م، ليكون هو التاريخ الصحيح، معتبراً أن التاريخ الآخر

(1) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 581.

(٢) بلاد القوقاس: إقليم يحده شرقاً بحر الخزر (بحر قزوين) وغرباً: البحر الأسود، وشمالاً نهرا ترك وقوبان، وجنوباً نهرا كُرْ وربيون، ويتميز بالجبال الشاهقة، كما أنه كالجسر يربط بين شمال آسيا وجنوب وشرق أوروبا. يوسف عزت: المرجع السابق، ص١، ١١.

(٣) Cahen :pre Of Ottoman Turke. p. 279. ويذكر أن يكون اسم الاقليم " قوقاس" مشتق من إسم السلطان كيكاوس الثاني، أو على الأقل يذكر

(٤) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١١١ ؛ أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص٣٣١ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١١١. ولمزيد من التفاصيل. انظر: الرمزي: المصدر السابق، ص٤٦٠.

(٥) النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص٦٦٥ ؛ أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص٣٣٤ ؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٣٦٤ ؛ الذهب دول الإسلام، ج٢، ص١٨٧.
وعند الهمذاني أنه توفي سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م. لكنه يناقض نفسه بعد صفحة واحدة، فيذكر أن منكوكا تيمور خلّف بركة على العرش هذه السنة، وتوفي منكوكاتيمور سنة٦٨١هـ /١٢٨٣م بعد أن حكم عشر سنوات منذ وفاة بركة خان. !! ومن المستحيل الجمع بين الروايتين.

(٦) السلوك، ج١، ق٢، ص٥٨٨، حاشية ١-٢.

(سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م) وهمٌ، وقع فيه أحد المؤرخين، وقلده من جاء بعده، دونما تمحيص في المسألة[١].

ومهما يكن من أمر، فإن عودة الحملة المغولية، بعد غزوها لأراضي الدولة البيزنطية ومعهم كيكاوس الثاني واصحابه، تزامنت مع وفاة زعيم القبيلة الذهبية بركة خان، لذلك تطيّر المغول - كما هي عادتهم - من كيكاوس الثاني ورفاقه ولم يسمحوا لهم بدخول عاصمتهم "صراي"[٢]، بل بعثوهم إلى القرم.[٣]

وتذكر المصادر أن مغول القبيلة الذهبية، أحسنوا وفادة السلطان السلجوقي، وأقطعوه مدينتي:" سلداقSUldQ"[٤] و"سولخادSolkhad"[٥] وزوجوه أميرة منهم[٦] قيل إن اسمها

(١) تلفيق الأخبار، ج١، ص٤٦٠-٤٦١.

(٢) صراي" سصدص": بفتح الصاد، والراء المهملتين مدينة عظيمة: شمال غربي بحر الخزر، على مسيرة نحو يومين، يمر بها نهر الأتل، وهي فرضة عظيمة للتجارة، ورقيق الترك، وهي محدثة نسبتها إلى أحد أبناء جنكيزخان. أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٢١٦-٢١٧.

(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٦ب القسرائي: المصدر السابق، ص٧٦ ٧٧. الرمزي: المصدر السابق، ج١، ص٤٤٨. وهي عنده كما سبقت الإشارة من حوادث سنة ٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م وانظر: النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١١١، أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص٣٣٦. المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٥٨٨ وأوردها في حوادث سنة ٦٦٢هـ، وكتب فوقها في إحدى النسخ المخطوطة "تنقل إلى سنة ٦٨٧هـ" وكلاهما خطأ أيضاً. وقد نوّه المحقق إلى ذلك في الحاشية رقم "١" ورقم"٢" في الصحفة نفسها.

(٤) سلداق (أو سغداق، صوادق) مدينة في سفح جبل، على شط بحر القرم يقابلها في الجنوب ميناء سامسون، وهي ميناء للتجار، محاطة بسور، أهلها أخلاط من الأمم والأديان. ابن سعيد: المصدر السابق، ص٢٠٣ ؛ أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٢١٤-٢١٥.

(٥) سلخاد أو صلغات. قال أبو الفدا: بضم الصاد المهملة وسكون اللام وفتح العين المعجمة قاعدة بلاد القرم. وتبعد عن البحر مسافة نصف يوم. تقويم البلدان، ص٢١٤-٢١٥.

(٦) هناك من ذكر أنها من بنات بركة خان. أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص٣١٤ ؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٦٢ ؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٥٨٨ ؛ زبيدة عطا: الترك في العصور الوسطى ص١٤٠ ؛ Enc. Islam. Art: kaiku,s. II.

وهناك من قال: إنها من بنات منككا تيمور (منكوتيمور) ابن الوردي: المصدر السابق، ج٢، ص٣١٤

واشار إليها النويري بدون ذكر اسمها أو اسم أبيها. نهاية الأرب، ج٢٧، ص١١١.

"أورباي خاتون"[1] كما حصل الكثير من رفاقه على اقطاعات أخرى في المنطقة[2].

من ناحية أخرى، كان كيكاوس الثاني، شديد الإهتمام بما يدور في آسيا الصغرى من حوادث، وسبقت الإشارة إلى الرسالة التي بعث بها إلى الوزير فخر الدين علي، والتي استخدمها بروانه، في الإساءة للوزير بل إن رواية ذكرت أنّ الوزير المذكور قام بزيارة للسلطان والتقى به في القرم[3].

ومن الطبيعي أن كيكاوس الثاني كان يمني نفسه بالعودة يوماً إلى آسيا الصغرى، واستعادة عرشه المفقود، وكان الزعيم بركة خان يخطط لمساعدته، ليحقق هدفه، ويكون نصره - إذا تحقق - نصراً لتحالفهم المضاد لتحالف الإيلخانيين ومن معهم.لكن المنية حرمت الزعيم المغولي من تحقيق طموحه[4] فتصدى خليفته مونككاتيمور[5] لتحقيق ذلك الهدف، وإن كان بحماس أقل.إذ جهز جيشاً، أوكل قيادته إلى كيكاوس الثاني، لكن وجهته لم تكن إلى آسيا الصغرى، بل أراضي الدولة البيزنطية المجاورة، لكن الحملة لم تحقق نجاحاً يذكر، فبعد توغلها في أراضي الدولة البيزنطية، اعترض طريقها أمير مملوكي[6] وطلب من كيكاوس الثاني وقف تقدمه، بل

---

(١) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١١١.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية ص٦٣٨-٦٣٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٣٦١ ؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١١٠ - ١١١؛ وانظر: الهمذاني: جامع التواريخ، ج١، ق٢، ص٣٠٠.

(3) _Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 605.

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٦ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٧٦-٧٧؛ ميرخواند: روضة الصفا، ص٩٧. ؛ الرمزي: المصدر السابق، ج١، ص٤٤٨-٤٤٩.

(٥) مونككا تيمور بن توقوقان بن باتو بن جوجي خان بن جنكيز خان، تولي عرش مغول القفجاق (القبيلة الذهبية) خلفاً لبركة خان، وواصل سياسته في التحالف مع المماليك، ومعاداة دولة المغول الإيلخانيين، وتوفي سنة ٦٨١هـ /١٢٨٢م. وتسميه المصادر العربية: منكو تيمور، ومنكوتيمر واخترنا صيغة الهمذاني، جامع التواريخ ج١، ق٢، ص١٢٥ ١٢٦، وانظر: الرمزي: المصدر السابق، ج١، ص٤٥٥.

(٦) الأمير فارس الدين أقوش المسعودي أرسله السلطان بيبرس رسولاً إلى القسطنطينية أكثر من مرة. ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٧٨.

بل طلب منه الانسحاب من حيث أتى بحجة أن البيزنطيين في صلح مع السلطان بيبرس، ويجب على حلفائه مغول القبيلة الذهبية ومن معهم، احترام ذلك العهد، وتحقيق رغبة حليفهم المملوكي[١].

عاد كيكاوس الثاني إلى اقطاعه في القرم، وعندما حانت منيته، تعاورته أمراض عديدة، ولما أيقن بدنو أجله، جمع حوله أبناءه وخدمه "الذين كانوا أعوان الهجرة، وأنصار الغربة"[٢] والتفت إلى ابنه الأكبر غياث الدين مسعود، فسرد عليه حكاية توليه العرش لأول مرة، وما تلا ذلك من حوادث، واعترف بخطئه في تقريبه للسفهاء والأحداث، واطراحه للعقلاء والكبار، من رجال الدولة، والنتائج السيئة التي ترتبت على ذلك وأجلها فقده لعرشه، ونصحه أن يتعظ من ذلك ولا يكرر الأخطاء نفسها، وأوصاه بعدم البقاء في القرم، بل عليه العبور إلى آسيا الصغرى حيث "الممالك الموروثة" ومن ثم التوجه إلى بلاط الإيلخان، والتشفع عنده، وملازمة أبوابه، والمثابرة على ذلك، واظهار الاخلاص للإيلخان ومساعديه، " فريما جعلوا لك نصيباً من ملك الأجداد"[٣].

كما أوصاه أيضاً بنقل جثته - بعد وفاته - ليدفن في مقابر الأسرة السلجوقية في قونية، وشدد على تنفيذ تلك الوصايا[٤] والتي من ضمنها "...نصائح أخرى مهمة للملوك"[٥]

وأسلم كيكاوس الثاني الروحَ، في بلاد القرم[١]، سنة ٦٧٩هـ/١٢٨١م[٢]

٦٧٩هـ/١٢٨١م[٢]

---

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٧٨ ؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٦٧. وهي عندهما بدون تاريخ وفي حياة بركة خان، وخلطت بعض المصادر بين هذه الحملة وسابقتها التي خلصت كيكاوس الثاني من الأسر.

(٢) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٤١٠-٤١١.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٧٣٦-٧٣٧ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص٤١٠.

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٧٤٠ ؛أخبار سلاجقة الروم، ص٤١٠-٤١١.

(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٦ب.

وكان لكيكاوس الثاني عدة أولاد من الذكور، أكبرهم غياث الدين مسعود، وكان وليّ عهد أبيه[3] ومنهم: قلج أرسلان. وكيومرث Kiumorth[4] وقيراموزز veramorz[5] وسياوش الملقب بالبخيل، والذي يعتقد إلى حد بعيد، أنه أول من عبر البحر إلى آسيا الصغرى من أولاد كيكاوس الثاني، والتف حوله القرمانيون وقام بالثورة التي عُرفت بـ"ثورة جمري" وتُعد " المؤرخة السلجوقية Anonimselçuk-nâme" المصدر الوحيد الذي يؤكد على إن جمري، ما هو إلاّ علاء الدين سياوش بن كيكاوس الثاني، ورغم ذلك، فإنه أحياناً يتحدث عن علاء الدين وسياوش كشخصين مختلفين وينسب إلى سياوش، حركة تمرد أخرى، سانده فيها بنو قرمان، وتاريخها متأخر عدة سنوات عن تاريخ القضاء على ثورة جمري[6] وهذا مثال على اللبس والخلط الذي ميز كثير من حوادث تلك الفترة[7].

---

(1) في رواية لابن خلدون، أنّ كيكاوس الثاني، مات مسجوناً في القسطنطينية، وهو وهم. وتناقض رواية أخرى صحيحة للمؤلف نفسه، ذكر فيها تخليصه من الأسر، وانتقاله إلى القرم. تاريخ ابن خلدون، ج٥، ق٥، ص١١٨٣.

(2) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٧٤٠ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص٤١٠-٤١١ ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص١٣٤.
وتباينت المصادر في ذكر تاريخ وفاته، وأمثلة على ذلك، ما يلي :
سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٩م. بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١١٠-١١١ أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص٣٣٦ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١١١ ؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٦٢، ٢١٣ ؛ السيف المهند، ص٢٢، ابن الشحنة: روضة المناظر، ص٢٦٨.
سنة ٦٧٢هـ/ ١٢٧٤م. ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٧٧-٧٨ ؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٦٦-٦٧ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام الطبقة ٦٨، ص١٠٥.
سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٨٠م. المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٨٦ب.

(3) ابن بيبي: الأوامر العلائية: ص٧٣٧، أخبار سلاجقة الروم، ص٤١٠.

(4) كيومَرْث: وهو في ثقافة أهل فارس اسم لأكبر أبناء آدم عليه السلام، كما إنه اسم أول ملك في الدنيا. التونجي: المرجع السابق، ص٤٨٩، ٥١٩.

(5) زامباور: المرجع السابق ن ص٢١٨ ؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye y,s. 580.

(6) Anonim Slçuk-nâme, S. 63-64.

(7) Turan: Op. Cit. . s. 584.
ويذكر زامباور في معجم الأسرات، ص٢١٨. أن سياوش ابن كيكاوس الثاني أغتيل سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٤م. فيما ذكر غيره أن سياوش المذكور كان مسجوناً عند أشرف أغلو، سنة

وقد تواترت الأخبار، أنّ لكيكاوس الثاني ولدين صغيرين، بقيا في كنف الدولة البيزنطية، وأنهما تنصّرا ولم يعرفا الإسلام[1] وثبت أن أحدهما يدعى "قسطنطين Kustantin" وكان يحمل لقب ملك، وأقطعه البيزنطيون بلدة "كرافرياkaraferya"[2] وبعد وفاته سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م، بقيت بيد ذريته[3].

٢- عرش سلاجقة الروم بين كيخسروا الثالث ومسعود الثاني:

بعد انتهاء مراسم العزاء، اختفى من بين الجموع فجأة كيومرث بن كيكاوس الثاني، فتبين أنه عبر البحر إلى آسيا الصغرى، ونزل بالساحل المقابل لقصطمونية، والتي شعر أميرها بقدومه، فبعث عسكراً للبحث عنه، فوجدوه متنكراً، وهو عازم على المسير إلى مناطق الأوج، لاعتقاده بوقوف التركمان معه.فقبضوا عليه وسجنوه بإحدى القلاع، وكانوا يحسنون معاملته، وينتظرون أوامر الإيلخان بشأنه[4].

أما في القرم فلم يكن غياث الدين مسعود مرتاح البال، ويعتبر نفسه لاجئاً في كنف مغول القبيلة الذهبية[5] أماً حلفاء أبيه المماليك، فهم على ودهم القديم، ويخاطبونه بلقب "ملك"، من ذلك الرسالة التي بعثها إليه السلطان المنصور قلاوون سنة ٦٧٩هـ/١٢٨٠م، وهي مكونة من شقين، تحريري وشفهي، ومضمونها السلام على "الملك" السلجوقي، والسؤال عن أخباره، ومع

٦٨٨هـ/١٢٩٠م. وأن زعيم بني قرمان "قوناري بيه" توسط لإطلاق سراحه بعد أن تأكد من هويته وربما عن طريق أتباع جمري القدامى. Cahen :Pre Of Ottoman Turkey,p. 297.

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٧٨ ؛ اليونيني: المصدر السابق، ج٣، ص٦٧ ؛ عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي، من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد. دار الوفاء، المنصورة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ص٢٥٨.

(٢) كرافريا: بلدة بنواحي سيلانيك (سالونيك) Pachymers: op. cit. p. 192, 955-956.

(٣) زامباور: المرجع السابق، ص٢١٦-٢١٧. Pachymers: op. cit. p. 192, 955-956; Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 499.

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٧٤٢ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص٤١٢.

(٥) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٧٤٣ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٤١٢.

الرسالة هدية[1]. ويبدو أن السلطان المملوكي أراد أن يجامل غياث الدين مسعود، ويعزيه في وفاة والده، والأهم يثبت له أن التحالف بينهم لا زال قائماً.

ولم تطل إقامة غياث الدين مسعود في القرم بعد ذلك، إذ استقل السفينة مع أنصاره وعبروا البحر إلى آسيا الصغرى، ويمكن أن نستنبط من رواية ابن بيبي أن الملك السلجوقي غادر القرم دون إذن من مضيفية المغول، بل إنه احتال حتى تمكن من الهرب [2].

ويمكن استنتاج جملة من الأسباب، دفعت غياث الدين مسعود للقيام بهذا العمل - منها: تنفيذ وصية أبيه له، ومنها أن أخاه كيومرث أسير عند التركمان في قصطمونية ويخشى أن يصيبه على أيديهم مكروه[3]، ومنها تكدر صفو العلاقة بينه وبين زعيم القبيلة الذهبية مونككاتيمور، وذلك أن الزعيم المغولي، رغب في الزواج من أم غياث الدين مسعود (أرملة كيكاوس الثاني) لكن مسعوداً امتنع من تحقيق رغبة الزعيم المغولي، ففضل الهرب على البقاء في القرم[4]. وذكرت مصادر أخرى سبباً مقارباً لهذا السبب، لكنه مختلف من جهة أخرى، وهو أن الزعيم المغولي، أراد أن يزوج غياث الدين مسعود، من إمرأة أبيه.الأميرة المغولية "أورباي خاتون" بموجب الأعراف والتقاليد المغولية، لكن مسعوداً أنف من هذه الفعلة، واشمأزت نفسه منها، فقرر الهرب من القرم[5].

---

(١) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص١٨ ؛ ماهر حمادة: وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي، ص٣٨٢.

(٢) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٧٤٤ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص٤١٣ ؛ وانظر أيضاً: بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٤٨.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٧٤٥ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص٤١٣.

(٤) تاريخ ابن خلدون، ج٥، ق٢، ص٣٦٧.

(٥) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٤٨ ؛ أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص٣٤٤ ؛ العيني عقد الجمان، ج٢، ص٣٤٤.

وهـذه الرواية تـوحي بعـدم اسـلام منكـو تيمـور، كمـا يقـول أحـد المؤرخين[1] لكـن الرمـزي يفنّـدها ويـذكر مـا يسـميه "اجمـاع الجمهـور" علـى اسلام بركـة خان، وظيفته مـو نككا تيمور، ومـن جاء بعدهما مـن زعمـاء مغول القبيلة الذهبية[2] وهو رأي - كما يقول أحد الباحثين - يحتاج إلى مزيد من البحـث، فـإن كـان اسـلام بركـة خـان لا شـك فيـه، فـإن إسـلام خليفتـه مونككا تيمور لم يثبت بصورة قطعية[3].

ومهما يكـن مـن أمـر، فـإن "الرمـزي" يـرجح رواية ابـن خلـدون السـالفة الذكر، ويستطرد في الدفاع عن اسلام زعماء مغول القبيلـة الذهبيـة، ونبذهم لعادات المغول المخالفة للشريعة المحمدية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

وتبدو وجهة نظر الرمزي في هـذه المسـألة منطقية، وقـد ذكـرت المصـادر المشار إليها آنفاً، أن الأميرة أورباي خاتون، أرملـة كيكـاوس الثـاني، لم تطق الصبر علـى فـراق غيـاث الـدين مسـعود، وكانـت تمـني الـنفس بـالزواج منـه، فعبرت البحـر وراءه فهاجمهـا قراصنة في البحـر وسلبوا مـا معهـا مـن الأمـوال، واستطاعت الوصول إلى أماسية حيث استقبلتها زوجـة حاكمهـا البكلربكـي طرنطاي، ثـم أكملـت الأميـرة المغوليـة رحلتهـا إلى تبريـز حيـث خـرج لاسـتقبالها نسوة الإيلخان آباقا[4] كما سبقت الإشارة إليه.

لكن مصيرها بعد ذلك اصبح مجهولاً، ولم ترد عند الهمـداني أي إشـارة حـول هـذه الحادثـة.وبعـد رحلـة بحريـة، رسـت سـفينة غيـاث الـدين مسـعود

---

(١) ينقل الرمزي هذا الاستنتاج عن ابن الوردي. ولم أجده في المطبوع من كتابه "تتمة المختصر في أخبار البشر" انظر: تلفيق الأخبار، ج١، ص٤٦١ ٤٦٢.

(٢) تلفيق الأخبار، ج١، ص٤٦١-٤٦٢ ؛ وانظر أيضاً: العمري: مسالك الأبصار، السفر٣، ص١٥٩-١٦٢.

(٣) رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، جمهورية مصر العربية (ب. ت) ص١١٤-١١٥.

(٤) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة ج٩، ص١٤٨-١٤٩، أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص٣٤٤؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢١٣-٢١٤.

وأصحابه[1] في ميناء سينوب، وما إن سمع أهلها بقدومه حتى هرعوا لاستقباله، كما جاء للسلام عليه، أميرُ قصطمونية وتوابعها مظفر الدين البيورك "Alp-yuruk" يولاق أرسلان وهو من ذرية جوبان[2] وسارع على الفور بإطلاق سراح ركن الدين كيومرث الذي كان محتجزاً في إحدى القلاع بأمره[3].

وبعد أن استقر المقام بغياث الدين مسعود في سينوب، والتقى بأخيه ركن الدين كيومرث، وعرض على مظفر الدين حاكم قصطمونية ونواحيها، أن يكون أتابكاً لهما، فقبل العرض[4] وأخذهما معه إلى قائد عساكر المغول في آسيا الصغرى "سماغر" الذي أحسن استقبالهم، وكان بعض الناس قد حرضوا غياث الدين مسعود على جمع الأنصار وإعلان الثورة على المغول، لكنه لم يعر تلك التحريضات اهتماماً[5].

وهذا يندرج في تنفيذ وصية والد له، والتي تضمنت عدم استفزاز المغول، بل اظهار الطاعة والخضوع لهم.

بعد النجاح الذي حققه مسعود في آسيا الصغرى، بدأ خطوته التالية والأكثر أهمية، وهي الرحلة إلى بلاد فارس لتقديم الولاء للإيلخان المغولي، وتمّ له ذلك، وقرر آباقا أن يقطعه ولايات متجاورة في الجزء الشرقي من آسيا

---

(١) وكان معه " ملك" و "فرامرد" وهما من أولاده بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٤٨. ونقل " شدمضت" العبارة عن بيبرس المنصوري، وصرح بذلك لكنه اعتقد أنهما أخوا غياث الدين مسعود وليسا ابناه. Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 581.

(٢) الأمير حسام الدين جوبان من أشهر القادة في عهد علاء الدين كيقباذ الأول، ومكافأة له على جهوده أقطعه السلطان قصطمونية وتوابعها، بما فيها ميناء سينوب، وقد توارثها أبناءه من بعده، (وقد خرجت في فترات قليلة عن حكمهم). ومظفر الدين المذكور في المتن أحد أحفاده، والمعلومات عن الأسر وفترة حكمها قليلة ومضطربة ايضاً. Halil,edhem:Düvel-iIslâmiyye. Istanbul,1927- S303;Turan Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. s609-610
علي الغامدي: النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود، مجلة المؤرخ المصري. ص٢١١.

(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص ٧٤٠-٧٤١ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٤١٢-٤١٣.

(٤) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٧٤٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٤١٣ ٤١٤.

(٥) المصدرين السابقين.

الصغرى، تضم أرضروم، وأرزنجان وسيواس[1]، واعفاءها من الديون[2] كما خصص له دخل ولايات أخرى منها آمد وخر تبرت، وميافارقين[3] ويبدو أن هذا القرار جاء بعد مخاض عسير، تداولت فيه آراء واقتراحات عدة، منها إعادة تقسيم بلاد سلاجقة الروم بين غياث الدين مسعود، وكيخسرو الثالث، كما كان الوضع في عهد والديهما كيكاوس الثاني وقلج أرسلان الرابع[4].

حقق غياث الدين مسعود جزءاً من أمانيّه، بحصوله على تلك الولايات وكان ذلك على الأرجح، سنة ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م، ولم ينفك ملازماً لأبواب الإيلخان.تنفيذاً لوصية والده فيما بعث نوابه إلى المقاطعات التي منحت له[5].

ولم يلبث أن هلك آباقا في ذي الحجة سنة ٦٨٠هـ/١٢٨٢م،وخلفه أخوه (السلطان أحمد تكودار)، فجاء السلطان كيخسرو الثالث لتهنئته، وكان غياث الدين مسعود لا يزال مقيماً عنده بتبريز وأُثيرت مسألة تقسيم الحكم في بلاد سلاجقة الروم مرة أخرى، فأمضاها السلطان أحمد على نحو ما فعله أبوه هولاكو مع أبويهما قلج أرسلان الرابع، وكيكاوس الثاني[6].

لكن كيخسرو الثالث، لم يُسلمّ بالتقسيم، واحتج عليه بشدة، وغادر تبريز بدون إذن أحمد تكودار، ودخل إلى أرزنجان، واستقر بها منتظراً ما

(١) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص ٧٢٤ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٤١٤ ؛ أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص٣٤٤
(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨٧أ ؛ ابن بيبي: الأوامر العلائية ص٧٥٢: أخبار سلاجقة الروم ص٤١٤.
(٣) ابن بيبي: الأوامر العلائية، ص٧٥٣ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٤١٤ ؛ ابن العبري: تاريخ الزمان ص٣٤٠. Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 583.
(٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٤٠.
(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠أ ؛ اقسرائي المصدر السابق، ص١٣٤.
(٦) المولوي: صحائف الأخبار، ج١ ورقة ٥٩٠أ ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص١٣٨.

ستسفر عنه الأيام، بينما أخذ ابن عمه غياث الدين مسعود (يرليغه) وأرسل نوابه إلى مناطق حكمه[1].

وبعد مدة، شعر كيخسرو الثالث بالندم، وبأنه أخطأ في تعامله مع السلطان أحمد[2]، وتزامن ذلك مع تغير السلطان على أخيه قونقورتاي قائد الحامية المغولية في آسيا الصغرى حيث طلب منه الحضور إلى تبريز، فأبدى تردداً إلاّ أن حث كيخسرو الثالث له بعدم معصية السلطان، شجعه على المجيء إلى تبريز، ويبدو أن كيخسرو انضم إليه في الطريق حيث حضر الإثنان إلى العاصمة الإيلخانية، وعلى الفور أمر السلطان أحمد بقتل أخيه قونقورتاي وعزل كيخسرو الثالث عن عرش سلاجقة الروم، ومنحه لابن عمه مسعود الثاني دون تقسيم[3] وهناك روايات تفيد بأن الإيلخان آرغون هو الذي أصدر أمر العزل بحق كيخسرو الثالث[4] لكن معظم تواريخ العزل - وأرجحها أنه كان عام ٦٨٢ هـ /١٢٨٣م[5] هي لا تخرج عن عهد السلطان أحمد[6].

بعد خلعه، فرضت على كيخسرو الثالث الإقامة في أرزنجان، فأقام بها مدة وهو يعاني الهم، والقهر، وقلة الحيلة[7].

ولما اعتلى آرغون عرش الإيلخانية، عينه والياً على أرزنجان أو أرضروم[8] لكنه اتهمه بالمساعدة في قتل عمه قونقورتاي وممالأة السلطان أحمد على

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠ب، اقسرائي :المصدر السابق، ص١٣٠.
(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص١٣٠.
(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص١٣٠، ١٣٨؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١١٣-١١٤ ؛ Howorth : op.cit.III.p313.
(٤) تاريخ ابن خلدون، مج٥، ق٢، ص٣٦٩ ؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق١، ص١٨٦.
(٥) القاضي أحمد: المصدر السابق، ص٢٩٨، وحدده بشهر ربيع الأول من هذه السنة ؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٢٢٢-٢٢٣؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٣١٩-٣٢٠.
(٦) من التواريخ الأخرى المذكورة للعزل: سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م. المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠ب ؛اقسرائي: المصدر السابق، ص١٣٠-١٣١.
(٧) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠أ ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص١٣٨ ؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٢٢٣.
(8) Anonim Slçuk-nâme,s. 63 – 64 ,Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 583.

أحمد على ذلك، فبعث إليه من قام باغتياله بدس السم له[١] وقيل إنه كان مريضاً على فراش الموت ولم ينتظر المكلف بقتله وفاته بمرضه.بل بادر إلى قتله تنفيذاً لأمر الإيلخان[٢].

وأكثر المصادر متفقة على أنّ آرغون هو الذي أمر بقتله[٣] لكن التواريخ التي يذكرونها لوقوع تلك الحادثة وهي بين سنتي(٦٨١ـ ٦٨٢هـ/١٢٨٣ـ١٢٨٤م)[٤] هي في عهد السلطان أحمد تكودار، وليست في عهد خليفته آرغون، عدا ما ذكره ابن العبري، وأيده فيه أبو الفداء الأيوبي من أن مقتله كان سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٥م[٥] وهو يوافق الواقع، يندرج في حوادث عهد الإيلخان آرغون ابن آباقا، وهو ما رجحه أحد الباحثين المتخصصين في تاريخ تلك الفترة[٦].

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠أ ؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٤٩-٣٥٠؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص١٣٨.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة٥٩٠أ ؛ اقسرائي: المصدر السابق ص١٣٨.
وفي رواية ابن العبري أن كيخسرو الثالث وصل إلى أرزبخان وهو في طريقه إلى الأردو، ليشكو ابن عمه مسعود الثاني. تاريخ الزمان ص٣٤٩-٣٥٠.

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٤٩-٣٥٠، بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩ ص٢٢٣ ؛ القاضي أحمد: المصدر السابق، ص٢٩٨؛ القزويني: تاريخ ص٣١٢ ؛ Anonim Slçuk-nâme.S.63-64.
وعند اقسرائي-وينقل عنه المولوي-أن القتل كان بأمر السلطان أحمد، مسامرة الأخبار، ص١٣٠ ؛ صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠ ب.

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠ب ؛ القاضي أحمد: المصدر السابق ص٢٩٨ ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص١٣٨ ؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٢٢٣ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧/ ص١١٣، القزويني تاريخ كزيدة، ص٣١٢، كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص٦٢. ويسميه كيكاوس الثالث، وهو وهم نبّه إليه أحمد توني: المرجع السابق. ص٧٦ ؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 581-583.

(٥) تاريخ الزمان، ص٣٤٩-٣٥٠ ؛ المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٣٤٤، ٣٥١.

(6) Howorth:op. cit. III,p314.
وحاول أحد الباحثين أن يحقق هذه المسألة، وقام بتخطئة القلقشندي لأنه ذكر أنّ آرغون هو الذي أمر بقتل كيخسرو الثالث، وفي رأي الباحث المذكور، أن السلطان أحمد هو الذي أمر بالقتل أحمد توني: المرجع السابق، ص٢٨٣، لكن الباحث يناقض نفسه، إذ ذكر في ص٢٦٨، أن آرغون أمر بقتل كيخسرو الثالث. وانظر أيضاً: صبح الأعشى ج٥، ص٣٦٢.

وهناك من يتهم السلطان مسعود الثاني وأعوانه، بأنّ لهم ضلعاً في مقتل ابن عمه السلطان المخلوع كيخسرو الثالث، إذ كانوا يخشون من عودته يوماً إلى العرش، طالما بقي على قيد الحياة، فسعوا وراء استصدار أمر من الإيلخان المغولي بقتله، فتم لهم ذلك[1].

وربما كان السلطان مسعود الثاني وأصحابه محقين في تخوفهم من بقاء كيخسرو الثالث على قيد الحياة، بل إنّ تبعات نزاعه معهم استمرت حتى بعد وفاته إذ قامت والدته بالسعي لإعادة التقسيم بين ولديه الصغيرين وبين ابن عمه السلطان مسعود الثاني ورغم ميل الإيلخان آرغون إلى مشروع التقسيم[2] إلاّ أن والدة[3] كيخسرو الثالث، استعجلت الأمور، ودخلت بحفيديها الصغيرين إلى قونية منتهزةً فرصة غياب مسعود الثاني عنها، وأرسلت على الفور إلى زعيمي التركمان" قوناري بيه ابن قرمان"، و"خليل به ابن[4] أشرف أوغلو"، طالبةً مساعدتهما عارضة على الأول منصب البكلريكي والأخر نيابة السلطنة[5].

ويبدو أنها أرادت أن تضع السلطة المغولية، والسلطان مسعود الثاني، أمام الأمر الواقع وحاول الوزير فخر الدين علي أن يقنع الوالدة بعدم تصعيد القضية، واعطاء التركمان ذريعة للتدخل فيها لكن محاولاته باءتبالفشل[6].

من جهتهم لم يضع التركمان تلك الفرصة، وساروا إلى العاصمة (قونية) بحجة تلبية استغاثة والدة السلطان كيخسرو الثالث ومساعدتها على حفظ "حقوق حفيديها" وفور وصولهم إليها قاموا بتنصيب ابني كيخسرو الثالث

---

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠أ ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص١٣٨.
(2) Cahen: preof ottoman. p. 327-328
(٣) ويرى (Cahen) أنها أرملته وليست والدته. انظر: Pre Of Ottoman Turkey, p. 338
(٤) عن هاتين الشخصيتين. انظر ما يلي ص من هذا البحث.
(5) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 529.
(6) Turan: op. cit. s589.

الصغيرين سلطانين على البلاد، في حفل كبير، أُقيم يوم الخميس الثامن من ربيع الأول سنة ٦٨٤هـ/ ١٥ مايو ١٢٨٥م[١].

وبعد مرور شهر تقريباً، وصلت إلى العاصمة طلائع جيش مغولي سلجوقي مشترك.أمر باعداده الإيلخان وساهم الوزير فخر الدين علي في تجهيزه، ولما أدرك التركمان عجزهم عن المقاومة انسحبوا إلى ديارهم، واعتصموا بجبالهم وتركوا الأم وحفيديها يواجهون مصيرهم[٢].

وبعد مناوشات، لقي فيها عدد من الطرفين مصارعهم، دخل الجيش المشترك العاصمة، وتم أسر ابني كيخسرو الثالث وجدتهما، وجاء السلطان مسعود الثاني إلى قونية، وبادر بتنفيذ أمر الإيلخان، بنقل الاسرى إلى تبريز للتحقيق معهم[٣].

وصلت الأم الأسيرة وحفيداها إلى بلاط آرغون في رجب سنة ٦٨٤هـ/ سبتمبر ١٢٨٥م.وخضعوا جميعاً للتحقيق، الذي أشرف عليه الإيلخان، وخلص المحققون إلى أن الطفلين ليسا ابني كيخسرو الثالث وإنهما يستحقان الموت، فقتلوهما، وبعثوا برأسيهما إلى أنصارهما التركمان.أما والدة كيخسروا الثالث، فقرر الإيلخان تعويضها، فأقطعها منطقة "سفري حصار"[٤].

ومن الصعب، تصور أن والدة كيخسرو الثالث لجأت إلى الحيلة، وجاءت بطفلين مزيفين، وادعت أنهما حفيداها، وسعت بكل جرأة وحزم، لتعيد إليهما ما تعتقد أنه حق لهما مُغتصب.بل إن النفس تميل إلى صدق ادعائها لكن المغول لا يرضون أبداً عن حركات التمرد ضد حكمهم، ولتبرير قتل الطفلين، زعموا أنهما مزيفان، وليسا ابني كيخسرو الثالث، وبالتالي فليس لهما أدنى حق في ادعاء عرش السلاجقة، لكن الأيام أثبتت أن ابناً لكيخسرو

(1) Turan: Ibid. s. 589.
(2) Ibid. S. 589.
(3) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 589.
(4) Turan :Op. Cit. . s. 589.

الثالث لازال على قيد الحياة، وسينجح يوماً في تحقيق ما فشلت فيه جدته وأخويه[١].

٣- عهد السلطان مسعود الثاني (الفترة الأولى):

بعد حصوله على موافقة السلطان أحمد على تنصيبه سلطاناً لجميع مناطق دولة سلاجقة الروم، غادر مسعود الثاني تبريز، متجهاً إلى آسيا الصغرى، فدخلها بحاشيته، وأول المدن الكبرى التي عرج عليها، قيصرية - العاصمة الثانية لسلاجقة الروم - ومنها توجه إلى العاصمة الأولى قونية.حيث أقيم له فيها حفل تنصيب في ربيع الأول سنة٦٨٢هـ/يونيو١٢٨٣م، وتلقى البيعة على طريقة اسلافه من رجال الدولة وأهالي العاصمة[٢].

وحاول التركمان - كما هي عادتهم - الاستفادة من تلك التغييرات التي حصلت، وهاجموا بعض المدن وقاموا بعمليات سلب ونهب[٣].

أما غالبية الناس في بلاد سلاجقة الروم، فكانوا متفائلين بذلك التغيير، يحدوهم الأمل في أن تتحسن الأوضاع الأمنية، وتستقر الأحوال، وينعكس ذلك على بقية مناحي الحياة[٤] لكن الواقع ليس دائماً مرتبط بالأمنيات، فكان السلطان السلجوقي الجديد مثل أسلافه الذين خضعوا للسيطرة المغولية من قبل، ليس له من الأمر شيء، سوى الاسم[٥].

---

(١) انظر ما يلي ص من هذا البحث.

(٢) القاضي أحمد: المصدر السابق، ص٢٩٨ ؛
Anonim Slçuk-nâme. s. 63_64 -, Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S538.
وانظر: بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٢٢٣ ؛ ووردت تواريخ أخرى للتنصيب، انظر مناقشتها في Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye s 583
وعن المراسم المتبعة في حفلات تتويج سلاطين سلاجقة الروم، انظر: تمارا رايس :المرجع السابق ن ص١٠٦-١٠٧ ؛ نورة باذياب: المرجع السابق، ص١٩٧-١٩٨.

(3) Turan :Op. Cit. . s 584.

(4) Ibid-585.

(٥) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢١٣.

ومع ذلك، استطاع السلطان مسعود الثاني منح بعض إخوته، إقطاعات في دولته، ولم يتم ذلك إلاّ بعلم ورضى السلطات المغولية، فورد اسم ركن الدين كيومرث حاكماً على قيصرية، ثم سينوب، وكان أخوهما الآخر قلج أرسلان يحكم في "آلب سارو Alp-saru"[1].

ولقد تميزت الفترة الأولى من حكم السلطان مسعود الثاني، بالفتن والاضطرابات، وأدى انخراطه في مقاومتها أو اتهامه بمساندتها إلى شيوع ذكره، وورود اسمه في تلك الحوادث[2].

وفي بداية عهد مسعود الثاني، كان رموز الإدارة المغولية على حالها الذي كانت عليه، في عهد سلفه كيخسرو الثالث، إذ لا يزال القائد المغولي العجوز سماغر يمسك بزمام الأمور في الحامية المغولية في المنطقة، ووزارة دولة سلاجقة الروم بيد فخر الدين علي[3].

لكن الأمور تغيرت سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م.إذ جاء الأمير كيخاتو على رأس حملة كبيرة للإشراف على بلاد سلاجقة الروم، وقمع حركات التمرد التركمانية، واشترك السلطان مسعود الثاني معه في حملته العسكرية[4] وفي نهاية المطاف جاءت وفود التركمان إلى قونية، تقدم الاعتذار للسلطان السلجوقي، وتتعهد بوقف الأعمال العسكرية، بل إن بعضهم من بنو كرميان[5] عقدوا معه صلحاً[6].

(1) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s 608-609

وآلب سارو قرية في منطقة آكشهير.

(2) Turan :Op. Cit. . s. 586.

ويقال أن قلج أرسلان كان حاكماً على الإمارات الحدودية.

Cambridge History Of Islam. V. 1. p266.

(٣) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٤) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٥) عن بني كرميان. انظر ما يلي ص من هذا البحث.

(٦) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ن ص٤٩٢ ؛ القزويني: تاريخ كزيدة، ص٤٧٩ ؛.
Anonim Slçuk-nâme. s. 69-71,Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 586.

وغي نهاية الأمر أنّ معظم الموظفين المعينين من السلطات المغولية ، في بلاد سلاجقة الروم، سواءً من المغول أو غيرهم، - خلال هذه الفترة - لم يكن للسلطان السلجوقي دور في تعيينهم بل لم يؤخذ حتى رأيه في ذلك [(١)] كما أنه لم يكن بمقدوره منع الموظفين من ظلم الرعية ، والتعدي على حقوقهم.وإن لم يُتهم هو شخصياً بمثل تلك الأعمال، وتشير روايات إلى أنه ساهم بشكل كبير في اختيار الأمير ناصر الدين محمد ليكون مستوفياً في بلاد سلاجقة الروم، رغم أنه من الفرس الوافدين على المنطقة وقد حُمدت سيرته كما أشرنا سابقاً[(٢)].

وبعد أن أصبح إيلخاناً، عاد كيخاتو مرة أخرى، إلى آسيا الصغرى، وتحت قيادته جيش كبير، وبعد أن اطمأن إلى موقف جيشه في المنطقة، عاد إلى عاصمة ملكه في بلاد فارس' فشجعت تلك العودة، التركمان على معاودة نشاطهم، لإخراج المغول من آسيا الصغرى، وكما فعل القرمانيون مع جمري "أو سياوش بن كيكاوس الثاني" سعت طوائف أخرى من التركمان للإستفادة من مكانة ونفوذ الاسرة السلجوقية في نفوس الرعية ، فشجعت طوائف منهم الأمير ركن الدين كيومرث بن كيكاوس، على الثورة ضد المغول، وحليفهم أخيه مسعود الثاني.وحاول الأمير مظفر الدين البيورك مقاومة الثوار، لأنه - كما رأينا - من أنصار السلطان مسعود الثاني، وبالتالي من الموالين للمغول[(٣)] لكن محاولته منيت بالفشل ودفع روحه ثمناً لذلك، فسيطر الثوار على منطقة قصطمونية وتوابعها ، وتوافدت عليها جموع التركمان المؤيدين لكيومرث، والمنادين بالثورة ضد المغول وصنيعتهم مسعود الثاني[(٤)].

---

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١-ب.

(٢) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(3) Cambridge ,History of Islam. v1. p,266.

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص١٧٤ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 608-607. ١٧٥

اتخذ كيومرث ـ وأنصاره ـ من قلعة برغلو معقلاً لهم، ولم يلبث أن انضم إليهم الأميران: ركن الدين قلج أرسلان، وفيرامرز ابنا كيكاوس الثاني[1] ويبدو أن سياسة الإذعان، التي سار عليها مسعود الثاني لم ترق لإخوته الثلاثة، فاتخذوا موقفاً معادياً له، وتولوا قيادة الثورة الجديدة.

من جهتها، تحركت العساكر المغولية، بقيادة طاش تيمور الخطائي، لإخماد الثورة، فيما انتقل زعيم الثوار ركن الدين كيومرث إلى قلعة دمير لوحصار[2] بعد أن قدم عليه أخواه الآخران في قصطمونية[3].

وأذعن السلطان مسعود الثاني لأوامر الإيلخان كيخاتو، الذي كلفه بالاشتراك

مع القادة المغول " أنيتAnit"[4] وقوغطاي، وقيراي في التصدي لثورة إخوته وأنصارهم التركمان، وانضم إلى السلطان أيضاً نائب الحضرة العليا، مجير الدين أمير شاه، والوزير نجم الدين علي[5].

تحركت الحملة المشتركة (المغولية ـ السلجوقية) نحو قصطمونية، حيث مركز الثورة، وذلك سنة ٦٩١هـ/١٢٩٢م لكن عند اقترابها من هدفها، اتضح أن عدد الثوار أكثر مما كان متوقعاً، فبعث القادة إلى الإيلخان، يطلبون المدد، لكنه تجاهل طلبهم، وأمرهم بالهجوم، مع اطلاق أيديهم لاتخاذ كل ما يرونه مناسباً من الخطط والوسائل لدحر الثوار.من أجل ذلك ظلت الحملة تراوح مكانها مدة من الزمن[6] ثم عنّ لقادة الحملة اختبار قوة الثوار،

---

(1) Turan :Op. Cit. . s608.

(٢) دميرلو حصار. لم أعثر على تحديد لمكان هذه القلعة. ومن المرجح أن تكون في الأطراف.

(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١ ورقة٥٩١ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق ص١٧٢-١٧٤ ؛ Turan: Op. Cit. s. 608.

(٤) أنيت هزارة. اقسرائي: المصدر السابق، ص١٧٢، ١٧٤-١٧٥.

(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١ ،ورقة ٥٩١ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق ص : Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 612.

(٦) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق ص١٧٢.

فتقدم القائد قيراي بفرقة من العساكر، وتوغل في غابة قصطمونية، فلم يجد مقاومة، وتحرك معظم الجيش على أثره، ولم يشعروا أن التركمان يستدرجونهم إلى كمين، ولما أيقن هؤلاء أن خصومهم قد وقعوا في الفخ، انقضوا عليهم من كل جانب، فأذهلتهم الصدمة، وسقط كثير من عساكر المغول - ومن معهم - بين قتيل وأسير، وكان على رأس الأسرى السلطان مسعود الثاني، ونائب الحضرة العليا والوزير[(١)].

وكان من حسن حظ السلطان السلجوقي، ومن معه أن مؤخرة الجيش بقيادة قوغطاي، تأخرت في دخول الغابة، فلم تشترك في المعركة، وعندما شعروا بما يدور من قتال في داخل الغابة، قرر القائد الإنسحاب، وبقي غير بعيد عن ساحة المعركة، ينتظر عمّا تسفر عنه نتيجتها، وعندما خرجت إليه فلول المنهزمين، أعاد ترتيب عساكره، وكرّ بهم في هجوم لم يتوقعه التركمان، فحلت بهم الهزيمة وحرر الأسرى، بما فيهم السلطان ورجال دولته[(٢)].

بعد تلك المعركة، انسحبت الحملة المشتركة من المنطقة باتجاه قلعة عثمان جوق، لتكون في مأمنٍ من هجمات التركمان السريعة[(٣)] ومن الصعب - كما يرى أحد الباحثين - تحديد الطرف المنتصر في المعركة[(٤)] وجاء في رواية أن الأمير السلجوقي قلج أرسلان بن كيكاوس الثاني قد لقي حتفه في هذه المعركة[(٥)] وكان من النتائج السريعة لتلك المعركة، تجديد الإيلخان ثقته في رجال دولة سلاجقة الروم، حيث وصلت منه (براليغ) تقر كلاً من السلطان

---

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ب؛ اقسرائي المصدر السابق، ص١٧٣؛
Turan :Op. Cit. . s. 6.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ب، اقسرائي: المصدر السابق، ص١٧٤.

(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩١ ب؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص١٧٤.

(4) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s.

(5) Anonim Slçuk-nâme,s. 90;Turan :Op. Cit. . s. 613.
ويقال أنه قتل بعد مطاردة من خصومه، وبدون ذكر تاريخ لذلك.
Cambridg. History Of Isam. V1. p. 267.

مسعود الثاني والنائب مجير الدين، والوزير نجم الدين على وظائفهم السابقة[١]

أمّا متولي كِبَر الثورة، الأمير ركن الدين كيومرث فقد ذكرنا ذهابه إلى قلعة دميرلو حصار، فتوجهت إليه فرقة من الجيش المغولي، يقودها زعيم تركماني موال للدولة الإيلخانية يدعى "آمور Umur"، فلم يستطع الأمير السلجوقي الصمود، فانسحب إلى قلعة "اريقليeregli"، مصطحباً أهله وماله، وأيضاً لم يشعر بالأمان فيها، فقرر اللجوء على أراضي الدولة البيزنطية، لكنه عندما دخل إليها[٢] وهو في طريقه للقاء الإمبراطور[٣] شك في تصرفات دليله[٤] فلم يكمل مسيره، بل عاد إلى آسيا الصغرى، ويبدو أنه تأكد من ابتعاد العساكر المغولية، عن الأطراف الغربية للمنطقة، وبعد عودته، بدأ يرتب صفوفه، وقرر الإنتقام من التركمان الذين وقفوا مع المغول ضده، فشن هجوماً مفاجئاً عليهم.قتل خلاله زعيمهم الآنف الذكر " آمور" وعدد من أبنائه ولم ينجُ منهم إلاّ ابنه المدعو عليبن أموروالذي قاد فيما بعد محاولات للأخذ بالثأر من الأمير السلجوقي، لكن لم يُكتبْ لأي منها النجاح، إذ تُشير الروايات - وهي عزيزة وغامضة في الوقت نفسه - أن الأمير كيومرث توفي - فيما بعد - بدون ذكر تاريخ - نتيجة سقوطه عن ظهر جواده[٥].

ويمتد الغموض أيضاً، ليلف مصير الأخ الآخر لكيومرث، وهو فرومرز بن كيكاوس الثاني، والذي شارك في الثورة المشار إليها[٦].

ولم تكن تلك الثورة، نهاية المطاف للثورات في الفترة الأولى من عهد السلطان مسعود الثاني، بل كانت تلك الفترة تموج بالكثير منها، كما

---

(١) انظر ماسبق ص من هذا البحث.

(٢) منطقة تسمى" nimphe" والآن اسمها " كمال باشا" وكان الامبراطور البيزنطي في نواحيها.
Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 613.

(٣) وقعت تلك الحوادث في عهد الامبراطور: أندرونيق الثاني باليولوجس "١٢٨٢-١٣٢٨م" سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص١٠٣٨.

(٤) ويدعى "ابراهيم بيه". Turan :Op. Cit. . s. 613.

(5) Anonim Slçuk-nâme,s. 90, Turan: Op. Cit. s. 613.
(6) 614 Turan :Ibid. s. 613.

أسلفنا ووجد السلطان السلجوقي نفسه في أتون تمرد بالتو وحضر معه المعركة التي خاضها ضد قوات السلطان غازان، وسواءً وقع في الأسر[1] أو أسلم نفسه لجيش الدولة الإيلخانية[2] فإنه تم نقله مع قادة التمرد إلى تبريز، وهناك خضع لتحقيق مكثف، وبإشراف من غازان نفسه، ودافع السلطان السلجوقي عن موقفه، والمتمثل في أنّ بالتو ساقه معه بالإكراه، مثل كثير من الجنود، وأنه لم يكن بمقدوره مخالفته، وقدم السلطان مسعود الثاني اعتذاره عما حصل، فقبل غازان عذره، وعفى عنه، لكنه عزله عن عرش الدولة السلجوقية، وأمر باعتقاله في همدان سنة ٦٩٥هـ /١٢٩٦م، ولم يسمح له بالعودة إلى آسيا الصغرى[3].

٤- عرش السلاجقة بين علاء الدين كيقباذ الثالث ومسعود الثاني:

على إثر عزل مسعود الثاني، غدا عرش سلاجقة الروم، خالياً من سلطان وفي هذا دليل على مدى ما وصلت إليه، دولة سلاجقة الروم من ضعف وانحلال حتى أصبح وجود السلطان غير ذي أهمية.ومما لا شك فيه أنّ ذلك الإجراء، الذي اتخذه غازان، يعتبر تمهيداً لإلغاء أعلى منصب في دولة سلاجقة الروم، بل الرمز الأخير الذي يبرهن على أن دولة سلاجقة الروم لا تزال على قيد الحياة، مما يعني أنّ زوال تلك الدولة من خارطة التاريخ.أصبح قاب قوسين أو أدنى، ويرى أحد الباحثين أن الأسرة السلجوقية نفسها، عقمت عن انجاب سلاطين أفذاذ بعد كيقباذ الأول[4] ويرى بعض الباحثين أنه من الصعب الجزم الجزم بمدة خلو العرش السلجوقي من سلطان[5] لكن بعض المصادر حدد بدقة بدقة تاريخ ابتداء هذه المدة وانتهائها وهي في بحر عامين.حيث جاء علاء الدين

(1) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 618

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٢ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق ص٢٠٦.

(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٢أ ؛ الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٥٥ اقسرائي: المصدر السابق، ص٢١٠.

(4) Turan :Op. Cit. . s. 643.

(٥) لين بول: الدول الإسلامية ج١، ص٣١٧.

كيقباذ بن كيومرث بن كيكاوس الثاني إلى تبريز، وقلده السلطان غازان عرش سلاجقة الروم.خلفاً لعمه المعزول مسعود ا لثاني وذلك سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٨م[١].

تشير الروايات - وهي لا تخلو من الغموض والتناقض أيضاً[٢] - أن علاء الدين كيقباذ الثالث بن كيومرث، ظل محتجزاً في أراضي الدولة البيزنطية، منذ لجأ إليها والده إبان ثورته السابقة الذكر[٣] وقيل بل كان محتجزاً في قيليقية عند الأرمن[٤] وربما احتجز مرتين عند البيزنطيين أولاً، ثم عند الأرمن.ويرجح أن خروجه من المكان المحتجز فيه كان هروباً، ولم يطلق سراحه[٥].

ولابد أن علاء الدين المذكور، عرف بخلو عرش السلاجقة، ووجدها فرصة فشد الرحال إلى تبريز، حيث اجتمع بالسلطان غازان الذي كان بدوره يبحث عن أمير سلجوقي، لينصبه سلطاناً في بلاد الروم وتذكر الروايات الصوفية أن بعض زعمائهم[٦] ساهم بشكل كبير في اقناع غازان بمنح عرش السلاجقة، لعلاء الدين بن كيومرث، لذلك اصبحوا ذا مكانة عنده وأسند

(١) المولوي: صحائف الأخبار ج١، ورقة ٥٩٢ب ؛ اقسرائي:المصدر السابق ص٢٣٥؛ الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٥٦.

(2) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 618-619

(٣) اقسرائي، المصدر السابق، ص٢٠٦.

(4) Ca hen:Pre Of Ottoman Turkey. p. 300

واعترف المؤلف بغموض تاريخ علاء الدين المذكور، منذ هروبه من معتقله حتى لحظة تنصيبه سلطاناً، وذهب غيره إلى أبعد من ذلك وادعى أنه لا يُعرف شيء عن عهده سوى ورود

اسمه على نقد سلجوقي يحمل تاريخ سنة ٧٠١هـ/١٣٠١-١٣٠٢ Of Islam. B1. V. II. Art " Kaykubad".

(5) Cahen :Pre Of Ottoman Turkey. p. 300_301.

(٦) وهما: عارف شلبي، حفيد جلال الدين الرومي، وعطا بيه مجد الدين.

إليهم بعض الوظائف المهمة(١) فيما تذكر رواية أخرى أن الوزير - صاحب الديوان - صدر جهان كان مساهماً في اختياره(٢).

عاد علاء الدين كيقباذ الثالث إلى آسيا الصغرى، وقد توج سلطاناً، ومعه وزيره والنائب والأمراء الذين سبقت الإشارة إليهم، وبعودته انتهى ما عرف "بالإدارة الرباعية"(٣).

ولم يهنأ السلطان الجديد بالعرش طويلاً، إذ اندلعت ثورة سولاميش المشار إليها آنفاً وحتى لا يضطر للمشاركة، أو حتى الإتهام بذلك، كما فعل عمه مسعود الثاني مع بالتو، ترك العاصمة قونية، والتجأ إلى ديار بكر في أقصى الجنوب الشرقي لآسيا الصغرى، منتظراً ما سيفعله السلطان غازان مع سولاميش من جهة، ومع دولة المماليك من جهة أخرى(٤).

واعتبر بعض الباحثين تلك نهاية للفترة الأولى من حكم علاء الدين كيقباذ الثالث(٥) لأن غياب السلطان امتد لفترة من الزمن، وتلاه إعادة تعيينه سلطاناً وهنا لابد من الاعتراف بمعضلة تفسير كيفية تناوب علاء الدين كيقباذ الثالث وعمه مسعود الثاني، على الحكم أكثر من مرة(٦).

ومهما يكن من أمر، فإن السلطان غازان، بعد أن حقق نصراً كبيراً على المماليك في بلاد الشام سنة ٦٩٩هـ/١٣٠٠م(٧) عاد إلى العراق، مروراً بديار بديار بكر، حيث التقى هناك علاء الدين كيقباذ الثالث، وشكره على

(1) Eflaki: op. cit. s. 846-849 Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye s. 622.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٢ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٣٢-٢٣٣

(3) Turan :Op. Cit. . s. 622.

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة٥٩٢ب أ ؛ اقسرائي، المصدر السابق، ص٢٣٣-٢٣٥.

(٥) زامباور: المرجع السابق، ص٢١٧-٢١٨ ؛ لين بول: الدول الاسلامية، ج١، ص٣١٨ ؛ بوزورث: المرجع السابق، ص١٨٦.

(٦) لين بول: الدول الإسلامية، ج١، ص٣١٦.

(٧) وهي المعركة المعروفة بمجمع المروج ولمزيد من التفاصيل: انظر: الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٦١-١٦٢ ؛ أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص٣٨١-٣٨٢.

موقفه من ثورة سولاميش، وبالغ في اكرامه، وزوجه أميرةً مغولية[1] وأبقاه إلى جانبه، فترةً من الزمن، ثم عيّن له وزيراً، ومساعدين.فأعطى الوزارة لعلاء الدين الساوي، والاستيفاء لناصر الدين محمد، والبكلريكية(والإشراف) للسيد شرف الدين حمزة العلوي، فيما بقي نائب الحضرة العليا مجير الدين أمير شاه، على وظيفته السابقة ورتب السلطان غازان لعلاء الدين كل ما يحتاجه من "لوازم السلطنة" وودعه في منطقة رأس العين[2].

ورغم أن كيقباذ الثالث لم يكن سيئاً في نفسه إلاّ أنّ سذاجته، وضعف شخصيته، أتاحت لمعاونيه خاصة البكلريكي السيد حمزة، والقاضي مجد الدين القرا حصاري[3] فرصة للتأثير عليه، وبدأوا جميعاً عمليات ظلم ومصادرة ومصادرة واستحداث المزيد من الضرائب، وفرضها على الناس، خاصة الأغنياء والتجار، وبمجرد مغادرتهم لمعسكر غازان، بدأوا بممارسة تلك الأعمال المشئومة، وعند مرورهم بمدينة ملطية - وهم في طريقهم إلى قونية - استقبلهم واليها[4] بالترحاب وقدم لهم الهدايا، وهم بعد على مشارفها، فأمر السلطان علاء الدين كيقباذ الثالث باعتقاله، دونما ذنب، وتعذيبه ليقر

---

(١) وهي ابنة هولاجو. وذكر المولوي في صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٣أ، أن أباها أخو غازان وهذا وهم وقع فيه. فليس لغازان أخ بهذا الإسم (انظر: الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢ ص١٢٥) ثم إن المولوي ينقل عن اقسرائي والأخير لم يقل إن هولاجو أخ لغازان، ونص كلامه: ". . . دختر شاه زاد هولاجو" وترجمتها :"ابنت هولاجو ابن الملك" ويقصد بالملك هنا: هولاكو خان مسامرة الأخبار، ص٢٧٩.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٣أ ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٧٧-٢٧٩. رأس عين :مدينة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنسير , ورأس عين ذات سور من حجارة , ومشهورة بكثرة عيونها البالغة ٣٦٠ عينا علي ما يقال , وتتجمع وتشكل نهر الخابور الذي يسقي بساتينها وسدور رحاها , ويكثر بها زراعة القطن والقمح والكروم , ولرأس عين جامعان ومدرسة وحمام. ياقوت الحموي :مصدر سابق , ج٣ ص١٣-١٥, كي لسترنج: مرجع سابق , ص ١٢٥.

(٣) القاضي مجد الدين القرا حصاري، يلقبه اقسرائي بالأتابك دليلاً على علو مكانته، وقوة نفوذه ووصفه بالعلم الوافر، وبمعرفة فنون شتى حتى علم الكيمياء ورغم القبض عليه من قبل غازان، والتحقيق معه إلا أن وفاته جاءت بعد مرض عضال، وكانت قريبة من وفاة النائب مجير الدين أمير شاه، في مطلع القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي مسامرة الأخبار: ص٢٧٩، ٢٩١-٢٩٢.

(٤) ويدعى، نور الدين شهاب. اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٨١-٢٨٢.

بأموالٍ زعموا أنه اختلسها، ومات الوالي من شدة العذاب، ولما سمع ابنه "قطب الدين" بما حصل له، أمر بإغلاق أبواب المدينة في وجه السلطان وأتباعه الذين حاولوا اقتحامها دون جدوى[(١)].

بعد ملطية، توجه السلطان وأصحابه إلى دوركي[(٢)] فنهبوا وصادروا أموالاً وممتلكات، ثم رحلوا إلى سيواس فدخلوها في رمضان سنة٦٩٩هـ/١٢٠٠م، فلم تمنعهم حرمة الشهر الكريم، من أن يفعلوا فيها ما فعلوه في المدن التي سبقتها، ولقد فاق ظلمهم، وعسفهم ظلم أسيادهم المغول.ثم انفصل عنهم البكلريكي السيد حمزة، وأخذ معه جماعة من الرعاع وتوجه إلى توقات وفعل بها ما فعل بسيواس.[(٣)] وعند ما وصلت أنباء تلك الفظائع إلى النائب مجير الدين، والوزير علاء الدين الساوي، وكانا في العاصمة ولم يحضرا لقاء السلطان بغازان، أنكرا تلك الأفعال القبيحة، ونصحوا السلطان وحذروه لكنه لم يرعوي، مما حمل النائب مجير الدين على الذهاب بنفسه إلى غازان، فيما سار الوزير علاء الدين الساوي إلى قائد الحامية المغولية في المنطقة "أبيشقا" ليشكوا إليهما فعل السلطان وأصحابه[(٤)].

وعلى الفور، كتب السلطان غازان إلى علاء الدين كيقباذ الثالث، يأمره بالمضي إلى القائد أبيشقا، وملازمته في المصيف والمشتى وألاّ يصدر إلاّ عن رأيه[(٥)].

وصل الأمر بذلك إلى علاء الدين كيقباذ الثالث وهو بسيواس، فلم يسعه إلاّ الإذعان، وسار متردداً، يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، قاصداً معسكر

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٣أ ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٨١-٢٨٢
(٢) دوركي وتكتب أيضاً ديوريكي. اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٨٢، وانظر ما سبق ص من هذا البحث.
(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٣أ ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٨١-٢٨٢.
(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٣أ-ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٨٥-٢٨٧.
(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٣أ-ب، اقسرائي: المصدر السابق ص٢٨٦-٢٨٧.

آبشقا، ولما كان على بعد مرحلة[1] منه، طلب منه القائد المغولي، أنْ يسرع بإرسال البكلربكي والقاضي، فلما مثلا بين يديه، أمر باعتقالهما والتحقيق معهما واستخدام كافة الأساليب بما فيها التعذيب، بدعوى أنهما السبب في سؤ سلوك السلطان وسياسته الظالمة[2].

لما علم علاء الدين كيقباذ الثالث بالعقاب المنزل على البكلربكي السيد حمزة، والقاضي مجد الدين، تسلل ليلاً من مخيمه، وترك أثقاله وهداياه التي جاء بها - ومعظمها اغتصبها من أيدي أهلها - وانهزم قاصداً قونية، فقطعت عليه طائفة من التركمان الطريق، فلم يدعوا معه - ولا مع أصحابه - شيئاً، وسلبوهم كل ما يملكون، حتى دوابهم أخذوها منهم، وتركوهم مشاةً عراة، فتفرق اصحابه عنه، أما السلطان وغلام له، فتواريا عن الأنظار في إحدى المغارات بنواحي بركوب.[3]

وعندما علم آبشقا بما فعله السلطان، أمر بمصادرة مخيّمه وأثقاله، وأرسل جماعة من الجنود للبحث عنه، فعثروا عليه مختبئاً، وأخذوه معهم إلى معسكر قائدهم[4].

وبعد التحقيق المبدئي معهم، بعث القائد المغولي بالسلطان السلجوقي، ورفاقه إلى تبريز، حيث سيتولى السلطان المغولي (غازان) محاسبتهم، ولحق بهم هناك بعض ضحاياهم، الذين طالبوا بالقصاص منهم، فعزم الزعيم المغولي على الفتك بهم، لكن السلطان السلجوقي نجا من الموت وذلك بفضل شفاعة زوجته الأميرة المغولية ومع ذلك لم يسلم من تعنيف السلطان غازان،

(١) مرحلة: المرحلة المسافة يقطعها السائر في نحو يوم، أو هي المسافة بين منزلتين. المعجم الوسيط ج١، ص٣٤٤.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٣ ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٨٦-٢٨٧.

(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٣ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق ص٢٨٨. وبركوب أو ركوب بلدة بنواحي سيورس.

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٣ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٨٨ ٢٩٠.

الذي أمر بعزله عن العرش وجلده، واعتقاله في اصفهان[1]، وخصص له مرتباً لسد حوائجه، وبقي علاء الدين كيقباذ معتقلاً هناك مدة من الزمن، ثم اقدم أحد ندمائه على اغتياله في مجلس لهوه، بسبب " سقط اللسان"[2].

ورغم عدم معرفة تاريخ وفاته[3] إلاّ أن فترة احتجازه في أصفهان لم تكن " على ما يبدو" طويلة، لكن الإشكال يبرز في وجود بعض العملات النقدية التي تحمل اسمه، ويعود تاريخها إلى سنوات كان هو فيها معزولاً عن الحكم وهي الأعوام بين" ٧٠٠ـ٧٠٢هـ /١٣٠٠ـ١٣٠٢م "، وبعضها، يحمل التاريخ نفسه، لكنها باسم السلطان غازان، وهي مضروبة في مدن آسيا الصغرى[4].

ويمكن القول، أنّ العملات النقدية لم تجلُ الغموض الذي اكتنف الفترات المتأخرة في حكم كل من مسعود الثاني، وابن أخيه علاء الدين كيقباذ الثالث[5].

---

(١) أصفهان: أو أصبهان بفتح الهمزة غالباً. مدينة مشهورة من أعلام المدن في الاقليم المعروف ببلاد الجبل، في الاقليم الرابع، واسرف البعض في وصف محاسنها والإشادة بها-ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٠٦-٢٠٨ ؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص٤٢٢-٤٢٣.

(٢) المولوي: صحائف الأخبار، ج١ ورقة ٥٩٣ب ؛ وانظر: اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٩١.

(٣) من التواريخ التي وردت لتحديد زمن وفاته ما يلي :

سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م. حلمي: المرجع السابق، ص٩٠ ؛ حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق ج٤، ص٩٠، وذكر أنّ علاء الدين المذكور، بنى له جيشاً كبيراً، واستطاع تثبيت أركان ملكه، واغتر بقوته، فخرج على غازان وعصاه، فساق إليه جيشاً تمكن من هزيمته وأسره فأنهى غازان حكم سلاجقة الروم. !!

سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م. محمد فريد: المرجع السابق، ص١١٨-١١٩ ؛ عبد اللطيف بن دهيش: قيام الدولة العثمانية. مطبعة النهضة الحديثة مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. ص٢٧.

سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م. زامباور: المرجع السابق، ص٢١٨ ؛ Edward. S. Greasy :History of the Ottoman Turks. Beirut. 1961 p 5-6

(4) AhmedTvhid:MeskukatIslamiy. s. 334_348,352_354,Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye,s643.

وانظر أيضاً: محمد باقر الحسيني: نقود السلاجقة، مجلة سومر، ص١٨١.

ويبدو أن أسماء سلاطين سلاجقة الروم، توقفت عن الظهور على العملات النقدية منذ سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م. انظر: بوزورث: المرجع السابق، ص١٨٧.

(٥) لين بول: الدول الإسلامية، ج١، ص٣١٦.

وتشير بعض الدراسات، إلى أن كلاً منهما، حكم أربع فترات، وذلك بين عامي (٦٨١_٧٠٧هـ/١٢٨٢_١٣٠٧م) وكانا يتناوبان الحكم خلال هذه الفترة[١] واعتبر بعض الباحثين، هذه المسألة "المشكلة الرئيسية في التاريخ السلجوقي في تلك الفترة"[٢].

وبعد عزل علاء الدين كيقباذ الثالث، أمر السلطان غازان باطلاق سراح غياث الدين مسعود الثاني، وتنصيبه سلطاناً على كافة بلاد سلاجقة الروم، وذلك في أواخر سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م[٣].

وفي أوائل سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م[٤] جاء السلطان مسعود الثاني إلى آسيا الصغرى عن طريق الموصل وفي معيته الوزير علاء الدين الساوي، فاجتمعا بالقائد المغولي في المنطقة "آبشقا" واتفق الثلاثة على بذل المزيد من الجهد من أجل اعادة اعمار البلاد[٥].

واتفق موت النائب مجير الدين في منتصف هذا العام - تقريباً - كما بينا[٦] وكانت تلك ضربة قاصمة لاستمرار الدولة السلجوقية في بلاد الروم.

ولم تخلُ هذه الفترة من حكم مسعود الثاني من الاضطرابات أيضاً، فخرج رجل على السلطة المغولية يقال له "حاجي" واستولى على قرة حصار الدولة، فسار لحربه القائد آبشقا، وصحبته السلطان مسعود الثاني، ووزيره،

---

(١) زامباور: معجم الأسرات الحاكمة، ص٢١٨ ؛ بوزورث: المرجع السابق، ص١٨٦.
(٢) لين بول: الدول الإسلامية، ج١، ص٣١٦-٣١٧.
(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٣ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٣٠١.
(٤) وفي رواية أن قدومه إلى آسيا الصغرى، كان في شوال سنة ٧٠٢هـ/مايو١٣٠٣م. لين بول: الدول الإسلامية، ج١، ص٣١٧.
(٥) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٣ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٣٠١.
(٦) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

وفرضوا عليه الحصار، ولما أوشكوا أن يتغلبوا عليه، وصل إليهم خبر وفاة غازان في سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م.ففتّ ذلك في عضدهم وتفرقوا(١).

وفي رواية اقسرائي أن مسعوداً الثاني، أصيب بمرض الفالج في منطقة "مسيفرة"(٢) وهو منصرف من حصار حاجي السالف الذكر، وبقي مشلولاً حولاً كاملاً، ولم ينفع معه العلاج، حتى وافته منيته سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤، وعلى حسب زعمه، فقد انقرض بموته ملك السلاجقة(٣).

ورغم التضارب الشديد في تاريخ وفاته(٤)إلاّ أنّ رواية القاضي أحمد في هذا الشأن مقدمة على غيرها، إذ ذكر وفاته سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م في قيصرية، وأن جثمانه نقل إلى سيمرة(٥) (وهي نفسها مسيفرة) وقد "قُبل هذا التاريخ بلا نقاش" رغم ترك المؤلف في الجزم القاطع بدقة هذا التاريخ(٦).

---

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٣ب ؛ اقسرائي: المصدر السابق ص٣١١.

(٢) تسمى الآن سيمرة

(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٤أ ؛ اقسرائي: المصدر السابق، ص٣١١ ٣١٢؛ زامباور :المرجع السابق، ص٢١٨.

(٤) من أمثلة الإختلاف في تاريخ وفاته :
سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م. أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص٣٥ ؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص١٨٦. وذكرا أنه افتقر جداً في آخر حياته و "انكشف حاله".
سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م. الرمزي: المصدر السابق، ج١، ص٤٩٠. إضافة إلى رواية اقسرائي المشار إليها في المتن.
ولم يذكر بيبرس المنصوري تاريخ وفاته، وذكر ما يشير إلى أنه لا يزال على قيد الحياة، عند فراغه من تأليف كتابه، ونص كلامه :"فاستقر بها يُقصد مسعود الثاني وتوليه السلطنة " إلى يومنا هذا، ليس له منها إلاّ الاسم " زبدة الفكرة، ج٩، ص٢٢٣. ورواية مماثلة لها أيضاً عند النويري: "فوض السلطان أحمد (تكودار) السلطنة في الروم إلى السلطان مسعود. . في سنة إحدى وثمانين وستمائة فاستمر. . هذا آخر ما اتصل إلينا من أخبارهم، إلى حين وضعنا هذا التأليف ن في سنة أربع عشرة وسبعمائة" نهاية الأرب، ج٢٧، ص١١٣ ١١٤ ؛ ومثلها عند الهمذاني :". . . وقد استقر الملك من بعده (يعني كيخسرو الثالث) لغياث الدين مسعود. . . الذي لم يزل سلطاناً حتى الآن". جامع التواريخ، ج١، ق٢، ص٣٠٠.

(٥) الولد الشفيق، ص٣٠٢ ؛ وانظر أيضاً: ابن الوردي تتمة المختصر، ج٢، ص٣٢٤، وذكر أن مسعوداً تناول سماً فقتل نفسه ليتخلص من كثرة المطالبين بالدين.

(٥) عثمان توران:الأناضول في عهد السلاجقة، ص٢٩؛
Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye,s. 645.

ورغم التباين الشديد في تاريخ وفاة مسعود الثاني، إلا أنّ معظم المصادر والمراجع، تعدّه آخر سلاطين دولة سلاجقة الروم بآسيا الصغرى[1] ولكنه خلاف الواقع.!! فقد جاء بعده سلطان آخر من أسرته وهو قلج أرسلان الخامس بن غياث الدين كيخسرو الثالث، والذي نُصّب سلطاناً سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م وهي السنة نفسها التي بعث فيها السلطان أولجايتو (محمد خدابنده) حملة للسيطرة على آسيا.ويعتقد أن حكم قلج أرسلان الخامس، استمر حتى سنة٧١٨هـ/١٣١٨م[2] ولا يعرف الكثير عن عهده، لكن بعد ذلك التاريخ، انقض تيمور تاش[3] على ما تبقى من الأسرة السلجوقية فقتل رجالها، واستأصل شأفتهم من قونية وقيصرية والمدن الكبرى المهمة.وقد فر بعضهم إلى التركمان، خاصة بني قرمان، ويقال أنهم وفروا لهم ملجئاً لكنهم غدروا بهم، وقتلوا الرجال واستحيوا النساء وتزوجوهن رغبة في انجاب الملوك من نسلهم[4].

---

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٤أ ؛ اقسرائي: المصدر السابق ٣١٨: أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص٣٥: لين بول: المرجع السابق، ج١، ص٣١٧، الصياد الشرق الإسلامي، ص٤٦٣. وهناك من يجعل علاء الدين كيقباذ الثالث، هو آخر سلاطين سلاجقة الروم انظر: حسن ابراهيم: المرجع السابق، ج٤، ص٩٠، نادية محمود مصطفى وآخرون: العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي، الجزء العاشر، العصر المملوكي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٦٣. ومن الجدير بالذكر أن بعض الباحثين يوردون اسم السلطان مسعود الثالث بن علاء الدين كيقباذ الثالث، كخليفة لمسعود الثاني، وأنه تولى الحكم سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م ولا يعرف شيء عن عهده انظر: زامباور: المرجع السابق، ص٢١٨. أحمد توني: المرجع السابق، ص٢٨٣-٢٨٤.

(٢) القاضي أحمد: المصدر السابق، ص٣٠٢: القزويني: تاريخ كزيدة، ص٤٨٠ ؛
Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye s. 645.
وأبو الفداء والمقريزي يذكران التاريخ نفسه، وأنه تاريخ وفاة آخر ملوك السلاجقة ببلاد الروم لكنهما يجعلانه مسعود الثاني بن كيكاوس. المختصر، ج٢، ص٣٥ ؛ السلوك، ج٢، ق١، ص٨٦.

(٣) عن تمور تاش انظر ما يلي ص من هذا البحث.

(٤) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٤ ؛ اقسرائي: المصدر السابق ص٣٢٤ ؛
Turan :Op. Cit. s. 645.
وانظر: لين بول: الدول الإسلامية ج١، ص٣١٧.

ولقد أصبح تاريخ سنة ٧١٨هـ /١٣١٨م، معتمداً على أنه تاريخ سقوط الأسرة السلجوقية وبالتالي الدولة التي حملت اسمهم في آسيا الصغرى مدة قرنين ونصف تقريباً[١].

ويمكن القول أنّ بداية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي شهدت تلاشي السلطنة السلجوقية في آسيا الصغرى واختفى آخر سلاطينها بصورة غامضة جعلت معظم الباحثين في حيرة، أمام تحديد الوقت، والتاريخ، واسم السلطان أيضاً.[٢]

---

(1) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye s. 645.

(2) Cahen: " The Mongols And Near East". Setton. VII. . p. 728,Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye,s. 644؛

وعلق "شرزدذ" على ذلك الغموض قائلاً: "هناك أمراء يدّعون التنصيب بواسطة السلاجقة عامة وعن طريق شخص معين يُدعى علاء الدين ومن الصعب معرفة هل هو علاء الدين الكبير ؟ أم علاء الدين بن كيومرث؟". Pre Of Ottoman Turkey,p. p313.

الفصل الخامس

عهد ولاة المغول ونشأة الإمارات التركمانية

(٧٠٨ ـ ٧٣٦هـ/ ١٣٠٨ ـ ١٣٣٦م)

الفصل الخامس

عهد ولاة المغول ونشأة الإمارات التركمانية

(٧٠٨ ـ ٧٣٦هـ/ ١٣٠٨ ـ ١٣٣٦م)

١- الفترة الأولى عهد ايرنجين (٧٠٣ ـ ٧١٧هـ/ ١٣٠٣ ـ ١٣١٧م)

أ- حملة جوبان نوين على آسيا الصغرى ونهاية عهد ايرنجين:

٢- الفترة الثانية عهد تمور تاش بن جوبان (٧١٧ـ ٧٢٨هـ/ ١٣١٧ ـ ١٣٢٨م)

أ- لجوء تمورتاش إلى المماليك ونهايته.

٣- نشأة الإمارات التركمانية (٧٠٨ ـ ٧٣٦هـ/ ١٣٠٨ ـ ١٣٣٦م).

أ- إمارة أبناء أشرف

ب- إمارة أبناء آيدين.

ج- عهد بهاء الدين عمور بن محمد بك.

هـ- إمارة أبناء تكة.

د- إمارة أبناء جاندار.

هـ- إمارة أبناء حميد.

و- إمارة أبناء صاروخان.

ز- إمارة أبناء عثمان.

ح- إمارة أبناء قراسي.

ط - إمارة أبناء قرامان.

ى- إمارة كريميان.

ك- إمارة أبناء منتشا.

عهد ولاة المغول ونشأة الإمارات التركمانية

(٧٠٨ ـ ٧٣٦هـ/ ١٣٠٨ ـ ١٣٣٦م)

سبقت الإشارة إلى أن تلاشي الإدارة والجيش السلجوقيان، بل وحتى الأسرة السلجوقية نفسها، كان تدريجياً وغامضاً، ويصدق عليه تعبير أحد الباحثين عنه بأنه كان " اضمحلالاً"(١).

وشبيه بذلك الغموض، وعدم وضوح الرؤية، التحول من السيطرة المغولية الغير مباشرة، إلى الحكم المغولي المباشر لهذه المنطقة.وعلى حسب رأي أحد الباحثين فإن ضعف الدولة الإيلخانية ـ على ما يبدو ـ وليست قوتها، هو الذي أدى إلى استبدال "الحماية" بنظام الحكم الإداري المباشر(٢).

وفي البداية، لابد من الإشارة، إلى أن النظام المغولي في الأناضول، شكل تدميراً للتجمع الإقليمي البشري، الذي كانت الدولة السلجوقية المنقرضة، قد بنته تدريجياً في المنطقة، يستثنى من ذلك بضع مؤسسات باقية ذات طابع مالي.وفي ظل النظام المغولي، أصبح الدخل مقسماً إلى ثلاثة أقسام.قسم شرقي، يبتعد رويداً رويداً عن القسمين الآخرين وهما الغربي والجنوبي(٣)

ورغم صعوبة التحديد الدقيق لبداية الحكم المغولي المباشر للمنطقة، إلا أنه من المعروف أن السلطان أولجايتو هو الذي استحدث ما عرف بـ"ولاية الأناضول" ولعل هذا يدل على مدى القلق الذي ساور المسئولين المغوليين إزاء هذا الجزء من دولتهم(٤).

---

(1) Cahen:Pre Of Ottoman Turkey. p. 310.

(٢) كاهن: تاريخ العرب. . ص ٢٧٢

(3) Cahen:Op. Cit. . p. 730.

(٤) كوبرلي: المرجع السابق، ص٦٥.

ومهما يكن من أمر، فإن البعض يرى، أن بداية الحكم المغولي المباشر لبلاد الروم، مرتبط بوفاة السلطان مسعود الثاني، بغض النظر عن تاريخ وفاته[١] وهو أمر مختلف فيه كما سبق أن أشرنا[٢].

وقبل معالجة هذه الفقرة.لابد من الإشارة إلى أن الحكم والسيطرة المغولية لم تعد تحدث ردة فعل كما كانت قبل خمسين عاماً من هذا التاريخ.فالمغول أخذوا في التحول إلى الإسلام، ولم تعد صيحات الجهاد ضدهم، تحظى بالقبول الذي كانت تحظى به عندما كانوا كفاراً ومحتلين في الوقت نفسه[٣].

ويمكن بشيء من الاطمئنان، تقسيم عهد السيطرة المغولية المباشرة إلى فترتين، تخللهما فترة انقطاع ضئيلة.

١ـ الفترة الأولى: عهد ايرنجين(٧٠٣ ـ ٧١٧هـ/ ١٣٠٣ ـ ١٣١٧م):

عندما تولى أولجايتو الحكم خلفاً لأخيه غازان سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٤م.كانت تحدوه رغبة في إجراء المزيد من الإصلاح[٤] على الأحوال في آسيا الصغرى عموماً[٥] ولم تكن المنطقة غريبة عليه، فقد دخلها في سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٨م[٦] وحينما شعر السلطان غازان يدنو أجله، بعث إلى أخيه أولجايتو ليعهد إليه وكان هذا الأخير في مهمة ببلاد الروم[٧].

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٣ب؛ المقريزي السلوك، ج٢، ق١، ص١٨٦ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤٦٣ ؛ لين بول: الدول الإسلامية، ج١، ص٣١٨.

(٢) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(3) Cahen:The Mongols And Near East. "Setton". VII. ,p729.

(٤) سبقت الإشارة إلى الاصلاحات الضخمة التي ميزت عهد غازان، انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(5) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 635.

(٦) ابن كثير: المصدر السابق، ج١٣، ص٣٣٢.

(٧) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٣١٩.

اختار أولجايتو القائد "ايرنجين[١] Irenjin" ليكون حاكماً على بلاد الروم[٢] وبعث معه شمس الدين أحمد اللاكوشي ليتولى الوزارة، ومن المعروف أنها ليست المرة الأولى التي يشغل فيها هذا المنصب' وجاء معهما أيضاً ـ وبأمر السلطان المغولي ـ قائدٌ عسكريٌ يدعى أغاجري[٣] Agasheri.

ولازال بالإمكان ملاحظة تعيين أكثر من قائد عسكري لهذه المنطقة، وهي سياسة ـ كما أشرنا ـ قديمة.

وضمت حكومة ايرنجين، موظفين مدنيين، منهم شرف الدين مسافر، وهو المسؤول عن الإستيفاء[٤].

وهنا لابد من الإشارة ـ إلى أنه رغم استمرار تحويل الأموال من بلاد الروم إلى العاصمة الإيلخانية في بلاد فارس ـ في هذه الفترة ـ فإن من المشكوك فيه، أن تكون مهمة الإشراف على أموال الدولة الإيلخانية، قد سُلمت لأي شخص آخر عقب وفاة متوليها السابق النائب مجير الدين أمير شاه، إذ دخلت هذه المهمة، ضمن صلاحيات الوالي المغولي الجديد[٥].

جاء ايرنجين ومساعدوه إلى بلاد الروم[٦] وشرعوا في العمل.لكن الوالي ايرنجين، وبسبب الصلاحيات الواسعة المخولة له وصلة القرابة بينه وبين السلطان المغولي[٧] ولمكانته الرفيعة بين المغول[١] لم يعر الموظفين الذين جاؤوا

(١) ورد الاسم بصيغ أخرى في المصادر العربية، لكننا أخذنا بما جاء في المصادر الفارسية، وبعض العربية المعاصرة. انظر: اقسرائي: المصدر السابق ن ص٢٩٩ ٣٠٧ ؛ الذهبي: العبر، ج٤، ص٥١. ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص٤٥٩-٤٦٠؛وقال عنه"إيرنجن بكسر أوله وسكون التحتانية وراء مفتوحة بعدها نون ثم جيم ".

(٢) اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٩٩ ؛ الذهبي: نيل تاريخ الإسلام، ص٢٠٢.

(٣) اقسرائي: المصدر السابق، ص٣٠٢ ؛ Turan:Op. Cit. . s. 635.

(٤) اقسرائي: المصدر السابق، ص٢٩٩-٣٠٠.

(5) Cahen:Pre Of Ottoman Turkey. p. 332.

(٦) هناك اختلاف في تاريخ وصول ايرنجين ومن معه إلى بلاد الروم، فقيل سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٤م أو سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٥م، أو سنة ١٣٠٦م. القاشاني: تاريخ أو لجايتو، ص٩٧؛ Howorth:op. cit. III,p. 557,Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s635 .

معه أدنى أهمية، وأخذ ـ تحديداً ـ في مضايقة القائد العسكري أغاجري، حتى أجبره على مغادرة المنطقة والعودة إلى بلاد فارس[٢] ويبدو أنه رأى في بقائه معه منافسة له في منصبه فعمل على إخراجه من المنطقة.

وعلى أثر مغادرة آغاجري المنطقة.جاء خلفاً له ـ وبأمر السلطان أولجايتو ـ الأمير "أوقتا"[٣] "Okta" فواجهه الوالي ايرنجين بالسياسة نفسها التي استخدمها ضد سلفه، وحقق النتيجة نفسها، حيث غادر القائد الجديد "أوقتا" المنطقة، تاركاً لإيرنجين حرية التصرف في حكم المنطقة[٤].

وعلى صعيد الإدارة الداخلية.بدأ الحاكم المغولي عهده في المنطقة بحكم غريب.كان بمثابة المقدمة، لنوع السياسة والإدارة التي اعتزم الوالي السير في طريقها.والحكم المقصود هو تكليف المؤرخ اقسرائي، بدفع مبلغ ستة آلاف درهم، ديةً لكل جندي مغولي يقتل، حول "خان السلطان علاء الدين" الذي تحصن فيه أحد المتمردين التركمان، وكان ايرنجين قد هب لإخماد التمرد وحاصر "الخان" المذكور بحوالي عشرين ألف مقاتل.لكنه بهت أمام حصانة الخان، وعجزت عساكره عن تحقيق النصر، وعلم بأن "الخان" قد أُعيد ترميمه قبل تحصّن المتمرد التركماني فيه، وأن اقسرائي هو الذي أشرف على إعادة ترميمه، بعد أضرار جسيمة أصابته في تمرد سابق [٥]، وقد قام اقسرائي بذلك العمل، بحكم الوظيفة التي كان يشغلها منذ أواخر عهد

(١) قيل إنه خال السلطان أولجايتو. الذهبي: ذيل تاريخ الاسلام ص٢٠٢ ؛ وقيل بل خال السلطان بو سعيد بن أولجايتو. الذهبي: العبر ج٤، ص٥١؛ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص٤٥٩.

(٢) كان أبوه نائباً للايلخان آرغون ويدعى "البياخ"؟!، الذهبي العبر، ج٤، ص٥٢.

(٣) هكذا ورد الاسم عند اقسرائي، وورد عند غيره، بصيغة أوقطاي أو أكتاي‌طدس‌ا وهو ابن القائد المغولي شكتورنجشبآلت مسامرة الأخبار، ص٣٠٥ ؛
Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 636.

(٤) اقسرائي: المصدر نفسه، ص٣٠٥.

(٥) التمرد السابق قام به زعيم يدعى ابن ممرش. واتخاذ خان علاء الدين مأوىً للمتمردين دليل على حصانته وإحكام بنائه. اقسرائي: المصدر السابق ص٣٠٤ – ٣٠٧.

السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباذ الثالث[١]فوجدها الوالي المغولي فرصة ليداري فشل قواته في اقتحام "الخان" رغم الحصار الذي استمر شهرين، واستخدام كافة الأسلحة بما فيها المنجنيق.فأنحى باللائمة على اقسرائي، واتهمه بتوفير ملجأ حصين للمتمردين.ولم يكن أمام اقسرائي إلا الإذعان لحكم الوالي المغولي[٢].

وبعد هذه الحادثة، التي أظهرت ما سيكون عليه الوالي المغولي من قسوة وجبروت.تزايد ظلمه وجوره، لأهل بلاد الروم، حتى كاد ينعقد الإجماع، على أن عهده اتسم بالظلم الفاحش والأحكام الجائرة[٣]ولم يشذ عن هذا إلا المصادر الصوفية، التي سكتت عن ذلك الظلم[٤].

ومن حوادث عهد ايرنجين أيضاً، اندلاع فتنة بين طائفتين من تجار اقسراي.تزعم إحداهما رجل يقال له " ابن شنكيت" **"ShenkiT"** وتمكنت طائفته من التغلب على منافستها، وسقط بين الطائفتين كثير من أعيان المدينة صرعى، وصودرت أملاك[٥] وعمت الفوضى، وحاول المنهزمون الاحتماء بالخانات المحكمة والقلاع القريبة[٦] وحتى قصر السلطان السلجوقي والجوامع والجوامع ومشفى المدينة لكنها لم تجد نفعاً، ولم يحترم ابن شنكيت

---

(١) كان اقسرائي مشرفاً على أوقاف السلطان علاء الدين كيقباذ الثالث، ومعه برليغ من السلطان غازان بذلك المولوي: صحائف الأخبار، ج١ ورقة ٥٩٤أ ؛ اقسرائي: مسامرة الأخبار، ص٣٠٥.

(٢) اقسرائي: المصدر السابق، ص٣٠٣ ٣٠٦ ؛
Turan ; Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 637.

(٣) انظر: اقسرائي: المصدر السابق، ص٣٠٣-٣٠٩ ؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩ ص٢٧٧ ؛ الذهبي: العبر، ج٤، ص٥٢، تاريخ وصاف، ص٣٦٩-٣٧٠، ويقول: إن المصادر المغولية والفارسية متفقة على ذلك. Turan:Op. Cit. . S. 638.

(٤) في رواية لمصدر صوفي، أن ايرنجين التقى الصوفي الكبير سلطان ولد، واسلم على يده، ودخل في الطريق المولوية، وليست هناك أدلة قاطعة بذلك. أنظر EFLAKI:OP. CIT. S. 797 ، Turan: Op. Cit. S. 638.

(٥) أورد اقسرائي أسماء بعض التجار الذين قتلوا أو صودرت ممتلكاتهم أنظر: مسامرة الأخبار، ص٣٠٧.

(٦) من تلك القلاع: قلعة سالمة، وقلعة أيوب حصار.

وأنصاره حرمة هذه الأماكن، وأخرجوا خصومهم منها واعتدوا عليهم بالقتل والتنكيل[١].

ولما طفح بهم الكيل، هرع المنهزمون إلى الوالي ايرنجين، لعله ينصفهم لكنهم لم يجدوا عنده أذناً مصغية، بل وجدوه في صف ابن شنكيت، ومدافعاً عن موقفه، وذلك بفضل الأموال والهدايا التي كان يغدقها هو وأصحابه على الوالي المغولي[٢].

وجاء تعيين ايرنجين والياً على بلاد الروم.متزامناً ـ تقريباً ـ مع تعيين قريب له، يسمى "بلارغو[٣] **Bilarghu** "، قائداً للحامية المغولية المرابطة في مملكة أرمينية الصغرى[٤]وقيل إنه تابع إدارياً للوالي المغولي في بلاد الروم "ايرنجين"[٥].

"ايرنجين"[٥].

وصل بلارغو إلى بلاد الأرمن، وكان رجلاً مسلماً، وفور تسلمه لقيادة الحامية، شرع في ترميم الآثار والمساجد الإسلامية، التي عفا عليها الزمن في مملكة أرمينية الصغرى، وبنى جامعاً في مدينة أياس[٦] التي قضى فيها شتاءه الأول في المنطقة[١].

---

(١) اقسرائي: المصدر السابق، ص٣٠٦-٣٠٩.

(٢) اقسرائي: المصدر نفسه، ص٣٠٧-٣٠٩. Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 637.

(٣) بلارغو، هكذا اورد في المصادر الفارسية والمغولية وبعض المراجع الحديثة. انظر: القاشاني تاريخ أولجايتو ص١٢٢ ؛ محمود عمران: المرجع السابق، ص٢٤١؛ Turan: Op. Cit. S. 637 , Howorth:Op. Cit,III,P. 557.
وفي بعض المصادر العربية اسمه "برلغو" بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٣٧٧؛ العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٤٥٨، ٤٥٩ ؛ وعند ابن خلدون "أرفلي" ومرة "الأمير علي !!" العبر: ج٥، ق٤، ص٩٠٢ ٩٠٣ ؛ ق٥، ص١١٨٥. وعند أبي الفداء "برلغي". وسبقت الإشارة إلى تولي قائد اسمه"بلرغي" قيادة الحامية المغولية في آسيا الصغرى انظر ماسبق، ص، من هذا البحث.

(٤) القاشاني: تاريخ أولجايتو، ص١٢٢-١٢٣ ؛ بيبرس المنصوري زبدة الفكرة، ج٩، ص٣٧٧؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤٥٩ العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٤٥٨.

(5) Howorth:Op. Cit,III,P. 557.

(٦) آياس: بفتح الهمزة الممدودة والياء، ثم ألف وسين بلدة كبيرة من بلاد الأرمن على ساحل البحر (المتوسط) بها ميناء حسنة، وهي فرضة تلك البلاد. بينها وبين بغراس مرحلتان، ومنها إلى تل حمدون

وعند انتقاله في فصل الصيف إلى العاصمة سيس، بنى جامعاً آخر، ورمم جامعاً قديماً بها، وارتفعت تكبيرات الأذان من المنائر، وأصبح صداها يتردد في بلاد الأرمن.كما أمر بلارغو ببناء مدرسة وجامع في مدينة "أذنةAdanah"[٢] وبدأ تكفور الأرمن[٣] يتضايق من تصرفات القائد المغولي، بل من سياسته التي ستؤدي إلى زيادة نفوذ المسلمين في معقل من معاقلالنصارى[٤].

ربما كان تكفور الأرمن، يأمل في أن يتنبه السلطان المغولي "أولجايتو" إلى التغييرات التي أحدثتها سياسة قائده بلارغو في منطقة قيليقية الأرمنية، لكن أمله خاب، عندما استقبل السلطان المغولي في عاصمته ببلاد فارس، كلاً من ايرنجين وبلارغو، وشد على أيديهما، معلناً رضاه عن الطريقة التي يديران بها المناطق الواقعة تحت حكمهما.وعاد الاثنان من تلك الزيارة، وهمها أكثر ثقة من قبل[٥].

وعندما أيقن تكفور الأرمن "ليون الرابع" أن بلارغو تمادى في سياسته، وأن السلطان المغولي لم يحرك ساكناً تجاه ذلك، بث شكواه إلى السلطان المغولي، متهماً في الوقت نفسه "بلارغو" بالإتصال بالمماليك والتنسيق معهم لمهاجمة بلاد الأرمن وتحويلها إلى ولاية اسلامية خالصة يتولى هو حكمها[٦]

نحو مرحلة، وزادت أهميتها بعد تطهير سواحل الشام من الوجود الصليبي أواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وقصدها تجار النصارى وغيرهم، حتى أصبحت مجمعاً كبيراً لتجار البر والبحر، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص٢٤٨ ٢٤٩.

(1) Turan: Selçuklular Zamaninda TürkiyeS. 637

(٢) أذنة: بهمزة ثم ذال، ثم نون محلها مفتوحة، ثم هاء في الآخر. مدينة قديمة البناء ورسمت في عهد العباسيين وكانت من ثغور الإسلام، فاستولى عليها الأرمن، تقع على الجانب الغربي من نهر سيحان (سارس) تبعد عن المصيصة اثنا عشر ميلاً. أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٤٨ ٢٤٩ ؛ لسترنج: المرجع السابق ١٦٣.

(٣) وهو الملك ليون الرابع ابن الأمير طوروس الثاني، تنازل له ابن عمه هيثوم الثاني (٧٠١هـ/ ١٣٠١هـ) عن الحكم، وتميز عهده بالاضطرابات الداخلية. رنسيمان: المرجع السابق، ج٣، ص٢٧٩ ؛ المدور: المرجع السابق، ص٢٤٠.

(٤) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٣٣٧ ؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 637.

(5) Turan:Op. Cit. . S. 637.

(٦) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٣٣٧ ؛ Howorth: Op. Cit,III,P. 557.

وهذه التهمة ـ كما سبقت الإشارة إليها[1] ـ لا تزال تمتلك الخطورة نفسها التي كانت عليها منذ بداية الصراع بين الدولتين الإيلخانية والمملوكية.

وعلم بلارغو ـ من خلال أعوان له في عاصمة الدولة الإيلخانية ـ بما أقدم عليه تكفور الأرمن وما اتهمه به، فأضمر له الشر، ودعاه إلى وليمة أقامها له، ولبى تكفور الأرمن ومعه عدد من أعيان دولته[2] الدعوة فأمر القائد المغولي حراسه بقتلهم فانقضوا عليهم بالسيوف، وأردوهم جميعاً صرعى[3].

ونتيجة لما اعتبره الأرمن "مذبحة وغدراً"[4] بعلية القوم منهم، ثاروا ضد القائد المغولي وجنوده، واضطر بلارغو إلى الخروج من قيليقية، والإلتجاء إلى قريبه ايرنجين الذي استقبله في سيواس وتعهد بحمايته[5].

انتهز الأرمن فرصة خروج بلارغو من ديارهم، وذهب وفد منهم برئاسة الأمير أوشين[6] إلى السلطان أولجايتو، واشتكوا إليه من تصرفات بلارغو، فغضب السلطان لذلك، وأمر بالتحقيق معه، ثم أعدم سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م، وتوج أوشين ملكاً للأرمن في قيلقيه[7].

(١) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٢) نتيجة لهذه الحادثة، قتل حوالي أربعين مسؤولاً أرمنياً على رأسهم الملك ليون الرابع، والملك السابق هيثوم الثاني. بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٣٦٤، ٣٧٧ ؛ محمود عمران: المرجع السابق، ص٢٤١. Howorth:op. Cit. III,P. 557.

(٣) بيبرس: المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٣٧٧ ٣٧٨ ؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤٥٠-٤٥١ ؛ المقريزي: السلوك، ج٢ ق١، ص٣٨.

(٤) محمود عمران: المرجع السابق، ص٢٤١.

(5) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 637.

(٦) أوشين الأخ الرابع لهيثوم الثاني، تولى الحكم، تحت اسم أوشين الأول(٧٠٧ــ٧٢٠هـ/١٣٠٧ــ١٣٢٠م)، المدور: المرجع السابق، ص٢٤٥.

(٧) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص٣٧٨ ؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٣٩٤ ؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج١٠ " الدر الفاخر" ص١٣١ ؛.

TheArmeniachronicleOftheConstableSmpad(12081276)OrOfthe"RoyalHistoria"Englishtranslation By:SirviederNerssian,dumbartoOaksPapers. N13,1959,p. 644, Turan:Op. Cit. . S. 637-638

في خضم هذه الحوادث الجسام، قام ايرنجين بزيارة العاصمة الإيلخانية، وعاد منها إلى مقر عمله في شتاء سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٨م، حيث شتى في مدينة نكيسار، وشرع في جمع الضرائب من أهلها، بعد أن ضاعف مقدارها، وتعسف في جمعها، مما اضطر الأهالي إلى النزوح عنها[١].

وعندما تمادى ايرنجين في ظلمه، زاد تذمر الناس منه، ومع مرور الأيام زاد الاحتقان والغضب، حتى تفجرت ثورة عارمة ضد السلطة المغولية في كل الأناضول.

أ- حملة جوبان نوين على آسيا الصغرى ونهاية عهد ايرنجين:

كما سبقت الإشارة إليه، فنتيجة لسياسة ايرنجين التعسفية في المنطقة إضافة إلى إخفاق حملة أولجايتو ضد المماليك سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م[٢] تفجرت ثورة مسلحة، ضد الوجود المغولي في الأناضول[٣] ورغم محاولات الوزير - والمؤرخ المعروف - رشيد الدين الهمذاني[٤] إصلاح أوضاع الدولة الإيلخانية عموماً، والتي بدأها سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م، وكانت تقضي بتعيين حاكم أمين على كل ولاية، وكان مقرراً لها أن تنجز خلال ثلاثة أعوام[٥] لكن الإضطرابات بدأت في آسيا الصغرى، قبل انتهاء المدة المقررة لتلك الإصلاحات.

(١) اقسرائي: المصدر السابق، ص٣٠٩؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 638-639.

(٢) استغل أولجايتو حصول شقاق بين زعماء المماليك، وزحف بجيشه نحو الشام لكنه واجه مقاومة عنيدة في قلعة الرحبة، ثم عاد إلى عاصمته دون تحقيق أي نتيجة. انظر: أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤١٣؛ تاريخ وصاف، ص٥٥٦-٥٥٧.

(٣) اقسرائي: المصدر السابق، ص ٣١٨؛ تاريخ وصاف، ص٣٥١؛ القاشاني: تاريخ أولجايتو، ص٢٣٠.

(٤) تولي رشيد الدين الهمذاني الوزارة لثلاثة من سلاطين الدولة الإيلخانية هم: غازان، وأولجايتو وبوسعيد. انظر: مقدمة كتاب جامع التواريخ، ج٢، ق١.

(٥) الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٧٩.

كانت بداية الاضطرابات في المنطقة، تمرد تزعمه أحد أبناء الأمير المغولي قونقورتاي بن هولاكو، وسبقت الإشارة إلى الدور الذي أسهم به هذا الأمير في حوادث شهدتها المنطقة في عهد السلطان أحمد تكودار[1].

وعلى شاكلة الفتن التي أثارها كل من بالتو، وسولاميش في آسيا الصغرى مستغلين ما كان لأسلافهما من مكانة وتاريخ في المنطقة[2] سار ابن قونقورتاي على هذا النهج، وأعلن تمرده على السلطة المغولية الحاكمة في بلاد فارس، لكن يبدو أن إمكاناته كانت ضعيفه حيث لم يجد القائد المغولي "طرامطاز **Tarmataz**"[3] كبير عناء في اخماد ذلك التمرد، وقتل زعيمه وأبنائه الأربعة، في سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م[4] وليس معروفاً على وجه الدقة، ما إذا كان طرامطاز، يعمل تحت قيادة إيرنجين، أو أن السلطة المغولية الحاكمة في بلاد فارس، قد بعثته لقمع التمرد المشار إليه.

أما الثورة العامة، والواسعة النطاق، فقد كانت بأيدي التركمان، وتحت قيادة زعمائهم.حيث زحف القرمانيون على قونية - عاصمة سلاجقة الروم - واستولوا عليها سنة ٧١٤هـ/ ١٣١٤م مستغلين ابتعاد الوالي ايرنجين عنها، كما عمت الثورة بقية بلاد التركمان وأمسى الوالي المغولي، عاجزاً عن التعامل مع تلك الثورة وبلغت أخبارها إلى السلطان أولجايتو، فبادر باستدعاء ايرنجين إلى العاصمة، لعل هذا الإجراء الأولي يسهم في التخفيف من حدة الثورة وحماس القائمين عليها.كما طلب من القائد الكبير جوبان نوين، وضع حد لثورة التركمان في آسيا الصغرى، وأطلق يده في اتخاذ كل الإجراءات المناسبة[5].

---

(١) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٢) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٣) لم أعثر على ترجمة له فيما توفر لدي من مصادر.

(٤) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٢٠ ؛ حسن الأمين: المرجع السابق، ص٣٦٢.

(٥) اقسرائي: المصدر السابق، ص٣١٢ ؛ القاشاني: تاريخ أولجايتو، ص٢٥٨ ؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 639.

انطلق جوبان على رأس جيش كبير من بلاد فارس قاصداً آسيا الصغرى سنة ٧١٤هـ/١٣١٤م ونزل على ملطية، وكان السلطان المغولي قد اقطعه إياها[١]، فبدأ بإصلاح أحوالها كجزء من المهمة التي جاء من أجلها والتي توصف بأنها مهمة إصلاح عام[٢].

عين جوبان الأمير جمال الدين خضر[٣] الملقب "مرامير"[٤] والياً على ملطية وأسند مهمة الإشراف على الشئون المالية "الإستيفاء" لرجل كردي يدعى "مندوه **Mandowah**"[٥].

بعد ذلك، سار جوبان بجيشه متوغلاً في الأناضول، حتى وصل إلى منطقة كاران بوق **Karan-buk**[٦] حيث اتخذها معسكراً له، ومن هناك، بعث إلى جميع زعماء التركمان يعدهم ويتوعدهم، فوفد عليه كثير من

---

(١) النويري: نهاية الأرب، ج٣٢، ص٢٢٠.

(٢) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص١٣٥.

(٣) جمال الدين خضر، من بيت أنجب بعض الأمراء الذين خدموا في دولة سلاجقة الروم، وكان أبوه وجده حكاماً على ملطية في زمن سابق، أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤١٩؛ .Turan:Op. Cit. S. 639.

(٤) ومعنى" ميرامير": الأمير الكبير. أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤١٩ ؛ المقريزي: السلوك ج٢، ق١، ص١٧٥ ١٧٦. وربما هو نفسه لقب "ميرميران" وتعني ملك الأمراء. انظر ما سبق، ص من هذا البحث.

(٥) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤١٩ ؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج١٤، ص٧٥، ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٥، ص١٥٧. وورد الاسم بصيغ متعددة، منها: ماندو، ومندو. ووصفه أبو الفداء بأنه "الشيخ صاحب حصن أركين" المختصر ج٢، ص٤٩.

(٦) لم اهتد لمعرفة مكانها فيما اطلعت عليه من مصادر.

زعمائهم[1] وجاء معهم أيضاً تكفور الأرمن[2]، والجميع يظهرون خضوعهم له ويعلنون استمرارهم على ولائهم للدولة المغولية الإيلخانية[3].

لكن طائفة من التركمان الأكثر قوة والذين سيطروا على قونية، وهم أبناء قرمان، لم يهتموا - على ما يبدو - بدعوة الزعيم المغولي، ولم يبعثوا ولا حتى مندوباً عنهم لحضور "هذه التظاهرة السياسية الضخمة"[4].

لم يترك القرمانيون - بتصرفهم هذا- لجوبان نوين مناصاً من تنفيذ تهديده باستخدام القوة ضد القرمانيين فسار بجيشه إلى قونية، والتي اتخذ فيها القرمانيون موقفاً غريباً، فأغلقوا أبوابها، دون إظهار أي استعداد آخر للقتال أو الحصار، كما أنه لم تبدر منهم أي إشارة للإستسلام ! ويبدو أنهم أدركوا متأخرين أن ليس باستطاعتهم مواجهة القائد المغولي.خاصة بعد تناقص المواد الغذائية، والمحاصيل الزراعية داخل المدينة، نتيجة لانتشار الجراد وفتكه بالمحاصيل الزراعية ولم يجدوا وسيلة إلا طلب فسحة من الوقت من جوبان نوين، ليجهزوا وفداً لمقابلته يحمل له الهدايا، ويظهر له الولاء.فاعطاهم القائد المغولي مهلة تنتهي ليلة النصف من رمضان، سنة ٧١٤هـ/ديسمبر١٣١٤م.وقبل نهاية المهلة بساعات وفي عتمة الليل، امتطى القرمانيون جيادهم، وفتحوا أبواب المدينة، وخرجوا منها على حمية، ميممين وجوههم شطر معاقلهم في لارندة وطاردهم لبعض الوقت فرسان من المغول.أما القائد العام جوبان وبقية جيشه فدخلوا المدينة، وعلى الفور تم تعيين موظفين

---

(١) منهم زعماء: أشرف أغلو، وحميد أغلو، وكرميان، وأحفاد الوزير السلجوقي صاحب عطا. ولمزيد من التفاصيل انظر مبحث نشأة الإمارات التركمانية.

(٢) وتكفور الأرمن كما سبقت الإشارة إليه أوشين الأول، وذكر ابن أيبك، أن جوبان كتب إلى الأمير المملوكي قراسنقر عند ما كان والياً على بلاد الشام، يعرض عليه أن يقوم هو بغزو قيليقية واحتلالها، وانهاء حكم الأرمن فيها. على أن يضمن له قراسنقر الحصول على مرسوم من السلطان الناصر يخوله حكمها، ورغم موافقة قراسنقر على ذلك إلاّ أن جوبان تراجع عن عرضه. كنز الدرر ج٩، ص٢٧٠-٢٧١.

(٣) القاشاني: تاريخ أولجايتو، ص٢٨٨-٢٩٠ ؛ تاريخ وصاف، ص٣٥١ ؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 639.

(4) Turan:Op. Cit. . S. 639.

لإدارتها، وحرص جوبان على إعادة الأمن النظام إليها وبعث في الوقت نفسه رسولاً إلى السلطان أولجايتو يبشره بالنصر الذي تحقق(١).

ويبدو أن جوبان نوين لم يعين حاكماً جديداً على بلاد الروم.إذ لا يزال ايرنجين - وإن كان خارج المنطقة - هو الوالي على تلك البلاد ولم تطل إقامة جوبان في قونية إذ بلغته أنباء غزو القوات المملوكية ملطية ونواحيها، وهي - كما أسلفنا- من إقطاعاته، فتحرك بجيشه لصد الغزاة وكان سبب تلك الغزوة، أن السلطان الناصر بن قلاوون لاطف الوالي "ميرامير" وفاوضه على تسليمه المدينة نصرة للإسلام والمسلمين، وكان الوالي المذكور مسلماً متديناً(٢).فمال إلى ذلك، خاصة وأن الكردي المسؤول عن الإستيفاء "مندوه" اشتط في جمع الضرائب، وأساء معاملة الناس وكان عيناً للمغول، يطلعهم على عورات المسلمين ويضايق من يأتي من بلاد الشام إلى ملطية، وفيهم تجار، ورسل من قبل السلطان المملوكي نفسه، وأثارت تلك التصرفات غضب السلطان، وأخذ يتربص به(٣) إضافة إلى أن النصارى في المدينة، تطاولوا على المسلمين، وفضلوا المغول المحتلين عليهم(٤)لذلك سعى السلطان المملوكي إلى الإتفاق مع الوالي ميرامير على تسليمه المدينة(٥).

ولما حصل السلطان الناصر بن قلاوون على موافقة الوالي، جهز جيشاً وجعل قيادته إلى الأمير" تنك زTENKZ"(٦)، نائب السلطة بالشام.عبر تنكز

---

(١) القاشاني: تاريخ أولجايتو، ص٢٩٠ ؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 639.
(٢) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٥، ص١٥٧-١٥٨.
(٣) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤١٨ ٤١٩ ؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ق١ ص١٨٤.
(٤) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤١٩ ؛ Eflaki:op. Cit. s. 925-926.
(٥) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤١٨-٤١٩؛ ابن حجر الدرر الكامنة، ج٥، ص١٥٧-١٥٨.
(٦) الأمير سيف الدين تنكز الناصري التركي، عينه السلطان الناصر نائباً للشام سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، وطالت بها أيامه، وعلت مكانته، فكان السلطان لا يمضي شيئاً دون رأيه، وأحبته الرعية في بلاد الشام، ثم بلغ السلطان عنه أنه ينوي الفرار إلى المغول، فعزله وقبض عليه ويقال أمر بقتله فقتل سنة ٧٤١هـ/١٣٤١م، الذهبي: ذيل تاريخ الإسلام، ص٤٧٧-٤٨١؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٥٥-٥٦.

بالجيش حدود الشام الشمالية.مظهراً أن مملكة أرمينية الصغرى، هي المقصودة بالغزوة.ولم يفصح عن قصده الحقيقي إلاّ عند اقترابه من ملطية، حيث هاجمها وفرض عليها الحصار، في محرم سنة ٧١٥هـ/ ابريل١٣١٥م وبعد مفاوضات استمرت ثلاثة أيام، مع الوالي "ميرامير" وأعيان المدينة من المسلمين، وافق الوالي على تسليم المدينة، وخرج ومعه القاضي والأعيان، فاجتمعوا بالأمير تنكز، الذي ألبسهم الخلع المرسلة لهم من السلطان الناصر، ونودي بعدم دخول العساكر إلى المدينة، وبالأمان لأهلها[١] وقيل إنه كان مقتصراً على المسلمين فيها دون النصارى أو المغول[٢].

ولكن، وفجأة " هجم الطماعة والعسكر"[٣] على البلد ودخلوه من كل جهة، وحاول القائد منع الجيش من ذلك لكن الأمر خرج عن السيطرة، واندفع الجنود إلى المدينة وأخذوا يقتلون، ويسلبون، ويأسرون، ويحرقون أيضاً، ووقع جميع أهل المدينة في الأسر، وليمنع حصول المزيد من تلك الفوضى، نادى القائد تنكز بالرحيل في اليوم التالي مباشرة لدخول الجنود المدينة[٤].

رحل القائد تنكز بجيشه عن ملطية، وترك أحد الأمراء للإشراف على هدم الأسوار[٥].وكان مع الجيش الكثير من الأسرى، فقاموا بعزل المسلمين عن النصارى، وأطلقوا سراح المسلمين جميعاً واحتفظوا بالآخرين، وكان من بينهم، المستوفي "مندوه"، وشحنة البلد، وهو أمير من المغول يدعى "كوربوغا Korbuga" وبعض نصارى الأرمن[٦].

(١) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤١٩. وهو شاهد عيان حيث اشترك في هذه الحملة.
(٢) الذهبي: دول الإسلام، ج٢، ص٢٤٨.
(٣) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤١٩.
(٤) أبو الفداء: المصدر نفسه، ج٢، ص٤١٩.
(٥) ويقال له "ابن كريفا" انظر: أبو الفداء: المختصر ج٢، ص٤١٩.
(٦) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤٢٠- ٤٢١، وانظر: القسراني:المصدر السابق، ص٣٢٢.

وفي الطريق استطاع المستوفي الكردي "مندوه" أن يهرب من حراسه[1] لكنه جاء بعد ذلك إلى دمشق وطلب العفو، فعفا عنه السلطان الناصر، وجعله أميراً من أمرائها[2].

وجاء في ركاب الجيش المملوكي والي ملطية ميرامير، والأعيان الذين سلموا البلد، وعاش "ميرامير" بعد ذلك في مصر، ثم أتهم بمكاتبة جوبان نوين وأدخل السجن، سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م، فيما استطاع ابنه الذي كان معه، التسلل خارج مصر، والذهاب إلى بلاد فارس، حيث التقى جوبان، وأخبره بما حصل لوالده في مصر، فكتب جوبان إلى السلطان الناصر بن قلاوون، يشفع في "ميرامير"، فأطلق سراحه سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م[3].

رحلت العساكر المملوكية عن ملطية، بعد أن أقاموا عليها يوماً وليلة[4]، وليلة[4]، وكانوا على علم بوجود جوبان وجيشه في قونية، وكانوا أيضاً - حسب حسب رواية شاهد عيان - مستعدين للقائه، لكنه لم يصل إلى ملطية إلا بعد رحيلهم عنها.[5]

وصل جوبان إلى ملطية، فوجد أكثرها خراباً، فشرع في إعادة ترميمها، وتأمين أهلها(مسلمين ونصارى)، ومنع بعضهم من التعدي على بعض.وترك بها حامية من ألفي جندي للدفاع عنها[6].

ويبدو أنه رداً على هذه الغارة التي وصل أثرها أيضاً إلى مملكة أرمينية الصغرى[1] قام جنود المغول بمهاجمة أطراف حلب، سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م،

---

(١) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤٢٠ ؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٩، ص٢٨٤-٢٨٥ ؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج٢، ص٦٥-٦٦.
(٢) المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص١٧٦.
(٣) المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص١٨٤.
(٤) المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص١٨٤.
(٥) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤٢٠-٤٢١ ؛ وانظر: ابن كثير: المصدر السابق، ج١٤، ص٧٥.
(٦) النويري: نهاية الأرب، ج٣٢، ص٢٢٠.

لكنهم واجهوا مقاومة شديدة، فارتدوا على أعقابهم خاسرين وتلى ذلك، قدوم وفد مغولي إلى القاهرة، للتفاوض حول المصادمات عبر الحدود، خاصة حول ملطية[٢].

وتزامن الصراع المسلح على الأرض في آسيا الصغرى مع صراع من نوع آخر، كان يدور في عاصمة الدولة الإيلخانية إذ حصل خلاف بين وزيري السلطان أولجايتو، وهما: رشيد الدين الهمذاني المؤرخ المشهور، وعلي شاه[٣]. ومن أجل فض النزاع بينهما، وافق السلطان المغولي على الاقتراح المقدم إليه، بتقسيم ولايات الدولة الإيلخانية إلى قسمين، يشرف كل وزير على قسم، وكانت ولاية الأناضول من نصيب علي شاه، وبدأ العمل بهذا القرار سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م[٤].

ومهما يكن من أمر، فإن جوبان، بعد أن أدى مهمته بنجاح في آسيا الصغرى، عاد إلى عاصمة الدولة الإيلخانية، أوائل سنة ٧١٥هـ/ ربيع ١٣١٥م[٥].

ولم يمر كبير وقت حتى توفي السلطان أولجايتو، وخلفه ابنه "بوسعيد"[٦] سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م[١].

---

(١) أثناء انسحاب الجيش المملوكي، بعث قائده إلى تكفور الأرمن "أوشين الأول" يأمره بالتنازل عن بعض القلاع، ويخبره بزيادة الجزية المفروضة عليه إلى مئة ألف ألف درهم. أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤٢٠.

(٢) النويري: نهاية الأرب، ج٣٢، ص٢٤٣ ؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص١٦٢ ١٦٣.

(٣) علي شاه بن أبي بكر التوريزي، وزير السلطان أولجايتو، بدأ حياته سمساراً، فتقلبت به الأقدار، حتى أصبح وزيراً في عهد أولجايتو، وعظم شأنه في عهد ابنه وخليفته "بوسعيد" ومتهم بأنه السبب في هلاك نظيره الوزير رشيد الدين الهمذاني، توفي علي شاه سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م وهو في عشر الستين وهو من الوزراء المغول القلائل-إن لم يكن الوحيد-الذي مات حتف أنفه وهو على رأس عمله. الذهبي: ذيل تاريخ الإسلام، ص٢٧٣ ؛ مقدمة جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٥٩.

(٤) حافظ آبرو: ذيل جامع تواريخ رشيدي، جاب دوم، ص١١٨ ؛ مقدمة جامع التواريخ، ج٢ ق١، ص ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٩٤.

(5) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkıye. S. 639.

(٦) السلطان "بوسعيد" ومن الناس من يسميه أبو سعيد وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه "بوسعيد" لا يعمل فيه الإعراب لأنه اسم وليس كنية، وهكذا ورد اسمه على رسائله التي بعث بها إلى السلطان الناصر المملوكي. انظر: العمري: مسالك الأبصار السفر٣، ص١١٠ ١١١ ؛ الصفدي: المصدر

وكان "بوسعيد" قاصراً، فتولى جوبان الوصاية عليه، واستبد بالأمر دونه حتى غدا بو سعيد معه (اسم بلا معنى)[٢].

ومن أولى التغييرات التي حدثت في عهد بو سعيد - والتي بلا شك كان لجوبان نوين يد فيها - عزل ايرنجين عن ولاية الأناضول "أو بلاد الروم" ونقله للعمل في منطقة ديار بكر، تحت إدارة واليها القوي سوتاي[٣]وذكرت بعض المصادر العربية، أنه نقل من بلاد الروم إلى العراق، وتولى الإشراف عليها[٤] ويبدو أن حركة النقل هذه أوغرت صدر ايرنجين على جوبان وأسرته وجعلته يعمل ضدهم فيما بعد[٥].

الفترة الثانية عهد تمور تاش بن جوبان

(٧١٧ـ ٧٢٨هـ/ ١٣١٧ ـ ١٣٢٨م)

بعد أن أصبح جوبان نوين، صاحب الحل والعقد في دولة "بوسعيد" اكتشف أن لأبيه[٦]، تركةً كبيرة خلّفها بعد موته، ولم يحصل ابنه وورثه جوبان على شيء منها، فأخذ الآن يطالب بها، فمازال السلطان بو سعيد يعطيه

السابق، ج١٠، ص٣٢٢، ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص٥٠١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩، ص٣٠٩ ؛ المنهل الصافي، ج٣، ص٤٤٢ ؛ القلقشندي صبح الأعشى، ج٧، ص٢٥٣.

(١) اختلفت المصادر في تحديد اليوم والشهر الذي توفي فيه، والأرجح انه في أواخر رمضان، القاشاني: تاريخ أولجايتو، ص٢٢٢ ؛ أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص٣١٨. وانظر مناقشة بقية الأراء حول هذه المسألة، في: الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٩٨، حاشية(٢).

(٢) العمري: مسالك الأبصار، السفر ٣، ص١٠٨ ؛ حافظ آبرو: ذيل جامع تواريخ رشيدي، جاب دوم، ص١٦٠ ؛ التاريخ الغياثي، ص٥٦ ؛ قزويني: تاريخ كزيدة، ص٦١١.

(٣) اقسرائي: المصدر السابق، ص ١٥٥ ؛ عباس إقبال: المرجع السابق، ص٣٣٠.
Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye642 ,Cahen:Pre Of Ottoman Turkey p. 301.
وذكر أحد الباحثين أنه عُين حاكماً على ديار بكر سنة ٧١٩هـ ١٣١٩م. فحكمها مدة طويلة من ضمنها السنوات التي عاشها ايرنجين بعد عزله عن بلاد الروم.

(٤) الذهبي: ذيل تاريخ الإسلام، ص٢٠٤ ؛ العبر، ج٤، ص٥٢.

(٥) انظر ما يلي ص من هذا البحث.

(٦) وذكرت بعض المصادر، أن اسمه: تُلك بن تداون. النويري: نهاية الأرب، ج٣١، ص٨٤ ؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٩٢.

من المال حتى رضي (قيل انه أعطاه عشرين ألف درهم) وزاد في إقطاعه، بأن أقطعه بلاد الروم كلها[1].

من هنا ؛ أصبحت علاقة جوبان ببلاد الروم وطيدة، وعلى إثر عزل إيرنجين، اختار والياً لها، ابنه تمور تاش[2] فوليها سنة ٧١٧هـ ١٣١٧م[3].

جاء تمور تاش إلى المنطقة ومعه بعض المساعدين إذ أن الوزير السابق شمس الدين اللاكوشي شمله العزل أيضاً لأنه من أتباع ايرنجين، ولم يلبث أن توفي بعد عزله[4].

أما المساعدون الذي قدموا مع تمور تاش، فعلى رأسهم خواجه جلال الدين[5] بن الوزير والمؤرخ رشيد الدين الهمذاني، وهو مسئول عن الشئون المالية(الإستيفاء) والإدارة المدنية[6]ومنهم أيضاً: سنان الدين عزيز[7]، وأُنيطت به الوزارة لكنه لم يلبث أن توفي، فضُمت وظيفته إلى خواجه جلال الدين[8]

---

(١) خواندمير: حبيب السير، ج٣، ص١١٨ ؛ عباس إقبال المرجع السابق، ص٣٣١ ؛ حسن الأمين: المرجع السابق، ص٣٧٧-٣٧٨.

(٢) ذكر كوبرلي أنّ تمور تاش (دمرداش) ابن للسلطان بو سعيد. وهو سقط قلم منه. ونبّه الصياد إلى ذلك انظر: قيام الدولة العثمانية، ص ؛ الشرق الإسلامي، ص٤٦٣.

(3) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye,s. 643.

(٤) وذكرت تواريخ أخرى لكنها مستبعدة، منها: سنة ٧١٣هـ/ ١٣١٣م أو ٧٢٣هـ/١٣٢٣م ابن حجر الدرر الكامنة، ج٢، ص١٩٢-١٩٣ ؛ تاريخ ابن خلدون، ج٥، ق٥، ص١١٨٥

(٥) جلال الدين هو أحد أبناء رشيد الدين الهمذاني الثلاثة عشر، ويبدو أنه كان الابن الأكبر. وذكر المستشرق Quatremere" في مقدمته الجامعة لكتاب جامع التواريخ ج٢، ق١، ص٧٠. في حديثه عن أبناء رشيد الدين بأن مصير جلال الدين بعد عزله من وظيفته في آسيا الصغرى بقي مجهولاً. وانظر: الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤١٢.

(٦) اقسرائي: المصدر السابق، ص٣١٣ ؛ تاريخ وصاف، ص٦٢٠ ؛ مقدمة جامع التواريخ، ج٢ ق١، ص٧٠-٧١.

(٧) وهو من بقايا أمراء دولة سلاجقة الروم، عرف عنه الصدق والنزاهة وحسن الخلق والإحاطة بشئون المنطقة. Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 643 - 644.

(٨) مقدمة جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص ٧٠-٧١؛ Turan :Op. Cit. . S. 642 - 643.

فأضحى يجمع بين وظيفتين سلجوقيتين قديمتين.هما : الشئون المالية (الاستيفاء) والوزارة[١].

لكن خواجه جلال الدين ـ أسوة ببقية إخوته ـ جُرّد من مناصبه وعوقب وصودرت ممتلكاته، بعد مقتل والده رشيد الدين الهمذاني في منتصف سنة ٧١٨هـ/١٣١٩م[٢] و ما من شك أن اختفاء شخصية مثل رشيد الدين الهمذاني، جاء في مصلحة جوبان، والذي لا تزيد الأيام نفوذه إلا قوة وتمكناً[٣].

ومهما يكن من أمر فإن تمورتاش استفاد كثيراً من سلطة والده، فحكم بلاد الروم .وهي أيضاً إقطاع لوالده كما أشرنا ـ حكماً مطلقاً، أشبه بالاستقلال منه بالولاية[٤]،ونعت في بعض الأحيان بأنه "نائب الملك"[٥].

وسبقت الإشارة إلى تتبع تمورتاش لبقايا الأسرة السلجوقية الحاكمة في بلاد الروم.وإجهازه على من ظفر به من رجالهم[٦] بل إنه تخلى عن عاصمتهم قونية، وكان يتنقل بين قيصرية ـ في فصل الصيف ـ وسقاريا**Sakarya**[٧] في فصل الشتاء[٨] وكأنه لا يريد شيئاً يذكره بدولة سلاجقة الروم المنقرضة.

أما والده جوبان نوين، فمع تزايد سلطته وسيطرته، تزايد أيضاً حساده والحاقدون عليه.وحاكوا المؤامرات ضده، منها ثورة كادت أن تطيح به وتزعمها والي بلاد الروم السابق ايرنجين وانضم إليه"باران باي **Baran-bay** وهو ابن سوتاي حاكم ديار بكر، كما انضم إليه أيضاً، كلاً من:"ايجيل **IJeL**"

---

(١) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٢٤.

(٢) عن مقتل رشيد الدين، والظروف التي واكبته، وتاريخ وقوعه وكذلك تجريد جميع أبنائه من مناصبهم؛ انظر: مقدمة جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٧٠- ٧٥.

(٣) شبولر : العالم الإسلامي، ص٧٨.

(٤) النويري: نهاية الأرب، ج٣٣، ص٢٥٣.

(5) Cambridge. History Of Iran. p. 40.

(٦) انظر ما سبق ص من هذا البحث

(٧) منطقة في نواحي عمورية، وسبق ذكر نهر سقاريا(أو سقارية) انظر ص من هذا البحث.

(٨) ابن كثير: المصدر السابق، ج١٤، ص١٠٣ ؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 646

وهو من أحفاد القائد الكبير سماغر، "وبوقا Buga" وتشير الروايات إلى أن تلك الثورة كانت بمباركة السلطان بوسعيد نفسه، والذي شعر بالقيود التي يفرضها عليه جوبان، فاشتكى إلى قريبه ايرنجين من ذلك.وكان هذا الأخير- كما أشرنا - ناقماً على جوبان وأهله، فاتفق الإثنان على التخلص من جوبان وتكفل ايرنجين بجمع الأنصار، والقيام بالثورة، وعدم ابراز أي دور للسلطان فيها.وانضم إليه - اضافة إلى من سبقت الإشارة إليهم من الأمراء - القادة: "قرمشي Gormashe" ، و"دقماق Dugkmag" ، ووضعوا خطة محكمة، من بنودها إصدار مرسوم مزور على لسان السلطان بوسعيد، يأمر فيه ايرنجين وقورمشي وأنصارهما بقتل جوبان وأعوانه، وعلى كل الأمراء والجنود مساعدتهم في تنفيذ ذلك، وأُرسلت نسخ منه إلى جميع أنحاء الدولة الإيلخانية، ووصلت نسخة منه إلى آسيا الصغرى فاجتمع الأمراء المعنيون هناك وتشاوروا في كيفية تنفيذ أمر السلطان، والقضاء على تمورتاش بن جوبان.لكن الوزير الخواجه جلال الدين الهمذاني، استطاع اخماد المؤامرة في مهدها.فحمد له تمورتاش هذا الصنيع وعدّها منة منه عليه[1] ولابد أن هذا تم قبل عزل جلال الدين من منصبه.

أما في بلاد فارس نفسها حيث يقيم أقطاب المؤامرة، وأيضاً المستهدف الرئيسي بها، وهو جوبان، فقد خطط المتآمرون على استدراج جوبان إلى وليمة أقامها له قورمشي وكلفوا رجالاً منهم بالترصد له عند دخوله للمجلس، واغتياله وأحد هؤلاء يدعى "زنبوري Zanburi" وقبل جوبان الدعوة، لكنه أحس بما يحاك ضده، وظن أن السلطان والوزير "علي شاه" وحاشيتهما كلهم في صف المتآمرين عليه، فانهزم ليلاً من معسكره، ولما تأخر عن موعد حضوره ذهب قورمشي بنفسه ليحضره، فلم يجده ووجد أنصاره وتقاتل معهم، أما جوبان، فتسلل إلى قصر السلطان بو سعيد ودخل عليه، واعتذر منه،

(١) ميرخوند: روضة الصفا، جلد بنجم، ص٤٩٣ ؛وانظر:ابن حجر:الدرر الكامنة، ج١، ص٤٦٠؛الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤٤٠: مقدمة كتاب جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٦٩-٧٠؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 646 – 647.

وكان عنده الوزير "علي شاه" فشفع له، وأقنع السلطان، أن المصلحة تقتضي مساندة جوبان والوقوف معه ضد خصومه، واستطاع جوبان أن يجمع حوله الأنصار من جديد خاصة وأن السلطان والوزير وقفا إلى جانبه، كما بعث إلى ابنه تمور تاش يستمده ولم يتأخر هذا في القدوم بنفسه، على رأس جيش وفي المقابل جاء الثوار بجيش للقضاء على جوبان ومن معه، والتقى الطرفان وجها لوجه في "زنكان[1] Zankan" في جمادى الأولى سنة ٧١٩هـ/ ١٣١٩م، وعندما تراء الجمعان، انفض كثير من أنصار ايرنجين عنه، لأنهم رأوا السلطان بوسعيد - الذي يدعى ايرنجين ومن معه أنهم يحاربون باسمه - يقف في مقدمة صف جوبان وأُعتقل قادة التمرد، وعند التحقيق معهم، احتجوا بأن حركتهم هي بإيحاء من السلطان بوسعيد، وعندما أنكر هو ذلك صرحوا بأن كتبه وعليها تواقيعه محفوظة عندهم لكن جوبان المنتصر لم يشأ أن يفضح السلطان، وتجاهل ادعاءات أولئك القادة وأمر بإعدامهم جميعاً[2] أما " زنبوري" فقد أرسل إلى تمورتاش في آسيا الصغرى فكان آخر العهد به، وما من شك أن الوالي المغولي قد أورده المهالك[3] ونتيجة لذلك الانتصار زادت قوة جوبان وسيطرته[4] كما أن السلطان بوسعيد أصبح يلقب بـ"بهادر" وأُضيف هذا اللقب إلى الفرامين والمراسيم التي يصدرها[5].

وأثناء غياب تمورتاش عن ولايته في بلاد الروم، ومشاركته في محاربة الثائرين على أبيه، اهتبل التركمان الفرصة وأعلنوا الثورة ضد الدولة الإيلخانية، واستطاع بنو قرمان الاستيلاء على قونية سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م لكن

---

(١) زنكان (زنجان) كثيراً ما تأتي مقترنة بمدينة اسمها أبهر. تقعان على الطريق غربي قزوين بينهما وبينه مسافة اثنا عشر؛ وخمسة عشر فرسخاً أبو الفداء: تقويم البلدان، ص٤١٨-١٤٩

(٢) النويري: نهاية الأرب، ج٣٢، ص٢٩٧-٢٩٩؛ الذهبي: ذيل تاريخ الاسلام، ص٢٠٢، العبر، ج٤، ص٥١-٥٢؛ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص٤٦٠ عباس إقبال: تاريخ المغول ص٣٣٠.

(٣) حافظ آبرو: ذيل جامع تواريخ رشيدي، جاب دوم، ص١٢٩ ؛ مقدمة كتاب جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٥٧ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤٢٥.

(٤) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٣٠ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤٤٠.

(٥) التاريخ الغياثي، ص٥٦-٥٧ ؛ عباس إقبال: المرجع السابق، ص٣٣٠.

تمورتاش عاد إلى المنطقة وصمم على معاقبة كافة طوائف التركمان فبدأ بالقرمانيين، وأخرجهم من قونية، وتعقبهم حتى أوصلهم إلى معاقلهم الجبلية، ولم يتوقف عن قتالهم إلا بعد أن بعثوا إ لى أبيه جوبان ليكف بأسه عنهم، فأمره بعدم مواصلة الحرب ضدهم[١] ثم عاد تمورتاش لمحاربة باقي طوائف الأرمن الذين أثاروا القلاقل في غيابه فأجلى بعضهم وأجبر الآخرين على طلب الصلح والاعتراف بالتبعية للدولة الإيلخانية[٢].

ولم تقتصر تحركات تمورتاش العسكرية ضد التركمان في آسيا الصغرى، بل شملت أيضاً مملكة أرمينية الصغرى، فغزا أراضيهم سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م بعد الإتفاق مع السلطان المملوكي الناصر بن قلاوون، فخرج بجيشه يوم عيد الفطر، واخترق بلاد الأرمن (قيليقية) من جبالها في الشمال، حتى سواحلها البحرية في الجنوب، ودخل عاصمتها "سيس"، وافتتح عدة قلاع[٣] وسبى، وغنم أموالاً طائلة واستغرقت غزوته تلك شهراً كاملاً[٤].

وكان الجيش المملوكي قد عبر الحدود من جهته، وتوغل في مملكة أرمينية الصغرى، وافتتح عدة حصون[٥] بالتزامن مع غزوة تمورتاش، وذلك بعد الإتفاق بينه وبين السلطان المملوكي الناصر بن قلاوون حيث تبادلا الرسائل بخصوص هذا الغزو[٦].

والملفت للنظر أن منطقة آسيا الصغرى التي كانت نقطة تصادم بين الدولتين الإيلخانية والمملوكية، أصبحت في عهد تمورتاش نقطة التقاء واتفاق،

---

(١) العمري: مسالك الأبصار، السفر ٣، ص١٦٥، ١٨٢ ؛ ابن أيبك كنز الدرر، ج٨، ص٣٤٧.

(٢) العمري، مسالك الأبصار، السفر٣ ص١٨٢ ؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص٣٤٧ -٣٤٨.

(٣) منها قلعة "شوكراوفا Gukuruva". Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 646.

(٤) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص ٤٣٨ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤٨٣: Turan :Op. Cit. S. 646-647.

(٥) منها حصن مدينة إياس، النويري: نهاية الأرب، ج٣٣، ص٣٨.

(٦) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤٣٨ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣٣، ص٣٨ ؛ حصة المبارك: الناصر محمد بن قلاوون والحياة الاقتصادية في عهده، رسالة غير منشورة كلية الشريعة جامعة أم القرى: ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م. ص٢٧.

فتطورت العلاقات بين الدولتين حتى تُوجت بصلح واتفاق مشهور، حمل توقيع كل من السلطان بوسعيد، والسلطان الناصر بن قلاوون[1] والذي يقال إن الأمير جوبان نوين ساهم بجهد كبير في تحقيقه[2].

ومن شروط الاتفاق المذكور، عدم المطالبة باعادة الفارين من أحد الطرفين إلى الطرف الآخر، أو تسليمه إلاّ برضاه؛ وورد اسم الأمير المملوكي "قراسنقر" صراحة في أحد البنود، وألاّ يطالب به السلطان الناصر[3] وكان قراسنقر المذكور قد فر من بلاد الشام، والتجأ إلى المغول الذين أكرموا مثواه[4].

ورغم التنسيق بين تمورتاش والسلطان الناصر ابن قلاوون وكثرة تردد الرسل بينهما[5] إلا العلاقة بينهما لم تكن دائماً على ما يرام، بل وصلت أحياناً أحياناً إلى التوتر الشديد، فمن ذلك، خلاف نشب بينهما، جعل تمورتاش يفرض حظراً، على رعايا الدولة المملوكية، شمل التجار، والرسل الرسميين وغيرهم ومنعهم من عبور أراضي آسيا الصغرى، أو استخدام موانئها، او المتاجرة في أسواقها وأضر هذا الإجراء كثيراً بتجارة المماليك، خاصة جلب الرقيق (المماليك) من بلاد الترك وغيرهم ولأن تمورتاش، يخشى على نفسه من

(١) واُختلف في تاريخه: وهو محصور بين سنتي ٧٢١ـ٧٢٣هـ/١٣٢١ـ١٣٢٣م، أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤٣٩ ؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٠٩ حسن الأمين: المرجع السابق، ص٣٩٢.

(٢) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٧٨.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٩٧ ؛ ابن خلدون: العبر، ج٥، ق٥، ص١١٦٥ ؛ حسن الأمين: المرجع السابق، ص٣٩٢.

(٤) قراسنقر، من كبار الأمراء في عهد الناصر بن قلاوون، لكنه اختلف معه فالتجأ ومعه بعض الأمراء إلى سلطان الإيلخانيين أولجايتو، سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، فأكرمهم، وعين لهم اقطاعات. وحاول السلطان الناصر استعادته، أو قتله، لكنه لم ينجح. أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤٠٦ـ٤١٠؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص ١٥٢.

(٥) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤٣٨ ؛ ابن أيبك: كنز الدرر ج٨، ص٣٤٦ ؛ حسن الأمين: المرجع السابق، ص٣٨٤.

الاغتيال، على يد ما عرف "بالفداوية"[1] والذين كان الناصر بن قلاوون يستخدمهم ضد أعدائه[2] قام ببث الحراس، والعيون على المنافذ والطرقات التي تربط بين آسيا الصغرى وبلاد الشام، وكانوا يفتشون بدقة كل عابر للحدود وحاول السلطان الناصر استمالة تمورتاش.فبعث إليه رسائل ودية وهدايا، لكن سياسته تلك لم تجعل الوالي المغولي يغير خطط تجاهه، وعندما أعيت الحيلة السلطان المملوكي، بعث إلى الأمير جوبان يشكو إليه من تصرفات ابنه تمورتاش.فكتب إلى ابنه يأمره بالتلطف مع السلطان المملوكي، وتخفيف الرقابة على الحدود، فاستجاب تمورتاش لأوامر أبيه، وأمر في سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م بتخفيف المضايقات على الحدود خاصة التجار، دون أن يزيل كليّةً الإجراءات التي اتخذها وتضايق منها السلطان المملوكي[3].

وإذا أردنا التعرف على السياسة الداخلية التي انتهجها تمورتاش مع رعاياه فنجد أنه اتخذ ما يمكن أن يطلق عليه "سياسة إسلامية صارمة" فأعاد فرض الجزية والخراج واهتم بمتابعتها، وعامل أهل الذمة حسب مقتضى الشرع المطهر، واعتمد على الشدة، والضرب بيد من حديد على مثيري الفتن والخارجين على النظام، مع توخي العدل والإنصاف فشعرت الرعية بشيء من الأمن والهدوء والاستقرار والعدالة وتنفسوا الصعداء، بعد سنين طويلة من الظلم والقهر على أيدي موظفي السلطة المغولية[4].

وبعد سيطرة تمورتاش المطلقة على آسيا الصغرى، سولت له نفسه الاستقلال عن الدولة المغولية الإيلخانية، مستغلاً تنامي قوته، إذ كان تحت

(١) الفداوية من الأسماء التي كانت تطلق على طائفة الباطنية "الحشاشين" لكن المقصود هنا مجموعة من الجنود كان السلطان الناصر يرسلهم للفتك بمن أراد قتله. الخطيب: المرجع السابق، ص٧٨.

(٢) انظر على سبيل المثال المقريزي: السلوك، ج٢، ق١ ص ١٥٩.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٦٣-٢٦٤، ٢٩٣ صبحي عبد المنعم: المرجع السابق، ص٦٥.

(٤) اقسرائي: المصدر السابق، ص٣٢٧ ؛ كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص٦٦، ١٣٨ ؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 646-647.

قيادته جموع غفيرة من المغول و التركمان[1] كما كان محبوباً من رعيته، ولإعجابه بطريقة حكمه، أو ليجمع المزيد من الأنصار حوله، ادعى - بصورة مفاجئة ومستهجنة - أنه المهدي المنتظر الذي يخرج في آخر الزمان[2] وأن المغول ملؤا الأرض جوراً وسيملؤها هو عدلاً[3] وقد استنكر البعض هذا الإدعاء، ووَصَفَ تمور تاش بخفة العقل[4].

وهنا لابد من الإشارة إلى موقف المؤرخ اقسرائي من هذه الحادثة، فهو يمر عليها مروراً سريعاً، ويعود ويحمّل ايرنجين وسياسته مسؤولية ما يحصل، ولا غرو، فهو كان مقرباً من تمورتاش[5]

وليس من السهل تقصي الأسباب الحقيقية التي جعلت تمورتاش، يتصرف على هذا النحو، مما حدا بأحد الباحثين إلى القول إن الأسباب الحقيقية للتمرد الذي قام به تمورتاش لا تزال غامضة، ويجب البحث عنها في الدولة الإيلخانية نفسها، وليس في آسيا الصغرى[6].

ومهما كانت الأسباب، فإن والي بلاد الروم المغولي، بدأ تمرداً علنياً ضد دولته الإيلخانية، سنة٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م[7] وسكّ عملة خاصة به، ودعا له الخطباء على المنابر لوحده، وقطع الأموال والهدايا التي كان يرسلها إلى

---

(١) قدّر العمري عددهم بتسع "تُمانات" من المغول، ومثلهم أو أكثر من التركمانمسالك الأبصار السفر الثالث، ص١٦٦. وربما كان في العدد مبالغة فالتومان كما سبق التعريف به يعني عشرة آلاف.

(٢) عن المهدي المنتظر، وخروجه في آخر الزمان، انظر: الوابلي: أشراط الساعة، ص١٧٥-١٨٥.

(٣) حافظ آبرو: ذيل جامع تواريخ رشيدي، جاب دوم، ص١٦٠ ؛ ميرخواند: روضة الصفا جلد بنجم، ص٥٠٤-٥٠٥ ؛ الصفدي: المصدر السابق، ج١٠، ص٤٠٠-٤٠٢ ؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٥٣.

(٤) أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص٤٤٢ ؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٥٣.

(٥) مسامرة الأخبار، ص٣٢٥ ٣٢٦ وذكر أن ادعاءه بأن المهدي جاء على خلفية تعاطيه للخمر؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 647.

(6) Cahen:Pre Of Ottoman Turkey. p. 302.

(٧) وذُكرت تواريخ أخرى منها: سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م، سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م. أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤٤٠ ؛ حسن الأمين: المرجع السابق، ص٣٧٧.

عاصمة الدولة وإلى أمراء وأميرات المغول.وأعاد الرسل الذين جاؤا لجباية الضرائب دون أن يحصلوا على شيء[1].

وكتب الوالي المغولي المتمرد إلى القوى المحيطة به يبين لهم سبب تمرده ويطلب منهم العون، ويَعِدُ بتطهير كل الأقاليم المحتلة من قبل المغول[2].

ولما وصلت أنباء ذلك التمرد إلى العاصمة الإيلخانية، وجدها السلطان بوسعيد فرصة ليعاتب جوبان نوين، الذي اعتذر عما حصل، وتعهد بالمضي إلى آسيا الصغرى، والقضاء على تمرد ابنه، وتحامل على آلامه التي كان يشكو منها، نتيجة إصابته بداء النقرس[3] كما تحمّل قساوة الشتاء في تلك السنة فجاء مخترقاً آسيا الصغرى بجبالها وثلوجها، يقود جيشاً كبيراً[4].

من جهته، استعد تمورتاش لمواجهة جيش الدولة الإيلخانية وإن كان تحت قيادة والده، فهو يسعى إلى مُلك "والمُلك عقيم" وقبل أن يقع الصدام بين الجانبين نجح بعض الوسطاء في إقناع تمورتاش بالتلطف مع أبيه، وعدم إشهار السلاح في وجهه، بل تسليم نفسه له[5]، وربما حصل منه على تعهد سري بالإبقاء على حياته، وبهذا نجح جوبان، في إخماد تمرد ابنه، بدون حرب، وسفك للدماء.

---

(١) العمري: مسالك الأبصار، السفر٣، ص١٦٦ ؛ حافظ آبرو: ذيل جامع تواريخ رشيدي، جاب دوم، ص١٦٠ ؛ ميرخوند: روضة الصفا، جلد ينجم، ص٥٠٤ ٥٠٥ ؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٦٤.

(٢) أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص٤٤٠ ؛ العمري: مسالك الأبصار، السفر ٣، ص١٦٦ ؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٣١.

(3) Camhridge History Of Iran,p. 409, Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 647.

(٤) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤٤٠ ؛ العمري: مسالك الأبصار، السفر٣، ص١٨٣: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٥٣. D,ohsson :op. cit. Iv,p 658.

(٥) حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ رشيدي، جاب دوم، ص١٦٠؛ ابن حجر :الدرر الكامنة ج٢، ص٥٣ ؛ ميرخواند: روضة ا لصفا، جلد بنجم، ص٥٠٤ ٥٠٥ ؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 638.

عاد جوبان نوين من حملته الثانية على آسيا الصغرى ودخل "الأردو" وبين يديه ابنه تمورتاش يرسف في قيوده حيث سلّمه إلى "بوسعيد"، الذي قبل عذره وعفا عنه واستبقاه معه فترة من الزمن، ثم أعاده ثانية والياً على بلاد الروم[١] " وزاد في تخويله، والتنويه بقدره"[٢].

ويبدو أن هذا الإجراء من قبل السلطان المغولي جاء مراعاة لخاطر جوبان الذي تحمل المشاق ليضمن للدولة وحدتها من جهة، ويضمن سلامة ابنه من جهة أخرى[٣]، لأن إخماد مثل هذا التمرد، ارتبط دائماً بمقتل القائد، خاصة ما وقع منها في بلاد الروم كما سبقت الإشارة إليه[٤].

أما الأمراء الذين زينوا لتمورتاش تمرده، ووقفوا إلى جانبه، فتم القبض عليهم، ومحاكمتهم، ثم إعدامهم، لأن جوبان حملهم مسؤولية تشجيع ابنه على التمرد[٥].

وبرهن جوبان بعمله هذا على إخلاصه وولائه للسلطان بوسعيد، كما زاد من نفوذه وسيطرته على مجريات الأمور في الدولة الإيلخانية[٦].

أما تمورتاش، فقد عاد إلى ولايته السابقة، بعد العفو عنه، ولابد أنه تسلم زمام الأمور من الأمير المغولي الذي كان والده قد عينه والياً، بعد حمله أسيراً إلى الأردو[٧] ووجد تمورتاش أن مكانته، وحب الناس واحترامهم له، وتعاطفهم معه، أمور لم يطرأ عليها كبير تغييرذلك أنهم لا يزالون يذكرون

(١) العمري: مسالك الأبصار، السفر٣، ص١٨٢ ؛ حافظ آبرو: ذيل جامع تواريخ رشيدي، جاب دوم، ص١٥٩ ؛ Brown :Op. Cit, P. 55 Turan: Op. Cit,s. 647.

(٢) العمري: مسالك الأبصار، السفر ٣، ص١٨٢.

(٣) حافظ آبرو: ذيل جامع تواريخ جاب دوم، ص١٦٠، Cambridg. History Of. Iran. p. 409.

(٤) انظر ما سبق تمرد كل من طغاجار وبالتو وسولاميش.

(5) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 647.

(٦) حافظ آبرو: ذيل جامع تواريخ رشيدي، جاب دوم، ص١٦٠ ؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ٣٣١ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤٣٩.

(٧) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤٤٠ ؛ ولم يصرح باسم ذلك الأمير.

له بكل تقدير توفيره الأمن والعدل لهم، وإن شاب ذلك عنف منه وقسوة، يرى أنهما ضروريتان لتحقيق تلك الفوائد[1].

أما تركمان الأوج - فكما هي عادتهم - رأوا في الفتنة التي وقعت بين المغول، فرصة ليحققوا بعض المكاسب من قبيل توسيع كل طائفة منهم نفوذها نحو الداخل، والسير في الطريق القديمة والطويلة الموصلة إلى التخلص من ربقة السيطرة المغولية.لكن عودة الوالي المغولي الغير متوقعة أفسدت عليهم طموحاتهم. ومن جانبه لم يكن تمورتاش ليرضى بعودة قوة تلك الإمارات، والتي سعى جاهداً - في سنوات ماضية - لكبح جماحهم، وإبعاد نفوذهم عن وسط الأناضول، لذلك استأنف ضدهم حملات عسكرية بين عامي ٧٢٥هـ/١٣٢٥ و ٧٢٧ هـ/١٣٢٧م وحقق ضدهم نجاحاً كبيراً، ونقل الحرب من طائفة إلى أخرى فأسقط أسراً كانت حاكمة، وأخضع أخرى، وأجبر آخرين على الخروج من كل آسيا الصغرى، واللجوء إلى الدول المجاورة[2].

وأصبحت جميع القوى المجاورة له تخشى بأسه، وأسدى للدولة الإيلخانية بحملاته تلك خدمة عظمى، حيث امتدت سيطرتها إلى مناطق لم تكن دخلت فيه من قبل، ولا حتى زمن دخول دولة سلاجقة الروم تحت حماية الدولة المغولية وعموماً، فقد بلغت الدولة المغولية الإيلخانية في عهده هذا أقصى وآخر اتساع لها في آسيا الصغرى[3].

أ- لجوء تمورتاش إلى المماليك ونهايته:

فيما كان تمورتاش ماضياً قدماً في ترسيخ وتوسيع حكمه في آسيا الصغرى حصل في عاصمة الدولة الإيلخانية ماغير الحوادث تغيراً جذرياً،

(١) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص٦٥-٧٠ ؛ عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة، ص٢٩.
(٢) انظر تفاصيل حملات تمورتاش على الإمارات التركمانية في المبحث القادم الخاص بتلك الإمارات.
(٣) العمري: مسالك الأبصار، السفر٣، ص١٦٦ ؛ شبولر: تاريخ مغول در إيران، الترجمة الفارسية، ص٢٥٨ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤٦٢ ٤٦٣.

فالسلطان بوسعيد قلب ظهر المجن لجوبان فقد بلغ السلطان الرشد، ووجد أن السلطة كلها بيد جوبان وأبنائه التسعة[1] فابنه خواجه "دمشق[2] Dimashg" مقيم مع السلطان بوسعيد في العاصمة، وبيده مقاليد أمورها وليس للسلطان معه إلا الاسم خاصة بعد وفاة الوزير علي شاه[3] وابنه "محمود" يسيطر على بلاد الكرج، وابنه الآخر حسن الساعد الأيمن لوالده[4] وأخوهم تمورتاش - كما هو معروف - يسيطر على أجزاء واسعة من آسيا الصغرى، ويملك من القوة والإمكانات الشيء الكثيرولقد استطاع جوبان أن يجمع حوله الكثير من الأنصار عرفوا بـ"الجوبانيين"[5]

استغل بوسعيد انشغال جوبان وابنه حسن في مهمة خارج العاصمة[6] واتفق مع بعض أنصاره وغلمانه، على الفتك بخواجه دمشتق ابن جوبان، وتمكنوا من قتله في شوال سنة ٧٢٧هـ/ أغسطس١٣٢٧م وطافوا برأسه في مدينة السلطانية[7] عاصمة الدولة الإيلخانية، وأشاعوا أن جوبان وبقية أبنائه قد قتلوا أيضاً [1].

---

(١) عباس إقبال: المرجع السابق، ص٣٣٦.

(٢) ورد الاسم في بعض المصادر مشكولاً هكذا: دَمْشَق. لكن من المرجح أنه على اسم عاصمة الشام المشهورة " لأن بعض المغول بعد اعتناقهم الإسلام، أطلقوا على أبنائهم أسماء مدناً إسلامية، ومنهم جوبان فعلاوة على ابنه هذا المدعو دمشق، كان له بنت اسمها بغداد خاتون، انظر: رجب: المرجع السابق، ص٢١٠، وانظر أيضاً: النويري: نهاية الأرب، ج٣٣، ص٢٣١.

(٣) ابن الجزري: حوادث الزمان، ج٢، ص٢٥٣-٢٥٤ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣٣، ص٢٥١، حافظ آبرو: ذيل جامع تواريخ رشيدي، جاب دوم، ص١٦٥.

(٤) ابن الجزري: حوادث الزمان، ج٢، ص٢٥٣-٢٥٤، ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص٣٤٦ القزويني: تاريخ كزيدة، ص٦١٨.

(٥) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٤٠٠ ؛ابن تغري بردي: المنهل الصافي ج٣، ص٣٠١ ؛ عباس إقبال: المرجع السابق ص٣٦١.

(٦) كان جوبان يقود حملة نواحي خراسان، ويقال إنه قصد بحملته الابتعاد عن العاصمة وعن السلطان بوسعيد لأنه شعر بتغير السلطان عليه. انظر: خواندمير: حبيب السير، مجلد ٣، ج١، ص٢١٠ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤٥٢.

(٧) السلطانية، مدينة بنيت بأمر السلطان أولجايتو سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤م في موضع يسميه المغول "قنغور آلانك" في الشمال الغربي من العراق العجمي، يبعد خمسة فراسخ من زنجان، وتسعة فراسخ من أبهر، واستغرق بناؤها عشر سنوات. ونسبت إلى السلطان نفسه، وقيل إن تلك البقعة

ومضى بوسعيد قدماً في التخلص من جوبان والجوبانيين، فبعث رسائل إلى العساكر الذين كانوا مع جوبان، يخبرهم باقدامه على قتل خواجه دمشق ويشرح أسباب ذلك، كما ناشدهم التخلي عن جوبان والعودة طائعين إلى الأردو، والخضوع لأمره، لأنه هو السلطان لا غيره، كما كتب إلى تمورتاش في آسيا الصغرى، يطلب حضوره بنفسه إلى العاصمة بذريعة أنه إشتاق لرؤيته، ودس مع الرسل عدة رسائل لبعض قادة وأمراء تمورتاش، يعدهم، ويطلب منهم التحايل على تمورتاش والقبض عليه، ويخبرهم بما فعل بأخيه خواجه دمشق وأبيه وبقية الجوبانيين، لكن حراس تمورتاش الذين بثهم على الطرقات، فتشوا رسل بوسعيد، ووجدوا الرسائل المدسوسة، فأخذوهم إلى تمورتاش الذي أخضعهم للتحقيق والعذاب، فاعترفوا بكل شيء، وصرحوا باسماء الأمراء والقادة الذين يحملون إليهم رسائل بوسعيد، فبادر بقتلهم جميعاً وبعث إلى السلطان المملوكي الناصر بن قلاوون يخبره بما حصل.أما بوسعيد فعندما علم بما وقع لرسله في آسيا الصغرى، غضب على تمورتاش وأزمع على المسير بجيش لحربه، لولا غزارة الثلوج التي قطعت الطرق تماماً بين آسيا الصغرى وبلاد فارس[٢].

أما جوبان نوين، فقد أذهلته مفاجأة مقتل ابنه خواجه دمشق، وانقلاب السلطان عليه بهذا الشكل، فاستشار أصاحبه، فأشار عليه ابنه "حسن" بالإستعداد لحرب السلطان ومن معه، محتجاً بأن معظم أقاليم الدولة الإيلخانية، تحت حكمهم، والأموال التي تُجبى منها تصب في خزائنهم.لكن لابد من الإتفاق مع الملوك المجاورين خاصة المغول منهم، والمبادرة بالتخلص من الأمراء المشكوك في ولائهم.لكن جوبان أراد أن يحسم الأمر بسرعة، فزحف

تعرف باسم السلطانية من قبل. تاريخ وصاف، ص٤٧٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٢١؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٥١-٢٥٣.

(١) أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص٤٤٤ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣٣، ص٢٥١ ؛ قزويني تاريخ كزيدة، ص٦١٧.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٩٣.

على العاصمة بجيشه الكبير، فيما خرج السلطان بجيشه أيضاً لصده، وعندما التقى الطرفان في أوائل سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م، تخلى كثير من جنود جوبان عنه، وانضموا إلى السلطان بوسعيد ن فأُسقط في يد جوبان، ونجى من القتل، وفر مع ابنه حسن هائمين على وجهيهما[١].

وحتى بعد هزيمته، لم يحسن جوبان اختيار المكان الذي يلجأ إليه، فكانت لديه فرصة كبيرة للذهاب إلى آسيا الصغرى، حيث لا يزال ابنه تمورتاش يملك هناك قوةً ضارية، وحصوناً وقلاعاً منيعة، لكنه اختار اللجوء إلى هراة[٢]

فغدر به ملكها[٣] وقتله هو وابنه "جلاوخانJlawkhan" بأمر السلطان بوسعيد، في أوائل سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م[٤].

أما تمور تاش، فبعد انكشاف أمر الرسائل التي بعثها السلطان بوسعيد إلى بعض الأمراء عنده، تسلل القلق إلى نفسه، وإن بدا متماسكاً، لكن بعد بلوغه أنباء هزيمة والده، وفراره، "دخله الخوف[٥]" من السلطان بوسعيد، رغم ما تميز به من سطوة وجسارة[٦] وعرض الأمر على أصحابه، فأشار عليه بعضهم بالاعتصام بإحدى القلاع المنيعة، والصبر، والانتظار، حتى يسكت

---

(١) القزويني: تاريخ كزيدة، ص٦١٩ ؛ حافظ آبرو: ذيل جامع تواريخ رشيدي، جاب دوم، ص١٧٥-١٧٦ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤٥٥ ٤٥٦.

(٢) هراة: بفتح الهاء والراء، ثم ألف وهاء في الأخر. مدينة في إقليم خراسان (وهي اليوم ضمن أراضي أفغانستان) زارها ياقوت الحموي سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م. وذكر أنه لم ير أحسن منها في ذلك الاقليم، هاجمها المغول ودمروها سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م. ثم عُمرت ثانية. معجم البلدان، ج١، ص٣٩٦، لسترنج المرجع السابق ص٤٤٩.

(٣) وهو الملك غياث الدين كرت من أسرة كانت تحكم هراة في ظل الدولة الإيلخانية، وكانت توصف بالغدر والخيانة. انظر: حافظ آبرو: ذيل جامع تواريخ رشيدي، جاب دوم، ص١٧٧؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤٥٦-٤٥٧.

(٤) النويري: نهاية الأرب، ج٣٣، ص٢٥٢ ؛ شبولر: مغول در ايران، الترجمة الفارسية، ص١٣١ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤٥٦.

(٥) النويري: نهاية الأرب، ج٣٣، ص٢٥٣؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٥٣.

(٦) ابن حبيب: درة الأسلاك، ج٢، ورقة ١٢٩أ ؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ج٢، ص٥٣.

عن بوسعيد الغضب، ثم يطلب منه العفو، وإبقائه على ولايته، نظير خدمته الطويلة فيها، ونجاحه في ضبط أمورها، لكنه لم يستصوب رأيهم، بحجة أن كل المحيطين الآن بالسلطان يحثونه على المضي قدماً في سياسة التخلص من الجوبانيين، وترجّح عنده أن يطلب الحماية من السلطان المملوكي، الناصر بن قلاوون، والذي تربطه به صداقة قوية[1].

ومع ذلك كان تمورتاش يأمل في حدوث تطور في الأمور لمصلحة والده قبل أن يعبر الحدود إلى بلاد الشام، مما يجعله يغير خططه، وبدأ فعلاً في التحرك، وكان ينوي المسير من قيصرية إلى سيواس، لكن الطرق بين المدينتين قطعت، مما زاد في خوفه وحراجة موقفه[2].

أشاع تمورتاش بين أتباعه أنهم عازمون على المسير إلى الأردو، لنصرة جوبان وحزبه، وجمع ما استطاع جمعه من الأموال، والضرائب المتأخرة، وبعث حاميات إلى القلاع الحصينة وخرج من قيصرية بأمواله وأولاده وقصد قلعة بجبل "لارندة" ديار بني قرمان، واتخذها ملجأً له[3]وبعث أحد مماليكه لينوب عنه بسيواس، وهو الأمير "ارتناAretna" [4].

ومن تلك القلعة، بعث تمورتاش إلى السلطان الناصر، يستأذنه في القدوم عليه، وتحول الطلب إلى محادثات، تمخضت عن اتفاق، يحضر بموجبه تمورتاش إلى كنف الدولة المملوكية ويعيش فيها معززاً مكرماً، مع وعد بمناصرته متى سمحت الظروف بذلك وفي المقابل حلف الناصر للزعيم المغولي

---

(1) Turan: Selçuklular Zamanında Türkiye. s. 648.
(2) Turan: Op. Cit. s. 648, Cambridge History Of Iran. P. 411-412.
(٣) حافظ آبرو: ذيل جامع تواريخ رشيدي، جاب دوم؛ ص٨٩-٤١؛ ابن حبيب :درة الأسلاك، ج٢ ورقة١٢٩أ ؛ ابن الجزري: حوادث الزمان ج٢: ص٢٥٤.
(٤) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص١٩٢-١٩٣ ؛ وذكر ابن خلدون ان اسم نائبه علي سيواس، "آرتق". تاريخ ابن خلدون، ج٥، ق٤، ص٩٣٥.

بالحفاظ على حياته، وقد ناب عن السلطان المملوكي في هذه المفاوضات، وفي ذلك الإتفاق الأمير "أيتمش الناصري"[1].

ولما استوثق تمورتاش من السلطان المملوكي، ويئس من تحقيق والده لأي انتصار ؛ أخذ يقلب الآراء، هل يخرج من مملكته وولايته التي يسيطر عليها، وينجو بروحه، ويلجأ إلى دولة المماليك ؟ أم يبقى متحصناً في قلعته بجبال لارندة، وينتظر قدوم قوات السلطان بوسعيد، ويضرب معها مصافاً ربما تكون النتيجة في صالحه؟[2]

وأخيراً قرر تمورتاش المسير إلى بلاد الشام، فاستنفر عساكره، وخرج بهم على حمية، مظهراً أنه ذاهبٌ إلى بلاد فارس، ليظهر طاعته للسلطان بوسعيد، ويدافع عنه، وترك في القلعة أمواله وأولاده[3]وعندما عبر الحدود بين آسيا الصغرى وبلاد الشام، صرح لعساكره بما عزم عليه، وخيّرهم بين مرافقته، أو العودة من حيث أتوا، أو محاولة منعه، وهذا يعني الحرب معه، فلم يجسر أحد منهم على حربه، بل اختار كثير منهم العودة إلى آسيا الصغرى فيما اختار قلة منهم مرافقته في رحلة اللجوء[4].

---

(١) المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٩٣ ؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤، ص١٤٠-١٤١. و"أيتمش" هو الأمير سيف الدين بن عبد الله المحمدي الناصري، من مماليك السلطان الناصر بن قلاوون، ولاّه على نيابة صفد مدة، وتوفي بها سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٦م. المنهل الصافي، ج٣، ص١٣٨-ترجمة رقم ٥٨٥.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٢/ق١، ص٢٩٣.

(٣) وشذّ ابن حبيب عن الإجماع، وذكر قدومه مصر مع أولاده. ويبدو أن أسلوب السجع الذي اتّبعه في مؤلفه، هو الذي أوقعه في هذه الهنة. درة الأسلاك، ج٢، ورقة ١٩٢أ.

(٤) المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٩٤؛ وانظر أيضاً: ابن الجزري حوادث الزمان، ج٢ ص٢٥٤-٢٥٥ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣٣، ص٢٥٤. واختلفوا في عدد الذين دخلوا معه إلى بلاد الشام. فقيل ستمائة فارس، ابن الجزري: حوادث الزمان وأنبائه، ج٢ص٢٥٤-٢٥٥ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣٣، ص٢٥٤ ؛ المقريزي: السلوك، ج٢ ق١، ص٢٩٥ وقيل نحو ألف فارس، تاريخ ابن خلدون، ج٥، ق٤، ص٩٣٥.

سار تمورتاش بمن معه حتى وصلوا بهسنا[١]، حيث استقبلهم واليها ثم غادرها إلى دمشق، التي دخلها يوم الأحد، الخامس والعشرين من صفر، سنة ٧٢٨هـ/ ١٠ يناير ١٣٢٨م، وأيضاً حظي باستقبال كريم، حيث خرج للقائه نائب السلطنة ببلاد الشام[٢] والأمراء والأعيان، وعساكر الشام حتى الناس خرجوا لمشاهدته "وكان يوماً مشهوداً" [٣].

وفي يوم الأربعاء، السادس من ربيع الأول/ ٢١ يناير وصل تمورتاش وصحبه إلى القاهرة، وفي اليوم التالي استقبلهم السلطان الناصر بن قلاوون في القلعة، واحتفل بهم، وأجلس تمورتاش إلى جانبه، وخلع عليه وعلى أصحابه، ثم أنزل تمورتاش بدار فخمة داخل القلعة، جهزت له[٤] ثم استأذن بعض أصحابه في العودة إلى بلاد الروم، فأُذن لهم، بينما تم توزيع البقية على أمراء مصر لاستضافتهم دون أن يمنحوا إقطاعات[٥].

أما تمورتاش نفسه، فقد منح إقطاعاً عبارة عن بلدة صغيرة يقال لها "قطية"[٦]، وقيل إنه منح إقطاعاً جليلاً - دون تحديد - فَرَفَضه[٧] وأُعطي إمرةً[٨] لكنه رفضها أيضاً[٩] وُقدر له راتب شهري[١٠]، كما أطلق السلطان يده في

(١) بهسنا: بفتح الباء الموحدة، والهاء، وسكون السين المهملة، ثم نون وألف قلعة حصينة، واسعة الخير، بينها وبين سيواس نحو ستة أيام، وبينها وبين عينتاب مسيرة نحو يومين، وهي إلى الشمال الغربي منها، ابو الفداء: تقويم البلدان، ص٢٦٤.

(٢) وهو الأمير تنكز. انظر ما سبق، ص حاشية رقم. من هذا البحث.

(٣) ابن الجزري: حوادث الزمان، ج٢، ص٢٥٣ ؛ وانظر: النويري: نهاية الأرب، ج٣٣، ص٢٥٤ ؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج١٤، ص١٣٨.

(٤) ابن الجزري: حوادث الزمان، ج٢، ص٢٥٤ ؛ النويري نهاية الأرب، ج٣٣ ص٢٥٤ ؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص٣٤٧.

(٥) ابن الجزري: حوادث الزمان وأنبائه، ج٢، ص٢٥٤ ٢٥٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣٣ ص٢٥٥ ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٤، ص١٣٩ وقدر ابن الجزري عدد الذين عادوا إلى بلاد الروم بحوالي تسعين فارساً.

(٦) قطية: أو قطيا، بلدة صغيرة، ومنزل للمسافرين على الطريق بين مصر والشام، وهي تابعة لمصر. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص١٠٨.

(٧) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤٤٧.

(٨) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٥٣ ؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٣٩٥.

(٩) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤٤٧.

الخزانة والإصطبل، يأخذ منهما ما يشاء، ومع ذلك "لم ينل شيئاً مما قرر له"[١]. ويتهمه أبو الفداء أنه رفض كل عطايا السلطان ومنحه، وكان يرى نفسه أكبر من ذلك[٢] وكان تصرفه هذا من المآخذ التي أخذت عليه.

ومهما يكن من أمر، فإن تمورتاش كان في ضيافة السلطان المملوكي، معززاً مكرماً وكان السلطان يصطحبه في خروجه للنزهة أو الصيد[٤] وكان يتجول في طرقات مدينة القاهرة بموكب، يحف به الحرس،حتى أتهم بحبه للتفاخر والتظاهر[٥] وكان يوزع الأموال على الناس الذين يخرجون لمشاهدة موكبه[٦] وكان جواداً مفرط الكرم، أعطى مرة القائم على الحمّام ألف درهم، والحارس ثلاثمائة درهم[٧].

وبعيد وصول تمورتاش إلى القاهرة، وصل إليها أيضاً وفد مغولي، يحمل رسالة من السلطان بوسعيد، إلى السلطان المملوكي؛ يبيّن له فيها تطورات الصراع بينه وبين الجوبانيين، وأنه تمكن من القضاء على جوبان وبعض أبنائه.وعند سؤال الوفد عن تمورتاش، أنكروا أي علم لهم بما صنع إلا عند دخولهم إلى بلاد الشام[٨].

وبعد أن استراح في القاهرة، طلب تمورتاش من السلطان الناصر، أن يجرد معه حملة، ليعود إلى ولايته في آسيا الصغرى، ويساعده أيضاً على حرب السلطان بوسعيد، لكن السلطان طلب منه التريث، بذريعة أن الوقت الحالي

(١) النويري: نهاية الأرب، ج٣٣، ص٢٥٤.
(٢) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٤، ص١٤٠.
(٣) المختصر، ج٢، ص٤٤٧.
(٤) النويري: نهاية الأرب، ج٣٣، ص٢٥٦ ؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٩٦.
(٥) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٢٣٨.
(٦) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٤، ص١٤٠.
(٧) المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٩٧.
(٨) النويري: نهاية الأرب، ج٣٣، ص٢٥٥؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٩٥ ؛ عباس إقبال: المرجع السابق، ص٣٣٦.

غير مناسب للخوض في مثل هذا العمل الكبير[1] وبدلاً من ذلك كتب السلطان المملوكي إلى نظيره المغولي، يشفع في تمورتاش ويطلب السماح له بإحضار أهله وما تبقى له في بلاد الروم[2] ويقال إن في الرسالة جانب سري يتضمن إمكانية أن يتعامل السلطان الناصر مع ضيفه المغولي وفق رغبات السلطان بوسعيد[3].

ومع مرور الأيام، شعر تمورتاش بتناقص قوته، وتضاؤل فرص تحقيق أهدافه في العودة ثانية إلى بلاد الروم، واستعادة حكمها وأخذه القلق على مصير أبنائه الذين تركهم وراءه في جبال لارندة، فطلب من السلطان الناصر أن يسمح له بإرسال مبعوث عنه ليحضر أولاده وأن يعضده السلطان برسول من قبله إلى بني قرمان ليساعدوا أبناءه في الخروج من ديارهم والتوجه إلى مصر، فوافق السلطان على طلبه، وبعث مع رسوله رسولاً إلى القرمانيين، لكن الرسل جميعاً عادوا بدون أبناء تمورتاش، والأدهى من ذلك أن جاء معهم رسول من القرمانيين، يدعى نجم الدين اسحق من بني حميد[4] حكام أنطاليه، وكان له ثأرٌ عند تمورتاش[5] وأخبر أن أبناء تمورتاش رفضوا الخروج من القلعة، وادعوا أن بينهم وبين أبيهم إشارة، لم يأت بها الرسل وأدخل في روع السلطان الناصر أن لتمورتاش نوايا خفية، ترقى إلى الطمع في حكم مصر نفسها، وأن لديه من القدرات ما يؤهله إلى تحقيق ذلك.وأن الإشارة التي تحدث

(١) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٢٣٨ ؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٩٥. Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiyes. 649.

(٢) النويري :نهاية الأرب، ج٣٣، ص٢٥٥-٢٥٦ ؛ المقريزي :السلوك، ج٢، ق١، ص٢٩٦.

(٣) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٣٧.

(٤) في بعض المصادر العربية أنه ابن يونس، انظر:النويري :نهايةا لأرب، ج٣٣، ص٢٥٦؛المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٩٥. والصحيح أنه ابن فلك الدين بن يونس، انظر: مايلي ص من هذا البحث.

(٥) عن حرب تمورتاش مع بني حميد وقتله لأحد أمرائهم انظر ما يلي ص من هذا البحث.

عنها أبناؤه، هي رموز استخدمها عدة مرات في القضاء على خصومه في آسيا الصغرى[١].

ومن الواضح أن التركمان عامة، وبني قرمان خاصة، رغبوا في التخلص نهائياً من تمورتاش، الوالي المغولي القوي، الذي حقق ضدهم انتصارات لم يحققها والٍ مغولي أو سلطان سلجوقي قبله، منذ ظهور إماراتهم في أطراف آسيا الصغرى[٢]ومن هذا الباب جاء إرسالهم لرجل من بني حميد، يعرفون أن له ثأراً عند تمورتاش لينقل رسالتهم إلى السلطان المملوكي.وربما كانت مسألة رفض أبناء تمورتاش الذهاب إلى مصر، وردهم الذي سبقت الإشارة إليه أموراً لا أساس لها من الصحة.بل افتعلها التركمان ليقنعوا السلطان المملوكي بخطورة بقاء تمورتاش عنده، حراً طليقاً.ولقد نجحت محاولتهم تلك، وأثر كلامهم في نفس السلطان، وأخذته الظنون تجاه ضيفه المغولي[٣].

بعد الأثر الذي تركته رسالة ابن قرمان في نفس السلطان جاءت الخطوة الثانية، وهي منوطة بالرسول نفسه، نجم الدين اسحق الذي ادعى على تمورتاش بأنه قتل أباه، وناشد السلطان الناصر أن يمكنه من القصاص منه، حسب أوامر الشريعة الإسلامية المطهرة.فجمع السلطان بين الخصمين، وتحاققا بحضوره. ودافع تمورتاش عن نفسه[٤]وفي النهاية اتضح أن لكل واحد منهما قتيلٌ عند الآخر[٥].

وزادت شكوك السلطان المملوكي، في الأمير المغولي وزاد الطين بلة، تصرفات تمورتاش نفسه، فبالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه من ركوب

---

(١) النويري: نهاية الأرب، ج٣٣، ص٢٥٦ ؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٩٥ ٢٩٧.

(2) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. s. 649-650.

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج٣٣، ص٢٥٦ ؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٩٧.

(٤) قيل إنه لم ينكر شيئاً من دعوى نجم الدين، Turan:Op. Cit. . s. 649. وقيل بل أنكر كل شيء. عباس إقبال: المرجع السابق، ص٣٣٦ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤٦٤، حسن الأمين: المرجع السابق، ص٣٨٤.

(٥) المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٩٧.

المواكب، وحب التفاخر، وتقسيم الأموال ببذخ على الناس فقد بلغ السلطان الناصر عنه أيضاً، أموراً أثارت غضبه، منها احتقاره لبعض أمراء المماليك وإثارته الفرقة والخلافات والنعرات بينهم[١] ومحاولته استمالة بعضهم، حيث منحهم حوالي مائة ألف رأس من الغنم[٢].

ومن المآخذ التي أخذها السلطان المملوكي على ضيفه المغولي أن من يأتيه بهدية أو خلعة من السلطان، يعطيه هدية أو خلعة أعظم منها، وكأنه يحتقر أعطيات السلطان[٣].

وكانت كل المآخذ والملاحظات السابقة تزيد السلطان المملوكي حنقاً وغيظاً على تمور تاش، وربما كان السلطان يتوقع أن يستعيد جوبان سلطته ونفوذه، لذلك هو يراعي ابنه اللاجئ عنده، ولكن بعد مقتل جوبان وتلاشي قوة حزبه، لم يعد السلطان الناصر يخشى من الاقدام على تصرف يسيء لتمورتاش.وبالفعل التقت مصلحة السلطان الناصر المملوكي مع مصلحة نظيره الإيلخاني "بوسعيد".

وعندما جاء وفد من المغول يطالب بتسليم تمورتاش رغم مخالفة ذلك للاتفاق المبرم بينهما، بحجة أن بقاءه عند المماليك سيضر باستمرار ذلك الإتفاق[٤] وَدَعَمَ السلطان المغولي طلبه بعرضٍ يعتبر مغرياً للسلطان المملوكي، وهو مقايضة تمورتاش بالأمير المملوكي قراسنقر اللاجئ عند المغول[٥].

(١) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٢٩٧؛ صبحي: المرجع السابق، ص٦٦ - ٦٧.
(٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٢٩٧ ؛ فايد عاشور: المرجع السابق، ص١٩٣.
(٣) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٢٣٨ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤٦٨.
(٤) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤٤٨ ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٤، ص١٤١.
(٥) المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٩٦-٢٩٧.

ولابد أنه كان مدركاً أهمية قراسنقر عند السلطان الناصر، والذي حاول التخلص منه عن طريق الاغتيال حتى بعد تمتعه بحماية المغول[1].

وهنا لابد من الإشارة، إلى أن بعض المصادر، حاولت التماس العذر للسلطان الناصر، وبررت له فعلته - وإنْ شئت فقل غدره - بمن جاء طالباً لحمايته، فذكرت أنه ظهر له خُبث طوية تمورتاش وسوء نيته[2] !!.هكذا وبدون تفصيل[3].

ومصادر أخرى - وهي تسلك المنهج نفسه - ذكرت أن سبب اعتقال تمورتاش "مصلحة اقتضاها الملك!!"[4] بل ذهب آخرون إلى التشكيك في أن يكون تمورتاش قد قُتل بأمر الناصر ويُفهم من عباراتهم أنه مات حتف أنفه[5]. على أن بعض المصادر ذكرت ما يعتقد أنه الحقيقة المجردة، أو على الأقل حاولت تقصي كل الأسباب والظروف التي أحاطت بهذه المسالة التاريخية.

ومهما يكن من أمر، فإن الأوامر صدرت باعتقال تمورتاش، ومعه بعض أعيان أصحابه، فقُبض عليه في شعبان سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م[6] وسجن في برج

(١) العمري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فضل الله، ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين" الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م. ص١٢٣ ؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٦٣ــ٢٦٤.

(٢) النويري: نهاية الأرب، ج٣٣، ص٢٥٦ ؛ المقريزي: السلوك، ج٢ ق١، ص٢٩٧.

(٣) وقد صرح النويري بذلك، وكأنه يريد أن ينأ بنفسه عن الخوض في التفاصيل، وهو معاصر للحادثة، إذ يقول :"هذا ما كان من أخبار تمورتاش على سبيل الاختصار، والله تعالى أعلم بالصواب". نهاية الأرب ج٣٣، ص٢٥٧.

(٤) ابن حبيب: درة الأسلاك، ج٢، ورقة ١٢٩ ؛ ابن الجزري: حوادث الزمان وأنبائه، ج٢، ص٢٦٥ ؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤٤٨ ؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج٢، ص١٨٠

(٥) ابن الجزري: حوادث الزمان، ج٢، ص٢٦٩، وعبارته "استفاض (أي في دمشق حيث يقيم المؤلف) أنه مات وكذلك والده مات"!! ؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٩، ص٣٤٨. وعبارته ". . ثم إن البلاد لم توافقه فحصل له توعك وسقط بالوفاة. . ".

(٦) ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج٢، ص١٨٠، وعنده إنه "مات شهيداً" ؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج١٤، ص١٤٠ وعبارته " فقتله صاحب مصر فيما يقال. . . والله أعلم بالسرائر ".

السباع بالقلعة[1] فتألم لذلك بشدة، وبقي أياماً ممتنعاً عن الأكل ويعيش على شيء من البطيخ والماء فقط وكان مندوب السلطان يعوده، ويطيّب خاطره، ويبرر سبب اعتقاله، بوجود رسل السلطان المغولي بوسعيد في القاهرة، ولأن بينه وبين السلطان الناصر معاهدة، فمن غير اللائق أن يروا تمورتاش - وهو المطلوب لديهم والمذنب في نظرهم - حراً طليقاً، يتقلب في أرغد عيش في ضيافة السلطان.لكن تمورتاش لم يقبل ذلك التبرير واعتبر ما حصل له غدر من قبل السلطان الناصر، وكان يردد: "هذا جزاء من يثق بالملوك"[2].

وفي المقابل فإن السلطان المغولي أخذ يلح على نظيره المملوكي في تسليم اللاجئ المغولي الذي عنده، وبدأ السلطان المملوكي متقبلاً للفكرة وأمر بالشروع في اتخاذ إجراءات التسليم، لكنه توقف عنها فجأة، وصرف نظره عن عملية التسليم[3] ويقال إنه خشي إن هو سلمه للسلطان المغولي، أن يشفع فيه بعض المقربين منه[4] فيقبل شفاعته، ويعفو عنه، وربما يعيده إلى ولايته في بلاد الروم - كما فعل معه في المرة السابقة[5] - حينها سيكون موقف السلطان المملوكي في غاية الإحراج، وربما فتح عليه ذلك باباً من الصراع مع المغول في آسيا الصغرى لا يعلم إلاّ الله نتائجه.ومن أجل ذلك ترجح عند السلطان الناصر، أن يأمر حراسه بقتله، ليتأكد من موته[6] ويستريح من تبعات تسليمه حياً للمغول.

---

(١) ابن الجزري: حوادث الزمان وأنبائه، ج٢، ص٢٦٥ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣٣، ص٢٥٦.

(٢) الصفدي: المصدر السابق، ج١٠، ص٤٠٠-٤٠٣ ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٤، ص١٤١.

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج٣٣، ص٢٥٧ ؛ المقريزي: السلوك، ج٢ ق١، ص٢٩٥. وذكر ابن حجر أن السلطان رفض في البداية مسألة التسليم. الدرر الكامنة، ج٢، ص٥٣.

(٤) ومن الذين يمكن أن تقبل شفاعتهم في تمورتاش أخته بغداد خاتون زوجة بوسعيد، ووزيره غياث الدين محمد بن رشيد الدين وهو صديق لتمورتاش.

(٥) عباس إقبال: المرجع السابق، ص٣٣٧ ؛ حسن الأمين: المرجع السابق، ص٣٨٥ صبحي: المرجع السابق، ص٦٦ ٦٧.

(٦) النويري: نهاية الأرب، ج٣٣، ص٢٥٧ ؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ج٢، ص٥٣ ؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٩٥-٢٩٦.

وقيل إن السلطان المملوكي التقى تمورتاش بحضور الوفد المغولي الذي جاء في طلبه، ووبخه ولامه على تصرفاته، فلاذ تمورتاش بالصمت [١].

ثم أُخذ تمورتاش إلى مكان بالقلعة، ولما شعر أنه يُساق للموت، أخذ ينادي على ايتمش الناصري ويناشده اليمين التي حلفها له نيابة عن السلطان عند ما كان في بهسنا، وكان ايتمش المذكور يتوارى عنه خجلاً منه، ومن عهده الذي لم يصنه، ولا يستطيع فعل شيء تجاهه [٢].

ثم قام المكلفون به، بخنقه حتى فارق الحياة، وشهد عملية الإعدام رسول السلطان بوسعيد، ثم أُحتز رأسه ليسلم إلى ذلك الرسول، بينما دُفنت الجثة خارج باب القرافة.لكن رسول السلطان المغولي رفض استلام الرأس المقطوعة، بحجة أن الأوامر التي معه تقتضي باحضار تمورتاش حياً، لا مجرد رأس بعد إحتزازها [٣].

وقعت تلك الحادثة الغريبة - على أرجح الأقوال - في أوائل شهر شوال سنة٧٢٨هـ/أغسطس١٣٢٨م [٤] وإزاء رفض الوفد المغولي حمل رأس تمورتاش معهم، اضطر السلطان المملوكي أن يرسل وفداً من لدنه، ليقوم بالمهمة، ويحمل رسالة منه إلى نظيره المغولي، يخبره بما اتخذه من إجراء ضد تمورتاش، وينتظر أن يفعل السلطان بوسعيد الشيء نفسه مع الأمير المملوكي اللاجئ عنده "قراسنقر" [٥].

---

(١) المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٩٦.

(٢) الصفدي: المصدر السابق، ج١٠، ص٤٠٢-٤٠٣ ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٤، ص١٤٢.

(٣) الصفدي: المصدر السابق، ج١٠ ص٤٠٣ ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٤، ص١٤٢ ؛ وانظر أيضاً المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٣٠٠.

(٤) النويري: نهاية الأرب، ج٣٣، ص٢٥٧ ؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤٤٨ ؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٣٠٠ ؛ زامباور: المرجع السابق، ص٣٨٠. وورد أنه قُتل في رمضان. ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٥٣ ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٤ ص١٤٢.

(٥) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٥٣ ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٤، ص١٤٢

من جانبه رحب السلطان بوسعيد بالخطوة التي أقدم عليها نظيره المملوكي، لكنه اعتذر عن إجابة طلبه، بذريعة أن قراسنقر توفي حتف أنفه، ولم يقتل بأيدي المغول.وليس بالإمكان معاملته بنفس الطريقة التي عومل بها تمورتاش[1] ويمكن أن يكون ادعاءه هذا صحيحاً[2] لكنه ليس مانعاً، من تنفيذ ما تمناه السلطان المملوكي[3].

والحقيقة أن تمورتاش، دفع حياته ثمناً لسياسة السلاطين، ومصالحهم وكان كما قال الذهبي "فر..إلى خدمة السلطان بل إلى حِمامه"[4]وقد نظم بعض فضلاء ذلك الزمان شعراً يصور نهاية تمورتاش، وعاقبة أمره[5] وهو:

احذر من الدنيا وإقبالها فريحها يفضي بخسراني

ربّ غني فيها انتهى للفنا مثل "دمرداش"بن جوبانِ

ومن عجبٍ، أنه بعد مضي عشر سنوات على اعدام تمورتاش، ظهر من يزعم أنه لا يزال على قيد الحياة، حيث أقبل أبناء تمورتاش[6] من آسيا الصغرى الصغرى إلا بلاد فارس، للإشتراك في خضم الصراع الذي اندلع بين المغول إثر

(١) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٤، ص١٤٢ ؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٥٣.

(٢) اختلفت المصادر في كيفية وفاة قراسنقر، لكنها تزامنت مع إعدام تمورتاش، فقيل إن وفاته كانت طبيعية. النويري: نهاية الأرب، ج٣٣، ص٢٧٥-٢٧٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩، ص٥٧٣ ؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٣٠٥. وقيل إنه ابتلع سُماً كان يحتفظ به في خاتمه، لمّا أيقن أنه سيُقتل. رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٧٨. وهناك رواية ضعيفة تفيد أنه قُتل مقايضة بتمورتاش ؛ تاريخ ابن خلدون، ج٥، ق٥، ص١١٦٦ ؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٣٧ ؛ حسن الأمين: المرجع السابق، ص٣٨٦.

(٣) ذكر النويري أن جثمان قراسنقر بقي مدة دون أن يوارى الثرى انتظاراً لأمر السلطان بوسعيد بشأنه- نهاية الأرب، ج٣٣، ص٣٧٦.

(٤) ذيل تاريخ الإسلام، ص٣٣٨.

(٥) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٠ ص٤٠١ـ ٤٠٢.

(٦) وكان لتمورتاش عدد من الأبناء، اشتركوا في الحوادث التي تلت وفاة السلطان بوسعيد، وسقوط الدولة الإيلخانية، وأكبرهم يدعى حسن، وسيرد ذكره في الصفحات القادمة. وانظر: اليوسفي(موسى بن محمد اليوسف ت ٧٥٩هـ/ ١٣٨٥م) نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر تحقيق د. أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، المصدر السابق، ص٣٠٣-٣٠٥.

وفاة السلطان بوسعيد[1] وجاؤا معهم برجل يشبه أباهم، وادعوا أنه أبوهم، وزوجوه بإحدى أرامل تيمورتاش، وزعم الرجل أنه تمورتاش، وأنه لم يُقتل في مصر، حيث عمد الجنود الذين كلفوا بقتله إلى مملوك له يشبهه، فأعدموه وحملوا رأسه إلى السلطان الناصر لينظر إليه، فظن أنه هو.بينما أخفى أولئك الجنود تمورتاش الحقيقي، مدة من الزمن، ثم أعادوه - عن طريق البحر - إلى بلاد الروم[2].

وأتقن القائمون بهذا الإدعاء أدوارهم بكل براعة، حتى أرجف الناس كثيراً لذلك، وعلق أحد المعاصرين على ذلك بقوله: "...وكثر القيل والقال حتى كدنا نجزم ببقائه"[3] حتى أن السلطان الناصر، بدأ مصدقاً لتلك الرواية، وشك في أمرائه وعساكره، وفكر في أن يكونوا قد عصوا أمره، وخانوه، وأطلقوا سراح تمورتاش، وهاهو يحشد الجنود ويسعى لاستعادة ملكه، وكان ذاك المدعي قد صرح بنيته في غزو بلاد الشام، لولا " أن كفى الله شره"[4]أما السلطان الناصر فبعد أن أخذته الظنون كل مأخذ، أمر بنبش قبر تمورتاش واستخراج ما بقي من عظامه، واستعان بالمنجمين ليتأكد بأن هذه فعلاً رفاة تمورتاش.ولم يقر له قرار، إلا بعد افتضاح أمر ذلك المدعي، وطرده ثم قتله[5].وفي كل ما حدث دليل على مدى ما كان يتمتع به تمورتاش من نفوذ وسلطه، وما كان يشكله من خطر على السلطانين المملوكي والمغولي على حد سواء.

---

(١) انظر ما يلي من هذا البحث.

(٢) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٤٤، سليمان عطية، العلاقات السياسية بين مصر وغرب آسيا من وفاة ايلخان أبو سعيد إلى نهاية دولة آلاق قيونلو، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة القاهرة ١٩٥٢م ص٩.

(٣) الذهبي: ذيل تاريخ الإسلام، ص٤٤٧.

(٤) الصفدي: المصدر السابق، ج١٠، ص٤٠٣.

(٥) الصفدي: المصدر السابق، ج١٠، ص٤٠٣ ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٤، ص١٢٣ ؛ عباس إقبال: المرجع السابق، ص٣٥٠.

ولم تكن عملية قتل تمورتاش بأمر السلطان الناصر. بعد الاتفاق مع نظيره المغولي بوسعيد - الحالة الوحيدة في التعاون بينهما، فقد جرت على شاكلتها عملية مماثلة، إذ طلب السلطان المغولي من نظيره المملوكي سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م.أن يخلصه من أمير مغولي شكل خطراً عليه ولم يتردد السلطان الناصر في إعطاء الأمر لأتباعه لينفذوا رغبة السلطان المغولي فأقدموا على قتل الأمير المغولي المدعو " ياسور[١] Yasur " وهو يؤدي مناسك الحج، دون مراعاة لحرمة المكان أو الزمان، وعندما التبس الأمر على الحاضرين، وأخذوا يتساءلون عن هوية من قاموا بتلك الجريمة، رد عليهم أحد شهود العيان قائلاً: "..أو سيّر (يعني السلطان بوسعيد)إلى صاحب مصر يقتله له مثل ما قتل دمرداش(تمورتاش) فسكن الحاضرون وجهزوه للدفن[٢].

أما أصحاب تمورتاش، الذين لجأوا معه إلى مصر.فكثير منهم عادوا إلى آسيا الصغرى[٣] وبقي بعضهم، وحاولوا في سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م، الأخذ بثأر سيدهم تمورتاش، وخططوا لذلك لكن أمرهم انكشف، فألقي القبض عليهم، وبعد التحقيق معهم.أُعدم بعضهم، وسُجن الآخرون[٤]وكان السلطان الناصر قد استخلص أحد مماليك تمورتاش لنفسه، ومنحه ثقته وزوجه إحدى بناته، وكان رابع أربعة يبيتون معه الليل، ويدعى بهادر التمرتاشي (التمورتاشي)، وقد توفي سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٣م[٥].

أما الأوضاع في الأناضول بعد مغادرة تمورتاش لها فذكرنا استخلافه للأمير أرتنا، واتخاذه سيواس مقراً له[٦]وبعد وصول الأخبار بموت تمورتاش،

---

(١) ويفهم من رواية اليوسفي أنه من ذرية جنكيز خان.
(٢) اليوسفي: المصدر السابق، ص ١٧٠ ١٧٥ " وعنون لها بقوله: " ذكر واقعة غريبة اتفقت بالحجاز الشريف بقتل بعض أمراء المغل " وانظر أيضاً: فايد عاشور: المرجع السابق، ص١٩٤.
(٣) المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٩٥ ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٢، ص١٣٩.
(٤) المقريزي: السلوك، ج٢، ق٢، ص٣٤٢-٣٤٣.
(٥) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٣١-٣٢.
(٦) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

تأسف الناس عليه، ليس في بلاد الروم وحسب، بل حتى في مصر والشام أيضاً[1]، وقام نائبه أرتنا بمبايعة ابنه الأكبر حسن ـ المعروف بحسن الصغير أو "كوجك Kuguk"[2] بالإمارة وسلم له مقاليد السلطة في سيواس[3] وذكر البعض أنه بقي مختفياً بعد مقتل والده مدة عشر سنوات، حيث خرج في بلاد الروم سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٨م، وأخذ يطالب بالملك ويسعى من أجله[4]، لكن يبدو أن سلطته لم تكن تتجاوز سيواس ولم يتردد اسمه كثيراً إلا بعد سقوط الدولة الإيلخانية.

وكان حسن بن تمورتاش موصوفاً بالدهاء والمكر، وعُرف عنه نيته في غزو الشام، لكنه كان يهاب مواجهة نائب السلطان بها الأمير تنكز، بيد أنه نجح ـ كما يعتقد البعض ـ في الإيقاع بينه وبين السلطان الناصر، وزوّر كتباً إلى السلطان يزعم فيها أن تنكز يكاتبه ليتفقا على السلطان، ومن ثم يستقل بالشام عن مصر وعن حكم أسرة قلاوون.فتغير السلطان على نائبه وما زال به حتى أورده المهالك[5]، فكانت فرصة مواتية لحسن الصغير ليحقق حلمه بغزو الشام لكنه شُغل عنه[6] ويبدو أن كل الذي قام به كان محاولة للإنتقام لمقتل والده في مصر.

ومهما يكن من أمر، فإنه من غير المعروف على وجه الدقة الشخصية التي خلفت تمورتاش في ولاية الأناضول، حتى حلت سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م.حيث

---

(١) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٥٣.

(٢) وهذا اللقب تمييزاً له عن "حسن الكبير" أو الجلايري المعاصر له، ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٩٦ ؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٥٠.

(٣) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٩٦-٩٧ ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي ج٣، ص٢٧٠ ؛ عطية الله أحمد: القاموس الإسلامي، ج٢، ص٨٩.

(٤) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٥٠ ؛ حسن الأمين: المرجع السابق، ص٤٠٢.

(٥) ابن حجر الدرر الكامنة، ج٢، ص٩٦ ٩٧ ؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٢٧٠-٢٧١ ؛ الدليل الشافي، ج١، ص٢٦١.

(٦) ابن حجر الدرر الكامنة، ج٢، ص٩٦ ٩٧ ؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٢٧٠-ص٩٧. وتوفي حسن الصغير مخنوقاً بأمر زوجته سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٤م. ابن حجر: المصدر نفسه، ج٢، ص٩٦-٩٧ ؛ عطية الله أحمد: القاموس الإسلامي، ج٢، ص٨٩.

نفى السلطان بوسعيد الأميرَ "حسن الجلايري"، أو "حسن الكبير" (أوزون Ozun)[1] إلى بلاد الروم، وأمر بسجنه في قلعة "كماخ" وذلك بعد شفاعة والدته - وهي عمة السلطان وأخت أولجايتو. وقد جاءت معه إلى بلاد الروم.فيما عمد السلطان إلى مطلقته "بغداد خاتون" بنت جوبان وتزوجها[2].

وفي سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م عين السلطان بوسعيد الأمير "دولتشاه Dawlat shah" والياً على الأناضول، لكنه لم يلبث أن توفي.فعفى السلطان عن الأمير حسن الكبير وعينه خلفاً لدولتشاه سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م[3].

وبعد عام واحد من ذلك التاريخ، عُيّن الأمير جلال الدين مسعود بن شرف الدين محمود بن اينجو[4] نائباً للشيخ حسن الكبير، وكان جلال الدين أيضاً مسجوناً ببلاد الروم.بأمر السلطان بوسعيد، لكنه عفا عنه وأطلق سراحه، وعينه نائباً للشيخ حسن الكبير[5] فكأن الاثنين قد مراً بالتجربة نفسها، وجمعت بينهما ظروف متشابهة وورد أيضاً أن أرتنا - نائب تمورتاش سابقاً - عمل نائباً للشيخ حسن الكبير في بلاد الروم[6] ويذكر ابن حجر أنه

(١) حسن بن آقبغا بن ايلكان الجلايري، النوين، الشيخ حسن بك الكبير، تمييزاً له عن حسن بن تمورتاش (الصغير) كان زوجاً لبغداد خاتون بنت جوبان، اشترك في الصراع الذي اندلع بين المغول عقب وفاة السلطان بوسعيد، واستطاع أن يتولى الحكم في بغداد ويؤسس فيها دولة عرفت بالدولة الجلائرية. وتوفي سنة ٧٥٧هـ/١٣٥٥م. ابن حجر الدرر الكامنة، ج٢، ص٩٥-٩٦.

(٢) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤٤٥، البدليسي: شرفنامه، الترجمة العربية، ج٢، ص٣٣ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٩٥. وبغداد خاتون هي بنت جوبان نوين "كانت مثلاً أعلى لكمال الأنوثة" تزوجها السلطان بوسعيد بعد نكبه لأسرتها، وكان لا يرد لها طلباً، لكنه تزوج عليها امرأة أخرى فدست له السم (بطريقة مخجلة) وبعد وفاته قُتلت هي أيضاً، سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٦م رحلة ابن بطوطة، ج٢، ص٣٣٠ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤٤٩، ٤٧٤.

(٣) البدليسي: شرف نامه، الترجمة العربية، ج٢، ص٣٣ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤٧١ ؛ Cambridge. History Of. Iran. p. 412.

(٤) وهذا الرجل من كبار الجوبانيين (أنصار جوبان نوين) حكم فارس مدة طويلة، ثم أضيفت إليه كرمان وغيرها وجمع ثروة طائلة، فأصبح من أقوى رجال عصره، ونُكب مع الجوبانيين وسُجن في الأناضول. عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٤١ ؛ الصياد: المرجع السابق، ص٤٧٢، حسن الأمين: المرجع السابق، ص٣٨٩-٣٩٠.

(٥) عباس إقبال: المرجع السابق، ص٣٤١ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤٧٢ ؛ حسن الأمين: المرجع السابق، ص٣٨٩-٣٩٠.

(٦) عباس إقبال: المرجع نفسه، ص٣٥٢.

غدر بابن سيده تمورتاش (حسن الصغير) وحاربه واستطاع أن يستقل بحكم سيواس ومناطق شاسعة حولها سنة ٦٣٨هـ/١٣٣٨م[١] وليحمي نفسه ومملكته أرسل إلى السلطان المملوكي الناصر بن قلاوون وطلب منه تقليداً، فبعث إليه ما أراد، فأقام الخطبة باسم السلطان الناصر، وضرب اسمه على النقود وأرسل عينة منها إلى القاهرة، واستمر على ولائه وتبعيته للدولة المملوكية[٢].

وعلى العموم، فإن الفترة التي فصلت بين هروب تمورتاش إلى مصر، ووفاة آخر حكام دولة المغول الإيلخانيين (بوسعيد) ومقدارها سبع سنوات، لم يعد في آسيا الصغرى دولة مركزية واحدة إذ لم يكن هناك والٍ يملك مميزات تمورتاش وبدأ الانهيار في السلطة واضحاً أكثر من أي وقت مضى[٣] على أنه بعد وفاة بوسعيد تفتت دولة المغول الإيلخانيين إلى ما يربو على عشرين دويلة[٤] وانخرطوا في حروب وصدامات، حتى لم يقم لهم بعدها قائمة' وظهرت في آسيا الصغرى وحدها أكثر من عشر إمارات تركمانية، وإن كان كثيرٌ منها قد نشأ في ظل الدولة الإيلخانية قبيل سقوطها.

٣- نشأة الإمارات التركمانية:

سبق أن أوضحنا في التمهيد الذي تصدر هذا البحث، أن للتركمان هجرتان كبيرتان إلى آسيا الصغرى أُخراهما كانت عشية الزحف المغولي على المنطقة.

---

(١) أي بعد وفاة السلطان بوسعيد بسنتين. انظر: الدرر الكامنة، ج١، ص٣٧١.

(٢) العمري: مسالك الأبصار، السفر٣، ص١٦٢. وتوفي أرتنا المذكور سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م. ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص ٣٧١.

(٣) عثمان توران: الأناضول في عصر السلاجقة، ص٢٩ ؛ الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤٦٤. Cambridge History Of. Iran. p. 411-412.

(٤) قاسم غني: تاريخ عصر حافظ أبرو، طهران ١٩٤٢م، ج١، ص٨٩ ؛ كرافولسكي: العرب وايران ص ١٩٧.

وفي مستهل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، توسع التركمان نحو غرب الأناضول، وشرعوا في عملية "تتريكها" وبأعداد غفيرة[1].

ورغم وراثة المغول الإيلخانيين للسلاجقة في هذه الفترة، إلا أن سلطتهم في المنطقة لم تمتد فوق المساحة نفسها ولم تتغلغل العمق نفسه، فكانت سيطرتهم على شرقي آسيا الصغرى واضحة جلية، لكن في غربيها كان اهتمامهم مركّزاً على المدن الكبرى، لجني الأرباح منها، دون الاكتراث بمناطق الحدود التي تسمى "الأوج" وما يقطنها من قبائل التركمان.مما أتاح لهم فرصة للخروج على السلطة بين الفينة والأخرى[2].

وبعد اضمحلال دولة سلاجقة الروم، تشكلت على الحدود الأبعد عن وسط آسيا الصغرى الإمارات التركمانية وكان لبعضها جذور عميقة، حيث غُرست بذورها، بواسطة وزراء ومسئولين سابقين في دولة سلاجقة الروم نفسها.

ومنهم على سبيل المثال: معين الدين سليمان البر وانه، وفخر الدين علي (صاحب عطا)، حيث أقام أبناء الأول إمارةً لهم في توقات وسينوب، وأبناء الأخير في "قرة حصار دولة" وما جاورها[3].

وهناك عوامل أخرى أسهمت في ظهور تلك الإمارات ونموها، منها ضعف السيطرة المغولية، واستغلال أولئك التركمان مجاورتهم للحدود البيزنطية، فتوسعوا كثيراً على حسابها، مطلقين صيحات الجهاد، ومشكلين تجمعات قبلية، لم تلبث أن تحولت إلى إمارات وممالك[4].

ويمكن تقسيم تلك الإمارات جغرافياً إلى إقليمين رئيسيين.إمارات الإقليم الشرقي، وهي حول مدن "سيمرى "**Simere**" "وسامسون" "وباثرا،

(1) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 651.
(2) ahen :The Mongols And Near East. "Setton. VII. P. 729.
(3) Cahen :Pre Of Ottoman Turkey. P. 342.
(4) Cambridg History Of Islam Vol,IV, P. 263

"Bathra" وإمارات الإقليم الغربي حول قصطمونية، وقرة حصار، وأفيون، وكوتاهيه ولاديق "دينزلي".ومن الملاحظ أن كل هذه المدن من قصطمونية شمالاً، إلى خليج ماركي في الجنوب هي متاخمة للحدود البيزنطية، ومع مرور الأيام، أصبحت إمارات الإقليم الغربي – كما سنرى – هي الأهم، وتبعاً لها أمراؤها هم الأهم أيضاً[١].

ويمكن القول أن تلك الإمارات المختلف في عددها[٢].كان بعضها تابع لبعض، رغم أن العمري يذكر عن مصادره[٣] أن كل إمارة منها كانت مستقلة بذاتها ولا تدخل في شئون جيرانها[٤].لكن الدراسة الدقيقة تثبت عكس ذلك[٥].

وقد تعرضت معظم تلك الإمارات إلى ضغط شديد من قبل الوالي المغولي تمورتاش بن جوبان.لكن بعد زوال دولته ودولة أبيه، عادت تلك الإمارات إلى الظهور من جديد.وبصورة أقوى من سابقتها[٦].

وقبل أن نتناول بالدراسة التفصيلية الإمارات التركمانية، لعل من المناسب الاستمرار في تعداد القواسم المشتركة بينها.فبالإضافة إلى المواقع،

---

(١) العمري: مسالك الأبصار، السفر ٣، ص١٥٤ – ١٦٧. وقد فصّل الحديث عن مواقعها مبتدءاً بالشمال ومنتهياً بالجنوب. Cambridg History Of Islam Vol,IV. P263.

(٢) هناك من قال إنها عشر إمارات. وقيل المشهور منها: ستة عشر إمارة. كوبرلي: قيام الدولة العثمانية. مقدمة المترجم ص٢١.
ومن قال إنها إحدى عشرة إمارة: مسالك الأبصار، السفر ٣، ص١٥٥، وقد رد هذه الرواية على مصدرها "الشيخ حيدر العريان"، ونوّه إلى أنها أكثر من ذلك.
ومن قال إنها كم هائل دون تحديد رقم معين:
CahenPre Of Ottoman Turkey. P. 310. Bol, Leln: The Successors Of The Seljuk in Asia Minor. JRAS. 1882- P. 773.

(٣) ومصادر العمري التي صرح بها في مصنفه: مسالك الأبصار، هما: الشيخ "حيدر العريان السير حصري الرومي"وهو من أهل مدينة سير حصري، و"بلبان الجنوي" وهو من أهل جنوة، وذكر أن بلبان الجنوي أكثر دراية من الشيخ حيدر، مسالك الأبصار السفر ٣، ص١٥٤. وسترى معلومات مبالغ فيها بشكل واضح.

(٤) مسالك الأبصار، السفر ٣، ص١٥٤.

(٥) انظر ما يلي من هذا البحث.

(٦) العمري مسالك الأبصار، السفر ٣، ص١٣٩، وانظر ما سبق، ص، من هذا البحث.

والتوسع على حساب الممتلكات البيزنطية، فإن لتلك الإمارات عملات مختلفة لكنها -كما يقول العمري - عبارة عن دراهم؛ والدرهم في الغالب يساوي نصف أو ربع الدرهم المملوكي، كما أن الوزن عندهم بالرطل، ويختلف من إمارة إلى أخرى لكن غالبها بالتقريب يساوي زنة أثنى عشر رطلاً مصرياً.وأقلها زنته ثمانية أرطال، أما الغلال فتباع بمكيال لهم يعرف يسمى "آلوط" وهو تقريباً يساوي إردب ونصف بالمصري[1].

واخترت أن تكون تلك الإمارات مرتبة حسب الحروف الأتجدية العربية.

أ- إمارة أبناء أشرف "Esref ogullari":

بنو أشرف، طائفة من التركمان، وربما من أجدادهم من كان كردياً[2].حدد العمري موقعها بأنها في شمال بلاد الروم.إلى الغرب من إمارة ابن جاندار، وجنوب بلاد قرمان، وشمال شرق ممتلكات دولة المغول الإيلخانيين[3].التي كما هو معروف تسيطر على شرق ووسط آسيا الصغرى، وتقدر مساحتها بستة عشر ألف كم^2 تقريباً[4].وتضم مدناً عديدة - يبالغ فيها العمري - بناءً على مصادره - ويجعلها خمساً وستين مدينة[5].منها بيشهير - القريبة من قونية - وأولوبرلو، وأغريدير، وحامد آباد (أسبرطة الحالية) وفي أوقات معينة سيطروا على أيغورم[6].

مؤسس هذه الإمارة، هو الأمير سيف الدين سليمان بك ابن أشرف، وكان من زعماء التركمان المناصرين للسلطان السلجوقي كيخسرو الثالث، وبعد إعدام المغول للسلطان المذكور، وتنصيب ابن عمه مسعود الثاني خليفة له

---

(١) مسالك الأبصار، من السفر ٣، ص١٥٤.

(٢) Cahen :Prc Of Ottoman Turkey. P. 305.

(٣) مسالك الأبصار، السفر٣، ص١٦٥.

(٤) يلماز: المرجع السابق، ج١، ص٧٦.

(٥) يلماز: المرجع نفسه، ج١، ص٧٦؛ Cahen :Op. Cit. . P. 305.

(6) Ali: Esref ogullari Hakkinda Brikac, Soz "a. e. . . V/ 28(1330)" S. 251-256.

وثـار سيف الـدين سـليمان علـى السـلطان الجديـد ، وانضـم إلى القرمـانيين في معارضتهم له[1].

ويبدو أن خروج سليمان بك على السلطة السلجوقية والمغولية الحاكمة لم يستمر طويلاً ، حيث عاد و أعلن ولاءه لها ، وجاء إلى قونية وبايع السلطان مسعوداً الثاني.وعكف سليمان بن أشرف بعد ذلك على الاهتمام بما تحت يده من البلاد ، خاصة مدينة بيشهير (ومعناها مدينة الأمير) حتى غدت تعرف في زمانه بسليمان شهير (مدينة سليمان) وإن كان تغيّر أسمها فيما بعد ، وأصبح "سيدي شهير".حيث بنى فيها قلعتان إحداهما في جمادي الأولى سنة ٦٨٧هـ/ يونيو ١٢٨٨م.وهي قلعة "سليمان شهير" كما هو واضح من النقش المكتوب على بابها[2].

وعندما ثار ركن الدين قلج أرسلان بن كيكاوس الثاني على أخيه السلطان مسعود الثاني، في حدود سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م.طلب السلطان من بني أشرف مساندته ضد الثوار.فتمكنوا من القبض على زعيمهم ركن الدين قلج أرسلان وأودعوه السجن في قلعة "بيران شهر"[3]، لكنهم اضطروا إلى إطلاق سراحه بعد التهديد القوي الذي ورد إليهم من القرمانيين الذين كانوا يساندون ركن الدين وثورته، وكانوا أقوى إمارات التركمان [4].

ويبدو أن علاقة بني أشرف مع أبناء قرمان لم تكن ودية ، حيث اختلف الطرفان أكثر من مرة حول السيطرة على قونية – عاصمة سلاجقة الروم – ويرى أحد الباحثين أن هذا هو السبب في انصراف بني أشرف عن مدّ نفوذهم نحو قونية ، والتوجه بدلاً من ذلك نحو الغرب والتوسع على حساب الممتلكات

(١) عن القرمانيين، انظر ما يلي، ص، من هذا البحث.

(٢) Omar Tekin –Recep: Bilginer Beysehir Ve Esref ogullari Eskise hir , 1945, S. 70 – 75.

(3) Lane Pool: Myavuz Suslu – Esref Ogullari – Tarihi – Beysehir Kilvuzu, Konya. 1934, S. 42-47.

(٤) انظر ما سبق ص من هذا البحث.

البيزنطية هناك[1] ومن الملاحظ أن سيف الدين سليمان بك كان ميالاً إلى التشييد والعمران، والجامع الذي بني في عهده في مدينة بيشهير يعد أنموذجاً للعمارة التركية، في هذه الفترة، وقد ابتدأ البناء فيه سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٧م وانتهى سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠١م[٢] وبعد عام واحد من ذلك، وتحديداً في الثاني من محرم سنة ٧٠٢هـ/ السابع والعشرين من أغسطس ١٣٠٢م توفي سيف الدين سليمان، ودفن بجوار الجامع المذكور أنفا في مدينة بيشهير[٣].

ترك سيف الدين سليمان بعد وفاته ولدين، هما مبارز الدين محمد وأشرف، وخلفه على إمارة بني أشرف ابنه البكر "مبارز الدين محمد". الذي أخذ في توسيع رقعة إمارته، وضم إليها مدن آمدشهير وبولوادن وفي عهده، جاء القائد المغولي الكبير، جوبان نوين بحملته المشهورة إلى آسيا الصغرى، فكان من الوافدين عليه من أمراء التركمان، زعيم أشرف مبارز الدين محمد حيث اعترف بالسيادة المغولية[٤] وأيضاً، ليس معروفاً على وجه الدقة، تاريخ وفاة مبارز الدين محمد، لكنه بالتأكيد بعد عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م إذ في هذا التاريخ، كان قد تم الانتهاء من بناء مسجده الجامع في مدينة بولوادن، وهذا ما تؤكده الوقفية الخاصة به، والمنقوشة على بابه[٥].

وخَلَفَ مبارز الدين محمد بك في زعامة بني أشرف ابنه سليمان بك، وهو الثاني من هذه الأسرة الذي يحمل هذا الاسم وذكرت بعض الروايات الصوفية، أنه كان منتسباً إلى الطريقة المولوية، ودخلها عن طريق عارف جلبي حفيد مؤسس الطريقة، جلال الدين الرومي، والذي تذكر الروايات أنه زار

(1) Cahen :Pre Of Ottoman Turkey. P. 305.

(٢) رحلة ابن بطوطة، ج ١، ص ٣٢١ ؛
Yialmaz, Oinge: " Konya – Beysehir de Esref Oglu Suleyman Bey Hamami VD. VII (1968). s. 139-144.

(3) Yialmaz Op. Cit. s. 150.

(4) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 639.

(5) Yialmaz: "Konya – Besehir .... " S. 139.

مدينة بيشهير، والتقي زعيم بني أشرف آنذاك، مبارز الدين محمد بك وابنه سليمان[1].

وتزامن عهد سليمان بك الثاني مع تولي الأمير المغولي تمورتاش لولاية الأناضول، وموقفه من الإمارات التركمانية غير خافٍ، فقد سعى لاستئصالها أو على الأقل إخضاعها بصورة تامة.وكان لإمارة بني أشرف نصيبها من مخطط الوالي المغولي القوي، حيث اقتحمت جيوشه مدينة بيشهير.ووقع سليمان بك الثاني في أسره، فسامه العذاب، وألقاه في بحيرة بيشهير، فمات غرقاً، وقيل إنه مثّل به "وقطع أنثييه و علقهما في عنقه"[2].وذلك في الحادي عشر من ذي القعدة سنة ٧٢٦هـ- ١٣٢٦م.وبذلك يكون تمورتاش قد قضى على دولة بني أشرف[3].

وكان العُمري قد ذكر أن إمارة بني أشرف في عهد سليمان بك الثاني تضم خمس وستين مدينة، ومئة وخمس وخمسين قرية، وعدد عساكره سبعين ألف فارس.وهي أرقام لا تخلو من المبالغة[4].

وبعد فرار تمور تاش إلى مصر، آلت ممتلكات بني أشرف التي انتزعها منهم إلى إمارة بني حميد[5].

ب- إمارة أبناء آيدين "Aydinogullari":

مؤسس هذه الإمارة، هو مبارز الدين بك بن آيدين بك، وكان أحد قادة جيش "كرميان" في عهد زعيمهم يعقوب بك[6].وقد تولى مهمة فتح المناطق البيزنطية المحاذية لبحر إيجه، وبعد أن نجح في ذلك استقر في تلك المناطق

(1) Eflaki: OP. Cit, II. S. 309-323.

(٢) العمري، مسالك الأبصار، السفر ٣، ص١٦٥ ؛ Edhem, Halil:Gharbi Anatolyda Tavaif – Muluk,Istanbul,1332. s. 73- 76.

(3) Edhem, Halil :Op. Cit. s. 78.

(٤) مسالك الأبصار، السفر ٣، ص١٦٥.

(5) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 620.

(6) Himmet Akin: Aydin Ogllari Tarihi Hakkind Bir Arastima, Ankara. 1968. S. 12-14.

الواقعة غرب الأناضول، واستقل بإمارته عن كرميان، ونسبت إلى أبيه آيدين بك[١].

وبدأ محمد بك يوسع حدود دولته، وشرع منذ سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤م في حروب لتحقيق هذه الغاية، وكان من الذين تصدوا له، أحد أصهار زعيم بني منتشا المدعو "ساسابك Sasa bey" والذي كان يسيطر على مدينة يرغي ونواحيها، وقد استعان بالبيزنطيين في حربه ضد محمد بك بن آيدين، لكنه خسر الحرب، وقُتل في إحدى معاركها سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م، واستولى محمد بك على المناطق التي كان يحكمها، وأدخلها تحت رايته[٢].

وضم مبارز الدين محمد بك أيضاً مناطق ومدناً مهمة إلى دولته انتزع بعضها من البيزنطيين، والبعض الآخر من أمراء تركمان معاصرين له، فاستولى على أزمير، وأيا صلوخ وتيرا وسلطان حصار وكان لمبارز الدين محمد بك غزوات مشهورة ضد البيزنطيين وغيرهم من النصارى، خاصة الجنويين، وكان يملك أسطولاً بحرياً قوياً، قاده ابنه عمور بك فهاجم جزراً في بحر أيجه واستولى على بعضها ومنها: "بورتآبا Burtapa، وأعربيوس Arabyus، ودمورا Domura"[٣].

وتدخّل محمد بك في الصراع بين النصارى، ووقف إلى جانب البيزنطيين في صراعهم مع الجنويين، حتى تمكنوا من انتزاع جزيرة صقس من يد حاكمها مارتينوس الجنوي، وضيقوا الحصار على مدينته الأخرى فوجا وكان أسطوله في هذا الحوادث بقيادة ابنه عمور بك[٤].

---

(١) انظر ما يلي من هذا البحث

(2) Himmet Akin: Opcit. S. 22-23, Ahmed Tevhid: "Rumselcuki Deve le ti " nin Inkiraziy le Tesekkul Eden Tawif Mulak TOFM 1/1 "1326" S. 35-40 , 1/3 S. 191-199.

(3) Ahmed Tevhid: "Rumselcuki Develeti … 1/3 S. 42-43.

(4) Kopruiu Zade M. F.: Anadolu Beylikleri Tarihi in Ait Not Lar "T, M. 11" (1928). S. 97-99.

وذكر ابن بطوطة أنه اجتمع بمبارز الدين محمد بك في بيته الصيفي في مدينة "يوصداع عند زيارته لها في حوالي سنة ١٣٣٣/٧٣٣م وأنه رافقه في سفرته من يوصداغ إلى بورغثي.حيث شاهد في الأخيرة قصر بني آيدين[١].

وكان محمد بك بن آيدين مهتماً بعمارة إمارته، ومن أثاره فيها مسجد أو مدرسة أمر ببنائهما في مدينة برعثي[٢].

كما كان محمد بك، مهتماً بالعلماء، وتصنيف الكتب، وفي عهده، ، ترجم كتاب الثعالبي[٣]."عرائس المجالس" إلى اللغة التركية. وتُرجم كتاب "تذكرة الأولياء[٤]".من الفارسية إلى التركية أيضا، وأُهديت له[٥].

ويتكلم العُمري عن بني آيدين في هذه الفترة، فيذكر بمبالغة كبيرة . أن لهم ستين مدينة وأكثر من ثلاثمئة برج وقلعة، وسبعين ألف فارس، ولهم أسطول مرهوب الجانب في البحر، ولهم مع أعدائهم بواسطته حروب كثيرة[٦].

بعد أن توسعت مملكته، استقر مبارز الدين محمد بك في العاصمة(برغي) بينما أرسل أبناءه ليحكموا في المدن المهمة التابعة له، حيث وجه ابنه عمور بك إلى أزمير، وابنه الثاني خضر بك إلى أياصلوخ، وابنه الثالث إبراهيم بهادر بك إلى مدينة أوداميا، وابنه الرابع سليمان بك، مدينة كيرا، فيما بقي ابنه الأصغر عيسى بك معه في العاصمة[٧].

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٣٢٣

(2) Himmet. AkinOp. Cit. S. 40-42.

(٣) الثعالبي: أبو منصور عبد الله بن محمد بن إسماعيل ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م، مقدمة محققي كتاب تحفة الوزراء.

(٤) تذكرة الأولياء، كتاب فارسي لفريد الدين محمد بن إبراهيم، المعروف بالعطار، المتوفى سنة ٦٢٧هـ/١٢٢٨م. وهناك كتاب باللغة التركية، يحمل العنوان نفسه، مصنفه: سنان الدين يوسف بن خضر الشهير بخواجه پاشا، المتوفى سنة ٨٩١هـ/١٤٨٦م. حاجي خليفة: كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج١، ص ١٢٤.

(5) Ahmecl Tevhid "Rumse Lcuki Develeti" S. 55-56.

(٦) مسالك الأبصار السفر ٣، ص١٧٧.

(7) Ahmecl Tevhid "Rumse lcuki 1/1 S. 45-50, Koprulu. M. F :Anadolu Beylikleri Tarihi S. 120-122.

وفي سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٤م، خرج محمد بك بن آيدين إلى الصيد، وأصابته بلل، فتأثر بالبرد، فمرض ومات، ومقبرته معروفة في برغي[١].

ج- عهد بهاء الدين عمور بن محمد بك:

بعد وفاة مبارز الدين محمد بك، خلفه في الحكم ابنه بهاء الدين عمور بك، ويبلغ من العمر خمساً وعشرين سنة، وكان يستشير بقية أخوته في أمور دولته[٢].

وسار عمور بك على سياسة والده في محاربة أعدائه وصد هجوماً صليبياً كبيراً ضد أزمير، وأنقذها من أيديهم، ونال شهرة واسعة، واتفق مع بني صاروخان[٣] بك على توحيد الجهود ضد أعدائهم من نصارى أوربا، وكوّنا أسطولاً مشتركاً، تم به غزو جزيرة "آموراAmura "[٤]وتحصلوا منها على غنائم وسبايا كثيرة[٥].

واستطاع عمور بك، انتزاع مدينة "الآشهير Alasehir"[٦] من يعقوب بك الأول زعيم كريميان.واستمر عمور بك أيضاً على سياسة والده في التدخل في الصراع بين البيزنطيين والجنويين، حيث وقف – ومعه بنوصاروخان – مع الإمبراطور البيزنطي "آندرينيكوس الثالث Andri nikus III"، وأمده بقوة بحرية، فاستطاع انتزاع جزيرتي ميدلي، وقوتا، من الجنويين.ومكافأة له، تسلم عمور بك من البيزنطيين جزيرة صقرس، وتنازل لهم عن مدينة الآشهير وكانت تلك قمة العلاقات الودية بين الجانبين.ولم يتردد عمور بك، في مد يد

(1) Himmet :Op. Cit.: S. 52-53
(2) Ibid. . S. 55.

(٣) عن بني صاروخان، انظر ما يلي.
(٤) آمورا: جزيرة في بحر إيجه، واليوم هي تابعة لليونان.
(5) Ahmed Tevhid: Rumse lcuki. 1/3 S. 120.
(٦) الآشهير تعرف اليوم باسم فيلادلفيا.

العون لأصدقائه البيزنطيين، عندما طلبوا مساعدته لإخماد ثورة قام بها الألبان، وتم إخماد تلك الثورة[1].

واشترك زعيم بني آيدين مع البيزنطيين أيضاً في غزوهم لمدينة "أثينا" عاصمة اليونان، ولمدينة أغريبوس، بل وحتى غزو سواحل البحر الأسود نواحي كيلي وأفلاق وكان الأسطول المشترك يضم ثلثمئة سفينة تقريباً، وكان ذلك في سنة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٨م[٢].

د- إمارة أبناء تكة: "Teke Ogullari"

بنو تكة هم فرع من بني حميد، ويقال لهم أيضاً (بنو حميد فرع أنطالية)وتكة اسم أو لقب لأحد الأمراء من بني حميد، وفي التسلسل التاريخي هو يأتي بعد مبارز الدين محمد بك[٣]ويقال إنهم جاؤا من أوج أغريدور[٤].

وهناك من يرى أنهم سمّوا بآل تكة بعد سيطرة أسرتهم "بني حميد" على أنطالية ونواحيها[٥]، وربما ظهر هذا الاسم لأول مرة في سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م[٦].

ومهما يكن من أمر، فإن يونس بك بن حميد تولى حكم أنطالية في عهد أخيه فلك الدين دوندار Dundar[٧] وبعد وفاته خلفه على أنطالية، ابنه محمود بك بن يونس، وهو الذي سلم عمه فلك الدين إلى الوالي المغولي تمور تاش ابن جوبان[٨].

(1) Ahmedtevhid: Op. Cit. 1/3 S. 255. Himmet Akin: OP. Cit. S. 65-66.
(2) Ahmedtev hid: Ibid. 1/3. 209, Koprulu :Anadolu Beylikleri Tarihi. S. 120-122.
(٣) انظر ما يلي من هذا البحث.
(4) Ali Teke: Emareti" TTEM" Sene 14. Sagi 2 (79). 1340. s. 23-25.
(٥) انظر ما يلي من هذا البحث.
(6) Ahmed Tevhid: Rumselcuki: 1/3. S. 60-61.
وانظر: علي محمد الغامدي: أنطالية في عصر الحروب الصليبية، ص٦.
(٧) انظر ما يلي من هذا البحث.
(٨) انظر ما يلي من هذا البحث.

وكان محمود بك بن يونس موالياً ومناصراً لتمورتاش حتى أنه خرج معه إلى مصر، وترك بلاده، فاستولى عليها أخوه سنان الدين خضر بك، وهو الذي ذكرى العمري أنه يسيطر على اثنتي عشرة مدينة، وخمسة عشر قلعة، وتحت إمرته ثمانية آلاف جندي[١].وألتقى به ابن بطوطة في رحلته إلى أنطالية في حوالي سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢ – ١٣٣م[٢].

وليس معلوما على وجه الدقة متى كانت نهاية عهد خضر بك هذا؟ لكن بعض الروايات أشارت إلى أن ابنه داوود بك خلفه في إمارة أنطالية[٣].فيما أنطالية[٣].فيما ذكرت روايات أخرى أن محمود بك بن يونس، عاد من مصر، واستعاد الحكم في أنطالية[٤].

ومن المعروف أن مبارز الدين محمد بك بن محمود بك كان يسيطر على أنطالية وقورقرالي ونواحيها وله حملات جهادية ضد أهالي جزيرة قبرص وحكامها وهذا يرجح رواية أنه تولى الإمارة خلفاً لوالده، وبعد عودة الأخير من مصر[٥].

هـ- امارة أبناء جاندار:Gandar Ogullari

سبقت الإشارة إلى التمرد الذي قادة قلج أسلان بن كيكاوس الثاني، ضد أخيه السلطان مسعود الثاني، وسانده فيه بعض التركمان، وكان من حوادثه وقوع السلطان السلجوقي في الأسر.لكن قوات مغولية – وبمساندة عناصر تركمانية – تمكنت من تخليص السلطان من الأسر[٦].وكان من أمراء التركمان الذين أبلوا بلاءً حسناً لإنقاذ السلطان مسعود الثاني الأمير

(١) العمري: مسالك الأبصار، السفر ٣، ص١٥٥-١٥٦.
(٢) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٣٢٩.
(٣) العمري: مسالك الأبصار، السفر ٣، ص١٥٥-١٥٦.
(٤) العمري: المصدر نفسه، والسفر والصفحة.
(5) Suleyman Fikri: Antaliye Livasi Tarihi. Istanbul,1338. S. 21.
(٦) انظر ما سبق، ص، من هذا البحث.

"شمس الدين يمان جاندا "Yaman Gandar"ومكافأة له على بلائه هذا ، أقطعه السلطان السلجوقي منطقة قصطمونية ، والتي تضم أيضاً سينوب وما حولها ، وكان متوليها السابق الأمير "مظفر الدين البيورك يولاق أرسلان" قد قُتل في معارك التمرد المشار إليه آنفاً وبمقتله انتهى حكم أسرة الأمير "جوبان" السلجوقي، وقد بارك السلطان المغولي أولجايتو هذا الإجراء[١].

وعلى الرغم من عدم معرفتنا لحدود إمارة جاندار في عهد مؤسسها شمس الدين يمان جاندار، ولا تاريخ وفاته إلا أنه يمكن ترجيح أن ذلك وقع في مستهل القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي[٢].

وتشير الروايات إلى أن ابناً لمظفر الدين البيورك يولاق أرسلان، الحاكم السابق لقصطمونية ، ويدعى شمس الدين محمد بك، قام بمحاولة لاستعادة حكم المناطق التي كانت تحت سيطرة أبيه وجدّه من قبله، ويبدو أنه انتهز فرصة وفاة حاكمها شمس الدين يمان جاندار، لتحقيق أغراضه واستطاع فعلاً الاستيلاء على قصطمونية ، التي خرج منها شجاع الدين سليمان باشا بن شمس الدين يمان جاندار، والتجأ إلى أفلاني "Aflani" وفي هذا دليل صريح على أن سليمان باشا خلف والده في حكم هذه المناطق[٣].

كان انسحاب سليمان باشا بن جاندار إلى أفلاني بهدف تنظيم أنصاره، وبعد أن تحقق له ذلك، كر على قصطمونية وحاصرها بشدة ، واستطاع جنوده اقتحام قصر شمس الدين محمد بك بن مظفر الدين وقتله وذلك في السادس والعشرين من محرم، سنة ٧٠٩هـ/ ١٦ يوليو ١٣٠٩م.[٤]

بعد ذلك استقرت الأوضاع في قصطمونية ونواحيها لسليمان باشا ، والذي امتد نفوذه إلى سينوب ؛ واعترف بسيادته أميرها غازي جلبي وهو من ذرية معين

(1) Yasar Yucel: Goban Ogullari Gandar Ogullari Beylikleri, Ankara, 1988, S. 53-57.
(2) Yasar Yucel: OP. Cit. S 62.
(3) (Ahmed Tevhid: Rumselcuki 1/3 S. 58, 1/3. S. 240
(4) Yasar Yucel: OP. Cit. S 69.

الدين سليمان بروانه، وبعد وفاة غازي جلبي في حدود سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م.ضم سليمان باشا كل ما تركه من ممتلكات ومنها ميناء سينوب(١).

اتصف سليمان باشا بحسن السياسة والتدبير فما فتئ يظهر الولاء لدولة المغول الإيخانيين، ويدفع لخزانتها ضريبة سنوية، ولم يقطعها إلا من بعد عام ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م، عندما ضعفت السيطرة المغولية على المنطقة(٢).

وارتبط سليمان باشا بعلاقة قوية مع الأمير المغولي الكبير جوبان نوين، وابنه تمورتاش فجنب إمارته الدخول في صراع مع الوالي المغولي في آسيا الصغرى(٣).

بعد ارتخاء قبضة المغول الإيلخانين على آسيا الصغرى، قطع سليمان باشا علاقته بهم، وبعد وفاة أخر سلاطينهم "بو سعيد"، أظهر الاستقلال وسك عملة خاصة به(٤).

وكما هي عادة الأتراك في الإدارة قسّم سليمان باشا مملكته بين أبنائه، فعين ابنه غياث الدين إبراهيم والياً على سينوب.أما ابنه الأخر على بك فأعطاه منطقة تراقلو بولو.وذكر أبن بطوطة أن له أبناً ثالثاً يدعى جوبان، وكان مع أبيه في العاصمة، وقد جعله ولياً للعهد.وأشار ابن بطوطة أيضاً إلى أنه التقى بسليمان باشا، وابنيه إبراهيم وعلي.وقدّر عمر سليمان باشا بسبعين سنة، ووصفه بأنه طويل القامة، طويل اللحية، طلق المحيا، كثير التبسم، وقور ومهاب، يكثر مجالسة الصالحين والعلماء(٥).

(1) Kouprulu:Anadolu Beylikleri Tarihi , S. 115-116; Yasar Yucel: OP. Cit. S. 69-72.
(2) Edhem, Halil:Gharbi Anatolyda Tavaif –Muluks88;Taran:Selçuklular, Zamaninda Türkiye. S. 653

(٣) العمري: مسالك الأبصار، السفر ٣، ص١٥٧.

(4) Amed Tevhid: Muze-i Humayun. Meskukat Kadim-Islamiyye Katalogi Istanbul 1321. s. 19-20.

(٥) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص ٣٥٣، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٣٤١، ج٨، ص١٤.

وفي حديثه عنه يقول العمري: ويشهد على تقدير سليمان باشا للعلماء، قيام العلامة محمود بن مسعود الشيرازي بإهدائه كتاب "الانتخاب السليماني" الذي فرغ منه في شهر محرم سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م وهو اختصار لكتاب "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي وهو باللغة الفارسية[١].

كما يشهد على ذلك أيضاً، اهتمامه بالمدارس، فقام بترميم المدرسة التي بناها مظفر الدين البيورك، في مدينة "قاشقرد"، إذ ورد في نقش عليها: "...أمر بعمارة هذه المدرسة المباركة المرحوم المغفور له السعيد الشهيد مظفر الدين ياولاق..فأقيمت بعد وفاته بالإشارة العالية، من حضرة المولى المعظم معدن الجود والكرم، كتف الغزاة، قامع الطغاة، قاهر الكفرة والمشركين، بهلوان أعظم، شجاع الدولة والدين سليمان بن الأمير الكبير المرحوم بدر الدين[٢] جاندار أمد الله أيام دولته وحرس حوزة الإسلام بمثالته، في شهور سنة تسع وعشرين وسبعمائة"[٣].

وليس معلوماً تاريخ وفاة سليمان باشا، لكنه كان بعد وفاة السلطان المغولي "بو سعيد" وورد أنه اندلع خلاف بين أبنائه، وتطور إلى حرب أهلية، وذلك سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م[٤].

و- إمارة أبناء حميد: Hamid Ogullari

يُنسب بنو حميد إلى الأمير "حميد بك"، وهو من زعماء التركمان، وأحد قادة الدولة السلجوقية في عهد السطلان قلج أرسلان الثالث، الذي كلفه بفتح منطقة بيسيديا Pisidi[٥] سنة ٥٩٩هـ /١٢٠٣م، وبعد نجاحه في ذلك، ضم إليه مناطق مجاورة لها منها أغريدر "Egridir"، والسهل الخصب الممتد تحت

(1) Edhem, Halil:Gharbi Anatolyda Tavaif Muluk ,s. 89-90.

(٢) هكذا ورد في هذا النقش "بدر الدين"، والمشهور أنه "شمس الدين".

(3) Yasar Yucel: OP – Cit. S. 202.

(4) Edhem, Halil:Gharbi Anatolyda Tavaif –Muluk, s. 101.

(٥) بيسيديا الرومانية، في نواحي أسبرطة الحالية هايد: المرجع السابق، ج٤، ص١٢٧.

"الجبل الأبيض" آل داغ " ومنطقة أيلواج وأيرلو، واستوطنها حميد بك مع قبيلته، وأصبحت تلك المناطق تعرف بولاية حميد وكذلك الجبال المحيط بها "حميد أيلي"[1].

وبعد وفاة حميد بك خلفه في ولايته ابنه إلياس بك وبعد انهيار دولة سلاجقة الروم، وضعف السلطة المغولية في آسيا الصغرى، في مطلع القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي وظهور الإمارات التركمانية، برزت إلى الوجود إمارة حميد على يد مؤسسها فلك الدين دوندار **Dondar** بك، بن إلياس بك بن حميد الذي مد نفوذ الإمارة لتشمل مدينتي: "قل حصار"[2]، وأنطالية، وأصبحت حدوده ملاصقة لإمارة كرميان في لاديق ونواحيها[3].

وفي عهد المؤسس فلك الدين، أعيدت عمارة مدينة "أيريديس **Erdis**" وأصبحت مدينة محصنة وقوية وحملت أسمه وصارت تعرف بـ"فلك آباد" وبعد استيلائه على أنطالية سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م، قام فلك الدين دوندار بتسليمها لأخيه يونس بك ليحكمها نيابة عنه[4].

ويبدو أن استيلائه عليها، هو الذي قصده أبو الفداء في الوصف الشيق الذي أورده عن كيفية استيلاء التركمان عليه والذي ينقله عن بعض أهلها الذي مروا على بلاد الشام في طريقهم إلى الحج سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م، ومفاده أنّ حاكمها – وهو من أهل تلك البلاد – خرج من المدينة والتي كانت محاطة بسورين جعلاها في غاية القوة والحصانة، إلى بعض أرجائها "فكبسه التركمان وأمسكوه وملكوا أنطالية".واستطرد قائلاً إن صاحبها في زماننا هذا واحد من بني الحميد ملوك التركمان في تلك الجهات[5].

(1) Yuzyi ,Llarda Guney-Bat: Anadolu Tarihi Hamid Ogullari Beyligi (dotora te zi 1993). S. 45; Turan: s88;Taran:Selçuklular. s. 645.

(٢) قل حصار: واسمها القديم: استانوس Estanus ، واسمها الحالي: قورقوت آولي"Gorgutoli Ahmed Tevhid: Romselcuki. 1/3. S. 90.

(3) Ahmed Tevhid: OP. Cit. 1/3 S. 92; Yuzyi Llarda Guney-Bati: OP. Cit, S. 67.

(4) Yuzyi Llarda Guney – Bati: OP. Cit, S. 67.

(٥) تقويم البلدان، ص١٨٥ علي محمد الغامدي: انطالية في عصر الحروب الصليبية، ص٦٤.

والجدير بالذكر أن فرع بني حميد الذين حكموا أنطالية كان يطلق عليهم بنو تكة وسبقت الإشارة إليهم وعندما جاء جوبان نوين بحملته العسكرية إلى آسيا الصغرى، في سنة ٧١٤هـ/١٣١٤م وجاء أمراء التركمان يعلنون ولاءهم له، كان من ضمنهم فلك الدين دوندار زعيم بني حميد[١]. الذي التزم بدفع ضريبة سنوية لخزانة الدولة الإيلخانية قدرها أربعة آلاف دينار[٢]. كما عُثر على نقود ضربت في المنطقة التي يسيطر عليها بنو حميد، تحمل أسم السلطان المغولي أو لجايتو محمد[٣].

لكن بعد مضي سنتين على حملة جوبان نوين السالفة الذكر، توفى السلطان أو لجايتو، وخلفه ابنه بوسعيد، ورافق ذلك شيء من الاضطراب خاصة في آسيا الصغرى، فانتهز فلك الدين دوندار بك بن حميد الفرصة، وأعلن استقلاله، وأتخذ لنفسه لقب "السلطان" وشرع في توسيع نفوذه، حتى دخل في طاعته بعض أمراء التركمان المجاورين له مثل: صاروخان، وآيدين، ومنتشا[٤].

وعندما تولى تمور تاش بن جوبان ولاية الأناضول شن على التركمان حرباً ضروساً، وكانت إمارة بني حميد من ضمنها فلم يجد زعيمها فلك الدين دوندار بداً من الفرار منها، فترك عاصمته "آيلدين **Ildin**" والتجأ إلى أنطالية والتي يحكمها ابن أخيه محمود بن يونس، والذي كان يخشى من سطوة الوالي المغولي ولم يتردد في القبض على عمه فلك الدين وتسليمه إلى تمور تاش الذي سارع بإعدامه، وضم الأراضي التي كان يسيطر عليها في نواحي إسبرطة وأيردير وأنهى بذلك حكم بني حميد في هذه المنطقة وذلك سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م[٥]. وقد ذكر العمري، أن دوندار يحكم منطقة تضم تسع

---

(1) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 651.
وانظر ما سبق من هذا البحث.
(2) Fikri Ertem: Antalya Tarihi. Istanbul, 1940. S. 82-90.
(٣) العمري: مسالك الأبصار، السفر ٣، ص١٦٦.
(4) Fikri Ertem :Op. Cit. s. 89-91.
(5) Ibid,s. 95-97.

مدنوخمسة عشر، قلعة وعدد عساكره يناهز الخمسة عشر ألف فارس، ومثلهم راجل[1].

ومهما يكن من أمر، فإن بني حميد – أسوة ببقية أمراء التركمان – تنفسوا الصعداء، بعد فرار تمورتاش إلى مصر، وأعاد خضر بك بن فلك الدين دوندار تأسيس إمارة قومه في أغردير، ومن آثاره هناك مسجد به نقش يحمل اسمه، والمعلومات عن خضر بك وعهده قليلة جداً إلا أنه ضم متملكات بني أشرف التي أنتزعها منهم تمورتاش إبان حملته عليهم.وقد توفى خضر بك سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م[2].

وقد أشرنا في مبحث سابق، أن أحد أفراد أسرة حميد حضر إلى القاهرة رسولاً من قبل القرمانيين في مسألة لجوء تمور تاش إلى مصر.وهذا الرسول هو نجم الدين إسحق بن فلك الدين دوندار، وقيل إنه اعتقل في مصر مدة ثم أطلق سراحه، وقد عاد إلى بلاده بعد سفارته إلى مصر سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م وبقي فيها عند أخيه خضر بك، وبعد وفاة الأخير في التاريخ المذكور.بويع نجم الدين إسحق هذا بالإمارة[3].

وذكر ابن بطوطة – في رحلته إلى بلاد الروم في حدود سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م – أنه التقى نجم الدين إسحق في مدينة أغردير، وأخبره بأنه أدى فريضة الحج عندما كان في مصر.وذكر ابن بطوطة أيضاً أن محمد بك – أخا نجم الدين إسحق – ينوب عن أخيه في حكم "قل حصار"[4].

وليس معروفاً على وجه الدقة متى توفي نجم الدين ابن فلك الدين دوندار، لكن ورد في أحد النقوش على باب المدرسة المظفرية في مدينة بردوس

(١) مسالك الأبصار، السفر ٣، ص١٧٢، والجدير بالذكر أنه يسميها إمارة "عبدلي".
(2) Ibid,s. 99.
(٣) العمري: مسالك الأبصار، السفر ٣، ص١٦٦؛ المقريزي: السلوك، ج ٢، ق١، ص٦١٠. Fikri Ertem: OP. Cit. S. 93-94.
(٤) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٣٤٠.

أن مؤسسها هو الأمير المعظم مظفر الدين مصطفى بك بن محمد بك سنة ٧٥٤هـ/١٣٤٤م.وهو ابن أخي نجم الدين إسحق ويبدو أنه خلفه على الإمارة وأن وفاة نجم الدين كانت قبل هذا التاريخ.

ز- إمارة أبناء صاروخان Sarahan – Ogullari:

صاروخان، الذي تنسب إليه الإمارة هو أحد القادة الكبار في الدولة الخوارزمية، والذين انتقلوا إلى آسيا الصغرى، بعد سقوط دولتهم، واستقبلهم السلطان علاء الدين كيقباذ الأول، لكن خليفته وابنه كيخسرو الثاني قلب لهم ظهر المجن وقتل بعض قادتهم فخرجوا من بلاده.

وإبان الغزو المغولي وسيطرته على وسط آسيا الصغرى، انتقل إتباع صاروخان بك إلى المناطق الغربية من الأناضول بمحاذاة الحدود البيزنطية وهناك أسسوا لهم إمارة وعملوا على توسيعها[1].

ومؤسس الإمارة أسمه أيضاً صاروخان بك ابن "آلفا بك Alfa Bey"، من ذرية صاروخان الخوارزمي المشار إليه آنفاً وقد خاض حروباً عديدة مع البيزنطيين واللاتين ومن ذلك محاصرته لقلعة باميان، ولكنه عجز عن فتحها، وبدلاً من ذلك استولى على مدينة "لاسكاري إيلي Laskari ili" و"ماغنيسياMaghnisya"، سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م.وجعلها عاصمة لدولته[2].

وأنشأ صاروخان بك أسطولاً قوياً كان يغزو به في البحر أحياناً بمشاركة بني آيدين وأحياناً بدونهم.ومن المناطق والجزر التي تعرضت لهجماته مدينة "يوتا Yuta" ومنها كان يأخذ جزية، وهي خاضعة لحكم الجنويين وفي الوقت نفسه كان علي باشا - أخو صاروخان بك – قد سيطر على منطقة "ذيف Thiph" وما حولها، واستقر بها[3].

(1) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye S. 657.
(2) Ahmed Tevid: Saruhan Ve Aydin – ogullari (TOEM euz 10,"Istanbul 1929" S. 47-49.
(3) Ahmed Tevid: Saruhan Ve Aydin – ogullari S. 47-49.

وفي سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٩م جاء الإمبراطور البيزنطي أندر ينيكوس الثالث واجتمع بقادة بني صاروخان وبني آيدين للاتفاق على مواجهة الإمارة العثمانية الناشئة، والتي بدأت تشكل خطراً على الأطراف الثلاثة، ولكن ذلك الاجتماع لم يتمخض عن نتائج ملموسة[1].

وليس معروفاً متى انتهى عهد صاروخان بك.لكن خلفه على عرش الإمارة ابنه فخر الدين إلياس بك، وليس هناك أيضاً معلومات متوفرة حول عهده[2].

ويذكر ابن بطوطة في رحلته إلى ماغنيسيا أن النصارى المجاورين لإمارة صاروخان بك، كانوا يدفعون لهم الجزية[3].

وقد ذكر العمري أن لسليمان بك بن صاروخان بك مدينة شنغلاوتحت إمرته عشرين ألف فارس، وأن جنوده حاولوا عبور المضيق إلى البر والأوربي طلباً للجهاد والتوسع[4].

ح- إمارة أبناء بني عثمان: Ottoman Ogulleri

لا تختلف الإمارة العثمانية في نشأتها عن بقية الإمارات التركمانية المعاصرة لها، فالغموض دائماً هو سيد الموقف إلا أن الإمارة العثمانية – وبعد أن غدت دولة الإسلام الكبرى – نُسجت حول نشأتها، وأصول أبنائها، أساطير عديدة رغم أنها حظيت باهتمام من الباحثين أكثر من بقية الإمارات التركمانية.

وإذا أطرحنا جانباً تلك الأساطير، والتي أثبتت الدراسة العلمية بطلانها- سواءً ما ورد منها في المصادر أو المراجع – فيمكن القول أن العثمانيين، هم من بطن يقال له "قابي" أحد بطون قبيلة أو غور التركمانية

(1) Ahmed Tevid: Op. Cit. S. 47-49.
(2) Ibid, S. 47-49.

(٣) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٣٣٢.
(٤) مسالك الأبصار، السفر ٣، ص١٧٣.

المعروفة بكثرة العدد وأصالة المحتد.وهاجرت تلك القبيلة من ديارها في وسط آسيا إلى آسيا الصغرى إثر تحقيق السلاجقة للنصر في ملا ذكر(١).

كان البطن الصغير قابي، تحت زعامة أرطغرل بن سليمان شاه، وفي عهده السلطان علاء الدين كيقباذ الأول نقلهم إلى أقصى شمال غرب آسيا الصغرى، على الحدود مع الدولة البيزنطية، حيث منحوا إقليم سوكود Sokud فكانوا يرعون فيه مواشيهم في فصل الصيف أما شتاءً فيتنقلون إلى تلال أرمني بلي ودومانيج(٢).

في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي كان أرطغرل أحد بكوات الحدود "أوج بكلريكي" في منطقة سوكود تابعاً لقونية، وخاضعاً لحاكم أقرب الأقاليم إليه وهو أفيون قرة حصار"(٣).

ومن المعتقد أن أرطغرل وجماعته اشتركوا في بعض الحروب ضد المغول إبان غزوهم للمنطقة، كما أنهم أداروا وجوههم نحو الغرب، والشمال الغربي، فاشغلوا أنفسهم بمحاربة البيزنطيين، دون الانزلاق إلى مواجهة الإمارات التركمانية المجاورة لهم، أو حتى المغول وبقايا السلاجقة في وسط آسيا الصغرى، وأصبحت تلك سياسة ميزتهم فترة طويلة(٤).

ومن الفتوحات التي تنسب إلى أرطغرل فتحة لكل من قرة حصار، وكوتاهيه، حيث انتزعها من البيزنطيين(٥).

---

(١) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ٣٠- ٣٥.

(٢) كوبرلي: المرجع نفسه، ص ٣٥.

(٣) واختلفوا في من هو ذلك الحاكم ؟فقيل: علي شير التركماني، وقيل:آمور بيك، زعيم بني آيدين، وقيل: من ذرية الأمير السلجوقي جوبان.) دائرة المعارف الإسلامية، ج١، ص٦٢٥، كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص١٦٣، يلماز: المرجع السابق، ج١، ص٨٧.

(4) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 652

(٥) وهناك رأي بأنه لم يقم بأي حرب ضد البيزنطيين في عهده، دائرة المعارف الإسلامية، ج١، ص٦٢٥.

وأمتد العمر بأرطغرل بن سلميان شاه، حيث توفى في العقد التاسع من القرن السابع الهجري.ترك أرطغرل بعد وفاته، عدد من الأبناء وخلفه في زعامة القبيلة ابنه الأكبر عثمان، وهو الذي تنسب إليه الإمارة والدولة العثمانية(١).

وقد وُصف عثمان بأنه زعيم ذكي وقوي الإرادة، سار على سياسة والده في الانصراف إلى جهاد البيزنطيين دون التدخل في الصراعات الداخلية في آسيا الصغرى، لذلك استقطب حوله الراغبين في الجهاد، وكانوا شرائح مختلفة في المجتمع منهم العلماء والمشايخ والدراويش اتباع الطرق الصوفية.ولعل هذا ما حمل العمري على أن يصفهم –حسب ما نقل إليه – بأنهم فقراء وغير منقادين تماماً لزعيمهم(٢).

وتشير الروايات التاريخية إلى أن أول صدام وقع بين عثمان وأنصاره من جهة والبيزنطيين في جهة أخرى، كان في سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م.حيث خاض العثمانيون، معركة مع الجيش البيزنطي بقيادة "موزايون **Mozaion**" في "قوين حصار" وحقق عثمان نصراً بيناً في المعركة(٣).

ولقد استغل عثمان "الملقب بالغازي" الفوضى والإهمال المسيطرين على الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى، والفتن والاضطرابات التي كانت تعاني منها القسطنطينية في البر الأوربي وحتى مواجهتها مع الإمارات التركمانية في آسيا الصغرى خاصة إمارة كرميات – فأخذ يوسع حدود إمارته غرباً، دون أن يجد مقاومة قوية بل كانت المناطق البيزنطية المحاذية له تدافع عن نفسها بقواتها الذاتية فقط.لذلك حقق عثمان وأنصار نجاحات متتالية وانتزعوا عدة أماكن من خصومهم(٤).

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، ج١، ص٦٢٤-٦٢٥.

(٢) العمري: مسالك الأبصار، السفر ٣، ص ١٧٤-١٧٥، Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye,s. 652.

(٣) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ١٦٣.

(٤) كوبرلي :المرجع نفسه، ص ١٦٣.

وبدأت الدولة البيزنطية تشعر بخطر عثمان وأتباعه، بعد أن كان الخطر مقتصراً على بعض إمارات التركمان القوية، كأبناء كرميان وآيدين.فبدأ الإمبراطور الشاب أندرونيكوس الثالث Andronikas III، يشعر بضرورة التحرك للدفاع عن ما تبقى من ممتلكات للبيزنطيين في آسيا الصغرى، ومنع التركمان من التعدي عليها ولإدراكه صعوبة المواجهة العسكرية، مع كل هؤلاء الخصوم، لجأ إلى سلاح آخر، وهو الشكوى إلى حكام الدولة المغولية الإيلخانية التي لها قوات ونفوذ وسيطرة في وسط آسيا الصغرى، كما أن علاقتها بالتركمان عموماً ليست ودية فوصلت شكاوي الإمبراطور البيزنطي إلى السلطان المغولي غازان، ثم إلى خليفته أو لجايتو، وكان من ضمن الهدايا التي دعم بها الإمبراطور البيزنطي شكواه، أميرة بيزنطية، لتكون عروساً في بلاط السلطان المغولي[(١)].

وقد ذكرت بعض المصادر أن أولجايتو استجاب لنداءات الإمبراطور، وجهز فرقة من ثلاثين ألف مقاتل، ومحلفها بمهمة تعقب التركمان، وصدهم عن الحدود البيزنطية، لكن ليس هناك أي دليل على أن تلك الحملة وصلت إلى مناطق عثمان ورفاقه، أو نجحت في منعهم من المضي قدماً في توسعهم على حساب البيزنطيين[(٢)].

ومع مضي الأيام زادت قوة عثمان، وزاد حماس إتباعه للجهاد، وكان — كما ذكرنا منصرفاً للقتال مع البيزنطيين، دون الاحتكاك بالمغول أو بقية الإمارات التركمانية، وأخذ يتطلع إلى "بروسا Brossa"، ومهد الطريق إلى فتحها بتجريدها من المناطق المحيطة بها، والتي توفر لها نوعاً من الحماية، وبعد أن بقيت بمفردها تقريباً، انقض عليها بجيشه، وتولى ابنه أورخان حصارها[(٣)].وبعد حصار شديد، استطاع أورخان بن عثمان اقتحام المدينة، دون

---

(١) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص١٦٣؛ Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 652.
(2) Turan :Op. Cit, S. 652.
(٣) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص١٦٣.

سفك كثير من الدماء، وبعث إلى والده يبشره بالنصر، ولما جاء البشير، وجد عثمان يحتضر على فراش الموت، وكان يعاني من داء النقرس ولم يلبث أن توفي، في جمادى الأولى، سنة ٧٢٦هـ/ إبريل ١٣٢٦م[١].

يعتبر عثمان بن أرطغرل مؤسس الإمارة العثمانية إذ عاصر تلاشي السلطنة السلجوقية، وظهور الإمارات التركمانية، وإن كانت بعض تلك الإمارات قد سبقت في الظهور وتملك قوة أكبر إلا أن عثمان استطاع أن يغرس أسساً قوية لإمارة تركمانية جديدة[٢].

بعد عثمان تولى الزعامة ابنه أورخان "Orkhan"، ولم يكن أقل منه في الحماسة وقوة الشخصية، واتخذ بروسا – التي فُتحت قريباً – عاصمة لإمارته، وأخذ في توسيع حدود إمارته، وتوطيد دعائم حكمه، وتأسيس جيش جديد وقوي[٣].

وإزاء تفاقم الخطر العثماني على ما تبقى من متملكات بيزنطية في آسيا الصغرى، خاصة نيقية ؛ شن الإمبراطور آندونيكوس الثالث حرباً على العثمانيين سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٩م وفي معركة قرب "بلكانون[٤] Pelekanon"، مُني الجيش البيزنطي بالخسارة، فكانت تلك مقدمة لفتح المدينة، حيث دخلها أورخان بجنوده سنة ٧٣١هـ/ ١٣٣١م وضمها إلى دولته وأكسب ذلك النصر الإمارة العثمانية زخماً جديداً، وسمعة بين الإمارات التركمانية[٥]

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، ج٣، ص٢٦٥؛ Cambridge. History Of Islam ,V:IV. P. 274.

(٢) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص١٦٤.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية، ج٣، ص١٢٦-١٢٧.

(٤) واسمها الحالي، "ماليه".

(٥) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ١٦٤؛ Cambridge. History Of Islam ,V:IV. P. 274.

وقد استمر عهد أورخان بعد ذلك، وأضاف المزيد من الانتصارات والفتوحات، ولكنه خارج النطاق الزمني لبحثنا هذا.ورغم ذلك فإن المعلومات عن عهد أورخان بن عثمان تبقى ناقصة "نقصاً كبيراً"[١].

وقد تحدث العمري عن الإمارة العثمانية في عهد أورخان، وسماها مملكة أورخان بن عثمان مرة، ومملكة بروسا مرة أخرى، وعن حدودها قال: إنها شرق بلاد مراد الدين حمزة، وغربي سمسون وسينوي، وهي مجاورة للخليج القسطنطيني وفي الغرب منها جبل القسيس.ويستطرد العمري في حديثه عن "مملكة أورخان" حيث ذكر لصاحبها "خمسون مدينة" وأكثر من ذلك العدد قلاعاً، أما في حديثه عن عساكرها فذكر أرقاماً متباينة في مواضع مختلفة من كتابه فهم مرة خمسة وعشرون ألف فارس، ومرة نحو أربعين ألفاً، وأما الرجالة فلا يكاد يحصرهم عدد "خصوصاً إذا استجاش وحشد وحاش"[٢].

وسبقت الإشارة إلى أنه وصفهم بأنه قليل غناهم، ووصف رعاياهم بخبث الطوية[٣].لكنه يشيد بجهادهم ضد البيزنطيين، وبعبورهم الخليج إلى البر الأوربي، ويدعو لأورخان وعساكره بالنصر والإعزاز[٤].

ط- إمارة أبناء قراسي: **Karasi – Ogullari**

ينحدر بنو قراسي من سلالة الدانشمنديين الذين أقاموا لهم إمارة في الأناضول وضمت فيما بعد إلى دولة سلاجقة الروم[٥].ومن سلالتهم، الأمير نظام

(١) دائرة المعارف الإسلامية، ج٣، ص١٢٦.
(٢) مسالك الأبصار: السفر ٣، ص١٥٦– ١٥٧، ١٧٤–١٧٥.
(٣) المصدر نفسه، السفر ٣، ص١٥٦–١٥٧.
(٤) نفسه، السفر ٣، ص ١٧٤–١٧٥.
(٥) انظر ما سبق من هذا البحث.

نظام الدين، وكان من أمراء "الأوج"التابعين لدولة سلاجقة الروم،وكانت مناطق إدارته ملاصقة لحدود الدولة البيزنطية[١].

وبعد وفاته ترك نظام الدين ثلاثة من الأبناء، برز من بينهم ظهير الدين إيلي، الذي كان من الأمراء الكبار في عهد السلاطين: كيخسرو الأول، وكيكاوس الأول، وعلاء الدين كيقباذ الأول، وشغل منصب "بروانه"[٢].

وكان من ذريته قلند بك "Gland Bey" الذي سكن مع ابنه قراسي في منطقة على الحدود مع الدولة البيزنطية[٣] ورغم أنه ليس معروفاً على وجه الدقة متى كان هذه ؟ إلا أنه من المرجح حصول هذه الحادثة في عهد الإمبراطور أندريكوس الثاني Andricus II وبالتقريب سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٣م[٤].

ويعتقد أن مؤسس هذه الإمارة هو قلند بك لكنها نُسبت لابنه قراسي،وهناك من يكتب هذا الاسم على هذا النحو "قره عيسى" وهو مجانب للصواب[٥] وليس هناك معلومات عن عهد المؤسس وابنه قراسي، إلا أن الإمارة تعرضت في سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤م،لهجوم من الجيش البيزنطي وحلفائه في نطاق حملته الواسعة ضد بعض الإمارات التركمانية[٦].

كما أن التحركات العسكرية في وسط آسيا الصغرى، دفعت أقواماً من التركمان إلى الهجرة نحو الغرب، حيث دخلوا إلى مناطق قراسي، وتم إنزالهم على الحدود المتاخمة للممتلكات البيزنطية للاستفادة منهم في تقوية تلك المنطقة[٧].

وفي سنة ٧٢٨هـ/١٢٣٨م،كان دميرخان Demeer Khan،ابن قراسي زعيماً لبني قراسي، وهذا يعني أن قراسي قد توفي قبل هذا التاريخ، إذ في هذا

(1) Edhem, Halil:Gharbi Anatolyda Tavaif –Muluk, s. 64-65.
(2) Edhem, Halil :Op. Cit,s. 66.
(٣) القلقشندي :صبح الأعشى، ج٥، ص٣٤٤، ج٨، ص١٦.
(4) Pachymeres: OP. Cit. P. 563
(5) Ahmed Tevhid: Karasi – Ogullari (TDEM) S. 89.
(6) Ahmed Tevhid: Karasi – Ogullari ,s. 68.
(7) Kouprulu: Anadolu Beylikleri Tarihi S. 150

التاريخ قام الإمبراطور البيزنطي أندرينيكوس الثالث AndrNiccus III بزيارة إلى ديارقراسي، والتقى مع الأمير دميرخان، وتباحث معه حول وقف الهجمات التركمانية على المناطق البيزنطية المتاخمة للحدودالبيزنطية[1].

وفي سنة ٧٣١هـ/١٣٣١م أبحر أسطول إمارة قرسي في بحر إيجه غازياً بعض الموانئ البيزنطية[2].

وأوردت المصادر العربية معلومات عن بني قراسي[3] في عهد دميرخان، وأخيه شجاع الدين يخشى بك Yakshi Bey، والذين يبدو أنهما اقتسما الإمارة بعد وفاة والدهما قراسي، فكان القسم الأكبر، ويضم العاصمة بالي كسير Balikasir من نصيب الأخ الأكبر دميرخان، والقسم الأصغر سيطر عليه الأخ الأصغر، يخشي بك ومقر حكمه مدينة برغما Borgma وكان لهما أخ ثالث يدعى عجلان بك Aglun Bey، ويبدو أنه كان مبتعداً عن الإمارة وشئونها وتذكر المصادر العثمانية أيضاً أنه توفي في سنة ٧٣٥ أو ٧٣٧هـ ١٣٣٥- ١٣٣٧م، وكان له ذرية ويُفهم من الرواية أيضاً، أنه سلم الإمارة للعثمانيين ولكن الأصح أن دميرخان هو الذي استسلم للعثمانيين، وأصبحت إمارته تابعة لهم بعد سنة ٧٤٢هـ/١٣٤٣م[4].

وذكر ابن بطوطة أن دميرخان وأباه من قبله هم اللذان بنيا مدينة البيديكي وأن لهم جنوداً قوية[5] ويؤيد العمري هذه المعلومات فيذكر دميرخان دميرخان وأخاه يخشى بك ويصف جنودهما وأسطولهما بالقوة، والتي كانت تفوق قوة معاصرهم أورخان بن عثمان، أمير العثمانيين، وأن تحت حكمهم

(1) Ahmedtevhid: Karasi – Ogullari S. 75.
(2) Ahmedtevhid: Op. Cit, s. 69.
(3) Ibid, s. 72.
(4) Ahmed Tevhid: Karasi Ogullari. S77-78.

(٥) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٣٣٧.

حوالي خمسة عشر مدينة وتحت قيادتهما عشرون ألف فارس، ناهيك عن أسطول بحري قوي ونشيط(١).

ي- إمارة أبناء قرمان Karaman – Ogullari:

يسود الاعتقاد أن عشيرة قرمان بطن يسمى أفشار **Afshar**، من قبيلة أوغوز **Oguz** التركية الكبيرة.وقد دخلوا إلى آسيا الصغرى في فترات مختلفة، وكانوا يقطنون المناطق المتاخمة للحدود المشتركة، بين كل من مملكة الأرمن في قيليقية ودولة سلاجقة الروم، والإمبراطورية البيزنطية.وفي سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٨م (في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ الأول) انتقل قسم منهم إلى منطقة إرمناك **Ermenak**، التي كانت قد انتزعت من الأرمن وسكنوا بها وأصبح أسمها محافظة قمر الدين(٢).

في هذه الفترة كان زعيم القبيلة هو نور بن سعد الدين المعروف بنور صوفي.وكان هذا في بداية حياته مجرد حطاب يجلب الحطب والفحم من الأودية والجبال ويبيعه على أهل إرمناك.(٣) فتقلبت به الأقدار حتى أصبح زعيماً مطاعاً، وانتسب في فترة من الفترات إلى البابائين (أتباع بابا إسحاق).وكان في الوقت نفسه، يجاهد البيزنطيين، ويتوسع بقبيلته على حسابهم(٤).

كان نور صوفي يتمتع بمكانة رفيعة بين التركمان، وبعد وفاته سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م خلفه في الزعامة ابنه قرمان الملقب بكريم الدين، والذي سار على سياسته في التوسع وإضافة أملاك جديدة، مستفيداً من وعورة معاقل قبيلته، ومستغلاً ضعف الدولة السلجوقية وانقيادها لدولة المغول الإيلخانيين(٥).

---

(١) مسالك الأبصار، السفر ٣، ص١٦٧، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٣٤٤؛ ج٨، ص١٦.
(2) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 670
(٣) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٣٩٢؛القسرائي: مسامرة الأخبار، ص٧١.
(4) Olcer (cuneyt): Karaman Ogullari Beyligi Madeni Paralari, Istanbul, 1981. S. 32-33.
(4) Olcer (cuneyt) :Op. Cit. S. 32-33.

وإبان الصراع بين أبناء كيخسرو الثاني، أنحاز القرمانيون إلى صف السلطان كيكاوس الثاني، واعتبروا حربهم معه ضد المغول وحلفائهم جهاداً وكان طرفا الصراع حريصين على كسب دعم التركمان وفي هذا الإطار، قام السلطان قلج أرسلان الرابع، بإقطاع كريم الدين قرمان المناطق التي يسيطر عليها هو وقبيلته، كما عين أخاه بونسوز **Bunjsuz** مسؤولاً عن الإصطبل، أو ما كان يعرف بـ "أمير آخور"(١).

لكن عروض السلطان السلجوقي لم تكن حائلاً أمام كريم الدين ليمارس نشاطه العسكري ضد البيزنطيين أو المغول على حد سواء فكان هذا يثير مخاوف السلطان قلج أرسلان الرابع والذي لم يستطع اتخاذ أي إجراء ضد الزعيم التركماني إلا بعد أن تفرد بالحكم في البلاد.فبعد دخوله إلى قونية، واعتلائه عرش سلاجقة الروم بها سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م وطرد أخيه إلى القسطنطينية، شرع السلطان قلج أرسلان الرابع، في تثبيت أركان حكمه، وتتبع أنصار أخيه – والذين هم أيضاً خصوم له – فعاقبهم وكان من ضمنهم التركمان أبناء قرمان، وأثناء تأدية الجيش السلجوقي المغولي لهذه المهمة، حاول كريم الدين انتهاز فرصة ابتعاد الجيش على العاصمة قونية، فاتفق مع أخويه، ويونسوزوزين الحاج على مراسلة بعضها أصدقائهم في العاصمة، ليمهدوا لهم عملية غزوها والاستيلاء عليها وأقبل كريم الدين وأخوه على رأس جيش قاصدين قونية، لكن وزير السلطان وساعده الأيمن معين الدين سليمان البروانه علم بأمرهم، واعترض طريقهم بجيش مشترك من السلاجقة والمغول فالتقى بهم سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م بالقرب من قلعة "كاوله" وحقق عليهم نصراً مؤزراً، وأنهزم كريم الدين ونجا بنفسه فيما وقع أخواه بونسوز، وزين الحاج

وانظر أيضاً: الوسيمي: محمد نجيب: العلاقات السياسية بين إمارة قرامان ودولة المماليك الجراكسة (٧٨٤-٨٨٨هـ/ ١٣٨٢-١٤٨٣م) المجلة التاريخية المصرية: المجلد رقم ٣٩، ١٩٩٦م، ص١١-٤٠.

(١) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٣٣٤-٣٣٧، آقسرائي: المصدر السابق، ص٧١-٧٢، ١١٠-١١٢.

في الأسر، حيث نقلا إلى قونية، وهناك شُهّر بهما وصلبا على أحد أبوابها، حيث رشقهم الأهالي بالسهام حتى ماتا[١].

ويبدو أنهما خضعاً للتحقيق، حيث تمت معاقبة بعض أعيان قونية وإعدامهم في نهاية المطاف، بحجة مراسلتهم للتركمان وتآمرهم معهم، ومنهم: المستوفي نجيب الدين دليخاني، والأمير قوام الدين أشهر حميد أوغلو[٢].

ولم يمض وقت طويل على تلك الهزيمة، حتى توفي كريم الدين قرمان، فرشحت القبيلة لخلافته ابنه الأكبر شمس الدين محمد بيه، ولا يزال قبر كريم الدين معروفاً في قرية يقال لها "بالقاسون **Balkason**" من ضواحي إرمناك[٣].

في عهد محمد بيه(على رأس القرمانيين) شهدت آسيا الصغرى حوادثاً جساماً، كان له فيها مساهمة فعالة.فساند شرف الدين بن الخطير، في تمرده على بروانه والسلطة المغولية.وتولى قيادة الجيش المرابط قرب إرمناك، وعندما أخمدت حركة ابن الخطير[٤]، استمر محمد بيه في عصيانه.ومن الطبيعي أن يفقد محمد بيه منصبه كقائد للجيش السلجوقي المرابط في ضواحي إرمناك، حيث أُعيدت القيادة إلى القائد السابق، بدر الدين إبراهيم بن القاضي الختني الذي كان حانقاً على محمد بيه، لانتزاعه القيادة منه، فجعله هدفاً له، فزحف بجيشه لمحاربته، ورغم عدم رضا بروانه معين الدين عن خطة بدر الدين، في تعقب القرمانيين، إلا أن القائد السلجوقي كان مصراً على الحرب، وواثقاً من تحقيق النصر[٥].

---

(١) اقسرائي: المصدر السابق، ص٧٢.

(٢) أقسرائي المصدر السابق، ص٧٢.

(3) Edhem, Halil,: Karaman Ogllari Hakkinda Ve Saik –i Mahkuke (Inscriptions Of the Qaramanids) inTarihi Osmani Encumeni Mecmuasi nr ll, Istanbul ,1329.

(٤) انظر ما سبق، ص من هذا البحث.

(٥) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص ٣٩٣، ٤٠٨.

من جانبه سعى محمد بيه لتجنب الاصطدام بقوات المغول والسلاجقة، التي يقودها بدر الدين، فأعلن ولائه للسلطة الحاكمة، وأرسل يطلب عفواً، ويتعهد بدفع ألف قطعة ذهبية إلى خزينة السلطان السلجوقي[1].

وبسبب ما يعتلج في نفسه من الغيظ على القرمانيين، رفض بدر الدين الختني، عروض محمد بيه السالفة الذكر وزاد من تصميمه على خوض الحرب، مباركة القائدين المغوليين توغو وتوداون للهجوم الذي عقد العزم على القيام به، ودعمهما إياه بألف من الجنود المغول.عندما رأى محمد بيه، أن الحرب أصبحت وشيكة، رتب أتباعه، وانسحب إلى الجبال الوعرة، واستعد للمواجهة.وبعد توغل بدر الدين بجيشه في مناطق القرمانيين قُطع عليه الطريق وهوجم في مكان يسمى "قوكسو Goksu"، فحلت به الهزيمة وولى الأدبار لا يلوي على شيء، حتى وصل إلى إحدى قلاع منطقة إرمناك، فاحتمى بها ولم ينقذه من الوقوع في أيدي التركمان إلا نجدة نائب السلطان أمين الدين ميكائيل، الذي زحف بكتيبة من الجيش، واستطاع إبعاد التركمان عن القلعة، وانزل بدر الدين الختنني منها.واصطحابه معه إلى العاصمة قونية في سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م[٢].

ولم يمض وقت طويل على هذه الحادثة، حتى وصلت الأخبار بمهاجمة القرمانيين لإحدى القوافل التجارية الفرنجية، في مناطق نفوذهم، ويبدو أنهم فعلوا ذلك وهم في نشوة الانتصار السابق، وهذه المرة تحرك لتأديبهم على فعلتهم تلك "ملك السواحل" خواجه سعد الدين يونس – وهو خال بروانه معين الدين سليمان . وعرض عليه محمد بيه زعيم القرمانيين عروضاً مشابهة لتلك التي قدمها للأمير بدر الدين الختني.لكن خواجه يونس سلك نفس السبيل

---

(١) ابن بيبي، أخبار سلاجقة الروم، ص٤٠٨.

(١) المصدر نفسه، ص٤٠٨، ٤٠٩.

التي سلكها بدر الدين، فواجه المصير نفسه، حيث هُزم، وترك كل ما كان معه غنيمة للقرمانيين[1].

وصلت أنباء الانتصارات التي حققها محمد بيه علي جيش دولة سلاجقة الروم وحلفائهم المغول إلى مسامع السلطان المملوكي الظاهر بيبرس فتفاءل بها إذ كان هو على رأس جيشه في طريقه إلى الأبلستين حيث خاض مع المغول وإتباعهم من السلاجقة المعركة المشهورة[2].

بعد أن علم محمد بيه بانتصار المماليك في الأبلستين تشجع وأراد استغلال هذا الفرصة، فسار بأتباعه نحو اقسراي، وحاول السيطرة عليها لكنه لم ينجح.فانكفأ عنها وقصد العاصمة قونية، حيث حاصرها بثلاثة آلاف من إتباعه لكنه عجز أيضاً عن اقتحامها[3].

في هذه الأثناء، كان السلطان الظاهر بيبرس قد دخل قيصرية، حيث وجد في سجن بروانه هناك، "علي" الأخ الأصغر لمحمد بيه بن قرمان، فأحسن استقباله ومنحه الراية وشعار السلطنة وسمح له باللحاق بأخيه وقبيلته[4].

وبعد انسحاب المماليك من آسيا الصغرى، وصل إليها الإيلخان آباقا ابن هولاكو، وعاقب أهلها[5]وبعد خروجه منها مصطحباً معه أعيان دولة سلاجقة الروم، وجد محمد بيه الفرصة ليهاجم قونية من أخرى، ولكن هذه المرة، جاء بمن زعم أنه الأمير سياوش بن السلطان كيكاوس الثاني، ليطالب باستعادة حق أبيه في السلطنة والذي انتزع منه بالقوة.فاندلعت الفتنة التي عرفت بفتنة "جمري"، وفيها اتخذ محمد بيه قراره الخطير والبعيد الأثر، وهو اعتماد اللغة التركية لغة رسمية لدولة سلاجقة الروم، وإلغاء التعامل باللغتين الفارسية

(١) اقسرائي: المصدر السابق، ص١٢٣.
(٢) انظر ما سبق من هذا البحث.
(٣) المصدر السابق، ص١٢٧.
(٤) انظر ما سبق من هذا البحث.
(٥) انظر ما سبق من هذا البحث.

والعربية[1]، ويقال إن عدم إتقان التركمان–خاصة القرمانيين- للغة الفارسية – وأيضاً العربية – هو الذي وقع محمد بيه لاتخاذ ذلك القرار[2].

لقد كان ذلك القرار، بداية إضفاء الصفة الرسمية، على اللغة التركية، وإزاحة اللغتين الفارسية والعربية من أروقة الدولة والشعب في آسيا الصغرى على حد سواء.وكان خطوة عظمى في تتريك آسيا الصغرى وإن كان الحرف الذي كتبت به اللغة التركية هو الحرف العربي.

بعد مقتل محمد بيه بن قرمان وبعض إخوته، في حوادث فتنة جمري.تولى أخوه قوناري بيه "Guneri Bey" زعامة القرمانيين، وهدأت صولات القرمانيين لبعض الوقت، ولم يثيروا القلاقل في وجه الدولة السلجوقية.ولكن الاضطرابات التي واكبت مقتل السلطان كيخسرو الثالث وتولية ابن عمه مسعود الثاني، أتاحت لهم فرصة التحرك من جديد.ورأينا كيف ساند القرمانيون وأبناء أشرف مطالبة والدة السلطان كيخسرو الثالث بمنح حفيديها جزءاً من السلطة في قونية بالاشتراك مع السلطان مسعود الثاني.

ويبدو أن قوناري بيه، لم يشأ الاصطدام بالدولة السلجوقية، لذلك جعل مناطق الأرمن هدفاً لنشاطاته العسكرية فقام في سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م بمهاجمة مدينة طرسوس" Tarsus " فشكا تكفور الأرمن ذلك إلى الإيلخان المغولي، الذي أمر السلطان مسعود الثاني، بمعاقبة القرمانيين، وأمدّه بجيش سلجوقي مغولي مشترك.

زحف السلطان السلجوقي بجيشه نحو مناطق القرمانيين الذين استعدوا –كما هي عادتهم – بالانسحاب إلى رؤوس الجبال، والمناطق الوعرة، وتركوا

---

(١) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٣٩٧.

(2) Cahen :Pre Of Ottoman Turkey. P. 390. Totaysalgir (Gaffar): Karaman (Larende) Konya 1944. s. 70-75

لخصومهم حرية التحرك في مناطق السهول، ولكن عاصمتهم لارندة، لم تسلم من التخريب والهجوم وذلك في ذي الحجة السنة ٦٨٦هـ/ يناير ١٢٨٨م.

أيقن قوناري بيه، أن الاصطدام بالدولة السلجوقية ليس في مصلحة قبيلته، والتجارب السابقة تثبت ذلك، فسلك طريق الخضوع والتبعية للسلطة الحاكمة في قونية وجاء – ومعه زعيم بني أشرف – إلى قونية سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨، يطلبان العفو من السلطان مسعود الثاني ويعلنان ولاءهما للدولة[١].

لكن قبول التركمان بالتبعية للسلطان السلجوقي، لا يعني تغييراً في نظرتهم نحو المغول، فهم يعتبرونهم مُحتلين، وكفاراً وجهادهم واجب.لذلك عندما رأوا أن مسعود الثاني ليس إلا أداة في أيدي المغول، ثاروا مجدداً عليه وعلى آسياده المغول، فتصدى لهم كيخاتو – الزعيم المغولي – مرتين الأولى عندما كان مشرفاً على آسيا الصغرى والثانية بعد أن أصبح إيلخاناً، ولم تسلم إرمناك من هجمات جنوده، وأخرها كان في شعبان سنة ٦٩١هـ/ يوليو ١٢٩٢م.لكن تأثيرها على القرمانيين كان محدوداً، لاعتصامهم بالجبال، واعتمادهم على طريقة الكر والفر في المعارك.

وبعد بضع سنوات من هذه الحوادث، وتحديداً في شهر رجب ٦٩٩هـ/ مارس ١٣٠٠م.توفي قوناري بيه، فخلفه على زعامة القبيلة أخوه، محمود بن قرمان الملقب بمجد الدين[٢].

ويفهم من الروايات، أن مجد الدين محمود بيه، كان والياً على منطقة إرمناك في عهد أخيه قوناري بيه، وعندما حقق السلطان الأشرف خليل بن قلاوون النصر على الفرنجة واستعاد مدينة العلانية منهم في جمادي الأولى سنة ٦٩٢هـ/ مايو ١٢٩٣م.أعلن مجد الدين الخطبة باسمه في ولايته بإرمناك[٣].

(1) Ibrahim, Hakki: Konya Tarihi, Konya, 1964, S. 111-112.
(2) Olcer (Cuneyt): Op. Cit. S. 75-80

(٣) المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص ١٢٠.

وبعد تلاشي السلطنة السلجوقية، وتولى الولاة المغول الإدارة المباشرة في آسيا الصغرى، لم يرض مجد الدين محمود بالوضع الجديد، وزحف على قونية، واستولى عليها، في حدود سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م، وعين ابنه "يخشي بيه" "Yakhsi Bey" والياً عليها، وهو تابع لأخيه الأكبر، برهان الدين موسى الذي يسيطر على لارنده عاصمة القرمانيين(١).

استمر حكم مجد الدين محمود بيه في قونية ثلاث سنوات، مات في نهايتها، متأثراً بجراح أصيب بها أثناء مقاومته للقوات المغولية التي تحاصره في فيها.نجح برهان الدين موسى في فك الحصار المغولي عن والده في قونية، لكن والده لم يلبث أن توفي كما ذكرنا، فخلفه على عرش بني قرمان، سنة ٧١١هـ/١٣١٢م.وعاد إلى العاصمة لارنده، وترك لأخيه يخشي بيه ادارة شئون قونية(٢).

وفي عهد تمورتاش بن جوبان، خرج بدر الدين إبراهيم بن مجد الدين محمود على سلطة أخيه برهان الدين موسى واستعان بالمماليك، فلم يتردد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، في مدّ يد العون له، حيث أرسل له فرقة من الجيش في سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م.تمكن على إثرها بدر الدين من السيطرة على العاصمة لارنده، حيث أعلن ولاءه وتبعيته للدولة المملوكية، ودعا لسلطانها على منابر إمارته، وصك عملة بإسمه(٣).

أما الأمير السابق برهان الدين موسى، فقد نُقل إلى ولاية إرمناك، حيث أشارت بعض النقوش إلى كونه والياً على تلك المنطقة خلال هذه الفترة، ويبدو أنه رضي بالخضوع لسلطة أخيه بدر الدين، الذي وطد أركان حكمه في العاصمة لارندة.وفي حدود سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م.خرج برهان الدين موسى إلى مصر، حيث عرض الأمر على السلطان الناصر محمد راجياً منه مساعدته

---

(1) Sumer (F): Karaman Ogullari "The EnyclO-pacdia Of Islam. New Edittion" Leidn, 1990. P. 619-621

(2) Ahmed Tevihid: Rumselucki 1/3,s. 45. Edhem Halil: Karaman ogullari. S. 70-72.

(3) Ahmed Tevhid: Muze – i Humayun. Meskukat Kadim –i, S. 120-121.

لاستعادة عرشه، واستعداده للاعتراف بالسيادة له في بلاده.ومن القاهرة، ذهب برهان الدين إلى الحجاز حيث أدى فريضة الحج، وعاد مع حجاج مصر إلى القاهرة، ومنها عاد إلى إرمناك، دون أن يحقق أياً من أهدافه[١].

وذكر ابن بطوطة أنه التقى الأمير بد الدين إبراهيم في لارندة، عند زيارته إليها في حدود سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م.فوجده لازال على ولائه للدولة المملوكية[٢].

ويبدو أن بدر الدين إبراهيم تنحى بعد ذلك عن الحكم لبعد سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣٣م] وتركه لأخيه علاء الدين خليل بيه.ولا يوجد الكثير من المعلومات عن عهد خليل هذا، إلا أنه توفي عام ٧٤١هـ/١٣٤٠م.أو قبله بقليل، حيث عاد بدر الدين إبراهيم للحكم مرة أخرى، وبعث في ذي القعدة من هذا العام/ مايو، رسولاً من قبله إلى القاهرة[٣].وتُعد أخبار بني قرمان كثيرة إذا ما قورنت بغيرهم من إمارات التركمان، وقد عزا العمري ذلك إلى قُرب ديارهم من حدود دولة المماليك، ولكثرة رسلهم إلى القاهرة، وطلبهم المدد من سلاطينها وإعلانهم الخضوع والتبعية لها[٤].

ك- إمارة كرميان Gerimiyan – Ogulluri:

لعل من المناسب في البداية التنويه على ضرورة عدم الخلط بين "كرميان" و"قرمان" لتشابههما في النطق والكتابة سواءً بالعربية أو اللاتينية.[٥] وكرميان – التي نحن بصدد الحديث عنها – عشيرة من عشائر الأتراك الأوغارية[٦].ويعتقد أنها دخلت إلى آسيا الصغرى برفقة سلطان الخوارزمية

(١) العمري: مسالك الأبصار، السفر ٣، ص ١٧٦-١٧٧.
(٢) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٢٣١.
(٣) اليوسفي: المصدر السابق، ص ٢٩٩.
(٤) العمري: مسالك الأبص ار، السفر ٣، ص١٧٤.
(5) Cahen :Pre Of Ottoman Turkey. P. 370.
(٦) يلماز: المرجع السابق، ج١، ص٨٩.

جلال الدين منكبرتي، واشتركت معه في معركة "ياسي جمن"[١]، ثم بعد هزيمته دخلوا في طاعة السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباذ الأول.الذي أنزلهم في نواحي ملطية، ثم نقلهم إلى كوتاهيه والآشهير بعد فتحه لها[٢].

وظهرت إمارة كرميان – كما هي بقية الإمارات التركمانية المعاصرة. في مستهل القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، ومؤسسها هو الأمير يعقوب بن كريم الدين بن علي شير.وموقعها في غربي الأناضول ما بين أسكي شهر شمالاً، وأفيون قره حصار (قرة حصار صاحب)[٣] جنوباً.ومن مدنها الرئيسية لاديق "دينزلي" وكوتاهيه (العاصمة)، وتقدر مساحتها بحوالي ثمانية آلاف كم٢ تقريباً[٤].

والجدير بالذكر، أنها ربما تكون الإمارة التركمانية الوحيدة التي تحمل أسم القبيلة كلها وليس اسم الأسرة التي تحكمها – وإن كان أحداً من زعمائها يُسمى "كرميان" على اسم القبيلة، كما يذكر العمري[٥].

ولما انقضى عهد السلطان علاء الدين كيقباذ الأول.وتولى الحكم ابنه كيخسرو الثاني.كان زعيم كريمان في وقته، هو الأمير مظفر الدين بن علي

---

(١) انظر ما سبق، ص من هذا البحث.

(٢) وهناك نقشان يؤيدان ذلك أحدهما بتاريخ ٦٣١هـ/ ١٢٣٤، والآخر ٦٣٩هـ/١٤٢٤م. Edhem, Halil:Gharbi Anatolyda Tavaif –Muluk,s. 24-26.

(٣) المولوي: جامع الدول، ج٢، ورقة ٧٧ أ – ب؛
العمري: مسالك الأبصار السفر ٣، ص ١٥٦–١٥٧.
محمد فريد: الدولة العلية العثمانية، ص١٣٣ حاشية (١)؛ Turan :Op. Cit. . S. 639

(٤) يلماز: المرجع السابق، ج١، ص٧٧.

(٥) مسالك الأبصار، السفر ٣، ص ١٥٧؛ قال عنها: "ومالكها الآن كرميان بن أرغد شار" ؛ أثار الدول، ج٢، ص٥١٧؛ وعبارته "ممالك كرميان، تولى عليها صاحبها كرميان بيك مدة. وبعده ولده علمشاه، وبعده ولده يعقوب. . سلم مفاتيح بلاده للسلطان مراد خان الغازي. . " وهي معلومة مقتضبة ومخالفة لما ثبت بالدراسة

شير (عليشير)، وكان من كبار أمراء الدولة، وهو الذي قاد – مرتين – جيش الدولة للقضاء على فتنة بابا إسحاق التركماني، لكنه أخفق في مهمته[1]

وبعد وفاة مظفر الدين علي شير، تولى الرئاسة في كرميان أخوه كريم الدين علي شير، الذي عرف عنه مناصرته للسلطان كيكاوس الثاني إبان الصراع بينه وبين أخيه قلج أرسلان الرابع وحلفائه المغول[2].

ولما انتهى الصراع بين أبناء كيخسرو الثاني، بفرار كيكاوس الثاني، وسيطرة قلج أرسلان الرابع على عرش سلاجقة الروم، دخل كريم الدين في طاعته، وأصبح من أعوان معين الدين سليمان بروانه، لكن الأخير عمل على التخلص منه فدبر له مؤامرة انتهت بقتله[3].

وعلى إثر مقتل كريم الدين، تولى الزعامة في قبيلة كرميان ابنه حسام الدين، والذي استطاع مع أفراد قبيلته من الإمساك بالثائر "جمري".الذي حاول الاحتماء بمناطقهم الجبلية بعد هزيمته من المغول.وسلموه إلى السلطان كيخسرو الثالث.ويدل هذا على موالاة كرميان وزعيمها حسام الدين، للسلطان السلجوقي، كما يؤكد هذا ايضاً ثورتهم ضد المغول، عندما بلغهم نبأ مصرعه، وتمردهم على خليفته وابن عمه مسعود الثاني سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٥م[4].

وأعادوا تمردهم أيضاً ضد السلطان مسعود الثاني وآسياده المغول في سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م.وكان قائدهم الميداني في ذلك الوقت الأمير بدر الدين مراد بن نبكي بن علي شير.حيث سيطروا على مدينة "لاديق" لكن السلطان تصدي

---

(١) انظر ما سبق من هذا البحث.

(٢) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص٣٨٦؛ آقسرائي: مسامرة الأخبار، ص٦٥.

(٣) ابن بيبي: المصدر نفسه، ص٣٨٦

(4) Koprulu: Anadolu Beylikleri Tarihi ,S. 94.

لحريهم، واستعان بالمغول فقضى على الثورة وعلى قائدها، واستعاد منهم ما انتزعوه من مناطق(١).

كان يعقوب بك بن كريم الدين من كبار أمراء دولة سلاجقة الروم في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ الثالث.وكان والياً على أنكورية (أنقرة) وما حولها، يشهد بذلك نقش مكتوب على أحد أبواب المساجد القريبة من أنكورية، ونصه: (جدد هذا المنبر المبارك، في أيام السلطان الأعظم، علاء الدنيا والدين أبو الفتح كيقباذ بن فرامرز خلد الله سلطانه، الأمير الأجل الكبير يعقوب بن علي شير جدد الله مجده، في شهور سنة ٦٩٩)(٢).

و يتضح مما سبق تبعية كرميان وزعيمهم يعقوب بك للسلطان كيقباذ الثالث، لذلك بعد انتهاء عهده، لم يدخلوا في طاعة خليفته مسعود الثاني الذي أُعيد إلى الحكم مرة أخرى، بل اعترفوا بالتبعية للسلطة المغولية مباشرة، ودفعوا إلى خزانتها ضرائب سنوية، وبهذا تكون إمارة كرميان قد ظهرت إلى الوجود فعلاً(٣).

ولم يكن محمد بك بن آيدين الوحيد من قادة يقعوب بك الكرمياني الذي أسس له إمارة، كانت تدين بالفضل في نشأتها إليه، بل هكذا فعل أيضاً قادته الآخرون من بني صاروخان ومنتشا.لذلك تُعتبر إمارة كرميان، أقوى الإمارات التركمانية بعد الإمارة القرمانية(٤).

وهذا ما أكده العمري، حيث ذكر أن أمراء التركمان القريبين من إمارة كرميان، كانوا يخشون سطوه حاكمها ويظهرون تبعيتهم له، و (يبذل كل منهم في مكافأته ما استطاع) (٥).

---

(1) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye S. 638.
(4) Turan :Op. Cit. . S. 639
(3) Mustafa Cetin Varlik: Germiyan Ogullari Tarihi: 13001429. Ankara 1974, S. 39-40

(٤) مسالك الأبصار، السفر ٣، ص١٥٧؛ يلماز: المرجع السابق، ج١، ص٧٧.

(٥) مسالك الأبصار، السفر٣، ص١٥٧.

وفي عام ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م – أيضاً – قاد يعقوب بك جيشه بنفسه وحاصر مدينة تريبوليس(في حوض نهر المايندر)، وضيق على أهلها حتى سلموها له، وانتقل منها إلى مدينة "آبخص" وفتحها أيضاً، وسار منها إلى مدينة فيلادلفيا، وحاصرها بعشرين ألف جندي، لكن الإمبراطور البيزنطي، أندرونيكوس الثاني Andronikus II هب لنجدتها، فبعث إليها المدد بقيادة "روجا دوفلور Ruja Dovlur"، ولما تناهي ذلك الخبر إلى مسامع يعقوب بك ترك بعض أمرائه مستمراً في حصار فيلادلفيا، وأخذ معه قطعة من الجيش تقدر باثني عشر ألف مقاتل وسار لمواجهة البيزنطيين، فالتقى معهم بجوار قلعة الآشهير، لكنه اضطر إلى التراجع أمام قوة هجومهم وأمر جنوده بالتخلي عن حصار فيلادلفيا والعودة إلى بلادهم لإعادة ترتيب الصفوف، بل إن جنوده انسحبوا من مدينة آبخص، واستعاد البيزنطيون السيطرة عليها مرة أخرى[١].

ولم يلغ يعقوب بك فكرة الاستيلاء على فيلادلفيا من مخيلته، لكن بقي متربصاً منتظراً الفرصة المناسبة، ولما شعر بضعف الحاميات البيزنطية في المنطقة هاجمها في سنة ٧١٤هـ/١٣١٤م، ثم قصد مد ينتي الآشهير، و"كُلا Qula" وافتتحهما، وزحف على فيلادلفيا وحاصرها، وفرض على أهلها الجزية السنوية[٢].

ولما دخل الأمير المغولي جوبان نوين آسيا الصغرى بحملته المشهورة في السنة نفسها لم يكن أمام يعقوب بك إلا إعلان الولاء والتبعية له، وللدولة الايلخانية التي أرسلته[٣].

وفي عهد الوالي المغولي تمورتاش بن جوبان، تعرضت كرميان لهجماته العنيفة، أسوه ببقية الإمارات التركمانية، وجردها من مناطق تسيطر عليها، حتى تركها محصورة في مدن لاديق والآشهير، وكوتاهيه بل إنه رغب في

(1) Mustafa: Op. Cit. s. 42-44.
(2) Edhem , Halil "Al-i germiyan Kitableri (TOEM 1/2 "1328" S. 115-120, Mustafa: Op. Cit. S. 97-100.
(3) Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiy. S. 640.

الاستيلاء على لاديق- وهي أكبر مدن إمارة كرميان – فبعث إليها جيشاً، وفي الوقت نفسه أرسل فرقة من الجيش إلى "قرة حصار صاحب (أفيون قره حصار) كما بعث نائبه الأمير أرتنا لحصار كوتاهيه وانتزاعها من بني كرميان.لكن فجأة وبدون مقدمات، أصدر تمورتاش آوامره إلى جنوده بالتخلي عن محاولة الاستيلاء على المدن الثلاث، والعودة إلى عاصمته "سيواس" سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م(١).ويبدو أن والده أمره بذلك، أو ربما بلغته أخبار انقلاب السلطان المغولي بو سعيد على أبيه وإخوته.

ومن المرجح أن كل هذه الحوادث الجسام وقعت في عهد يعقوب بك الذي لا يُعرف بالدقة متى كانت وفاته، لكن ربما تكون سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م.كما أن قبره لازال مجهولاً.ومن الآثار الباقية من عهده عمله نقدية ضربت سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م.مكتوب على أحد وجهيها "خان كرميان" يعني حاكم كرميان، لكن لم يرد فيها اسم صريح(٢).وهناك بعضها نقوش كتبت في عهده منها نقش جاء فيه "سلطان الكرميانية الأعظم، عظم الله قدره" ولكنها أيضاً بدون اسم صريح(٣).

وبسبب طول عهد يعقوب بك، وشهرته كانت المناطق التي يحكمها تسمى بلاد يعقوب.وذكر العمري أن زعيمها في عهده "كرميان أرغد شار" (؟) واستطرد قائلاً "قال ذلك الشيخ "حيدر العريان" وكأنه يشك في روايته(٤).ولعل ما ذكر كان لقباً ليعقوب.

ترك يعقوب بك بعد وفاته ولدين هما: محمد بك وموسى وخلفه في زعامة كرميان ابنه محمد بك الملقب بشلبي محمد بك(٥).وفي عهد شلبي محمد بك أعيد فتح مدينة كلا؛ كما انتزع من البيزنطيين وحلفائهم بعض المناطق، ومع

(1) Turan: Op. Cit. S. 640.
(2) Ahmed Tevhid: Kutahya de Germiyen Beyleri ... S. 152, Mustafa,: Op. Cit. S. 102-104
(3) Ahmed Tevhid: Op. Cit,s152-153
(٤) مسالك الأبصار: السفر ٣، ص١٥٧.
(5) Mustafa: Op. Cit. S. 120. Ahmed Tevhid: Kutahya de Germiyan Beyleri. S. 154.

ذلك فالمعلومات عن عهده قليلة وقد أمتد به العمر حتى توفي سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٣م[١].

ل- إمارة أبناء منتشا Mitasa Ogullari:

هم عشيرة من عشائر التركمان، تُنسب إلى الأمير منتشا، وهو من سلالة "بهاء الدين" أحد ملوك السواحل في دولة سلاجقة الروم وفي النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، كان منتشا بك بن غورويك أحد أمراء التركان القاطنين في غربي الأناضول في منطقة الحدود مع البيزنطيين، وكان يطلق عليه لقب "ساوساكي Savsaki" أي رئيس، أو أمير السواحل.وكأنه ورث اللقب عن جده بهاء الدين[٢].

وقد كان الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن باليولوجس مدركاً لخطورة انتشار التركمان على تخوم دولته، وتزايد أعدادهم هناك، فحاول منذ وقت مبكر إزالة ذلك الخطر، فأرسل ابنه أندرونيكوس Andronikus، على رأس حملة لمحاربة أولئك القاطنين منهم في منطقة موغلا Mogla والتي سموها أيضاً "قَرية Qaria" لكن طوائف التركمان هناك بقيادة منتشا بك تصدوا لتلك الحملة، وأعادوها على أعقابها، بل إنهم نجحوا في ضم مدينتي: آيدين[٣] Aiden وقزل حصار[٤]، بعد انتزاعهما من أيدي البيزنطيين[٥].

(1) Mustafa: op. Cit S. 122.

وانظر أيضاً:

Nafiz uzluk: Germiyan Oglu Yakup Bey II. in Vakfiyeti "VD. Vll "1969" S. 56-57.

(2)- Koprulu: Anadolu Beylikleri Tarihi ,s. 69.

عن بهاء الدين ملك السواحل انظر ما سبق، ص من هذا البحث.

(٣) آيدين: أسمها اليوم "تينا ترال Ninatral"

(٤) قزل حصار: "يتيسا" Yatisa حاليا.

(5) Edhem, Halil:Gharbi Anatolyda Tavaif –Muluk, s. 23-24.

كانت تلك بداية ظهور إمارة منتشا وجهود مؤسسها من أجل ذلك، وأثبتت الوثائق تاريخ وفاة منتشا بك، وهو سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢بمدينة مغري[١]، Magri، في تربة له خاصة، كما تضمنته إحدى الوقفيات[٢].

ويبدو أن مسعود بك بن منتشا بك خلف والده على زعامة عشيرته، وله أخ يدعى كيرمان Kirmen، كان داخلاً في طاعته، وينوب عنه في مدينة "فيكا Fika" وأعمالها.إذ ذكرت المصادر أنه في عام ٦٩٥هـ/١٢٩٦م.غزت القوات البيزنطية بقيادة فيلا نتروفوس الكسيوس Filan trufos Alixius منطقة "قرية" حيث يقيم بنومنتشا وهم جزء من دولة سلاجقة الروم في عهد سلطانها مسعود الثاني وقد كان الهجوم البيزنطي عنيفاً، حتى أن المهاجمين انتزعوا بعض الأراضي من أيدي أتباع منتشا بك، واضطرت أرملة منتشا بك لمغادرة المنطقة واللجوء إلى مدينة مغري حيث قبر زوجها هناك، حتى لا تقع أسيرة في أيدي الغزاة، لكن قائد الحملة البيزنطية، لم يلبث أن أعلن عصيانه على الإمبراطور البيزنطي، وحاول الاستعانة بالتركمان، لكنه قتل في معركة مع قوات الإمبراطور، وتمخضت تلك الصراعات عن عودة كل الأراضي التي كانت في السابق تحت هيمنة التركمان إلى سيادتهم مرة أخرى.واستمرت سيطرة بني منتشا على تلك المنطقة حتى انتزعها منهم فيما بعد نظراؤهم بنو حميد[٣].

وعندما تلاشت سلطة دولة سلاجقة الروم في آسيات الصغرى، في مستهل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، بدأت إمارة بني منتشا، في الظهور بقوة حيث ذكرت الروايات أن زعيمها مسعود بك قام في حوالي سنة

(١) مغري Magri "، واليوم أسمها "فتحيا Fatehya

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء في اسطنبول وثيقة رقم "٧١٨" تتحدث عن بني منتشا، تاريخ نسخها سنة ٩٥٠هـ/ ويضمها دفتر "تحرير لواء منتشا" نصها "وقف تربتي المرحوم منتشا بك دائر قضائي مغري دار تصرفي حمزة فقيه" وترجمتها: "هنا المرحوم منتشا بك، وله وقف لتربته في قضاء مغري، تحت تصرف الفقيه حمزة". Ahmed Tevhid: Rumselecuki 1/1 S. 170 – 172.

(3) Koprulu. M.: Anadolu Beylikleri. S. 70-72.

٧٠٠هـ/١٣٠٠م.بغزوات بحرية حاصر في إحداها جزيرة "رودس Rodes"، واقتحم جنوده قسماً منها وسيطروا عليه، وكانت تلك خطوة أولى مهدت لغزو الجزيرة في حملة إسلامية مشتركة – بين التركمان – يمثلهم بنو منتشا، وقوات المماليك سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م، ورغم النجاح الذي تحقق إلا أن قوات صليبية معظمها فرنسية جاءت لإنقاذ الجزيرة إثر استجابة الملك فيليب ملك فرنسا، لنداءات البابا، واستطاعت الحملة الصليبية المذكورة، استعادة السيطرة على الجزيرة وطرد عساكر التركمان والمماليك عن شواطئها[١].

ولم يتخل مسعود بك بن منتشا عن محاولاته في ضم جزيرة رودس إلى إمارته ونجح بشكل مؤقت في ذلك واستولى جيشه عليها وانتزعها من أيدي الجنويين الذين تسلموا السيطرة عليها من الحملة الصليبية الأنفة الذكر، لكن البابا كلمنت[٢]، جند جيوشا من أوربا واستطاع طرد التركمان منها مرة أخرى وذلك في حدود سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م.وقد تميز عهد مسعود بك بن منتشا بالحروب مع النصارى خاصة حول جزيرة ردوس[٣].

والملفت للنظر – في عهده أيضاً – أنه لم يكن بين أمراء التركمان، الذين هرعوا إلى القائد المغولي جوبان نوين، عندما توغل بحملته القوية في أعماق آسيا الصغرى سنة ٧١٤هـ/١٣١٤م، وأظهروا له ولاءهم وخضوعهم وتبعيته للدولة المغولية الايلخانية[٤].وربما كان مشغولاً بجهاده ضد النصارى، ولم يكن عابئاً بما يدور من حوادث في قلب الأناضول.

وعلى الرغم من عدم معرفتنا الدقيقة، بتاريخ وفاة مسعود بك، ولا المكان الذي دفن فيه.إلا أن الراجح حدوث ذلك قبل سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م، وفي

(1) Ahmed Tevhid: Muze-i Humayun. Meskukat Kadim

(٢) البابا كلمنت الخامس"١٣٠٥-١٣١٤" رانسيمان تاريخ الحروب الصليبية ج٣ ص٨٢٦.

(3) Edhem , Halil: Anadolud Islami Kitablere (Toem, 7/2 "1330") S. 139 – 146.

(4) Turam: Selçuklular Zamaninda Türkiye. S. 649

المدينة التي اتخذها عاصمة له وقضى بها معظم فترات عهده وهي "ميلاس Milas" ومن المعروف، أن له نقوداً فضية تحمل اسمه(١).

ترك مسعود بك بعد وفاته ولدين، هما: شجاع الدين أورخان بك، وإبراهيم.وقد تنازعا على عرش الإمارة بعده، وفي النهاية انتصر أورخان، وسيطر على مقاليد الحكم في سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م(٢).

سار أورخان على سياسة والده في الجهاد البحري والإصرار على غزو جزيرة رودس، لكن ضعف إمكاناته – مقارنة بقوة خصومه – وقفت حائلاً دون تحقيقه لهدفه – وغير تلك المحاولات، ليس لدينا معلومات إضافية عن عهد أورخان هذا(٣).

وهناك نقش على جامع بمدينة ميلاس يحمل تاريخ سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م.وورد فيه: "الأمير الكبير شجاع الدين أورخان"(٤).

وذكر ابن بطوطة، أنه التقى أورخان بك زعيم بني منتشا في مدينة "يتشين" إبان سياحته فيها، حوالي سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م.ووصفه بأنه حسن الخلق والخلق، وقد أهدى إليه بعض الخيول وتكفل له بمصروفات الطريق، وشيعه إلى خارج المدينة عند مغادرته لها.وذكر أيضاً أنه شاهد مسجداً يبنى في المدينة، وهم على وشك الانتهاء من عمارته(٥).وقد تم فعلاً إنجاز البناء فيه في هذه السنة بدليل النقش المكتوب على بابه المتجه نحو القبلة، ويحمل تاريخ سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م.كما يحمل اسم شجاع الدين أورخان(٦).

(1) Ismail Galib: Takvimi Meskukat Selcukiye. Istanbul 1309. S. 27. Mehmmed Tevhid: Meskukat Islamiye Katalogu 4, Kism. Istanbul "1321", S. 56-57.
(2) Edhem, Halil:Gharbi Anatolyda Tavaif –Muluk, s. 26-28.
(3) P. Wittek: Op. Cit. S. 59-92
(4) Koprulu.: Anadolu Beylikleri Tarihi S. 75-80

(٥) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٣٤٠.
(٦) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٣٤١.

وورد في مسالك الأبصار - نقلاً عن بلبان الجنوي - أن حاكم "فوكا FOKA" هو شجاع الدين أورخان، وأن إمارته تضم خمسين مدينة وقرية، ومئتي حصن وقلعة، وله أسطول بحري كبير، وجنوده في البر والبحر يربوا عددهم على مئة ألف، وهو منصرف بالكلية للغزو والجهاد(١).

وقد امتدت إمارة بني منتشا إلى حدود باواس **Bawas** وجزيرة مطقس وضمت مدناً مثل ميلاس، ويقال أن خضر بك صاحب أنطالية كان تابعاً لبني منتشا(٢).

ويمكن استنتاج أن أورخان بك كان إلى جانب الغزو والجهاد، مهتماً بأمور التجارة، لذلك نشطت الحركة التجارية في عاصمته ميلاس، وكانت ملتقي للتجار من أوربا وآسيا وأفريقية.وهناك نقود فضية ضربت في عهده(٣).

وللأسف فإن تاريخ انتهاء عهد أورخان بك لازال مجهولاً، وإن كان قبل سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م.لأن نقشاً كتب في هذه السنة على باب مسجد أولو جامع "المسجد الكبير" في مدينة مغلا ورد فيه اسم إبراهيم بن أورخان بك، وهذا يعني أنه خلق والده في الحكم.وأيضاً لا يعرف مكان قبر أورخان بك، إلا أن بعض الآراء تعتقد أنه ربما كان مدفوناً بجوار الجامع الكبير الذي أنشأه في عاصمته مدينة يتشين(٤).

(١) مسالك الأبصار، السفر ٣، ص١٧٥.

(2) Mehmmed Tevhıd: Op. Cit, S. 30, Ahmed Tevhıd: Muze – i Humayun Meskukat Kadim-I, s. 127.

(3) Mehmmed Tevhıd: Op. Cit, S. 30, Ahmed Tevhid: Muze – ı Humayun Meskukat Kadim-I, s. 127.

(4) Koprulu.: Anadolu Beylikleri Tarihı S 80 -81.

الفصل السادس
النواحي الحضارية

الفصل السادس
النواحي الحضارية

أولاً:الحالة الاجتماعية:

١ . عناصر المجتمع

أ- من حيث الأجناس:

ب- تقسيمهم إلى حاضرة وبادية:

❖أهل المدن: ❖ أهل القرى: ❖ أهل البادية:

٢ . بعض العادات الاجتماعية:

أ- اللباس.

ب- الطعام.

ج- الأعياد.

٣ . جماعة الآخية "آخيان روم".

ثانياً:الحالة الاقتصادية:

١ . الثروة الحيوانية. ٢ . الزراعة. ٣ . الصناعة.

٤ . طرق التجارة. ٥. التجارة. ٦ . الخانات

٧ . الصادرات والواردات:

أ- الصادرات.

ب- الواردات.

ثالثاً . موارد الدخل والإنفاق

أ- الدخل.

ب- الإنفاق.

رابعاً :الحياة العلمية:

١- المدارس.

٢- اللغة والأدب.

خامساً :الناحية العمرانية:

سادساً :الحالة الدينية:

١- الأديان في المنطقة.

٢- التصوف.

٣- المولوية.

٤- البكتاشية.

أولاً: الحالة الاجتماعية:

لقد تميزت آسيا الصغرى بتنوع عناصر المجتمع بها قبل الهجرات التركية إليها, وغداة دخول الجيش السلجوقي وجد عدة أجناس, وسوف نقوم بدراسة هذه الأجناس علي النحو التالي.

أ- من حيث الأجناس:

يشكل الترك الأغلبية.فمنهم السلاجقة سلاطين الدولة و حكامها, والطبقة المميزة فيها [1]ومنهم التركمان مفردها ترك, وهم البدو الرحل، وكانوا يقيمون بكثافة في مناطق الحدود " الأوج"

والترك عموما موصوفون بجمال الصورة ، فغالبيتهم أصحاب بشرة بيضاء ممزوجة بحمرة مع شعور شقراء, ويهتمون بنظافة الملبس, والطعام الطيب, ويتميزون بالشفقة أكثر من غيرهم [2].

أما بقية الأجناس فإنهم أقليات, منهم السكان الأصليون، من بقايا الروم البيزنطيين.والأرمن.واليونانيين والفرنجة وأكثر هؤلاء تجار من البنادقة والبيازنة والجنوية والقبارصة [3]

ومع الهجرات الجديدة. دخلت إلى المنطقة أجناس أخرى, مثل الخوارزمين و الفرس و المغول.[4]وهناك المسلمون وهم الأغلبية.والنصارى وعددهم ليس بالقليل.واليهود.وأخيراً البوذيون المغول قبل إسلامهم [5].

---

(١) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ٩٨. أحمد توني: المرجع السابق ص ٣٤.
(٢) العمري: مسالك الأبصار. السفر ٣، ص ١٧١, رحلة ابن بطوطة , ج١ , ص ٣١٢.
(٣) رحلة ابن بطوطة، ج ١, ص ٣١٣. ٣٣١. كوبرلي: قيام الدولة الثمانية. ص ٩٩ علي الغامدي: أنطالية في عصر الحروب الصليبية ص ٦٧.
(٤) بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٥١ أحمد توني: المرجع السابق , ص ٣٤١
(٥) نورة بادياب: المرجع السابق، ص ٢٦٥.

ب- تقسيمهم إلى حاضرة وبادية:

كما يمكن تقسيم المجتمع إلى حاضرة وبادية.والحاضرة يسكنون المدن والقرى.وهناك تباين في الحياة بين كل قسم وآخر.

اهل المدن:

ومعظم هؤلاء, ارتبطت حياتهم كثيراً بالتجارة [1], وكانت تختلط فيها العناصر, وتتعدد الأديان.وربما أقام كل جنس في حي مستقل عن غيرة, كما كان الوضع في أنطالية مثلا[2].لكن اختلاطهم في الأسواق, وطرقات المدينة, وعلاقات المصاهرة بينهم.تعمل على إذابة الفروق بينهم [3].

وفي الفترة موضع الدراسة ، قُدر عدد سكان مدينة سيواس بحوالي مئة وعشرين ألف نسمة.معظمهم من الترك [4].لكن ابن بطوطة.عندما زار نيقية - بعد فتح العثمانين لها بوقت قصير- وجدها قليلة السكان [5], وتفسير ذلك أن السكان بدءوا يهجرون مدينتهم منذ وقت طويل أي منذ انتقال العاصمة البيزنطية إلى القسطنطينية بعد استعادتها من الصليبيين، فأصبحت نيقية كاالجريرة المعزولة ، محاطة بالتركمان من كل جهة [6].

اهل القرى:

وهم شريحة تشكل الأكثرية, أن لم يكن من مجموع السكان آسيا الصغرى كافة, وكانت سياسة دولة سلاجقة الروم, قائمة على توطين

---

(١) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية , ص ٩١
(٢) رحلة ابن بطوطة , ج١ , ص ٣١٥ , علي الغامدي: أنطالية في عصر الحروب الصليبية – ص ٦٧.
(٣) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية. ص ١٠٠
(٤) القزويني: آثار البلاد، ص ٥٣٥، كوبرلي: قيام الدولة العثمانية. ص ١٠٣
(٥) رحلة ابن بطوطة، ج ١ , ص ٣٢٠
(٦) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية. ص ١٤٢

التركمان، وتشجيعهم على سُكنى القرى، لاستكمال عملية تتريك الأناضول،وللدفاع عن أطراف البلاد ضد الأعداء والعابثين [١].

وساهم في نجاح هذا المشروع – إضافة إلى الحوافز التي وضعتها الدولة – قابلية بعض المهاجرين لمسألة التوطين لأنهم أصلا أهل مدن وقرى، هجروها هرباً من بطش المغول [٢]،بل أن بعضهم أطلق اسماء قراهم التي هجروها على القرى الجديدة التي أنشئوها[٣].

وكانت بعض القرى تضم أكثرية من النصارى الروم أو الأرمن – أهل البلاد الأصليين – لكنهم مع مضي الأيام تتركوا لوقوعهم وسط أغلبية من الترك، ولكن هذا حصل بالتدريج، وفي زمن غير قصير.[٤]

وكانت الحياة في القرى الواقعة على طرق التجارة، أكثر ازدهارا من غيرها، وكان أهل القرى يمارسون التجارة والزراعة وبعض الحرف والصناعات اليدوية والتعدينية التي يحتاجها سكان القرية.لكن القرى الكبيرة، والبعيدة ايضا عن مراكز المدن، لم تكن بمنأى من هجمات الأعداء، أو قطاع الطرق والثوار.[٥]

والسؤال الذي يطرح نفسه، هو: هل تطورت الحياة القروية أم اضمحلت في زمن السيطرة المغولية ؟ والإجابة على هذا السؤال ليست بالأمر الهين، لكن الشيء المؤكد أن الغزو المغولي سبقه و واكبه، تدفق عناصر بدوية إلى المنطقة، وهذا لا يساعد على حصول التطور المطلوب،بل ربما أدي إلى توقفه ولو إلى أجل محدود.[٦]

---

(١) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ٨٦
(٢) المصدر نفسه , ص ٨٧
(٣) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ٨٧.
(٤) كوبرلي: المرجع نفسه، ص ٨٨.
(٥) كوبرلي: المرجع نفسه، ص ٨٨.
(٦) المرجع نفسه، ص ٨٩.

أهل البادية:

وهم أيضا شريحة كبيرة من مجتمع آسيا الصغرى وكان عددهم ثابتا أن لم يتزايد. فمسألة التوطين كان يقابلها تدفق هجرات جديدة معظم عناصرها من البدو الرحل كما أن تعرض القرى للهجمات. أو المصادرات من قبل الموظفين المغول المدنيين والعسكريين. كل تلك العوامل تشجع على الجنوح نحو البداوة وامتهان حرفة الرعي والترحال.وأثناء تردد هؤلاء البدويين المصائف " القيشلاقات " والمشاتي " اليايلاقات " فإن بعضا منهم يمارسون إما زراعة أو صناعة يدوية – مثل صناعة السجاد- ولكنها محدودة في نطاق ضيق. ومرتبطة بما تنتجه الحيوانات التي هي عماد معيشتهم[1]. وهم في تنقلهم محدودون أيضا. فمشاتيهم ومصائفهم معروفة ومتوارثة عن أسلافهم، أو الجيل الأول الذي وفد منهم على المنطقة.[2]

وكانت دولة سلاجقة الروم تجبي زكاة الماشية من عشائر التركمان. واستمر الحال دون تغيير في زمن السيطرة المغولية.إلا أن بعض العشائر التي تقوم بها بعض المهمات خاصة في مناطق الحدود تعفي من الزكاة.[3]

وتميزت العناصر البدوية في آسيا الصغرى – كما في غيرها من المجتمعات – بعدم الاكتراث – أو حتى الاعتراف بأي نظام إجتماعي، غير نظامهم العشائري المتعارض في أكثر الأحيان مع نظام الدولة والسلطة.لذلك فهم لا ينصاعون للقانون أو النظام كما أنهم ينظرون بشئ من الإستخفاف إلى الحاضرة. ولا يترددون في التعدي على القرى أو المدن كلما شعروا بخلل أو قصور في أجهزة الإدارة وحفظ الأمن بها. خاصة في القرى والمدن ضعيفة التحصين. أو النائية. عندها تتحول العناصر البدوية إلى عناصر فوضوية مخربة.

(١) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية. ص ٧٩–٨٠

(٢) كوبرلي: المرجع السابق. ص ٧٩–٨٠

(٣) المرجع نفسه , ص ٨٠ ويسميها المؤلف " ضريبة" وربما تترك لهم زكاة مواشيهم يخرجونها بينهم و إلا فالزكاة حق شرعي لا يملك أحدٌ إعفاء أحدٍ منها.

وهم في الغالب لا يقدمون على مثل هذه الأعمال إلا بضغط خارجي كإجحاف جباة الزكاة والضرائب بحقهم، أو سوء استخدام المسئولين عنهم لسلطتهم، أو جشع وطمع زعمائهم المباشرين وإيثارهم مصالحهم الخاصة، أو الكوارث الطبيعية كالقحط أو نفوق مواشيهم لأي سبب من الأسباب [1].

٢ـ بعض العادات الاجتماعية:

سنتعرف في هذا المبحث على بعض العادات الإجتماعية المعمول بها في آسيا الصغرى في الفترة موضع الدراسة.وقد يكون في بعضها بدع دينية ليست من الإسلام الصحيح في شئ، ولا يعني إيرادها أننا نوافق عليها أو نقرها، لكنها الأمانة العلمية اقتضت إيرادها كما جاءت في المصادر.

أ ـ اللباس:

يهتم أهل الروم " بنظافة الملبس [2]، وبالألوان الزاهية [3]، وزيهم في العموم لا يخرج عن ذلك الذي يرتديه الترك والمغول، والمكون من الأقبية التترية، غير أن القطعة التي تغطي الرأس منه تكون متسعة مرحرحة كأنها طبق، ويشدون أوساطهم بالمناطق والسيوف، ومناطقهم ثقال، وسيوفهم تشبه السيوف المغربية وهي على أشكال العربيات لكنها أخف منها.كما أنهم يرتدون الجوخ و الصوف، والحرير الأطلس والد يباج، وسائر أنواع الحرير[4].

ولم يتغير هذا الزي كثيراً في عصر الإمارات التركمانية، إلا أن بعض الجماعات تميزت بلباس خاص، فالغزاة [5] مثلا يغطون رؤوسهم بغطاء أبيض يشبه القلنسوة [6].أما جماعات الأخية، فلكل جماعة لباسهم الخاص، حيث رأى

(١) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ، ص ٨٠-٨١
(٢) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٣٢٠.
(٣) هايد: المرجع السابق، ج٣ ، ص ٢٣٨
(٤) العمري: مسالك الأبصار. السفر ٣، ص ١٦٩.
(٥) الغزاة جمع غازي، وهم فئة من المقاتلين التركمان بمناطق الأوج كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ، ص ١٥
(٦) أحمد مصطفى: المرجع السابق، ص ٢٧.

ابـن بطوطـة أحـدهم يرتـدي أثوابـا خلقـة وعلـى رأسـه قلنسـوة لبـد، وشـبهه بالمتصوفة[1]، ورأى جماعـة منهم في أحد مجالسهم يرتدون الأقبية، وفي أرجلهم الأخفـاف، ومتحزمـون في أوسـاطهم بسـكاكين طـول الواحـدة منهـا ذراعـان، وعلى رؤوسهم قلانس بيض من الصوف،وبأعلى كل قلنسوة قطعة موصلة بها، طولها ذراع وعرضها إصبعان،وبعد استوائهم في المجلس، نزع كل واحد منهم قلنسوقة ويبقي على رأسه قلنسوة أخرى من الزردخاني وما شابهه وهي ذات منظر حسن [2]وفي زاوية أخرى للأخية كان لباسهم السراويل وهي عندهم بمثابة الخرقة عند الصوفية [3].

وفي بعـض منـاطق آسـيا الصـغرى [4]، يعتمـر النسـاء العمـائم، فيـتعممن كالرجال، ويختلف حجم العمامة من امرأة إلى أخرى حسب الإنجاب، فعندما تضع المرأة ولدا تعتمر عمامة طولها ستة أذرع، وكلما أنجبت ولداً آخر، زادت في العمامة ستة أذرع.[5]

وذكر ابن بطوطة أن النساء في المنطقة لا يحتجبن [6]، لكن من يحضر منهن مجالس العلماء، أو زعماء الصوفية فإنهن يلتزمن بالحجاب[7].

ب- الطعام:

سبقت الإشارة إلى أن أهـل بـلاد الـروم هـم أطيب النـاس طعامـا [8].وقـد عرفـوا أصنافا شـتى مـن الطعـام، خاصـة مـا يـدخل اللحـم في إعـداده لتـوفر

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٣٢٠-٣٢١.
(٢) رحلة ابن بطو طة ج١ , ص ٢٧٥
(٣) رحلة ابن بطوطة ج١, ص ٣٢٠
(٤) وتحديدا في أنطالية. انظر: علي الغامدي: أنطالية في عصر الحروب الصليبية ص ٦٢
(٥) كتاب الحوادث الجامعة ص ٣٨٩، نقلا عن ابن الجوزي اثر زيارته لأنطالية سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣. وانظر: علي الغامدي: أنطالية في عصر الحروب الصليبية ص ٦٢
(٦) رحلة ابن بطوطة ص ج١ , ص ٣١٢
(٧) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ,. ص ١٦٤
(٨) انظر ما سبق من هذا البحث

الحيوانات ببلادهم, وبعض أطباق الطعام التي كانوا يتناولونها ورثوها عن أسلافهم الأوائل الذين عاشوا في سهوب آسيا الوسطى, موطن الترك الأول, فكانوا يعرفون الشواء.خاصة, من لحوم الأغنام.. وهو من الأطباق الرئيسية عندهم وعرفوا أيضا أطباق الخضار خاصة المحشوة منها بالأرز والبصل والمكسرات [١].

وكان منهم من أمتهن حرفة صيد السمك, خاصة في المدن الساحلية.مما يدل على تناولهم للحوم والأسماك [٢].

وذكر ابن بطوطة أن من عاداتهم اعداد ما يكفي من الخبز لمدة أسبوع في يوم واحد, بمعنى أنهم لا يخبزون في الأسبوع إلا يوما واحدا والنسوة يقمن بهذه المهمة وكانوا يهدون لابن بطوطة ورفاقه الخبز حاراً، في يوم خبزه ومعه الإدام الطيب.إتحافاً لهم وإكراما, ويقول رجالهم " إن النساء بعثن هذا إليكم وهن يطلبن منكم الدعاء".[٣]

وكان بعض الناس يتناولون النبيذ المصنوع من الزبيب وغيره من الفواكه, ويشربون لبن الخيل يعد تخميره ويسمونه "القُمّز". كما أنهم يتناولون الحشيشة ولا يرون في ذلك تحريما[٤]

ج- الأعياد:

يحتفل المسلمون في آسيا الصغرى بعيدي الفطر والأضحى وصوّر ابن بطوطة بقلمه كيفية احتفال أهل "لاديق" بعيد الفطر وهو يصلح أن يكون نموذجا لبقية المناطق في آسيا الصغرى، ربما مع إختلافات طفيفة.

(١) دليل فودرورز , ص ٦٧
(٢) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية.
(٣) رحلة ابن بطوطة , ج١, ص ٣١٢
(٤) المصدر نفسه , ج١ , ص ٣١٢

فالناس يخرجون من المدينة قاصدين المصلى. وعلى رأسهم الأمير، ومعه عساكره.وجماعات الفتيان الأخية. وكلهم بأسلحتهم ومع كل طائفة من الأخية أعلامهم و بوقاتهم وطبولهم.ويفاخر بعضهم بعضا ، بحسن الهيئة وكمال الشكل، ويسوقون معهم الغنم والبقر.ويحملون كميات كبيرة من الخبز فيعرّجُون على مقبرة المدينة فيذبحون الذبائح.ويتصدقون بلحومها وبالخبز الذي معهم. وبعد ذلك يتجهون إلى المصلى، وهو بظاهر المدينة.وبعد انقضاء الصلاة، ينصرف الأمير إلى قصره.فيأمر بتوزيع الطعام على الأسمطة حيث يجلس الأعيان من الفقهاء والعلماء وزعماء الأخية على سماط.والفقراء والمساكين وعامة الناس على سماط آخر.ولا يمنع الأمير أحدا من دخول قصره في ذلك اليوم.وتناول الطعام على سماطة كائنا من كان.[1]

وسبقت الإشارة في ثنايا هذا البحث، إلى احتفال النصارى بعيد الغطاس[2]. ويمكن أن يقاس على هذا. أن كل أهل ملة كانوا يحتفلون بأعيادهم الخاصة بهم على طريقتهم.

وحضر ابن بطوطة جنازة أم أمير سينوب [3]. حيث خرج ابنها الأمير ماشيا على قدميه. كاشفا رأسه. ومثله فعل الأمراء والمماليك. وكلهم يرتدون ثيابهم مقلوبة. وكذلك فعل القاضي والخطيب. والفقهاء إلا أنهم لم يكشفوا عن رؤوسهم، واستعاضوا عن العمائم بمناديل من الصوف الأسود. وامتدت مدة العزاء إلى أربعين يوما، يقومون خلالها بإطعام الطعام.[4]

---

(١) رحلة ابن بطوطة. ج١ , ص ٣٢٠- ٢٣١

(٢) عيد الغطاس: وهو عادة غمس أبنائهم كبيرهم وصغيره ذكرهم وأنثاهم حتى الرضع في الماء رغم البرودة-لكون العيد يأتي في فصل الشتاء- بسب اعتقادهم بأن ذلك يقيهم من المرض طوال حياتهم. ابن الحاج: المدخل , دار التراث القاهرة (ب- ت),ج٢ ص٥٩.

(٣) رحلة ابن بطوطة , ج١ , ص ٣٥٠. أحمد توني: المرجع السابق، ص ٣٤٣

(٤) كوبرلي: قيام لدولة العثمانية , ص ١٠٤

أما الاحتفالات الرسمية والتشريفات التي كانت تُقام في قصور السلاطين والأمراء، كاستقبال السفراء أو رحلات الصيد والزيجات، فكانت توصف بالبذخ الطائل، الذي يصل إلى درجة الإسراف [1].

وما دمنا في ذكر العادات الإجتماعية، فلعل من المناسب إيراد بعض الاحتفالات التي رآها ابن بطوطة في بلاد الروم ومنها احتفال الأخية في أحدى المدن بيوم عاشوراء حيث صام الناس نهار ذلك اليوم، وفي المساء أعد الآخي صاحب الزاوية مأدبة إفطار كبيرة، دعا إليها أعيان المدينة من العسكر والفقهاء والعلماء والتجار وغيرهم وبعد الإفطار قرأ بعض الحاضرين آيات من القرآن الكريم، بترتيل حسن ثم قام أحد كبار الفقهاء فوعظ وذكّر، بعد ذلك أنخرط الحاضرون في السماع و الرقص " وكانت ليلة عظيمة الشأن."[2]

٣ـ جماعة الأخية لله آخيان روم لله

هي إحدى طوائف المجتمع في آسيا الصغرى، لكنها شكلت ظاهرة تميزت بها آسيا الصغرى أكثر من غيرها، وهي تستحق الدراسة والإهتمام.[3]

الأخية هي النسخة التركية من نظام الفتوة الذي كان الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥- ٦٢٢هـ/١١٧٩- ١٢٢٥م) من أشد المنادين به، ورسّخ قواعده وأمر بنشره في أنحاء العالم الإسلامي، وليس هنا مجال البحث في نشأة النظام [3]، لكن ما يهمنا هو تطوره والصورة التي كان عليها في المنطقة في الفترة موضع الدراسة، ومساهمته في النواحي السياسية والإجتماعية والإقتصادية.

(١) رحلة ابن بطوطة، ج١ ص ٣٣٧
(٢) رحلة ابن بطوطة ج١، ص ٣٣٧
(٣) رحلة ابن بطوطة ، ج١ ص ٢٩٥. الكسندر خاتشا نزيان: أهل الفتوة والفتيان في المجتمع الإسلامي، ص٥٥.

يرى ابن بطوطة- وهو المصدر المقدم على غيره في هذه الناحية – أن كلمة " آخية" جمع، ومفردها" آخي " على لفظ الأخ إذا أضافه المتكلم إلى نفسه [1]. فهي على حسب رأيه، عربية صرفة. لكن هناك من يعارض هذا الرأي، ويعتقد أن كلمة " آخي " تركية، ومعروفة فهذا اللفظ في اللغة التركية الأويغوريه التي يستخدمها الأتراك في موطنهم الأصلي في وسط آسيا.ومعناها، الجواد.الشهم الكريم.وتنطق في التركية الرومية – المستخدمة في آسيا الصغرى "آقي". ولها تقريبا نفس المعني.[2] لذلك فمن المحتمل أن يكون هناك تطابق في اللفظتين العربية والتركية، لفظا ومعنى، وإن هذا جاء على سبيل المصادفة البحتة.[3]

ومن مرادفات آخي.العيار، والرند، وآلبر، والغازي، والشاطر، والحرفوش[4].

وظهر الآخية كتشكيل منظم في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.وبلغ ذروة التطور والانتشار في القرن التالي وليس معروفا على وجه الدقة متى كان ظهور ذلك التنظيم ولازالت الدراسات عاجزة عن تجلية الغموض الذي يكتنف هذه المسألة[5]..

ويمكن القول أن الآخية جماعات منظمة على شاكلة ما يعرف في وقتنا الحاضر بالنقابات [6]. وكان أعضاء كل طائفة منها أصحاب حرفة معينة. ولها

(١) رحلة ابن بطوطة ج١ , ص ٣١٤-٣١٥

(٢) دائرة المعرف الإسلامية ,ج٢ , مادة آخي.

(٣) الكساندر : أهل الفتوة ص ١٢٨

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ,ج٢ , مادة آخي , كوبرلي: قيام الدولة العثمانية , ص ١٥١

(٥) كوبرلي: المرجع نفسه , ص ١٥٥- ١٥٦ , هناك من يرى ان التنظيم جاء مع السلاجقة من إيران. الكساندر: أهل الفتوة ص ١٢٧. , وقيل إن أول ظهور له بصورة جلية كان غداة كارثة كوسه داغ المرجع السابق ص ٢٨ .caheh;Pre Of Ottoman Turkey,3 35

(٦) دائرة المعارف الإسلامية. ج٢، مادة آخي , علي الغامدي: أنطالية في عصر الحروب الصليبية , ص ٦٩

تنظيم دقيق، يتكون من الأعضاء وهم الفتيان.وهم طبقتان [١] وقيل ثلاث [٢].ولهم زعيم يُنتخب من بينهم ويسمى " الآخي " ولابد لهم من زاوية يجتمعون بها، وكان الأعضاء وزعيمهم في باديء الأمر من الشباب العزاب، لكن بعد إنتشار الجماعات وتأثيرها في مناحي الحياة، انضم إليها كثير من الناس، فكان منهم أمراء، وعساكر، وقضاة وفقهاء، وحتى مشايخ الصوفية ووصل بعض أولئك الأعيان إلى رتبة آخي في جماعته [٣]

وأسهمت تلك الجماعات بشكل مباشر في كثير من مناحي الحياة، وكان السلاطين، والوزراء، والولاة وكبار رجال الدولة يُنزلونهم منازل التكريم والإجلال[٤]

وإن كان يعتقد في أن تنظيم الآخية قام أساساً على تكريس مبدأ الإحسان، والاعتناء بالغرباء والضيوف وإكرامهم[٥]، فإن تأثيرهم تخطى ذلك بمراحل كثيرة فمن الناحية الأمنية ، فإنهم تولوا تحقيق الأمن للمدينة أو القرية، وقت الأزمات، وعارضوا بشدة الظلم والظلمة وقاوموهم حتى إن كانوا ولاة أو موظفين حكوميين، أو من أفراد الشرطة [٦]

من الناحية الاقتصادية، فإن طوائفهم كانت تضم كافة الحرف، وكل طائفة تتولى تدبير ما تختص به من حرفة أو عمل.فينظمون عمليات الاستيراد والتصدير وبيع السلع.وتحديد مواصفاتها وأسعارها، و إقامة الأسواق، وكان من عناصرها كبار التجار والحرفيين

---

(١) طبقة قولية " أي أصحاب قول " فهم يتطقون بشهادة عامة فحسب ، وسيفية: أي أصحاب سيف: فهم يحملون السلاح، انظر الكسندر: أهل الفتوة ، ص ١٣٤

(٢) طبقة: الفتى ، وطبقة " بيكيت " وطبقة " العادي " انظر: كوبرلي: قيام الدولة العثمانية. ص ١٥٨-١٥٩

(٣) رحلة ابن بطوطة ، ج١ ص ٢٩٥-٢٩٦؛ رجب: المرجع السابق ، ص ٩٣.

(٤) رحلة ابن بطوطة ج١. ، ص ٢٩٥، كوبرلي: قيام الدولة العثمانية

(٥) رحلة ابن بطوطة ج١ ، ص ٣١٤.

(٦) رحلة ابن بطوطة ج١ ص ٣١٥ ، على الغامدي: أنطالية في عصر الحروب الصليبية، ص ٦٥، ٦٧

من الناحية السياسية، شكلوا قوة يُحسب حسابها. وكانت القوى المتصارعة على شئون الحكم والسياسة من سلاجقة ومغول وتركمان. يتنافسون على كسب ولائهم.لأنه من نجح في ذلك، نجح في فرض سيطرته على البلد. وذكرت المصادر موقف جماعات الآخية في العاصمة قونية من عدة حوادث خاصة زمن زعيمهم آخي "أحمد شاه" حيث جنب العاصمة من الوقوع تحت هجوم جيش كيخاتو، كما ساهم في إفشال مشروع والدة السلطان كخسرو الثالث عندما رامت تقسيم عرش سلاجقة الروم بين حفيديها ابني كيخسرو الثالث. والسلطان مسعود الثاني، كما أنهم وقفوا دائما ضد هجمات التركمان على المدن، خاصة قونية وقد سبقت الإشارة إلى الحديث عن موقفهم من فتنة جمري، ولعل هذا يفسر ما قام به التركمان من أبناء قرمان، من تتبع لعناصر الأخية، وقتلهم والتنكيل بهم عندما سيطروا على قونية سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م[١].

وما دام الحديث متصلا عن "آخية قونية"، زمن آخي أحمد شاه، فلعل من المناسب أن نذكر أن هذا الرجل كان يتمتع بنفوذ عريض، فإضافةً إلى ثرائه الواسع من مزاولته للتجارة، فإنه كان يأمر على بضعة آلاف من الفتيان.وقد وصفه الأفلاكي بقوله "" ملك الفتيان، ونادرة الزمان، رئيس الفتوة بمدينة قونية"[٢].

واغتيل آخي أحمد شاه في سنة ٦٩٧ هـ/ ١٢٩٨م، في قونية، وسار في جنازته ما يربو على خمسة عشر ألف إنسان، وتوعد السلطان علاء الدين كيقباذ الثالث بتعقب الفاعل والاقتصاص منه، ووفى بوعده بعد بضعة أشهر.

(1) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey p. 338-339
(2) Manakibu-Alarefin, s416

وانظر: أحمد توني: المرجع السابق، ص ٣٥٣.

حيث أُلقى القبض على أحد قادة السلطان العسكريين وأدين بارتكاب الجريمة وتم إعدامه (١)

و إذا كان للأخية موقف معارض من التركمان، فإن موقفهم من المغول لم يكن مختلفا عن ذلك، وكان منطلق معارضتهم للتركمان دوافع اقتصادية واجتماعية، أما من المغول فإن الدوافع الدينية والوطنية هي السبب(٢).

وكان لجماعات الأخية دور في نشر الدين الإسلامي خاصة بين النصارى في القرى والمدن وإن كان هذا يُعزا للطرق الصوفية عامة والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هل يمكن اعتبار جماعات الآخية إحدى الطرق الصوفية ؟

لقد إختلف الباحثون في الإجابة على هذا السؤال، فهناك فريق يرى أنهم كذلك وأنه لا يمكن فصلهم عن الطرق الصوفية التي كانت منتشرة في المنطقة(٣).

وفريق آخر برئهم من هذه التهمة(٤) والشيء المؤكد أنهم يشتركون مع الطرق الصوفية في بعض الأمور، كإقامة مجالس الرقص والسماع، وارتداء زي معين، والاجتماع في الزوايا، والتي هي من ركائزهم ورموزهم الرئيسية.(٥)

وانتشرت جماعات الأخية في آسيا الصغرى، في الفترة موضع الدراسة، حتى لم تكد تخلو منها قرية من القرى ناهيك عن المدن(١)، ورآها ابن بطوطة، في جميع المدن التي زارها تقريباً، وعددها يناهز الخمس وعشرين مدينة (٢)

---

(1) Anonim Slçuk-nâme,s. 140- 1413, Cahen:Op. Cit. . p. 339.

(٢) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ١٢٥.

(٣) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٨٦، ص ٣٧٩. عبد النعيم حسنين: دولة السلاجقة ، ص٢ ٦٣ ؛ أحمد مصطفى: المرجع السابق ص ٢٨.

(٤) رجب: المرجع السابق، ص ٩٢ – ٩٣. الكساندر خانتشا تريان: ديوان النقوش العربية في أرمينية ، دمشق ١٩٩٣م، ج، ١ ص ٢٠٢

(٥) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص ٣١٤ـــ ٣٢٥؛ علي الغامدي: أنطالية في عصر الحروب الصليبية، ص ٩٦، أحمد توني: المرجع السابق، ص ٣٥١.

ثانياً: الحالة الاقتصادية:

بناء على أن دولة سلاجقة الروم, بلغت أوج مجدها عشية غزو المغول لها, فيمكن القول أن حالتها الاقتصادية, كانت جيدة, لكن الغزو الذي غير وجه المنطقة, أثر أيضاً على اقتصادها, وليس من السهل- كما هو في دراسة جميع جوانب هذا الموضوع – التعرف بدقة على التطورات السلبية والإيجابية التي أفرزتها السيطرة المغولية على المنطقة[٣].

لكن افتراض حدوث أزمات اقتصادية عديدة ومتلاحقة، خلال فترة حكم المغول، أمرٌ يبدو مقبولاً للباحثين, كما أن قيام بعض المسئولين والموظفين سواءً من قبل سلاطين سلاجقة الروم, أو إيلخانات فارس, بمحاولات إصلاح أو ترميم الحالة الإقتصادية, يمكن استنتاجه أيضاً من خلال البحث في ثنايا المصادر والمراجع المتخصصة.

وسنحاول في السطور التالية، تتبع مراحل ضعف وقوة الحالة الاقتصادية في المنطقة خلال الفترة موضع الدراسة.

ابتداءً فإن الفترة التي تلت كارثة كوسه داغ, والحرب الأهلية بين خلفاء كيخسرو الثاني, وتدخل المغول فيها، وفرض المزيد من الضرائب أرهقت – ولا شك – اقتصاد المنطقة, وربما تسببت في حصول كساد[٤].

وتلا ذلك عهد معين الدين سليمان بروانه, والذي عمل جاهداً للحفاظ على رونق الدولة, أو ما تبقى منه، فاستعاد الاقتصاد بعض عافيته.[٥]

(١) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية , ص ١١٠.
(٢) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص ٣١٤ـ ٣٥٠؛ كوبرلي: قيام الدولة العثمانية , ص ١٥٦.
(٣) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية , ص ٩٦-٩٧
(٤) الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين, ص ٢٣٥
(٥) عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة، ص ٢٩.

لكن غزو السلطان الظاهر بيبرس للمنطقة، وما نتج عن ذلك من تشديد المغول قبضتهم على المنطقة، وقدوم موظفين لإدارة المنطقة من خارجها، وتعسفهم في جباية الضرائب أدى إلى انتكاسة الحالة الاقتصادية.(١)

وتأثرت المنطقة أيضاً بالأزمات الإقتصادية التي حدثت في الدولة الإيلخانية نفسها، كما حصل في عهد الإيلخان كيخاتو، حين استحدثت العملة الورقية " الجاو"، للتغلب على الأزمة الإقتصادية الطاحنة، التي عصفت بالدولة، وعُممت العملة الجديدة على كافة أجزاء الدولة الإيلخانية، حيث أنشيء مصنع لإصدار الجاو في آسيا الصغرى، لكن المشروع لم يلبث أن انهار برمته، بعد مدة قصيرة من تبنيه.(٢)

وفي عهد السلطان غازان، بدأت الإصلاحات العامة، ومنها توحيد العملة في جميع أنحاء الدولة الإيلخانية، وكذلك توحيد الموازين، والمكاييل، والمقاييس، وكان الوضع السائد قبل ذلك، أن لكل جزء من الدولة عملته المحلية، وموازينه ومكاييله الخاصة، وليس خافياً أن ذلك الإختلاف يتسبب في إضعاف اقتصاد الدولة.(٣)

ومن إصلاحات غازان الإقتصادية أيضاً، إعادة ترتيب فرض الضرائب، وطريقة جبايتها "فاستراح الناس من بلاء عظيم."(٤)

ويبدو أن تلك الإصلاحات نشّطت وضع الاقتصاد عموماً، فظهر الازدهار التجاري، أكثر وضوحاً من غيره.(٥) ويظهر من كتابات ابن بطوطة والعمري - وهما عاصرا أواخر دولة المغول الإيلخانيين، وظهور الإمارات التركمانية - أن

---

(١) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ص ٩٦.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق٢، ص ١٨١-١٨٤، البدليسي: شرف نامه , ج٢، ص ١٢-١٤، بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية , ج٢ ص ٢٧٤.

(٣) كتاب الحوادث الجامعة , ص ٤٩٨، الهمذاني , تاريخ غازان , ص ٣١٩-٣٢٣،خواندمير: حبيب السير، مجلد ١ , از مجلد سوم ص ١٧٥-١٧٦.

(٤) الهمذاني: تاريخ غازان , ص ٣٣٨.

(٥) الهمذاني: المصدر نفسه , ص ٣٢٠, عباس اقبال: تاريخ المغول , ص ٢٩٤-٢٩٦.

الاقتصاد – في تلك الفترة – في آسيا الصغرى، كان مزدهراً. فالأسعار رخيّة، والسلع متوفرة، والثراء ظاهر.[1] وعزا العُمري أسباب ذلك إلى " قلة المكوس، وكثرة المراعي المباحة، واتساع سبل التجارة واكتناف البحر."[2]

١- الثروة الحيوانية:

أدى اتساع مساحة آسيا الصغرى وتنوع المناخ والتضاريس فيها وهجرة التركمان الرحل إليها، إلى تنامي الثروة الحيوانية بها حتى أنه " لا يكاد يخلو أحد في الروم من أغنام تجلب له اللبن فلا يحتاج ليشتريه"[3]، ناهيك عن السوائم من كافة أنواع المواشي، والتي لا تدخل تحت حصر، وأعظمها عدداً الغنم " فإنها تبسط فرش الأرض" [4].

وإذا بحثنا في التفاصيل فبالإمكان القول، أن الخيل في بلاد الروم مشهورة خاصة ما كان منها بقصطمونية ونواحيها، فهي تضاهي الخيل العربية، وأنسابها عندهم محفوظة، ويغالى ثمنها، خاصة في أماكنها، وقد يتجاوز ثمن الرأس منها ألف دينار ذهباً، ولا يستكثر من يعرفها بذل المال فيها، وإذا أراد بائع الخيل مكسباً طائلاً ادعى أنها قصطمونية، حتى وأن لم تكن كذلك.[5]

والخيول في بلاد بني قرمان لا تقل جودة عن نظيراتها في قصطمونية، وهي مشهورة أيضا بالأصالة، وحفظ النسب، وغلاء الثمن [6]

---

(١) رحلة ابن بطوطة ، ج١ ، ص ٣١٤-٣٥٠، العمري: مسالك الأبصار ، السفر ٣ ص ١٥٤-١٥٥، كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ص ٩٦.

(٢) مسالك الأبصار ، السفر ٣. ص ١٥٤-١٥٥، وانظر القلقشندي: صبح الأعشى. ج٥، ص ٣٣٩.

(٣) العمري: مسالك الأبصار، السفر ٣: ص ١٥٥.

(٤) المصدر نفسه: السفر ٣ ص ١٥٤.

(٥) العمري: مسالك الأبصار ، السفر ٣ص ١٥٧، القلقشندي: صبح الأعشى ، ج٥ ص ٣٥٦؛ رحلة ماركوبولو ج٢، ص ٣٠.

(٦) العمري: المصدر نفسه ، ج السفر ٣ ، ص ١٦٨. Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. p. 307.

وقريب من الخيل، الأكاديش [١] وهي فائقة الجودة أيضا وتتميز بالقوة والسرعة ومن الناس من يفضلها على الخيل.[٢]

وهناك الأبقار، والبغال، والحمير الفارهة القوية.[٣]

أما الأغنام فلا تكاد تعد من كثرتها، كما سبقت الإشارة إليه ومنها نوع من الماعز يعرف بالمرعزي، ذات أوبار تضاهي الحرير نعومة ورقة، إضافة إلى لذة طعم لحومها، وهي تصدر إلى العراق وبلاد العجم.[٤]

وهناك النحل التي يخرج من بطونها أنواعاً لذيذة من العسل، يُضرب بلذتها المثل، فهو كالثلج بياضاً والسكر حلاوةً، مع طعم لا حدةً فيه ولا إفراط في اللذة، ومع ذلك يباع بأرخص الأثمان، فالرطل لا يتجاوز ثلاثة دراهم.[٥]

دراهم.[٥]

ومن الطيور، تتوفر الصقور بأنواعها منها البزاة والشواهين، وهي - مثل بقية الثروة الحيوانية المشار إليها - تصدر إلى العالم الخارجي.[٦]

ومع ذلك فإن الجمال غير متوفرة عندهم، ومرد ذلك إلى وعورة التضاريس وشدة البرد شتاءً، ويستعيضون عنها بالبغال والأكاديش والحمير.[٧]

كما أنهم يسعون إلى تنويع فصائل الخيل دوماً، فيستوردون المزيد منها خاصة من مواطن الترك الأصلية، في وسط آسيا وبلاد القفجاق.[٨]

---

(١) أكاديش: جمع مفرده اكديش كلمة فارسية وهو الهجين من الحيوان غيره، المولد من فصيلتين مختلفتين، التونجي: المرجع السابق، مادة اكديش
(٢) العمري: المصدر نفسه، السفر ٣، ص ١٦٨- ١٦٩، القلقشندي صبح الأعشى، ج٥،ص٣٥٦.
(٣) العمري: المصدر نفسه، السفر ٣، ص ١٧٣.
(٤) العمري: مسالك الأبصار، السفر ٣، ص ١٥٤، القلقشندي صبح الأعشى، ج٥، ص ٣٣٨.
(٥) العمري: المصدر السابق، السفر ٣، ص ١٥٤-١٥٥.
(٦) العمري: المصدر نفسه، السفر ٣، ص ١٥٤، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٣٣٨، خطاب: المرجع السابق ص ٢٢١
(٧) العمري: المصدر نفسه، السفر ٣، ص ١٧٣.
(٨) المصدر نفسه، السفر ٣، ص ١٨٦-١٨٧.

٢- الزراعة:

عندما ضم السلاجقة آسيا الصغرى إلى ممتلكاتهم، كانوا بحاجة ماسة إلى الزراعة. ولأن أكثر من جاء معهم من بني جلدتهم، إما جنود أو بدو رحل وغير مهتمين بالزراعة.[١] فقد سعوا للمحافظة على الوضع الزارعي الذي ورثوه عن البيزنطيين. وأبقوا الفلاحين في مزارعهم. وفرضوا عليهم الخراج. كما عملوا على توطين الأتراك، وشجعوهم على ممارسة الزراعة والاعتناء بها. وقدموا لهم المساعدات والحوافز. ومنحوهم البذور ودواب الحقل. وبنوا الجسور والسدود والنواعير وقنوات جلب الماء.[٢]

وإذا أضفنا إلى ذلك غزارة المياه في المنطقة والمتمثلة في الأنهار والبحيرات. والعيون. والآبار[٣] وكذلك خصوبة الأرض حتى أن بعض الأماكن تنبت فيها الثمار والفواكه. وتكون مباحة لا مالك لها. أدركنا إمكانية التطور الزراعي وغزارة الإنتاج وتنوعه في المنطقة.وكان النظام قائما على ثلاثة أشكال

الأول: طائفة من القرويين – وهم أقلية – تزرع أراضيها بنفسها.

الثاني: طائفة تزرع أراضي غيرها مقابل أجر يومي.

الأخير: وهم الأكثرية أثرياء يستغلون رؤوس أمولهم في زراعة أراضي يملكها غيرهم لقاء اقتسام الأرباح مناصفة.وقد أفرز المجتمع الزراعي في المنطقة في الفترة موضع الدراسة طبقة أرستقراطية مهيمنة على الأرض. وحال ذلك دون استمرار حالة الفلاحين على سابق عهدها من العبودية. وقد

---

(1) Cahen :Pre Of Ottoman Turkey. 318.

(٢) أبو الفداء :تقويم البلدان، ص ٣٨٣، رحلة ابن بطوطة: ج١: ص ٣٢٦، كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ٨٩ ؛ أحمد توني: المرجع السابق ص ٣١٢.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٨١، الاصطخري (ابراهيم بن محمد الكرخي، الاصطخري، ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر الحيني، لقاهرة ١٣٨١هـ /١٩٦١م، ص ٤٧ ياقوت معجم البلدان ج٣ ص ١١٦ ؛ أبو الفداء: تقويم البلدان ص ٣٨١:٣٨٥

استمر هذا النظام دون تغيير أساسي حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي [1].

لكن الغزو المغولي، وما نجم عنه من تغيير في الأوضاع السياسية والادراية والعسكرية، أدى إلى تدهور الزراعة.ولم يستطع المهاجرون الجدد الذين جاؤوا بين يدي الغزو المغولي، بما يحمله بعضهم من ثقافة زراعية محلية، من إصلاح الوضع بالصورة المطلوبة[2]، وزاد الطين بلة، السياسة التي انتهجها الموظفون المغول أو من يعملون تحت ادارتهم، خاصة منذ إنتهاء عهد معين الدين سليمان بروانه، الذي يُعتبر عهد استقرار نسبي، مع المحافظة على ما تبقى للدولة السلجوقية من نظم وعادات في جميع شئون الحياة [3]

ونتيجة للسياسات الجائرة، والتعسف، والحملات العسكرية.وتنقلات العساكر المغولية بين المصائف والمشاتي.تحولت معظم الأراضي الزراعية إلى بوار.[4]وقد سبقت الإشارة إلى مدى حجم الضرر الذي أصاب " الضياع " الزراعية، حتى لم يبق من عشرات الآلاف منها إلا عدد قليل [5].

وربما كان هذا التحول من أراضي زراعية إلى مراعي، يناسب كلا من الجنسين المسيطرين على المنطقة، في تلك الفترة وهما المغول والتركمان، لأن عماد الثروة عندهما قائم على تربية المواشي ورعيها والانتقال بها من مكان إلى آخر.[6]

واستمر التدهور في المجال الزراعي حتى وصفة أحد المعاصرين بقوله " أكثر القرى والقصاب أصبح يباباً خرابا.وبار أكثر المزارع"[7].وكان لا بد من

---

(١) عثمان توران: الأنضول في عهد السلاجقة , ص ٣٥

(٢) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية , ص ٨٧

(٣) انظر ما سبق ص من هذا البحث

(٤) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص ٣٨٧ حسن الأمين المرجع السابق , ص ٣١٧ Cahen :Pre Of Ottoman Turkey , p. 318.

(٥) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية , ص ٨٧

(٦) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية , ص ٨٧

(٧) المهذاني: تاريخ غازان: ص ٣٢٧

الانتظار حتى يحين عهد غازان، فيبدأ حركة إصلاح شاملة، وكان للزراعة منها نصيب أوفر، ومن المراسم التي صدرت في هذا الشأن أن من أحيى أرضا وعمرها وزرعها وكانت متصلة بنهر جار لا مشقة في سقياها يعفي من " الضريبة " المقررة في السنة الأولى، وهناك قرارات أخرى غيرها [1].نتيجة لتلك السياسة الإصلاحية، انتعشت الزراعة، وبدأنا نقرأ في كتب أبي الفداء، وابن بطوطة، والعمري، أوصافا مغايرة لتلك السابقة، يُستنتج منها أنه منذ عهد غازان و خلفائه، بدأت في العودة إلى سابق عهدها من التطور والازدهار، وتميزت تلك الفترة بغزارة الإنتاج وجودته وتصديره إلى خارج المنطقة.وكانت أراضي آسيا الصغرى تنتج الكثير من المحاصيل الزراعية وقد تتميز منطقة بمحصول دون غيره، ذلك تبعا لاختلاف المناخ ونوع التربة، ولولا خشية الإطالة، لذكرنا كل محصول والأماكن – أو المكان – الذي يجود فيه، ولكننا سنستعرض أهم المحاصيل جملة إن شاء الله.

فمن المحاصيل المتميزة القطن والكتان [2] وكثير من الفواكه، منها: العنب، والرمان، بألوانه و طعومه المختلفة [3] والتفاح والسفرجل، والخوخ والمشمش، وهو متميز ويعرف بقمر الدين[4]، ومنها التوت والتين، [5] وهناك الفستق واللوز والجوز، والبندق [6]والحبوب بأنواعها: القمح، والذرة والشعير والأرز والعدس.[7] وهناك أيضا: البقوليات، والبصل، والثوم والقصب.[8] إضافة

(١) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص ٣٢٧- ٣٢٨" وانظر: حسن الأمين: المرجع السابق، ص ٣٢٦

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص ٣٣٨-٣٣٩ ؛ هايد: المرجع السابق، ج٤، ص ١١٦.

(٣) العمري: مسالك الأبصار السفر ٣، ص ١٧٠-١٧١ ؛ هايد: المرجع، السابق ج٤، ص ١٨٤

(٤) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ٢٨٦، رحلة ابن بطوطة: ج١، ص ٣٣٩- ٣٤٤، ٣٤٩ العمري: مسالك الأبصار: السفر ٣، ص ١٧٠-١٧١: أحمد توني: المرجع السابق، ص ٣١٥.

(٥) رحلة ابن بطوطة، ج١ ص ٣٣٩- ٣٤٤؛ القرماني: المصدر السابق، ج٣ ص ٣٠٦

(٦) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص ٨٦ ؛ خطاب: المرجع السابق، ص ٢١١

(٧) رحلة ابن بطوطة: ج١ ص ٣٤٧ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥ ص ٣٣٦- ٣٣٩. لستريخ: المرجع السابق ص ١٨١

(٨) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٣٣٨ -٣٣٩ ؛ خطاب: المرجع السابق، ص ٢٢١.

إضافة إلى الأخشاب [1] وكثير من تلك المحاصيل، يُصدر إلى الخارج لأنه أكثر جودة وأقل ثمنا مما ينتج في المناطق المجاورة كبلاد الشام ومصر والعراق وغيرها. [2]

ويقال أن المحاصيل التي تتصور بالجو البارد لا تجود زراعتها في المنطقة، ومنها الرطب والموز والحمضيات بأنواعها، إلا في مناطق السواحل حيث يمكن زراعة بعض الحمضيات مثل الليمون والنارينج ما شابههما. [3]

٣- الصناعة:

كانت الصناعة مزدهرة في آسيا الصغرى عشية غزو المغول لها وذلك لتوفر مواد الخام وتشجيع المسئولين للحرفيين والصناع، لكن الغزو المغولي آثر عليها كما أثر على جميع مناحي الحياة إلا أن المهاجرين الذين تدفقوا على المنطقة هرباً من زحف المغول، كان فيهم صناعاً وحرفيين نقلوا معهم خبراتهم إلى المنطقة وأدخلوا طرزهم المحلية إليها. [4]

وبعد خضوع المنطقة للمغول، عادت الصناعة للإنتعاش فيها من جديد، مدعومة بموقف المغول المتميز من الصناعة وأهلها، حيث يكنون لهم الاحترام، ويشجعونهم على إقامة " مستوطنات صناعية " وربما نقلهم من مكان إلى آخر للإستفادة من خبراتهم [5].

وكانت كل مدينة تحاول سد حاجات سكانها، وسكان القرى المحيطة بها، وتلبي رغباتهم الصناعية [6]

---

(١) القرماني: المصدر السابق، ج٣ ص ٣٠٦ ؛ علي الغامدي: أنطالية في عصر الحروب الصليبية. ص ٦٧

(٢) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص ١٨٤؛ كوبرلي: قيام الدولة العثمانية: ص ٩٧

(٣) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية: ص ٩٧

(٤) عباس اقبال: تاريخ المغول ،ص ٥٤٦-٥٤٧.

(٥) هايد: المرجع السابق , ج٢ ص ٣٠٦. D,ohsson: op. cit , III. P. 77-8.

(٦) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ص ١٠٦

وتنوعت الصناعات، حسب توفر المواد الخام، وحسب حاجات الناس فمنها اليدوية الدقيقة، ومنها المعقدة ويعمل فيها عدد من الناس مكونين فريقاً واحداً[1]ومنها ما يُصنع في المدن والقرى، ومنها ما ينتجه البدو الرحل [2].

ومن الصناعات التي اشتهرت بها المنطقة صناعة الأقمشة، والمنسوجات بمختلف أنواعها فاشتهرت مدينة لاذيق بصناعة الثياب القطنية الموشاة بالذهب[3]، وسيواس بالثياب القطنية كذلك[4]

صناعة الطنافس [5]وكانت تزين بالزخارف والأشكال الهندسية والنباتية، والنجمات والأحزمة، والألوان المتعددة المختلفة، تدل بقاياها المحفوظة في متحف قونية على خصوبة عالية في مجال الأبتكار، ودقة في الصناعة[6]وصناعة الشملات [7] وهي نوع من الأقمشة والقطيفة، ذات وبر طويل ينسج من شعر الماعز المتميز بالنعومة والرقة التي تضاهي الحرير، وكانت مدينة بروصة مشهورة بانتاجها [8].

أما السجاد والبسط، فاشتهرت بصناعته مدن أقسراي، وأكبرا، وبروسه[9]

---

(١) عباس اقبال: تاريخ المغول ص ٥٤٦-٥٤٧.

(٢) انظر ما سبق مبحث المجتمع ، الفصل السادس من هذا البحث

(٣) رحلة ابن بطوطة ، ج١ ص ٣١٨، أحمد توني ، المرجع السابق ص ٣٢٦.

(٤) لسترينج: المرجع السابق ، ص ١٦٨ ، خطاب: المرجع السابق ص ١٢١.

(٥) الطنافس: جمع: مفرده طنفسة ، وترجمته pilecarpet ، وهي نوع من البسط ذات الخمل أحمد توني: المرجع السابق ص ٣٢٢.

(٦) أبو الفداء: تقويم البلدان ص ٣١٣، القطاي أصلان: المرجع السابق ص ٢٧٣-٢٧٦، أحمد توني: المرجع السابق ص ٣٢٢.

(٧) مفردها شملة ولسمها عند الاوربيين cambrlotto هايد: المرجع السابق ج٤ ص ٢١٦.

(٨) المرجع نفسه ، ج٤ ص ٢١٦-٢١٧.

(٩) رحلة ابن بطوطة ، ج١، ص ٣٢٤، القلقشندي: صبح الأعشي ،ج٥ ص ٣٤٤، محمد عبد العزيز: الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٤م ، أحمد توني: المرجع السابق ص ٣١٦-٣١٩

وأما نسج الصوف فأشتهرت به مدينة أنكورية [١] وكان في ملطية وحدها ما يربو على تشعة عشر ألف نول لنسج الصوف [٢] واشتهرت إمارة قراسي التركمانية بصناعة الديباج الرومي [٣].

في أرزنجان كانت تصنع أقمشة " البقرم " الفاخرة، وهو قماش قاس يستخدم في تجليد الكتب، وبقيت تلك المدينة تتميز في صناعته فترة طويله [٤]

أما الصناعات التي تعتمد على المعادن فمتنوعة أيضا ، ومنها البياسيس [٥] البياسنيس [٥] وهي آلة للتدفئة، وصفها ابن بطوطة قائلاً " إنه شبه المنارة من النحاس له أرجل ثلاث، وعلى رأسه شبه جلاس من النحاس، وفي وسطه أنبوب للفتيل ويملأ بالشحم المذاب، وإلى جانبة آنية من نحاس ملأنه بالشحم، وفيها مقراض لإصلاح الفتيل، وموكل به بشخص معين يسمى "الجراغجي" أو "الجراجي " [٦] ورأى ابن بطوطة خمسة منها في مجلس واحد.

ومنها صناعة الحلي وغيرها من الذهب والفضة وشغلهما، وكان لليهود براعة في ذلك، ومنهم جالية تقطن مدينة أنطالية [٧].

ومن النحاس أيضاً تصنع الأواني، والمزهريات والمصابيح المشهورة، واشتهرت بتلك الصناعة مدينة أرزنجان لتوفر خام النحاس في الأماكن المحيطة بها [٨].ومن الحزف كانت تصنع أشياء كثيرة ذات جودة عالية [٩]

---

(١) القرماني: المصدر السابق ج٣ ص ٣٠٦.
(٢) النويري: نهاية الأرب ،ج٣٢ ص ٢١٠.
(٣) العمري: مسالك الأبصار ، السفر ٣ ص ١٧٥.
(٤) رحلة ماركوبولو ج٢ ، ٣٢ .Cahen :Pre Of Ottoman Turkey. p.320
(٥) البياسيس جمع، مفرده بيسوس
(٦) رحلة ابن بطوطة ج١ ص ٣١٣-٣١٥.
(٧) على الغامدي: انطالية في عصر الحروب الصليبية ص ٥٠. لويس غارديه: أهل الإسلام، نقله إلى العربية، صلاح برمدا، منشوزات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨١م
(٨) رحلة ابن بطوطة ج١ ص ٣٢٦. .Cahen: Op. Cit. p. 320
(٩) أحمد توني: المرجع السابق ص ٣٢٠.

٤- طرق التجارة:

تميزت آسيا الصغرى بموقعها الفريد، فكانت حلقة وصل بين آسيا من جهة وأوربا من جهة أخرى، كما كانت جسراً بين دولة المماليك في الجنوب، والمناطق الواقعة شمال البحر الأسود، [١] وزادت أهمية موقعها من الناحية التجارية، بعد سيطرة دولة سلاجقة الروم، على موانيء شمال البحر المتوسط (أنطالية والعلانية) وموانى جنوب البحر الأسود (سينوب وسامسون).[٢]

وبعد دخول المنطقة تحت السيطرة المغولية، زادت أهميتها، وعادت القوافل التجارية لتعبر أراضيها من الغرب إلى الشرق، ومن الجنوب إلى الشمال والعكس.[٣]

وقد تكون السيطرة المغولية على آسيا الصغرى وانتزاعها من صف العالم الإسلامي، وجعلها ساحة الصدام مع المماليك وحلفائهم من مغول القبيلة الذهبية، قد عطل بعض طرق التجارة في الحقبة السابقة[٤]. إلا أنها فتحت طرقاً أخرى جديدة، كما أنعشت طرقا قديمة، وأصبحت تلك الطرق التي تخترق المنطقة . بجهود الإيلخانات وموظفيهم في المنطقة . أكثر أمناً، وملاءمة لاستخدامها من قبل التجار،[٥] وبعد سقوط الدولة الإيلخانية فقد كثير من تلك تلك الطرق أهميته.[٦]

وسنشير في الأسطر التالية، إلى أهم تلك الطرق في الفترة موضع الدراسة، لكن لابد من التوضيح، أن مدينة سيواس كانت خلال هذه الفترة

---

(١) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ص ٩١؛ أحمد توني: المرجع السابق ص ٣٢٦.
(٢) علي الغامدي: أنطالية في عصر الحروب الصليبية ص ٥٠-٥١، النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود، بحث منشور في مجلة المؤرخ المصري، العدد ١٩.
(٣) عباس اقبال: تاريخ المغول ص ١٣٦.
(٤) نادية مصطفى: المرجع السابق ص ٢٢.
(٥) نعمان جبران: محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير ص ١٤٨.
(٦) كاهن: تاريخ العرب، ص٢٦٤.

أهم مركز تجاري في المنطقة، وعندها تلتقي كثير من طرق التجارة.[1] وكانت مجهزه لاستقبال واستيعاب التجار في كل وقت.[2]

- طريق من عاصمة الإيلخانيين في بلاد فارس، إلى طرابيزون مروراً بأرزن الروم، وسيواس وهو أقصر الطرق التي تربط بين الشرق والغرب [3]، حيث يتجه شرقا حتى يصبح رافداً من روافد الطريق الشهير المعروف بطريق الحرير العظيم.[4]
- طريق من سيواس إلى كل من سامسون وسينوب.[5]
- طريق من سيواس إلى ميناء إياس في أرمينية الصغرى ويمر بقيصرية.[6]
- طريق من سيواس إلى بلاد الجزيرة.[7].
- طريق من سيواس إلى بلاد الشام.[8].
- طريق من سيواس إلى قونية مروراً بقيصرية.[9].
- طريق من سيواس إلى تبريز مروراً بأرزن الروم، وهو جزء من الطريق المشار إليه في أول هذه القائمة.[10].
- . طريق بحري بري، من الإسكندرية إلى أنطالية، ومنها براً عبر أراضي شمال آسيا الصغرى حتى مينائي سينوب وسامسون.[1]

---

(١) هايد: المرجع السابق ج٢ ص ٣٥٣.
(٢) انظر ما سبق ص من هذا البحث
(٣) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ١٠٨، العريني: المغول، ص ٢٢، سونيا هاو: في طلب التوابل، نقله إلى العربية: محمد عزيز رفعت، القاهرة مكتبة نهضة مصر، ١٩٧٥م. ص ٤٢.
(٤) نعمان جبران: محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير، ص ١٤٦-١٤٨.
(٥) عباس اقبال: تاريخ المغول، ص ٥٥٢-٥٥٣، كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ص ١٠٣.
(٦) رحلة ماركوبولو، ج٢، ص ٢٨، كوبرلي: المرجع السابق ص ٩٤-٩٥، أحمد توني: المرجع السابق ص ٣٣٥.
(٧) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ٩٤-٩٥.
(٨) كوبرلي: المرجع نفسه، ص ٩٤. أحمد توني: المرجع السابق ص ٣٣٥.
(٩) أحمد توني: المرجع نفسه ص ٣٣٥.
(١٠) عباس اقبال: تاريخ المغول ص ١٠٨، نعمان جبران: محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير، ص ١٤٦-١٤٨.

- ـ طريق من بلاد الشام إلى قونية، ومنها إلى موانئ البحر الأسود ثم إلى القسطنطينية.(٢)

٥- التجارة:

ليس خافياً أن جنكيز خان، عندما شن الحرب على الخوارزميين كان متذرعاً بحادثة مقتل بعض التجار المغول (٣).لذلك فإن سياسة المغول تميزت بتشجيع التبادل التجاري وضمان سلامة التجار وبضائعهم، وجلب رؤوس الأموال من الخارج، وتضمنت " الياسا" الجنكيز خانية، قوانين صارمة في هذا المجال.لما كان له أكبر الأثر في تنشيط الحركة التجارية في عموم بلاد المغول.(٤)

وورث المغول الإيلخانيون، عن سلاجقة الروم، تجارةً مزدهرة، حافظوا عليها، بل طوروها بانتهاج السياسة المشار إليها آنفاً.(٥)

وكان من إيجابيات السيطرة المغولية على آسيا الصغرى أن أصبحت المنطقة جزءاً من إمبراطورية المغول المترامية الأطراف، الممتدة من أقصى الصين شرقاً، حتى سواحل البحر المتوسط غرباً، فزالت بذلك الحواجز والحدود، وتشجع تجاور أوربا وقبرص والمماليك وغيرهم، على المضي بتجارتهم من بلدانهم إلى أقاصي دولة المغول مروراً بآسيا الصغرى وغيرها من أجزاء الدولة المغولية الواسعة.(٦)

---

(١) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ، ص ٩١، علي الغامدي: أنطالية في عصر الحروب الصليبية ص ٤٦-٥٠-٥١. Cahen: The Mongols And Near Est. Setton. VII. . P. 730.

(٢) هايد: المرجع السابق: ج١، ص ٣٠٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص ١٧١-١٧٥.

(٤) عباس اقبال: المرجع السابق ، نعمان جبران: محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير، اسباب ونتائج، بحث منشور في مجلة دراسات تاريخية، العدد ٣٩، السنة ١٢، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩١م، ص ١٣٨- ١٥٧.

(٥) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ، ص ٩٥ .Cahen :Pre Of Ottoman Turkey. p. 321

(٦) العريني: المرجع السابق، ص ٣٢٢-٣٢٣.

وهنـاك مـن يـرى أن التجـارة الخـارجيـة الـتي كـانـت بأيـدي أجانـب، هـي الرابح الأكبر من تلك الحركـة التجاريـة. أمـا التجـارة المحليـة فمكاسـبها أقل شأناً.[1] وليس بالضرورة أن يكون الصواب حليف هذا الرأي دائماً. فإنّ نشاط الحركـة التجاريـة الخارجيـة. ومرورهـا عبر الطـرق الـتي تخـترق آسـيا الصغرى سـينعكس بصـورة ايجابيـة علـى التجـارة المحليـة. وحتـى وإن كانـت التجـارة الدولية من النوع الذي يطلق عليه تجارة " الترانزيت"[٢] أي العبور.

وممـا ورثـة المغـول عـن سـلاجقة الـروم في مجـال التجـارة. عمليـة اجتـذاب رؤوس الأموال الأجنبية، وذلك بتشجيع التجار الأجانب على القدوم إلى المنطقة، وممارسة نشاطهم فيها، سواءً على شكل رسمي أو فردي. فمن صور الجانب الأول. عقـد المعاهـدات التجاريـة مـع القـوى الخارجيـة خاصـة الأوربيـة. فمـثلاً المعاهدة التي عقدت بين دولة سـلاجقة الـروم والبندقيـة سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م.تم تجديدها وكانت لا تـزال سـارية المفعـول، في سنة ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م، أي بعد مـرور عقـد مـن الـزمن. علـى دخـول دولـة سـلاجقة الـروم تحـت الحمايـة المغوليـة. وتُركّـز المعاهـدة المـذكورة، علـى إلغـاء الرسـوم الجمركيـة علـى بعـض السـلع وتخفيفها بحق سلع أخرى.[٣]

وفي مطلـع القـرن الثـامن الهجـري/ الرابـع عشـر المـيلادي. كـان لجنـوه مندوب تجاري في سيواس، التي بدأت تصبح عاصمة للولاة المغول في المنطقة.[٤]

ومن صور الجانب الأخر " الفـردي "، مـا ورد عنـد أحـد الرحالـة مـن أنـه إلتقى في قونيـة " سـنة ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م" بعض التجـار الأوربيين. وأن اثنين منهم أحـدهم جنـوي، والآخـر بنـدقي. كانـا شـريكين في المتـاجرة بمـادة الشـب.

---

(1) Cahen: Op. Cit. p. 321

(٢) هايد: المرجع السابق، ج٢ ص ٢١٩-٢٢٠.

(٣) هايد: المرجع السابق، ج٢، ص ٣٠٦؛ علي الغامدي: أنطالية في عصر الحروب الصليبية ، ص ٤٦-٤٧.

(4) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. p. 321.

المستخرج من منطقة قريبة من العاصمة، وكانا يحتكران تلك السلعة، ويرفعان ثمنها ويبالغان في ذلك.[١]

ورغم أن الصورتين اللتين استعرضناهما، كانت لتجارة المنطقة مع أوربيين. فإن تجارتها مع دولة المماليك في هذه الفترة، كانت أكثر نشاطاً، بحكم وحدة الدين، وتقارب اللغة، وتعاطف المسلمين في آسيا الصغرى مع إخوانهم المماليك في صراعهم المرير مع المغول قبل إسلامهم، إضافة إلى حاجة المماليك الماسة والمستمرة للاستيراد من آسيا الصغرى، أو اتخاذها طريقاً للعبور إلى بلاد القفجاق لاستيراد الرقيق والخشب.[٢]

ومما ورثة المغول أيضاً عن سلاجقة الروم، الاهتمام بالخانات، وصيانة القائم منها، وتشييد المزيد.[٣] وحمايتها وحفظ الأمن على طول الطرق التجارية، وذلك بإنشاء قوات خاصة لهذا الغرض، وفرض ضرائب محدودة على القوافل التجارية السالكة لتلك الطرق، بغرض الصرف منها على قوة الحماية تلك.[٤]

ويمكن وصف التجارة داخل مدن آسيا الصغرى، بأنها مزدهرة إلى حد ما، رغم مرور المنطقة بعدة أزمات نتيجة للأوضاع الأمنية والعسكرية، ومن البديهي أن يكون لتلك الأزمات آثار سلبية على التجارة عموماً. لكنها تبقى مؤقته ومحدودة.[٥]

(1) L. de Backer: Giullaum de Rubr ouck, paris. 1877. p. 292-293, Cahen (C): Introductional Histoire de LA sic Turcset Mongols Desorigines"1405"paris 1896. p. 400,

وانظر: هايد: المرجع السابق ،ج١ ص ٣٠٨-٣٠٩ ، كوبرلي ، المرجع السبق، ص ٩٣.

(٢) هايد: المرجع السابق، ج٢ ص ٢١٩.

(٣) هايد: المرجع نفسه، ج٢، ص ٣٦١، كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ، ص ١٦٢؛ نعمان جبران: محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير، ص ١٤٥.

(٤) هايد: المرجع نفسه، ج٢، ص ٣٦١ ؛ كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ، ص ٨١. نعمان جبران: محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير، ص ١٤٥.

(٥) انظر: المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٩٠ب؛ فاروق عمر: المرجع السابق ص ٢٠١-٢٠٢-٢١١.

وكانت تقام أسواق صغيرة، متقاربة المواعيد، وأخرى جامعة بعيدة الانعقاد.(١) ومن أمثلة النوع الأخير سوق "بَيْلَهُ".(٢) الذي يقام في أول الربيع من كل عام، ويستمر أربعين يوماً، ويقصده الناس من الأطراف البعيدة ومن كل الجهات، وكان التجار يحرصون على حضوره، ويجتهدون ما وسعهم الجهد، وينتظرون انعقاده عاماً بعد عام، ومن عادة ذلك السوق أن من اشترى شيئاً فلا يرده، وعلى العموم لا تخلو مدينة من سوق واحد على الأقل.(٣) وتلك الأسواق جميعاً، يتم فيها التعامل بنوعية النقدي والعيني، كما أنها جميعاً خاضعة لسلطة الدولة، وتأخذ على ما يتم فيها من عمليات تجارية ضرائب محدودة.(٤)

وفي كثير من المدن تتعدد الأسواق، بحيث يكون لكل طائفة من التجار سوقهم الخاص بهم، يجتمعون فيه، وبه حوانيتهم، وقد يكون مكشوفاً أو مسقوفاً، ويختلف حجم السوق وعدد حوانيته من طائفة إلى أخرى، وحسب ما تشتهر به المدينة من إنتاج زراعي أو صناعي.(٥)

أما البضائع الثمينة، أو النادرة، أو التي يخُشى عليها من السرقة أو التلف، فتخزّن في مستودعات محكمة، أو خانات محصنة، وعليها حراسة أمنية.(٦)

وطائفة التجار داخل المدينة، ينظمون أمر القوافل الداخلة أو الخارجة من البلد، ويتكفلون باستيراد ما تحتاجه المدينة من بضائع داخلية أو خارجية.(٧)

---

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص ١٧٨، ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٤٦٩، كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ص ١٠٧

(٢) وفي بعض المصادر سوق "بلو" انظر: ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٤٦٩؛ العمري: مسالك الأبصار، السفر ٣، ص ١٥٥.

(٣) عادةً يكون السوق داخل المدينة، إلا أن سوق قيصرية خارج المدينة، طائف بها، العمري: مسالك الأبصار، السفر ٣، ص ١٤٩

(٤) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ص ١٠٧

(٥) رحلة ابن بطوطة، ج١ ص ٣١٣-٣١٦، ٣١٨؛ كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ١٠٠، أحمد توني: المرجع السابق ص ٣٣١.

(٦) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ١٠٨؛ أحمد توني: المرجع السابق ص ٣٣١.

(٧) كوبرلي: المرجع السابق ص ١٠٦.

وقد أشاد بعض الباحثين بتطور التجارة وازدهارها في عموم قارة آسيا وبلاد القفجاق، وكل المناطق التي خضعت لسيطرة المغول، وعدم تأثرها سلباً، حتى بعد انقسام إمبراطورية المغول إلى أربعة أقسام، ومرد ذلك إلى اهتمام أولئك القوم بالتجارة، وعدم تهاونهم مع كل من يحاول إعاقة حركتها، وتوفيرهم لكل متطلبات نجاحها.(١)

لكن أحد الباحثين المتخصصين، حذر من إفراط التفاؤل في هذه الناحية،ووصف أصحاب الرأي الأول بالسذاجة، محتجاً أن عصر السيطرة المغولية، أُشتهر بالخراب، وأن سيئات المغول عموما هي أكثر من حسناتهم.(٢)

إلا أن من الثابت، أن إصلاحات غازان كانت مثمرة وانعكست آثارها الإيجابية على كل مناحي الدولة، وعلى رأسها التجارة، ويُستشف من كتابات "الهمذاني" أن الحالة التجارية قبل تلك الإصلاحات كانت مغايرة لما وصفه بها البعض من تقدم وازدهار.(٣)

ومن أبرز إصلاحات غازان المشار إليها في هذه الناحية، تكوين فرق عسكرية، ترابط على طوال الطرق التجارية، وتتحصل على رسوم معينة من القوافل التجارية التي تمر بها، وكان أولئك الحراس يشكلون جيشاً مستقلاً، يناهز عدده العشرة آلاف، ولا عمل لهم إلا حراسة تلك الطرق.(٤)

---

(١) كوبرلي: المرجع نفسه، ص ٩٤؛ عباس إقبال: المرجع السابق ص ٥٤٨-٥٥٥، محمد عبد الباسط، المرجع السابق ص ٢٠٠؛ رجب: المرجع السابق، ص ٩٧، فاروق عمر: المرجع السابق، ص ٢٠١-٢٠٢.

(2) Cahen:Pre Of Ottoman Turkey. P. 321 . The Mongols And Near East. "Setton". VII. . P 724.

(٣) تاريخ غازان، ص ٣١٧-٣١٨؛ عباس اقبال: تاريخ المغول ص ٥٥٣.

(٤) الهمذاني: تاريخ غازان، ص ٣١٧-٣١٨.

وورثت الإمارات التركمانية عن السلطة المغولية، حركةً تجارية نشيطة، وحافظت عليها، رغم تعدد تلك الإمارات، ووجود الحدود بينها واختلافها في العملات، ووحدات المقاييس والموازين والأسعار.[1]

٦-الخانات:

جمع مفرده خان، وهو الاسم التركي للرباط، وفي بداية ظهورها في بلاد الروم، كانت تضاف إليها كلمة " السلطان " فيقال: خان السلطان، ومع مرور الزمن حُذفت كلمة السلطان،واستعيض عنها باسم باني الخان.أو اكتفى بكلمة خان فقط إذا لم يعرف بانيه أو سقط الاسم لأي سبب من الأسباب [2]

ومن المميزات التي تميزت بها آسيا الصغرى، بناء تلك الخانات، وذلك على طرق التجارة الرئيسية منها والفرعية [3] حتى قيل أنه " على كل فرسخ خان " لأن التجار في أيام الشتاء وتساقط الثلوج، لا يقطعون في اليوم الواحد إلا مسيرة فرسخ،ولابد لهم من مكان يأوون إليه ويقيهم شدة البرد والمطر.[4]

وذكر أبو الفداء أن على الطريق بين سيواس وقيصرية – ومسافته ستون ميلاً – أربعة وعشرين خاناً [5] وكان داخل مدينة سيواس منها ما يماثل هذا الرقم أيضاً [6]

وجميع الخانات تقريباً، أنشئت على صورة تبرعات، وتنافس في إنشائها وطلبا لثواب الله ومرضاته، سلاطين سلاجقة الروم، وأهل بيئتهم من الرجال

---

(١) انظر رحلة ابن بطوطة ج١ص ٣١٤-٣٥٠، العمري: مسالك الأبصار السفر ٣ ص ١٧٩، Cambridg History Of Islam. IV. p. 270-273.

(٢) أقطاي آصلان آباد: فنون الترك وعمائرهم، نقله إلى العربية: أحمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، اصطنبول، ١٩٨٧م، ص١٢٠.

(٣) على الغامدي: أنطالية في عصر الحروب الصليبية. ص ٤٠

(٤) القزويني: أثار البلاد , ص ٥٣٢

(٥) تقويم البلدان. ص ٢٨٥

(٦) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ١٥٠.

والنســاء، ووزراؤهـم وكبـار رجـال دولـتهم. وكـانـت تُمـنح للنـزلاء مجانـا بـلا مقابل[1]

وبعـد فـرض المغـول سـيطرتهم علـى المنطقـة واصـل الإيلخانـات وبعـدهم السلاطين الاهتمـام بتلـك الخانـات والمحافظـة علـى القـائم منهـا وعلـى الأوقـاف التي حُبست عليهـا، بل بنـاء المزيد منهـا. لكـن دافعهـم الأول لـذلك هـو تنشـيط الحركة التجارية والمحافظة على استمراريتها [2].

ومما لا شك فيه أن الخانات أسهمت بصورة فعالة في تنشيط التجارة، وشجعت القوافل التجارية علـى الاستمرار في رحلاتهـا داخـل أراضـي آسـيا الصغرى، وهي آمنة من الأعداء عليها سواء من قطاع الطرق واللصوص، أو من الظروف الجوية المتقلبة، فلم تكن القوافل تتوقف صيفا ولا شتاء[3]

ومعظـم الخانـات بنيـت مـن الحجـارة، فجـاءت ضـخمة البنيـان قويـة، متماسـكة، وكانـت تحـف بهـا أسـوار عاليـة، ذات أبـراج، وأبوابهـا مـن الحديـد المتقن الصـناعة، فكانـت تضـاهي القـلاع حصـانة[4] لـذلك اسـتغلها بعـض الخـارجين علـى السـلطة أو الثـائرين عليهـا فاعتصـموا بهـا وامتنعـوا، وسـبقت الإشارة إلى حادثة من هذا النوع[5]

وكـان الخـان مجـزءاً إلى عـدة أقسـام فقسـم للتجـار، وقسـم للمسـافرين الآخرين، وثالث لخزن الغلال والبضائع، ورابع للدواب، وإيوانـات صيفية وشتوية، وملحق بها حوانيت، وحمام وبيمارستان مزود بالأدوية والعقاقير، وأطبـاء بشـريون وبيطريون، وهي مجهزة بما يحتاجه النـزلاء من فرش وحطب وأعلاف للدواب

---

(١) القزويني: آثار البلاد , ص ٥٣٢ , أقطاي أصلان: المرجع السابق، ص ١٢٠- ١٢١ كاهن، تاريخ العرب , ص ٢٧٢

(٢) العمري: مسالك الأبصار: السفر ٣، ص ١٤٦: العريني المغول: ص ٣٣٣: Cahen: Pre Of Ottoman Turkey ,p. 313.

(٣) القزويني: آثار البلاد، ص ٥٣٢: أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٢٨٥

(٤) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر: ص ٤٦٥: أقطاي آصلان: المرجع السابق، ص ١٢١ -١٢٢

(5) Cahen; Op. Cit. p323,

ولها أوقاف خاصة، يُصرف من ريعها على شئونها، وكانت بالجملة "خيراً عظيماً لم يُبن مثلها في شتى من البلاد."(١)

وبقي على شكل آثار من تلك الخانات حوالي المئة، وهي من مئات اندثرت ومن أشهر تلك الخانات، ما يأتي:

خان السلطان: ويقصد به السلطان علاء الدين كيقباذ الأول، يبعد مسافة خمسة عشر كم عن اقسراي، على الطريق الواصل بينها وبن العاصمة قونية، وهو طريق تجاري رئيسي يمتد من العاصمة إلى المركز التجاري المهم "سيواس"، وهو من أشهر الخانات في تلك الفترة ولا تزال آثاره باقية حتى اليوم، ويسمى الآن" خان أعزيكارا aqzikar ويعتبر أنموذجا للخانات السلجوقية، وقد أسهم الباحث التركي أقطاي في وصفة، ووضع له مخططا في كتابه (٢) وارتبط اسم " خان السلطان" بعدة حوادث مهمة سبق ذكرها في ثنايا هذا البحث(٣).

خان "قرطاي: وهو على طريق القوافل الرئيسي بين قونية وبلاد الشام، مروراً بسيواس.وهو بالقرب من سمندو، ويُعد الأخير في سلسلة الخانات المقامة على ذلك الطريق، وقد مر عليه السلطان بيبرس بجيشه أثناء توغله في آسيا الصغرى ووصوله إلى قيصرية في أعقاب انتصاره على المغول في الابلستين.(٤) ورآه ابن عبد الظاهر، وقال في حقه " وهو دال على همة بانيه، وطلب الثواب فيه وهو مبني بالحجر المنحوت الأحمر الذي كأنه رخام وله مقلات متسعة، ودواوين متفرقة ومجتمعة ".(٥) ولا زالت آثاره الباقية شاهدت على التطور العمراني في ذلك العصر، كما أن وقفيته

---

(١) القزويني: أثار البلاد: ص ٥٣٢

(٢) أقطاي أصلان: فنون الترك، ص ١٢١ – ١٢٣ ، دليل فودرورز السياحي: ص ٣٢٧: زكي محمد حسن: فنون الإسلام، دار الرائد العربي، القاهرة وبيروت، (د. ت)، ص١٢٥.

(٣) أحمد توني: المرجع السابق ص ٣٢١

(٤) انظر ما سبق ص من هذا البحث

(٥) الروض الزاهر: ص ٤٦٥

بقيت محفوظة حتى الآن ويمكن الرجوع إليها لمعرفة تفاصيل كثيرة متعلقة بهذا الموضوع[1] وهناك الكثير من بقايا تلك الخانات على الطرق التجارية القديمة، بعضها معالم سياحية لهواة الآثار وغيرهم.

٧- الصادرات والواردات:

كثيرة هي السلع والبضائع التي تُصدرها آسيا الصغرى إلى الأقاليم الأخرى، وكذلك التي تستوردها أو التي تعبر أراضيها في طريقها إلى منطقة ثالثة، وتسمى بضائع العبور "Tranzait"

أ- الصادرات:

مادة الشب "Tiun"

وهي مادة خام، تستخرج من الأرض ويكثر عليها الطلب، وتدخل في الصناعة، والصباغة، والزخرفة والتذهيب، والدباغة، وهو ضروري لتثبيت الألوان على الأقمشة وإعطائها لمعةً وبريقاً، ولا تُصبغ أي قطعة من الصوف أو الحرير دون استعماله.[2]

وكانت أراضي آسيا الصغرى تنتج أجود أنواع الشب، وتتعدد مناجمه فيها، كما تتعدد أنواعه ودرجات جودته وربما وصل الإنتاج السنوي منة إلى ستة وثلاثين ألف قنطار.[3] ويُصدر إلى أوربا الغربية وبلاد الشام ومصر وقبرص والقسطنطينية وغيرها.[4] وكان التجار الأوربيون، من: بنادقه، وجنويين، وبروفنسيين، [5] يحتكرون تجارته ويستثمرون أموالاً طائلة فيه.[1]

---

(١) أقطاي أصلان: المرجع السابق: ص ١٢١: دليل فودرورز: ص ٢٣٧٥: ٢٨٠: ٣٢٧

(٢) هايد: المرجع السابق ج٤ ، ص ٦٧-٦٨.

(٣) هايد: المرجع السابق: ج٤ ، ص ٦٣-٦٤.

(٤) العمري: مسالك الأبصار السفر ٣، ص ١٦٩, هايد: المرجع السابق ج١ ص ٣٠٨-٣٠٩، ج٤ ص ٦٣-٦٥؛علي الغامدي: أنطالية في عصر الحروب الصليبية , ص ٤٩-٥٠.

(٥) البنادقة نسبة إلى البندقية , والجنويين نسبة إلى جنوا وهما إمارتان إيطاليتان , أما البروفنسيون فهم تجار جنوبي فرنسا نواحي مرسيليا وناربون ومونبليه , هايد: المرجع السابق ج٤ ص ٢٢٦.

ب. الخشب:

أدى وجود الغابات في المنطقة إلى توفر أنواع من الخشب القوي، خاصة شجر الصنوبر، ويسمونه عندهم " النقي".[1] وهناك أنواع أخرى، ويتم تصديره إلى بلاد الشام ومصر، والتي كانت تعاني عجزاً تقليدياً في هذه المادة.[2]

ج. صمغ "الكثيرا Gomneadrag"

ولعلاقته بمادة الخشب السابقة الذكر، أدرجناه هنا، وهو سائل لزج يتجمد حال تعرضه للهواء، وهو يستخرج من نوع من الشجيرات، حيث تُجزّ جذوعها أو يحدث فيها تشققات طبيعية في لحائها، فينسكب منها السائل، وأجود أنواع الشجيرات التي يستخرج منها، تنبت في وسط آسيا الصغرى، وفي منطقة تقع إلى الشمال من أنطالية، وتشتهر سوقها ببيعه، وهذا النوع من الصمغ، يُستعمل في صناعات مختلفة وبعض الأدوية.[4]

د. نبات اللادن:

وهو قريب من صمغ الكثيرا السالف الذكر، ونبات اللادن من فصيلة النباتات المسماة "سيستس".وتُستخرج منه مادة لزجه، ذات لون داكن يطلقون عليها مسمى " راتنج اللادن " وتشتهر به منطقة "أكبرا AKbara".[5] وهي تدخل في تركيب بعض الأدوية، ويُقبل أهل الغرب المسيحي على شرائه.[6]

(1) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. p. 319.

(٢) هايد: المرجع السابق، ج١ ص ٣٠٨-٣٠٩.

(٣) العمري: مسالك الأبصار (دولة المماليك) ص ٨٥. رحلة ابن بطوطة ج١ , ص ٣٨٨, علي الغامدي: النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود، مجلة المؤرخ المصري ص ١٨٠.

(٤) هايد المرجع السابق , ج٤ ص ١٢٦-١٢٧.

(٥) أكبرا: وتسمى أيضا "بلي كسري Balikesri بالقرب من بروسه. هايد: المرجع السابق ج٤ ص ١٣٥.

(٦) العمري: مسالك الأبصار: السفر ٣ ص ١٧٠-١٧١, هايد: المرجع السابق , ج٤ ص ١٣٦.

الحبوب:

وهي عديدة ومتنوعة، منها الذرة والقمح، والأرز، والقطن، والشعير، حيث تُصدر إلى المناطق المجاورة، خاصة جزيرة قبرص.[1]

و. حاصلات زراعية مختلفة

ومنها: الزعفران، والزبيب، والقنب الهندي، والفواكه كالمشمش وغيره[2].

ز. مواد خام.

ومنها: الحرير، حيث يُولُون دودة القز – التي تنتجه – عناية فائقة، ويصدر إلى أوربا الغربية ومنها يعرف بـ"Setaturci" وتمتاز بعض المناطق بإنتاجه وإليها ينسب مثل أزمير و فلادلفيا.[3]

---

(١) هايد: المرجع السابق ، ج١، ص ٣١٠، علي الغامدي: أنطالية في عصر الحروب الصليبية ، ص ٤٦-٤٧؛ Cambridge History Of Islam. p 1, p. 272-273.

(٢) هايد: المرجع السابق ، ج١، ص ٣١٠، علي الغامدي: أنطالية في عصر الحروب الصليبية ، ص ٤٦-٤٧.

(٣) العمري: مسالك الأبصار: السفر ٣، ص ١٧٥، هايد: المرجع السابق ج٤ ص ١٨٤.

ومنها الصوف، الذي يُصدر إلى جزيرة قبرص.[1] وهناك مواد مصنعة.[2] منها البُسط الفاخرة. وبعض الأقمشة. وتُصدر إلى أوربا. وآسيا الوسطى. ومصر وبلاد الشام والعراق والهند والصين.[3]

ومن الخامات التي تصدر أيضاً: الحديد، والذهب، والفضة. ومناجمها عديدة في المنطقة وتستقبلها أسواق بلاد الشام ومصر.[4]

---

(١) هايد: المرجع السابق، ج٣ ص ٣١٠.

(٢) انظر مبحث: الصناعة في هذا الفصل من البحث.

(٣) العمري: مسالك الأبصار السفر ٣ ص ١٧٥, هايد: المرجع السابق ج١ ص ٣١٠, ج٤ ص ١٠٦-٢٠٧.

(٤) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٤١٤؛ العمري: مسالك الأبصار، السفر ٣ ص ١٤٨-١٦٦-١٦٩, علي الغامدي: النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود. مجلة المؤرخ المصري ص ١٨٠.

ح. المواشي بأنواعها (١)

وتصدر إلى بلاد الشام، والعراق و غيرهما من البلدان.(٢)

ط. تجارة الرقيق

وهو يمر بأراضيها، لأنها تشكل حلقة وصل بين مصادره في بلاد القفجاق وأواسط آسيا. وبين مستورديه في بلاد الشام ومصر. ومعظمه يمر بمينائي أنطالية والعلائية. وتقام له أسواق عامرة في داخل آسيا الصغرى وموانيها.(٣)

ب- الواردات:

يدخل التجار إلى آسيا الصغرى. جالبين معهم المواد التي تحتاجها المنطقة والتي لا تتوفر فيها. أو يعجز انتاجها عن سد حاجتها. أو لا تُصنّع فيها، وإن توفرت مواردها الخام، ومنها:

أ- الملابس المصنعة من الصوف ذات الألوان الزاهية والنصف مجزوزة.(٤)

ب- القصدير، والرصاص، والصابون. والخزف. الصيني والبخور، وآواني الفضة. وخام البورسلين، حيث يتم تصنيعه.(٥)

ج- مواد غذائية، منها: السكر. والفستق، والتوابل.(٦)

د- اللؤلؤ المستخرج من مياه الخليج العربي.(١)

---

(١) انظر: "الثروة الحيوانية" في هذا الفصل.

(٢) العمري: مسالك الأبصار، السفر ٣ ص ١٦٩, القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥ ص ٣٣٨.

(٣) القزويني: آثار البلاد، ص ٥٣١؛ العمري: مسالك الأبصار، السفر ٣ ص ١٧٦, هايد: المرجع السابق، ج٣ ص ٣١٩، ج٤ ص ٥١-٥٢؛ علي الغامدي: النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود مجلة المؤرخ المصري، ص ١٨٠.

(٤) هايد: المرجع السابق: ج٢ ص ٢١١-٢١٩.

(٥) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص ٤١ رحلة ابن بطوطة ج١, ص ٢٣٨, ج٢ ص ٣٠٤, ج ٣، ص١٢٢-١٢٧،هايد: المرجع السابق ج٢ص ٢١١.

(٦) هايد: المرجع السابق ج٢ ص ٢١١ ؛ أحمد توني: المرجع السابق ص ٣٣٥.

ويتم استيراد تلك الأشياء من بلدان عدة منها أوربا، وجزيرة قبرص، وبلاد الشام، ومصر وبلاد فارس، والهند، والصين وغيرها.[٢]

ثالثاً: موارد الدخل ووجوه الإنفاق:

ابتداءً، لابد من الإشارة إلى أن آسيا الصغرى، كانت بالنسبة للمغول " أرضاً للاستغلال عامة وخاصة".[٣] وموارد الدخل ووجوه الإنفاق هي أيضاً مما ورثته السلطة المغولية عن دولة سلاجقة الروم.

١- موارد الدخل:

كانت الزكاة، والخراج، الضرائب بأنواعها، هي الموارد الأساسية للدولة السلجوقية في بلاد الروم. إذا كانت زكوات المواشي، والزروع، وعروض التجارة، مما يحرص المسؤولون السلاجقة على أخذه من رعاياهم المسلمين. كما يفرضون على رعاياهم من أهل الذمة الجزية والخراج، وإن كانت قليليه لا تتجاوز الدنانير على الرأس الواحد، إلا أنها تمثل نسبة عالية من الدخل حتى في أواخر عهد السيطرة المغولية. وفي عهد كيخسرو الثالث كانت هناك ضريبة الفرسان وضريبة البريد وضريبة العام.[٤]

وكانت الضرائب تُفرض على عدة أنشطة، خاصة التجارة، فالبضائع التي تباع في أسواق المنطقة، عليها ضرائب تختلف عن تلك التي تؤخذ من بضائع تمر في طرقات المنطقة، لتباع في أسواق خارجها.[٥]

وبقيت موارد الدخل تلك على حالها عندما أصبحت المنطقة جزءاً من دولة المغول الإيلخانيين.[١]

(١) أحمد توني: المرجع نفسه ص٣٣٥.
(٢) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص ٣٢٤ـ ٣٢٦، ٣٠٤-٣٠٥؛ هايد: المرجع السابق ج٢ ص ٢١١- ٢١٩. ج٤ ص ١٨٩؛
(٣) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. P. 334.
(٤) اقسرائي: المصدر السابق ص ٢٧٥-٢٧٦.
(٥) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ص ٨٩-١٠٧. Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. P. 333-334.

وكان يُعفى من تلك الضرائب، بعض الجهات، مثل سكان الأوج التركمان، مقابل يؤدونها للدولة في أوقات الخطر.[2] وكذلك تعفي قرية – أو مجموعة قرى – من الضرائب مؤقتاً، إذا قام أهلها مقام الدولة، في استغلال منجم، أو حراسة طريق، أو إصلاح جسر.[3]

ومن الطبيعي أن تنهار موارد دولة سلاجقة الروم، بعد تحول تلك الموارد لتصب في خزينة دولة المغول الإيلخانيين.[4]

وإضافة إلى ما سبق ذكره من موارد الدخل، فإن السلطات المغولية استحدثت ضرائب أخرى، منها: ضريبة على الحرفيين في المدن والقرى، وعلى صيادي الأسماك الذين يمارسون مهنتهم في البحيرات الداخلية والأنهار، وضرائب على الصياغة والحياكة.[5]

ويرى أحد الباحثين، أن المغول الإيلخانيين، لم يفرضوا كثيراً من الضرائب، واكتفوا بما كان معمولاً به في عهود سلاجقة الروم، لكن الذي تغير، هو طريقة الجباية، التي خالطها كثير من القسوة وانعدام المرونة.[6]

وما ورد في المصادر يؤيد هذا الرأي، حيث كان الوزراء وكبار موظفي السلطة المغولية، يشتطون في جمع الضرائب، ويحرص كل واحد منهم على التزلف إلى السادة المغول، أو تعويض ما خسره من أموال ليصل إلى منصبه، ولا يتأتى ذلك إلا بفرض المزيد من الضرائب، وسبقت الإشارة إلى أن بعض الموظفين ينتهجون طرقاً غير قانونية للجباية، حتى أنهم يأخذون الضريبة الواحدة مرات عديدة.[7]

---

(١) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ص ٨٩.
(٢) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ٨٩-٩٥؛ أحمد توني: المرجع السابق ص ٣٣٨.
(٣) كوبرلي: المرجع نفسه ص ٩٠.
(4) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. P. 317.
(٥) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ٩٧-١٠٧.
(6) Cahen: Op. cit. p. 333-334.
(7) M. Chalprawdin: The Mongol And The Near East ,p. 773,

ومن الضرائب المستحدثة، تلك التي تؤخذ على الأراضي التابعة للدولة والتي يستثمرها الناس، ومنها ضريبة "البالش Balish" وضريبة الإنجو "Ingu" ومن غير الممكن تحديد طبيعة الضريبتين تحديداً دقيقاً[1].

وكان حراس الطرق التجارية، يأخذون ضريبة فورية من القوافل التجارية، وكانت وفيرة بسبب نشاط الحركة التجارية، ومن الضرائب التي ظهرت في عهد السيطرة المغولية، ولم يكن لها ما يقابلها عند سلاجقة الروم، ما عرف بضريبة " الدمغة Tamgha" وهي تعادل ما يعرف في وقتنا الحاضر بالرسوم الجمركية.[2] وقد كان لكل نوع من الضرائب ديوان خاص وموظفون يتولون أمره[3].

وعلى العموم، فإن إيرادات الزكاوات والضرائب، كانت في ازدياد مستمر، خلال سيطرة المغول على المنطقة، بغض النظر عن مدى قانونيتها من عدمه، فبينما هي في أوائل عصر السيطرة المغولية ستون ألف دينار، وعشرة آلاف رأس من الغنم، وألف ثور ومثلها أحصنة.[4] إذا بها تقفز في أواخر عهد بايجو نوين (سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) إلى مئتي ألف دينار[5]، وفي أوائل عهد غازان، وصل الرقم إلى ستمئة ألف دينار وفي أواخر عهد السيطرة المغولية بلغت، خمسة ملاين وستمئة وخمسة وأربعين ألف دينار.[6]

وانظر ما سبق، ص من هذا البحث

(1) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey, p. 333.

وانظر ما سبق ص من هذا البحث

(٢) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ص ١٠٧؛ Cahen: Op. cit. p. 323.

(٣) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ص ١٠٧؛ Ibid. p. 323.

(٤) انظر ما سبق من هذا البحث.

(٥) اقسرائي: المصدر السابق، ٢١١؛ قزويني: نزهة القلوب، ص ١٢١؛ كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ٨٩.

(٦) وعلق كوبرلي على المبلغ الأخير قائلاً " هو يعادل ١٦٩٣٥٠٠٠فرنكا ذهبيا" قيام الدولة العثمانية ص ٩٥؛ وانظر اقسرائي: المصدر السابق، ص ٢٧٥ـ٢٧٦.

ب- وجود الإنفاق:

لم تتغير وجوه الإنفاق في زمن الدولة السلجوقية الرومية، عنها في زمن السيطرة المغولية، وإن كانت تقلصت شيئاً ما، لأن معظم الأموال تُنقل إلى عاصمة الدولة الإيلخانية في بلاد فارس، ومن هناك يتم الإنفاق على شئون الدولة.باستثناء ضريبتي (البالش والانجو) اللتين سبقت الإشارة إليهما، حيث ينفق جزء كبير من دخلهما على المنطقة التي أخذتا منها.[1] فشمل الإنفاق: رواتب موظفي الدولة المدنيين والعسكريين، والقضاة وكانت تلك مبالغ طائلة، وهناك رواتب العلماء والمدرسين والوعاظ، وحتى مشايخ الطرق الصوفية، والشعراء والأطباء وغيرهم.[2]

ولعل من المناسب هنا، الإشارة إلى أن الأوقاف كانت من أهم وجوه الإنفاق على المشاريع، من حيث انشائها وصيانتها، وتشمل الخانات، والمدارس، والمساجد، والأربطة، والجسور وغيرها، وكان سلاطين سلاجقة الروم، وأهلوهم، من الرجال والنساء، ووزراؤهم وكبار رجال دولتهم، يتنافسون في انشاء تلك المشاريع، وحبس الأوقاف عليها، وتعيين الموظفين والناظرين للقيام على شئونها.[3]

رابعاً: الحياة العلمية:

١- المدارس:

كانت آسيا الصغرى قبيل غزو المغول لها، تزخر بالمدارس وتنشط في أنحائها الحياة العلمية وعندما دخلتها جيوش المغول وسيطرت عليها، لم تتوقف الحياة العلمية فيها، بل إن الغزو أمداها برافد جديد، صب في بحرها الخضم،

---

(١) انظر ما سبق ص من هذا البحث

(٢) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ص ١٠٥.

(٣) المولوي: صحائف الأخبار، ج١ ، ورقة ٥٩١ب ؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة ، ج٩، ص ٢٠٤-٢٠٥، اقسرائي: المصدر السابق ، مقدمة المحقق ؛ كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ص ١٠٣-١٠٥.

ذاك هو وصول العديد من العلماء إليها مهاجرين أمام زحف المغول، فحصل تلاقح الأفكار. وتنوعت الثقافات واستمرت المدارس السلجوقية محافظة على السمعة العالية التي اكتسبتها [١].

وتدل كثرة المدارس في الفترة موضع الدراسة على ازدهار الحياة العلمية وما تلقاه من أهتمام سواء من سلاطين سلاجقة الروم، وأميراتهم ووزرائهم وكبار رجال دولتهم وحتى نواب المغول فيما بعد[٢].

وكانت معظم المدارس تُبنى وتُوقَف من فاعلي الخير، وتكون لها أوقفاً يُصرف عليها من ريعها. وكثيراً ما تبنى المدارس بالحجارة المنحوته المنقوشة، وتزخرف بالقاشاني والفسيفساء وتضم المدرسة سكناً للطلاب ومسجداً ومكتبة، ومفروشة بالبسط الجميلة الغالية الثمن[٣].

ومن أثار المدارس الباقية حتى الآن **المدرسة الزرقا** "كوك مدرسة" ومنشؤها الوزير السلجوقي المشهور " صاحب عطا" وهي واحدة من عدة مدارس أشرف على أنشائها من ماله الخاص،والمدرسة المذكورة مقامة في سيواس وتاريخ انشائها ٦٦٩هـ/١٢٩- ٧١م، ويغلب على زخارفها اللون الأزرق [٤]. وهناك مدرسة أخرى تحمل الاسم نفسه، ومنسوبة إلى الوزير ذاته. إلا أنها في مدينة أماسية وتاريخها ٦٤٩هـ/١٢٥١م.[٥] ويبدو أن الوزير صاحب عطا. أراذان يميز مدارسه بطراز خاص وهو كثرة استخدام اللون الأزرق، وهناك المدرسة

(١) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية: ص ١١٢، كاهن: تاريخ العرب: ٢٧٢، عثمان توران الأناضول في عهد السلاجقة ص ٣٨.
(٢) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ص ١١٢، دليل فودرورز، ص ٣٢٢.
(٣) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٤٧٦، العمري: مسالك الأبصار، السفر ٣ ص ١٤٩-١٥٠.
(٤) اقطاي أصلان: المرجع السابق. ص ٢٥٣، دليل فودرورز ص ١٩.
(٥) اقطاي أصلان: المرجع السابق ص ١١٧.

الصاحبية المقامة في قيصرية سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م[(١)]، ومن المرجح أنها منسوبة إليه.

وكان للوزير جلال الدين قرطاي أيضاً مدارس متعددة إحداها في العاصمة قونية[(٢)].

ومن بقايا مدارس ذلك العصر، مجمع "حاجي قليج" ويضم مدرسة وجامعاً، وتاريخ بنائه ٦٤٧هـ/١٢٤٩م[(٣)] ومنها مدرسة "تاش TAŞ" التي أنشئت سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، في وسط أو شهر[(٤)] ومدرسة الأمير سنان الدين الحميدي في قرقودلي من أعمال أنطالية ورغم أنها بنيت في عصر ظهور الإمارات التركمانية ٧١٩هـ/١٣١٩م، إلا أنها تميزت بطابعها السلجوقي[(٥)] ومدرسة الأمير الأمير العثماني، أورخان بك بن عثمان في نيقية، والتي افتتحها سنة ٧٣١هـ/١٣٣١م، وكان الأمير نفسه قد حول ديراً للنصارى في بروسة إلى مدرسة بعد ضمه المدينة إلى إمارته[(٦)].

٢- اللغة والأدب.

بينما كانت اللغة الفارسية هي اللغة الرسمية في دولة سلاجقة الروم فإن اللغة العربية كانت لغة العلم وأهله من شيوخ وتلاميذ.[(٧)] لكن سيطرت المغول على المنطقة، عززت مكانة اللغة الفارسية، وساعدت على انتشارها وذلك على حساب اللغة العربية، التي تراجعت حتى قيل أن آسيا الصغرى ابتعدت عن العربية ولم يعد باقياً منها إلا حروفها، وبضع كلمات، وقلة من العلماء لا زالوا

---

(١) دليل فودرورز ص ٣٢٢.

(٢) أقطاي أصلان: المرجع السابق ص ٢٥٤، طلال شعبان المدارس الباقية في قونية والقاهرة خلال عصري السلاجقة الروم والمماليك البحرية رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآثار ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ٣٦-٤٥.

(٣) أقطاي أصلان: المرجع السابق: ص٨٥، دليل فودرورز ، ص ٣٢٢.

(٤) طلال شعبان: المرجع السابق ص ٢٣-٢٩.

(٥) علي الغامدي: أنطالية في عصر الحروب الصليبية ، ص ٨٧.

(6) Cambridge. History Of Islam. p1. p. 273.

(٧) عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة ص ٣٨.

محافظين عليها. وهذا على الأقل ما يمكن استنتاجه من كتابات العمري وابن بطوطة [1].

لذلك فإن معظم الانتاج العلمي والفكري، في تلك الفترة، كُتب باللغة الفارسية، وأصبحت آسيا الصغرى أحد أهم مركزين للغة الفارسية خارج بلاد فارس[2].

أما اللغة التركية، فكانت لغة العامة، ويتحدثون بها في شئونهم اليومية.لكنها تطورت بسرعة. حتى قفزت إلى الواجهة. وأصبحت في المركز الأول. وطبعاً على حساب اللغتين السابقتين. فكيف تم ذلك ؟

إن بداية الاستخدام الرسمي للغة التركية، حدث إبان فتنة جمرى، حيث أصدر أمراً بعد استيلائه على قونية، باستخدامها لغة رسمية. وكان ذلك بإيعاز من زعيم القرمانيين محمد بك[3].

وقد فُسر هذا الإجراء على أنه ناتج عن جهل التوكمان باللغتين العربية والفارسية، فاضطروا إلى إعلان لغتهم العامية التي يعرفونها لغة رسمية [4].

وفي عصر الإمارات التركمانية ازدادت أهمية اللغة التركية وكان الأمراء يولونها عناية كبيرة. وكان ذلك جزءاً مما تميزت به الثقافة من تمسك بالتقاليد التركية العتيقة [5]. كما أن أولئك الأمراء شجعوا على ترجمة بعض الكتب من اللغتين الغربية والفارسية إلى التركية [6]. ومع مرور الزمن اضطرت اضطرت الأقليات الخاضعة لحكمهم أو المجاورة لهم من الأرمن واليونانيين

(1) Cahen: The Mongols And Near East. "Setton". p. 732.

(٢) عباس إقبال: تاريخ المغول ص ٤٩٠-٥٠٣.

(٣) انظر ما سبق من هذا البحث

(4) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey. p. 327.

(٥) كوبرلي: زاده محمد فؤاد: تورك أدبياتي تاريخي مجلد (١) , ١٩٢٨م, ص ٢٤٣-٢٥٢, قيام الدولة العثمانية ص ١١٣.

(6) Cambridge. History Of Islam. p1. p. 273.

وغيرهم إلى تعلم اللغة التركية. كما أن علاقات المصاهرة والتبادل التجاري بينهم ساعد على ذلك وأصبح تتريك الأناضول أمراً واقعاً [١].

ويقول ابن بطوطة عند زيارته لأنطالية في الثلث الأول من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.أن بعض مستقبليه كانوا يتحدثون فيما بينهم باللسان التركي, واستطرد قائلاً " ولم أكن يومئذ أفهمه " [٢] مما يدل على أنه تعلمه فيما بعد, أو أصبح على الأقل يفهمه.

يبدو من صعب حصر الإنتاج الفكري في هذه الفترة ومعظمة بالفارسية[٣] لكن لا مانع من الإشارة إلى أبرزه فمن ذلك.

كتاب **الأوامر العلائية**, لابن بيبي, وهو من مصادر هذا البحث وهو ملئ بالمحسنات البديعية المتكلفة, مما دفع أحد الفضلاء إلى تنقيحه واختصاره في الكتاب المسمى " **سلجوق نامه**" والذي هو أيضا من مصادر هذه الدراسة.

ومنها كتاب **مسامرة الأخبار** لأقسرائي وهو من مصادر هذا البحث أيضاً وتم تأليفه في أواخر عهد الولاة المغول, ومؤلفه أهداه إلى الأمير تيمور تاش بن جوبان عندما كان والياً على آسيا الصغرى [٤].

وهناك ديوان شعر للزعيم الصوفي جلال الدين الرومي والمسي المثنوي وهو من الناحية الأدبية مضرب المثل في الفصاحة ودقة التعبير وترجم إلى عدة لغات, ويعتبر من الأدب العالمي [٥].وللمؤلف كتاب آخر بالفارسية أيضا عنوانه "

---

(١) كوبرلي: تورك أدبيات تاريخي , مجلد (١) ص ٢٤٧, قيام الدولة العثمانية ص ١٠٠.

(٢) رحلة ابن بطوطة ج١, ص ٣١٤-٣١٥.

(3) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey p. 350.

(٤) مقدمة كتابة مسامرة الأخبار ص ١٥.

(٥) كوبرلي: زاده محمد فؤاد: تورك أدبيا تنده ايلك متصوفلو , استانبول , ١٩١٩, ص ٢٨٠-٢٨٦.

فيه ما فيه "[1] وفي عهد الإمارات التركمانية، ظهرت دواوين شعر باللغة التركية [2].

وظهر في هذه الفترة عدد كبير من العلماء في مختلف الفنون، وتزخر كتب التراجم والطبقات والتاريخ بتراجمهم، وخوفاً من الإطالة ارتأينا عدم إيراد تراجم لهم.[3]

خامساً: الناحية العمرانية :

ورث سلاجقة الروم عن أهل البلاد الأصليين مدناً عامرة، فأنشأوا مدناً أخرى، كما أن المصلحة الحربية اقتضت تحصين مدنٍ وتخريب أخرى [4]، وهذا يفسر كون مدن شرق ووسط الأناضول أكثر تطوراً وجمالاً من نظيراتها في غربية[5]

وكانت المدينة تضم – اضافة إلى مساكن الناس – المرافق الضرورية كالحمامات، والخانات، والبيمارستان، والمدارس، والكتاتيب، والمساجد، والمطاعم و التكايا والزوايا، والأربطة، وسوقا أو عدة أسواق.[6]

وأصبح للسلاجقة في آسيا الصغرى طرازهم المعماري الخاص، من سماته البوابات العالية، والتركيز على استخدام المواد الخام المتوفرة في المنطقة كالحجارة بألوانها المختلفة بعد نحتها، ففي قونية أُستخدم الحجر الأسود مع

---

(1) Cahen: Op. Cit. p. 351-353.

(٢) كوبرلي: زاده محمد فؤاد: تورك أدبيا تنده ايلك متصوفلة ص ٢١٣, تورك أدبياتي – تاريخي مجلد (١) ص ٢٨١-٣٢٢.

(٣) ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان ,ج٢ ص ٣٦٧-٢٧٠, اليونيني , المصدر السابق، ج ٣ ص ٢٩٥, الذهبي: العبر، ج٣ , ص ٤١-٤٢. حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج١ ص٦٢٥.

(٤) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية: ص ٩٧

(٥) المرجع نفسه، ص ١٠١

(٦) المرجع نفسه، ص ١٠٦

الرخام الأبيض، وفي أرزن الروم أُستخدام الحجر الرمادي اللون وفي سمندو الحجر الأحمر الشبيه بالرخام.[1]

وكذلك كثر استخدام الطوب، والقشاني والفسيفساء الخزفية، والرخام بأشكال هندسية.[2]

وجاء مع الهجرات - التي تسبب فيها الغزو المغولي - بعض المهندسون، والبناؤون ولما استقر بهم المقام في المنطقة، زاولوا هناك مهنتهم، وأدخلوا طرزهم المعمارية التي جاؤوا بها من مواطنهم الأصلية، وأثروا الحالة العمرانية في المنطقة.[3]

وكذلك أدخل المغول معهم طرازهم المعماري، فامتزجت تلك الطرز الوافدة على المنطقة بما كان موجودا فيها أصلا.[4]

ومن الملاحظ أن معماريو المنطقة أخذوا المناخ بعين الاعتبار فأكثروا من استخدام طريقة السقوف المسنمة (الجملون) كي لا تشكل الأمطار والثلوج الغزيرة، ضغطا على السقوف، وتتسبب في انهيار المباني.[5]

كما أنهم عرفوا بناء الطوابق المتعددة، فالجامع الرئيسي في مدينة قصطمونية، والذي أدى فيه ابن بطوطة صلاة جمعة، مكون من ثلاث طبقات، السفلى للأمير وكبار مساعديه، والقاضي والفقهاء والجنود، و

---

(١) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٤٧٧ ؛ أقطاي آصلان: المرجع السابق، ص ٨٨م ٢٥٤: دليل فودرورز، ص ٦٢.

(٢) أقطاي آصلان: المرجع نفسه، ص ٢٥٤.

(٣) عباس اقبال: المرجع السابق، ص ٥٤٦- ٥٤٧.

(٤) هايد: المرجع السابق، ج، ٢ ص ٣٦١ ؛ وانظر أيضا: كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ٩٧ ولا تزال هناك آثار لجامع من القرن ٨هـ/ ١٤م، يعتقد أن بانيه، قائد مغولي يدعي " سنغور بيه " في منطقة كابا دوكيا (قبا دوقيا)، وهو على الطراز القوطي، حيث يتميز بنوافذ على شكل أزهار. وهو طرز غير معهود في هذه المنطقة . دليل فودرورز، ص ٣٢٩

(٥) كتاب الحوادث الجامعة، ص ٢٩٧؛ العمري: مسالك الأبصار، السفر ٣، ص١٤٨- ١٤٩؛ علي الغامدي: أنطالية في عصر الحروب الصليبية، ص ٦٢.

الوسطى "للأفندي" (وهو أخو الأمير) وأصحابه وخدمه وبعض أهل المدينة، والعليا لابن الأمير، وولي عهده، ومن يلوذ به من أصحابه ومماليكه، وسائر أهل المدينة[1].

وينقل لنا ابن عبد الظاهر، عن قرية رآها في بلاد الروم، هي قرية رومان" (رمان)، فـ"...بيوتها حول سن جبل..وعمرت البيوت في سفحه، حوله، بيتا فوق بيت، وبدت وكأنها مجرة النجوم، وما منها بيت إلا وبه مقاعد ذات درابزينات"[2].

وكانت سيواس – مثلا- مدينة كبيرة عامرة محاطة بسور، بها مساجد وخانات، ومدارس، وتكايا ومبان جميلة، وشوارع واسعة، وأسواق مزدحمة، وأهلها – بحكم كونها مركزاً تجاريا مهماً – أثريا ويميلون ميلاً واضحا لكل ما هو فخم وجميل.[3]

وفي دولة سلاجقة الروم، كان المسئولون يشجعون على الاستيطان وبناء المدن والقرى، وحتى إنشاء الجسور.وكانت القرية أو مجموعة القرى تُعفى من الضريبة مقابل مساهمتها في عمل عمراني كبناء الجسور والقناطر.[4]

ورغم الدمار الذي ألحقه المغول بكثير من المدن التي اكتسحوها، فإن أمهات المدن في آسيا الصغرى، نجت تقريبا من ذلك المصير، فإذا استثنينا الخراب الذي حل في بداية الغزو المغولي في مدن مثل: قونية وقيصارية، أرزنجان.فبإمكاننا القول أن تلك المدن استعادة عافيتها بعد فترة قصيرة، وحافظت بشكل عام على ازدهارها، وخاصة في النصف الثاني من عهد السيطرة المغولية، وتحديداً منذ عهد غازان في مستهل القرن الثامن الهجري/

(١) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص ٣٤٧ـ ٣٥٠.
(٢) الروض الزاهر، ص ٤٦٦.
(٣) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية. ص ١٠٣
(٤) المرجع نفسه ص ٩٠.

الرابع عشر الميلادي، حتى سقوط الدولة الإيلخانية. إلا أنه لا يمكن إغفال حقيقة تعرض القرى والتجمعات السكنية للتركمان في الأوج لبطش المغول وهجماتهم الانتقامية خاصة في عهد كيخاتو.[1]

كما أن الإمارات التركمانية ساهمت في الحفاظ على المدن التي كانت واقعة تحت سيطرتها، وهذا ما يتضح من وصف كل من ابن بطوطة والعمري لتلك المدن وتدل الآثار الباقية على مدى التطور والرقي الذي كانت تتمتع به العمارة في المنطقة في تلك الفترة. وهي ولا شكل مرتبطة بفترات الاستقرار. أو الإصلاح التي شهدتها المنطقة. خاصة في عهد بروانه. وعهد غازان وخلفائه حتى استقلال الإمارات التركمانية. ويتمثل ذلك في بعض القصور والمساجد والمدارس والخانات. وهي في وقتنا الحاضر من الآثار السياحية.[2] ولعل من المناسب الإشارة إلى أن كثيراً من آثار تلك الفترة يعود الفضل فيه – بعد الله – إلى الوزير المشهور جلال الدين قرطاي. الذي كان من أعيان دولة سلاجقة الروم. في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ الأول، وخليفته كيخسرو الثاني. وقد امتد به العمر بعد ذلك. وكان مغرما بالبناء والتشييد. وله آثار في عدة أماكن من آسيا الصغرى.[3]

سادساً: الحالة الدينية:

من المعروف أن الأتراك دخلوا الإسلام قبل هجرتهم إلى آسيا الصغرى بزمن طويل. وفي آسيا الصغرى. ورث سلاجقة الروم عن أسلافهم السلاجقة العظام، المذهب الحنفي السني، وكانوا بعيدين عن التعصب المذهبي والديني.[4]

(1) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey ,p. 335, وانظر: عباس اقبال: المرجع السابق، ص ٥٤٥ ؛ وَ وَصف ابن عبد الظاهر قيصرية بأنها مدينة كبيرة و ضخمة، انظر ما سبق من هذا البحث

(٢) أقطاي أصلان: المرجع السابق، ص ٨٨-٨٩ -٢٥٣-٢٥٤ دليل فودورز السياحي.

(٣) أقطاي أصلان: المرجع السابق , ص ١١٧

(٤) رحلة ابن بطوطة ج١ ص ٣١٢، كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ص ١٠١ , ١٥١

وفي أعقاب الفتح السلجوقي للمنطقة.تدفق المهاجرون عليها. وغالبيتهم من التركمان البدو. وكان ثمة فروق طبيعية بين الحاضرة والبادية في النواحي الدينية والإقتصادية والاجتماعية.(١)وهؤلاء التركمان. رغم أنهم مسلمون إلا أنهم لم يتخلصوا تماما من بعض العادات والمعتقدات الموروثة من أسلافهم. والمستمدة من الشامانية ، دينهم القديم قبل إسلامهم.(٢)بل إنهم حتى بعد أسلامهم خلطوا أحيانا بين مذهبي السنة والشيعة ، (٣)وكان بطبيعتهم مستعدين لتلبية كل دعوة يتلقونها من أشخاص يعتقدون صلاحهم، ويؤمنون بكراماتهم.وكان أولئك الأشخاص يستغلون تلك الطبيعة. ولعل فتنة بابا اسحق خير دليل على ذلك.

وأضاف اختلاط المهاجرين الجدد بالسكان الأصليين ـ وغالبيتهم من النصارى ـ عنصراً جديداً للمسألة، فقد تسللت بعض المعتقدات النصرانية إلى نفوس أولئك التركمان. ومارسوها ضمن شعائرهم الدينية(٤) وفي المقابل كان المنصّرون ينشطون في الأماكن التي يحصل فيها الاختلاط، بغية تنصير التركمان من جهة. ومنع من تبقى من النصارى من الدخول في الإسلام من جهة آخرى.وكان للنصارى وجود ظاهر في مناطق وسط وغرب آسيا الصغرى.(٥)

كما كان هناك طائفة من اليهود مقيمين على دينهم. خاصة في قونية وأنطالية.(٦)

---

(١) المرجع نفسه ص، ١٠١

(٢) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية :ص ٨٢-١٥١: عثمان توران :الأناضول في عصر السلاجقة: ص ٣٧

(٣) كوبرلي: المرجع السابق، ص ٨٢ ؛ أحمد مصطفى: المرجع السابق، ص ٥٨.

(٤) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ١٠٠؛ وانظر:
F. W. Hasluck :Cherestinity And Islam Sultans,Oxford. 1929 p. 71-75.

(٥) رنسيمان: الحضارة البيزنطية: نقله إلى العربية عبد العزيز جاويد: القاهرة: النهضة المصرية: ١٩٦١/ ص ٣٦٠ عبد الحميد بدوي: الإتجاه المذهبي عند سلاجقة الروم، بحث منشور في مجلة كلية الأداب، جامعة المنصورة، العددان: ٣+٤، مايو ١٩٨٢م

(٦) رحلة ابن بطوطة، ج١، ٣١٩.

وسبقت الاشارة إلى إقامة كل أتباع دين في حي خاص بهم داخل المدينة الواحدة.

وكانت الجزية والخراج مطبقتان بحق رعايا دولة سلاجقة الروم من أهل الذمة.[١] ولكن لم يُطالبوا بتطبيق بقية التعليم كارتداء زيّ معين، وعدم ممارسة بعض الأعمال وغير ذلك.[٢] ويعترف النصارى أنفسهم، بأن وضعهم كان جيداً، ولم تمارس ضدهم أعمال عنف أو تفرقة بسبب دينهم.[٣] وكان كثير منهم يفضلون البقاء تحت حماية دولة سلاجقة الروم، على التبعية للإمبراطورية البيزنطية[٤]، وكانوا يمارسون طقوسهم وشعائرهم الدينية دون تدخل من الدولة، بل كانت توفر لهم الحماية.[٥] كما كانت علاقتهم بجيرانهم بجيرانهم المسلمين طيبة وبين الطائفتين تعاون وانسجام واضح.[٦]

لكن دخول المنطقة تحت الحماية المغولية، أفرز وضعا جديدا، وأحدث خللا في العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة ـ خاصة النصارى – من رعايا دولة سلاجقة الروم، فأضعف الانسجام بين الطائفتين، وزرع الشك في النفوس.[٧] وفقد الإسلام شيئا من مكانته على المستوى الرسمي وأصبح على قدم المساواة مع بقية الأديان، التي يعتنقها رعايا الدولة المغولية.[٨]

(١) اقسراني: المصدر السابق، ص ٢٩٩ ؛ كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ١٤١
(٢) عثمان توران الأناضول في عهد السلاجقة: ص ٣٧
(3) Cahen :Pre Of Ottoman Turkey, p. 326.
(٤) عثمان توران: المرجع السابق، ص ٣٦.
(٥) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج٩، ص ٦١ ؛ وانظر ما سبق ص
(٦) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ١٠٠، عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة، ص ٣٧
(٧) عثمان توران: الأناضول في عهد السلاجقة: ص ٣٧ وانظر أيضا
Cahen: Pre Of Ottoman Turkey,p. 327.
(8) Cahen; Op. Cit. p. 326.

ويرى بعض الباحثين، أن من حسنات حكام المغول عامة، التسامح الديني، أو على الأصح عدم الاكتراث بالدين، وعدم إظهار التعصب حتى للبوذية التي نشأوا عليها.[١]

ومن هذا الباب، فإنهم سمحوا لأهل كل ديانة بممارسة شعائرهم بحرية، وإقامة المساجد، والمعابد، والكنائس، و منها أُسقفيات أعيد بناؤها في المنطقة، كانت قد تلاشت على أيدي رجال دين يونانيين.[٢]

سيرا على هذه السياسة، فقد استعان الإيلخانات برعاياهم من كافة الأديان،وأسندوا إليهم وظائف عليا، فكان نصيب المسلمين منها كبيراً، لأنهم أغلبية في الدولة.[٣]

ورغم أن تلك كانت السياسة الإيلخانية العامة، فإن بعض الحكام المغول انتهجوا سياسة مغايرة، وذلك بإيحاء من وزرائهم أو مستشاريهم، لكن يبدو أن ذلك التغيير كان مؤقتا ومحدوداً، وله غايات سياسية أكثر منها الدينية.[٤]

وفي عهد الإيلخان الأول هولاكو، و خليفته (ابنه) آباقا، كان التسامح سائدا، رغم أن الإيلخانَيْنِ يعتنقان البوذية.[٥]

وفي عهد الإيلخان الثالث أحمد تكودار، حصل التحول الكبير، فأعلن الإيلخان اسلامه، وتسمى بإسم أحمد، واتخذ لقب سلطان، وعمل على نشر الإسلام بين المغول، ونادى السلطان الجديد بقيام علاقة جديدة مع الأعداء التقليديين "المماليك"، قائمة على السلام، وكان الرجل صحيح الإسلام كما

(١) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص، ١٠١، رجب: المرجع السابق، ص ١٢٠.

(2) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey, p. 327.

(3) Abid J,p. 348.

(٤) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ص ١٤١

(1) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey, p. 348.

ذكرنا سابقا، لكن الثورة قامت ضده بسبب اعتناقه الإسلام وانتهت بمقتله.(١)

وخَلَفَ أحمد تكودار، ابنُ أخيه "آرغون بن آباقا". فنحا منحاً آخر حيث قرب إليه اليهودي سعد الدين، واتخذه وزيراً، فحمله هذا الوزير على بغض المسلمين، وتحميلهم مسئولية ما أصاب الدولة الإيلخانية من أزمات. فحرّم عليهم دخول بلاطه، وضيق عليهم في وظائف الدولة، خاصة العليا منها، وفي المقابل قرب إليه اليهود، وأسند إليهم كثيرا من الوظائف، فأخذوا يتعالون على بقية الرعية.(٢) حتى المغول منهم، فنقموا على الوزير وسيده، وقتلوا الأول فيما كان الأخير على فراش الموت، فلم يلبث أن هلك.(٣)

وفي عهد بايدو – القصير المدة – علا شأن النصارى لتعاطف الإيلخان معهم، مع إستمرار التضييق على المسلمين.(٤) ثم ارتقى غازان إلى عرش الإيلخانية، وأعلن إسلامه، وأختار لنفسه اسم " محمود " وتلقب بالسلطان،وكان متحمسا للإسلام، وعمل على نشره بين المغول ففشا فيهم الإسلام، وفي المقابل اشتد في معاملة أهل الذمة، وأصدر أوامره بوجوب تمييزهم عن المسلمين، بارتداء زي، معين يختلف لونه عند النصارى عنه عند اليهود، وتحديد أماكن إقامتهم، والتشديد على أخذ الجزية والخراج منهم، وحرمانهم من تبوء بعض المناصب والوظائف وهدم عدد من كنائسهم ومعابدهم.(٥)

---

(١) انظر ما سبق من هذا البحث.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٧٠ ؛ حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، ص ٢٨٨-٢٨٩: الصياد: الشرق الإسلامي، ص ١٦٧؛
Arnold,T. W: The Preaching Of Islam , London,1935,p. 225- 228.

(٣) انظر ما سبق من هذا البحث. والجدير بالذكر أن العملة التي ضُربت في عهده، مكتوب على أحد وجهيها، لفظ الشهادة. انظر: عباس العزاوي: تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية، بغداد، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.

(٤) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ١٤٠ ؛ وانظر ما سبق ص من هذا البحث.

(٥) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص ٣١٩ – ٣٢٤ ؛ حسن الأمين: المغول ص٢٨٧

ونتيجة لسياسة غازان هذه، استعاد الإسلام من جديد مكانته المتميزة في آسيا الصغرى، [1] وأخذ ينتشر بين النصارى خاصة. وأسهم الدعاة. جماعات الأخية والطرق الصوفية في انتشاره.[2] و يحذر أحد الباحثين من المبالغة في هذه المسألة، ويوصي بتوخي الحذر. طلبا للحقيقة، ويرى أن الإسلام انتشر بين النصارى في آسيا الصغرى في هذه الفترة بالتدريج. وكان محدودا.[3]

وبعد وفاة غازان. تولى العرش بعده أخوه. أو لجايتو. وكان مسلما على المذهب السني. لكن مستشاريه وجلساءه نجحوا في إقناعه بالتحول إلى المذهب الشيعي. وبالتالي ارتفع شأن الشيعة على بقية المذاهب. وقربهم السلطان إليه. لكن لم يُؤثر عنه اضطهاد أو إيذاء بقية المسلمين أو الأديان الأخرى.[4] واستمر الدين الإسلامي الدين الرسمي للدولة الإيلخانية، حتى سقوطها بعد وفاة آخر سلاطينها. بوسعيد بن أولجايتو.[5]

وفي عصر الإمارات التركمانية، أخذ الإسلام في الانتشار والتمدد في أطراف آسيا الصغرى، خاصة الشمالية والغربية. وكان المذهب السني هو السائد. رغم أن أحدى الوثائق تشير إلى أن "خضر بك"– أحد أمراء بني آيدين – كان يميل إلى مذهب الشيعة.[6]

٢- التصوف:

عديدة هي الظواهر التي تميزت بها آسيا الصغرى في الفترة محل الدراسة، ومنها ولا شك. التصوف. وانتشار الطرق الصوفية. وكان هذا التيار الديني، معروفا من زمن سلاجقة الروم، إلا أنه بعد سيطرة المغول على المنطقة

---

(١) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية , ص ١٤١.
(٢) رجب: المرجع السابق، ص ٩٢– ٩٣؛ الكساندر: أهل الفتوة، ص ١٤٨– ١٤٩
(٣) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية ص ١٤٤
(٤) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية , ص ١٧٤، وانظر ما سبق ص من هذا البحث.
(٥) انظر ماسبق من هذا البحث.
(٦) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ١٤١ , ١٧٥.

أمسى ظاهرةً ملفتةً للنظر، وكان لهذا الغزو المغولي، أثر بيّن في تغذية هذا التيار.[1] وجاء ذلك عن طريقين، **الأولى**: تدفق المهاجرين من وسط آسيا وبلاد فارس والخوارزمية على المنطقة فرارا من وجه الزحف المغولي، ومن ضمن أولئك المهاجرين شيوخ لطرق صوفية وأتباعهم، وأشهرها طرقٌ أربع: الرحالة ويسمون ايضا الآخيان، والغازيان، والأبدالان "عبد الان" "بدالان روم" وأخيراً الباجيان.[2]

والأخرى: حالة اليأس والإحباط التي عمت بين التركمان وغيرهم من المسلمين، إثر هزيمة الدولة السلجوقية الرومية – وغيرها من دول الإسلام – على أيدي المغول، وسيطرة هؤلاء الغزاة على المناطق التي هزموا أهلها، فلم يجد بعض المسلمين عزاءً في هذا المصاب الجلل، إلا سلوك طريق التزهد والانقطاع عن الناس، والتبتل في زاوية أو مكان منعزل.[3]

فإذا أضفنا إلى ذلك طبيعة التركمان، والمتمثلة في تقبلهم التلقائي لأي تعاليم جديدة تدعي الإنتماء الى الإسلام، أو تذكرهم بدينهم القديم الذي لا تزال بعض شوائبه في نفوسهم، [4] خصوصا وأن المنادين بها أشخاص يُعتقد فيهم الصلاح والورع، وأنهم من أصحاب الكرامات!![5]

وكان مشايخ الطرق الصوفية، يستغلون هذه الطبيعة الساذجة للتركمان، ويحولونهم إلى أتباع ومريدين، مستخدمين في ذلك كل الطرق بما فيها الدجل والشعوذة.[6] ومن جانبهم كان التركمان مستعدين لإضفاء – ليس

---

(١) رجب: المرجع السابق، ص ٩١.

(٢) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤٠٦، كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ١٦٥ ؛ الكساندر: أهل الفتوة، ص ١٤٠.

(٣) عباس اقبال: تاريخ المغول، ص ٥٠٤ ؛ أحمد توني: المرجع السابق، ص ٣٥٤

(٤) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤٠٨–٤١٥ ؛ كوبرلي قيام الدولة العثمانية: ص ١٦٨.

(٥) انظر ما سبق من هذا البحث.

(6) Cahen: Pre Of Ottoman Turkey , p. 355.

ليس صفة الولي فحسب – بل حتى الرسالة على أولئك المشعوذين. ولعل انجرافهم مع فتنة " بابا اسحق" وتصديقهم بأنه رسول خير دليل على ذلك.[1]

نتيجة لتظافر تلك الأسباب، أصبحت آسيا الصغرى تعج بالزوايا التي يتردد عليها أعداد غفيرة من المؤيدين أو الدراويش.[2] وكانت أعدادهم في تزايد ، كما أن تأثيرهم في المجتمع كان أيضا في ازدياد.[3]

وتعددت الطرق الصوفية في هذه الفترة، حتى أنه لمن الصعوبة بمكان حصرها، لكن يبقى القاسم المشترك بينها جميعا احتواؤها على ما ينافي صفاء الإسلام ونقاءه، بل حتى كمال التوحيد الذي هو لب الإسلام. وليس هنا محل مناقشة عقائد أتباع تلك الطرق، أو الحكم عليهم، لكننا نستعرضها كجانب من الحالة الدينية في المنطقة. وإذا كان انتشار تلك الطرق معروفا وثابتا، فإن الباحث لا يسعه إلا أن يتحفظ وبشدة على الوصف الذي خلعه ابن بطوطة على أهل بلاد الروم في زمانه إذ قال "وجميع أهل هذه البلاد على مذهب الإمام أبي حنيفة، مقيمين على السنة لا قدري فيهم ولا رافضي ولا معتزلي ولا خارجي ولا مبتدع وتلك فضيلة خصهم الله بها."[4] إلا أن المؤلف نفسه – وفي موضع آخر من كتابة – يقول عن أولئك القوم "إلا أنهم يأكلون الحشيشة ولا يعيبون ذلك."[5] بل إن بعض سلاطين سلاجقة الروم، كانوا يعتقدون في بعض مشايخ الصوفية، كذلك كان السلطان علاء الدين كيقباذ الأول وحفيده السلطان

---

(١) انظر ما سبق من هذا البحث

(٢) الدراويش مفردها درويش: كلمة فارسية، تعني المعدوم والفقير. انظر التونجي: المعجم الذهبي، مادة درويش.

(٣) كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص ١٧٠ علي الغامدي: أنطالية في عصر الحروب الصليبية ص ٦٩

(٤) رحلة ابن بطوطة" ج١، ص ٣٠٤.

(٥) المصدر نفسه ج١، ص ٣١٢

ركن الدين قلج أرسلان الرابع، كما كانوا يتعاطون الخمر، ويُنصتون إلى الموسيقى والملاهي ويعدونها " بمنزلة رسوم الدولة ".(١)

وسنشير في الصفحات التالية إلى أبرز تلك الطرق الصوفية باختصار

٣- المولوية

نسبة إلى جلال الدين الرومي الملقب بـ" مولانا " وهي أكثر الطرق انتشاراً وأتباعاً، ومؤسسها عاش في قونية وبها توفي سنة وهو مبجل عند مريديه، وخلفه في زعامة الطريقة ابنه " سلطان ولد" والذي كان مثل أبيه شاعر مجيد.ينظم أشعاره بالفارسية.وقد توفي سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢، وخلفه في زعامة الطريقة ابنه عارف شلبي.(٢)

٤- البكتاشية:

وهي منسوبة إلى الحاج "بكتاش"، وهو من خلفاء بابا اسحق، صاحب الفتنة المشهورة.(٣)

وهناك طرقا أخرى، لكنها أقل أهمية وأتباعا من الطريقتين السابقتين.منها: الخلوتية، والقلندرية، والحيدرية، واليسوية، والكازارونية، والعدوية(٤)

(١) المولوي: صحائف الأخبار، ج١، ورقة ٥٨١أ ؛ كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ص١٥٩ Eflaki: Op. Cit. p. 653.

(٢) بن تغري بردي: المنهل الصافي، ج١ ترجمة رقم (٢٧٧)،ص ٦٧٥ ؛ كوبرلي: المرجع السابق ص ١٠٠-١٦٧- ١٧٢. Cahen: Pre Of Ottoman Turkey , p. 350

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ج٧، مادة بكتاش ؛ كوبرلي: قيام الدولة العثمانية: ص ١٥٢-١٥٥

(٤) كوبرلي: المرجع السابق: ص ١٥٣- ١٥٥ ؛ الكساندر: أهل الفتوة، ص ١٤٥؛ أحمد توني: المرجع السابق ص ٣٥٤.

المـــلاحـق

الملاحق(١)

جدول حكام سلاجقة الروم

ملك شاه الأول	(٥٠٠ - ٥١٠هـ /١١٠٦- ١١١٦م)
مسعود الأول	(٥١٠- ٥٥١هـ /١١١٦- ١١٥٦م)
عز الدين قلج ارسلان الثاني	(٥٥١- ٥٨٤هـ /١١٥٦- ١١٨٨م)
قطب الدين ملك شاه الثاني	(٥٨٤- ٥٨٨هـ /١١٨٨- ١١٩٢م)
غياث الدين كيخسرو الأول	(٥٨٨- ٥٩٧هـ /١١٩٢- ١٢٠٠م)
ركن الدين سليمان الثاني	(٥٩٧- ٦٠٠هـ /١٢٠٠- ١٢٠٣م)
قلج ارسلان الثالث	(٦٠٠- ٦٠١هـ /١٢٠٣- ١٢٠٤م)
كيخسرو الأول للمرة الثانية	(٦٠١- ٦٠٧هـ /١٢٠٤- ١٢١٠م)
عز الدين كيكاوس الأول	(٦٠٧- ٦١٦هـ/ ١٢١٠- ١٢١٩م)
علاء الدين كيقباد الأول	(٦١٦- ٦٣٤هـ/ ١٢١٩- ١٢٣٦م)
غياث الدين كيخسرو الثاني	(٦٣٤- ٦٤٣هـ /١٢٣٦- ١٢٤٥م)
عز الدين كيكاوس الثاني	(٦٤٣- ٦٥٥هـ /١٢٤٥- ١٢٥٧م)
ركن الدين قلج ارسلان الرابع	(٦٥٥- ٦٦٦هـ /١٢٥٧- ١٢٦٧م)
غياث الدين كيخسروالثالث	(٦٦٦- ٦٨٢هـ /١٢٦٧- ١٢٨٣م)
غياث الدين مسعود الثاني	(٦٨٢هـ/١٢٨٣م)

الخاتمة:

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، والصلاة والسلام الأتمان على الرسول الأمين، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فإن لكل بحث علمي خلاصة ونتائج، يتوصل إليها الباحث من خلال معالجته لقضايا البحث وفصوله، ومن نتائج هذا البحث ما يلي:

إن السياسة التي يتبعها السلطان، تتوقف عليها مصلحة الدولة وانتظامها إما ازدهاراً أو تدهوراً، فعندما بدأ الخطر المغولي يلوح في الأفق، كان على رأس دولة سلاجقة الروم، السلطان علاء الدين كيقباذ الأول، وهو سلطان مشهود له بالكفاءة، وقد تعامل مع الموقف بكل حكمة، وحيطة وحذر، ونجح في تجنيب دولته الصدام المباشر مع المغول، لكن خليفته وابنه كيخسرو الثاني، لم يحسن التعامل مع الأصدقاء فضلاً عن الأعداء.

فعلى الصعيد الداخلي، أصغى لمشورة وزيره سعد الدين كوبك، فأفقد الدولة كبار رجالاتها، إما بالقتل أو بالنفي، حتى أخويه وزوجة أبيه، لم يسلموا من شره، وانهمك في الملذات والملاهي، وتشاغل عن أمور الدولة، فأوغر عليه الصدور، وقامت ضده ثورة عارمة، كادت تطيح بعرشه قبل الأوان، تلك هي ثورة "بابا إسحق" التركماني، كما أنه أخرج طائفة الخوارزمية، وكانوا يشكلون قوة، استعان بهم والده، ليواجه المغول، كونهم عرفوا الحرب معهم وخبروها، حتى إذا أقبل بايجو نوين بجيش المغول، كانت دولة سلاجقة الروم منهكة القوى بسبب المشكلات الداخلية التي مرت بها، وإن كان مظهرها الخارجي يوحي بأنها قوية، فإنها من الداخل وفي حقيقة أمرها، خائرة العزيمة، ضعيفة متهالكة.

ومع كل ذلك لم يستفد السلطان من فرص أتيحت للإصلاح، وتمادى في غيه، فهو لم يستعد بما فيه الكفاية لمواجهة الغزاة، حتى جيشه اللجب الذي

حشـده للمواجهـة كـان يحمـل في داخلـة عوامـل فشـله فهـو متعـدد الأعـراق والأجنـاس والأديـان.كمـا أنـه لم يأخـذ بـرأي مـن تبقـى مـن عقـلاء دولـة أبيـه، وتجاهلـهم، وقـدم عليهم السـفهاء والجهلـة. فكانـت النتيجـة خسـارة مدويـة في معركـة "كوسه داغ"، وانتهى إلى الأبد استقلال دولة سـلاجقة الـروم، وأصبحوا تحت الحماية المغولية.

وبعد هزيمته وانكساره، لم يلبث أن مـات كيخسـرو الثـاني، وتـرك بعـده ثلاثـة مـن الأبنـاء، وبـدل الاتفـاق بـدأت المؤامرات بـين رجـال الدولـة كـل يسـعى لتولية أحد الأبنـاء الثلاثـة، وبعـد شـد وجـذب تم الإتفـاق علـى إشـراك الثلاثـة في العرش،وكان حلاً غريباً، و في نفس الوقت مؤقتاً، إذ لم يلبـث الصـراع أن تفجـر مـن جديـد، وازداد بعـد وفـاة الأخ الأصـغر مـن الثلاثـة وهـو عـلاء الـدين كيقبـاذ الثـاني، وانقسـمت الدولـة كلها بـين الأخـوين كيكـاوس الثـاني وقلـج أرسـلان الرابـع، وتبـادلا جـولات النصـر والهزيمـة، وتـدخل المغـول وسـاندوا قلـج أرسـلان، وعمقـوا الخـلاف ورسخوه، ورضوا بتقسيم الدولة بـين الأخـوين مؤقتـاً، وبعـد زوال الأسباب الدافعة إلى ذلك، عادوا فشـجعوا الصـراع مـن جديـد، ونجـح حليفهم في إحراز النصر، فيما اختار أخوه كيكاوس الثاني القسطنطينية ملجئاً له.

ومن خلال تحكمه في السلطان قلج أرسلان الرابـع اسـتطاع بروانـه معـين الدين سليمان،من بسط نفوذه على دولة سـلاجقة الـروم، وداری المغـول وعمـل علـى عـدم اسـتفزازهم ولم يقطـع الاتصـالات السـرية مـع أعـدائهم المماليـك، فكـان موقفاً يبدو متناقضاً، لكنه حافظ عليه سنوات عديدة لكن نهايته جـاءت علـى حساب ذلك الموقف المتناقض، وعلـى الصـعيد الـداخلي جعـل نصـب عينيـة فـرض السيطرة المطلقة على مقدرات الدولـة، والـتخلص بسـرعة مـن كـل شـخص يـرى أنه يشكل خطراً على نفوذه، أو منافساً له.

وتدل الأخبار وبقايا الآثار عن ذلك العهد أنه كان مستقراً إلى حد بعيـد، وشهد ازدهاراً في كثير من مناحيه، لكن نهايته كانت مؤلمة، وأخذت الأوضاع

في آسيا الصغرى في أواخر عهده مساراً آخر. فموقعة الأبلستين التي انتصر فيه المماليك على المغول في جنوب آسيا الصغرى لم تقل خطورة وتأثيراً عن معركة كوسة داغ سالفة الذكر. فالجيش المملوكي توغل في المنطقة حتى وصل إلى قيصرية. وهي أبعد نقطة وصل إليها جيش مملوكي داخل آسيا الصغرى. كما أن الإيلخان آباقا زحف بجيشه ودخل المنطقة أيضاً. وارتكب مذابح مروعة تُذكر بالمذابح التي اقترفها أبوه في بغداد. وأخذ معه بروانه إلى بلاد فارس حيث أعدم. وجاء الصاحب الجويني لترميم الأوضاع في آسيا الصغرى. فكان فاتحة التدخل المغولي المباشر في الأمور الداخلية للمنطقة. وتعاقب بعده موظفون آخرون. كل منهم يسهم في هدم ما تبقى لدولة سلاجقة الروم من كيان. حتى تم تسريح الجيش. وإلغاء الإدارة واستبدالها بالجيش والنظم المغولية. ولم يعد لسلاطين سلاجقة الروم دور يقومون به. إلا الاسم. وحتى هذا الاسم تم الاستغناء عنه في أوائل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. ولم يكترث أحد بزوال سلطنة سلاجقة الروم. ولم يتم الاتفاق على تاريخ محدد لحدوث ذلك الزوال.

أما على الصعيد الداخلي. فقد مارس كثير من نواب المغول وولاتهم ظلماً وتعسفاً شديداً ضد الرعية. واندلعت ثورات وفتن تركت بصماتها واضحة على المنطقة.

وإذا أردنا النظر إجمالاً إلى التغييرات التي حصلت في المنطقة نتيجة غزو المغول لها وسيطرتهم عليها. فيمكن ملاحظة الآتي:

من الناحية السياسية أُسقطت الدولة السلجوقية. وأصبحت آسيا الصغرى جزءاً من دولة المغول الإيلخانين فترة قاربت القرن من الزمان.كما أنها وفرت أرضية خصبه لظهور الإمارات التركمانية وهو ما عرف بعصر الطوائف في المنطقة. وكان بين تلك الإمارات الإمارة العثمانية التي نمت فيما بعد حتى أصبحت دولة الإسلام الأولى ولقرون عديدة.

ومن الناحية الاجتماعية، واكب الغزو هجرة ضخمة زادت من التعدد العرقي في المنطقة ورجحت العرق التركي على غيره بصورة جلية وواضحة، وهذا بدوره أسهم في ما عرف بعملية " تتريك" المنطقة

من الناحية الدينية.أصبحت المنطقة مهيأة أكثر مما سبق لظهور الطرق الصوفية وانتشارها حتى أصبحت من الظواهر المميزة للمنطقة، كما أنها أسهمت في نشر الإسلام بين المغول، فقد رأينا كيف أسلمت زوجة بايجو عندما كان محاصراً لقونية، وأسلم معها كثير من قادة المغول، حتى أن بايجو نفسه يعتقد البعض بإسلامه.

من الناحية الاقتصادية، تأثرت المنطقة بالأزمات الواقعة في أرجاء الدولة الإيلخانية إلا أن الطرق التجارية أصبحت مفتوحة والحواجز والحدود زالت خاصة بين المنطقة وبقية أجزاء الدولة الإيلخانية، والتي كانت بدورها مفتوحة على بقية أجزاء الإمبراطورية المغولية المترامية الأطراف.

وختاماً فإن الكمال لله وحدهوحسب المرء أن يجتهد ويخلص نيته لله، وكما جاء في الأثر عن الإمام مالك رحمة الله، عندما وقف على قبر النبي ﷺ وقال: "كل يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب هذا القبر".

مراجع البحث

أولاً: المصادر العربية المخطوطة:

- ابن بهادر [كمال الدين محمد بن محمد المؤمن ابن بهادر، ت٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م] فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر، مخطوط، دار الكتب المصرية، رقم ٢٣٩٩، مجلدان، المجلد الأول من ١- ١٤٨ب.
- ابن حبيب [الحسن بن عمر حبيب الحنبلي، ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م] درة الأسلاك في دولة الأتراك، مخطوط، دار الكتب المصرية رقم ٦٧٥٣ح، ثلاثة أجزاء الجزء الأول حوادث سنة ٦٤٨ إلى ٧١٤هـ.
- ابن واصل [جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م] مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، الجزء السادس [تاريخ الواصلين] مخطوط، صورة بدار الكتب المصرية برقم ٥٣١٩ عن نسخة باريس.
- المولوي [منجم باشي، أحمد بن لطف الله المولوي، عاش في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي]
- جامع الدول، مكتبة نوري عثمانية، رقم ٣١٧١.
- صحائف الأخبار في وقائع الأعصار، نسخة مصورة على ميكرو فيلم بمعهد أحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، رقم ١٠٤٢، عن نسخة مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم ١٢٤٥، الجزء الأول.
- الهمذاني [رشيد الدين فضل الله بن أبي الخير بن علي الهمذاني ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م] تاريخ جنكيز خان، ج٢ نسخة مصورة على ميكرو فيلم، بمعهد التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، رقم ٩٠، عن نسخة آيا صوفيا رقم ٣٠٢٤، وجامعة الدول العربية رقم ١٠٧.
- اليافعي [حسن بن إبراهيم بن محمد، كان حياً سنة ٦٧٩هـ/١٢٨٠م] جامع التواريخ المصرية في ذكر الملوك والخلفاء الإسلامية، صورة على ميكرو فيلم بمعهد إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى رقم ١١٤٢، عن نسخة المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٥٤٣.

ثانياً: المصادر العربية والمعربة المطبوعة لله

- القرآن الكريم.
- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم بشرح النووي.
- ابن أبي الفضائل [مفضل بن أبي الفضائل، ت ٦٧٢هـ/١٢٧٣م] النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد جزءان،حققهما وترجمهما إلى الفرنسية المستشرق: بلوشيه باريس ١٩١٢م.
- ابن الأثير [أبو الحسن عز الدين علي بن محمد الجزري، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م] الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء، عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ابن أيبك [أبو بكر بن عبد الله بن أيبك، الدواداري، ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م] كنز الدرر وجامع الغرر، الأجزاء الثلاثة:، الجزء السابع وعنوانه [الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب] تحقيق: سعيد عاشور، القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧٢م.، الجزء الثامن وعنوانه [الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية] تحقيق: أولرخ هارمان، القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١، الجزء التاسع وعنوانة [الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر] تحقيق: هانس روبرت رويمر القاهرة، ١٩٦٠م.
- ابن بطوطة [أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي، ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م] رحلة ابن بطوطة المسماه [تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار] تحقيق: على المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ابن بيبي [ناصر الدين الحسين بن محمد الرغدي، ت ٦٨٠هـ/١٢١٨م] أخبار سلاجقة الروم [مختصر سلجوق نامه] نقله من الفارسية إلى العربية د.محمد السعيد جمال الدين، جامعة قطر، الدوحة ١٩٩٤م.،نسخة أخرى من الكتاب نفسه نقلها إلى العربية د.محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ابن تغري بردي[أبو الحسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي، ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م]

- الدليل الشافي على المنهل الصافي تحقيق فهيم شلتوت، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي الجزء الأول، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م، وبقية الأجزاء تحقيق محمد محمد أمين الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة.١٩٨٦م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة ابن الجزري[شمس الدين محمد بن إبراهيم، ت ٧٣٨هـ/١٣٣٧م].
- تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأعيان من أبنائه.تحقيق د.عمر عبد السلام تدمري المكتبة العصرية، لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- لمختار من تاريخ ابن الجزري المسمى [حوادث الزمان وأبنائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه] اختيار شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: خضير عباس المنشداوي دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ابن الحاج (أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري ت٧٣٧هـ/١٣٣٦م)
- المدخل، دار التراث القاهرة (ب- ت)
- ابن حبيب [الحسن بن عمر بن حبيب الحنبلي، ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م]
- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه.تحقيق: محمد محمد أمين، مراجعة د/سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م- ١٩٨٦م (٣ أجزاء).
- ابن حجر [شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م]
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، القاهرة ١٣٨٥ه/١٩٦٦م.(٥أجزاء).
- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء.الرياض.
- ابن حوقل [محمد بن حوقل، ت ٣٨٠هـ/٩٨٩م] صورةالأرض، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، ١٩٧٩م.

- ابن خلدون [عبد الرحمن بن خلدون، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م] تاريخ ابن خلدون المسمى " كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" دار الكتاب اللبناني، بيروت.(د.ت).
- ابن دقماق [صارم الدين إبراهيم بن محمد العلائي، ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م] نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، دراسة وتحقيق: د.سمير طبارة، المكتبة العصرية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- ابن سعيد [أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي، المتوفى في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي] كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي،منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى.١٩٧٠م.
- ابن شاكر [محمد بن شاكر الكتبي، ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م]
- عيون التواريخ، الجزء العشرون،تحقيق: فيصل السامر، ونبيلة عبد المنعم، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م.
- فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق د.احسان عباس دار الثقافة، بيروت ١٩٧٣م.
- ابن الشحنة الكبير [أبو الوليد محمد بن محمد، ت ٨١٥هـ/١٤١٢م] روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر، تحقيق سيد محمد مهنى،دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- ابن شداد [عز الدين محمد بن على، ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م]
- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحي عبارة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٨- ١٩٩١م.
- تاريخ الملك الظاهر، باعتناء، أحمد حطيط، دار النشر فرانز شتايز بفسبادن١٤٠٣هـ/١٩٨٣.
- ابن عبد الظاهر [محي الدين عبد الله بن رشيد الدين ابن عبد الظاهر، ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م]
- تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور،تحقيق: د.مراد كامل، الشركة العربية للطباعة وانشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦١م.

- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: د.عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
- ابن العبري [أبو الفرج جمال الدين غريغور يوس بن أهروت الملطي، ت٦٨٥هـ/١٩٧٦م.
- تاريخ الزمان، نقله إلى العربية: الأب اسحق أرملة، دار المشرق بيروت، ١٩٨٦م.
- تاريخ مختصر الدول، صحة وفهرس له: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- ابن العديم [كمال الدين أبو القاسم، عمر بن أحمد، ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م] زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان دمسق١٩٦٨م.[٣ أجزاء].
- ابن العماد الحنبلي [عبد الحي أحمد بن محمد بن العماد.ت ١٠٨٩هـ/١٧٧٥م] شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت "ب.ت".
- ابن العميد [المكين جرجس بن العميد، ت٦٧٢هـ١٢٧٤م] أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية.القاهرة.
- ابن الفرات [ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن بن على ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م] تاريخ ابن الفرات، الجزء السابع تحقيق قسطنطين رزيق، بيروت، ١٩٤٢م.، الجزء الثامن، تحقيق: قسطنطين رزيق ونجلاء عز الدين، بيروت ١٩٣٦م.
- ابن كثير [أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م] البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الريان للتراث القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ابن كنان [محمد بن عيسى بن زين التقاة بن كنان، ت ١١٥٣هـ/١٧٤٠م] حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين.تحقيق: عباس صباغ،دار النفائس، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
- ابن منظور [أبو الفضائل، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، ت ٧١١هـ/١٣١١م] لسان العرب، ٤ بيروت (د. ت).
- ابن نصر الله الحنبلي [عز الدين أحمد بن إبراهيم الكناني العسقلاني، ت٨٧٦هـ/١٤٧١م] شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق ناظم رشيد، بعداد، ١٩٨٧م.

- ابن نظيف الحموي [أبو الفضائل محمد بن على بن نظيف عاش في النصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي] التاريخ المنصوري، تحقيق: أبي العيد دودو مطبعة الحجاز، دمشق ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- ابن واصل [جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م] مفرج الكروب في أخبار بني أيوب (٥ أجزاء) ، الأجزاء: الأول والثاني والثالث، تحقيق:د.جمال الدين الشيال،١٩٥٣م،١٩٥٧،١٩٧٧م.،الجزءان الرابع والخامس، تحقيق: د.حسنين محمد ربيع، القاهرة ١٩٧٢م، ١٩٧٧م
- ابن الوردي [زين الدين عمر بن الوردي، ت ٧٣٩هـ/ ١٣٤٨م] تتمة المختصر في أخبار البشر] تحقيق: أحمد رفعت البدراوي دار المعرفة بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.
- أبو شامة [شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة المقدسي، ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م] تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بـ" ذيل الروضتين " تصحيح: محمد زاهد الكوثري، مراجعة السيد عزت العطار الحسيني، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٤م.
- = أبو الفداء [الملك المؤيد إسماعيل صاحب حماة، ابن الأفضل على الأيوبي، ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م]
- تقويم البلدان، باريس، ١٨٤٠م.
- المختصر في أخبار البشر، علق عليه ووضع حواشيه: محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م (جزءان).
- الإصطخري [أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإصطخري الكرخي، ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م] المسالك والممالك،تحقيق د.محمد صابر الحسيني، القاهرة ١٣٨١هـ/١٩٦١م.
- البدليسي [شرف خان البدليسي]شرف نامة، نقله من الفارسية إلى العربية محمد على عوني، راجعة، د.يحي الخشاب، الجزء الثاني القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٢م.
- البيهقي [أبو الفضل محمد بن الحسن، ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م] تاريخ بيهق، طبعة مصر، ١٩٥٦م.
- بيبرس المنصوري [الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار الخطائي المنصوري،مملوك السلطان المنصور قلاوون الألفي ت٧٢٥هـ/١٣٢٥م]

- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة, الجزء التاسع, تحقيق: د.زبيدة محمد عطا, دار المدينة للطباعة والنشر (د, ت).
- التحفة الملوكية, في الدولة التركية, نشره د.عبد الحميد صالح حمدان, الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- مختار الأخبار, تحقيق:د, عبد الحميد صالح حمدان, الدار المصرية اللبنانية القاهرة, الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- الثعالبي [أبو منصور عبد الله بن محمد بن إسماعيل, ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م] تحفة لوزراء, تحقيق حبيب على الراوي, وابتسام مرهون الصفار, بغداد, ١٩٧٧م.
- الجويني [عطا ملك, ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م] تاريخ فاتح العالم [جها نكشاي] نقله من الفارسية إلى العربية د.محمد التونجي, دار الملاح للطباعة والنشر, الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- حاجي خليفة(المولى مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة ت ١٠٦٧هـ/ ١٧٥٣م) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- الحسيني[صدر الدين على بن ناصر, ت بعد ٦٣٢هـ/١٢٣٤م] زبدة التواريخ, [اخبار الأمراء والملوك السلجوقية], تحقيق محمد نور الدين دار اقرأ, بيروت, الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- الحلبي [محمد بن إبراهيم بن يوسف الحنبلي, ت٩٧١هـ/١٥٥٤م] الزبد والضرب في تاريخ حلب, تحقيق:د.محمد التونجي, جمعية إحياء التراث الإسلامي منشورات مركز المخطوطات والتراث، الكويت, الطبعة الأولى, ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
- الديار بكري [حسين بن محمد بن الحسين, ت ٩٦٦هـ/١٥٥٩م] تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس, بيروت, (ب.ت).
- ديوان امرئ القيس, دار المعارف, ١٩٥٨م.
- الذهبي [شمس الدين محمد بن أحمد, ت ٧٤٨هـ، /١٣٧٤م]
- تاريخ الإسلام [من الطبقة ٦٤ إلى الطبقة ٦٩] " ٧ أجزاء" الطبقة ٦٤، تحقيق:د. بشار عواد معروف والشيخ شعيب الأرنؤوط.د.صالح مهدي عباس, مؤسسة الرسالة, بيروت الطبعة الأولى ١٤٠هـ/١٩٨٨م.

- وبقية الطبقات، تحقيق: د.عمر عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨- ١٤٢١هـ/ ١٩٩٨- ٢٠٠١م.
- ذيل تاريخ الإسلام،اعتني به: مازن سالم باوزير،دار المغني،الرياض،الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرناؤوط،بيروت الطبعة السابعة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- دول الإسلام تحقيق: حسن إسماعيل مروة، تقديم محمود الأرناؤوط،الجزء الثاني،دار صادر، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
- العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت (ب.ت).
- الرازي [محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، ت بعد ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م] ترتيب مختار الصحاح، تحقيق شهاب الدين أبي عمر، دار الفكر، لبنان ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- الرمزي، (م.م) تلفيق الأخبار وتلقيح الأثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار،طبع المطبعة الكريمية والحسينية ببلدة " وارنبورغ" ١٩٠٨.
- سبط ابن الجوزي [أبو المظفر يوسف بن قزاوغلى، المعروف بسبط ابن الجوزي، ت٦٤٥هـ/١٢٥٦م] مرآة الزمان في تاريخ الأعيان الجزء الثامن، مطبعة مجلس دائرة المعرف العثمانية، حيدر آباد، الدكن الهند،الطبعة الأولى ١٣٧١هـ/١٩٥١م.
- السبكي [تاج الدين أبو نصر، عبد الوهاب بن على، ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م] طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، دار احياء الكتب العربية (د. ت).
- السهيلي [عبد الرحمن بن عبد الله، ت ٥٨١هـ/١١٨٥م] الروض الأنف ؛ شرح السيرة النبوية لابن هشام، تقديم: طه عبد الرؤوف، دار المعرفة، ١٣٨٩هـ/١٩٧٨م.
- شافع بن على [شافع بن على، الكاتب العسقلاني، ت ٧٣٠هـ/١٢٣١م]
- حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية،تحقيق: د.عبد العزيز الخويطر،الرياض،الطبعة الثانية ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

- الفصل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق:د.عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- الشهر ستياني [أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم، ت ٥٤٨هـ/ ١٢٥٣م الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز الوكيل، بيروت، (د. ت).
- الصديقي [محمد بن أبي السرور البكري، ت ١٠٧١هـ/١٦٦١م] المنح الربانية في الدولة العثمانية، وذيله: اللطائف الربانية، تحقيق: ليلى الصباغ، دار البشائر للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- الصفدي [صلاح الدين خليل بن أيبك، ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م] الوافي بالوفيات، نشر وتحقيق جمعية المستشرقين الألمانية، فسبادن، ١٩٦٢- ١٩٨٢م.
- الطبري [الإمام محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م] تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر (د. ت).
- الطرسوسي [مرضي بن على، ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م] تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء، ونشر أعلام الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء، تحقيق: كلود كاهن مجلة الدراسات الشرقية، ج١٢، دمشق ١٩٤٧م.
- العمري [شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحي بن فضل الله، ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م] مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.
- التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة مصر،١٣١٢هـ/١٨٩٤م.
- دولة المماليك الأولى، تحقيق، دوروتياكرا فولسكي، المركز الإسلام للبحوث، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجري الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ١٩٨٥م.
- مسالك الأبصار في ممالك المصار، طبعه بالتصوير فؤاد سزكين، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- العيني [بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى، ت ٨٥٥هـ/١٤١٥م]
- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد " شيخ المحمودي " تحقيق: فهيم شلتوت، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، عصر سلاطين المماليك، (٤ أجزاء) تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٧- ١٤١٢هـ/ ١٩٨٧-١٩٩٢م.
- الغياثي [عبد الله بن فتح الله البغدادي المعروف بالغياث كان حياً سنة ٨٩٠هـ/ ١٤٨٨م] التاريخ الغياثي، الفصل الخامس، دراسة وتحقيق طارق نافع الحمداني، بغداد ١٩٧٥م.
- القرماني [أحمد بن يوسف، ت ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م] أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، دراسة وتحقيق: د.أحمد حطيط وفهمي سعد، عالم الكتب، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٨٤م.
- القلقشندي [أبو العباس أحمد بن على القلقشندي، ت ٨٢١هـ١٤١٨م] صبح الأعشى في صناعة الإنشاء شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.(١٤ جزءاً).
- ماركوبولو "رحلات ماركوبولو" نقلها إلى الإنجليزية وليم مارسدن، ونقلها إلى العربية عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
- المرتضى الزبيدي [محمد مرتضى الزبيدي، ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٨٩م] ترويح القلوب بذكر الملوك بني أيوب، تحقيق، مديحه الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د. ت).
- المسعودي [أبو الحسن على المسعودي، ت٣٥٠/٩٦١م] مروج الذهب ومعادن الجوهر، مطبعة الشرق الإسلامي، القاهرة، (د.ت).
- مسكويه [أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب المعروف بمسكوية، ت ٤٢١هـ/١٠٢٩م] تجارب الأمم، القاهرة ١٣٣٣هـ/١٩١٥م.
- المقريزي [تقي الدين أحمد بن على المقريزي، ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م]
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق:د.محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٤- ١٩٥٧م.
- المقفي الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م.

- النقود الإسلامية [شذور العقود في ذكر النقود] المكتبة الحيدرية النجف، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- مؤلف مجهول من القرن الثمن الهجري/ الرابع عشر الميلادي
- كتاب الحوادث، [وهو الكتاب المسمى وهما بالحوادث الجامعة والتجارب النافعة والمنسوب لإبن الفوطي]، حققه وضبط نصه، بشار عواد معروف وعماد عبد السلام رؤوف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- النسوي [نور الدين محمد بن أحمد بن على النسوي، كان حياً قبل سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م] سيرة جلال الدين منكبرتي، تحقيق: د.حافظ حمدي القاهرة ١٩٥٣م.
- النويري [شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م] نهاية الأرب في فنون الأدب.
- الجزء ٢٧، تحقيق:د.سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- الجزء ٢٩، تحقيق د.محمد ضياء الدين الريس، مراجعة د.مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م.الجزء ٣٠، تحقيق د.محمد عبد الهادي شعيرة، مراجعة.د.محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤١٠هـ/١٩٩٥م.، الجزء ٣١، تحقيق د.الباز العريني، مراجعة، د.عبد العزيز الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.، الجزء ٣٢.تحقيق: فهيم شلتوت، مراجعة:د.عبد العزيز الأهواني و د.سعيد عاشور، مطبعة، دار الكتب المصرية القاهرة.١٩٩٨م.، الجزء ٣٣، تحقيق: مصطفى حجازي، مراجعة د.محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٩٧م.
- الهمذاني [رشيد الدين فضل الله الهمذاني ت ٧١٨هـ/ ١٣٩م] جامع التواريخ:
- تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن نقله إلى العربية فؤاد الصياد، راجعة د.يحي الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
- المجلد الثاني " مج ٢ "، الجزء الأول " ج١ " (الإيلخانيون، تاريخ هولاكو) نقله إلى العربية محمد صادق نشأت، ومحمد موسى هنداوي وفؤاد الصياد، راجعة يحي الخشاب، دار إحياء الكتب العربية، ب. ت.

- المجلد الثاني " مج٢ " الجزء الثاني " ج٢" (الإيلخانيون، تاريخ أبناء هولاكو، من آباقا خان إلى كيخاتو خان) نقله إلى العربية محمد صادق نشأت وفؤاد الصياد راجعة: يحي الخشاب، دار إحياء الكتب العربية (ب. ت).
- تاريخ غازان خان، نقله إلى العربية فؤاد الصياد، الدار الثقافية للنشر القاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- وقفية آلتونبه: وقفية الأمير شمس الدين آلتون آبا، نشر د.عثمان توران مجلة "Belletan" مجمع التاريخ التركي، العدد ٤٢ سنة ١٩٤٧م.
- وقفية جلال الدين قرطاي: نشر د.عثمان توران، مجلة "Belletan" مجمع التاريخ التركي، العدد ٤٥، سنة ١٩٤٨م.
- اليافعي [أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي، ٧٦٨هـ/١٣٦٧م] مرآة الجنان، وعبرة اليقظان، فيما يعتبر من حوادث الزمان،بيروت، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
- ياقوت [أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م] معجم البلدان، دار بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- اليوسفي [موسى بن محمد يحي اليوسفي، ت ٧٥٩هـ/١٣٥٨م] نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق، د.أحمد حطيط عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- اليونيني [قطب الدين موسى بن محمد، ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م] ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

ثالثاً: المراجع والبحوث العربية والمعربة

- إبراهيم الخضر: العلاقات السياسية الخارجية بين سلاجقة الروم والقوى الإسلامية المجاورة "٤٧٠- ٦٤٤هـ/ ١٠٧٠- ١٢٤٦م" رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٨هـ. ١٩٨٨م.
- أحمد توني عبد اللطيف: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم،رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الأداب قسم التاريخ، جامعة المنيا،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- أحمد حطيط، (الدكتور):

١- صورة بيبرس في أعمال المستشرقين الفرنسيين، قراءة في كتابات رينية غروس، وكلود كاهن بحث منشور في مجلة التاريخ العربي، العدد ١٥، صيف ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ٧٥- ٩٠.

٢- حروب المغول،دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

- أحمد سليمان (الدكتور): المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس الهجري/ التاسع والثاني عشر الميلادي،دار النهضة العربية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٢٨م.
- أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق،القاهرة الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- أحمد علي إسماعيل: تاريخ السلاجقة في بلاد الشام في القرنين الخامس والسادس،الشركة المتحدة للطباعة والنشر،الطبعة الأولى ت١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- الكساندر خانتشاتريان (الدكتور):

١- أهل الفتوة والفتيان في المجتمع الإسلامي المركز العربي للأبحاث والتوثيق،بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٢- ديوان النقوش العربية في أرمينية، دراسة تاريخية لغوية باليوغرافية،دمشق ١٩٩٣م.

- بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية،نقله إلى العربية د.نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي،دار العلم للملايين،بيروت الطبعة الخامسة،١٩٨٦م.
- آقطاي آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم، نقله إلى العربية أحمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ١٩٨٧م.
- أكرم العلبي: معارك المغول الكبرى في بلاد الشام،دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- بارتولد [فاسيلي فلاديميروفتش]

١- تاريخ الترك في العصور الوسطى، نقله إلى العربية د.أحمد السعيد سليمان، راجعه: إبراهيم صبري مكتبة الإنجلو المصرية،القاهرة ١٩٥٨م.

٢- تاريخ الحضارة الإسلامية، نقله إلى العربية حمزة طاهر، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر ١٩٥٨م.

- البقلي، محمد قنديل (الدكتور): التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، أشرف عليه وقدم له د.سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب.١٩٨٣م.
- بوزورث، كليفورد.أ.: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، نقله إلى العربية حسين على اللبودي، مراجعة، د.سليمان العسكري،مؤسسة الشراع العربي، الكويت الطبعة الثانية ١٩٩٥م.
- تامارا، رايس: السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، نقله إلى العربية لطفي الخولي وإبراهيم الداقوقي، مطبعة الإرشاد بغداد ١٩٦٨م.
- التونجي، محمد (الدكتور): المعجم الذهبي، فارسي – عربي فرهنك طلائي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.
- حافظ حمدي (الدكتور):

١- الدولة الخوارزمية والمغول،دار الفكر العربي (د.ت).

٢- الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، دار الفكر العربي، القاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- حسن إبراهيم حسن (الدكتور): تاريخ الإسلام، بيروت، ١٩٦٧م.
- حسن الأمين: المغول بين الوثنية والنصرانية والإسلام،دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- حسن باشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والآثار، القاهرة، ١٩٥٧م.
- حسنين محمد ربيع (الدكتور): دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة الطبعة السابعة ٢٠٠٠م.
- حسين أمين: تاريخ العراق في العصر السلجوقي، بغداد ١٩٦١م.
- حسين مجيب المصري: تاريخ الأدب التركي، مطبعة الفكرة، ١٣٧١هـ/١٩٥١م.
- حصة ناصر المبارك: الناصر محمد بن قلادون والحياة الإقتصادية في عهده (٦٩٣-٧٤١هـ/١٢٩٢- ١٣٤١م) رسالة غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/١٩٧٨م.

- حلمي أحمد كمال الدين (الدكتور): السلاجقة في التاريخ والحضارة، الطبعة الأولى دار البحوث العلمية، الكويت ١٣٥٩هـ/١٩٧٥م.
- حليم إبراهيم بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/٢٠٠٠م.
- خصباك، جعفر حسين (الدكتور): العراق في عهد الإيلخانيين "٦٥٦-٧٣٦هـ/١٢٥٨- ١٣٣٥م" بغداد ١٩٦٨م.
- خطاب، محمود شيت (اللواء): فتوح البلدان الإسلامية، أرمينية وبلاد الروم، دار قتيبة، الطبعة الرابعة ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
- الخطيب، مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ١٤ جزءاً نقلها إلى العربية: أحمد الشناوي وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس، مراجعة محمد مهدي علام دار الفكر، ١٩٣٣.
- دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار الفكر، بيروت، (د.ت)
- دليل فودورز"FODORZ" السياحي، (تركيا) نقله إلى العربية مركز التعريب والبرمجة، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـم١٩٩٤م.
- رأفت محمد النبراوي (الدكتور): " درهم أيوبي يسجل مصاهرة ملكية " يتعلق بزواج غياث الدين كيخسرو بأخت الملك الناصر يوسف، بحث مشور في مجلة العصور مجلد ٢، ج١، ١٩٨٧م.
- رجب محمد عبد الحليم (الدكتور): انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، جمهورية مصر العربية (د.ت).
- رنسيمان " ستيفن":

١- تاريخ الحملات الصليبية، نقله إلى العربية نور الدين خليل، مكتبة الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، ب.ت.

٢- الحضارة البيزنطية، نقله إلى العربية: عبد لعزيز جاويد، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦١م.

- ريخا ميسرا: المرأة في عصر المغول.نقله إلى العربية: د.أحمد الجوارنه.دار الكندري للنشر والتوزيع إربد. ١٩٩٨.
- زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي. نقله من الفرنسية إلى العربية. د.ذكي محمد وحسن أحمد دار الرائد العربي بيروت. ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- زبيدة محمد عطا (الدكتورة): الترك في العصور الوسطى. دار الفكر العربي. ب.ت.
- الزركلي. خير الدين: الأعلام. دار العلم للملايين. بيروت الطبعة السابعة.ب.ت.
- زكي محمد حسن (الدكتور): فنون الإسلام. دار الرائد العربي القاهرة. بيروت. (د.ت)
- زينب عبد المجيد عبد القوي (الدكتورة): الإنجليز والحروب الصليبية في الفترة من" ١١٨٦- ١٢٩١م".
- عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- السامرائي. إبراهيم: المجموع اللفيف.دار عمان، ١٩٨٧.
- السباعي محمد السباعي: جلال الدين الرومي وكتابة " فيه ما فيه" رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة عين شمس، القاهرة. ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- ستوف. فلاديمير: حياة جنكيز خان الإدارية والسياسية. ترجمة من الإنجليزية إلى العربية د.سعد حذيفة الغامدي. مؤسسة الرسالة ١٤٠٢/١٩٨١.
- سعد حذيفة الغامدي (الدكتور):

  ١- سقوط الدولة العباسية.مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

  ٢- أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور (الدكتور):

  ١- الحركة الصليبية. مكتبة الأنجلو المصرية. الطبعة الرابعة. ١٩٨٦م.

  ٢- سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى. في بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى. بيروت ١٩٧٧م.

  ٣- العصر المماليكي في مصر والشام. الطبعة الثانية. ب.ت.

  ٤- قبرص والحروب الصليبية. طبعة القاهرة. ١٩٥٧م.

- سلمان التكريتي (الدكتور): بغداد مدينة السلام، وغزو المغول، مكتبة الشرق الجديد، بغداد.١٩٨٨م.
- السيد عبد المؤمن السيد أكرم: أضواء على تاريخ توران " تركستان " مطبعة رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة الطبعة الأولى (د.ت).
- سليم واكيم (الدكتور): إمبراطورية على صهوات الجياد دار الكاتب العربي (د.ت).
- سليمان عطية: العلاقات السياسية بين مصر وغرب آسيا من وفاة ايلخان أبو سعيد إلى نهاية دولة آلاق قيونلو رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٥٢.
- سليمان الموصلي الصائغ: تاريخ الموصل،المطبعة السلفية، مصر ١٩٢٣م.
- سهيل زكار (الدكتور): مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية بيروت ١٣١٩هـ/١٩٧٢.
- سوسن محمد نصر: بنو أيوب مع الخوارزمية والمغول والمماليك في شمال الشام، بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية، العدد ٣٠.٣١ سنة١٩٨٣ ـ ١٩٨٤م
- سونيا هاد: في طلب التوابل،نقله إلى العربية محمد عزيز رفعت، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٥م.
- شبولر " برتولر": العالم إسلامي في العصر المغولي، نقله إلى العربية خالد أسعد عيسى مراجعة د.سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- شوكت، محمود (الفريق أول): التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية، نقله إلى العربية، نفيسة عامر، دار طلاس دمشق، ١٩٩١م.
- صبحي عبد المنعم (الدكتور): المغول والمماليك [سياسة المغول الإيلخانيين تجاه المماليك في مصر والشام، ٦٥٦- ٧٣٦هـ/١٢٥٨- ١٣٣٥م] العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
- صبري سليم (الدكتور): الأتراك الخوارزميون في الشرق الأدنى الإسلامي،مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ١٤١٩هـ/٢٠٠٠م.
- الصياد، فؤاد عبد المعطي (الدكتور):

١- الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين." أسرة هولاكو خان " منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية.جامعة قطر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢- المغول في التاريخ، دار النهضة العربية بيروت، الجزء الأول ١٩٨٠م.

- صيته عبد الله سرحان: سلاجقة الروم في الثلث الأول من القرن السابع الهجري رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ الإسلامي،جامعة أم القرى، مكة المكرمة،١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- طلال شعبان: المدارس الباقية في قونية والقاهرة خلال عصري السلاجقة الروم والمماليك البحرية، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤١٦هـ.
- عادل نبهان: العلاقات بين المسلمين والكرج،رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- عادل هلال (الدكتور): العلاقات بين المغول وأوربا وأثرها على العالم الإسلامي،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- عايدة العلي (الدكتورة): العرب والفرات بين تركيا وإسرائيل، دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- عباس إقبال: تاريخ المغول، منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية نقله من الفارسية إلى العربية: عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- عباس العزاوي:

١- تاريخ العراق بين إحتلالين،الجزء الأول " حكومة المغول "،بغداد، ١٣٥٢هـ/١٩٣٥م.

٢- تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسة، طبع شركة التجارة والطباعة، بغداد، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.

- عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي،دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- عبد اللطيف بن دهيش (الدكتور): قيام الدولة العثمانية،مطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة الطبعة الثانية ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- عبد الله سعيد الغامدي (الدكتور): جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في النصف الثاني من القرن السابع الهجري،مكة المكرمة، ١٤١٠هـ.
- عبد المجيد أبو الفتوح بدوي (الدكتور):

١- الاتجاه المذهبي عند سلاجقة الروم.بحث منشور في مجلة كلية الأداب، جامعة المنصورة، العددان ٣- ٤، مايو ١٩٨٢م.

٢- التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد.دار الوفاء، المنصورة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٨م.

- عبد النعيم حسنين (الدكتور):

١- إيران والعراق في العصر السلجوقي، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٢- دولة السلاجقة.مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م.

- عثمان توران (الدكتور): الأناضول في عهد السلاجقة والإمارات التركمانية.نقله من الإنجليزية إلى العربية، د.علي محمد الغامدي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- العريني، السيد الباز (الدكتور): المغول.دار النهضة العربية، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- عصام محمد شبارو: السلاطين في الشرق العربي ودورهم السياسي والحضاري " المماليك ٦٤٨- ٩٢٣هـ/١٢٥٠- ١٥١٧م" دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٤م.

- عطية الله، أحمد: القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

- عفاف سيد صبره: التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، القاهرة دار الكتاب الجامعي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- علاء محمود قداوي: " تحالف ملوك أرمينية الصغرى وأنطاكية الصليبية مع المغول لاحتلال بلاد السام وتصدي المماليك لهم ٦٤٤- ٧٢٣هـ/١٢٤٦- ١٣٢٣م" بحث منشور في مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، العدد ١٠، ربيع ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

- علي صالح المحيميد (الدكتور): الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول.مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

- علي محمد عودة الغامدي (الدكتور):

١- أنطالية في عصر الحروب الصليبية.مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٢- بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي.مكتبة الفيصلية مكة المكرمة.١٤٠١هـ/١٩٨٤م.

٣- بلاد الشام قبيل الغزو المغولي.مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٤- سياسة نور الدين محمود العسكرية إزاء الأرمن في قيلقية.مستلة من كتاب بحوث تاريخية (١- ٢) الجمعية التاريخية السعودية، ١٤١١هـم١٩٩١م.

٥- المجاهد المسلم كمشتكين بن دانشمند.مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/.

٦- معركة ميريو كيفالوم ٥٧٢هـ/١١٧٦م.من المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي، بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى، العدد الأول، السنة الأولى.١٤٠٩هـ.

٧- النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود في أوائل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بحث منشور في مجلة المؤرخ المصري.العدد ١٩.يناير ١٩٩٨م.

- عماد الدين خليل (الدكتور): الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام.مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- عمر كمال توفيق (الدكتور): تاريخ الدولة البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م.
- فايد حماد عشور (الدكتور): العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، دار المعارف، بمصر (د. ت).
- فايز نجيب اسكندر (الدكتور):

١- مملكة أرمينية الصغرى بين الصليبيين ودولة المماليك ١٢٥٠-١٣٧٥م/٦٤٨- ٧٧٣هـ. رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الأداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٨٠م.

٢- الأشرف خليل بن قلاوون وفتح قلعة الروم " ١٦ يونيو سنة ١٢٩٢م/١١رجب سنة ٦٩١هـ." بحث منشور في مجلة حولية التاريخ الإسلامي الوسيط.جامعة عين شمس، المجلد الأول، الجزء الأول، ٢٠٠٠- ٢٠٠١م.

- القاموس المحيط.للفيروزآبادي (مجد الدين محمحد بن يعقوب) دار الكتاب العربي (د.ت).
- القزاز، محمد صالح (الدكتور): الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية.النجف، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
- كاهن، كلود (الدكتور): تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية.نقله إلى العربية بدر الدين قاسم، دار الحقيقة للطباعة، بيروت الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.
- كرافولسكي، دووتيا: العرب وإيران.دار المنتخب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـم١٩٩٣م.
- كوبرلي، محمد فؤاد: قيام الدولة العثمانية.نقله إلى العربية، د.أحمد السعيد سليمان دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.
- لسترنج، كي: بلدان الخلافة الشرقية.نقله إلى العربية: بشير فرنسيس وكوركيس عواد مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- لويس غارديه: أهل الإسلام.نقله إلى العربية صلاح الدين برمدا، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨١م.
- لين بول، وبارتولد، وخليل أدهم: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة نقله من التركية إلى العربية د.أحمد السعيد سليمان، دار المعارف بمصر، ١٣٩٨هـ/١٩٦٩م.
- متعب حسين القثامي: مملكة حماة في العصر اليوبي (٥٧٤- ٦٩٨هـ) رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- محمد باقر الحسيني (الدكتور):

١- نقود السلاجقة.رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٢- دراسة تحليلية وإحصائية للألقاب الإسلامية، بحث منشور في مجلة سومر، ج١، ٢، مجلد ٢٨، سنة ١٩٧٢م.

- محمد ربيع المدخلي: المشرق الإسلامي في عصر سلاطين السلاجقة العظام.رسالة دكتوراه غير منشورة. قسم التاريخ الإسلامي. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. جامعة أم القرى. مكة المكرمة.١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- محمد السعيد جمال الدين (الدكتور):

١- علاء الدين عطا ملك الجويني (حاكم العراق بعد انقضاء الخلافة العباسية) طبع مصر، ١٩٨٢م.

٢- دولة الإسماعيلية في إيران.الدار الثقافية للنشر. القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

- محمد عبد الباسط حسين (الدكتور): الشرق الإسلامي من ظهور السلاجقة حتى زوال الخلافة العباسية ببغداد رابطة العالم الإسلامي.مكة المكرمة. الطبعة الأولى. ١٤١٤هـ.
- محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني.الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٧٤م.
- محمد عبد الغني الأشقر: سلار الأمير التتري المسلم.مكتبة مدبولي. القاهرة. ٢٠٠٠م.
- محمد علاء الدين منصور: جماعات الفتوة في الأناضول في العصرين السلجوقي والعثماني في مصادرها الفارسية.رسالة دكتوراه غير منشورة.كلية الآداب قسم اللغات الشرقية.جامعة القاهرة.١٩٨١م.
- محمد فريد بك (المحامي): تاريخ الدولة العلية العثمانية.تحقيق.د.إحسان حقي.دار النفائس. بيروت. الطبعة السابعة. ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- محمد ماهر حمادة: وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي.مؤسسة الرسالة. الطبعة الثالثة.١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- محمد محمود إدريس: رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية. القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
- محمود السيد (الدكتور): التتار والمغول. مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية. ٢٠٠١م.
- محمود شاكر: التاريخ الإسلامي.الجزء السابع (العهد المملوكي) المكتب الإسلامي. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٥ه.

- محمود عمران (الدكتور): المغول وأوربا دار المعرفة الجامعية. (د.ت).
- محمود ياسين التكريتي: الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة ٥٦٤- ٦٤٨هـ/١١٦٨-١٢٥٠م.رسالة دكتوراه غير منشورة.كلية دار العلوم (كلية الأداب) جامعة القاهرة.١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- مروان المدور: الأرمن عبر التاريخ.مكتبة الحياة.بيروت. الطبعة الأولى. ١٩٨٢م.
- مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية. دار غريب. القاهرة. ٢٠٠٠م.
- مصطفى طه بدر (الدكتور):

١- إيران في عهد غازان وعلاقتها بمصر بوجه خاص. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة فؤاد الأول ١٩٤٤م.

٢- محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول.الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة الثانية ١٩٩٩م.

٣- مغول إيران بين المسيحية والإسلام دار الفكر العربي. مصر.(د، ت).

- المعجم الوسيط.قام بإخراجه:إبراهيم مصطفى وآخرون ن دار الدعوة، استانبول، تركيا، ١٩٨٨.
- منى إبراهيم عبد الرحمن: السفارات الأجنبية في مصر على عهد سلاطين المماليك.رسالة ماجستير غير منشورة.كلية الأداب.جامعة القاهرة.١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- الموسوعة العربية الميسرة بإشراف محمد شفيق غربال.دار نهضة لبنان. بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- نادية محمود مصطفى، وآخرون: العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي.الجزء العاشر. (العصر المملوكي) المعهد العالمي للفكر الإسلامي.القاهرة. الطبعة الأولى. ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- نافع توفيق العبود: الدولة الخوارزمية. نشأتها وعلاقتها مع الدول الإسلامية.مطبعة الجامعة. بغداد ١٩٧٨م.
- نعمان محمود جبران: محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير أسباب ونتائج، بحث منشور في مجلة دراسات تاريخية، العدد٣٩ السنة ١٢ كانون الأول ديسمبر ١٩٩١م.

- نورة عبد الله باذياب: قونية عاصمة سلطنة سلاجقة الروم.رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الشريعة، والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- هايد، ف: تاريخ التجارة في الشرق الأدني في العصور الوسطي، نقله من الفرنسية إلى العربية أحمد محمد رضا، مراجعة وتقديم د.عز الدين فودة.الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٤م.
- الوسيمي.محمد نجيب (الدكتور):

١- سلطنة سلاجقة الروم ٥٨١"- ٦٤١هـم١١٨٥- ١٢٤٣م"رسالة دكتوراه غير منشورة قسم التاريخ، كلية الأداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٤م.

٢- العلاقات السياسية بين إمارة قرامان ودولة المماليك الجراكسة" ٧٨٤- ٨٨٨ هـ/١٣٨٢- ١٤٨٣م" بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية المجلد رقم ٣٩، ١٩٩٦م

- يلماز، أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، نقله إلى العربية عدنان سلمان، مراجعة وتنقيح: محمود الأنصاري منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، اسطنبول الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٩٨م.
- يوسف عبد الله الوابل (الدكتور): أشراط الساعة دار ابن الجوزي، الطبعة العاشرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- يوسف عزت باشا: تاريخ القوقاز نقله إلى العربية: عبد الحميد غالب بك، مطبعة عيسى البابي الحلبي، وشركاه، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م.

رابعاً: المصادر الفارسية:

- ابن بيبي (الحسين بن محمد بن على الرغدي، ت ٦٨٠هـ/ ١٢١٨م) كتاب الأوامر العلائية في الأمور العلائية أنقرة ١٩٦٥م.
- اقسرائي (كريم الدين محمود بن محمد من مؤرخي القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار، تحقيق: عثمان توران، أنقرة ١٩٤٤م.
- جوزجاني (أبو عمرو منهاج الدين عثمان بن سراج الدين، معروف به " منهاج سراج "): طبقات ناصري، أُلّف في الفترة ما بين ٦٥٧- ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩- ١٢٦٠م) تحقيق عبد الحي حبيبي قندهاري، كابل ١٣٤٣هـ- ش.

- الجويني (علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد، ت ٦٨١هـ-١٢٨٢م) تاريخ جها نكشاي نشر وتصحيح محمد بن عبد الوهاب القزويني، ليدن ١٣٢٩- ١٣٥٥هـ/ ١٩١١- ١٩٣٧م.
- حافظ آبرو(ت ٨٣٣هـ/١٤٢٩م): ذيل جامع التواريخ رشيدي.شامل وقايع سنة (٧٠٣-٧٨١هـ) باهتمام دكتر خانبابا بياني، تهران ١٣٥٠هـ.ش.
- خواندمير (غياث الدين محمد بن همام، ت ٩٤٢هـ/١٥٣٥م) حبيب السير في أخبار أفراد البشر.چاپ أول، تهران ١٣٣٣هـ.ش = چاپ دوم عكسي، تهران ١٣٥٣هـ ش.
- القاشاني (أبو القاسم عبد الله بن محمد): تاريخ أو لجايتو تاريخ بادشاه سعيد غياث الدنيا والدين أولجايتو سلطان محمد – طيب الله مرقده – به اهتمام مهين هميلي، بنكاه ترجمة ونشر كتاب تهران ١٣٤٨هـ.ش.
- القاضي أحمد النيكدلي
- الولد الشفيق، نسخة مخطوطة بمكتبة السلطان محمد الفاتح، باسطنبول، رقم ٤٥١٩.
- قزويني (حمد الله بن ابي بكر بن أحمد بن نصر مستوفي)

  ١- تاريخ كزيدة، به اهتمام دكنز عبد الحسين توائي، تهران ١٣٣٦-١٣٣٩هـ.ش.

  ٢- نزهة القلوب، با مقابلة توحواشي وتعليقات وفهارس، بكوشش محمد = دبير سياقي، تهران ١٣٣٦هـ.ش.
- ميرخواند (محمد بن سيد برهان الدين خواندشاه)
- روضة الصفا، تهران ١٣٣٩هـ.ش.
- الهمذاني (رشيد الدين فضل الله بن أبي الخير، ت ٧١٨هـ/١٣١٨م) جامع التواريخ الأصل الفارسي، نشر د بهمن كريي.طهران ١٣٣٨هـ. ش.
- وصاف الحضرة (شيرازي أديب شرف الدين عبد الله بن فضل الله) تاريخ وضاف، بمباي ١٣٦٩هـ.

خامساً: المراجع والبحوث باللغتين الفارسية والتركية العثمانية.

- بارتولد: ذكرة جغرافيا تاريخي ايران، ترجمة حمزة سردادور (طالب زاده) تهران ١٣٠٨هـ.ش.

- شپولـــر (برتولـد) (Supler: Bertold.):تاريخ مغـول در ايـران: سياسـت، حكومـت وفرهنگ دوره ايلخانان، ترجمة دكتر محمود مير آفتاب، بنكاه ترجمة ونشـر كتـاب ١٣٥١هـ.ش.
- عبـاس إقبـال: مجموعـة مقـالات عبـاس اشـتياني، شـامل يكصـد ويك مقالـة بامقدمـة وتصـحيح آقـاي دكـتر محمـد دبـير سـياقي بعنـوان "جـاو جـاب اسـكناس" تهـران ١٣٥٠هـ.ش.
- قاسم غني: عصر حافظ آبرو، طهران، ١٩٤٢ م.
- كوبرلي، زاده محمد فؤاد:

١- توركك أدبياتي تاريخي مجلد (١) ١٩٢٨م.

٢- توركك أدبياتنده ايلك متصوفلر استانبول ١٩١٩م.

سادساً: المصادر والمراجع والبحوث الغربية:

أولاً: المصادر:

- Acropolites.(Georgius) – Annales (from 1203 to 1261) ed by Recognovit Bekker corpus Scriptorum Historiae Byzantina. Bonn 1903.
- Anonim Selçuk-nâme, Türkiye Edime Bâdi.Ef.Kitaplan 559.farsça nşr f.Nafizuzluk AnkARA 1952.
- Eflaki.Ahmed: Ariflerin Menakibeleri (1-2) (ceviren: TAhsin Yazici, Remzi Kitabe VI, Istanbul, 1987.
- Grigor of AkancHistory Of The Nation Of Archers (The Mongols) Hisherto Ascrided to Malak' id The Monk, The Armenian text, Edited with an English translation and notes by: Robert p.Blake and Richard N.frye.Hasrv and Journal of Asiatic Studies.X I I (1949).
- Guirages de kantzag: -Extraits, ed.trad.E.Dulaurier Journal Asiatique V.I I, 1885.
- - Ibn – BIBI " El- Huseyn.B.M.A.c."El – Evamirul aliyye Fi ' L.umuril – Alaiyyr.ons.os Vefihrlizti hazir liyan: Adnan Sadik Erzi, I.Tipkib – asim, Ankara.1956.
- - Pachy mers,G.Historia, trc.Cousin " Hist.ConsVI ",Sampad

- The Armenian Chronicle Of The Constable Smpad (1208 – 1276) or of The " Royal Historian" English translation by: Sirarpie der Nersessian, Dumbarton oaks papers, N 13, 1959.
- Vincent, de Beauvais: Miroir Historial.Trc.J.de Vigny.Paris 1531 " Moral Historiale Graz- Austria.1965.

ثانياً: المراجع والبحوث:

- Ahmied Tevhid " Rumselçuki Devele ti " nin Inkeraziy le Teşekkul Tauif muluk TO FM 1/1 " 1326"
  - Saruhan ve Aydin – ogullari (TOEM eüz 10, Istanbul, 1929).
  - Karasi – igullari " T D E M ".
  - Muze –I Hümayun.Meskukat Kadim–i Islamiyye Katalogue Istanbul.1321.
  - Kutahya de Germiyan Beyleri a.e 11/8 " 1329 ".
- Ali: Eşref ogullari Hakkinda Brikaç Söz " a.e..V/ 28 (1330).
- Ali Teke: Emareti, T TEM, Sene 14, Sagi 2 (79) 1340.
- Allem: Ahistory of The Georgian people.
- Asiliev.A.A: The foundation of The empire of Trabizond (1204 – 1222) Speculum vol, xic 1936.
- Bol, Lein: The Successors of The Seljuks in Asia Minor "J RAS".1882.
  - Boyle, J.A: The Journey of Het,um I King of Little Armenia to The court of Great Khan Mongke.Central Asiatic Journal IX., 1964.
  - The IL–Khans of Persia and The Chirstian west "Histiry to day" XXXIII, 8, 1973.
- Brhier, L.Lavie et Lamort de Byzance, Paris.1948.
- Browen.(E.G.Aliterar) AHistory of pesia Literature under Tattar Dominion Cambridge 1920.
- Brosst.M, : Histoire de L aGeorgi I.Stpeter Stpetrsburg.1879.
- Cahen, clud:
  - La Campagne de Mantzikert d, apresles Sources Mussulmanes ; in Byazntion, Vol.IX- Brusseles, 1948.
  - La premiere Pentation Turque en Asia Minoure (Second Motie du XI.S.) in Byzantion XVIII.1946 – 1948
  - Pre-Of Ottoman Turkey, 1071-1330, Translated fromtheFrenc h by: J.jones-Williams.London 1968.
  - " The Mongols and The Near Eaet" setton, AHistiry of The Crusades V.II.

- Le Comer ce Anatolien.debut du XIII Siecle Melangis....Louis Halphen, 1951.
- Notes pour Histoire des Turcomans, d " Asie Mineure au XIII, Siecle" Journal Asia tique Tome CCXXXIX, 1950.
- In troduction al Histoire de LA Sic Turcset Mongols Desorigines " 1405" Paris 1896.
- Baba IshaG, Baba leyas Hadj bektash et qye lques Autres " Turcica Revue Detudes Turques Tome 1.1969.

- Cambridqe Medieval History:
  - Cambridge History of Islam, 2.vols.Cambridqe The Universiry, Press.1970.
  - Cambridqe Medieval History.Volume IV.By: Hussey J.M.Cambridqe The university press.1976/
  - Cambridqe History of Iran.Cambredqe The University press
- D,ohsson, M.Ie Baron: Histoire des mongols de Puis Tchinguiz-kan Jusgu,a Timour Bey ou Tamerlan Paris, 1824.
- Edhem ; Halil
  - Düvel-i Islâmiyye.Istanbul, 1927.
  - Kayseriy Şehri.Istanbul, 1334.
  - Karman Oğllari hakkinda Ve Saik-i Mahkuke (Inscriptions of The Qaramanids) in Tarihi Osmani Encümeni Mecmuasi nr II Istanbul 1329.
  - Al-iGermiyan Kitableri (TOEM ½ " 1328).
  - Anadolu da Islami Kitabler (TOEM v½/2 a 1330"
- Edward.S.Greasy: History of The Ottoman Turks.Beirut.1961.
- Encyclopaedia Of Islam, Vol v.LEIDEN, E, J.BRILL 1980.
- Erdoğan Merçil: Musluman Tark Devele teleri, Tarihi.Ankara 1991.
- Fikri Ertem: Antalya Tarihi Istanbul, 1940.
- Freyec, Histrory of The National of Archers, H J A S " 1949.
- G.leiser (tr.anded) Ahistiry of The seljuks.Ibrahim kufesog lus Interpretationand The resultan Controucrsy.
- Gardner.A.The Zaskarides of Nicaea, Londen.1912.
- Grand Larousse: Encge lpediue 2 vols, Paris, 1974.
- Halil, Inalgik: The Ottoman Empire The Classical Age 1300-1600, Trasnslater By: Norman Itzkuwitz And Golin Imber Widenfeld And Nicolson.London.
- Hasluck W: Christianity and Islam under The Sultans, Oxford, 1929.
- Himmet Akin: Aydin oğllari Tarihi Hakkind Bir Araştima Ankara, 1968.

- Houtsma, L: La Dynastie des Benu Mang u Gek, Revueorient.1901.
- Howorth, Henry: History of The Mongols.: Vol.III, London, 1878.
- Ibrahim Gikçen: Sarahan da Yöruke Ve Turkmenler Istanbul, 1946.
- Ibrahim Hakki: Konya tarihi, Konya, 1964.
- Ismail Galib: Takvimi meskukat Selçukiye Istambul " 1309"
- Ismail Hakki Uzuncarsili: Anadolu beylikleri Ve Ak-koy-aniu Ve Karakoyunlu develet leri" Istanbul 1937".
- köprülu Zade.M.F Anadolu Beylikleri Tarihi in Ait Not lar " TM.11" " 1928".
- L.de Backer, Giullaum: De Rubrouck, Paris.1877.
- Lane - poole Srantey":
    - Ahistory of Egypt in The Middle Ages.London.1936.
    - Myavuz Süslu-Eşref ogullari-Tarihi-Beyşehir kilvuzu.Konya.1934.
- Lock hart, L: The Relation between Edward, I And Edward, II of England And The Mongol Ilkhans of Persia " in Journal of Persian studies, VOL.VI.1968.
- M.cbem: Three Italian Trevellers.Moscow 1968.
- Mehmmed Trvhid Meskükat Islamiye Kataloğu 4 Kism.Istanbul" 1321".
- Michal, Prawdin: L'Empire Mongo et Tamaerlan.Paris, 1937.
- Miller, William: Trabizond last Grec empire, London.1925.]
- Mustafa Cetin Varlik: Germiyan Õğullari Tarihi: 1300-1429.Ankara 1974.
- Nafiz Uzluk: Germiyan Õğlu Yakup II Bey in Vakfiysi"VD VII"1969".
- Nubar pasai: Sissouan, Venis.1899.
- Ölcer (cünegt): Karaman ögullari Beyligi Madeni Paralari Istanbul, 1981-1982.
- Omar Tekin-Recep: Bilginer Beyşehir Ve Eşref Ogullari Eskişehir, 1945.
- Ostrogorsky: Hist of The Byzentine State.Translard From The German by: HUSSEY with a Fore Word by: Peter charanis, New Jersey 1957.
- Pappadipoulos: Theodor Laskaris, Empereur de Nicer,Paris 1908.
- Barry, V, g,: Ahisrory of The Ottoman.
- Powicke.Igorde: King Henry III and The Lord Edward.2 vols.Oxford, 1947.
- Quataremere.E.M.; Histoir des Mingols de La perse.Ecrite en persan par Rechid- ed-din, publiee, traduite en franç ais accompagnee des notes et d,un memoireur Lavie et les ouvrages de l, auteur.Paris.1836.
- Histoire des Sultans memlouk d,Egypte, Paris 1837-1845.
- Ramsay.W: The Historical of Asia Minor.London 1890, trc, M Pektaş, Anadolu nun Trihi corafyasi Istanbul, 1961.

- Sinor, Denis: The Mongols and West Europe" in setton ced" Ahistory of The Crusade Voll- III wioconsin University pres, 1985.'
- spuler Bertold: Die Mongolenzeit" In Hand bucheder orinta listiksechs ter Band E.J.Br." Leiden-kolon, 1953.
- = Srevenson, M.A: The Crusaders In The East, Cambridge University press, 1968.
- = Süleyman Fikri: Antaliye Livâsi tarihi, Istanbrl.1338.
- = Sümer (F): Karaman Õgrllari " The Encyclapacdia of Islam.New Edittion" Leidn, 1990.

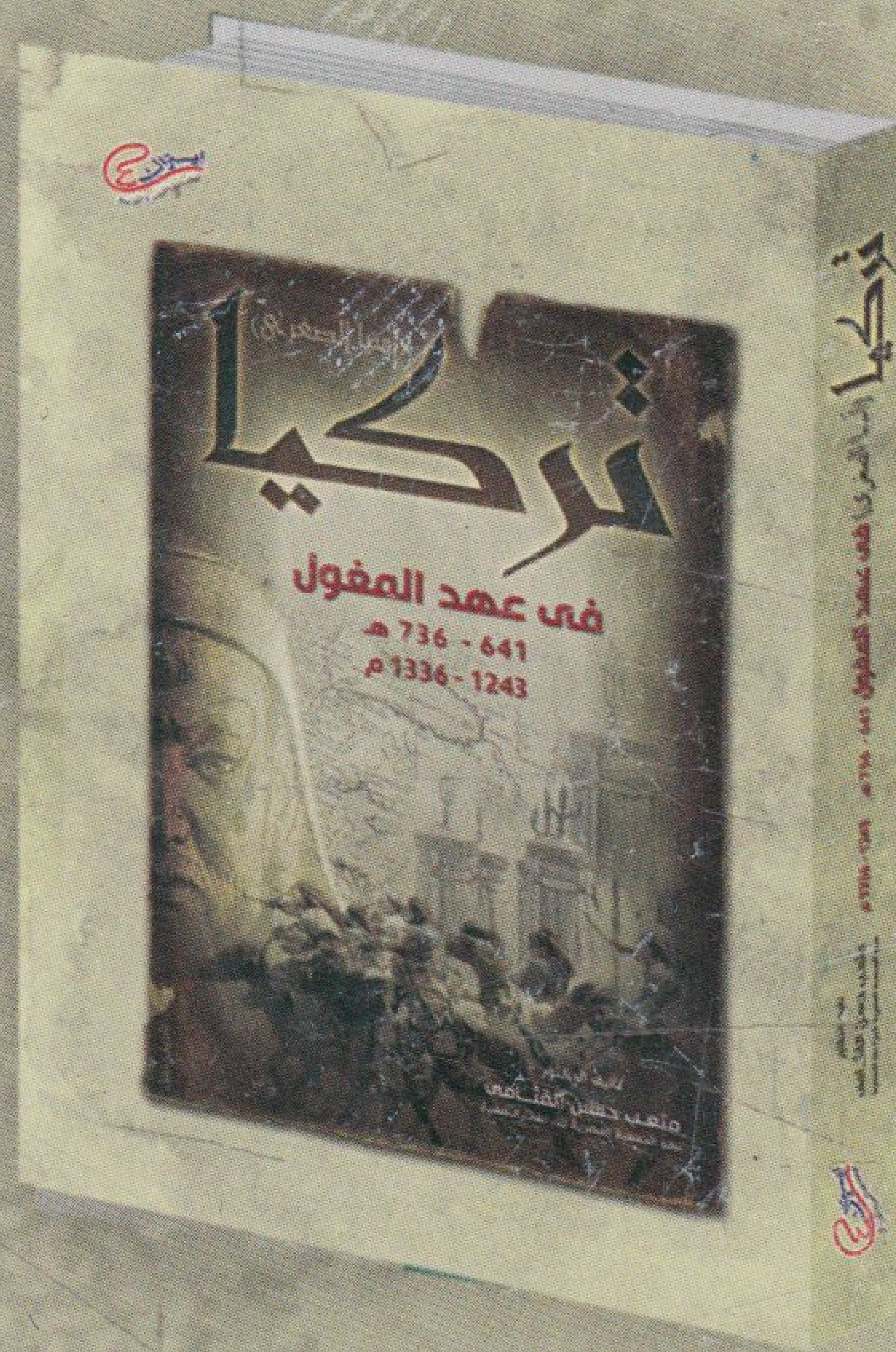
= Tournebize (Fr): Histaire Politique et religieuse de I, Armenie, Paris, 1900.

- Totaysalgir (Gaffar): Karman (Larende), Konya, 1944.
- Turan, Osman
- Selçuk Devri Vakfiye leri Belleten, XI, Ankara, 1947.
  - Selçuk Rürkiye Sinde Fâizle parikrazina dair hukuki bir uesika "Belleten 62, Ingl.Muhammad shafi " arinagan kitabi (531-552).
  - Ortaçağda Türkiye Iktisadi tarihi.
  - Droit terrien sous les seldjukides de Turquie.R.E.Isl " 1948" trk.
  - Souverains Seldjoukids deset leurs sujets non-muslumans, Sudia Islamic I.S.
  - Turkiye Selçukularinda toprak hukuki Belleten XL VII " 1948"
  - Selçuklular Zamaninda Türkiye, Istanbul, 1996
- Vasilie (A.A).History Of The Byzantin Empir-e." 324-1453" Madison, 1961.
- Von Berchem, Gorpus.Inscription-num arahi icarum, III partie " 1" Fasc Siwaset Diurigi par Van Bercham et Halil Edhem, memoire de " 1" institute Franç çaisdu Caire, Tom XXIX.1910.
- Vryonis, speros, J,R:
  - The Decline of Medieval Hellenism In Asia Minor And The process of Islamization From The Eleventh Through The Fifteenth Century.Berkeley LOs Angeles.London.1971.
  - Byzantum.Its Internnl Histoty, And Relations Wit The muslim World.London 1971.
  - Byzntium: The Social Basis of Decline In The Eleventh Century, Greeks, Roman And Byzantine Studies, Vol.II " 1959".
- Wittek, P.Yazij oholu Ali:
  - On The christiyan.Turks of The Dobruja, BSOAS" 1952", XIV.3
  - Menteşe Beyliği (trc.Osaik Gökyay) Ankara, 1986.
- Yaşar Yücel: Goban Õğullari Gandar Õğullari Beylikleri.Ankara 1908.

- Yialmaz, öinge: "konya-Beyşehir de Eşref ōğlu Süleyman Bey Hamami VD.VII(1968).
- Yüzyi llarda Güney-Bat: Anadolu Tarihi Hamid Ōğullari Beyligi (doctira te zi 1993)
- = Zaki Arikan: Yüzyi llarda Hamid Sancaği.XV- XVI, Izmir, 1988.

فهرس الكتاب

مطابع الدار الهندسية
موبايل: ٠١٢٢٣٤٩٠١١ تليفاكس: ٢٩٧٠٣٧٦٦



صدر أيضاً للناشر

فى مجال التاريخ

أوراق تركية حول الثقافة والحضارة	د. الصفصافى أحمد المرسى
الرحلة المكية من خلال الكرة الأرضية	د. رفعت عبدالله
المدارس الفكرية السريانية فى الشرق الأدنى القديم	د. ماجدة محمد أنور
أربقان والتيار الإسلامى	د. الصفصافى أحمد المرسى
رجال صنعوا التغيير	أ. محمد سعد
تاريخ الدولة العثمانية (منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبى)	أ.د [illegible] ولى
يهود مصر بارونات وبؤساء	[illegible] بده
من الأساطير الألمانية	ترجم[illegible] تاتة
تعليم اللغة التركية	[illegible] البنا



إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع
١٢ شارع حسين كامل سليم - ألماظة - مصر الجديدة - القاهرة - ت : ٢٤١٧٢٧٤٩
فاكس ٢٤١٧٢٧٤٩ - ص.ب : ٥٦٦٢ هليوبوليس غرب - رمز بريدى : ١١٧٧١
Website : www.etracpublishing.com
E-mail : etraccom@gmail.com